مجلة الأزهر

٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٦٦

المجلد الخامس والخمسون ـ القسم الثاني
السنة ١٤٠٣هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25899823 / 25907497

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST

لبوان ـ ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦
صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

أجل النعم

أجل نعم الله نعمة لا تخلص اليها الدنيا بشائبة ، ولا تحفها من زهرتها شهوات .

نعمة هى فى القمة من النعم تبوء منها الدنيا بمعرفة قدرها فتذل ، وتذل أكثر عندما تسعى بكل زخارفها وشهواتها الى من نال هذه النعمة فيحقرها .

فهو من دنياه — فى منعة .

ودنياه — منه — على ذل واستخزاء .

انها نعمة تخلص الانسان لربه ، وتقوده الى خالقه ، فاذا هو بصير بالصراط ، يقظ الخطا ، آمن العثرات .

←---

- الجزء الثامن السنة الخامسة والخمسون
- شعبان ١٤٠٣ هجرية
- مايو ١٩٨٣ ميلادية

أجلّ النِعَمْ

وأدنى النعم نعمة « تخلص » من الحرام و « تخالطه » لها من الأسـباب ما يتصل بشهوات النفس ، ويأخذ من زينة الحياة ، وهى ــ على هـذا وذاك ــ لا تخلو من فتنة ، ولا تنأى عن بـلاء .

وهذه نعمة الناس أجمعين

.. ..

فأما أجل النعم فنعمة لاتنتشر بشيوع ، ولاتعم بحال ، فانها خاصة ، ثـم هى على خصوصها لاتصيب الا أندر الرجال ، وأزكى الأفئدة ، اذ هى أرفـع الأوسمة فى ملكوت اللـه .

فـ « مراقبـة اللـه »

أو « ذكـر الآخـرة »

أو « الخـوف من اللـه »

نعم غالية ليس لكل أحد منها نصيب

فما عرفناها شائعة ، ولا رأيناها الا فى نادر الرجـال :

هذا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم النبيين والمرسـلين ، وخـير الناس أجمعين ــ صلى الله عليه وسلم ــ تشتد مراقبته لمولاه ــ جل وعـز ــ حتى لا يكون أملا ــ فى نفسه ــ أن تمتد به حيـاة عقب « نفس » يطرحه ، أو « نفس » يستنشقه ، ويملأ ربه عليه نفسه حتى ما ينام قلبه .

ويدعـــو :

« ياحى ياقيوم . يابديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والاكـرام ..

لا اله الا أنت .

برحمتك أستغيث .

أصلح لى شانى كله .

ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين ، ولا الى أحد من خلقك .

أعوذ برضاك من سخطك .

وأعوذ بعفوك من عقوبتك .

وأعوذ بك منك ٠
لاأحصى ثناء عليك ٠ أنت كما أثنيت على نفسك »

.. ..

وصفوة تحذر الآخرة وترجو رحمة اللــه ٠

ابراهيم واسحاق ويعقوب ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ أخلصوا أنفسهم للآخرة ، فكانت فى نفوسهم أبدا ٠٠ صراط نبوة كريمة عالقـة بربها دائما ٠

« وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ٠ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ٠ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (١) » ٠

.. .. ٠

وهذا مقام الخوف من الله ٠

أى النـاس يطيقـه ٠٠٠ ؟

هذا هو الامام الجليل أبو عبد الله أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنـه ـ لايختلف ـ فى ورعه ـ رجلان ، ولا يتشاح ـ فى امامته ـ خصمان ٠

رزقه الله نصيبه من خشيته حتى صار خوفه من ربـه مضرب المثـل ، وازدادت طاعته للـه ، فزاد ـ بجانبها ـ الشعور بالقصـور فى حق مولاه ، فسأل ربه أن يفتح عليه « باب الخوف » فأجيب ٠٠٠ فكاد الخوف من اللـه أن يعصف به حتى خاف على عقله(٢) فسأل ربه أن يرد ذلك عنه ٠

وكـان اللـه ـ بـه ـ رءوفا رحيمـا ٠

نسأل الله ـ سبحانه ـ من خشيته مايزودنا من جلاله ويحول بيننا وبين معاصيه ٠٠٠ انه سميع قريب !

د/على الخطيب

---

(١) سورة ص ٤٥ ـ ٤٧ ٠

(٢) راجع للامام ابن الجوزى ـ صيد الخاطر ص ١٥٢ ـ دار الفكر ـ دمشـق ١٣٩٩ هـ

دراسات قرآنية

- هذه المزاعم .. ماذا لها من الحق ؟!
- مع آيات الله في كتاب الله .

هذه المزاعم ماذا لها من الحق؟!

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

زعم الذين كفروا وأعماهم الحقد عن استجلاء الحق : أن فى القرآن أخطاء تشريعية ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، ذكروا أنه فرق بين الرجل والمرأة فى الميراث ، وأشاروا الى الآيتين رقمى : ١٠ ، ٢٤ من سورة النساء •

فأما الآية العاشرة فيقول الله فيها « يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ » وهذا الذى زعموه خطأ هو من أعظم المفاخر والمحاسن التشريعية فى الاسلام ، فقد كان النساء وصغار الصبيان محرومين من الميراث فى الجاهلية ، فورثهم الاسلام بعدالة وحكمة •

يروى الثقات أن أوس بن ثابت توفى وترك زوجة وبنتين وولدا ذكرا دون البلوغ ، فاستولى سويد وعرفجة ابنا عمه ووصياه وأقرب عصباته اليه على تركته ، وحرما الزوجة والأولاد من الميراث ، لأنهم لا يورثون الا من قاتل على ظهور الخيل وطاعن بالرمح وضارب بالسيف وحاز الغنيمة ، فقالت لهما الأم : تزوجا بنتى عمكما فأبيا ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما حدث ، فدعاهما فقالا يا رسول الله : ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوا(١) فصرفهم الرسول حتى ينزل الله حكمه فى شأنهم ، فأنزل سبحانه « **لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا** » فأمرهما الرسول ألا يتصرفا فى مال أوس بن ثابت ، فقد جعل الله للذكور والاناث نصيبا مما ترك الوالدان والأقربون ، ثم أنزل تفصيل الميراث فى قوله تعالى : « **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ** » وفى بقية آيات المواريث فاستدعى الرسول الوصيين وطلب منهما التركة ، فأعطى الزوجة الثمن ، وأعطى الباقى للأولاد ، للذكر منهم مثل حظ الأنثيين •

وروى أبو داود والترمذى والدارقطنى

---

(١) أى لا يقتله أو يجرحه •

هذه المزاعم ..
ماذا لها من الحق ؟!

وابن ماجه بسندهم عن جابر أن امرأة سعد ابن الربيع قالت : يا رسول الله ، ان سعدا هلك وترك ابنتين وأخاه ، فعمد أخوه فقبض ما ترك سعد ، وانما تنكح النساء على أموالهن فلم يجبها فى مجلسها ذلك ، ثم جاءته فقالت يا رسول الله : ابنتا سعد ، فقال صلى الله عليه وسلم : ادعى لى أخاه ، فجاء فقال : ادفع الى ابنتيه الثلثين ، والى امرأته الثمن، ولك ما بقى » .

فأنت ترى أن الاسلام حمى الأطفال والنساء من البؤس والشقاء بتوريثهم بعد أن كانوا محرومين فى الجاهلية وانما جعل البنت نصف أخيها فى الميراث ، لأنها سوف تتزوج من يكفلها وينفق عليها ، فهو الذى تجب عليه نفقة المنزل دون زوجته ، أما أخوها فسوف يكون زوجا وكافلا لأسرته ومنفقا عليها ، فكيف يسوى بأخته فى الميراث ولقد أعطاها الاسلام حق التصرف الكامل فى ميراثها وأموالها ، دون تدخل من زوجها أو أخيها ، ولا يوجد هذا الحق المطلق لها فى أى دين آخر ، ولا فى أية شريعة وضعية ، هذا هو الاسلام فى عدالته وصدق نظرته ، ولكن قلوب هؤلاء الحاقدين مغلفة بغلاف التقليد والحقد ، وعلى أبصارهم غشاوة كثيفة ، فلهذا تراهم لا يعقلون ولا يبصرون .

أما الآية الرابعة والعشرون من سورة النساء فليس فيها شئ مما زعموه ، فهى مكملة لما قبلها من محرمات النساء ، ومبيحة لما عداهن ، ونصها « **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ** ... » الآية ، وخلاصة معناها أن الله حرم على المسلم النساء المتزوجات مطلقا ، سواء كن مسلمات أم غير مسلمات ، فلا يحق للمسلم أن يتزوجها مادامت فى عصمة زوجها فذلك زنى ، كما لا يحل له أن يفسد عليها زوجيتها حتى يفرق بينها وبين زوجها ليتزوجها ، فذلك اثم كبير ، وقد استثنى من ذلك نساء الكفار المحاربين اذا وقعن فى الأسر ، وأصبحن بذلك مملوكات لأيمان المحاربين .

وأصبح لهن فى الاسلام أحكام خاصة بعد استبراء أرحامهن . منها : أنهن ملك للآسرين الذين لهم حق الاستمتاع بهن وذلك هو معنى قوله « **إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** » وهذا الحكم تشاركنا فيه التوراة المتداولة « العهد القديم » فقد جاء فى سفر التثنية (اصحاح ٢٠ فقرة ١٠ وما بعدها) ما يلى : (حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها للصلح ، فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وان لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب اليك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فتغنمها لنفسك) الى آخر ما قالوه عن استعباد المدن القريبة والبعيدة .

والخلاصة أن الاستمتاع بالنساء المسبيات فى الحرب تشريع مشترك فى جميع الأديان .

ولقد عابوا على الاسلام عدم مساواة المرأة

بالرجل فى الشهادة ، وأشاروا الى الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة ، حيث جاء فيها :

« وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى » .

وهذا الذى يرونه خطأ فى التشريع يراه الاسلام عين الصواب ، فانه لا يريد أن يزج بالمرأة فى معترك الرجال الا عند الضرورة ، فمكانة المرأة فى الاسلام الأمومة الفاضلة ، لتنشىء فى أمتها المجتمع الفاضل ، فلهذا حماها من التبذل ، وأن تنزل الى معترك الرجال ، وأن تقحم نفسها فى الشهادات كلها ، وفى غير ذلك مما لا يحتمله سوى كواهل الرجال وقدراتهم وتحملهم .

وقد أجاز الاسلام شهادة النساء منفردات **فيما لا يطلع عليه غيرهن للضرورة** كالشهادة فى « الولادة » و « البكارة » و « حياة الصبى » عند ولادته ، وما يجرى مجرى ذلك مما بين فى كتب الفقه .

ولا تصح شهادة النساء عند الشافعية فى غير خصائص النساء الا فى الشئون المالية كالدين على نحو ما جاء فى الآية الخاصة به للضرورة .

وعند الحنفية تصح شهادتها فيما عدا الحدود والقصاص .

وللائمة تفصيلات مفيدة يمكن معرفتها تفصيلا فى كتب الفقه لديهم ، فمن شاء مزيدا على ما تقدم فليرجع اليها .

والذى يهمنا فى هذا المقال هو بيان أن الاسلام حريص على أن تؤدى المرأة فى بيتها رسالة الأمومة الجليلة التى هى مهمتها الأولى وألا تخرج عنها الا عند الضرورة القصوى فى حدود الطهر والعفاف ، وعليها أن تتقى ربها فى نفسها وفى زوجها وفى أولادها وأمتها ومجتمعها .

(٢) ويقول هؤلاء المفترون : ان الآية التاسعة والثلاثين من سورة المائدة ، جاء فيها قطع يد السارق وعقبوا ذلك بقولهم : « ان ذلك يجعل الانسان عالة على المجتمع وناقما عليه » .

هكذا قالوا ولنثبت فساد رأيهم نذكر نص الآية : يقول الله سبحانه فى سورة المائدة :

« وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(١) » ولا شك أن هذا الحكم عادل وحاسم لجريمة اللصوصية التى تروع الآمنين وتصيبهم بالخسائر المالية والأمراض النفسية، بما يدخلونه من الرعب على نفوس النائمين والآمنين ، وبما يحدث لهم من الحرمان والفقر المفاجىء ، حين يستولون على كل ثروتهم ، أو من الانقباض والجزع عندما يسرقون منهم شيئا نفيسا أو قدرا كبيرا .

ولا يقتصر ضرر اللصوص على أخذ المال واثارة الرعب بل ان اعتداءهم على من يسلبونهم بالضرب والطعن والقتل مؤكد فى كثير من الأحوال ، وقد اشتد خطرهم فى المجتمع بسبب عدم تنفيذ هذا الحكم الشرعى

---

(١) المائدة ٣٨ .

هذه المزاعم
ماذا لها من الحق ؟!

فيهم ، فانتقلوا من السرقة الخفية الى المواجهة العلنية ، بالنهب والسلب والاغتصاب والطعن بالأسلحة فى وسائل المواصلات والشوارع العامة ، فلو نفذ القطع ليد السارق ، لخفت هذه الجناية وهان أمرها على رجال الأمن ، بل ربما تلاشت من المجتمع .

فهؤلاء الحمقى يدافعون عن اللصوص ولا يدافعون عن المجتمع ، و لاغرابة فى ذلك فهم لصوص الحق ، وشبه الشىء منجذب اليه .

كيف يتباكى هؤلاء على لص آثم يعاقب بقطع يده التى سرق بها حتى يكون عبرة لغيره ولا يبكون دما على ما يترك اللصوص وقطاع الطريق الذين عظمت جرائمهم ، من بين سلب ونهب وغصب وطعنات نافذات أو قاتلات ، لو أن هؤلاء المتباكين داهمهم لصوص ليلا وطعنوهم بالخناجر فى صدورهم فهل يرضون أن يتركوهم دون جزاء حاسم يرفع أذاهم وشرهم عنهم وعن المجتمع الذى يعيشون فيه، أم أنهم حينئذ يمسكون بهم ان قدروا على ذلك ، وأن يطلبوا لهم قطع أيديهم وأرجلهم ، لأنهم اعتدوا عليهم ، والجرائم فى نظرهم تقدر بقدر ما يصيبهم أو يكون بعيدا عنهم ، ألا فلينظروا الى الأمور نظرة اجتماعية لا شخصية .

ولا يجوز قطع يد السارق الا بشروط ترجع اليه والى الشىء المسروق والى الموضع المسروق منه وصفته فمثلا لا تقطع يد العبد ان سرق من مال سيده ، ولا يد السيد ان سرق من مال عبده ، ولا تقطع يد صبى ولا مجنون، وأن يكون المسروق مما يتملك ويحل بيعه ، وأن يكون مسروقا من « حرز » مثله ، فان كان موضوعا فى مكان غير أمين كالطريق العام فلا قطع فيه ، واعتبروا ظهور الدواب حرزا لما حملته ، وأفنية الحوانيت حرزا لما وضع فيها فى موقف البيع ، ولا يقطع الأبوان بسرقة مال ابنهما .

ولابد أن تثبت السرقة عليه باقرار أو شهادة شهود أو نحو ذلك ، ويشترط ألا يكون مضطرا الى السرقة بسبب جوع أصابه ، فان كان مضطرا فلا تقطع يده .

قال ابن القاسم : ولا يقطع من سرق من جوع أصابه .

قلت : وهذا هو الذى فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى خلافته أثناء عام الرمادة الذى أصاب المسلمين فيه قحط شديد بالحجاز ، فقد أوقف حد السرقة فى العام المذكور بسبب المجاعة .

وبعد :

فكل شرائع الاسلام سديدة رشيدة، والنقص والخطأ انما هو فى عقول الحاقدين والله من ورائهم محيط .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

مع
آيات الله في كتاب الله

للدكتور محمد محمد خليفة

ـ ١ ـ معانى الآية

• • • • • • • • •

١ ـ الآيــة فى الأصــل : العـلامة الواضحة قال النابغة :

توهمت آيــات لها فعرفتهــا
لستة أعوام وذا العام سابع

والمراد بالآيــات فى البيت : علامات الــديار من الآثار التى خلفتهــا اقامة الأحباب فى هذا المكان •

٢ ـ وتطلق الآية على الدليل الذى يــدل على شىء ما أو على الصانع القادر :

قال تعالى : « **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَـةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِـينَ(١)** »

فالآية الأولى والثانية بمعنى الدليل الذى يدل على أن الله اختار طالوت ملكا عليهم •

وقال تعـالى : « **إِنَّ فِى خَلْقِ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِى الْأَلْبَابِ(٢)** »

أى دلائل تدل على الصانع القدير يفقههـا أصحاب العقول البصيرة •

٣ ـ وتطلق الآية على العبرة ، قال تعالى :

« **أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَـةٌ عَـلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَـا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُـرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ(٣)** » أى عبرة ودرسا لأولئك الذين ينكرون البعث •

---

(١) البقرة ـ ٢٤٨ •

(٢) آل عمران ـ ١٩٠ •

(٣) البقرة ـ ٢٥٩ •

وقال تعالى : « فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(١) » أى فى تلك البيوت التى خوت من ساكنيها بسبب ظلمهم عبرة لقوم يعلمون حقيقة أولئك الظالمين ويدركون جزاء ظلمهم وقد تبدى فى بيوتهم الخاوية التى تنطق بالعبرة لمن وراءهم .

٤ — وتطلق الآية على المعجزة التى أيد الله بها رسله :

قال تعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ(٢) » أى معجزة .

وقد قص الله فى قصة موسى موقف السحرة بعد أن فاجأتهم آية موسى ومعجزته فأعلنوا ايمانهم برب موسى وهددهم فرعون بالقتل والصلب ثم حكى الله ما قالوه لفرعون فى هذا الموقف ومنه قوله :

« وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا(٣) » أى معجزاته التى أيد بها موسى .

وقد أيد الله موسى بيده التى تخرج بيضاء من جيبه ، وبالعصا التى تلقفت ما صنع السحرة والتهمت ضلالهم .

٥ — وتطلق الآية على كل طائفة من كلام القرآن تميزت عن غيرها بفصل ، لأنها علامة لانفصال ما قبلها عما بعدها .

(١) النمل — ٥٢ .
(٢) البقرة — ١١٨ .
(٣) الاعراف — ١٢٦ .

قال تعالى : « ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ(٤) » أى طوائف كلام القرآن .

وقال : « تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ (٥) » .

والأساليب القرآنية التى حملت معانى كلمة (آية) التى قدمناها — جاءت مصحوبة بلفظ آية ، أو آيات تارة ، وجاءت تارة أخرى غير مصحوبة بلفظ آية اكتفاء بأن القرآن ساقها فى بعض المواضع مصحوبة بلفظ (آية) ، وذلك كقوله تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ(٦) » وفى أخرى قال تعالى : « الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ(٧) »

ولذلك نقسم الموضوع الى بابين :

الأول : ما صرح فيه بلفظ آية أو آيات .

الثانى : ما لم يصرح فيه بلفظ آية أو آيات .

وسنقدم الآيات فى كل باب منهما حسب ترتيبها فى المصحف .

الباب الأول
ما صرح فيه بلفظ آية

قال الله تعالى — حول جزاء الكافرين المكذبين بالآيات :

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٨) »

(٤) آل عمران — ٥٨ .
(٥) الجاثية — ٦ .
(٦) فصلت — ٣٧ .
(٧) الرحمن — ٥ .
(٨) البقرة — ٣٩ .

بين الله فى الآية مصير أولئك الذين جمعوا بين كبيرتين هما أعظم الكبائر ، ولا سبيل الى غفران الله لمرتكبيهما وهما : الكفر بالله وتكذيب آياته التى أنزلها على أنبيائه عليهم السلام كصحف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى وزابور داوود وقرآن محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام •

وقد يراد بالآيات : المعجزات التى أيد بها رسله : كناقة صالح وعصا موسى والآيات التسع التى أيده بها من الجراد والقمل والضفادع والدم الخ وكابراء عيسى للأكمه والأبرص واحياء الموتى باذن الله ، وكأخبار معاصريه بما كانوا يدخرون فى بيوتهم من الأقوات وغيرها •

وقد ينصرف الكفر والتكذيب الى الآيات معا على معنى أنهم كفروا بالآيات بقلوبهم وكذبوها بألسنتهم ، ثم أشار الى « الموصول وصلته » **(الذين كفروا وكذبوا بآياتنا) »** لبيان جزاء من جمعوا بين الكفر والتكذيب بآيات الله وقد جمع الجزاء بين أمرين :

أولهما : مصاحبتهم للنار على معنى الملازمة التى لا يفترقون عنها •

ثانيهما : أن ملازمتهما للنار ملازمة خلود أبدى لا ينقطع ولا يزول •

وقد أجمع المفسرون على أن المراد بالخلود الدوام ، وتدل الظرفية المستفادة من قوله (فيها) على أنهم يحلون ويستقرون فى تلك النار استقرار خلود ودوام •

ونادى الله بنى اسرائيل ليأمرهم أن يؤمنوا بما أنزل الله على محمد مصدقا لما معهم ، ونهاهم عن الكفر به ، وعن شراء آياته بالثمن القليل فقال :

« وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا(١) »

نادى الله بنى اسرائيل فأمرهم بتذكر نعمه والايفاء بعهده ، والايمان بما أنزله مصدقا لما معهم ، ونهاهم عن أن يكونوا أول من يكفر به ، ثم نهاهم عن شراء آياته بالثمن القليل الذى يتضاءل مقداره أمام ما يكون من غضب الله وعقابه •

وأما ما أنزله مصدقا لما معهم فهو القرآن، قال الله تعالى : « **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٢)** » فالقرآن مصدق لما فى التوراة والانجيل «المنزلين» فموسى والتوراة حق ، وعيسى والانجيل حق ، والتوراة أنزلت على موسى والانجيل أنزل على عيسى فالايمان بالقرآن مؤكد للايمان بالتوراة والانجيل ، والقرآن ـ وهو مصدق لما سبق من الكتب ـ ، آخر كتاب سماوى نزل من عند الله يحمل آخر شرائع الله للبشرية •

وقد نهى الله بنى اسرائيل عن أن يكونوا أول من يكفر بالقرآن ، وفى هذا تعريض بأنه كان الواجب على الكتابيين أن يكونوا أول من يؤمن به ، ولكنهم لم يفعلوا فكأنهم كانوا

(١) البقرة ـ ٤١ •
(٢) آل عمران ـ ٣ •

بذلك أول من يكفر به ممن يعرفون الحقيقة عن طريق التوراة والانجيل .

أو المراد : ولا تكونوا مثل أول من كفر به ــ وهم كفار مكة ــ أو : ولا تكونوا أول من يكفر به من أهل الكتب ، أو : ولا تكونوا أول كافر به من اليهود ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وفيها بنو قريظة وبنو النضير فكانوا أول من كفر بالقرآن ، ثم سار وراءهم على الدرب بقية اليهود ممن كانوا بعيدين عن المدينة .

ثم نهاهم عن شراء آيات الله بثمن قليل دنيوى .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : ان رؤساء اليهود مثل كعب بن الأشرف وحيى بن أخطب وأمثالهما كانوا يأخذون من فقراء اليهود الهدايا وعلموا أنهم اذا اتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم انقطعت عنهم تلك الهدايا ، فأصروا على الكفر حتى لا ينقطع عنهم ما كانوا يأخذونه ، كما كان علماؤهم يأخذون الرشا مقابل كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم وتحريف ما يدل عليه فى التوراة فكان هؤلاء وأولئك بما فعلوا من الكفر وكتمان أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأوصافه عليه الصلاة والسلام قد استبدلوا بآيات الله سبحانه التى تدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الثمن القليل وهو الهدايا والرشا التى كانوا يأخذونها من فقرائهم .

لقد كان من أنعم الله على بنى اسرائيل أن سخر لهم الغمام فى التيه يظللهم من الشمس ، وأنزل عليهم المن (وهو كالثلج) والسلوى (وهى السمانى) يذبحون ويأكلون منها ما شاءوا ، ولكنهم تمردوا على أنعم الله فطلبوا من موسى أن يدعو ربه ليخرج لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير فأمروا أن يهبطوا مصرا من الأمصار فان لهم فيه ما سألوا ثم قال الله : « وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ » (١) .

معنى ضرب الذلة والمسكنة عليهم : أن الذلة والمسكنة جعلتا كالقبة المضروبة عليهم المحيطة بهم فلا ينفك عنهم الذل ولا يجدون مفرا من المسكنة وقد استحقوا سخط الله وغضبه لأنهم :

١ ــ كانوا يكفرون بآيات الله : ويراد بها المعجزات التى أيد بها رسوله موسى ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ــ من نحر العصا وغيرها .

٢ ــ كانوا يقتلون النبيين بغير الحق : فقتلوا أشعيا وزكريا ويحيى على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، وقيد القتل بقوله : « بغير الحق » لبيان أنه لم يكن فيهم من يعتقد أحقية قتل أحدهم ، وانما حملهم على

(١) البقرة ــ ٦١ .

ذلك حب الدنيا واتباع الأهواء وقد جرهم الى ارتكاب تلك الجرائم غلوهم فى العصيان وتماديهم فى الجحود ، فكان ارتكاب المعاصى وتجاوز حدود الله سببا فى كفرهم بالآيات وقتل الأنبياء الذين لم يفسدوا فى الأرض بل نصحوهم ونادوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم ، وفى قتل الناصحين الداعين الى الحق ما يدل على أن هؤلاء تجاوزت قسوتهم الحدود ولهذا كان عقاب الله الذى نزل بهم : ضرب الذل والفقر عليهم فى الدنيا ونزول غضب الله عليهم فى الدنيا والآخرة .

والمراد بـ « الذلة والمسكنة » اما الحقيقة واما أن يراد بهما : التصاغر والتفاقر حتى لا تضاعف عليهم الجزية فأطلق الذلة والمسكنة وأراد التصاغر والتفاقر .

وفى قصة البقرة جاء قوله تعالى : « **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّاكُنتُمْ تَكْتُمُونَ ، فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** (١) » .

الخطاب فى الآية لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسند القتل والتدارؤ اليهم ، لأن نسبة جناية السلف الى الخلف فيه توبيخ وتقريع لفعلة هؤلاء ، وليقف الخلف على جرائم السلف الذين ارتكبوا جريمة القتل وتدارءوا فيها وتدافعوا ، وراح كل منهم يطرح الجريمة على غيره ، والله مظهر ما كتمه هؤلاء وكاشف ذلك المجرم الأثيم ، فكانت قصة البقرة التى أمروا بذبحها وأخذ قطعة منها وضرب المقتول بها ليعلن عن قاتله ، وقد توهموا أنها بقرة مخصوصة ، فسألوا موسى وألحوا فى السؤال : (**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ**) (**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا**) (**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا**) ثم أوحى الله الى نبيه وصفها (**إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ**) الى آخر ماوصفها به(٢) ، ووجدوا البقرة الموصوفة ، وذبحوها، وضربوا القتيل ببعضها ، وقد قيل ان ذلك البعض كان لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل : أذنها ، وقيل أية قطعة منها .

وفى الكلام حذف تقديره : فضربوه ببعضها فأحياه الله وأنطقه فأعلن عن قاتله ، وكذلك الاحياء يحيى الله الموتى ويريكم آياته ودلائل قدرته ، وقيل :

ان المراد بالآيات : ذلك الاحياء (لعلكم تعلمون) أن القادر على احياء نفس يقدر على احياء كل النفوس .

وقال تعالى : « **وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ**(٣) »

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية نزلت فى ابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما جئتنا بشىء نعرفه ، وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها . فأنزل الله هذه الآية ، والمعنى لقد أنزل الى رسوله صلى الله عليه

(١) البقرة ـ ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) راجع الآيات ٦٧ ـ ٧٤ « البقرة » .

(٣) البقرة ٩٩ .

وسلم الآيات البينات التى لا غموض فيها من حيث دلالة معانيها ، وأنها من عند الله ومايكفر بها الا من فسق وخرج عن الحق (وأل) فى قوله : « **الفاسقون** » للعهد : والمراد : الفاسقون المعهودون ، وعلى رأسهم ابن صوريا ذلك ، أو هى للجنس ، ويدخل فى ذلك الجنس المنكر للآيات والمراد « بالآيات البينات » فى الآية : آيات القرآن ، أو آيات القرآن والدلائل الأخرى كاشباع خلق كثير من الطعام القليل كاللبن الذى قدمه الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه من شاة أم معبد فى طريق الهجرة ، أو نبوع الماء من بين أصابعه ــ والمراد بالكفر هنا : الجحود مع العلم بصحة الآيات ، أو الجحود مع الجهل وترك النظر فيها والفاسق : المتجاوز كل حد فى كفره .

وقال تعالى : **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**) (١) .

طعن اليهود فى القرآن ، ومن أنزل عليه ، فقالوا : ان محمدايأمرأصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بغيره ، ويقول اليوم قولا ثم يرجع عنه . فنزلت الآية : **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ** . ألخ ..

وأصل النسخ فى اللغة : الابطال أو النقل والتحويل قال تعالى : (**الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان**)أى يزيله ويبطله ،فالازالة والابطال حقيقة فى النسخ مجاز فى النقل والتحويل .

والنسخ فى شريعتنا جائز عقلا وواقع سمعا ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم نسخت شرع من قبله .. وقد قيل : الآيات المنسوخة هى الشرائع التى كانت فى الكتب السابقة من التوراة والانجيل .

والقائلون بالنسخ فى القرآن : استدلوا على جوازه بموضوع تقديم الصدقة بين يدى نجوى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء فى قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**) (٢) ثم نسخ ذلك .

وقال أبو مسلم : انما زال ذلك لزوال سببه ، لأن سبب التعبد بها أن يمتاز المنافقون من حيث لا يتصدقون على المؤمنين ، فلما حصل الغرض بطل التعبد بذلك .

كما استدلوا بماجاء فى قوله تعالى : (**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ** (٣) ثم أزال الله تولية وجوههم الى المشرق والمغرب بقوله تعالى: (**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**) .

والمنسوخ اما :

(١) البقرة ــ ١٠٦ .

(٢) المجادلة ــ ١٢ .
(٣) البقرة ــ ١٤٢

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

١ ـ أن يكون الحكم فقط • كتلك الآيات التى قدمناها كآية تقديم الصدقة بين يدى نجوى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم • وآية : قل لله المشرق والمغرب •

٢ ـ أو يكون التلاوة فقط كآية الرجم : (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما) نسخت التلاوة وبقى الحكم •

٣ ـ أو يكون المنسوخ الحكم والتلاوة معا وقد روت عائشة رضى الله عنها : أن القرآن نزل فى الرضاع بعشر معلومات ثم نسخن بخمس معلومات فالعشر : مرفوع التلاوة والحكم والخمس مرفوع التلاوة باقى الحكم •

ومعنى : ما ننسخ من آية : أى نبدلها بأن نبدل حكمها فقط ، أو تلاوتها فقط ، أو هما معا ••

وقيل : ما ننسخ من آية : أى نرفعها بعد انزالها ، أو ننسها بمعنى ننسأها أى نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ ، أو نؤخر نسخها •

وقد قال الشافعى رضى الله عنه : ان السنة وان تواترت لا تنسخ القرآن ، واستدل بهذه الآية •

ومعنى الاتيان بخير منها ، أو مثلها : أنها من جنس ما نسخ من حيث انها من قول الله تعالى ، والسنة لا تكون خيرا من القرآن •

وقال تعالى : (**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**) (١) •

(١) البقرة ـ ١١٨ •

والذين لا يعلمون هم الجهلة من المشركين أو هم أهل الكتاب •

وصفوا بعدم العلم لأنهم لما لم يعملوا بمقتضى علمهم كانوا كأنهم لم يعلموا •

وقولهم الذى قالوه : لو لا يكلمنا الله بلا واسطة كما يكلم الملائكة ، أو هلا يكلمنا الله بلا واسطة فيخبرنا بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) •

وكانت أمنيتهم أن يكلمهم الله كما كلم موسى عليه السلام فليس موسى (مع أنه نبيهم وهو منهم على الرأى القائل بأن الذين لا يعلمون هم أهل الكتاب) بأحسن منهم حيث يكلمه الله •

ومطالبهم الثانى : أن تأتيهم آية معجزة ، وما أكثر ما جاء من قبلهم من الآيات التسع التى ذكرها الله فى غير هذا الموضوع : من الجراد والقمل والضفادع ألخ ، ولكنهم جحدوا ما جاءهم من الآيات التى أيد الله بها نبيهم استهانة بها ، ورد الله على ما طلبوا بأن موقفهم كموقف من قبلهم فى العمى ، ولذلك قالوا مثل قولهم ، وبهذا تشابهت قلوب معاشرى محمد عليه الصلاة والسلام من هؤلاء وقلوب معاصرى موسى من اليهود •

مع آيات الله في كتاب الله

ولقد بين الله الآيات والدلائل لقوم أنصفوا أنفسهم وغيرهم فأيقنوا بأن تلك الآيات من عند الله وأعلنوا اذعانهم وخضوعهم لها .

ومفهوم الآية أن هؤلاء لا يوقنون مهما جاءتهم الآيات وتوالت عليهم المعجزات والدلائل لأنهم خلف المعاندين المتمردين ، والخلف منساق وراء أضاليل السلف .

وقال تعالى : (**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) (١) .

هذا بعض دعاء ابراهيم عليه السلام بعد رفع بناء البيت الحرام الذى بدأه بقوله:

« **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** »

ومنه : ربنا وابعث فيهم الآية .

وهذا الدعاء يفيد كمال ذرية ابراهيم حيث يكون فيهم رسول يكمل لهم الدين ويثبتهم على الاسلام وأنه منهم ، واذا كان منهم عرفوا مولده ومنشأه ، وكان أحرص الناس على خيرهم ، وقد روى أن محمدا صلى الله عليه وسلم قال ـ عن نفسه : أنا دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى » (٢) وأراد بدعوة ابراهيم ما جاء فى هذه الآية : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، ودعاء ابراهيم كان بمكة وذريته فيها ، ثم ذكر ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام صفات ذلك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم :

أولها : يتلو عليهم آياتك : فكان الفرقان الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو تلك الآيات التى طلبها ابراهيم عليه السلام .

ثانيها : أنه يعلمهم الكتاب : أى يعلمهم المعانى التى جاءت فيه .

ثالثها : أنه يعلمهم الحكمة ! وهى الاصابة فى القول والعمل ، أو معرفة الدين والفقه .

وقال الشافعى : الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل : الحكمة : هى الفصل بين الحق والباطل أو الشرائع وما فيها من مصالح الناس .

رابعها : أنه يزكيهم : أى يطهرهم من الشرك وقد طهر محمد صلى الله عليه وسلم أهله من مشركى مكة بعد الفتح من الوثنية التى عاشوا فيها وقيل : المراد بالتزكية : الطاعة والاخلاص .

وختم ابراهيم دعاءه بقوله : انك أنت العزيز الذى لا يغلب ، الحكيم : العالم بكل شىء المدبر بحكمته كل شىء فى الوجود .

(يتبع) ..

دكتور / محمد محمد خليفه

(١) البقرة ـ ١٢٩ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل رضى الله عنه ١٢٧/٤ ، ١٢٨ ـ ٢٦٢/٥ ط أولى الميمنية ١٣١٣ هجرية .

■ الوقت. وقيمته

دراسات في السنة

■ الأحاديث الضعيفة

الوقت وقيمته ..

الحمد لله على ماخلق وقدر ، وبين وفصل « هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » والصلاة والسلام على من أرسله ربه شاهدا ، ومبشرا ، ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، ورضى الله عن آله وأصحابه الذين كانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار ، وعمن نهج نهجهم ، واتبع طريقهم الى يوم الدين.

وبعد ..

فهذا بحث متواضع فى « الوقت وقيمته فى ضوء الكتاب والسنة » دفعنى الى الكتابة فيه أن كثيرا منا نحن المسلمين يغفل عن قيمة الوقت ، ولايقدره قدره ، ولايرعى حرمته فأردت أن أنبه نفسى وغيرى الى الخطأ الذى نرتكبه فى حق الوقت باضاعته واهداره ، والى ضرورة أن نستثمر كل لحظة من لحظاته ، وكل ساعة من ساعاته ، فنقضيها فى طاعة الله ، والعمل على اعلاء الدين ، واعزاز الأوطان ، واعمار الارض ، وازدهار الحياة ، وعلى أن نتبوأ المكانة اللائقة بنا بين شعوب الارض قاطبة بأن ننفض عنا غبار الكسل ، ونطرد النوم ، وندع الاسترخاء ، اذ لايصح أن نكسل وغيرنا نشط جاد يواصل الليل بالنهار سعيا وانتاجا ، ولا أن ننام ملء الجفون وسوانا عيونهم مفتحة ، ولايصح أن نسترخى وأن تكون عزائمنا خائرة ، وهممنا هابطة بينما الآخرون فى قمة الحماس والحركة ، وعزائمهم متوقدة وهممهم عالية .

ان علينا أن نتذكر أننا باضاعتنا الوقت انما نضيع أنفسنا لأن حياتنا هى مجموع هذه اللحظات والساعات وما نصنعه فيها من أمجاد ومنجزات .

ان من العجيب حقا ان يكون (غير المسلمين) أكثر منا تقديرا للوقت ، وحرصا عليه ، وانتفاعا به ، وديننا القويم يبصرنا بما للوقت من قيمة عالية وحرمة كبيرة ، ويدعونا الى أن نستثمره أفضل استثمار « **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً** » (الاسراء ـ ١٢) .

في ضوء الكتاب والسنة

للدكتور محمد ابو النور الحديدى صقر

كما ان علينا ألا ننسى أن الحياة تكون خيرا لنا مادامت مليئة بالأعمال الطيبة والجهود البناءة ، فاذا خلت من ذلك فانها لاتستحق الحرص عليها ، والتشبث بها بل يكون الموت خيرا منها روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لايتمنين أحدكم الموت لضر أصابه ، فان كان لابد فاعلا فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى » .

لهذا كتبت هذا البحث الموجز متناولا فيه الكلام عن :

ـ منشأ الليل والنهار .

ـ والحكمة منهما .

ـ وفضل بعض الزمن على بعض .

ـ وقيمة الوقت من واقع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

ـ وأخيرا : العواقب الوخيمة لتضييع الوقت وعدم الانتفاع به .

والله أسأل أن ينفع به انه على ما يشاء قدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم .

منشأ الليل والنهار

خلق الله تعالى الأرض والسماء ، ونجوما وكواكب كثيرة سابحة فى الفضاء ، وكل نجم وكل كوكب له فلك يجرى فيه لايحيد عنه ، ولا يصطدم بغيره رغم كثرة الأجرام السماوية ، وحركتها الدائمة ، لأنها تسبح وفق نظام دقيق ، وقانون ثابت ، وتقدير محكم ، صاحبه رب العالمين الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه . قال تعالى « وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (١) » .

وكل جرم سماوى له دورة حول نفسه ودورة أخرى حول الجرم الذى يتبعه ، فالقمر مثلا يدور حول نفسه ، ويدور أيضا حول الارض ، والارض تدور حول نفسها ، وتدور أيضا هى وتابعها القمر حول الشمس والشمس تدور حول نفسها ، وتدور هى وكواكبها ، وتوابع الكواكب حول مجموعة شمسية أخرى أكبر منها وهكذا .

ودوران الارض حول نفسها ينتج عنه ظهور الشمس واحتجابها بالتوالى فى جميع الأمكنة من الارض ، وبهذا يحدث الليل والنهار ، فالمكان المواجه للشمس يكون الوقت

(١) سورة يس الآيات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .

الوقت .. وقيمته

فيه نهارا والمكان الذى لا يواجه الشمس يكون الوقت فيه ليلا ، وبمجموع النهار والليل يكون اليوم الذى هو أربع وعشرون ساعة .

الحكمة من خلق الليل والنهار

من فضل الله تعالى على عباده ورحمته بهم أن جعل بعض اليوم نهارا ، وبعضه ليلا، وذلك ليعمل الناس فى حوائجهم ، وكسب معاشهم فى النهار ، وليستريحوا من عناء العمل وكد السعى فى الليل ، قال تعالى :

« وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا(١) » .

أى جعلنا نومكم قطعا لأعمالكم ، وراحة لأبدانكم ، وجعلنا الليل سترا يستركم عن العيون اذا أردتم اخفاء مالاتحبون الاطلاع عليه ، وجعلنا النهار وقت معاش تتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم (٢) » .

فمن قدرة الله تعالى على عباده أن جعل لهم ليلا يسكنون فيه ويستريحون ، ونهارا يعملون فيه ويبتغون من فضله . ولو جعل تعالى الليل سرمدا « دائما » الى يوم القيامة لما قدر أحد غيره أن يأتى العباد بضياء ، ولو جعل تعالى النهار دائما الى يوم القيامة ما استطاع أحد غيره أن يأتيهم بليل يسكنون فيه . قال تعالى :

« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم

(١) سورة النبأ الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ .
(٢) تفسير النسفى جـ ٤ ص ٣٢٥ .

بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »(٣) .

تعاقب الليل والنهار فيه دلالة على قدرة الله تعالى الذى جعلهما على هذا النظام الدقيق المحكم ، وفيه مصلحة للعباد أيضا بتعويض ما يفوتهم فى أحدهما فى الآخر . قال تعالى :

« وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا(٤) » .

فالله تعالى جعل الليل والنهار بحيث يخلف أحدهما الآخر عند مغيبه ، وبحيث يقضى الانسان مافاته فى أحدهما من الطاعة والعمل النافع فى الآخر ، وهذا من فضل الله علينا ورحمته ، حيث يمكننا من تدارك ما فاتنا .

فمن قصر فى طاعة وعمل خير ، أو قدم اساءة فى الليل استدرك ذلك فى النهار ، ومن وقع منه ذلك فى النهار استدركه فى الليل .

روى مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى موسى عبد الله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها(٥) » .

(٣) سورة القصص الآيات ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .
(٤) سورة الفرقان الاية ٦٢ .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٧٦ .

وقال أبو داود الطيالسى حدثنا أبو حمزة عن الحسن أن عمر بن الخطاب أطال صـلاة الضحى فقيل له : « صنعت اليوم شيئا لـم تكن تصنعه(١) ، فقال : انه بقى على من وردى شىء فأحببت أن أتمه ، أو قال : أقضيه ، وتلا هذه الآية « وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا » .

وقال على بن أبى طلحة : عن ابن عبـاس انه قال فى الآيـة : من فاته شىء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركـه بالليل(٢) » .

معـرفة السنين والحساب

يعرف الشهر بدءا وانتهاء بالهلال ، فانـه يبدو دقيقا ، ثم يزيد حتى يصير بدرا ثم يأخذ فى النقصان حتى يعود كما كـان ، ثم يغيب ليلة أو ليلتين .

قال تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِـىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ »(٣) .

وقد أخرج ابن عساكر عن ابن عباس فـى سبب نزول هذه الآية قال : نزلت فى معـاذ ابن جبل ، وثعلبه بن عتمة ، وهما رجلان من الانصار قالا : يارسول الله مابال الهلال يبدو ويطلع دقيقا مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ، ثم لايزال ينقص ويدق حتىيعود كما كان . لايكون على حـال واحـد ، فنزلت « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ » فى حـل دينهم ولصومهم ولفطرهم وعدد نسائهم ، والشروط التى الى أجل(٤)» .

وأحوال القمر فى الزيادة والنقصان ترجع للمنازل الثمانية والعشرين التى ينزلها القمر ، فانه ينزل كل ليلة فى واحد منها لايتخطاه ، ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو ، يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ، ثميستتر ليلتين ، أو ليلة ، اذا نقص الشهر ، قال تعالى: « وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَـدِيمِ »(٥) .

أى : أن القمر يسـير فى منازله ، فاذا كان فى آخرهـا دق ، واسـتقوس ، وصغر حتى صار كالعرجون القديم » (٦) .

وقال تعالى : « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَـةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً »(٧) .

يقول صاحب « ظلال القرآن » :

الليل والنهار آيتان كونيتان تشهدان بدقة الناموس الذى لايصيبه الخلل مرة واحدة ، ولا يدركه التعطل مـرة واحـدة ، ولا ينى يعمل دائبا بالليل والنهار .

فما المحو المقصود هنا وآية الليل باقيـة كآيـة النهـار ؟

يبدو — والله أعلم — أن المقصود به ظلمة الليل التى تخفى فيها الاشياء ، وتسكن فيهـا الحركات والأشباح ، فكأن الليـل ممحو اذا

(١) أى : صلاة

(٢) تفسير ابن كثيرة جـ ٣ ص ٣٢٤ .

(٣) سورة البقرة الاية ١٨٩ والمواقيت : جمع ميقات وهو الوقت .

(٤) التقدير جـ ١ ص ١٨٩ .

(٥) سورة يس الاية ٣٩ .

(٦) تفسير النسفى جـ ٤ ص ٨ : والعرجون القديم : عود الشمراخ اذا ييس واعوج لقدمه .

(٧) سورة الاسراء الاية ١٢ .

قيس الى ضوء النهار ، وحركة الأحياء فيه والأشياء ، وكأنما النهار ذاته مبصر بالضوء الذى يكشف كل شىء فيه للابصار •

ذلك المحو لليل والبروز للنهار « لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ » فالليل للراحة ، والسكون ، والجمام ، والنهار للسعى والكسب والقيام ، ومن المخالفة بين الليل والنهار يعلم البشر عدد السنين ، ويعلمون حساب المواعيد ، والفصول والمعاملات ، « وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً » فليس شىء وليس أمر فى هذا الوجود متروكا للمصادفة والجزاف •

ودقة الناموس الذى يصرف الليل والنهار ناطقة بدقة التدبير والتفصيل ، وهى عليه شاهد ودليل(١) •

وقال تعالى أيضا : « هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِى اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ » (٢) •

فالله تعالى يذكر بعض نعمه على الناس ، بجعله الشمس ذات ضياء ، والقمر ذا نور ،

(١) الاستاذ سيد قطب فى ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٢١٦

(٢) سورة يونس الايتان ٥ ، ٦ .

والضياء أقوى من النور ، وقدر سير القمر فى منازل ، ليعلم الناس عدد السنين والحساب ، وفى العلم بعدد السنين من المصالح الدينية والدنيوية الكثير ، ومن العلم بحساب الأشهر والأيام والليالى من ذلك مالايخفى ، ولولا هذا التقدير الذى قدره الله سبحانه ماعلم الناس بذلك ، ولا عرفوا مايتعلق به كثير من مصالحهم •

وما خلق الله ذلك ــ المذكور فى الآية ــ الا ملتبسا بالحكمة البالغة ، ولم يخلقه عبثا ، والله تعالى يبين آياته التكوينية والتنزيلية لقوم يعلمون ، فينتفعون بالتأمل فيها ، وان اختلاف الليل والنهار ــ أى مجىء كل واحد منهما خلف الآخر ، أو فى اختلافهما ظلمة وضياء ، وما خلق الله فى السموات والأرض من المخلوقات لآيات للذين يتقونه سبحانه ويجتنبون معاصيه •

وخصهم بهذه الآيات ، لأنهم يحذرون الآخرة ، فيدعوهم الحذر الى التأمل والنظر •
وها هى بعض المصالح الدينية والدنيوية التى تترتب على العلم بعدد السنين والحساب :

١ ــ صيام شهر رمضان برؤية الهلال والفطر منه برؤية هلال شوال :

روى أبو داود فى سننه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا رأيتم الهلال فصوموا ، واذا رأيتموه فأفطروا فان غم عليكم فصوموا ثلاثين يوما » (٣) •
وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم : اذا رأيتم الهلال فصوموا ، واذا رأيتموه فأفطروا

(٣) مختصر ابى داود للمنذرى حـ ٣ ص ٢١٥ •

فان غم عليكم فصوموا ثلاثين يوما » (١) •

كذلك روى مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فان غمى عليكم الشهر فعدوا ثلاثين »(٢) •

فها هو الصوم المفروض علينا ، وهو صوم شهر رمضان من حين رؤية هلال رمضان ، أو باكمال عدة شعبان ثلاثين يوما ، كما ينتهى صومه برؤية هلال شوال ، أو باكمال رمضان ثلاثين يوما •

٢ ـ وأداء الحج يكون فى أشهر معلومة معروفة عند الناس ، ولايصح شىء من أفعال الحج الا فيها ، وهى : شوال وذو القعدة وذو الحجة • بكماله على رأى مالك ، أو عشر من ذى الحجة على رأى الباقين •

قال ابن حجر : أجمع العلماء على أن المراد بأشهر الحج فى قوله تعالى (**ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ**) (٣) ثلاثة أولها : شوال ، لكن اختلفوا : هل هى ثلاثة بكمالها ، وهو قول مالك ونقل عن « الاملاء » للشافعى ، أو شهران ، وبعض الثالث ، وهو قول الباقين •

ثم اختلفوا : فقال ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وآخرون : عشر ليال من ذى الحجة •

وهل يدخل يوم النحر أو لا ؟

قال أبو حنيفة وأحمد : نعم •

وقال الشافعى فى المشهور المصحح عنه : لا

وقال بعض أتباعه : تسع من ذى الحجة ، ولايصح فى يوم النحر ، ولا فى ليلته ، وهو شاذ ، واختلف العلماء أيضا فى اعتبار هذه الشهور هل هى على الشرط أو الاستحباب (٤) •

وانما أفرد سبحانه الحج بالذكر فى الآية الكريمة : « **يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ** » لأن الحج مما يحتاج فيه لمعرفة الوقت ، ولايجوز التأخر فيه عن وقته ، ولعظم المشقة على من التبس عليه وقت مناسكه ، أو وقت بعضها (٥) •

٣ ـ والزكاة تجب فى أصناف من المال يشترط فى بعضها أن يحول عليه الحول ، فيلزم لصاحب المال أن يعرف حساب الشهور ليحدد الوقت الذى يخرج فيه زكاة ماله •

٤ ـ الحلف :

فلو حلف انسان الا يفعل شيئا معينا مدة محددة كشهر مثلا فانه يحسب بالهلال كما حدث من نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانه أقسم ألا يدخل على أزواجه شهرا ، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل عليهن •

روى مسلم فى صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : بدأ بى فقلت يا رسول الله: انك أقسمت ألا تدخل علينا شهرا ، وانك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال : ان الشهر تسع وعشرون »(٦) •

٥ ـ الكفارات :

بعض الكفارات تحسب بالأشهر مثل

(١ ، ٢) صحيح مسلم جـ ٧ ص ١٩٣ •

(٣) سورة البقرة الاية ١٩٧ •

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٣ ص ٤١٠ •

(٥) فتح القدير للشوكانى جـ ٧ ص ١٩٥ .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٧ ص١٩٥

كفارة الجماع فى نهار رمضان من الصائم ، فانه يجب فيها على المجامع عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب التى تضر بالعمل اضرارا بينا ، فان عجز عنها فعليه أن يصوم شهرين متتابعين ، فان عجز عن الصوم أطعم ستين مسكينا ، كل مسكين مد من طعام .

روى مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يا رسول الله ، قال : وما أهلكك ؟ قال : وقعت على امرأتى فى رمضان ، قال : هل تجد ما تعتق رقبة ؟ قال : لا ، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا ؟ قال : لا ، قال : ثم جلس فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر ، فقال : تصدق بهذا قال : على أفقر منا ، فما بين لابتيها أهل بيت أحوج اليه منا ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ، ثم قال : اذهب فأطعمه أهلك » (١) .

— كذلك فى كفارة القتل الخطأ عندما يكون المقتول مؤمنا باتفاق ، فعلى القاتل ان لم يستطع تحرير رقبة مؤمنة صيام شهرين متتابعين قال تعالى :

« وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا »(٢) .

— وفى كفارة الظهار أيضا صيام شهرين متتابعين عند العجز عن عتق رقبة قال تعالى :

« وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا »

٦ — عدد النساء :

فان بعض النساء تعتد بالأشهر كالآية ، وهى التى انقطع عنها دم الحيض لكبرها فانها تعتد بثلاثة أشهر عوضا عن الثلاثة قروء فى حق من تحيض والصغيرة أيضا التى لم تبلغ سن الحيض تعتد بثلاثة أشهر قال تعالى :

« وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٧ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٢) سورة النساء الاية ٩٢ .
هذا وجاء فى تفسير الامام الطبرى — رضى الله عنه — بصدد المقتول خطأ قول ابن عباس — رضى الله عنهما : « اذا كان (أى المقتول) كافرا فى ذمتكم فعلى قاتله الدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة أو صيام شهرين متتابعين » ثم ساق الامام الطبرى قول من يرى أن الكفارة انما تكون فى المقتول المؤمن ، ثم أعقب ذلك بقوله : « فان ظن ظان أن قوله — تبارك وتعالى : (فدية مسلمة الى اهله) دليل على انه من اهل الايمان — لأن الدية عنده لاتكون الا للمؤمن — فقد ظن خطأ ، وذلك أن دية الذمى وأهل الاسلام سواء لاجماع جميعهم على ان ديات عبيدهم الكفار عبيد المؤمنين من اهل الايمان سواء .
انظر تفسير الطبرى ص ١٢٢ و ١٢٣ المطبعة الميمنية — مصر .

٣ — سورة المجادلة الآيتان ٣ و ٤

يحضن » (١) ٠
وكذلك المرأة المتوفى عنها زوجها فانها تعتد بأربعة أشهر وعشر لقوله تعالى : « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » (٢) ٠

٧ ـ الاجارات :

سواء كانت اجارة أرض زراعية ، أو مساكن ودور ، أو اجارة أدوات وآلات أو اجارة أشخاص ، فانها تحتسب بالأيام ، أو بالأشهر أو بالأعوام ، والعام مكون من اثنى عشر شهرا « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » (٣)٠
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر بين جمادى وشعبان »(٤) ٠

وقد استأجر شيخ مدين الكبير موسى عليه الصلاة والسلام ثمانية أعوام أو عشرة على أن يزوجه ابنته ، فقضى موسى عليه السلام الأجل أجيرا ، وتزوج البنت، قال تعالى :

« قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا »(٥)٠

٨ ـ الحمل والارضاع :

مدة الحمل تحسب بالأشهر فغالب مدة الحمل تسعة أشهر ، ومدة الرضاع تحسب بالأشهر وقد تحسب بالأعوام ، فانها تتفاوت من أم الى أم ، ومن مرضعة الى مرضعة أخرى ، فقد تكون خمسة عشر شهرا لقوله تعالى : « وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ »(٦) ٠

وقد تكون واحدا وعشرين شهرا لقوله تعالى : « وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا » (٧)

وقد تكون مدة الرضاع عامين لقوله تعالى : « وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ »(٨) ٠

---

١ ـ سورة الطلاق الاية ٤
٢ ـ سورة البقرة الاية ٢٣٤ ٠
٣ ـ سورة التوبة الاية ٣٦ ٠
٤ ـ رواه البخارى عن ابى بكرة ج ٨ ص٣٢٤
٥ ـ سورة القصص الايات من ٢٦ الى ٢٩٠
٦ ـ سورة لقمان الاية ١٤ ٠
٧ ـ سورة الاحقاف الاية ١٥ ٠
٨ ـ سورة البقرة الآية ٢٣٣ ٠

٩ ـ الديــــون :

فان الناس يداين بعضهم بعضا الى مــدة معلومة • سواء كانت بالأيــام أو بالشهور أو بالأعوام ، وقــد أمر المتداينون بكتابة الدين المؤجل الى وقت معين بقوله تعالى : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ** »**(١)** • وذلك لتوثيقه ، والأمن مــن النسيان ، وتجنب الجحــود •

١٠ ـ التاريخ والرد على المغالطين :

الزمن وعاء لما وقع فيه من أحداث ، ومعرفة تاريخ الحدث ووقت وقوعه تفيد كثيرا ، ومن هــذه الفوائد الرد على من يغــير الحقائق الدينية ، ويحاول بالمغالطة قلب هذه الحقائق كما حصــل من كل من اليهــود والنصارى• بزعمهم أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان منهم ، فادعى اليهود أنهعلى نبينا وعليه أفضل الصلاة والســـلام كان يهوديــا ، وادعى النصارى أنه عليه الســلام كان نصرانيــا ، وجادلوا نبينا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى ذلك • فنبهنا القرآن الكريم الى الرد عليهم جميعا بذكر التاريخ ، ووقت وجــود كل منهم فان ابراهيم عليه السلام عاش فى زمن متقدم على الزمن الذى ـ أنزلت فيه التوراة وحدثت فيه اليهودية ، وعلى الزمن الذى أنزل فيــه الانجيل وحدثت فيه النصرانية ، وبهذا يبطل الادعاء بأن ابراهيم عليه السلام كان يهوديا ، وأنه كان نصرانيا ، اذ لايعقل أن يكون عليــه السلام على دين لم يحدث الا بعدعهده بأزمنة طويلة ، قال تعــالى :

« **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** »(٢) •

قال النسفى : زعم كل فريق من اليهــود والنصارى أن ابراهيم كــان منهم ، وجادلوا رسول اللــه صلى اللــه عليه وسلم والمؤمنين فيه ، فقيل لهم : ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة ، والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى ألف سنة ، وبينه وبين عيسى الفان ، وكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بأزمنة متطاولة »**(٣)** •

كذلك بمعرفتنا ان الكعبة المطهرة أول متعبد فى الارض نستطيع أن نرد على اليهــود فى زعمهم أن قبلتهم (بيت المقدس) ـ قبــل قبلتنا ، ونحن نستند الى قول اللــه تعــالى :

« **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ • فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** » (٤) ، فهذا صريح فى أن الكعبة أول بيت وضع لعبادة الله تعالى فى الأرض •

١ ـ سورة البقرة الاية ٢٨٢ •

٢ ـ سورة آل عمران الاية ٦٥ •
٣ ـ تفسير النسفى جـ ١ ص ١٦٢ •
٤ ـ سورة آل عمران الايتان ٩٦ ، ٩٧ •

والى ما رواه مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال المسجد الأقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد » (١) .

هذا على أن اليهود قالوا للمسلمين : قبلتنا قبل قبلتكم (٢) واما على أنهم قالوا : ان بيت المقدس أعظم وأفضل من الكعبة بدعوى أنه مهاجر الأنبياء ، وفى الأرض المقدسة فتكون قد ردت عليهم أيضا حيث نبهت بكونه أول متعبد على أنه أفضل من غيره .

ذكر الشوكانى : أن ابن المنذر أخرج عن ابن جريج قوله : بلغنا أن اليهود قالت : بيت المقدس أعظم من الكعبة ، لأنه مهاجر الانبياء ولأنه فى الارض المقدسة ، فقال المسلمون : بل الكعبة أعظم ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت : (ان أول بيت) الآية الى قوله « فيه آيات بينات مقام ابراهيم » وليس ذلك فى بيت المقدس (ومن دخله كان آمنا) وليس ذلك فى بيت المقدس « ولله على الناس حج البيت » وليس ذلك فى بيت المقدس (٣) .

فضل بعض الزمن على بعض

اقتضت حكمة الله تعالى أن يفضل بعض الأشياء على بعض ، ففضل بعض الناس على بعض ، وفضل بعض الأمكنة على بعض ، وفضل بعض الأعمال على بعض ، وكذلك الزمن فضل الله تعالى بعضه على بعض ، ومن الحكمة الظاهرة لنا فى ذلك أن يعطينا سبحانه فرصة الازدياد من الحسنات ، والاستكثار من الأجر على الطاعة والذكر ، وأعمال الخير فى هذه الأوقات الفاضلة ، ولجبر التقصير الذى كثيرا ما يقع منا فى بقية الأوقات ، فهذا فضل من الله تعالى ينبغى أن نعرض أنفسنا له بالحرص على مضاعفة الطاعة وعمل الخير الموصل الى مغفرة الذنوب والظفر برضوان الله ومن ذلك أنه جعل بعض الشهور أفضل من بعض .

كشهر رمضان فانه أفضل الشهور ، حيث هو محل الصوم المفروض ، ونزول القرآن الكريم « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ » (٤) ، ويلى صيام شهر رمضان فى الفضل وعظم الأجر صيام شهر المحرم ، لما رواه مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل »(٥)

وجعل سبحانه بعض الليالى أفضل من بعض ، فجعل ليلة القدر أفضل ليالى العام ، وهى الليلة المباركة قال تعالى :

« إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ

---

٢ ــ صحيح مسلم جـ ٥ ص ٢ .
١ ــ كما ذكر ذلك النسفى فى تفسيره جـ ١ ص ١٧ .
٣ ــ فتح القدير جـ ١ ص ٣٦٤ .
٤ ــ سورة البقرة الاية ١٨٥ .
٥ ــ صحيح مسلم جـ ٨ ص ٥٥ .

تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ » .

وقال تعالى : «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ(١)»

وبين لنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان صيام رمضان تغفر به الذنوب المتقدمة ، وكذلك ليلة القدر ، روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه »(٢) .

وفضل الله تعالى بعض أيام العام على بعض ، فجعل خير أيام العام يوم عرفة ، ويليه فى الفضل يوم عاشوراء .

روى مسلم عن أبى قتادة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة فقال: يكفر السنة الماضية والباقية ، قال : وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال : يكفر السنة الماضية » (٣) .

وأما ماورد ممايفيد أن يوم عاشوراء أفضل الأيام للصائم بعد رمضان كالحديث الذى أخرجه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مارأيت النبى صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضله على غيره الا هذا اليوم يوم عاشوراء ، وهذا الشهر يعنى شهر رمضان »(٤) فيجاب عنه بأن ابن عباس أسند ذلك الى علمه ، فليس فيه مايرد علم غيره ، ذكر ذلك ابن حجر العسقلانى ، ثم أضاف قائلا : وقد قيل : ان الحكمة فى تفضيل يوم عرفة على يوم عاشوراء منسوب الى موسى عليه السلام ، ويوم عرفة منسوب الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلذلك كان أفضل » (٥) .

وفضل تعالى بعض أيام الاسبوع على بعض ، كيوم الجمعة فانه أفضل أيام الأسبوع لما رواه مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها »(٦)

وفضل تعالى بعض الساعات على بعض ، كساعة يوم الجمعة ، فانها أفضل ساعات اليوم لما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال : فيه ساعة لايوافقها

١ — سورة الدخان الاية ٣ .
٢ — صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٥٥ .
٣ — صحيح مسلم ج ٨ ص ٥١ .
٤ — صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٤٥ .
٥ — فتح البارى على صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٤٩ .
٦ — صحيح مسلم ج ٦ ص ١٤١ .

عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئا الا أعطاه اياه ، وأشار بيده يقللها » (١) •

وأصح الأقوال فى تعيين هذه الساعة قولان:

أحدهما : أنها من جلوس الخطيب على المنبر الى انصرافه من الصلاة •

والثانى : أنها من بعد العصر الى غروب الشمس ، وتحمل الصلاة فى قوله فى الحديث « وهو قائم يصلى » على الدعاء أو الانتظار ويحمل القيام على الملازمة والمواظبة ،

فالمقصود وهو مواظب يدعو ، ومعنى « يسأل الله تعالى شيئا » أى مما يليق أن يدعو به المسلم ، ويسأل ربه تعالى ، وفى رواية أخرى عند البخارى أيضا :

« يسأل الله خيرا » •

« وأشار بيده يقللها » أى يبين أنها قليلة ، وعند الامام مسلم «وهى ساعة خفيفة» ونقل ابن حجر العسقلانى عن الزين بن المنير قوله: الاشارة لتقليلها هو للترغيب فيها ، والحث عليها ليسارة وقتها ، وغزارة فضلها » (٢) •

وفى كل ليلة ساعة فضلت على غيرها من ساعات الليل حيث يستجاب فيها للمسلم مسألته ، فاذا سأل ربه فى هذه الساعة خيرا فى دنياه أو آخرته أعطاه الله ما سأل ، وحقق له ما طلب •

روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ان فى الليل ساعة لايوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله اياه ، وذلك كل ليلة» •

وهذه الساعة تقع فى ثلث الليل الآخر لما رواه البخارى ومسلم — واللفظ للبخارى — عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له » (٣) •

(يتبع) ••

دكتور محمد أبو النور الحديدى

---

١ — صحيح البخارى جـ ٢ ص ٤١٥ •

٢ — فتح البارى جـ ٢ ص ٤١٦ •

٣ — صحيح البخارى جـ ١١ ص ١٢٨ ، ١٢٩

الأحاديث الضعيفة

تشتد الحاجة فى هذا العصر الى عملية مراجعة للتراث بعامة والتراث الدينى بخاصة ، فانما القرآن الكريم وحده هو المحفوظ بحفظ الله — جلا وعلا — له ٠

لقد ظل هذا التراث منذ العهد الموسوعى لابن حجر والسخاوى والنووى وابن تيمية والهيثمى فى القرون السابع والثامن والتاسع الى الآن هادئا لم يقربه أحد بمراجعة أو تجديد الا فى القليل النادر ٠

انه قد حدثت فى القرون الستة التالية للعهد الموسوعى تغيرات علمية فى الكون المادى والانسانيات ليس من أى منهج علمى التغاضى عنها وعن تأثيراتها فى جميع المفاهيم السابقة ٠

ان التقدم العلمى المذهل فى هذا العصر صار له سلطانه الطاغى المكتسح الذى لن يقف فى سبيله شىء ، والذى به — لا بغيره — سنكون دينا ودنيا ، وبغيره لن نكون لا دينا ولا دنيا ٠ ذلك العلم الذى وضعنا الدين فى اطاره ثم فلتتنا منه صوارف هى من أهم ميادين هذه المراجعة ٠

على أن الأمر ليس بالسهولة التى قد يتصورها البعض فانه لابد من اتخاذ أقسى المناهج العلمية صرامة ، وأشدها احتياطا بتعاون مخلص بين الهيئات الرسمية وعلى رأسها الأزهر برجالاته ، وغير الرسمية من كل من يهتم ويحصل على المؤهلات اللازمة ، وفى أطار من القرآن الكريم وصحيح السنة ٠

وصلاحية الدين لكل زمان ومكان تتحقق كلما ازددنا قربا من نصوص القرآن الكريم وصحيح السنة ٠ وأن اختلاف البيئات فى العصر الواحد جعل للشافعى مذهبين قديما وحديثا ، وجعل للكوفيين مدرسة وللحجازيين مدرسة وللشاميين مدرسة فى الحديث والفقه فما بالك باختلاف الزمان والتسارع العلمى فى أجزائه الأخيرة ٠

وقد يتيسر الآن لهذه المراجعة مالم يتيسر فى أزمنة سابقة من اتساع مبشر بالخير فى القاعدة العريضة من كبار العلماء ، ومن امكانات يسرها العلم للفهرسة بالعقول الالكترونية ٠

وفى اطار التمهيد لتأصيل مناهج هذه المراجعة واستحثاث الهمم نحوها قد تناولت جانبا من جوانب الأحاديث الضعيفة وآثارها فى الفكر الاسلامى وعقل المسلم ، واليوم أتناول جانبا آخر ٠

أقسام الحديث النبوى الشريف

كان البخارى ومسلم وكان صحيحاهما ، وكانت السنن الأربع قبل أن يوجد علم مصطلح الحديث ، وكان أئمة الحديث هؤلاء يقسمون الحديث اما الى صحيح وغير صحيح كما عند

للأستاذ محمد أحمد بدوى (٠)

البخارى ، واما الى صحيح وضعيف كما عند مسلم ، ثم قسم الترمذى الحديث الى صحيح وحسن وضعيف ، لا بالمعنى الذى فصله علم المصطلح فيما بعد ولكن بمعنى وضحه ابن تيمية اذ قال فى بعض فتاويه : أول من عرف أنه قسم الحديث الى صحيح وحسن وضعيف أبو عيسى الترمذى ، ولم تعرف هذه التسمية عن أحد قبله ، وقد بين أبو عيسى مراده ، فذكر أن الحسن ما تعددت طرقه ، ولم يكن فيه متهم بالكذب ولم يكن شاذا ، وهو دون الصحيح الذى عرف عدالة ناقليه وضبطهم •• وأما من قبل الترمذى من العلماء فما عرف عنهم هذا التقسيم الثلاثى لكن كانوا يقسمونه الى صحيح وضعيف والضعيف كان عندهم نوعين: ضعيف ضعفا لا يمتنع العمل به وهو يشبه الحسن فى اصطلاح الترمذى •

وضعيف ضعفا يوجب تركه وهو الواهى • (١) وقال اليعمرى تعليقا على قول الترمذى : لو قال قائل : ان هذا هو ما اصطلح عليه الترمذى فى كتابه هذا ، ولم يقله اصطلاحا عاما ، كان له ذلك • فعلى هذا لا ينقل عن الترمذى حد الحديث الحسن بذلك مطلقا فى الاصطلاح العام أ هـ (٢) •

وساق الدكتور الأحمدى أبو النور تعريف الترمذى للحديث فقال : هو كل حديث روى لايكون فى اسناده من يتهم بالكذب ، ولا يكون الحديث شاذا ويروى من غير وجه نحو ذاك فهو عندنا حسن ، وعلق الاستاذ الدكتور : وهذا واضح أن الترمذى عنى بذلك الحسن لغيره • أ هـ (٣) •

بيان الحسن وماهيته فى الاصطلاح

قال العلامة الطيبى : الحسن مسند من قرب من درجة الثقة أو مرسل ثقة ، وروى كلاهما من غير وجه ، وسلم من شذوذ وعلة ، وهذا الحد أجمع الحدود التى نقلت عن الحسن وأضبطها ، وانما سمى حسنا لحسن الظن براويه (٤) •

والمراد بالشذوذ مخالفة الثقة من هو أوثق منه ، أو ما انفرد به سيىء الحفظ ، وهو الذى يترجح خطؤه على صوابه على الدوام ، والعلة: العيب القادح فى صحة الحديث الذى لا يدركه الا المتمرسون بفن الحديث (٥) •

الحسن عند ابن كثير : هذا النوع لما كان وسطا بين الصحيح والضعيف فى نظر الناظر لا فى نفس الأمر عسر التعبير عنه وضبطه على

---

(٠) هذا المقال وعد به الكاتب ما نشره بعدد ربيع الاول سنة ١٤٠٣ • ديسمبر سنة ١٩٨٢ •

(١) قواعد التحديث للقاسمى •

(٢) الباعث الحثيث لابن كثير ص ٣٨ •

(٣) شذرات من علوم السنة للدكتور الاحمدى أبى النور •

(٤) البدعة للدكتور عزت عطية ص ٢٤٩ •

(٥) قواعد التحديث ص ١٠٢ •

الأحاديث الضعيفة

كثير من أهل الصناعة وذلك لأنه أمر نسبي شيء ينقدح عند الحافظ ربما تقصر عنه عبارته ، وقد قسم كثير منهم حده ، فقال الخطابي : هو ما عرف مخرجه ، واشتهر رجاله ، وعليه مدار أكثر الحديث ، وهو الذي يقبله أكثر العلماء ويستعمله عامة الفقهاء ، وقال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح : وقال بعض المتأخرين : الحديث الذي فيه ضعف قريب محتمل هو الحديث الحسن ، ويصلح للعمل به ، ثم قال الشيخ : وكل هذا مستبهم لا يشفي الغليل ، وليس فيما ذكر الترمذي والخطابي ما يفصل الحسن عن الصحيح ، وقد أمعنت النظر واتضح أن الحديث الحسن قسمان :

أحدهما : الحديث الذي لا يخلو اسناده من مستور لم تتحقق أهليته ، غير أنه ليس مغفلا كثير الخطأ ولا هو متهم بتعمد الكذب ، ولاينسب لفسق آخر واعتمد بمتابع أو شاهد، فأصله ضعيف وانما طرأ عليه الحسن بالعاضد الذي عضده فاحتمل لوجود العاضد ، ولولاه لاستمر ضعفه ولا ستمر على عدم الاحتجاج به ويكون متن الحديث قد روى مثله أو نحوه من وجه آخر فيخرج بذلك عن كونه شاذا أو منكرا ثم قال : وكلام الترمذي على هذا القسم يتنزل أ هـ (٦) وهو الحسن لغيره كما ذكر الاستاذ الدكتور الأحمدي •

القسم الثاني : أن يكون راويه من المشهورين بالصدق والأمانة ولم يبلغ درجة رجال الصحيح في الحفظ والاتقان ولا يعد ما ينفرد به منكرا ، ولايكون المتن شاذا ولا معللا •وعلى هذا يتنزل كلام الخطابي • قال : والذي ذكرناه يجمع بين كلاميهما ، وقال الشيخ أبو عمرو : ولا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة كحديث : (الأذنان من الرأس) أن يكون حسنا لأن الضعف يتفاوت ، فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعا أو متبوعا كرواية الكذابين والمتروكين ، ومنه ضعف يزول بالمتابعة كما اذا كان راويه سيء الحفظ أو روى الحديث مرسلا فان المتابعة تنفع حينئذ وترفع الحديث من حضيض الضعف الى أوج الحسن أو الصحة • والله أعلم أ هـ كلام ابن كثير وقد علق الشيخ أحمد شاكر على ما سبق بقوله : وبذلك يتبين خطأ كثير من العلماء المتأخرين في اطلاقهم أن الحديث الضعيف اذا جاء من طرق متعددة ضعيفة ارتقى الى درجة الحسن أو الصحيح (٧) •

الحديث الضعيف

قال النووي : هو مالم يوجد فيه شروط الصحة ، ولا شروط الحسن ، وأنواعه كثيرة منها الموضوع والمقلوب والشاذ والمنكر والمعلل والمضطرب وغير ذلك (٨) • وقال الدكتور الأحمدي : تبين أن المقبول من الحديث الصحيح والحسن ، والمردود ما اختل فيه شرط من شروط القبول ، وينقسم باعتبار فقد شروط القبول الى أقسام نجملها فيما يلي : ١ ـ فقد اتصال السند • ٢ ـ فقد العدالة في السند •

(٦) الباعث الحثيث ٣٩ •

(٧) الباعث ٤٠ •

(٨) شرح النووي لمسلم ٢٢ •

٣ ــ فقد الضبط • ٤ ــ الشذوذ •
٥ ــ العلة (٩) •

تفاوت الضعيف

يتفاوت الضعيف بحسب شدة ضعف رواته وخفته كصحة الصحيح ، فمنه أو هى كما أن من الصحيح أصح • قال الدكتور عزت عطية : أنواع الضعف كثيرة ، وبعضها أخف من بعض وكلما كانت شروط الصحة المفقودة أكبر كان الضعف أشد ، والعكس بالعكس • فما فقد شروط الصحة كلها من اتصال السند والعدالة والضبط وعدم الشذوذ وعدم العلة أشد ضعفا مما فقد بعضها وهكذا •• ومن هنا قسم العلماء الحديث الضعيف الى :

١ ــ ضعيف ينجبر اذا كان الضعف لضعف حفظ الراوى الصدوق الأمين فانه يزول بمجيئه من طريق أخرى لأن صدقه وأمانته توجبان الثقة بقوله ، والتوقف فى الحديث انما كان من جهة سوء حفظه ، فاذا أورد الحديث من طريق آخر زال سبب التوقف ، ووثقنا من أنه قد حفظ ما روى ولم يختل فيه ضبطه •

٢ ــ ضعيف لا ينجبر اذا كان الضعف لكذب الراوى أو اتهامه بالكذب أو فسقه فانه لا يرتفع عن كونه مردودا لوروده من طريق أو عدة طرق فى مثل درجته ، وكل ما يمكن أن تؤدى اليه كثرة الطرق فى مثل هذا الحديث هو رفعه عن أن يكون موضوعا أو منكرا أو لا أصل له ، وربما أدت كثرة الطرق الى وصوله الى درجة رواية المستور سيىء الحفظ بحيث اذا وجد له طريق آخر فيه ضعف قريب محتمل أى ليس بسبب الكذب أو الاتهام به أو الفسق ارتفع بمجموع ذلك الى درجة الحسن لغيره وهى أدنى درجات القبول (١٠) •

وخلاصة هذا التعسف أن النوع الأول أسهل فى الجبر وأخف فى الصعود به الى مرتبة الحسن ، والثانى أصعب فى الجبر لكنه قد يصل بالروافع الضخام الى مرتبة الحسن لغيره وهذا يعنى أن كل حديث ضعيف أمامه فرصة الترقى !

المذاهب فى الأخذ بالحديث الضعيف

قال القاسمى : ليعلم أن المذاهب فى الضعيف ثلاثة :

المذهب الأول

لا يعمل بالحديث الضعيف مطلقا لا فى الأحكام ولا فى الفضائل • حكاه ابن سيد الناس فى عيون الأثر عن يحيى بن معين ، ونسبه فى فتح المغيث لأبى بكر بن العربى ، والظاهر أن مذهب البخارى ومسلم ذلك أيضا يدل عليه شرط البخارى فى صحيحه ، وتشنيع الامام مسلم على رواة الضعيف (كما سيجىء) وعدم اخراجهما فى صحيحيهما شيئا منه • وهذا مذهب ابن حزم حيث قال فى الملل والنحل : ان الله قد ضمن حفظ الشريعة ، فما لم يرد الينا من طريق صحيح فلا حاجة لنا به ، فان كان شرعا فلابد أن يكون موجودا عند غيرنا بسند صحيح وطرق سليمة ، وان لم يكن من الشرع نجونا من شره (١١) وقال أيضا : ما نقله أهل

(٩) شذرات ٧٩ جـ ١ •

(١٠) البدعة ٢٥٠ •
(١١) المرجع السابق •

المشرق والمغرب أو كافة عن كافة ، أو ثقة عن ثقة ، حتى يبلغ الى النبى صلى الله عليه وسلم الا أن فى الطريق رجلا مجروحا بكذب أو غفلة أو مجهول الحال ، فهذا يقول به بعض المسلمين ولا يحل عندنا القول به ولا تصديقه ولا الأخذ بشىء منه (١٢) .

وبين الشيخ أبو شامة فى كتابه الباعث على انكار البدع والحوادث : ان القول بالتساهل فى فضائل الاعمال خطأ عند المحققين من أهل الحديث والفقه والأصول ، بل ينبغى أن يبين أمره ان علم به ، والا دخل تحت الوعيد بقوله صلى الله عليه وسلم :

من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين (١٣) .

المذهب الثانى

أنه يعمل به مطلقا وهذا رأى السيوطى . قال : وعزى ذلك الى أبى داود وأحمد لأنهما يريان ذلك أقوى من رأى الرجال أ هـ (١٤) .

والسيوطى من المتسامحين المتساهلين اذ أورد فى جامعه الكبير والصغير المنكرات والشواذ وكل ذى علة من الحديث حتى بلغت أحاديثه مائة ألف .

المذهب الثالث

يعمل به فى الفضائل بشروطه الآتية ، وهذا هو المعتمد عند الأئمة . قال ابن عبد البر : أحاديث الفضائل لايحتاج فيها الى ما يحتج به ، وقال الحاكم : سمعت أبا زكريا العنبرى يقول : الخبر اذا ورد ولم يحرم حلالا ولم يحل حراما ، ولم يوجب حكما وكان فى ترهيب أو ترغيب اغمض عنه وتسوهل فى رواته ، ولفظ ابن مهدى فيما أخرجه البيهقى فى المدخل : اذا روينا عن النبى صلى الله عليه فى الحلال والحرام والأحكام شددنا فى الأسانيد وانتقدنا فى الرجال ، واذا روينا فى الفضائل والثواب والعقاب سهلنا فى الأسانيد وتسامحنا فى الرجال ، ولفظ أحمد فى رواية الميمونى عنه : الاحاديث فى الرقائق يحتمل أن يتساهل فيها حتى يجىء شىء فيه حكم ، وقال فى رواية عباس الدورى عنه : ابن اسحق رجل تكتب عنه هذه الأحاديث وهى المغازى ونحوها واذا جاء الحلال والحرام أردنا قوما هكذا ، وقبض أصابع يده الأربع أ هـ (١٥) .

وقال السخاوى : أبو داود يخرج الضعيف اذا لم يجد فى الباب غيره وهو أقوى عنده من رأى الرجال ، وهو تابع فى ذلك شيخه أحمد ابن حنبل فقد قال : لا تكاد ترى أحدا ينظر فى الرأى الا وفى قلبه غل ، والحديث الضعيف أحب الى من الرأى (١٦) .

ما شرطه المحققون لقبول الضعيف

قال السيوطى فى التدريب : لم يذكر ابن الصلاح والنووى سوى هذا الشرط : كونه فى فضائل الاعمال ونحوها . وقال الزركشى :

---

(١٢) قواعد التحديث ١١٣ .
(١٣) البدعة ٢٥٥ .
(١٤) قواعد التحديث ١١٣ .
(١٥) قواعد التحديث ١١٥ .
(١٦) قواعد التحديث ١١٥ .

الضعيف مردود ما لم يقتض ترغيبا أو ترهيبا أو تتعدد طرقه (١٧) •

قال الحافظ السخاوى فى القول البديع بعد ذكر المسألة وخلاف أبى بكر بن العربى فيها، اذ جزم بعدم جواز العمل بالضعيف مطلقا ، وقال : سمعت شيخنا ابن حجر مرارا يقول وكتب لى بخطه شرائط العمل بالضعيف ثلاثة :

الاول : متفق عليه وهو أن يكون الضعف غير شديد فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه •

الثانى : أن يندرج تحت أصل معمول به فيخرج ما يخترع بحيث لايكون له أصل أصلا •

الثالث : ألا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم مالم يقله • قال : والأخيران عن ابن عبد السلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد (١٨)•

وقال الشيخ طاهر الجزائرى : ويظهر من الشرط الثالث أنه يلزم بيان ضعف الضعيف الوارد فى الفضائل ونحوها كى لا يعتقد ثبوته فى نفس الأمر وبهذا يتبين لنا أن الأخذ بالضعيف فى فضائل الأعمال ليس على اطلاقه بل معناه ما ذكرناه ، وأنه لا يعارض الاتجاه انعام الذى وجه اليه القرآن ودل عليه الحديث من التحرز فى نقل الأخبار وقبولها (١٩) •

مناقشة العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال ••

اذا كان المقصود بفضائل الأعمال التى

(١٧) قواعد التحديث ١١٦ •
(١٨) الاعتصام للشاطبى ١٤٣ جـ ١
(١٩) البدعة ٢٥٤ •

ترددت فى الأقوال السابقة أن الحديث الضعيف ينشىء مستقلا أعمالا فاضلة ، أو يعطى الفضل مستقلا لأعمال مباحة لم ينشئها القرآن الكريم أو السنة الصحيحة ، فلم يقل به أحد ، لأنه يتضمن حكما شرعيا وقد استبعدوا جميعا الأحاديث الضعيفة من الأحكام ، وان كان المقصود بفضائل الأعمال أن الحديث الضعيف يزيد فضيلة وثوابا فى عمل أنشأه مصدر قوى فهذا هو التفسير الوحيد لكلمة فضائل الأعمال•

وهو رأى ابن تيمية ، فقد نقل ابن مفلح فى الآداب الشرعية والمنح المرعية عن قول العلماء فى العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال ما يدل على أن لا يرى أنها تشرع عملا من الأعمال الفاضلة ، اذ قال : العمل به بمعنى أن النفس ترجو ذلك الثواب أو تخاف ذلك العقاب، ومثال ذلك فى الترغيب والترهيب مما لايجوز اثبات حكم شرعى به لا استحباب ولا غيره، لكن يجوز أن يذكر فى الترهيب والترغيب فيما حسنه أو قبحه بأدلة الشرع (٢٠) •

وقد وضح لى ذلك أحد كبار علماء الحنابلة المعاصرين ، اذ قال : ان العمل بها فى فضائل الأعمال لايعنى أنها تدخل عملا فى دائرة المطلوب ، ولا تخرج عملا الى دائرة المنع — انها تزيد فى الترغيب فى عمل مطلوب بالأدلة الأقوى ، وفى الترهيب من عمل منهى عنه بالأدلة الأقوى ، فقلت : ياليت العوام يفهمون ذلك ! وقلت أيضا : وفيه اعطاء وزن زائد فى صالح بعض الأعمال ، فيجعلها عند العامى

(٢٠) الآداب الشرعية لابن مفلح ٣١٣ جـ ٢ •

الأحاديث الضعيفة

شيئا آخر ، وفيه اعطاء وزن زائد ضد بعض الأعمال ، فيجعلها عند العامى شيئا آخر ، اذ يدغدغ الأول داعى الرجاء المفرط بالمبالغة فى الثواب على أعمال سهلة ، ويدغدغ الثانى داعى التزمت والتنطع بالمبالغة فى العقاب على أعمال قد تكون مباحة ، وبين الرجاء المفرط والتزمت المفرط يقع دين الله .

وقال المحقق جلال الدين الدوانى فى رسالته آنموذج العلوم : اتفقوا على أن الحديث الضعيف لا تثبت به الأحكام الشرعية ، ثم ذكروا أنه يجوز العمل بالأحاديث الضعيفة فى فضائل الأعمال ، وممن صرح به النووى فى الأذكار ، وفيه اشكال لأن جواز العمل واستحبابه كلاهما من الأحكام الشرعية الخمسة فاذا استحب العمل بالحديث الضعيف كان ثبوته بالحديث الضعيف ، وذلك ينافى ما تقرر من عدم ثبوت الأحكام بالأحاديث الضعيفة ، وقد حاول بعضهم التفضى من ذلك فقال : ان مراد النووى أنه اذا ثبت حديث صحيح أو حسن فى فضيلة عمل من الأعمال تجوز رواية الحديث الضعيف فى هذا الباب ، ولا يخفى أن هذا لا يرتبط بكلام النووى فضلا عن أن يكون مراده ذلك ، فكم من فرق بين جواز العمل واستحبابه وبين مجرد نقل الحديث (٢١) .

مناقشة خوف فوت العمل بما قد يكون صحيحا فى ذاته من الأحاديث الضعيفة ..

كانت هذه النقطة هى التى لحت اليها المجلة الغراء بقولها : احتمال أن فى الضعيف هذا شيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم احتمال ثابت .

اذا كان هذا الاحتمال ثابتا فان المؤكد — وليس مجرد احتمال — أن فيها الكثير جدا مما يستحيل صدوره عن النبى صلى الله عليه وسلم بجميع المقاييس التى وضعها العلماء لذلك .

ان احتمال وجود شىء ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث الضعيفة هو ما نحاول لفت النظر اليه واستحثاث الهمم نحو اكتشافه لاخراجه من حضيض الضعف واطراح الباقى ، وذلك بنقد الحديث النقد الموضوعى بالعرض على القرآن الكريم وصحيح السنة وسائر اليقينيات .

ان ذلك الاحتمال لايكفى لأن يكون مبررا لأن نثقل الأمة بأعباء مائة ألف حديث (المعجم الكبير للطبرانى) . قال الحاكم وهو من المتسامحين ان الذى فى الدرجة الأولى من جميع الأحاديث لا يبلغ عشرة آلاف (٢٢)وهذه الأحاديث الضعيفة فيها من المتناقضات ما أتعب العلماء فى التوفيق بينها بعضها وبعض وبينها وبين الأحاديث الصحيحة بما يضحك أحيانا وبما يبكى فى أكثر الأحايين .

وما من عمل يرغب فيه حديث ضعيف أو يرهب منه الا وفى المصادر الأقوى ما يرغب فيه أو يرهب بعيدا عن المبالغة فى الطرفين على السواء .

وما نهتدى بعقولنا الى فائدته مما هو فى الأحاديث الضعيفة بعد استبعادها نعمله

---

(٢١) قواعد التحديث ١١٨ .

(٢٢) ائمة الحديث للدكتور الحسينى هاشم.

مستدلين بمصلحتنا التى تدور معها أوامر الدين وجودا وعدما غير مستندين فيه الى حديث ضعيف • وهذا ملحظ دقيق يجب أن نمعن فيه النظر ، ولا نتعجل القول بأن استنادنا فيما هذا شأنه الى حديث يجعله قربة نثاب عليها ، فان الصالح مما لم يأمر به الدين نصا فهو مأمور به من الدين روحا وله ثوابه • وهذا المنهج يعطينا مرونة كافية فى نبذ ما يستبين لنا ضرره واستبدال غيره بلا حرج •

فترك العمل بالحديث الضعيف فى هذا الزمن الذى تملؤه الواجبات ، ولو ترتب عليه ترك أمور لا نعلم علما يقينيا أنها من أوامر الدين أهون ضررا من العمل بكل الأحاديث التى نعلم أن فيها كثيرا لم يثبت الثبوت المريح للنفس ، ونحن لا يمكن أن نكون مثل الامام مالك حرصا على السنة ، فقد قال عتيق الزبيرى كما نقل عنه ابن فرحون فى الديباج المذهب تحقيق الاستاذ الدكتور الأحمدى أبى النور قال : وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة آلاف حديث ، فلم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقى هذا (٢٣) •

توضيح تفضيل الامام أحمد الحديث الضعيف على القياس ••

قد وضح ابن تيمية ذلك فقال : ان قولنا ان الحديث الضعيف خير من الرأى ليس المراد به الضعيف المتروك لكن المراد به الحسن ونحوه ممن يحسن الترمذى حديثه أو يصححه ، وكان الحديث قبل الترمذى : اما صحيح واما ضعيف **والضعيف نوعان** : ضعيف متروك وضعيف ليس بمتروك ، فتكلم أئمة الحديث بذلك الاصطلاح فجاء من لايعرف الا اصطلاح الترمذى فسمع قول بعض الأئمة الحديث الضعيف أحب الى من القياس فظن أنه يحتج بالحديث الذى يضعفه مثل الترمذى (٢٤) •

وقال ابن القيم : بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن وقال فى اعلام الموقعين : ليس المراد بالحديث الضعيف فى اصطلاح السلف هو الضعيف فى اصطلاح المتأخرين ، بل ما يسميه المتأخرون حسنا قد يسميه المتقدمون ضعيفا (٢٥) •

كلمة أخيرة

ان من حق الاسلام علينا ألا نغمض عيوننا، ونصم آذاننا عما أحدث العلم من تغيرات وانجازات عرفنا بها مقدار ما تؤثر به حكايات الرقائق والمنامات والخوارق والاسرائيليات فى عقول الناس بأشد مما تؤثر به أحاديث الأحكام وعرفنا به الحيل النفسية لدى المستأخرين فى التلهف على المبالغات فى الثواب والعقاب وخوارق العادات وعمق تأثرهم بما فيها •

وان من حقنا على أنفسنا أيضا ان أردنا أن يكون لنا مكان على هذا الكوكب أن نرى لأنفسنا بالمنهج لا بالمجازفة ما يصلح لحياتنا وما لا يصلح كما كان للأقدمين من الحق على أنفسهم ، وهم لم يقصدوا أن يجعلوا أجتهاداتهم قيودا فولاذية لمن بعدهم ، ورحم الله ذوى المناهج من سلفنا الذين عرضنا بعضا

(٢٣) الديباج المذهب ١١٩ ج ١ •

(٢٤) قواعد التحديث ١١٨ •

(٢٥) البدعة نقلا عن اعلام الموقعين

الأحاديث الضعيفة

من آرائهم التقدمية والذين أعطونا مفاتيح التقدم ، وأدخلناها القماقم وأثقلنا عليها الأغاليق .

نريد أن نخرج هذه المفاتيح وهذه القواعد التى وضعوها لنقد الحديث خارج السند ، وما دام عندنا القرآن الكريم وصحيح السنة فلن يضل لنا مسعى .

وأروح عن القارىء بعد هذه المناقشات بعبير من جو الصفاء الأول فى عبارتين للامام مسلم فى مقدمته لصحيحه : اعلم وفقك الله أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها ألا يروى منها الا ما عرف صحة مخارجه .. أن الأخبار الصحاح من رواية الثقات وأهل القناعة أكثر من أن يضطر الى نقل من ليس بثقة ولا مقنع . هدانا الله الى سواء السبيل .

محمد أحمد بدوى

تعقيب

ليس كل ضعيف موضوعا ..

لقد طرحت المجلة هذا اللون من الفكر — فى الحديث الضعيف — ليستبين القارىء معالمه ، وليس حبا فيه ولا تشجيعا له والمجلة تشكر للكاتب اتفاقه معها فى :

(أ) أن ليس كل ضعيف موضوعا مكذوبا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(ب) وأن الضعيف غير الموضوع فيه عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهذا أمر ثابت عالجه العالم الثقة الثبت الشيخ شاكر فى تخريجه لأحاديث مسند أحمد — رضى الله تعالى عنه .

(ج) وأنه يجب العمل العلمى لاستخلاص الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — منها . وهنا نقول :

انما يتولى هذا العمل مختصون ، حفاظ ، ثقات ، يعلمون من أمر الحديث مالا يعلمه غيرهم ، وليس هذا الباب لغيرهم على أى حال . واذا كان بعض المسلمين غير المتخصصين سمح لنفسه أن يكتب فى هذه الأمور فليس معنى ذلك أن يكون عضوا علميا فى لجنة تستخلص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه .

(د) لازالت المجلة ترفض التخلص من الضعيف فى ضوء ما قررته فمادام ليس

ليس كل ضعيف موضوعاً ..

موضوعا .. ومادام فيه مجال لثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينبغى حفظه وعرضه للعلم لا للبراءة منه حاشا لله . وهى — أى المجلة — عندما تقول هذا لا تقوله تحت العنوان الذى وضعه الكاتب له اذ يقول :

« مناقشة خوف العمل بما قد يكون صحيحا فى ذاته من الأحاديث الضعيفة » .

فليرجع القارىء الى العدد الثالث ربيع الأول ١٤٠٣ هجرية صفحة ٣٠٧ فى تعليقنا على الكاتب الفاضل فسوف يجد أننا لم نطرق ما يدخل تحت هذا العنوان من قريب أو بعيد . انما تمسكنا بنقاش علمى بحت لا علاقة فيه بالعمل بالحديث الضعيف .. ولا حاجة لتكرار ما قلناه ثم ، فمطالعة القارىء ومقارنته تغنيان عن هذا التكرار .

(هـ) جاء فى منهج الكاتب الفاضل أمر خطير ، اذ يقول :

(وما نهتدى بعقولنا الى فائدته مما هو فى الأحاديث الضعيفة بعد استبعادها نعمله مستدلين بمصلحتنا التى تدور معها أوامر الدين وجودا وعدما ... الخ .

ما عقولنا هذه ؟! استحساناً .. آراؤنا اتفاقنا .. ؟ . !

سيدى الكاتب الكريم ..

ان العلماء فى أى مجال للبحث : رياضى ... طبيعى .. كونى ... فلسفى ... شرعى ... دينى ...

كل أولئك عقولهم تقف موقف « الرقيب » فقط من مادة الاختبار .. ثم نصل شيئا فشيئا الى « الحكم » .

وهذا الموقف فى ذاته تحدده « قوانين » فى كل هذه الميادين حتى تكون لنا نتائج منطقية أخذت طريقها بين مراحل الجمع ... والاستقراء ... ثم الترجيح ... ثم القانون .

فلسنا — العلماء — نقبل مجرد ما تمليه علينا عقولنا .. !

ضللنا — اذا — وما كنا من المهتدين .

وانا لنتهم الرأى على الدين .

فبئس الرأى ما انقطع عن الدين .

وبئس ما صنعنا اذا طرحنا حديثا ضعيفا لم يثبت وضعه ، ولا مجال لاثبات وضعه ، لنلجأ — فى أمره — الى عقولنا وأرجو أن يسأل الأستاذ الفاضل نفسه :

علام ورث سيدنا أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح (الخال) ولينظر حكم الدليل ؟

اننا سوف نتلمس آثار النبوة .. نحبها ونحفظها ونحرص عليها . والله الهادى الى سواء السبيل وحسبنا فى هذا البحث ما قدم .

د/على الخطيب

دراسات في السيرة النبوية

■ زمــزم
بنت التاريخ

■ قـادة النــبى
صلى الله عليـه وسـلم

زمزم بنت التاريخ

للأستاذ السيد حسن فترون

فى حاضرة الدولة الاسلامية (الكوفة) وفى دار الامارة جلس أمير المؤمنين على ابن أبى طالب وحوله القادة وأساتذة من أتباعه وأنصاره ، وقد تخلت عنه همومه الا هواجس كانت تدور فى رأسه حول التحكيم الذى لم يأت بعد ، وقد راق الجو وصفا ، وكان القمر يرسل نورا ساطعا ليحلو الحديث وتنثال الذكريات وجاء ذكر « حفر زمزم » وما قام به عبد المطلب بن هاشم فى شأنها ، وهنا أمسك حفيده على كرم الله وجهه بأطراف الحديث ، وأنصت اليه حواريوه وكلهم آذان مصغية وشوق لما يقول .

سجل الحديث عنه كاتب السيرة محمد بن اسحاق المطلبى فى اسناد ينتهى الى (عبد الله ابن زرير الغافقى) الذى حضر المجلس وروى الحديث ، ونقله الى الناس (١) ، قال الامام :

قال عبد المطلب :

انى لقائم فى الحجر اذ أتانى آت فقال : احفر طيبة . قلت وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عنى . فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال : احفر برة . قلت : وما برة ؟ قال : ثم ذهب عنى . فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال: احفر المضنونة ، فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عنى . فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر زمزم. قلت . وما زمزم ؟ قال :

لا تنزف أبدا ولا تذم
تسقى الحجيج الأعظم
وهى بين الفرث والدم
عند نقرة الغراب الأعصم
عند قرية النمل (٢)

وقبل أن نساير تفسيرات الرؤيا أو الرؤى

(١) هكذا تصورت مجريات الرواية .

(٢) هذه الجمل سجع لا شعر .

زمـــــزم
بنت التاريـخ

وما ترتب عليها من أحداث نعطى مفهوما عن بعض الكلمات لما لها من دلالات واشارات نحو المستقبل ، والكلمات : طيبة وبرة والمضـــنونة وزمزم التى تلهف عبد المطلب على فهم المراد منها ولم يفته السؤال عنها ، ليعرف الجواب الشافى من الهاتف تدور حول موصوف واحد هو البئر •

فقد سماها « طيبة » لأنها للطيبين والطيبات من بنى ابراهيم واسماعيل على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ومن سار على نهجهم من سائر الأنام •

وسماها « برة » لأنهــا فاضـت للأبــرار والأطهار ، ويكفى أنها كانت غوث « هــاجر » حين عطش ابنها اسماعيل فأشفقت عليه من الهلاك ، فكان الله معها حين فجر هذا الينبوع •

وسماها « المضنونة » لأنها تضن بمائها على غير المؤمنين ، فلا يتضلع منها منافق للمروى عن سيدنا محمد صلى الله عليــه وسـلم : « من شرب من ماء زمزم فليتضلع ، فانه فرق ما بيننا وبين المنــافقين ، لا يســتطيعون أن يتضلعوا منها •• وقــد شرب منهــا أبــو ذر الغفارى حين أسلم وكانت الدعوة سرا فأغنته عن الطعام ليالى وأياما فهى « طعام طعم ، وشفاء سقم » •

وسماها « زمزم » لأنها تضم ماءها وتلمه فلا ينساح على وجــه الأرض ، وقــد فسر بعضهم الزمزمة بالصوت والأول أولى ، لأن الماء حين انبثق بهمزة جبريل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام انساح عــلى وجــه الأرض فأخذت هاجر تدفعــه بكفيهــا ليكثر ويتجمع •

أما قوله : « لا تنزف أبدا ولا تذم » فيفيد أن الماء لا يزول ولا يقل ، وليست تذم ضـد تمدح ، لأنها تعرضت للذم من المغرضين وذوى النفاق من أمثال خالد بن عبد الله القسرى فقد كان خالد بذمها ويعيبها تقربا الى بنى أميــة ويسميها « أم جعلان » واحتفر بئرا خــارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك ، وجعل يفضلها على زمزم مما جعل الخليفة هشام بن عبد الملك يغضب عليه ويحط من شأنه وشأن أسرته فى رسالة رواها المبرد فى الكامل يهدده ويتوعده ان لم يقلع عما هو عليه من العداء لزمــزم ، ويقول له فى الرسالة : انها مكرمة عبد المطلب وقريش • وابن هشام فى السيرة يقول عن بنى عبد مناف : هاشم وأميــة ونــوفل والمطلب : « وانما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحــد ، شرف بعضهم لبعض شرف ، وفضل بعضــهم لبعض شرف » ويروى شعر المسافر بن أبى عمرو بن أمية يفخر بزمزم منه :

ورثنـــا المجــد مـن آبـا
ئنـــا ننمـى بهـا صـــعدا
ألـم تســـــق الحجيـج
وننحـر الدلافـة الرفــدا ؟
وزمـــزم فى أرومتنـــــا
ونفقـــأ عين من حســـدا

فهو ــ وهو الأموى ــ يفخر بسقى الحجيج وهو من مكارم عبد المطلب بن هاشم كما يفخر بزمزم وهى منسوبة اليه ، لأن بنى عبد مناف

بيت واحد ، ولم يفرق بين أعضاء البيت الا الخلافة والرياسة ، ومع ذلك فهم لا يقبلون أن ينال أحد من عبد المطلب وحفر زمزم • فلا تذم نحواها لا يقل ماؤها ، والعرب تقول « بئر ذمة » أى قليلة الماء ، وقد نفى عنها القلة فثبتت لها الكثرة •

وقوله : « تسقى الحجيج الأعظم » ظاهر المعنى ، وقد جمع عبد المطلب لنفسه سقى الحجيج والرفادة ، فكان يسقى الحجاج الماء المحلى ويطعمهم ، وقد اعتد بذلك (حمزة بن عبد المطلب) رضى الله عنه فكان فى حومة الوغى يوم أحد يقول لمن يصرعه : خذها وأنا ابن ساقى الحجيج •

وقوله : « بين الفرث والدم » اشارة الى المكان الذى تذبح فيه الضحايا بين « اساف ونائلة » وكانا صنمين معبودين لقريش ، ويقال ، فى تاريخهما : انهما لرجل وامرأة من جرهم فجرا فى البيت فمسخهما الله حجرين فأخرجا منه ، فنصبا على الصفا والمروة ليعتبر بهما الناس عن مثل ما ارتكبا ، فلم يزل أمرهما يدرس ويتقادم حتى صارا صنمين يعبدان بأمر (عمرو بن لحى) الذى تغلب على جرهم وأخرجها من مكة • ثم حولها (قصى بن كلاب) بعد ذلك وهو فى عمود النسب للنبى ، صلى الله عليه وسلم فوضعهما تجاه الكعبة وجعل الذبح عندهما • والمرحوم محمد لطفى جمعه فى كتابه « ثورة الاسلام » قال : ان اساف ونائلة « حديث خرافة » (١) •

ويروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « مازلنا نسمع أن اسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين » والله أعلم نقولها كما قال ابن هشام (٢) •

وقوله : « عند نقرة الغراب الأعصم » من مقتضيات تحديد مكان الحفر لعبد المطلب ، وقد كان كذلك وجد الغراب حين ذهب للعمل ، فالغراب الأعصم وهو الذى فى جناحيه بياض ينقر عند « قرية النمل » — وسيأتى الكلام عنها — بين الوثنين : اساف ونائلة ، يعنى أن عبد المطلب سيجد غرابا ينقر فى هذا المكان ، ولذلك لا أقبل رأى من يجعل الغراب رمزا لما يأتى فى آخر الزمان من رجل أسود حبشى يهدم الكعبة المعبر عنه بالنقر عندما يرتفع القرآن •

وتقوم عبادة الأوثان ، والأستاذ طه عبد الرءوف سعد محقق السيرة لعبد السلام شقرون يسند الى الرسول أنه قال : « ليخربن الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » ويقول عنه انه فى الصحيح ، وفى الصحيح أيضا من صفته أنه « أفجح » وهذا أيضا ينظر الى كون الغراب أعصم ، اذ الفجح تباعد فى الرجلين كأن العصم اختلاف فيهما ، والاختلاف تباعد ، وأنا لم أقرأ هذا فى الصحيح ، ولكنى أرى أن القرآن لا يرفع وأن الايمان لا يذهب ، وأن عبادة الأوثان لا تقوم ، لأن الانسان فى تقدم ، ومعقوله فى صقل بالعلم والفهم والنظر فى

---

(١) المجلة :
لعله يقصد بـ « حديث خرافة » ماتداوله الجاهليون عنها ، والا فان وجود الصنمين ثالث ، وهما صنما قريش ، والكاتب مع هذه الحقيقة •• راجع لابى جعفر محمد بن حبيب المحبر ص ٣١١ و ٣١٨ ثم ان هذا المسخ الذى يستبعده الاستاذ محمد لطفى جمعة يعتبر أبسط نكال يلحق بالجرهميين ، وفيهم من تطاول على حرمة البيت •

(٢) سيرة ابن هشام /٧٧ (مطبوعات عبد السلام شقرون) •

زمــــزم
بنت التاريخ

الماضى والحاضر والمستقبل • والا فما معنــى كشوفه فى الأرض والجو والبحر ؟ وما معنى المسيح والدجال والمهدى المنتظــر فى آخــر الزمان ، وأن المسيح عليه السلام ومعه المهدى المنتظر يغلبان المسيخ الدجال ، فيهتدى الناس ويعيشون فى عدالة تجعل الذئب لا يعتدى على الشاة القاصية ؟ ثم ان الغراب الأعصــم به بياض بجناحيه ولا بياض فى جسم الأســود الحبشى ، والحــديث عن الغيبيــات يقتضى الحذر ، والحيطة فى ايراد الخبر ، ولا داعى للحديث عنه فى مثل حكاية عبد المطلب فقد كانت رؤياه قبل زواجه بفاطمة المخزومية جدة سيد العرب الموحى اليه بالقــرآن ، فكيف يكــون التنبؤ على لسان ذلك الجد وهو يتقرب الــى الأصــــنام ؟ وما الرأى فيمن ينكــر الرؤيا ولا يعترف بها ؟ •

وقوله « عند قرية النمل » تتمة لبيان المكان ، واشارة الى مكة التى لا تحرث ولا تــزرع ويأتيها رزقها من البلاد البعيدة ومن بــلاد الأنهار ، فهى فى واد غير ذى زرع كما حكى القرآن عن ابراهيم الخليل ودعائه ربه لبنيــه الذين أســكنهم فيه قائلا : « **وَارْزُقْهُــم مِّنَ الثَّمَرَاتِ** » (١) ومن أسماء مكة « قرية النمل» وبهذا تحدد المكان وعرف فهو بين الصنمين اساف ونائلة وفى مكة والغراب الذى ينقــر ، وقد بان الأمر لعبد المطلب وعليه أن ينفــذ ، وقد نفذ •

---

(١) ابراهيم ــ ٣٧ •

وأعود الى على كرم الله وجهه وجلســائه لنعرف بقية الحديث عن حفر زمزم ، وخلاصة ماذكره :

أن عبد المطلب بدأ الحفر فاعترضته قريش وقالوا : يا عبد المطلب انها بئر أبينا اسماعيل ، وان لنا فيها حقا • قال : ما أنا بفاعل وان هذا الأمر قد خصصت به دونكم ، وبعد جــدال اتفقوا على أن يتحاكموا الى كاهنة بنى ســعد هذيم ، وكــانت بأشراف الشــــام ، فركب عبد المطلب فى جماعة من قومه بنى عبد مناف وكانوا عشرين رجلا ، وركب مثلهم من بطون قريش الأخرى وسار الركب فى الصــــحارى قاصدين تخوم الشام حيث تلك الكاهنــة ، وبعد أيام فنى ماء عبــد المطلب وأصــحابه ، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلاك ، وسألوا من معهم من بطون قريش أن تعود عليهم ببعض المــاء فأبوا وتعللوا بأن يصيبهم ما أصــــاب بنى عبد مناف ان هم أعطوهم من الماء • وتشاور عبد المطلب فى الأمر مع أصحابه ، فتركوا الحل له ، فأشار عليهم بأن يحفر كلا منهم حفــرة لنفسه وهو قوى ، فكلما مات رجــل دفعــه أصحابه فى حفــرته ثم واروه ، حتى يكــون آخرهم رجلا واحدا ، فضيعة رجــل واحــد أيسر من ضياع الركب كله ، ثم رفض ما قاله لهم وعدوه عجزا ، ودعــاهم الى الركــوب والضرب فى الأرض عسى أن يجدوا مخرجا من هذا الحرج ، فأجابوه ، والفــريق الآخــر من قريش ينظرون ماذا يفعلون ؟ •

تقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها ، فلمــا انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين مــاء عذب ، فكبر عبد المطلب وكبــر أصــحابه ثم شربوا واستقوا ، وهنا دعا عبد المطلب الفريق

المناوىء له والبخيل عليه بالماء الى ما أصاب من خير • قال ، هلموا الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا ، واستجابوا له • ثم قالوا : قد — والله — قضى لك علينا يا عبد المطلب ، والله لا نخاصمك فى زمزم أبدا ، ان الذى سقاك هذا الماء فى هذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم ، فارجع الى سقايتك راشدا ، فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبينها •

الى هنا انتهى حديث على بن أبى طالب ، وقد يكون الذى جاء فى هذا الحديث من الرؤيا ، ثم النزاع وحله دون بلوغ الكاهنة مما يدل على شخصية عبد المطلب الملهمة ، ونقاء سريرته ، وحبه الخير لقومه وللناس هو الذى عنى به الامام على أو يكون الراوى أعجبه الالهام ثم البركة التى تتبع ابن هاشم أنى سار وأنى وجد • وكان ينبغى أن يذكر ابن هشام ما جرى من الحفر قبل التحاكم الى الكاهنة ، فقد ذكر أن عبد المطلب غدا ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره ، فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين : اساف ونائلة اللذين كانت تنحر عندهما قريش ذبائحها •

فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر ، فاعترضت قريش ، لأنه يحفر بين الوثنين •• ولكنه مضى فى عمله والحارث الصغير يعاونه ، وينشد الشعر ، وهذا يدل على أنه سابق لما روى عن الامام على •

المهم سار فى العمل حتى بدا له الطى فكبر وعرف أنه قد صدق ، فلما تمادى فى الحفر وجد كنزا مطمورا ، وجد غزالتين من ذهب ، ووجد فيها أسيافا قلعية وأدراعا ، فقالت له قريش ، لنا معك فى هذا شرك وحق ، وحجتهم أن الكنز وجد فى الحرم وكل ما وجد فى الحرم فهو لقريش ، واشتدت الخصومة بين هشام بن المغيرة (١) وبين حرب بن أمية فحرب يقف بجانب ابن عمه عبد المطلب ، وهشام بن المغيرة يتزعم جميع بطون قريش ، ويقول طه حسين (ان حربا صاح فى وجه عبد المطلب لماذا أنت ساكت وأنت الذى حفر وأنت الذى وجد الكنز ؟ ولكنه جعل الأمر للآلهة ، فقال : نضرب عليها القداح • قالوا : وكيف نصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قدحين ، ولى قدحين ، ولكم قدحين ، فمن خرج له قدحاه على شىء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شىء له • قالوا : أنصفت ، فجعل قدحين أصفرين للكعبة ،وقدحين أسودين له، وقدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا صاحب القداح الذى يضرب بها عند هبل — وهو أعظم أصنامهم — وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ، فضرب صاحب القداح ، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الأسودان فى الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحا قريش • فماذا فعل عبد المطلب ؟ لم يأخذ شيئا لنفسه ، وانما ضرب الأسياف بابا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالتين من ذهب ، فكان أول ذهب حليته الكعبة •• ثم أن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج •

ولكن ما مصير هذا الصنيع ؟ •

يجيب عن هذا السؤال لطفى جمعه فى أسلوب يتدثر بالدعابة يقول :

ولكن كان بين العرب شطار وملحدون ممن

(١) هشام هذا والد أبى جهل •

زمزم
بنت التاريخ

يهزءون بالأصنام فى سبيل الذهب كما يوجد الآن ألوف ممن يسرقون ذخائر الكنائس وأعلاق المعابد وتماثيل الآلهة وصناديق النذور فى المساجد ،فتآمرت تلك العصابة من اللصوص فى الظلام وانتهزت فرصة الليل والناس نيام فجردت الكعبة مما علق عليها من الذهب والأسياف والدروع والصفائح ، وكذبت الأزلام وأربابها ، لأن الذهب والسلاح كانا من نصيب اللصوص لا من نصيب الكعبة ولا من نصيب قريش •

وأغلب الظن أن عبد المطلب لم يحزن لفقد تلك الأعلاق ! لأمر واضح فى ذهنه وهى أنه لم يؤمر بالحفر لأجل الذهب ، وانما أمر بالحفر لأجل الماء ، وقد وجد الماء ، وصار يسيرا سهلا لسقى الحجاج وسقى قريش أيضا ، فليحزن عشاق الذهب ، أما هو فقد رضى عن نفسه وعن الآلهة ، ولكن شيئا واحدا أحزنه لأن قريشا حين خاصمته لم ترع قدره لقلة ولده ، ويظهر أن بنى عبد مناف لم يظهروا مناصرة كافية ولهذا نذر نذرا رصد نفسه للوفاء به ، قال : وانى أقسم لئن منحنى الله من الولد عشرة ذكورا أراهم بين يدى لأضحين له بواحد •

وهنا تظهر نظرية (سابقية القضاء) فيتزوج عبد المطلب فاطمة المخزومية لتنجب له عددا من البنين يكون منهم عبد الله والد الرسول الكريم ، ويتزوج غير فاطمة فلما تم له عشرة من البنين يراهم بين يديه أراد أن يفى بنذره ، فوقع النذر على (عبد الله) ونجا من الذبح بعد مجهود كبير ، وكان أن تزوج ليكون له ولد هو سيد بنى آدم ، ولذا جاء فى الأثر عن سيد البشر أنه قال : أنا ابن الذبيحين ، يعنى والده عبد الله وجده الأعلى اسماعيل عليه السلام • ونرجع الى زمزم والكنز فالحديث عنها ، والتاريخ أنجبها فكانت له خير الأبناء والبنات ، ومازالت تشير اليه ، وتنظر اليه ألا يهمل شأنها فى سطر من سطور كتابه المتجدد الأداء المتعدد العطاء •

ورث أبناء اسماعيل تلك البئر من أبيهم وأمهم ، ولكن جرهم القبيلة التى أصهر اليها اسماعيل كانت القائمة على شئون البيت ومكة ، ولهم السيادة فلما انحرفوا عن الطريق المستقيم ، وأتوا منكرا فى البلد الحرام تعرضوا للذلة والصغار ، والهزيمة أمام القبيلة القادمة من الجنوب وهى خزاعة ، فاما هزم رأس جرهم وهو عمرو بن الحارث بن مضامن عمد الى زينة الكعبة من غزالتى الذهب والصفائح والحلى الأخرى ، وألقى بها جميعها فى بئر زمزم وردم عليها ، وقال شعرا باكيا منه :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها ، فأزا لنا
صروف الليالى والجدود العواثر (١)
وكنا ولاة البيت من بعد نابت (١)
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
فأخرجنا منها المليك بقدره
كذلك — يا للناس — تجرى المقادر

---

(١) الجدود العواثر = الحظوظ السيئة •
(٢) نابت = نابت بن اسماعيل

وقد أحسنت المقادير باخراجهم ، فقد بلغوا فى انتهاك الحرمات أدناها وأبعدها عن الخلق الكريم ، (أنظر قصة اساف ونائلة) لم تهتم خزاعة ببئر زمزم ، لأنها لا تمت لها بصلة كما كان الأمر مع جرهم ، ولذا ظهرت آبار كثيرة كلها خارج مكة ، منها ما قام به عبد شمس وأخوه هاشم ، ومنها ما قام به بنو سهم وبنو جمح ، ولكل بئر اسم ويجىء فى الشعر : وأنت تجد تلك الآبار المذكورة بأسمائها لا تتعدى فى القدم (مرة بن كعب بن لؤى) ومعنى هذا أن آثار خذاعة قليلة فى هذا الشأن مع أنهم الحكام لمكة منذ ملكوها بهزيمة جرهم الى أن أخذها منهم (قصى بن كلاب ابن مرة) الذى أسس مكة تأسيسا اجتماعيا له نظمه وقواعده ، ولكن جميع من ذكرنا لم يفكر فى زمزم حتى كان عبد المطلب ورؤياه •

ويذكر فضل زمزم ابن اسحاق بعد جهد عبد المطلب فيقول : فعفت زمزم على المياه التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج ، وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على سواها من المياه ، بئر اسماعيل عليه السلام •

ولكن لطفى جمعة يقف من رؤيا عبد المطلب موقفا معارضا لما ذكرنا فيقول عن الرؤيا : يقصد من ذلك الى الأمر بحفر بئر زمزم جاء الى عبد المطلب بالالهام ، وهذا فى نظرنا اصطناع منكر ، لأن السقاية كانت من الوظائف التى انتهت اليه بحكم مركزه الاجتماعى بعد عمه (المطلب) وولده (هاشم) وجده (عبد مناف) ولابد أن دعته فطنته دون سواها الى حفر البئر ، وهى بئر تاريخية حفرها ابراهيم واسماعيل وأوحى اليه شعوره واقدامه هذا العمل النافع ، فالحاجة تفتق الحيلة ، وقد ظن أن اعادة حفر زمزم فى حضن الكعبة تسهل نقل الماء للحجيج ، وكان موضع البئر معلوما ، ولعل وصف المكان متوارث فى العشيرة فأعاد عبد المطلب حفرها •

ونحن نقول لماذا لم تفتق الحاجة الحيلة لغيره ؟ ولماذا لم يهتد غيره الى موضع البئر المعلوم ؟ ولماذا لم ينتبه غيره الى وصف المكان المتوارث فى العشيرة ؟ لقد نسيت فلم يذكرها أحد منذ ملكت خزاعة مكة •

ان مئات السنين ومنها خمسمائة عهد خزاعة ، وبعد أكثر من جيلين منذ تولى قصى أمر الكعبة وشئون مكة لم تدع أحدا لينظر فى عين ماء تكون بجانب الكعبة • ان كلام لطفى جمعه مقبول ولكنه غير لازم ، اذ الأحداث التى جرت منذ رؤيا عبد المطلب تعطى انطباعا بأن عبد المطلب ألهم الخير للحجاج ولقريش وللناس جميعا حتى اليوم • وسواء كان الهاما أو فطنة فالعمل عظيم وما ترتب عليه كان أعظم ، وله منا الذكرى والتكريم •

السيد حسن قرون

مراجع البحث

١ ـ السيرة النبوية لابن هشام •
٢ ـ على هامش السيرة للدكتور طه حسين •
٣ ـ ثورة الاسلام بقلم محمد لطفى جمعة •
٤ ـ الكامل لمحمد بن يزيد المبرد
٥ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير

١٨ - عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه

عبد الرحمن بن عوف القرشى الزهرى(١) ، غنى عن التعريف ، كان أحد الثمانية الأوائل فى الاسلام ، وهو من أصحاب الهجرتين(٢) ومن العشرة المبشرين بالجنة(٣) ، وصلى الرسول صلى الله عليه وسلم خلفه فى سفره .

حضر المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجرح فى « أحد » احدى وعشرين جراحة ، أصابه العرج من احداها وسقطت ثنيتاه .

كان عالما بالتجارة ، رفض أن يشارك سعد ابن الربيع — أخاه الأنصارى فى الاسلام — فى ماله ، وتاجر فى المدينة فنافست تجارته الاسلامية سوق اليهود وأساءت اليهم ، وسع الله عليه فى رزقه ، حتى أنه قدمت له سبعمائة راحلة تحمل الطعام . بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما دخلت المدينة رجتها ، ولما علمت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بمالكها قالت : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول (يدخل عبدالرحمن ابن عوف الجنة حبوا) ، فيقول عبد الرحمن رضى الله عنه : يا أمه ، انى أشهدك أنها وما حملت فى سبيل الله عز وجل .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية الى دومة الجندل(٤) الى قبيلة كلب ، وعممه الرسول صلى الله عليه وسلم بيده ، وسدل العمامة بين كتفيه ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم له : ان فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم — (أو قال : شريفهم) . وكان شريفهم الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة الكلبى ، ويفتح الله عليه ، ويتزوج ابنة شريفهم ، وحقق وصاة . الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويعيش خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ثم يلحق بربه أواخر خلافة عثمان رضى الله عنه ، وقد ترك الكثير وتصدق رضى الله عنه بالكثير .

١ — من بنى زهرة .
٢ — الى الحبشة ثم المدينة .
٣ — هم : أبو بكر ، عمر ، عثمان ، على ، الزبير طلحة ، عبد الرحمن بن عوف ، أبو عبيدة عامر ابن الجراح ، سعد بن أبى وقاصل وسعيد بن زيد ابن نقيل رضر الله عنهم اجمعين .

١٩ - على بن أبى طالب كرم الله وجهه

هو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وربيبه — تربى فى بيت الرسول صلى الله عليه

٤ — مدينة فى شمال جزيرة العرب .

النبي صلى الله عليه وسلم

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

وسلم ــ وهو زوج ابنته فاطمة ، ووالد الحسن والحسين سبطى الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهما امتدت شجرة آل البيت • أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى كرم الله وجهه •

وعلى أول هاشمى ولد بين هاشميين (١) • وهو أول من آمن من الصبيان ، وأول خليفة من بنى هاشم •

لاينكر فضله فى الاسلام ، نام فى فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة ليفدى الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وهاجر الى المدينة سيرا على قدميه ، يسير بالليل ويكمن بالنهار •

عندما آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين وبين الانصار والمهاجرين قال له صلى الله عليه وسلم فى كل مرة :

أنت أخى فى الدنيا والآخرة •

وفى غزوة تبوك(٢) تركه الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة ، فقال على كرم الله وجهه :

« يارسول الله تخلفنى مع النساء والصبيان » فقال صلى الله عليه وسلم له :

أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لانبوة بعدى •

حضر مع الرسول صلى الله عليه وسلم كل غزواته ــ الا تبوك • ، بارز فى بدر(٣) ، وفى الخندق(٤) ، وكان المنتصر بأمر الله ، وفى « أحد » قاتل قتالا شديدا ، وجرح ستة عشر جرحا ، وقيل يومها : « لا فتى الا على » ، وهو الذى استلم اللواء يومها بعد مصعب بن عمير رضى الله عنه ، وثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين •

وفى خيبر (٥) استعصى حصن من حصونها على المسلمين ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

لأعطين الراية ــ غدا ــ رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، وليفتحن الله عليه ، ويتطاول الصحابة كل يريد أن يكونه ،

١ ــ أبوه أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم •
٢ ــ سنة ٩ هـ •

٣ ــ بارز الوليد بن عتبة بن ربيعة وأورده حتفه •
٤ ــ بارز فارس فرسان قريش ــ عمرو بن عبد ود ــ الذى كانت الفرسان تخشى لقاءه وأرداه على كرم الله وجهه قتيلا بسيف الحق •
٥ ــ سنة ٧ هـ •

فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ادعو لى عليا » فجاء — رضى الله عنه وتسلم الراية ، وفتح الله عليه بعد قتال عنيد .

ومما يذكر فى هذا القتال أن عليا كرم الله وجهه فقد ترسه ، فحمل باب حصن تترس به وهو يقاتل ، يحمله بيد واحدة ، وسيفه فى الأخرى ، ثم رمى باب الحصن بعد القتال ، وقد حاول أكثر من خمسة رجال (ثمانية) حمل الباب بعدئذ فلم يستطيعوا .

ولا أريد الاسترسال ، فان منزلة « أبى تراب (١) » عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى الاسلام ليست بخافية .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية الى بنى سعد (٢) ، الذين كانوا يريدون التحالف مع يهود خيبر ، فهرب بنو سعد ، ورجع بمغانم عظيمة .

وأرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى ثلاثمائة فارس الى اليمن ، فقاتلهم ودعاهم الى الاسلام فرضوا بالجزية ، ثم وافى الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع .

قال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم:

« أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، الا أنه لانبى بعدى(٣) » .

١ — لقب لعلى رضى الله عنه — قيل : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو الذى أطلقه عليه

٢ — فى بادية الحجاز

٢٠ـ عبد الله بن عتيك رضى الله عنه

عبد الله بن عتيك بن الأسود الأنصارى الخزرجى — من بنى سلمه — وهو ممن أسلموا مبكرا فى المدينة ، قيل : انه حضر بدرا ، ومن الثابت أنه حضر أحدا ، وحضر المشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

وحدث أن عقد الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود عهدا بعد وصوله الى المدينة، ولكن يهود بنى قينقاع كانوا أول من خرج على العهد ، ثم تبعهم بنو النضير حيث حاولوا اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو فى ديارهم ، فأخرجهم الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة .

ولكن عصبة الشر التى وصلت خيبر(٤) لايقر لها قرار ، فأخذت تؤلب الأحزاب ضد المسلمين ، حتى وقعت غزوة الخندق(٥) — وانتهت بخيبة حزب الشيطان من مشركين ومنافقين ويهود ، غير أنهم لم يستسلموا — فبدأوا مرة أخرى فى تأليب القبائل على المسلمين ، وكان على رأس عصبة الشر سلام ابن أبى الحقيق النضرى اليهودى .

٣ — أخرجه البخارى فى كتاب فضائل أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم : باب مناقب على رضى الله عنه ، وأخرج الترمذى فى ابواب المناقب باب فضائل على رضى الله عنه ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه ابن ماجه فى المقدمة باب فضل على رضى الله تعالى عنه .

٤ — مدينة شمال المدينة على بعد نحو ٣٠٠ ك م منها .

٥ — سنة ٥ هـ .

ويريد أنصار الرسول صلى الله عليه وسلم ــ وكانوا حلفاء لابن أبى الحقيق ، قبل مقدم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يضربوا الشر فى عقر داره •

فاجتمع خمسة(١) من الخزرج لقتل سلام ابن أبى الحقيق فَأَمَّرَ الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم عبد الله بن عتيك رضى الله عنه •

وانطلقت هذه الجماعة الى خيبر ، الى شيطان بنى النضير فدخلوا عليه بيته ، ووصلوا اليه فى غرفته العلوية ، فأغلقوها عليه وعلى زوجته ، ثم تناوشته سيوفهم ، وصرخت زوجته فلم يتعرضوا لها بأذى ، لأن حبيبهم ــ الرسول صلى الله عليه وسلم ــ أمرهم ألا يقتلوا وليدا ولا امرأة ، ثم تركوه ، بعد أن أغمد عبد الله بن أنيس رضى الله عنه سيفه فى بطن عدو الله ، واختفوا فى مدخل مجرى الماء الذى يدخل الحصن ، وبعد أن تأكدوا من موت عدو الله ، عادوا الى المدينة وقد ارتجت خيبر بالفزع من سيوف عصابة الحق •

يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه فى مقتل كعب بن الأشرف(٢) وسلام بن أبى الحقيق :

لله دَرُّ عِصَابَة لاقيتهم
يابن الْحُقيق وأنت يابن الأشرف
يَسْرُون بالبِيض الخفاف اليكم
مَرَحًا كَأُسْدٍ فى عرين مُغْرِفِ(٣)
حتى أتَوْكُم فى مَحَلِّ بلادكم
فسقوكم حتفا ببيض ذُفَّف
مستنصرين لنصر دين نبيهم
مستصغرين لكل أمر مُجْحِفِ(٤)

رحم الله أنصار رسول الله ، أنصار دين الله •

٢١- كُرْزُ بن جابر الفهرى رضى الله عنه

هو كرز بن جابر بن حسيل بن فهر القرشى الفهرى ، من أهل مكة ، أغار مرة على المدينة(٥) وهرب ، فتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وادى سفوان ــ غزوة سفوان ــ قرب بدر ، فلم يلحق به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن كرزا أسلم بعدها ، وهاجر الى المدينة وحسن اسلامه •

كانت ابل الرسول صلى الله عليه وسلم ترعى فى ناحية الجماء(٦) ، يرعاها يسار رضى الله عنه مولى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووصل جماعة من قبيلة عرينه ــ بطن من بجيله ــ الى المدينة وأظهروا الاسلام ، ثم أصابتهم ــ فى المدينة أمراض ، منها مرض الطحال وانتفاخ البطن ، فأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يذهبوا الى الجماء يستشفون بشرب ألبان الابل وأبوالها ، فذهبوا اليها وتولى يسار رضى الله عنه خدمتهم حتى شفوا وتحسنت صحتهم وجرت الدماء فى عروقهم ، فغدروا بيسار رضى الله عنه وقتلوه ذبحا وغرزوا الشوك فى عينيه وسرقوا الابل وهربوا بها •

فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم وراءهم كرز بن جابر رضى الله عنه فى سرية فلحق بهم واستطاع ــ باذن الله ــ أن

---

١ ــ عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، عبد الله بن أنيس ، أبو قتاده الحارث بن ربعى وخزاعى بن أسود رضى الله عنهم اجمعين •
٢ ــ راجع محمد بن مسلمة •
٣ ــ التفت أغصانه •
٤ ــ الذى يذهب بالنفوس والأموال •
٥ ــ اصاب بعض ابل المدينة التى تسرح للرعى سرح المدينة •
٦ ــ جبل من جبال المدينة •

قادة النبى صلى الله عليه وسلم

يطوقهم ويعود بهم فلما أحضرهم عوقبوا عقاب الذين يحاربون الله ورسوله ويفسدون فى الارض .

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١) » .

فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسملت أعينهم ، وتركوا فى الحرة(٢) حتى ماتوا .

وفى فتح مكة(٣) انفرد كرز بن جابر وحبيش بن خالد الخزاعى رضى الله عنهما عن فرقة خالد بن الوليد رضى الله عنه ، وهاجمتهم قريش ، فقتل حبيش رضى الله عنه فجعله كرز رضى الله عنه بين رجليه وأخذ يقاتل عن جثة صاحبه وهو يرتجز .

قد علمت صفراء من بنى فهر
نقية الوجه نقية الصدر
لأضربن اليوم عن « أبى صخر »(٤)

واستشهد كرز رضى الله عنه يوم

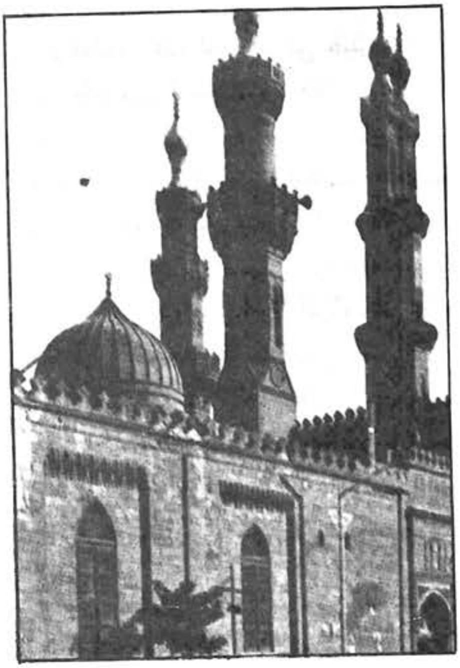

فتح مكة وهو يدافع عن جثة أخيه فى الاسلام : حبيش بن خالد الخزاعى ، رضى الله عنه .

للاستاذ ابراهيم عبد الرحمن ابو الغيط

١ ــ المائدة ٣٣ .
٢ ــ الحرة حد من حدود المدينة ــ طرف صخرية وفيها الجماء .
٣ ــ سنة ٨ هـ .
٤ ــ كنية حبيش بن خالد رضى الله عنه .

الدائرة الدعائية الثالثة

دعاية المنافقين

للأستاذ حسن على العنيبسى

تمهيـد :

قال تعـالى :

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » (١) •

وهنا نصل الى لون جديد من ألـوان الدعاية المضادة التى كانت ، وما تزال ، تمثل خطرا كبيرا على الاعـلام بالدين الجـديد •

وفى الحق ، انه لم يواجه الاسلام دعـاية شرسة ••• قوية ••• ذات تأثير مثل ما واجه دعاية المنافقين •

وفى هذا الفصل نتناول الأطر الأساسـية التالية ، فانها محور البحث فى هذا المقال :

(أ) من المنافق ؟

(ب) ولماذا نهتم بمناقشة دعاية المنافقين؟

(جـ) وما أهداف الدعاية المضـادة التـى يقوم بها المنافقون ؟

(د) وما أهم الأساليب والوسائل التـى استخدمها المنافقون لتحقيق هذه الأهـداف ؟

(هـ) كيف واجه الاعلام الاسلامى هـذه الدعاية •• ؟

(و) ثم ••• ما الفائدة التى تعـود علـى رجل الاعلام الاسلامى من هذه المناقشة ؟

(ز) ••• والى أى مدى يمكن تحيقق هذه الفـائدة •• ؟

هذه أسئلة نطرحها استدلالا على الطريق ، وقيدا لموضوع البحث حتى لا يتشـعب الى غيره •

المنافق والمنافقون

للمنافق وللمنافقين صـفة جـامعة ، فهم الذين يبطنون الكفر ويظهـرون الاسـلام حماية لرقابهم وكسبا لغنائم المسلمين ، وقـد اهتم الكتاب العزيز بتبيان صـفاتهم ، ولم يفضح قوما ما فضحهم يقول فيهم رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

« أربع من كن فيه كان منافقا ــ أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيـه خصـلة من النفاق حتى يدعها :

(١) صحيح البخارى ــ كتاب المظالم •

اذا حدث كذب ، واذا وعـد أخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » (١) .

وأنت اذا استقصيت النظر فى هذه الأربع وجدت كلا منها عليه الطابع العام للنفـاق ، وهو اخفاء شىء واظهار ما عـداه ، والعمـل على ما يوافق هذا المنطلق .

أهمية دراسة دعاية المنافقين :

ان تقصى أسـاليب المنـافقين فى حـربهم للاسلام والمسلمين ومعرفتها ــ عن وعـى ــ والوقوف على أهدافها لهو من الأهمية النافعة فى الكشف عن مدى قدراتهم لمواجهتها بأسلوب رادع كفيل بالقضاء عليها .

ان دعاية المنافقين أشد خطرا على الاسلام من دعاية المشركين والملاحدة وكـل أعـداء الاسلام الذين أسفروا عن وجوه العـداوة ، فعلم المسلمون عنهم مواقع أعمالهم وأهدافها ، فالمنافقون ــ بما أظهروا من الايمان يتمتعون بحقوق المسلمين كافة ويحظون بالثقة فيما بين المسلمين فلا تخفى عليهم خافية من أمـور المسلمين ، ثم هم يشاركونهم الجهاد ويحظون بالغنيمة ، ولا يمنع مانع أن يمـدوا أعـداء المسلمين بما يؤذيهم .

واذا كان النفاق نشأ فى مجتمع « المدينة » أساسا ، فهو امتداد لدعاية أهل الكتـاب ، فهم يشكلون ما اصطلح على تسـميته اليوم بـ « الطابور الخامس » ولذلك فهم يكملون ما لم يفعله المشركون أو أهل الكتاب .

(١) راجع هذه الظاهرة فيما كتبه فضيلـة الشيخ محمد متولى الشعراوى ــ أعداء الاسلام ــ مكتبة القرآن ــ ط ١٩٨١ .

وفى الحق أن النفاق ظاهرة اجتماعية تبدو (جماعتها) فى مواجهة قوة ذات سيادة قاهرة، أو قوة يخشى حسابها اذا هى أثيرت ، لـذلك لا نجد نفاقا فى مكة حيث كان المسـلمون ضعفاء ، ولكنه بدا فى « المدينة المنورة » حيث كان الاسلام والمسلمون قوة مرهوبة ، ففـى قوة الاسلام وعزة المسلمين تنتشر ظـاهرة النفاق ، وتخطط وتمارس تنفيذ مؤامراتها (١).

✽ أهداف دعاية المنافقين : ــ

هناك هدف « استراتيجى » كبير تعمل من أجله كافة الدعايات المضادة ومن بينها دعاية المنافقين ألا وهو « هدم الاسلام » ، وتختلف بعد هذا الأهداف المرحلية أو « التكتيكات » المتبعة حسب كل دعاية وسرعة وصولها المرادة للهـدف .. !!

واختلفت هذه الأهداف المرحلية حسـب الظروف السياسية فى بلاد المسـلمين فحينما يقوى المسلمون تزداد دعاية المنافقـين وتقل بقية الدعايات والعكس صحيح .. حينمـا يضعف المسلمون يقل النفاق وتشتعل حـرب الدعايات المضادة من الدوائر الأخرى .

ولكى يصل المنافقون الى بغيتهم اتبعـوا أهدافا مرحلية مثل : ــ

✽ تشويه صـورة الاسلام

وذلك بتقديم تصرفات وسلوكيات لا تليـق بأخلاق المسلمين يقومون بها نظرا لانتمائهم اللفظى للاسلام .. فهم يحسـبون علـى الاسلام وليسوا مسلمين .. !!

* ونعلم ان الدعاية الأفضل هى دعاية الأفعال وليست دعاية الأقوال وبالتالى فهم صورة سيئة للاسلام ان لم تكن منفرة •• !!

ومن هنا قد يصرفون غير المسلمين عن الاسلام من جهة •• !

* ومن جهة أخرى يقومون بزلزلة عقائد السذج وعامة المسلمين بما لديهم من تصورات خاطئة وفهم قاصر لجوهر الدين **وبهذا يبذرون بذور الشك فى العقيدة الاسلامية •• !**

* استخدام الاساليب المغرية فى شغل المسلم عن دينه واغرائه بمتاع الدنيا •• وتشجيع المسلم على التكاسل فى أداء واجبه نحو دينه •• !!

وسائل المنافقين فى حربهم دعوة الاسلام

القرآن الكريم هو رأس الأمر كله فى الاسلام ، ولذلك نجد أن أية دعاية مضادة تستهدف أول ما تستهدف فى تشويه هذا الكتاب المعجز •

* ولنشر البلبلة ، وصد نور القرآن قام كثير من المنافقين باختلاق الحديث ، وزعموا أنه من القرآن مضافا الى ذلك :

* المبالغة فى الزيادة عند تفسير القصص القرآنى ، وشاركهم — فى هذا الميدان — المنافقون من أحبار اليهود الذين أسلموا وفى قلوبهم مرض •

* التحريف فى آى الله عند الاستشهاد •

* الكذب على النبى — صلى الله عليه وسلم — باختلاق أحاديث ملفقة ولذا يلاحظ أن السلاح الدعائى للمنافقين هو « الكذب » ولقد تعرض علماء « الاعلام » لاستعمال الكذب فى الدعاية ، وفرقوا بين استخدام الكذب الصراح •• وبين خلط الحقائق بالأكاذيب •• وبين الكذب الخفيف أو تلوين الحقائق بما يتمشى مع الأهداف !•

وفى هذا الشأن قالوا بالدعاية السوداء التى لايعرف لها مصدر والتى تقوم على الكذب •• وتزييف الواقع •• وقالوا بالدعاية الرمادية المعروفة المصدر غير أنها تلون الحقائق بألوان الأهداف التى تسعى اليها !! ••

الاعلام الاسلامى متمثلا فى القرآن الكريم وكشفه لدعاية المنافقين ••

القرآن الكريم يمثل « الرسالة » فى نموذج « الاتصال » المعتاد ولقد تصدى هذا الكتاب العزيز للمنافقين وكشف خداعهم ، والقرآن حين يتصدى لمشكلة فانه دائما يتناولها من جذورها متتبعا أطوارها بضوء يكشف عن أمرها ويحكم بالفصل فى شئونها •

ومن هنا كشف القناع عن أمر المنافقين :

فألمح الى شياطينهم من رؤساء الكفر ، والنفاق ، وأهل الكتاب ، والواقع أنهم — كانوا فى أمرهم — على اتصال وثيق باليهود من جانب ورؤساء الشرك بمكة وغيرها من جانب آخر ، ولهذا كانت دعاية المنافقين امتدادا طبيعيا لدعاية الفريقين الآخرين ، وان كانت — فى ذاتها — أكثر خطورة ، وأخفى كشفا مما تحتاج — معه — مقاومتها ، الى خبرة وجهد

دعاية المنافقين

يؤود الانسان ، فكان — من رحمة رب العالمين — أن خفف الجهد عن المسلمين ، وكشف عنهم القناع .

قال تعالى : « وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ »(١) فكان هؤلاء الشياطين ، أى الرؤساء ، هم مدبرو أمر النفاق ومورثيه لأتباعهم ويوالى الكتاب العزيز ذكر صفاتهم ، فقال — عز من قائل :

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ — يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ » (٢) .

« إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا » (٣) .

« وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ » (٤) .

« اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ . وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ » (٥) .

« هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ » (٦) .

ولنا تعليق فى ضوء الآيات الكريمة من الناحية الدعائية :

تكفل الكتاب العزيز بتعريف جماهير المسلمين بالمنافقين من خلال صفاتهم قولا وفعلا : فالمنافق باطنه مخالف لظاهره ، فايمانه لفظى.. « وماهم بمؤمنين » .

---

(١) البقرة ١٤ .
(٢) البقرة ٨ — ١٢ .
(٣) النساء ١٤٢ ، ١٤٣ .
(٤) محمد — صلى الله عليه وسلم — ٣٠ .
(٥) المنافقون ٢ — ٥ .
(٦) المنافقون — ٧ .

وهم ــ فى حربهم للمسلمين .
لايسمون المسلمين بأســـــــمائهم ، وانما يرمونهم بأردأ الصفات : .. « أنؤمن كمـــا آمن السفهاء » .
ثم يتعدون القول الى الفعل :
« لَاتُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِنـــدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا » يحسبون ــ لعمق الكفر أن المال هو مدد هذه الدعوة « وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّـــمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَايَفْقَهُونَ » .

ومن العجيب الغريب ، المدهش المعجــز أن المال لم يمثل ــ فى ذاته ــ عقبة يوما ما فى نفوذ دعوة الاسلام وانتشارها .

واذ لم يجد ذلك نفعا ركزوا باستمرار على الصد عن سبيل الله واطلاق الجهـــد فى منع الناس عن الايمان .. " رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا » (٢) وهم فى هذا الجانب يصدون حتى أنفسهم عن رحمة الله .. « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ » .
مقتوا الايمان فمقتوا أنفسهم ، ولله أشـــد مقتالهم من أنفسهم « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَــوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ » (٢) .

ولقد كثرت دائرة النفاق فى مجتمــع الاسلام واتسعت مما يوجب على رجــل الاعلام الاسلامى أن يكون فى مســتوى أحداثه العالمية آخذا فى الحســـبان ــ متغيرات العصر ، وبخاصـــة فى مقاومته داخل المجتمعات النامية والمتخلفة ــ بكل أشكاله وألوانه ، فانه من أقوى أسباب تخلف هذه الدول مع قرينة: «الاستبداد» فان فى هذا أو ذاك ماينال من المسلمين .

حسن على العنيبسى

(٢) النساء ــ ٦١ .

(٢) غافر ــ ١٠ .

حقوق غير المسلمين

في التشريع

من مكارم السلوك والآداب في الإسلام

حقوق غير المسلمين
فى ظل تقنين
الشريعة الاسلامية

الدكتور عبد الله مبروك النجار

— ٢ —

رأينا فى مقال سلف أن الشريعة الاسلامية ليست بعيدة عن حكم كثير من تصرفات غير المسلمين فى مصر · كما أنها ليست غريبة فى التطبيق عليهم ، فانها تتناول بالتنظيم كثيرا من الروابط القانونية فى وقتنا الحاضر ، وهى فى هذا الصدد لا تقتصر على المسائل المالية ، بل تتعداها الى قضايا الأحوال الشخصية ذات الصلة الوثيقة بالعقيدة الدينية ، حيث تعتبر الشريعة الاسلامية ذات الولاية العامة فى حكم تلك المسائل ، اذ الشرائع الملية لغير المسلمين لا يتسنى اعمالها الا اذا توافرت شروط معينة نصت عليها المادة ٦ من القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ وهى اتحاد الخصوم فى الديانة والملة والطائفة ووجود مجالس ملية منتظمة لهم وقت صدور ذلك القانون · وعدم مخالفة تلك الشرائع للنظام العام ·

ولهذا كان التخوف الذى يبديه البعض من استكمال تطبيق الشريعة على ما بقى من تلك الجوانب لا معنى له · ولا يوجد ما يبرره · فالشريعة الاسلامية لا تمس حقوق غير المسلمين بل تحافظ عليها وترعاها وهى لا تفرق بين المسلم وغيره فى أمور المعاملات ، بل تكفل لغير المسلمين كثيرا من الحقوق التى قررها لهم الحق سبحانه وضمنها لهم بشرعه العادل(١) · وهذه الحقوق تقوم على أساس ثابت من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعمل الصحابة · كما يتسع نطاق تلك الحقوق ليشمل أمهات المسائل التى يعتبرها الفكر الانسانى المعاصر من أرقى أمانيه · ومن أعظم الحقوق التى قررها الاسلام لغير المسلمين وكفلها لهم : حرية العقيدة ، وحرمة

(١) راجع : مجلة الازهر ــ عدد ربيع الآخر ١٤٠٣ هـ ــ ص ٤٧٧ ــ ٤٨٦ ·

حقوق غير المسلمين
فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

الدماء والأعراض والأموال • وسوف نعرض لبيان تلك الحقوق وتأصيلها بالقدر الذى تقتضيه تلك الدراسة •

أولا : حرية العقيدة ، « لا اكراه فى الدين » :

ارتضى الحق سبحانه وتعالى الاسلام دينا لعباده ، فبعث به سيد الرسل وخاتم الأنبياء سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسله للبشرية كلها • بعد أن بلغت من تمام العقل ونضج الفكر ما جعلها مهيأة للهداية الكاملة فقرره نظاما يعبدونه به • وطريقا يوصلهم اليه ، وضمنه كل ما سبقه من هداية الأديان السابقة • وجعل الايمان به ايمانا بجميع الكتب المنزلة ، وتصديقا لجميع الأنبياء والرسل • قال تعالى : « **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ • وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**(١) » •

ولا شك أن الاسلام الذى نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو وحده الذى يقبله الله من عباده • اذ هو الدين الكامل الذى أنعم الله به على خلقه وجمع لهم فيه كل ما يتعلق بالعقيدة والشريعة قال تعالى : « **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**(٢) » ، وقد أطلق لفظ الاسلام على شرائع ما قبل الاسلام ومن ثم سمى تابعوها مسلمين ، لاتفاق تلك الشرائع مع الاسلام فى الاقرار بوحدانية الله سبحانه وتعالى وذلك هو أصل الدين ، قال تعالى : « **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** (٣) » وهى مع هذا الاطلاق لايغنى الايمان بها عن الايمان بما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ــ فان ما جاء به هو الدين الكامل الذى يغنى الدخول فيه عما سواه • ولا يغنى عنه ما سواه •

يقول الامام ابن كثير : « **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** » هو الاسلام وقد أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد أكمله لهم • فلا يحتاجون الى دين غيره ولا الى نبى غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه • ولهذا جعله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه الى الانس والجن • فلا حلال الا ما أحله ولا حرام الا ما حرمه ولا دين الا ما شرعه ، وكل شىء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى : « **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا** » أى صدقا فى الاخبار وعدلا فى الأوامر والنواهى(٤) » فالاسلام هو الدين الحق • والنعمة التامة • والهداية الكاملة •

حرية العقيدة فى مفهوم الشريعة :

ولما كان الاسلام هو الدين الكامل والنعمة التى أتمها الله لعباده • فلم يشأ الحق سبحانه

(١) المائدة ــ آية ٣ •
(٢) ال عمران ــ آية ٨٥ •
(٣) الانبياء آية ٢٥ •
(٤) مختصر تفسير ابن كثير • حـ ١ ص ٤٨٢ •

وتعالى أن يكون الايمان به عن قسر واكراه • اذ الخير لا يكره عليه انسان ، والنعمة لايحمل عليها أحد ، والقسر والاكراه لا يتصور وجودهما الا فى أمر يحصل فيه ضرر ولو كان محتملا ، وحاشا لدين الله أن يكون كذلك فالخير كل الخير فيه • ومن هنا كان الدخول فيه منة الله على المسلم • قال تعالى : « **بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ**(١) » ولذا فقد ترك الحق سبحانه وتعالى أمر الايمان به لحرية العبد وما ركبه فيه من قدرة على الاختيار وتدبر الأمور ووزنها بميزان صحيح يستخدم فيه عقله وادراكه ، وأبعد عنه كل وسائل الضغط والاكراه حتى يكون وصول العبد الى خالقه بكامل ارادته واختياره • وقد اقتضت حكمة الله ذلك • فأمر رسله وأنبياءه ببيان ما أرسلوا به للناس دون ضغط أو اكراه • ليحصل ذلك المقصود كما أراد الحق سبحانه وتعالى من رسله ، وكما رسمه لسيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •

منهج دين الله فى كل شرائع السماء :

ولهذا كان منهج الدين فى كل شرائع السماء يركز على عدم اكراه الناس ليدخلوا فى دين الله ، وهاهو القرآن الكريم يحكى على لسان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مايدل على هذا المعنى ويوضحه ويؤكد عليه ، فأخبر على لسان نبى الله نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام قوله تعالى : « **قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَآتَانِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ** » حيث يظهر واضحا من قول الله تعالى أنلزمكموها وأنتملها كارهون ، عدم الاكراه على الدعوة ونفى القسر فى قبولها • وغصب الناس عليها(٢) •

وحكى على لسان نبى الله هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام قوله تعالى : « **فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ**(٣) » فجعل غاية دعوته هى البلاغ وبيان ما أرسل به • دون أن يشغل نفسه بما يحملهم على اتباعه عند توليهم عن دعوته ورغبتهم عنه • كما أخبر على لسان أبى الأنبياء سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام قوله تعالى : « **فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**(٤) » فقد فوض أمره فيمن خالفوه الى الله الغفور الرحيم دون أن يحصل منه ما يؤثر على ارادتهم فى قبول دعوته(٥) ، كما حكى عنه رده الجميل على أبيه حين أعرض عنه وتوعده بالرجم قوله : « **سَلَامٌ عَلَيْكَ**(٦) » اى لا خوف عليك منى من اعراضك عنى وعدم اتباعك لدعوتى •

وعلى هذا النحو المستقيم جاء توجيه الله لنبيه موسى وأخيه هارون عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام ، حيث أمرهما بقوله : « **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** (٧) » فقد أمرهما أن لا يخاطبا فرعون

(١) الحجرات ـ آية ١٧ •

(٢) ابن كثير ـ المرجع السابق ـ حـ ٢ صـ٢١٨ •
(٣) هود آية ٥٧ .
(٤) ابراهيم ـ آية ٣٦ •
(٥) ابن كثير المرجع السابق ص ٣٠١ .
(٦) مريم آية ٤٧ .
(٧) طه ـ آية ـ ٤٤ •

حقوق غير المسلمين
فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

وقومه الا بالملاطفة واللين بعيدا عن العنف والاكراه والتعصب ، وكم فى هذا القول الكريم من توجيه وعظة يستحيل معهما وجود الاكراه فى الدعوة الى الله • ثم ما أجمل ما حكاه القرآن عن نبى الله عيسى بن مريم على نبينا وعليهما أفضل الصلاة وأتم السلام قال تعالى : « **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ، إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**(١) » أى ما دعوتهم الا بما أرسلتنى به وأمرتنى بابلاغه لهم أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وقد قلت لهم ذلك مقرونا بالحجة والدليل دون ضغط أو اكراه • وليس لى من سلطان على المخالفين فان مردهم اليك• وهم عبادك وأنت الغفور الرحيم(٢) •

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعا من الرسل فى منهج دعوته الى الله ، بل جاءت رسالته على النحو الذى سنه الله للرسل والأنبياء قبله ، آية فى التسامح وعنوانا على الصفح بعد أن أودع فيها من أسباب الكمال وأسرار الجلال • ما يحفظ مسيرتها بين

(١) المائدة — آيتى ١١٧ — ١١٨ .
(٢) ابن كثير — المرجع السابق — حـ ١ ص ٥٦٤ وما بعدها •

الأجيال على تلك السنة الحميدة والطريقة القويمة ، بعيدا عن تيارات التعصب وأعاصير الاكراه الى ما شاء الله ، قال تعالى : « **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِى أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (٣) »

حرية العقيدة وجوهر الايمان بالله :

وقد ربط الحق سبحانه وتعالى بين حرية العبد واختياره الايمان ، وبين وجود حقيقة ذلك الايمان فى قلبه • ربطا لا يقبل الفصل ، ومن ثم فإن الايمان اذا حصل الاقرار به عن غير طريق الطواعية والاختيار ، فلن يكون له أى أثر أو اعتبار فالحق سبحانه قد حكم باهدار الاقرار بالايمان ، اذا جاء تحت وطأة ظروف، يستبين معها عدم اقبال العبد على ربه بالايمان عن اقتناع واختيار ، كما لو جاء الاقرار به وليد الخوف من العذاب أو الغرق أو الموت • ولعل فى قصة فرعون ما يرشد الى هذا المعنى• فقد أهدر الحق سبحانه ايمانه حين أدركه الغرق فقال سبحانه : « **حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**(٤) » فرد الله اقراره بقوله : « **آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ**

(٣) يوسف — آية ١٠٨ .
(٤) يونس — آية ٩٠ .

مِنَ الْمُفْسِدِينَ(١) » أى أهذا وقت يعتد فيه بذلك القول ، وقد تراكمت فوقك الأمواج وغشيتك سكرات الموت ؟ كلا !

وقد حكى الله تعالى لنبيه — صلى الله عليه وسلم — ما قاله فرعون بالوحى عن طريق جبريل ليكون حاله عظة وعبرة للمؤمنين فى هذا الأمر الهام(٢) ، ويدل على هذا المعنى قول الله تعالى : « فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ، فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ(٣) » فقد أرشدت هاتان الآيتان الكريمتان من كتاب الله • الى حكم الله فى كل من يؤمن به عند معاينة العذاب ، حيث قضى بعدم قبول هذا الايمان(٤) وذلك لحصوله عن غير طريق الاختيار الذى يريده الله من عباده • وقد خلقهم لهذا المقصود • ولو شاء لجعلهم ملائكة يعبدونه بالجبلة ويفعلون ما يؤمرون ، ومما يؤكد هذا المعنى قول الله تعالى : « وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(٥) » فقد أهدر الله التوبة اذا جاءت عند

(١) يونس — آية ٩١ .
(٢) ابن كثير — المرجع السابق — حـ ٢ ص ٢٠٦ •
(٣) غافر — آيتى ٨٤ ، ٨٥ .
(٤) ابن كثير — المرجع السابق — حـ ٢ ص ٢٥٣ •
(٥) النساء — آية ١٨ .

الموت ويستوى فى هذا الرد التوبة من المعاصى ومن الكفر ، وقد روى عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضى الله عنهما أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « ان الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر(٦) » •

وعلى هذا النحو يرتبط الايمان بالله ، وحرية اختيار هذا الايمان ، ارتباط المقدمة بالنتيجة ، بالقدر الذى ينتفى معه وجود ذلك الايمان اذا لم يأت عن فكر وتأمل واعمال نظر واختيار • ولهذا فقد خير الحق سبحانه وتعالى عباده بقوله : « وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ(٧) » وبالقدر الذى يستحيل معه وجود الاكراه فى تحصيل حقيقة الايمان بالله سبحانه وتعالى •

مشروعية القتال وحرية العقيدة :

ولم تأت مشروعية القتال فى الاسلام الا تأكيدا لمبدأ حرية العقيدة وحماية للاسلام فالدعوة التى تربط بين جوهر الايمان واختياره وتكفل لغير المسلمين الأمان على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، لابد أن تكفل للمسلمين كما تكفل لغيرهم نفس المبدأ ، فاذا كان الله سبحانه وتعالى قد وفقهم للايمان وهداهم للاسلام فاختاروه طريقا الى الله وأرادوه سبيلا اليه فليس من الحق أن يتعمد مخالفوهم صدهم عن هذا الدين واكراههم للرجوع عنه ، ويكون من العدل بل ومن الحكمة أن يتقرر القتال للدفاع عن اختيار المسلمين

(٦) الغرغرة هى وصول الروح للحلقوم • وقد روى هذا الحديث الترمذى — راجع رياض الصالحين — للنووى — ص ١٩ — دار الحديث — ببيروت •
(٧) الكهف — آية ٢٩ .

حقوق غير المسلمين
في ظل تقنين الشريعة الإسلامية

وحرية عقيدتهم ، حماية للدعوة من النكوص بها عن طريقها ، والردة بالمسلمين الى ما لا يرضونه ، وفتنتهم عن الدين الذى اختاروه • ولهذا كانت الفتنة عن دين الله أشد عند الله من القتل • ومن ثم فقد شرع الجهاد فى الاسلام للدفاع عن الدين ممن يلاحقون اتباعه بالأذى ويجاهرون دعوته بالحرب ردا لتلك الفتنة • وقطعا لدابر الشر ، قال تعالى : «**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**(١) » وقال تعالى : « **فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**(٢) » ، فهو ــ اذا ــ لا يعدو أن يكون وسيلة حوار من جنس ما يتحاور به الأعداء ، ولم يشرع الجهاد فى الاسلام لحمل الناس على الدخول فيه ــ كما يحلو لكثير من الناس أن يتقولوا عليه بذلك ــ فقد جعل الله سبب الجهاد دفع الأذى ورد الفتنة وتلك أيضا غايته ، ولم يكن من مقاصده ارغام الناس للدخول فى دين الله فذلك فضل الله ، يهدى الله لنوره من يشاء ؛ وقد جعل الحق سبحانه غاية القتال دفع الجزية لتكون علامة على كف الأذى ودليلا من غير المسلمين على ترك الاعتداء ورغبتهم فى المعايشة مع المسلمين فى وئام وسلام • قال تعالى : « **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**(٤) » ، يقول الامام القرطبى : « ان حتى تفيد بيان الغاية التى تمتد اليها العقوبة ، وتعين البدل الذى ترتفع به(١) » •

ولم تتقرر الجزية للضغط على غير المسلمين بل وجبت عليهم كنوع من المشاركة فى تحمل أعباء الدولة الاسلامية التى تحميهم وترعاهم كما وجبت الصدقات على المسلمين •

مصادر حق غير المسلمين فى الشريعة الاسلامية :

اذا كف غير المسلمين عن التصدى للدعوة • وقبلوا دفع الجزية ، كان معنى ذلك أنهم قبلوا العيش مع المسلمين فى مجتمع واحد ، تسود فيه أحكام الاسلام السمحاء وتطبق على جميع أفراده مبادىء الشريعة الغراء ، ويكون لغير المسلمين حقا يرجع الى حرية العقيدة ، من مقتضاه أن لا يقع عليهم اكراه فى الدين ، ويستمد ذلك الحق مصدره من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة :

١ ــ من الكتاب :

يقول الله تعالى : « **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**(٥) » •

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم :

(١) البقرة ــ آية ١٩٠ .
(٢) البقرة ــ آية ١٩١ .

(٣) التوبة ــ آية ٢٩ .
(٤) تفسير القرطبى ــ حـ ٢ ص ١١٠ .
(٥) البقرة آية ٢٥٦ .

يقول الامام ابن كثير : « أى لا تكرهوا أحدا على الدخول فى دين الاسلام ، فانه بين واضح ، جلى دلائله وبراهينه • لا يحتاج الى أن يكره أحد على الدخول فيه ، بل من هداه الله للاسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فانه لا يفيده الدخول فى الدين مكرها مقسورا(١) » •

ويقول الله تعالى : « **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**(٢) » •

ووجه الدلالة فى تلك الآية الكريمة :

ان الحق سبحانه قد بين لنبيه صلى الله عليه وسلم أن الايمان معلق بمشيئته هو ولو شاء لهدى الناس جميعا اليه ولكن اقتضت حكمته ذلك ليصل الناس اليه بارادتهم واختيارهم • وما كان لك يا محمد أن تلزم الناس وتلجئهم الى الايمان ، أى ليس ذلك عليك فلا تفعله(٣) • وفى هذا دليل على عدم جواز اكراه الناس على الدخول فى الاسلام •

٢ ــ ومن السنة :

ما رواه عثمان بن صالح عن عبد الله بن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير قال: « كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن ، أنه من كان على يهودية أو نصرانية فانه لا يفتن عنها وعليه الجزية(٤) » •

(١) ان كثير ــ المرجع السابق ــ حـ ١ ص ٢٥٦ •

(٢) يونس ــ آية ٩٩ •

(٣) ابن كثير ــ نفس المرجع ــ حـ ٢ ص ٢٠٨ •

(٤) الاموال ــ لابى عبيد ــ ص ٣٥ •

ووجه الدلالة فى هذا الحديث :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم • قد نهى فى كتابه عن فتنة غير المسلمين من اليهود والنصارى عن دينهم • وفى هذا دليل على عدم جواز اكراههم على الدخول فى الاسلام •

٣ ــ ومن آثار الصحابة :

ما روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه صالح أهل حمص على أن يؤمنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم • وكنيستهم(٥) »•

وجاء فى العهد الذى أعطاه لأهل القدس أنه أعطاهم الأمان لأنفسهم ولأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ألا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم(٦) » •

ومنها التعهد الذى كتبه عمرو بن العاص لأهل مصر، وفيه : « بسم الله الرحمن الرحيم هـذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصليبهم وبرهم وبحرهم لا ينقض عليهم شىء من ذلك ولا ينتقض ثم قال : وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وعلى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين(٧) » •

(٥) البلاذرى ــ فتوح البلدان ــ ص ١٣١ •

(٦) الطبرى ــ حـ ٣ ــ ص ٢٠ والخراج لأبى يوسف ــ ص ١٤٨ وما بعدها •

(٧) النجوم الزاهرة ــ حـ ١ ص ٢٤ ــ دار الكتب المصرية •

ووجه الدلالة فى هذه الآثار :

أنها قد أفادت عدم اكراه غير المسلمين على الدخول فى الاسلام حيث جاء فيها ما يحمى عقائدهم ويحفظ كنائسهم ، بل وجاء فى كتاب عمر بن الخطاب النص صريحا على عدم اكراههم على الدين ، وقد اتفقت هذه الآثار مع الكتاب والسنة ، فكان فى ذلك دليل على عدم جواز اكراه الناس على الدخول فى دين الله .

اختلاف العقيدة وأثره على التعامل :

ومن مفاخر الاسلام أنه حين أكد على مبدأ حرية العقيدة ، لم يكن لينال من المكانة الاجتماعية لغير المسلمين أو يفرق بينهم وبين المسلمين فى المعاملة ، بل شمل الجميع برحمته، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكثير مما يدل على هذا المعنى :

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة(١) » .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيرا أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم(٢) » ومر يوما بباب قوم وعليه سائل يسأل : شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودى ، قال فما ألجاك الى ما أرى ؟ قال : « اسأل الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده وذهب به الى منزله وأعطاه شيئا من المال . ثم أرسل الى خازن بيت المال فقال أنظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ، ثم نخذله عند الهرم . ووضع عنه الجزية وعن ضربائه(٣) » .

حرية العقيدة والدعوة الى الله :

ولما كانت الدعوة الى الله هى باب الوصول اليه ، وطريق القرب منه من خلالها يحصل العلم بأصول الدين وعن طريقها يمكن الوقوف على أحكام التشريع ، فقد وضع الحق سبحانه لها من الضوابط مايحقق ذلك المقصود ، وجعل أمرها شركة بينه وبين خلقه ممن اصطفاهم لأمرها من الأنبياء وورثتهم من العلماء ، فاختصهم من أمر الدعوة بالمنهج، وتفرد سبحانه بالغاية من الدعوة ، حتى لايختلط أمرها على الدعاة . وحتى يعمل كل داعية فى اطار مارسمه الحق سبحانه من البلاغ وتبيين أحكام الله للناس ، وليترك أمر الهداية وخلق الاعتقاد الصحيح فى قلوبهم

(١) الخراج — ص ١٣٥ وما بعدها .
(٢) المرجع والمكان السابقين .
(٣) الخراج — ص ١٣٦ .

لله ، وبهذا يربأ الداعية عن اقحام نفسه فى أمر ليس من شأنه ولا هو من اختصاصه • ومن المؤكد أن هذا الدخول سوف يجره الى أمور تضر بالدعوة وتصرف الناس عنه • وقد يسوقه ذلك الى حمل الناس واكراههم على قبول دعوته فيفوت ذلك المقصود الشرعى ولهذا كان الالتزام بحدود المنهج فى الدعوة الى الله واجبا •

التزام المنهج فى الدعوة الى الله :

والتزام حدود المنهج فى الدعوة الى الله يتمثل فى تبليغ الرسالة واعلامها للناس على نحو ما رسمه لسيد الدعاة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أمر أن يبلغ رسالة ربه كاملة ودون اهدار لجانب على حساب آخر فيها ، قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** » (١) وقال تعالى : « **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** » (٢) •

ومنهج الدعوة هو الحد الذى ينبغى أن يقف عنده طموح أى داعية لأنه القدر الذى رسمه الله لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(١) المائده ـ آية ٦٧ .
(٢) النحل ـ آية ٤٤ .

ولن يكون هناك داعية أعظم منه • قال تعالى: « **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ، إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ** » (٣) وقال تعالى : « **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ** » (٤) •

غاية الدعوة الى الله :

أما غاية الدعوة الى الله فهى الهداية وخلق الاعتقاد فى القلب ، وأمرهما لايدخل تحت قدرة البشر • وانما تنفرد به ارادة الخالق سبحانه لايشاركه فيه أحد من خلقه أيا كان •

يقول الامام محمد عبده فى تفسير قول الله تعالى : « **لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ** » حدد الله الأمر الذى بعث لأجله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو تذكير الناس بما نسوه من أمر ربهم • وليس فى سلطانه عليه ـ الصلاة

(٣) الشورى ـ آية ٤٨ .
(٤) الغاشية ـ آية ٢٢ .

حقوق غير المسلمين
فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

والسلام أن يخلق الاعتقــــاد فيهم ولا من المفروض عليه أن يقوم رقيبا على قلوبهم لأن الله هو المسيطر عليها ، وهو صاحب السلطان على ماتسر • قال تعالى : « **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** » (١) •

وقد بين الحق سبحانه هذا المعنى لنبيــه عليه الصلاة والسلام فى أكثر من آية ، قــال تعالى : « **إِنَّكَ لَاتَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّـهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ** » (٢) وقال تعــالى : « **إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِى مَن يُضِلُّ** » (٣) وقال تعالى : « **وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى** » (٤) •

وعلى هذا النحو وضع الحق سبحانه مــن خلال بيان ضوابط الدعوة ، مايحقــق تلك الغاية المقصودة • حتى لايكون هناك اكـراه من أحد فى دين الله ، ويكون ذلك المبــدأ قد لقى من اهتمام شريعة الله مايليق به ، فــلم يقتصر الامر فيه على التقرير النظرى بــل تعداه الى التطبيق العملى ، بالقدر الــذى يكشف عن سمو الشريعة الاســـلامية •

وصلاحيتها لحكم تصرفات جميع النــاس فى كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومــن عليها •

وقد قرر الحق سبحانه لغير المسلمين كثيرا من الحقوق ، مع ما قرره لهم من حرية العقيدة ، منها حــرمة الدماء والأعراض والأموال ، وسوف تستكمل بمشيئة الله دراسة تلك الحقــوق فى مقالنا القــادم باذن اللــه ، واللـــه المستعان •

(يتبــع) ••

عبد الله مبروك النجار

---

(١) الإنفال ــ آية ٢٤ •
(٢) القصص ــ آية ٥٦ .
(٣) النحل ــ آية ٣٧ .
(٤) الأنعام ــ آية ٣٥ .

آداب الطعام

للمستشار محمد عزت الطهطاوي

مما يمتاز به الاسلام على غيره من العقائد والأديان أنه لايجعل من الفضائل والآداب سلعا فى سوق التجارة تعرض على مقياس الربح والخسارة يتأرجح الانسان بينهما ايجابا وسلبا بتحريك المنفعة ولكنه يرتفع بها الى الواجب الذى يقتضى ولو من قبيل الأدب والتزام به لذاته .

من أجل ذلك ربط الاسلام السلوك والآداب التى يقررها وينظمها بالايمان ربطا وثيقا ، وجعل اهتزاز هذا السلوك فى حياة المنتسب اليه دليلا على اهتزاز الايمان فى قلبه .

كيف سار الاسلام فى تكوين سلوك وآداب المسلمين ؟

لقد سار الاسلام فى تكوين سلوك وآداب المنتسبين اليه مسلكا شملهم من جميع نواحيهم فاتخذ من الوسائل أوفاها ومن السبل أقربها ومن الذرائع أنبلها وأنجعها يقول الله تعالى عن ذلك فى كتابه الكريم (**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**) (١) ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (**انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) (٢) .

وهذه السبل والذرائع الكريمة التى قررها الاسلام تشتمل آدابا كثيرة وفضائل كبيرة تلازم المرء منذ طفولته وهو نشء صغير وتلازمه طيلة حياته بعد ذلك مما يقتضى من المسئولين عن تربيته سواء فى البيت أو فى دور العلم والدراسة تعويده سلوك الكمال لأن الطفل اذا عود الخير وعمله نشأ عليه وسعد فى الدنيا وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر وأهمل اهمال الحيوان والأنعام شقى وهلك وكان الذنب والوزر عليه وعلى المتولى أمره يقول الله تعالى (**يَا أَيُّهَا**

---

١ ــ الاسراء ــ ٩ .
٢ ــ رواه مالك بالموطأ .

آداب الطعام

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١) •

ولنبدأ بالكلام عن آداب الطعام : نظرا لأن غريزة الطعام من أولى غرائز الانسان تنشأ فطرية معه بعد مولده وتلازمه طوال حياته •

أولا : أن يطعم ويشرب الحلال الطيب ، لأن الله طيب لايقبل الا ماكان طيبا وقد أمر عباده أن يأكلوا الحلال الطيب وأن يجتنبوا الحرام الخبيث يقول تعالى (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** (٢)) ، ومما لاجدال فيه أن الطيب هو ماكان بعيدا عن محرمات الأطعمة التى ذكرها القرآن الكريم فى الآية الثالثة من سورة المائدة قال تعالى (**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**) كما أن الطيب من الشراب هو ما كان بعيدا عن الخمر وما شاكلها من المسكرات قال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) (٣) •

ثانيا : أن يكون مطعمه طاهرا من الحرام كالربا أو السرقة أو الغصب أو السحت فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس ان الله تعالى طيب لايقبل الا طيبا • ان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين وقال تعالى ـ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ـ وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ـ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء ويقول: يارب يارب ومطعمه من حرام ومشربه من حرام وملبسه من حرام وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب له) (٤) •

ذلك أن التشبع من المال الحرام يميت القلب ويجعل الدعاء بعيدا عن الاجابة والقبول أما المحافظة على المطعم الحلال فانها تحيى القلب وتجعل الدعاء أرجى للقبول عند الله •

وقد كان السلف الصالح يحرصون على تحرى الحلال فى كل أحوالهم حتى أن سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان لايأكل طعاما ولايشرب شرابا ولايلبس ثيابا ولايقتنى متاعا الا اذا عرف أنه قد أتاه عن طريق حلال حتى يبارك الله فيه وكان من عادته أن يسأل خادمه عن مصدر مايحضره له من طعام أو شراب (٥)•

ثالثا : النهى عن الافراط فى الطعام ، وذلك بالنهى عن كثرة الأكل والشراب ، والاسراف فيهما وهذا ما أكده الطب فى زماننا المعاصر ،

---

١ ـ التحريم ـ ٦ •
٢ ـ البقرة ـ ١٦٨ •
٣ ـ المائدة ـ ٩٠ •
٤ ـ أخرجه مسلم والترمذى •
٥ ـ د • محمد السيد طنطاوى ـ الدعاء

لأن كثرة الأكل والشرب تفسد المعدة وتضعف الجسم وبذلك يضعف الفكر ويخمد الذهن وينحط الادراك ، واذا حجب القلب عن الادراك ومنع الذهن عن الحركة فى المعقولات خسر صاحبه بابا كبيرا من العبادات لأن مقصود العبادات انما هو الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق وكثرة الاكل مانعة منه (١) يقول الله تعالى (**وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٢)** وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) (٣) •

ويعلق الدكتور محمود أحمد نجيب أستاذ الجراحة بكلية طب جامعة عين شمس على هذا الاعجاز القرآنى والهدى النبوى فيقول (ان العلماء لم يفهموا الا منذ عهد قريب خطورة الاسراف فى الطعام والشراب ذلك لأن زيادة الوزن والترهل يصاحبهما فى كثير من الأحيان الاصابة بمرض السكر وارتفاع ضغط الدم ، وزيادة التعرض للاصابة بتصلب الشرايين وما ينتج عنه من حدوث جلطة بالشريان التاجى ، والاصابة بالذبحة الصدرية أو جلطة أو نزيف بالمخ أو انسداد شرايين الساق وحدوث غرغرينا أو تلف بجدار الشرايين ولاسيما « الأورطى البطنى » مما ينتج عنه تمدد بالشريان ينتهى (مالم يستبدل بآخر من مادة الدكرون) الى حدوث نزيف قاتل •

وقد اثبتت الاحصائيات أن زيادة الوزن يصحبها زيادة نسبة الوفيات نتيجة الأزمات الصحية الخطيرة التى تحدث بسبب الترهل وارتفاع الدهنيات بالدم ، وليس هناك من علاج الا اتباع أمر الله ــ (**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَتُسْرِفُوا**) ــ فان علاج السمنة لايكون الا بالاعتدال فى المأكل والمشرب وكل المحاولات للعلاج بالادوية قد ثبت فشلها ، بل أيضا خطورتها البالغة على حياة المرضى) (٤) انتهى كلامه •

رابعا : تبيان المواضع التى أباح الله الأكل منها من بيوت أقاربه كأبيه وأمه وأخيه وأخته وعمه وعمته وخاله وخالته أو صديقه بقول الله تعالى (**وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَامَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا**) (٥)•

خامسا : تعلم السلوك الاسلامى الحميد خلال تناول الطعام ، فينبغى على من يتناول الطعام :

١ ــ أن يسمى الله تعالى •

٢ ــ أن يأكل بيمينه •

٣ ــ ألا تطيش يده على مائدة الطعام دون نظام أو ترتيب •

٤ ــ أن يأكل مما يليه •

---

١ ــ محمد أحمد جاد المولى بك ــ الخلق الكامل
٢ ــ الأعراف ــ ٣١ •
٣ ــ رواه الترمذى •
٤ ــ د • محمود أحمد نجيب ــ الطب الاسلامى •
٥ ــ النور ــ ٦١ •

آداب الطعام

يقول عمر بن أبى سلمه رضى الله عنهما (كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصفحة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك) (متفق عليه) .

وقوله تطيش فى الصفحة يعنى تتحرك وتمتد الى نواحى الصفحة .

سادسا : ألا يعيب الطعام المقدم اليه فاذا اشتهاه أكله واذا كرهه تركه يقول أبو هريرة رضى الله عنه (ماعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله وان كرهه تركه (متفق عليه) .

سابعا : ألا يأكل وهو مضطجع او متكىء وذلك تسهيلا لعملية الابتلاع فعن أبى جحيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا آكل متكئا) (رواه البخارى) .

ثامنا : ألا يتنفس الشارب فى الاناء عند شرابه منه لما فى ذلك من اختلاط سائل الشراب بما يحمله هواء المتنفس من ذرات وأتربة فى نفسه ، فعن أبى قتادة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس فى الاناء (متفق عليه) .

وألا ينفخ من يريد الشراب فيه يقول أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ فى الشراب (رواه الترمذى) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس فى الاناء وينفخ فيه (رواه الترمذى) .

تاسعا : وبعد الانتهاء من تناول الطعام والشراب على المسلم أن يشكر الله تعالى على تلك النعمة ويقول كما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا) (رواه البخارى) .

عاشرا : اذا فرغ المسلم من طعامه عليه أن يغسل أعضاءه التى مست الطعام وهذا من قبيل النظافة التى يعتنى بها الاسلام أيما عناية يقول الله تعالى (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**) (١٩) وفيما ترويه السيدة عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الاسلام نظيف فتنظفوا — فانه لا يدخل الجنة الا نظيف) (رواه الطبرانى فى الأوسط) وقد ثبت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتمضمض بعد الطعام ويقول سويد بن النعمان خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فلما كنا بالصهباء دعا بطعام فما أتى الا بسويق فأكلنا فقام الى الصلاة فتمضمض ومضمضنا) (رواه البخارى) .

وبعد ..

فهذه أهم آداب الطعام فى الاسلام سلوك حميد وأدب رقيق ، بالعمل على تكرارها والمداومة على فعلها يصبح اتيانها وممارستها عادة لازمة وطبعا دائما وبذلك تصير خلقا كريما للمرء المسلم تصدر عنه تلقائيا من غير سبق تدبير أو تقدير بحيث يكون انطباعا من انطباعات النفس وحالا من حالاتها تحملها على الفعل من غير حاجة الى تأمل أو تفكير أو روية .

المستشار/محمد عزت الطهطاوى

من أعلام الأزهر

الأستاذ الدكتور

محمد عبد الله دراز

هو علم شامخ من أعلام النهضة الاسلامية البارزين فى مصر فى القرن العشرين ، وقمة شاهقة بين علماء الفكر الدينى والاسلامى ، وبحر عميق الأغوار فى الثقافات الانسانية والعالمية فى العالم ٠

نشأ فضيلته فى بيت عامر بالتقوى والصلاح والعلم والعرفان ، والسماحة والعطاء محفوفا برعاية والده الفاضل الشيخ عبد الله دراز – شيخ علماء دمياط – فاقتبس فضائل والده المروءة والشهامة ، وحب العلم والصلاح ٠

من أبرز صفاته الشخصية ، الفطنة والذكاء والحلم والأناة ، والتواضع والوداعة والوفاء والجرأة والصلابة فى الحق والاقدام ، ومواقفه شهيرة فى نشر رسالة الاسلام ، والعمل على تبليغها فى عالم الغرب ٠

عرف فضيلته بلباقته فى الحديث ، ولين العريكة فى المعاملة ، وحدبه على مرافقيه ، فهو الصديق الوفى عند النوائب ، والشهم الشجاع فى الملمات ، والمخلص المنجد عند الشدائد ، ولهذا كان حبيبا الى كل من عرفه ورافقه ٠

– كانت ولادته فى قرية محلة دياى فى محافظة كفر الشيخ سنة ١٣١٢ هـ/١٨٩٤ م ٠

– حفظ القرآن الكريم وهو فى العاشر من عمره ، ثم التحق بالأزهر ٠

– انتقل الى الاسكندرية فى اوائل سنة ١٩٠٥ م ٠

– التحق بالمعهد الدينى فى مدينة الاسكندرية ، وحصل على الشهادة الثانوية فيها سنة ١٩١٢ م ٠

– أجازه العلامة الشنقيطى بالتحديث ، وهو فى طريقه لأداء فريضة الحج فى القاهرة فى كتاب الاجازة المنشورة لاحقا ٠

– حصل على الشهادة العالمية النظامية سنة ١٩١٦ م ٠

– عين مدرسا عقب تخرجه بمعهد الاسكندرية الدينى ٠

– انصرف الى دراسة اللغة الفرنسية فى المدارس الليلية ، وكان اول الناجحين فى شهادة القسم العالى منها سنة ١٩١٩ م ٠

– اختير للتدريس بالقسم العربى فى الأزهر الشريف سنة ١٩٢٨ م ثم بقسم التخصص سنة ١٩٢٩ م ثم بالكليات الازهرية سنة ١٩٣٠ ثم فى قسم التخصص بها ٠

– صنف فضيلته كتابه (المختار) سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣٠ م عندما عهد اليه بتدريس مادتى التفسير والحديث فى كلية اصول الدين ٠

– اشرف على طباعة شرح والده على كتاب (الموافقات للشاطبى) ٠

ابتدأ فضيلته بكتابة بحوث فى القرآن

للأستاذ محمد الطاهر الزنكلوني

الكريم ، قدمها بين يدى التفسير ، فأملاها على طلاب كلية أصول الدين ، بالجامع الازهر المعمور سنة : ١٩٥٢ هـ /١٩٣٢ م ، وطبعت منها ملازم معدودة ، ثم حالت شئون المؤلف عن اتمام وضعه ، بله اكمال طبعة فى حينه .

قصد فضيلته بيت الله الحرام ، لأداء فريضة الحج سنة ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦ م .

اختير مبعوثا من الجامعة الازهرية الى فرنسا للالتحاق بجامعة السوربون فى باريس فأمضى خارج القطر المصرى اثنى عشر عاما من غرة ربيع الاول سنة ١٣٥٥ هـ/الى منتصف ربيع الثانى سنة ١٣٦٧ هـ (مارس ١٩٣٧ م — مارس ١٩٤٨ م) .

نال « الليسانس » من السوربون سنة ١٩٤٠ م .

ابتدأ فضيلته بتحضير رسالتى الدكتوراه فى اللغة الفرنسية ، الاولى وقد ترجم المؤلف عنوانها فى « النبأ العظيم » الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م والترجمة الحرفية لها (أخلاق القرآن) والثانية عنوانها : « القرآن » وهذه الرسالة نقلها الى العربية وحققها وعلق عليها دكتور عبد الصبور شاهين ، وصدرت الطبعة الاولى بالعربية سنة : ١٣٩٣هـ /١٩٧٣ م بعد مضى ربع قرن ونيف من ظهور الرسالة بالفرنسية واستغرق المؤلف فى كتابة هذه الرسالة مايقرب من ست سنوات (١٩٤١ — ١٩٤٧ م) وقد نوقشت هذه الرسالة أمام لجنة مكونة من خمسة اعضاء من أساتذة جامعتى السوربون ، والكوليج دى فرانس قوامها الاساتذة : (لويس ماسينيون)، و (ليفى بروفنسال) و (لوسن) و (فالون) و (فوكونيه) فى الخامس عشر من شهر كانون الاول سنة ١٩٤٧ م ، ومنحته اللجنة شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف العليا .

عاد فضيلته من فرنسا الى مصر فى شهر مارس سنة ١٩٤٨ م .

حصل فضيلته على عضوية جماعة كبار العلماء فى مصر سنة ١٩٤٩ م .

أمضى المؤلف تسعة أعوام أخر فى مصر ، ونيطت به شئون علمية ، على عجل ، من أبرزها :

(أ) القاء محاضرات فى علم تاريخ الأديان — بكلية الاداب بجامعة القاهرة .

(ب) محاضرات فى فلسفة الأخلاق — بقسم التخصص بالجامعة الازهرية .

وخلال مكث فضيلته فى مصر أسند اليه العمل فى أكثر من لجنة علمية بالاضافة الى قيامه بالتدريس بالجامعة منها :

— العمل فى اللجنة العليا لسياسة التعليم .

— العمل فى المجلس الأعلى للاذاعة .

ـ العمل فى اللجنة الاستشارية للثقافة بالأزهر المعمور • الى جانب اختياره فى المؤتمرات الدولية والعلمية ممثلا لمصر والازهر الشريف •

وصدر للمؤلف مجموعة من المؤلفات القيمة منها ـ باللغة العربية ـ كتاب (الدين) وهو بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ، وقد نشره عام ١٣٧١ هـ/١٩٥٢ م ، والكتاب جديد فى موضوعه ومادته ومنهجه ـ باللغة العربية •

ومن بحوثه باللغتين ـ العربية والفرنسية ـ : (مبادىء القانون الدولى العام فى الاسلام) و (الربا فى نظر القانون الاسلامى) و (الأزهر ـ الجامعة القديمة الحديثة) •

ـ ثم استجاب المؤلف لما كان يتلقاه من أبنائه الطلبة ، وزملائه الاساتذة من رسائل لمتابعة بحوثه فى القرآن ، التى ابتدأ بها ، ولم يتيسر له اتمامها وطبعها ، لظروف خاصة فى حينها أحاطت بالمؤلف الى أن أذن الله بالعون فأنجز ما ابتدأ به وأصدرها تحت عنوان : (النبأ العظيم) ، وأخذ هذا الكتاب أهميته للخروج من نطاق الثقافة الجامعية الى فضاء الثقافة العالمية كى يتحدث الى كل ذى عقل واع ناقد والى كل ذى قلب بصير •

ـ ومن مؤلفاته : (نظرات فى الاسلام) وغيره •• الى جانب الجم الغفير من مقالاته المتعة ، الغنية بالأفكار الواسعة ، التى كان يمد بها المجلات العلمية والادبية ومحاضراته التى كان يطالع بها المسلمين من محطة الاذاعة فترطب القلوب ، وتنير الطريق الى الحق والخير •

ـ ومما عرف عن المؤلف رحمة الله عليه أنه كان يقرأ كل يوم سدس القرآن ، وما ترك هذه العادة اذا اختلى بنفسه الا مصليا أو قارئا للقرآن •

ـ استمر فضيلته فى نشاطاته المختلفة عاملا وباهتماماته فى معالجة الشئون الاسلامية منصرفا حتى وافاه الاجل المحتوم ، ملبيا دعوة ربه ، ليأنس بجواره ورضوانه عشية يوم الاثنين الواقع فى : السادس عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ الموافق السادس من شهر يناير سنة ١٩٥٨ م ، عندما كان فى لاهور بباكستان ممثلا لمصر ، فى مؤتمر الثقافة الاسلامية فتناقلت وكالات الأنباء نبأ وفاته وأذاعته محطة الاذاعة ، فبكاه الأزهر ، وافتقد العالم الاسلامى عالما عاملا مجاهدا جليلا ، وخسرته الجامعة محاضرا عظيما ، ومؤلفا فائقا ، ونابها كبيرا ، وخسره العلم والأدب مؤلفا وكاتبا فذا عليما ، وخسرته الاذاعة محدثا لبقا بليغا •

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وجعل الجنة مثواه ••

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأفاضل الأمجاد •

رسالته ••

ألف الدكتور دراز هذه الرسالة فى أوائل الأربعينيات والحرب العالمية الثانية على أشدها ونيرانها قد اشتعلت فى أوربا بعد أن منيت فرنسا بالهزيمة واستيقظ حلفاؤها لوقف طغيان النازية •

وقد استغرق تأليف هذه الرسالة نحو ست سنوات تقريبا •

وقد اشتملت هذه الرسالة على أفكار رئيسية

هدفها الرئيسى هو الطابع العام للأخلاق التى تستمد من كتاب الله الحكيم وذلك من الناحيتين النظرية والعلمية •

يقول الاستاذ الدكتور السيد محمد بدوى أستاذ علم الاجتماع بجامعة الاسكندرية أما عن البحث فى الأسس النظرية التى تقوم عليها المبادىء الأخلاقية فى القرآن الكريم ، فــــان المؤلف يعبر لنا دون مواربة عن شعوره بأنه كان يضع قدميه لأول مرة على أرض لم تطأها قدم من قبل • لكن وعورة المسالك التى عزم ــ بمشيئة الله ــ على الخوض فيها لم تضعف من عزيمته بل كانت حافزا له على تحـــدى الصعاب فى سبيل خدمة دين الله الحنيف •

وهو لاينكر عددا من فقهاء المسلمين قــد بحثوا فى مقاييس الخير والشر وأن عددا من رجال الشرع قد تكلموا فى شروط المسئولية ، وأن بعض الأخلاقيين قد ناقشـــوا جـــدوى (الجهد الانسانى) وضرورة (النية الطيبة) غير أن هذه الجهود التى لاينكر أحد قيمتهـــا ظلت مبعثرة فى بطون الكتب التى لم تقتصر على معالجة الاخلاق بل غلبت عليها آراء أخرى فى الفقه والشريعة وعلوم الدين واللغة • كما أن النظرية التى أراد هؤلاء المفـــكرون أن يبرزوها كانت تعتمد الى حد كبير على الرأى الشخصى أو كانت تعبر عن اتجاه المدرســـة الفكرية التى ينتمى اليها صاحب النظرية ولم تكن الاستعانة بالآيات القـــــرآنية الا من الاستشهاد بها فى تأييد هذا المبدأ أو ذاك •

أما مؤلفنا فقد وضع نفسه منذ اللحظـــة الأولى على أرض الأخلاق وأخذ يعالج المسائل الأخلاقية الواحدة بعد الأخـــرى بحســـب المفاهيم والمعايير التى تعالج عند علماء الأخلاق المحدثين ومن ناحية أخرى نجده يعنى بمناقشة الحلول التى جاء بها بعض المفكرين فى الشرق أو الغرب متخذا من آرائهم ومبادئهم وسيلة للمقارنة وهو ــ أثناء ذلك كله ــ يجعل من القرآن نقطة ارتكاز ويعتمد فى استخلاصـــه للاجابة الشافية على المســـائل المطـــروحة اعتمادا مباشرا على النصوص القرآنية •

وعن الأخلاق العملية يقول الدكتور بدوى:

وأما فيما يتعلق بالقســـم الثانى من الكتاب وهو الخاص بالأخـــلاق العملية فقـــد اختار المؤلف طريقة للعرض تختلف عن طريقة الغزالى ومـــن حـــذا حذوه مـــن المصـــنفين لآيـــات القرآن الكريم • فبدلا من أن يجمع جميـــع الآيات التى لها صلة بالسلوك الانسانى اكتفى بذكر عدد من الآيات التى تشرح بوضوح كل قاعدة من قواعد السلوك وتحاشى التكـــرار الأبجدى للمبادىء الاخلاقية ••• فجمـــع النصوص القرآنية كل طائفة فى فصل خاص بحسب نوع العلاقات التى تنظمها كل قاعدة من قواعد الأخلاق •

ويستطرد الدكتور بدوى فيقول عن الرسالة : « دستور الأخلاق فى القرآن » :

رسالة ضمير صادق الايمان ، عميق الادراك لمشكلات عالمية ، وبخاصة العروبة والاسلام سديد النظرة الى ماجاء فى القرآن من اشارات عميقة دقيقة الحكم فى كل ما قدم من مناقشات تفسيرية أو مقارنات فلسفية •

وما أحســـب المؤلف ــ رضوان الله عليه ــ الا راضيا تمام الرضا فى برزخه ، وهو يشرف من الملأ الأعلى ليرى كلمته تتحرك من جديـــد بلغة القرآن لتســـهم فى صـــنع الحياة وبناء الانســـان المســـلم الذى لا يجد قدرة الا فى مجالات الصراع وميادين القتال ضد أعداء الله وأعداء الأخلاق القرانية •

شئون أزهرية

حول تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر

السؤال الذى أود أن أتناوله فى هذا المقال هو : هل حقق ادخال اللغات الأجنبية ضمن مناهج الدراسة بكليات جامعة الأزهر وبالمعاهد الأزهرية الغرض المأمول منه ؟ وللاجابة على هذا السؤال ينبغى أولا استعراض الأهداف التى من أجلها أدخلت هذه اللغات الأجنبية ، وأيضا استعراض موجز لتاريخ الدعوة لادخال هذه اللغات ، ثم ادخالها الفعلى ضمن مناهج الدراسة بالأزهر .

ولنبدأ بتاريخ الدعوة الى تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر ، وهى ترجع الى عام ١٣٢٢ من الهجرة (عام ١٩٠٤ من الميلاد) حينما نادى فضيلة شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى بتدريس اللغات الأجنبية فى الأزهر وذلك فى كتابه « العلم والعلماء ونظام التعليم » ، والذى رأى فيه أن يضاف الى العلوم التى تدرس بالأزهر كثير من العلوم الحديثة وتاريخ الملل والمذاهب والآراء **واللغات الأجنبية(١)** .

١ ــ فضيلة الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى . العلم والعلماء ونظام التعليم . طنطا : ١٩٠٤ .

وفى عام ١٣٤٢ هـ (حوالى ١٩٢٤ م) قام الشيخ عبد المتعال الصعيدى بنشر كتاب بعد الانتهاء من تأليفه بخمس سنوات بعنوان : « نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف » وفيه يدعو ــ ضمن ما يدعو ــ الى تعليم اللغات الأجنبية بالأزهر ، والى ارسال بعثات أزهرية الى أوروبا(٢) .

وفى سنة ١٩٢٨ دعا فضيلة شيخ الأزهر الأسبق محمد مصطفى المراغى الى دراسة تاريخ وفقه اللغات ، وليس اللغات من حيث هى لغات ، غير أنه ذكر أن الشعوب الاسلامية سوف تطلب من بين خريجى الأزهر علماء ومدرسين وقضاة خاصة اذا ما تمت لهم دراسة لغات معينة(٣) .

وبالرغم من أن الدعوة الى تدريس اللغات

٢ ــ فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدى تاريخ الاصلاح فى الأزهر . القاهرة : مطبعة ــ الاعتماد . ١٩٤٣ الطبعة الثانية ١٩٥١ . صفحة ٢١٠ .

فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدى ــ تاريخ الاصلاح . ص ٢١٠ و ص ٢١١ نص مقال نشر فى جريدة البلاغ بتاريخ ١٦/٢/١٩٣٠ .

٣ ــ مذكرة فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر الاسبق المقدمة الى الملك فؤاد ورئيس الوزراء فى عام ١٩٢٨ والمنشورة بجريدة الأهرام فى ٥ ، ١٧ اغسطس ١٩٢٨ .

للأستاذ محمد شفيق الخطيب

الأجنبية بالأزهر ترجع ــ كما يتضح مما سبق ــ الى عام ١٩٠٤ م ، الا أن الدراسة الفعلية لهذه اللغات قد بدأت بصورة جزئية عام ١٩٣٠ عندما أصبح لزاما على طلاب الدراسات العليا فى كلية أصول الدين (قسم تخصص المهنة ، ومدته عامان) أن يختاروا بين دراسة لغة أجنبية ، شرقية أو غربية ، وذلك ضمن برامج الدراسة للحصول على « العالمية مع اجازة الدعوة والارشاد » من تخصص الوعظ .

ولما تم تعديل مناهج الدراسة فى الأزهر بمقتضى القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ الذى ظل معمولا به حتى صدور قانون التطوير عام ١٩٦١ ، تم ادخال اللغات الأجنبية فى جميع سنى الدراسة الست (التى تضم الأقسام العالية ومدتها أربع سنوات ، وأقسام الاجازات العالية ومدتها سنتان) فى كليات الأزهر الثلاث فى ذلك الوقت (أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية) ، فأصبحت دراسة اللغة الانجليزية أو الفرنسية ــ باعتبارهما أوسع اللغات الأوروبية انتشارا فى كثير من الدول الاسلامية ــ اجبارية بالنسبة للطلاب فى كلية أصول الدين ، واختيارية فى كليتى الشريعة واللغة العربية ، كما كان الطلاب فى كلية أصول الدين مطالبين أيضا بدراسة احدى اللغات الشرقية فى السنتين الأخيرتين من دراستهم بقسم اجازة الدعوة والارشاد ، وذلك بصفة اجبارية أيضا هذا بالنسبة للأقسام العالية ومدتها أربع سنوات .

أما بالنسبة لأقسام الاجازات لاعداد الطلاب للحصول على شهادة العالمية مع الاجازة (وعددها ثلاثة أقسام) ، فقد كان يمكن للطلاب فى قسم اجازة التدريس التابع لكلية اللغة العربية ، وفى قسم اجازة القضاء الشرعى التابع لكلية الشريعة ، الاستمرار فى دراسة اللغة الأجنبية التى قاموا بدراستها فى القسم العالى اذا أرادوا هم ذلك ، أما فى قسم اجازة الدعوة والارشاد التابع لكلية أصول الدين ، فكان على الطلاب دراسة اللغة الأجنبية بصفة اجبارية الى جانب دراستهم لاحدى اللغات الشرقية بصفة اجبارية أيضا(٤) .

وبمقتضى نفس القانون (٢٦ لسنة ١٩٣٦) أصبح الطلاب فى قسمين من أقسام التخصص فى المادة للاعداد للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ (ومدتها خمس سنوات) يدرسون مبادىء اللغتين العبرية والسريانية، وهذان القسمان هما قسم التخصص فى النحو والصرف وقسم التخصص فى البلاغة .

هذا بالنسبة لجامعة الأزهر ، أما بالنسبة للمعاهد الأزهرية ، فقد بدأ تدريس اللغات

٤ ــ محمد خليل حسنين (بك) . التجديد فى الأزهر . القاهرة : مطبعة المعارف . ١٩٤٠ . صفحات ٨ ــ ١١ ، الأزهر فى ١٢ عاما . للجنة من العلماء . الدار القومية للطباعة والنشر . صفحة ٩٢ ، الصعيدى . تاريخ الاصلاح فى الأزهر . صفحة ١٢٥ .

حول تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر

الأوروبية بها يوم السبت ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ (الموافق ٢٥ من اكتوبر سنة ١٩٥٨ م) عندما تقرر أن يدرس الطلاب فى ذلك العام اللغة الانجليزية بالسنة الأولى الثانوية بجميع المعاهد ، كما أجاز القرار الصادر فى هذا الشأن تدريس اللغات الفرنسية والألمانية والروسية فى معهد القاهرة ، واللغة الفرنسية فى معهد الأسكندرية(٥) .

ثم كان انشاء معهد اللغات والترجمة كأحد أقسام كلية اللغة العربية بمقتضى القرار الوزارى رقم ١٢ لسنة ١٩٦٥ ، ثم تحول هذا المعهد الى كلية قائمة بذاتها عام ١٩٧٦ تتويجا لادخال اللغات الأجنبية،ومن بين اختصاصات المعهد (الكلية حاليا) كما جاء بقرار انشائه الاشراف على تدريس اللغات الأجنبية (الأوروبية والشرقية) لطلاب « الاجازة العالية » بكليات الجامعة .

ولننتقل الآن الى أهداف تدريس اللغات الأجنبية كما تستشف من بعض الكتابات التى تناولت هذا الموضوع ، بما فيها القوانين التى فرضت تدريس هذه اللغات . فعلى سبيل المثال فان حسنين (بك) يقول ان « الجامعة الأزهرية ترمى من دراسة اللغات الأجنبية الى غرضين :

أولهما : سد حاجة الأقطار الاسلامية الخارجية الى وعاظ ومرشدين استجابة لطلباتهم المتلاحقة ... (بغرض) تعريفهم الى فرائض دينهم وتعاليمه وأغراضه والوسائل المؤدية بهم الى تأدية عباداتهم تأدية لا عوج فيها ولا التواء .

أما ثانى هذين الغرضين : فهو استخدام اللغة كوسيلة لتوسيع الآفاق الثقافية للطلاب وتشجيعهم على تبادل الآراء التى تتزاحم فى شتى البيئات المستنيرة فى هذا الوجود(٨) .

أما فى بعض الأحيان فان هدف تدريس اللغات الأجنبية يبدو أنه يشوبه شىء من التناقض ، فنجد أن حسنين (بك) يؤكد أنه « **لابد من توضيح حقيقة لا تخفى على أى أزهرى .** وهى أن مهمة الوعاظ والمرشدين المبعوثين » من الأزهر الى أى موطن اسلامى ليست هى الدعاوة بين غير المسلمين لاعتناق الدين الاسلامى(٩) » .

وهذا الرأى لا يمكن التغاضى عنه أو المرور به مر الكرام ، اذ أنه صادر عن الرجل الذى عهد اليه بمسئولية الآداب والعلوم فى الأزهركبيرا لمفتشيها ، وواحد ممن لهم بعض الفضل فى ادخال اللغات الأوروبية الى الأزهر وهذا الرأى يتعارض تعارضا صريحا — مثلا — مع قول شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت من أن « رسالة الأزهر هى **الدعوة للاسلام** ونشر الثقافة الاسلامية بين **مختلف شعوب**

---

٥ — قرار بتنفيذ دراسة اللغات الاجنبية بالأزهر مجلة الأزهر . ملحق مجلد ٣٠ جزء ٣ . سبتمبر ١٩٥٨ .

٧ — جامعة الأزهر فى ظل التطور الجديد . القاهرة : العلاقات العامة بالأزهر . ١٩٦٦ — ١٩٦٧ . صفحة ٥٠ .

٨ — التجديد فى الأزهر . صفحة ٢٨ .

٩ — نفس المرجع . صفحة ٢٨ .

العالم(١٠) » • والتعارض منشؤه أن الانسان لا يدعو للاسلام من هداهم الله الى الاسلام بالعقل ، كما أن « مختلف شعوب العالم » لا تختص الشعوب الاسلامية دون غيرها •

أما قرار تأليف لجان للنظر فى ادخال اللغات الأوروبية فى المعاهد الأزهرية فانه يشير الى أن « الأزهر جامعة المسلمين الكبرى التى تحمل رسالة الثقافة الاسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها من يعرف منهم اللغة العربية ومن لا يعرفها » • كما يشير أيضا الى أن « الأزهر بوضعه الحالى — نظرا لعدم توافر العلماء الذين يعرفون اللغات من أبنائه — غير قادر على تأدية رسالته على الوجه الأكمل(١١)• فى هذه الدول الاسلامية •

وفى معرض الحديث عن بعض مآثر قانون التطوير لعام ١٩٦١ يقول الدكتور أحمد محمد عوف « وهذا التطوير أعطى لكليات الأزهر فرصة دراسة اللغات الأجنبية حتى لا تكون معرفة خريجى الأزهر قاصرة على (لغة العرب) دون غيرها من اللغات التى يجب أن تستوعب ليشق الخريج طريقه لتثقيف نفسه والارتفاع بمستواه العلمى ، ويكون قادرا على التعرف على الثقافات الأجنبية العالية(١٢) » •

أما قانون ١٩٦١/١٠٣ نفسه فانه ينص فى مادته الثانية على أن الأزهر هو الهيئة التى « تحمل أمانة الرسالة الاسلامية الى كل الشعوب » ، وفى المادة الثالثة والثلاثين على أن رسالة جامعة الأزهر هى أن « تؤدى رسالة الاسلام الى الناس » ، ولا يخفى على أحد هنا أن « كل الشعوب » تشمل الشعوب الاسلامية وغير الاسلامية ، كما أن «الناس» يضمون المسلم وغير المسلم بل ومن لا دين له وتمضى نفس المادة (٣٣) فتقول ان هذه الرسالة التى تتحملها جامعة الأزهر هى تمكين « عالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فى داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها » •وأنت تدعو الى سبيل الله غير المسلم كما تدعو اليه المسلم ، بل ان دعوة غير المسلم قد تكون أوجب •

ولست أريد هنا أن أتطرق الى هذا الأمر الذى يتعلق برسالة الأزهر عامة وبالهدف من تدريس اللغات الأجنبية به خاصة ، الا بالقدر الذى تمليه حقيقة واضحة وهى أنه لكى نتبع المنهج الموصل الى الهدف ، فلابد أولا من أن نحدد هذا الهدف وبكل وضوح قبل أن نشرع فى اتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيقه • أى أنه لابد أولا من الاجابة على هذا السؤال هل هدف تعلم اللغات هدف ذاتى أى لتثقيف المتعلم نفسه كما يرى عوف ؟ أو أنه بهدف التخاطب مع الآخرين ؟ واذا كان الأمر كذلك ؟ فهل هو التخاطب مع المسلمين وحدهم كما يرى حسنين (بك) أو معهم ومع غيرهم كما يستشف من قول فضيلة الشيخ شلتوت ومن نصوص قوانين التطوير ؟

والآن وقد مضى على ادخال اللغات

---

١٠ — كتاب من فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر (الاسبق) الى أصحاب الفضيلة الاساتذة شيوخ المعاهد الدينية بتنفيذ القرار الصادر بتعليم اللغات الاجنبية • مجلة الأزهر سبتمبر ١٩٥٨ •

١١ — قرار رقم ١١٥ بتاريخ ١٩٥٨/٩/٢٩ والمنشور بمجلة الأزهر • سبتمبر ١٩٥٨ •

١٢ — أحمد محمد عوف • الأزهر فى ألف عام القاهرة • مجمع البحوث الاسلامية الكتاب الثانى عشر • ابريل ١٩٧٠ • صفحة ١٤٨ •

حول تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر

الأوروبية الى جامعة الأزهر أكثر من نصف قرن من الزمان ، وعلى ادخالها بالمعاهد الأزهرية ما يقرب من ربع قرن ، وعلى انشاء كلية اللغات والترجمة سبعة عشر عاما، فان السؤال الذى يطرح نفسه وبالحاح والذى بدأنا به هذا المقال هو : هل حقق ادخال اللغات الأجنبية ضمن مناهج الدراسة بالأزهر الغرض المأمول منه ؟

والاجابة — على مرارتها ، وأنا أنتمى الى جامعة الأزهر ، والى كلية اللغات والترجمة — أقرب ما تكون الى النفى منها الى الايجاب ، وما يجعلها الى النفى أقرب ، وليست الى النفى القاطع أنه — احقاقا للحق — هناك تجربة فريدة ورائدة فى احدى كليات الجامعة وهذه التجربة تختص بها كلية الطب التى حاولت تدريس العلوم الاسلامية باللغة الانجليزية « ليكون الطلاب — فى مستقبلهم — قادرين على حمل رسالة الدين الاسلامى وشرح مبادئه واتجاهاته الانسانية لشعوب آسيا وافريقيا(١٣) » • كما تختلف الصورة من المألوف الى حد ما فى كلية المعاملات والادارة التى تهدف من تدريس اللغات الأجنبية بها الى أن تيسر للطالب الرجوع الى المراجع العلمية ، وأن تمكنه من العمل فى الحقل الخارجى فى آسيا وافريقيا(١٤) •وهو أمر وان لم يكن يولى الدراسات الاسلامية الاهتمام الذى تستحقه فأنه يولى اهتماما بالمادة التى يتخصص فيها الطالب ، وهذا أضعف الايمان •

واذا كان السؤال الذى يدور حوله هذا المقال هاما ، فان الأهم منه هو محاولة الاجابة عليه بقدر من مواجهة النفس والشجاعة الأدبية ان أردنا اصلاحا ، وأولى هذه الأسباب — فى رأيى — هو المقررات التى يتم تدريسها فى المعاهد الأزهرية وفى كليات جامعة الأزهر ، وثانيها من يتولون تدريس هذه المقررات •

وأولى هذه الأسباب يرتبط ارتباطا وثيقا بالهدف من تدريس هذه اللغات ، وهل ينصب على تدريس بعض المفاهيم والعلوم الاسلامية باللغة الانجليزية ، أو ينصب على العلم الذى يتخصص فيه الطالب فىكليته باللغة الانجليزية أو ينصب على تزاوج بين الأمرين ؟ وفى حقيقة الأمر فاننى الى المزاوجة أميل ، وذلك — قطعا — دون المساس باللغة العربية التى تنص المادة السابعة والثلاثون من قانون التطوير على أنها هى « لغة التعليم فى جامعة الأزهر ، ما لم يقرر مجلس الجامعة فى أحوال خاصة استعمال لغة أخرى » •

كما ينبغى أيضا الاجابة على هذا السؤال: هل هدفنا من انشاء كلية اللغات والترجمة هو تخريج مدرسين للمعاهد الأزهرية ؟ واذا

---

١٣ — جامعة الأزهر فى ظل التطور الجديد • صفحة ٦٨ •

١٤ — نفس المرجع • صفحة ٥٧ •

كانت الاجابة بالايجاب ، فما هو الهـدف من بقية الأقسام بالكلية ــ عدا أقسـام اللغـة الانجليزيـة والفرنسـية والعبريـة ــ وهى اللغات التى تدرس بالمعاهد الأزهرية وبجامعة الأزهر ؟ ولا بأس من أن يكون الهدف ــ ولو كمرحلة انتقاليـة ــ هو تخـريج المدرسـين للمعـاهد ، وان كنت أرى أن كليـة التربيـة بالجامعة أولى بهذا الدور وأقدر على القيـام به ، خاصة اذا توسعت فى أعداد المقبولين بها، ولو عن طريق تقديم بعض الحوافز للطلاب ، على أن يكون هدفنا النهائى هو أن تصبح كلية اللغات والترجمة كلية للترجمة فقط هدفهـا تخريج المترجمين الأكفاء من العربية الى جميع اللغات التى لها أقسام بالكليـة ، وبالعكس ، ونحن فى مسيس الحاجة الى هؤلاء المترجمين المسلمين الأكفـاء حتى لا نرى المترجمين من غير المسلمين وقد احتلوا مكان الصدارة فى مؤتمراتنا الاسلامية ، وكأن معين المسلمين قد نضب ! ولقد كانت هناك بعض الجهـود التى قام بها عميد الكلية الأسبق (المعهـد حينذاك) الدكتور محمد محمود غالى للاهتمام بالترجمة الاسـلامية ، غـير أن جهـوده أو محاولاته انتهت الى انشاء شـعبة للترجمـة الفورية تحولت فيما بعد الى قسم قائم بذاته عندما تحول المعهد الى كلية ، ثم تحول القسم أخيرا الى شعبة تابعة لقسم اللغة الانجليزية! ولم تؤت جهـوده المشـكورة ثمارها كما كان يتمناها وكما كنا نتمناها •

وليكن الهدف من تدريس اللغات الأجنبية هـو أن يتمكن خريج جامعـة الأزهر من أن يتناول تخصصه وأن يتناول الاسلام باللغـة الأجنبية التى قام بدراستها ، والا فلا فـرق بين خريجى جامعة الأزهر وغيرهم من خريجى الكليات المناظرة بالجامعـات الأخرى فيمـا يتعلق بهدف تدريس اللغات الأجنبية ، كمـا ينبغى أن نحدد هدف دراسة هذه اللغـات : هل هو مخاطبة المسلمين وحدهم ؟ وهنا لابـد من التركيز عـلى العبـادات والأركان ، أو مخاطبة غيرهم الى جانبهم ، وهنا لابـد من التركيز على العقائد وأوجه الاختلاف والتشابه بين الاسلام وغيره من الأديان ، السـماوية منها وغير السماوية ، وأيضا على الرد عـلى الافتراءات والأفكار الخاطئة عن الاسـلام وتصحيحها •

ومما لا شـك فيـه أن تحديد الهـدف من تدريس اللغات الأوروبية بالمعاهـد الأزهرية أيضا سيترتب عليه ضرورة تغـيير ما يدرس بها حاليا ــ وهـو نفس المنهج الذى يدرس بمدارس وزارة التربية والتعليم ــ وأذكر هنا بعض ما يؤسف له حين توليت تدريس اللغة الانجـليزية فى معهـدين من معاهـد الأزهر الثانوية ــ بل فى أكبر معهـدين بالقـاهرة : أحـدهما للفتيـات والآخـر للبنين ــ من أن الطلاب لا يعرفون حتى أسماء أركان الاسلام الخمسة باللغة الانجليزية ، بينما هم مطالبون

حول تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر

ــ ضمن ماهم مطالبون به ــ بدراسة رواية لا طائل من دراستها ، بل ولا قدرة لهم عليها، ومما يؤسف له أكثر أن هذا أيضا هو الحال بالنسبة لبعض كليات الجامعة التى تشرفت بتدريس اللغة الانجليزية بها أيضا ومنها كلية أصول الدين وكلية المعاملات والادارة •

ولنضع نصب أعيننا دائما أن الهدف من المعاهد الأزهرية ما كان يوما هو طبع نسخ مكررة من مدارس التربية والتعليم ، ونفس الشىء ينطبق على كليات جامعة الأزهر التى تنص المذكرة الايضاحية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ على أن لها شخصيتها المستقلة حين تقول : « وطبيعى أن هذه الكليات كلها أو بعضها لا يمكن أن تكون صورة مكررة للكليات القائمة الآن فى الأزهر أو فى الجامعات الأخرى ، اذ لابد أن تتحقق لها مع صفتها العامة صفة تلائم الصفة الخاصة بجامعة الأزهر » • فاذا ما سلمنا بهذه الشخصية المستقلة للأزهر وكليات جامعته ، فلماذا لا نسلم بدورنا بأهمية أن يكون لنا مناهجنا التى تحقق أغراضنا التى ينبغى أولا أن نحددها بكل وضوح •

وهنا قد يقول قائل : أليس قانون تطوير الأزهر لعام ١٩٦١ ينص على أن أحد أغراض المعاهد الأزهرية هو تهيئة الفرصة المتكافئة لخريجى المعاهد الأزهرية الثانوية للدخول فى كليات الجامعات الأخرى فى مصر وسائر الكليات ومعاهد التعليم العالى (المادة ٨٥)، وعلى أن الحاصلين على الشهادة الاعدادية من المعاهد الأزهرية لهم فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم الى المدارس الأخرى التى تجعل الشهادة الاعدادية شرطا للقبول (المادة ٨٨) وبالتالى فان تطابق مناهج الأزهر مع مناهج التربية والتعليم له ما يبرره ؟ والاجابة بالنفى القاطع اذا ما أخذنا فى الاعتبار أن ما يحدث عادة هو العكس حين يلتحق الحاصلون على الشهادة الاعدادية العامة بالمعاهد الثانوية(١) للأزهر بأعداد تفوق بكثير أعداد الطلاب الذين يتوجهون للدراسة بمدارس التربية والتعليم الثانوية بعد الحصول على الشهادة الاعدادية الأزهرية علاوة على أن أحدا لم يطالب وزارة التربية والتعليم بتغيير مناهجها ــ لهذا السبب ــ لتتوافق مع مناهج الأزهر ، وذلك بالرغم من أن هذا ــ لو طالب به أحد ــ لكان أقرب الى ما يمليه واقع الأمور •

أما ثانى السببين اللذين سقناهما لعدم تحقيق دراسة اللغات الأجنبية للهدف منها فى الأزهر فهو ــ كما ذكرنا آنفا ــ من يتولون هذا التدريس ، ولست أرمى من وراء قولى هذا الى أن أشكك فى مقدرة هؤلاء الأساتذة

١ ــ المجلة : كاتب المقال بعيد عن الوطن بالولايات المتحدة ، من أجل هذا هو لايعلم أن ادارة المعاهد الأزهرية ، منعت حملة الاعدادية من غير الأزهر دخول المعاهد الأزهرية الثانوية ــ منذ ثلاثة أعوام •

الأفاضل ، اذ أن كل ما فى الأمر أنهم كلفوا بما لا يطيقونه ، ولنتذكر قول الله سبحانه وتعالى : « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** »

ويرجع تاريخ هذه المشكلة الى تاريخ ادخال اللغات الأوروبية الى المعاهد الأزهرية ، ففى كتاب فضيلة شيخ الأزهر الأسبق شلتوت — والمشار اليه سابقا — جاء فى « البند » الأول :

« تسند دراسة مادة اللغة الانجليزية الى السادة أساتذة المواد الاجتماعية بالمعهد نظير مكافأة عن الحصص التى تزيد عن النصاب المقرر للمدرس » • ولا يخفى على أحد أن بعض هؤلاء الأساتذة قاموا بدراسة اللغة الانجليزية كلغة أجنبية ثانية فى التعليم الثانوى ، وربما لم يوالوا دراستها بالجامعة، أما اللغة الفرنسية فقد كانت أفضل حالا فقد أسندت الى « أساتذة هذه اللغة بوزارة التربية والتعليم بطريق الندب » ، وكذلك أيضا كان حال اللغتين الألمانية والروسية — واللتين لم يتم تدريسهما فيما أعلم — فقد أسندتا الى « الأساتذة المتخصصين » •

ولست أدرى ماذا كان الدافع الى اسناد اللغة الانجليزية الى أساتذة المواد الاجتماعية هل هو القصور فى أعداد أساتذة هذه اللغة فى مدارس التربية والتعليم ؟ والرد يكمن فى أن عددهم بالنسبة للغة الفرنسية أقل وأندر، ودعك من المتخصصين فى اللغتين الألمانية والروسية ، بل لعل السبب يكمن فى أن تدريس اللغة الفرنسية كان قاصرا على معهدى القاهرة والأسكندرية ، بينما كانت الألمانية والروسية قاصرتين على معهد القاهرة • وأيا ما كان السبب فان المشكلة بدأت حين تم اسناد تدريس اللغة الانجليزية الى معلمين لم يتخصصوا فيها •

وقد ازداد الأمر سوءا فيما أعلم فانتقل تدريس اللغة الانجليزية من أساتذة المواد الاجتماعية الى غيرهم من أساتذة العلوم الأخرى وهم ليسوا أفضل حالا من زملائهم أساتذة المواد الاجتماعية ، وفى معهدى القاهرة الثانويين اللذين عملت بهما ربما كانت نسبة الأساتذة المتخصصين أقل من نسبة غير المتخصصين ، والأمر أكثر سوءا فى بقية المعاهد وخاصة فى الأقاليم ، ولقد كان لخريجى كلية اللغات والترجمة من قسمى اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية بعض الأثر فى هذا السبيل ، ولكن أعداد الخريجين مازالت محدودة بالنسبة لعدد المعاهد الأزهرية الاعدادية والثانوية ، ونتيجة لعمل نسبة ليست بالصغيرة منهم خارج مصر فور تخرجهم ، أو داخلها فى مجالات أخرى غير التدريس ، ولست أدعى أن كلية اللغات

حول تدريس
اللغات الأجنبية بالأزهر

والترجمه تتحمل وحدها هذه المسئولية ، بل يشاركها فى هذا خريجو قسم اللغة الانجليزية بكلية التربية بجامعة الأزهر ، والذين يجمعون الى جانب الالمام باللغة طرق التدريس وهى لا غنى عنها اذا أردنا أن نطلب الى القائمين بالتدريس ما يطبقونه .

أما فى الجامعة فان المادة ٦٣ من القانون ١٠٣/١٩٦١ تلخص مأساة تدريس اللغات فى كليات الجامعة : «للجامعة فى حالة الضرورة التجاوز عن شرط الحصول على شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها عند التعيين فى وظائف مدرسى اللغات اذا كانت لدى المرشح اجازات علمية أخرى تعتبر كافية بالنسبة الى الوظيفة التى سيعين فيها » ، وكأن هذا البند يقول ان الحصول على الثانوية العامة أو ما يعادلها كاف ليؤهل مدرسى اللغات للتدريس بالجامعة بل ربما كان ترفا يمكن التغاضى عنه ، وهذا أمر لا يحتاج الى تعليق .

والآن يأتى دور السؤال الأخير : وماذا يمكن عمله الآن ازاء هذا الموقف؟ والرد يكمن فى أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فلنحدد أولا هدفنا من تدريس اللغات الاجنبية فى الازهر وبصفة خاصة اللغتين الانجليزية والفرنسية ، ثم لنضع المناهج التى تحقق هذا الهدف فى كليات جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية ، وهذا أمر يحتاج الى سلطة من بيده الأمر ممثلا فى المجلس الأعلى للأزهر ومجلس جامعة الأزهر ومدير عام المعاهد الأزهرية ، كما يحتاج الى المتخصصين من أساتذة اللغتين الانجليزية والفرنسية بكلية اللغات والترجمة ، ومن غيرهم ممن يعنيهم أمر الأزهر . وليهيىء الله سبحانه وتعالى لنا من أمرنا رشدا ، وليوفقنا الى ما فيه خير الاسلام والمسلمين والأزهر الشريف .

أحمد شفيق الخطيب

المدرس المساعد بقسم اللغة الانجليزية
كلية اللغات والترجمة ــ جامعة الأزهر
والمبعوث حاليا بالولايات المتحدة الأمريكية

بسم الله الرحمن الرحيم
حول هذا المقال الى فضيلة
مدير الامتحانات بالأزهر لابداء الرأى فيـه
فكتب :

السيد الأستاذ الدكتور رئيس تحـرير مجلة الأزهر الشريف :

السلام عليكم ورحمة اللـه وبركاته ...
وبعـــد ،،

فايماء الى خطابكم المرسل لى بشأن المقال المقدم لسيادتكم من السـيد الأسـتاذ أحمد شفيق الخطيب ـ بشأن القانون ١٠٣ لسـنة ١٩٦١ م ، الـذى اسـتهدف تطـوير الأزهر وبشأن المعنى والهدف الذى حققه من ادخال اللغة الأجنبية فى المعاهد الأزهرية

أفيد بأن المقال جيد وكاتبه درس المشـكلة بعمق ، بل وعايشها ، وربما ساعده فى ذلك أنه كان يعمل بالتدريس فى حقل المعاهد الأزهرية، والذى أود أن أضيفه الى هذا الموضـوع أن ضم مناهج وزارة التربية والتعليم الى مناهج الأزهر لم يكن هدفا معنيا بذاتـه وانمـا كان الهدف اضافة خبرة وثقافة معينة تعطى الطالب الأزهرى ثقافة جديدة وفهما زائدا عن الحـد المقرر له يمكنه من أداء مهمته الأساسية وهى نشر الثقافة الاسلامية فى ربـوع الدول التى تحتاج الى هذه النوعية من الثقـافات ، لكن للأسف أضيف عبء كبـير الى عاتق الطـالب الأزهرى فأصبح تائها مثقلا بالكثير من المواد الأمر الذى حال دونه ودون النبوغ والتفوق المرجوين له .

لذلك فاقتراح الكاتب تعديل المنهج فى اللغة الأجنبية من منهج عام الى منهج خاص وطلبه اصطلاحات معينة يعيها الطالب ويفهمهـا فى العبادات والمعاملات ويعرفها معـرفة جيـدة فيستطيع بها أن يتحدث عن الاسلام وينشره فى البلاد التى هى فى حاجة الى هذه المعرفة ـ خير ألف مرة من معرفة كتـاب لا يسـتطيع صاحبه أن يوصل من خلاله كلمـة اسـلامية واحدة الى من يحتاج الى تلك الكلمة والى تلك المعرفة .

والله يوفقنا ويهدينا الى سواء السبيل .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ....

المدير العام للامتحانات
(أحمد عطا سعود)

الشعر

- فلسفة الصبر

- أُدب المخلوق مع الخالق

أدب المخلوق مع الخالق

للأستاذ كامل أمين

يا من يثرثر كيف شاء ويزعمون هُراءَهُ دُرَرًا تصاغ وجوهرا
المرءُ يُوزن بالكلام وان أبى   وَزَنَتْه فى القول العقولُ تبصرا
قد يملك الانسان كلمته فان   ألقى بها مَلَكَتْه مهما أنكرا
كانت له أَمَةً فأصبح عبدها   هيهات منها بعد أن يتحررا
أهل السماء كلامهم فيها وأصحاب الثَّرَى كلماتهم تحت الثرى
بعض الحروف نصوغ منها نملة   والبعض منها قد نصوغ غضنفرا
« نون » من القرآن حرف واحد   يَحْوِى البيان مُبَيِّنًا ومعبرا
والمؤمن الحق الذى يدعو ويعبد ربه مُتَخَفِّيًا متسترا
واذا ابتلاه قال ربِّ اجْعل بلاءك عن ذنوبى فى الحياة مُكَفِّرَا
هذا هو الصُّوفِىُّ حُبٌّ كامِنٌ   فى الروح يخشى أن يُذَاعَ ويظهرا
أدب العبادة عنده فى هَمْسَةٍ   فى سره مِسْكًا يفوحُ وعَنْبَرا
أدب العبادة أن تكون خَفِيَّةً   فى السر لا فى أن تذاع وتنشرا
من راح يظهرها فَتِلْك دعاية   لصلاحه أَوْلَى بها أن تُسْترا
يا من يقول : أنا أحدث خالقى   أتحاور اللهَ العلِىَّ الأكبرا ؟!
بل كيف رد عليك يا من لم تكن   الا هباء أو أقَلَّ وأصغرا ؟
إِعْلَمْ وبعضُ العلم ينفعُ أهله   إن كنتَ ذا علم وكنتَ مُفَكِّرا
أن الحوار يكونُ بَيْنَ اثنينِ قد   يتقاربان إِذا حَدِيثُهُما جرى
لا بين مَرْئِىٍّ ومحْدُودٍ الى   مَنْ لاَ حُدُودَ له يَرَاهُ ولا يُرى
ما الفرقُ بين مجادِلٍ لله فى   أمرٍ ومَنْ معه بِجَهْلٍ ثَرْثَرَا

● إلى من تطاول على مقام الألوهية بحواره الكاذب مع الله جل شأنه

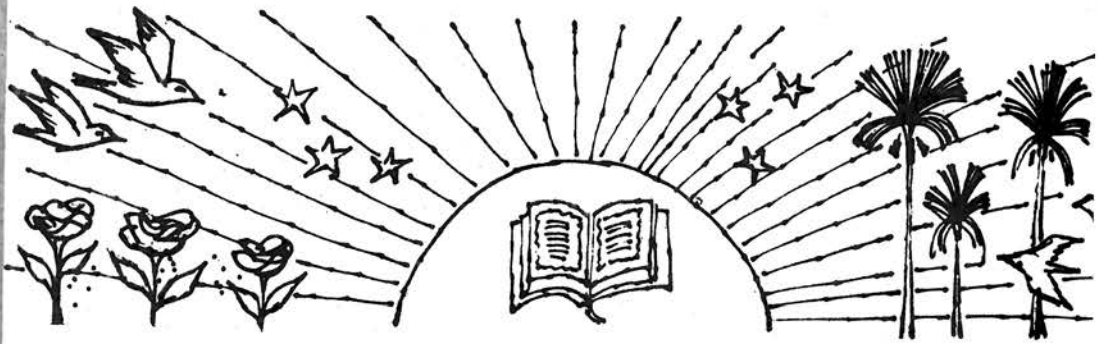

إبليس أغراهُ وقال له اشْتَهِرْ ... وانْشُرْ مع الله الحوارَ لتشهرا
الله جل جلاله خلق الوَرَى ... والكونُ مخلوقٌ وخاب من افْتَرَى
لو كان خالقُهُ استعان بغيره ... لتصارعا فى الكون حتى دُمِّرا
هذى القضية كانت اليونان ترويها أساطيرا كأحلام الكرى

فاقْرَأْ كتابَ الله قبل البدء فى ... طرح الحديث لكى تُعلِّلَ ما تَرَى
يا من يثرثر بالحوار يَظُنُّهُ ... فَنًّا كفاكَ حماقةً ، وتَهَوُّرَا
ويخال أن هراءَه نَظَرِيَّةً ... عُدْ لِلْحَقِيقةِ تائبا مستغفرا
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ جَلَّ عُلاك عَنْ ... مُتَطَاوِلٍ نشرَ الحديثَ الْمُنْكِرَا

فلسفة الصبر

للدكتور حسن جاد

أَقِــلَّ من الشــكوى فلست بظافر ... مــن النــاس الا بالشــماتة والعَتب
أتلجــأ ملهوفا الى غــير ســامع ؟ ... وتفــزع مجروحًــا الى غــير ذى قلب ؟
ولســت اذا أفضيت بالشــكو لامــرىء ... ســوى حمــل بث اَلشــكاة الــى الذئب
ولـمــا رأيت النــاس : لانو مــروءةٍ ... يواسى ، ولا مصــغ بســمع ولا لُبِّ
ولم ألقهــم عنــد التفجــع والأسى ... ســوى شــامت جذلان أو خــادعٍ خِبِّ
كتمت شــكاتى فى فــؤادى وصنتهــا ... فما جــاوَزَتْ صــدرى ولا فارقت جنبى
وقلت لمــن يرثــى لكربــى ومحنتــى : ... رُوَيْدَك ، انــى ما شــكوت من الكرب
ألفت وقــوع الخطب حتى عشــقته ... فلو ملنــى خطب ســعيت الــى خطب
وأتعبت دهــرى فى احتمــال صروفه ... فصــار كهــاما بعــدما فَــلَّهُ عضبى
وألفيتُ مــرَّ الصــبر شــهدا بإِلْفــهِ ... فلم يبــق لــى فيــه ثــواب لــدى ربــى
أؤمــل فى ســلم الليــالى مثــوبةً ... ولا أرتجى منهــا ثوابــا عــلى الحرب
ولم أر كالتســليم للــه راحــة ... تُحَــوِّل بغض النائبــات الــى حب

د . حسن جاد

■ الترجمات الإنجليزية
للقــرآن الكريـم

الإسلام
والفكر
الغربي

■ من مزاعـم
المســتشرقين

الترجمات الانجليزية للقرآن الكريم (٣)

وتحت لافتة التدقيـــق العلمى التى تعارف المستشرقون على رفعها خــرجت فى ١٩٣٧ ــ ١٩٣٩ ترجمة Richard Bell

وفيها يدعى أنه طبق على القــرآن « طرق النقد العالى » ، وسعى فى رد معانيه الى مقاصدها عصر تلاوته الاولى وصحح ترتيب سوره !

وزعم المعرفون به أنه أعاد ســبك الكتـــاب !

ولم تتيسر لنا نسخة منها حتى نبسط فيها رأيــا .

الا أنها لم تنتزع من ترجمــة Sale (١٧٣٤) مكانتها . فلقد تواتر عن هذه الاخيرة عند الانجليز أنها التعريف الواضح بــذلك « الأثر الاسلامى الكلاسيكى » ، ومــازال ميسورا الحصول على نسخ قديمة أو مستعملة من مختلف طبعاتها .

وفى ١٩٥٥ ظهرت ترجمــة J. Arberry وكان سبقها فى ١٩٥٣ كتابه « القرآن المقدس، تعريف ومختارات » .

«The Holy Koran, an Introduction with Selections».

وفى تصديره لترجمة « تفســير القرآن » «The Koran Interpreted

أورد بعض قضايا طالما رد عليها المسلمون ، متجاهلا هذه الردود ، بما يتململ ازاءه ضمير المسلم ، لما له من ايحاءات مضللة .

فهو يقول عن المصادر الاولى للمصـــحف الشريف :

« وليس مؤكدا أن كل نصوص القرآن تم تدوينها فى حياة النبى ، الذى كان ، كما يقال ، أميا ومجرد قارىء للكلام الذى كان يسمعه من السماء .

« وقد تلقى النبى هذه السور تلقيا مما وراء الطبيعة فى أحوال أشبه بالغشية .

« والمتواتر أنه بعد وفاة النبى ببضع سنين جمعت الأجزاء المتفرقة من ركام الرقـــائق والجلود ، وألواح الحجارة وغير الحجــارة ، وسعف النخيل وعظام أكتاف الابل وضلوعها ، وصدور الرجال أى الذاكرة الحافظة لأتباع النبى المباشرين .

« ولم يتحدد المصحف المقدس ، المسلم له فى الناس ، الا ابان حكم عثمان ، الخليفـــه الثالث (٦٤٤ ــ ٦٥٦) بعد أن قامت بتدوينه لجنة يوجهها زيد بن ثابت كاتب النبى .

« فعلى هؤلاء الرجال تقع تبعــة الترتيب المتبع لسور المصحف . وهو ترتيب بعيد جدا عن أن يكون ترتيبا زمنيا أو منطقى التساوق .

« ويبدو أن المبدأ المأخوذ به كان التسلسل

سليمان بركات

التنازلي للسور من حيث طولها ، باستثناء الفاتحة فحسب •

« ان المصحف المطبوع فى القرن العشرين هو بعينه المصحف الذى اعتمده عثمان منذ أكثر من ١٣٠٠ سنة ، عدا ماتم فيه بعدها من تفنيط للحروف وضبطها بالشكل ، اذ كانت فى الاصل على شىء من البدائية ، ومن تحويرات خاصة قصد بها توضيح القراءة وتيسير الترتيل » •

وعن حتمية اتباع المسلمين للقران يقول :

لقد تمسك الرأى المحافظ منذ القديم تمسكا شديدا بأن القرآن لا يترجم ، وأنه معجزة بلاغية من التجديف محاولة تقليدها • ومن ثم فواجب على كل مؤمن أن يتعلم فهم معطياته فى أصله العربى •

ويلتمس العون فى هذا الأمر غير الهين من سلسلة من التفاسير ، عظيمة ، وبعضها بالغ الطول ، ما برح المفسرون يخرجونها كل قرن •

ويقول فى مكان آخر متأخر من مقدمته :

ومن المؤكد أن قارىء القرآن ، وبخاصة المضطر الى الاعتماد على ترجمة مهما يكن مبلغها من الدقة ، تحيره وتضنيه العشوائية الظاهرية لكثير من السور•

ويعزى هذا الاضطراب ، الشهير ، غالبا الى الخلط الكشكولى غير المتقن من جانب المدونين الأوائل للقرآن •

« ولكن اعتقادى هو أن تلك طبيعة القرآن ذاته » •

ونرد فى ايجاز غير مخل ، على ما أورد •

فأما أن نصوص القرآن الكريم لم تكن كلها مدونة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فقد كانت الآى جميعا فى حرز مكين من صدور الحافظين الذين كانوا يتلقونها بالتقديس والحرص ، عن النبى — صلى الله عليه وسلم — مباشرة ، وأولا بأول ، ويضعون كل آية حيث أمرهم ، حفظا أو كتابة •

وكانوا يقرأونه عليه ، وكان يحب أن يسمعه من بعضهم فلم يكن للحفظ مكانة متأخرة عن التدوين فى أميين رسولهم أمى •

وأما عن الوحى ونزوله فان التناسب اللازم بين الطبيعة الملكية للمفيض والطبيعة الانسانية للمستفيض لا يتسنى لبشر أن يعرفه • وقد تواتر عند المسلمين الايمان بالوحى ابتداء من الصحابة الذين عاينوا ظاهره ، الى الذين توارثوا هذا الايمان سماعا حتى اليوم •

ولم يقل بالغشية صحابى ولا تابع •

واما أن المصادر الأولى للمصحف كانت ركاما متفرقة من الرقائق والجلود والسعف والعظام ومحفوظات الحافظين فتلك كانت أوعية التدوين والحفظ فى أمة بدوية ، قليل كتابها ، حداد حفاظها •

واما أنه جمع بعد وفاة النبى فلحفظه أمانة للأجيال بعد أن استمر القتل فى حفاظه من الصحابة الأجلاء فى حروب الردة •

وقد جمعوه على تهيب شديد من فعل شىء لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى

الترجمات الانجليزية للقرآن الكريم

تثبت رائع يجعلنا لا نلقى بالا الى ترهات المستشرقين •

وقد اختير زيد بن ثابت على حداثة سنه بالنسبة لغيره لأنه كان واحدا من قليلين جمعوا القرآن ، أى حفظوه كاملا ، على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولأنه كان قد عرضه على النبى ، قبل وفاته ، صلى الله عليه وسلم •

فترتيب السورة فى القرآن توقيفى وليس من ابتداع زيد أو ارتجاله فى شىء • ولا كان زيد بالمبتدع أو المرتجل •

واما أن المصحف كان خلوا من التنقيط والهمزة والمد والشكل ، مجليات القراءة وضوابط التلاوة ، فلاستغناء العرب ، ولقرب عهدهم بالقرآن • وانما ظهرت الحاجة الى كل هذا بعد الفتوحات الاسلامية حين فشا اللحن والتصحيف وخيف على الكتاب والناس •

وأما تمسك الرأى المحافظ بعدم ترجمة القرآن وبتحريم تقليده فلم يكن جمودا أو تسلطا : فالقرآن عربى عربى ، نزولا وبلاغا تعبدا ، بأمر منزله تبارك وتعالى ، كما يخشى تحريفه •

وأما فهم المؤمنين للقرآن ، فسبحان من يسر القرآن للذكر ، وانه لكتاب مبين •

وما سلسلة التفاسير الا من فيض الرحمن على عباده بعلوم القرآن •

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » (٦٩ العنكبوت) •

والحمد لله الذى لم يجعل على قلوبنا أكنة أن نفقهه •

وأما « العشوائية الظاهرية » والخلط الكشكولى » المزعومين بدعوى أن :

فى سور القرآن شمولا وعمومية •

واسم السورة — غالبا كلمة وردت بها ، وليس عنوانا على موضوع ، وفى القرآن تكرار بغير مبرر ، واستطراد يشتت الذهن ، وانتقالاته بغير تمهيد •

وفيه ما يناقض بعضه بعضا :

فقولنا هو : اكنسوا قلوبكم أولا من حزازاتها المسبقة وانكبوا بعدها على علوم هذا الدين ، بالجد والانصاف والقابلية الواجبة ، فستلقون رشدا وتقدمون علما • والمكتبة الاسلامية غنية ومتاحة لمن شاء أن يستوضح •

ان الغموض ، والقصور ، والنقل ، والخطأ ، والشطط ، وحتى الجنون ، قد ثبتت فى حق أعلام من الشرق والغرب •

ومنهم من غرق فى حمأة العار بدءا بالابتزاز وانتهاء بخيانة قضيته ، ومرورا بما لا يجوز ذكره فى حرم موضوع دينى •

ومع ذلك فما زالت الأجهزة المختصة — القومية عندهم والعالمية حولهم تقوم بالحفاظ الدائب على آثار هؤلاء الأعلام وتصطنع الوسائل لتسلق قممهم أو سبر أغوارهم ، وترحب بالمزيد من مستكشفيهم •

فندع ذلك جانبا ، وننظر فى ترجمة Arberry
واذا كانت ترجمة عبد الله يوسف على
عملين اسلاميين ، فان Picthall
ترجمة Arberry عمل أدبى فى المقام الأول .

فقد كان أستاذ اللغة العربية فى كمبدرج .

كما كان على دراية بالترجمات الانجليزية القديمة للقرآن وله فيها آراء شجعته على الادلاء بدلوه فى هذا المجال .

وكان يعتبر ترجمة Sale أحظاها بالتقدير وأولاها بالافراد .

لكنه عزى ظهور أكثر من ترجمة للقرآن وعلى أكثر من وجه ، الى صعوبة القرآن .

ولم يتعرض بالذكر بالمرة ، فى سلسلة الترجمات التى أوردها ، الى ترجمة عبد الله يوسف على !

يقول Arberry عن ترجمته أنها محاولة لتهذيب ما سبقها من ترجمات ، علها تردد ولو بأوهى صدى ، بلاغة القرآن .

وأنه قد بذل جهدا كبيرا فى دراسة الأوزان المعقدة واسعة الثراء التى يكمن فيها — الى جانب الدعوة ذاتها — الروعة الأدبية الكبرى للقرآن .

وينفى عن القرآن أنه شعر أو نثر ، وانما هو نسق فريد منهما ، فيه تأخذ الآيات صفة الطول أو القصر من خواتمها ذات الايقاع .

وأن هذا الايقاع يتنوع تنوعا محسوبا بتوالى الموضوعات المختلفة .

ومن أجل ذلك فقد استحدث المترجم أنماطا ايقاعية وتجميعات متعاقبة وافق بها وحدات الموضوعات فى النصوص العربية .

وكان ترقيمه للآيات خماسيا ، أى يدور على الخمسة ومضاعفاتها ، دون أن يعطى باقى الآيات أرقاما .

كما أنه اعتمد فى هذا الترقيم على مصحف غير الذى اعتمد عليه عبد الله يوسف على أو Picthall .

وقد أثبت بالفعل حسا افتقدته الترجمات القديمة الكالحة .

وتمشيا مع الرأى بتحريم ترجمة القرآن ، واقتناعا باستحالتها فقد أسمى كتابه تفسيرا أو تأويلا (١) .

وعند اختلاف آراء علماء التفسير الذين استعان بهم ، كان يعطى نفسه حرية الاختيار بين البدائل .

وحرص على أن تخلو لغته من التكلف ، كما تجنب أسلوب الكتاب المقدس The Bible
الا أنه استخدم الضمير thou مقابلا للمخاطب المفرد .

ومن أجل سلاسة الاسترسال خلا كتابه من التعليقات والرقع التفسيرية والحواشى والترنيلات .

وبخلاف المقدمة التى أوجزنا أهم ما فيها خلا كتابه عن أى تعريف بمعلومات أو أى شروح .

وفى ختام هذا التصدير قال انه لم يأخذ هذا العمل هونا ، وانما اخترق به مصابه بأزمة مكربة حتى أنجزه ، فكان مجلبة لراحة وتأييد يدينانه بالامتنان له وبالوفاء لصاحب الوحى ، على الدوام .

(١) ومع ذلك فيمكن أن تعنى تلك التسمية ترجمة أيضا .

الترجمات الانجليزية للقــرآن الكــريــم

وفى رأينا أن كلا من عبد الله يوسف عــلى ويكتول وآربرى قد أبلى فى ترجمته بلاء بالغ الهمة ، وكان له من التأييد والالمام عــدة أى عدة .

وتكاد تنحصر الفــروق بين ترجمــاتهم فى أذواقهم الشخصية من حيث المنهج والاختيار بين البدائل الفكرية أو التعبيرية .

بل ان المرء ليظن أن كلا منهم قد ينظر فى ترجمة أخيه فوافقه هنا أو خالفه هنــاك .

ولقد كبلتهم جميعا ذات القيود ، وأتعبتهم ، وألجأتهم الى اختيار الحلول ، ولكن الطريف أن أخطاء بعينها وقع فيها ثلاثتهم .

ونقتصر الآن على مثال واحد لهذه الأخطاء، حتى نأخذ فى تحليل الترجمات ان شاء الله فى أعداد قادمة .

فقد أغفلوا أن الجزء من الآية ٣١ (الرعد) **« وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى »** معطوف على قــول الكفار فى الجزء من الآية ٢٧ **« وَيَقُولُ الَّــذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ »** . ولو أنهم بينوه لزال لبس تضيق به صدور كثيرة .

وانما استمدت ترجمة آربرى مكانتها من تمكن آربرى الأدبى وابتعــــاده عن التكلف والاغراب ــ بمــا فى ذلك الرقــع التكميليــة ــ الأكاديمية باللغة العربية ومن ثباته فى أغلب الأحيان على استعمال نفس المرادف الانجليزى اذا تكرر اللفظ العربى .

ومع ذلك فقد وقعنا على هنات قليلة عنده . منها ما هو سهو لم يجــد من يتــداركه ، كقوله « لعلك ترضى

«haply thou wilt be well-pleasing»

يريد قوله تعالى « لعلك ترضى » فى الآية ١٣٠ من سورة طــه ، وجمعــه لاســم سورة « المؤمن » مما ترتب عليــة أن ظهــر اســم « المــؤمنون » فى ترجمتــه على رأس السورتين ٢٣ و ٤٠ .

ومنها ما نجم عن خلط فى الصرف كترجمته « يتلقى » الى يتلاقى فى قولــه تعالى **« إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ »** (١٧ ق) .

فجعلها .meet together .

كما ترجم « السكينة » فى جميع مواقعها من الكتاب «Shechina» وواضح أنها كلمة عبرية توراتية .biblical ؟؟ .

وترجم الآية الثانية من ســورة التغــابن والتى نصها **« هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِــرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِــيرٌ »** الى ما معناه « هو الذى خلقكم ففيكم واحد كافر وفيكم واحد مؤمن والله يرى ماتفعلون » .

وذلك كله على سبيل المثال لا الحصر .

«It is He who created you. One of you is an unbeliever, and one of you a believer, and God sees the things you do.

ولقد جرى على وضع نقطة تحت الحروف الانجليــزية dh, t, d, s تعبــيرا عن الحــروف العربيــة ص ، ض ، ط ، ظ عــلى التوالى .

كما جرى على وضع شرطة قصــيرة أفقية

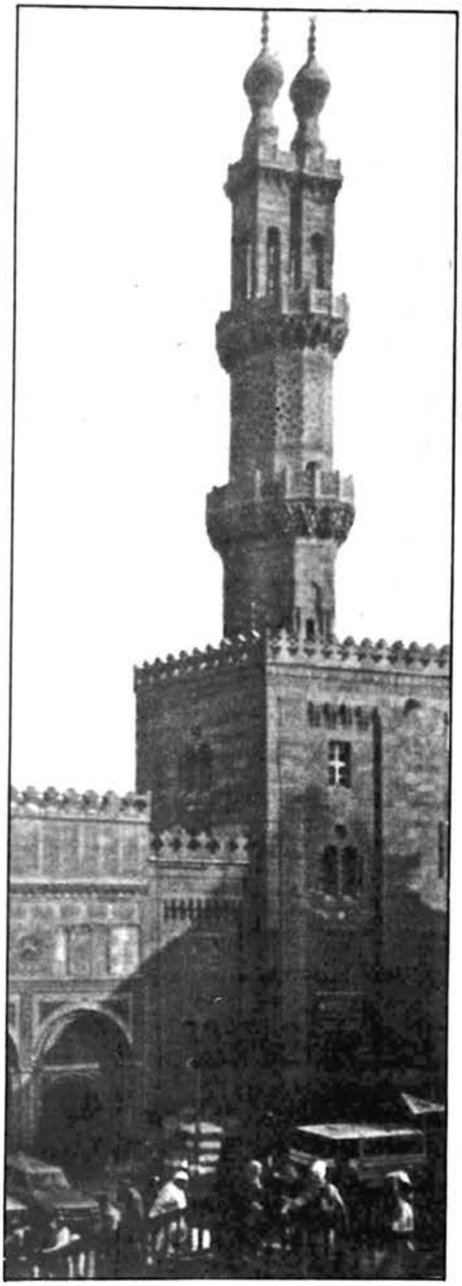

فوق الحرف المتحرك الانجليزى للتنبيه عـلى تمثيله لحرف العلة العربى المنـاظر له وليس مجرد حركة الضبط بالشكل (الفتحة والضـمة والكسرة) ٠

ولكن Arberry تجاهل هذا العرف فى كتابه الخالى عن أى تنبيه ، مما ترتب عليـه أن صارت سورة « ص » عنده Sad ومعناها حزين أو محزن وصار حرف « س » فى فواتح السور Sin أى الاثم أو الخطيئة ، وكان حريا به أن يجعلها Sad و Sin ٠

وحتى لو كان العرب قديما يطلقون اسـم الروم على قوميات أوربية مختلفة فما كـان للمترجم أن يعرض القرآن الكـريم لشـبهة الجهل ، حين أطلق اسم الاغريق The Greeks على سورة الروم ، وما نزلت تلك الآيات منها الا فى الروم وحرب الروم مع الفرس ٠

كذلك ترجم Arberry اسم الله الى God وقد أشرنا فى مقال سـابق الى تفضـيل لفظ الجلالة Allah ٠

ويذكرنا ذلك بترجمة Arberry للبسملة٠ فقـد خـالف المترجمين المحـدثين جميعا فى موضـع Merciful. فكلهم وضعوها مرادفا للرحيم ووضـعها هـو مرادفا للرحمن ٠

ونود أن نؤكـد هنـا أن ترجمـات البسملة بالانجليزية وغيرها لا يسـعها مطلقا أن تعطى معناها العـربى ٠ فلن تخرج عن مثل : « بسم الله المحسـن الرحيم » ، «بسم الله الرحيم العطوف» وما الى ذلك ٠

سليمان محمد بركات

ومن مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامي

"ليون جوتييه"

ليون جوتييه : Leon Goutiet

يتفق جوتييه هذا مع من قال بالسامية والآرية وخصائص كل منهما .

ويتفق مع من أنكر الابداع الفكرى عند المسلمين . ويشترك مع غيره من المستشرقين فى التحامل على الاسلام .

ولكن جوتييه — وهو بسبيل التعليل لما يقرره فى هذا الصدد — ينحو نحوا فيرجع الاجداب المزعوم فى العقلية الاسلامية . الى أسباب بيئية جغرافية هذه الأسباب هى التى جعلت العقلية السامية عقلية مجدبة غير مبتكرة بل ومتبلدة الاحساس .

فلقد توجه جوتييه الى الصحراء فوجدها — كما يزعم — قد طبعت عقلية الساميين بهذا الطابع الذى أدى بهذه العقلية الى الموقف المفرق غير المجمع .

وقد تأمل جوتييه الصحراء العربية فوجدها متقلبة متغيرة متنقلة من حال الى حال . فمن شتاء قاس فى برودته . الى صيف حار جدا . ومن رياح السموم الى خطر الموت غرقا فى الصحراء بفعل السيول . وصيحة الأعرابى المنذرة بالخطر « جاء الوادى » ولندع جوتييه نفسه يسوق أحكامه فى هذا الصدد مصحوبة بمبرراتها عنده .

يقول جوتييه . بعد أن يقرر أن الجنس السامى يتمثل فى العرب فى كتابه المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية ص ٦٠ — ٦١ :

تمتاز الصحراء — كما نعرف — بحرارتها الشديدة وبما يحدث فيها من تقلبات مفاجئة وعنيفة أحيانا . ففى الهضاب يعقب الصيف القاسى فى حرارته الشتاء الشديد فى برودته بل قد يجىء فى فصل واحد ليل قر ثلجى بعد نهار قائظ .

فعند شروق الشمس كما عند غروبها تحدث فى خلال دقائق معدودات تقلبات جوية يبلغ من عنفها أن تتحول الصحراء الى فتات ومن ثم يتكون الحصى الذى تسفيه الرياح ويتحول الى تلال من الرمال ... ويحدث أن تمر سنوات لا مطر فيها .ثم تظهر نقطة سوداء فى السماء الصافية الزرقاء وبعد دقائق تتحول الى غيوم حالكة وتمتد الى الجزء الأكبر من السماء فعندئذ تأخذ الأمطار الشديدة فى الانهمار . وفى مهابط الوديان تسقط السيول فجأة فى موجات قوية تأتى على كل ما يقف فى طريقها حتى لتحمل معها الخيام المنصوبة وتفرق الجمال والجمالين وأخيرا تنقلب

للدكتور محمود عبد المعطى بركات

المنخفضات الفاصلة الى مستنقعات وفى خلال عدة أيام تنمو الحشائش والنباتات نموا سريعا فى هذا الجو الرطب الذى لن يستمر طويلا فتنمو الخضرة فى الأرض الشاسعة القاحلة وتظهر فيها الأزهار والحبوب الا أن أشعة الشمس لا تلبث أن تعود فتشتد فتهب السموم ويجف ما كان رطبا فتعود الصحراء قاحلة « المصدر السابق » .

هذا الوصف التفصيلى للظواهر الجغرافية الصحراوية العربية هو حيثيات حكم جوتييه على العقلية العربية وهذا الحكم عبر عنه جوتييه فى كتابه المذكور بقوله :

« فالجنس الذى تكون هذه البيئة مهده يكون جنسا هادئا وبليد الاحساس عادة وعرضة لأهواء نفسية مفاجئة وشديدة ... عند هذا الجنس تتصل الأطراف أو يمتزج بعضها ببعض أو يخلف بعضها بعضا فجأة وبلا تمهيد ليس عنده أحوال وسطى ولا درجات أو تنوعات فى العاطفة والفكر » .

وبناء على ما تقدم فان الجنس السامى

فى نظر « جوتييه يتميز بتفصيل الطرفين وقرن الاضداد والمشتبهات من باب أولى — والانتقال من هذا الى ذلك انتقالا فجائيا أى يثب من الضد الى الضد فجأة وبلا وسائط .. هذا ما كان من جوتييه بالنسبة الى العقلية السامية . وقدراتها . فماذا عن العقلية القسيمة لها فى التصنيف العنصرى ، وهى العقلية الآرية . ؟

وبماذا تتميز هذه العقلية فى مقابلة ما تتميز به العقلية السامية ؟ .

ان مميز العقلية الآرية يختلف بالطبع عن ذلك . ومميز العقلية الآرية عند جوتييه هو التقريب بين الأضداد ووصلها بعضها ببعض وصلا متناسقا بفضل ما تضعه بينهما من الأطراف الوسطى المختارة بمهارة .

وها هو جوتييه يوازن بينهما فيقول فى كتابه المذكور .

فالعقلية السامية تميل الى قرن الأشياء والأضداد دون ربطها بما يجعل منها وحدة . بل تتركها منفصل بعضها عن بعض . ثم تنتقل من أحدهما الى الآخر دون واسطة بوثبة فجائية .

أما العقلية الآرية فالأمر بالنسبة اليها بالعكس اذ أنها تنزع الى الربط بين هذه وتلك بوسائط متدرجة فلا تنتقل من طرف الى آخر الا بدرجات لا تكاد تكون محسا بها . وتعليل جوتييه لخواص العقلية السامية بما مر ربما يشعر بأن العقلية الآرية تتميز بما يخالف

ومن مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى

الطابع السابق أو بغيره فيما يتعلق بالبيئة والظروف الجغرافية ولكن جوتييه لم يعلل حكمه بالنسبة للآريين على هذا النحو بل لم يعلله مطلقا فيما أعلم • فلم أر عنده مثلا تعليلا لعبقرية الآريين باعتدال الطبيعة مثلا • أما عن العقلية السامية فهناك فى رأيه تشابه أو ارتباط بين أجداب الصحراء وأجداب العقل السامى وبين تقلبها وتقلبه • فما يتميز به هذا مسبب عما تميزت به تلك • ومن ثم حق على العقلية السامية ان تسمى عقلية مفرقة • وعلى العقلية الآرية أن تسمى عقلية مجمعة • وعلى فرض تعليله لنبوغ عقلية الآريين • وعلى فرض قبول هذا التعليل فان ذلك لا يهمنا لأننا لا ننكر ابداع العقلية الآرية •

وانما الذى نهدف اليه هو الانفكاك بين مقدمات الرجل ونتائجه فيما يتعلق بحكمه على العقلية السامية •

فما عدده من أسباب لا يؤدى الى مسبباته الموهومة •ويصل جوتييه بعد ذلك الى نتيجة خاصة بعمل المسلمين التوفيقى فى نظره • وهى أن الاسلام لما كان دينا قويا جدا فى ساميته وكانت الفلسفة اليونانية قوية جدا فى آريتها كان لزاما على الفلاسفة • أن يوفقوا بين الحكمة والشريعة • بين اليونانية فلسفة الوصل وبين الاسلام دين الفصل •

هذا بعض ما جاء عن جوتييه فيما يتعلق بقضية الفكر الاسلامى • وبالقاء نظرة متأنية على رأى جوتييه فى القضية بحيثياته • وأحكامه نجد أن الربط مفقود أو ضعيف جدا بين الأسباب • والنتائج التى يرتبها على هذه الأسباب •

بل اننى أرى أنه لاتوجد رابطة أصلا بين ما عدده جوتييه من ظواهر البيئة العربية • وبين هذه الخواص المزعومة للعقلية المستوطنة لهذه البيئة عربية أو سامية •

ولا أجد وجها للتلازم بين الحيثيات والأحكام التى رتبها عليها وذلك أن تنوع البيئة الصحراوية والتقلب فى أحوالها من حر الى برد ومن صفاء الى تلبد أو غيوم • ومن رياح أو سكون ليس بالضرورة مؤديا الى ما يزعمه الرجل • وان كان له بعض التأثير على التفكير الا أن هذا التأثير قد يكون ايجابيا جدا ومنشطا لحركة الفكر وذلك لأنه من المعروف أن جو الصحراء عموما معين على صفاء الذهن وتوقد العقل ونقاء القريحة والنشأة المستقيمة • ونحن نعرف أن بعض القبائل الحضرية فى الصحراء كان من المألوف لديهم بل من المستحب أن يبعثوا بأولادهم الى البادية للرضاع أو التربية أو هما معا ، من أجل هذا التأثير المذكور كان يفعل الأمراء والعظماء• ونحن نعلم بالاضافة الى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضع فى بنى سعد بالبادية وكان فى شبابه ينزع الى الهدوء فيهرب من ضوضاء المدينة « مكة » على بساطتها جدا الى غار حراء وينقطع للعبادة والتأمل والفكر والتماس الحق • وبناء عليه فان ما ذكره جوتييه هذا كتعليل لخواص العقلية السامية يؤدى الى عكس ما يدعيه

ويثبت نقيض مطلوبه • على أن هذه الاختلافات فى الظواهر الكونية التى ذكرها جوتييه وما يترتب عليها من الليل والنهار والسحب والأمطار والحرارة والبرودة والزرع والنبات والاخضرار والجفاف وما الى ذلك من تطورات • كل ذلك يؤدى — على عكس مايزعم — الى فتح ميدان خصب لعمل الفكر ومسالك للتفكير العقلى وصولا الى أمهات القضايا العقلية والغيبية تقريرا واستدلالا واهتداء •

ان الملاحظة التى قد تعد بسيطة — فى هذا المناخ — قد تسلك بالانسان الطريق الى معرفة أهم جوانب المعرفة بل الى أهم المعارف على الاطلاق وأعنى بها معرفة الله سبحانه وتعالى •

فاذا قال العربى البدوى البسيط : البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا يدل ذلك على العليم الخبير ؟ كان ذلك منه اعمالا للفكر فى بعض مظاهر هذه البيئة المفترى عليها وصولا الى معرفة الخالق سبحانه وتعالى والى معرفة بعض صفاته — العليم الخبير • وهذا الموضوع نفسه أريق فيه كثير من مواد المفكرين وتصارعت فيه أقلام وقصف بعضها بعضا •

ولازالت المعارك دائرة بين المؤمنين والماديين الملحدين الذين لم يستطيعوا أن يتجاوزوا عالم الحس الى عالمما وراء الحس• كما انتقل هذا الأعرابى بل لانغالى اذا قلنا أن هذا الاعرابى — ربيب هذه البيئة المظلومة — قد توصل بفكره البسيط الواعى الذى شكلت هذه البيئة مادته • أقول • توصل الى ماعجز فلاسفة الفكر المادى الملحد عن ادراكه •

هذه الظواهر البيئية اذن تمثل ميدانا فسيحا يسبح فيه العقل كى يصل الى قضايا فكرية فى غاية العمق الفلسفى •

وذلك أن فى خلق السموات والأرض • واختلاف الليل والنهار • وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها • وفى تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض فى كل هذه الظواهر دلائل واضحات وآيات بينات رائعات مقنعات للعقل ودافعات له الى أن يفكر ويبتكر وينتج ويستنتج ويصل الى حلول لقضايا صرعت دونها عقول وعقول وضلت فيها أفهام وأفهام•

أرأيت الى من قصر نظره وعطل فكره فقال : ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر • منكرا للبعث والنشور؟

ترى • كيف تقام عليه الحجة فى هذا الأمر الغيبى المضنى للفكر ؟

وما هى مادة هذه الحجة ؟

ان مادة هذه الحجة هى بعض ما جعله الرجل معوقات للفكر • ولننظر : الأرض ميتة هامدة • جامدة ينزل عليها الماء من السماء فتهتز وتربو وتنبت الأصناف البهيجة من النبات •

الرياح تحمل السحاب وتسيره بأمر الله• ينساق الى بلد ميت فتحيا به الارض بعد

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى

موتها • كذلك البعث • كذلك النشور •

« وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ » سورة فاطر آية ٩ •

وحينما يقول الكافر المستبعد المتعجب : ءاذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد • تكون الأجابة عليه بلفت النظر الى ما يعده الرجل معوقات للفكر :

« أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ، وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ، وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ » سوره ق الآيات ٦ ـ ١١ •

وهكذا تمثل هذه الظواهر والتنوعات مادة يتخذ منها الفكر مجالا خصبا للبحث والاستدلال والاقتناع فى بعض أمهات المسائل والقضايا المشكلة ، ان هذه الظواهر المتقلبة• أو سريعة التقلب ـ كما يقول جوتييه ـ مبعث تأملات راقية وبحوث رفيعة فى الالوهية والقضايا الغيبية بل وفى فلسفة الحياة نفسها فتعاقب هذه الظواهر السريع كتعاقب مراحل الحياة ، الماء ينزل من السماء فيختلط به نبات الأرض • ثم لا يلبث أن يصير هشيما تذروه الرياح •

هكذا يجب أن ينظر الى الحياة • وتلك هى فلسفتها •

« وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا » سورة الكهف آية ٤٥

والملفت للنظر هنا أن القرآن الكريم يستخدم هنا فى العطف مايفيد التعقيب دون تراخى ــ وهو الفاء •

ان الرجل ــ فى نظرى ــ لم يوفق فى الهجوم من هذه الزاوية ولذلك فان ضرباته ترتد الى صدره •

ثم الجبال وهى رواسى وثوابت تحفظ توازن الأرض منها جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ••• انما يخشى الله من عباده العلماء • وهل تكون الجبال الا فى البيئات الصحراوية •

أرأيت كيف توظف هذه الظواهر كمثيرات لفكر وعمل العقل ؟

وسماء الصحراء الهادئة الصافية ونجومها لمتألقة والتى قد لاتلحظ فى الحضر أو المدينة تمثل علامات يهتدى بها ، « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » والاهتداء بالرواسى والنجوم لا يقتصر على هدايات الطريق فى متاهات

وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ

صدق الله العظيم

الصحراء وانما يشمل هداية العقول الى معرفة الخالق فى متاهات الفكر .

فالكواكب تدل على مكوكبها والجبال شاهدة على عظمة مرسيها .

« أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ » .

وكل هذا مما تذخر به البيئة الصحراوية .

وفى وحدة عنصر الماء ووحدة عنصر التربة مع اختلاف مذاق النباتات فى الصحراء وغيرها آيات وآيات .

ولو استطردنا الى كل ما توحى به الصحراء فيما يتعلق باستثارة الفكر لما وسعنا المقام .

أرأيت كيف تؤدى مقدمات جوتييه الى نقيض مقصوده فى النظر الصحيح ؟ ثم .. اذا كان العرب جنسا ساميا فهم بالتأكيد ليسوا كل الساميين فالسامية أوسع دائرة من أهل الجزيرة العربية بمفهومها الجغرافى .

فما بال الرجل يتخذ من الجزيره العربية وبيئتها بما فيها من خصاص واسطة لحكمه على السامية كلها بهذا الشكل من التعميم ؟

ن ذلك مخالف للمنهجية السليمه مع مافيه من مجافاة للدقة والانصاف !! واذا كان الرجل قد علل صبغة العقلية السامية على النحو المذكور فانه لم يعلل على ذات النحو ما وصف به العقلية الآرية من صفاء وألمعية فما هو السبب فى ابداعها ياترى ؟..

أهو اعتدال الاصوال المناخية . واستقرار الظروف البيئية والأحوال الجوية مثلا ؟! وهل خلا موطن الآرية على امتداده الواسع من الصحراء وظواهرها ؟.

نحن نعلم أن الأحوال المناخية فى بعض مناطق الجنس الآرى فى مد وجزر متعاقبين الى درجة كبيرة كبعض مناطق أوربا . فهل يعنى ذلك شيئا بالنسبة الى عقليتهم .

وانه لمن المثير للسخرية والاشفاق معا أن يقول جوتييه : « فمن شتاء قارس الى صيف حار » .

لقد نسى الرجل أن الشتاء لايلى الصيف ولا يعقبه . ولا العكس لأن هناك فصلا كاملا من فصول السنة يفصل بينهما . فالصيف يقع بين كل من الربيع والخريف . والشتاء يقع بين الخريف والربيع ومن ثم ينعدم الانتقال الفجائى من الشتاء الى الصيف أو

ومن مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى

العكس . اللهم الا أن يكون لدى الرجل تصنيف آخر لفصول السنة عندنا ينفرد به هو عن علماء الأرض قاطبة .

واذا كان السيل مخيفا الى هذه الدرجة حتى يصبح الأعرابى منذرا « جاء الوادى » فهل يكون ذلك ، عاملا من عوامل جمود الفكر وتبلد العقل كما يدعيه الرجل ؟ وهل صيحة الأعرابى هذه تساوى فى هولها شبح الحرب فى عصرنا الحديث ذرية أو هيدروجينية أو كيماوية أو جرثومية أو حتى عادية ؟

وهل يمكن أن يقال . ان نذير الحرب النووية الذى يلوح من وقت لآخر ثم يختفى. قد قعد بالناس فى معسكرى الشرق والغرب عن الفكر أو القدرة عليه .؟

ان الملاحظ هو عكس ذلك . انه يحفز كلا من الجانبين على التفكير سريعا فى ملاحقة أى تطور فى المعسكر المنافس فهو يشحذ ذهنه ويعمل فكره حتى يلحق به ان لم يسبقه .

فهل يمكن أن يقال أن هذا الوضع قد طبع عقلية المتنافسين بطابع كالذى يدعيه جوتييه؟

وأخيرا هل يمكن أن يكون هناك ما يمكن أن يعتصم به انسان عصرنا من قمة أو شاهق جبل اذا ماوقع محذور زماننا ؟

ان قول جوتييه فى دعواه ، ان الاسلام لما كان دينا قويا فى ساميته كقول نظيره رينان ان هذا الجنس السامى طبع ما ابتدعه من أديان بطابع القوة الخ .

أقول : هذا القول وذاك يشعران بأن الاسلام دين بشرى وضعى أو عنصرى أو قومى . بحكم النسبة فى سامى . وفى ذلك مافيه من المجافاة للحقيقة فالاسلام دين الهى ثم هو دين عام للبشر جميعا الى أن يرث موحيه الأرض ومن عليها وما عليها .

وجوتييه كغيره مع تهافت دعواه كما تبين لنا لم تخل دعواه عن التناقض الصريح .

فلقد أورد عنه الشيخ مصطفى عبد الرازق

" أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ .. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ "

رحمه الله حديثا بشأن ظاهرة التوفيق فى فكر المسلمين الفلسفى بين الفلسفة والدين •

أورد عنه قوله :

ان الفلاسفة المسلمين لم يألوا جهــــدا فى القيام بواجبهم فى هذه الناحية وقد أبدوا فى ممارسته « التوفيق بين الدين والفلســـفة » على ما فيه من دقة وعناد خصالا منقطعـــــة النظير من مهارة ونفاذ وبعد نظر • ورأيهـــم فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال هــــو معقد الطرافة فى هذه الفلســـــفة اليونانية الاسلامية • تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٢١ •

ومظهر التضارب فى هذا الحديث هو أنه قد قرر أن العقلية السامية مجدبة غير منتجـــة كما سبق • واذا كان أمرها كذلك •

فأنى لها بالمهارة والنفاذ وبعد النظر المنقطع النظير فى هذا العمل التوفيقى على ما فيه من دقة وعناء ؟

حقيقة أن هذا الحصاد المتهافت من أفكار الرجل المتناقضة المشبعة بالحقد على الاسلام والمسلمين • لاننكره نحن فقط • وانما ينكره كل عاقل منصف لمجافاته للحقيقة العلميـــــة والواقـــع •

يقول المستشرق الروسى « بار تولد » فى كتابه تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٣٩ وهو خير ما نختم به هذا المقال •

« ولايمكن ايضاح تقدم الشعوب المختلفة أو تأخرها بما لها من ميزات جنسية **أو مايحيط بها من الطبيعة** بل بموقفها الذى أحرزته مع شعوب متباينة فى مختلف عصور تاريخهـــا • ومهما كانت الأقوام الى الجنس الهنـــــدى الأوربى متفوقة على غيرها فانها لو عاشـــت عيشة منعزلة عن الأجناس الأخرى •• لظلت متوحشة حتى اليوم » •

وهذا الكلام ظاهر فى عدم اعتبـــار أثر البيئة الطبيعية وبعد •

فهذا بعض مافى جعبـــــة الرجـــــل استخرجناه وزيفناه وبينا وجه الصواب فى مقتضاه والله أعلم بالصواب ••

دكتور : محمود عبد المعطى بركات

طرائف

كيف رأيت ؟

قيل لأبى عقيل العراقى :

كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة اليه ؟

قال : رأيت رغبته فى الانعام ، فوق رغبته فى الشكر ، وحاجته الى قضاء حاجات الناس أشد من حاجة صاحب الحاجات ٠

قالوا ..

* من مدحك عند رضائه عنك بما ليس فيك ، ذمك لا محالة عند غضبه عليك بما لَيس فيك ٠

* من مكارم الأخلاق : التواضع فى الرفعة ، والتجمل فى القلة ، والاقتصاد فى الثروة ٠

* سخر عقلك لعلمك ، وسخر نفسك لعقلك ٠

* من حدث نفسه بالتوبة من الذنب قبل الوقوع فيه دعاه ذلك الى فعله ٠

* من ترك الحزم للوهم فهو أحمق ، ومن أقام على الشك مع امكان المصير الى اليقين فهو أخرق ٠

((اضاعتان هما أصل كل أضاعة))٠

اضاعة القلب ، واضاعة الوقت ٠

فاضاعة القلب من ايثار الدنيا على الآخرة ٠

واضاعة الوقت من اتباع الهوى وطول الأمل ٠

هل تعلم؟

أن أول من خوطب بقاضى القضاة أبويوسف يعقوب — فى الدولة العباسية — القاضى ، وهو أول من غير لباس العلماء بهذا الزى فى خلافة الرشيد ، وأول من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة وأملى المسائل ونشرها ، وبث علم أبى حنيفة ، وقيل لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة — رضى الله عنهما — ٠

ذم الخمر

كان العباس بن على المنصور يأخذ الكأس بيده ثم يقول لها : أما المال فتبلعين ، وأما المروءة فتخلعين ، وأما الدين فتفسدين ٠

ذكر أن أهل بلد موصوفين بالشح ، وحدث أن رجلا تصدق برغيف على ضرير فيها ٠

فقال الضرير : أحسن الله غربتك ٠

فقال الرجل : كيف عرفت غربتى ؟ ٠

قال : لأنى منذ ثلاثين سنة ما أعطانى أحد رغيفا صحيحا ٠

ومواقف

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أنت كالسماء

حضر رجل بين يدى بعض الملوك فأغلظ له السلطان ٠

فقال له الرجل : انما أنت كالسماء اذا أرعدت وأبرقت ، فقد قرب خيرها فسكن غضبه وأحسن اليه ٠

التفكير

قال المنصور ، لابنه المهدى : لا تبرم يابنى أمرا حتى تفكر فيه ، فان فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيئاته ، واعلم أن السلطان لا يصلحه الا التقوى ، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه ٠

نصيحة

قال الحسن البصرى لرجل حضر جنازة : أتراه لو رجع الى الدنيا نعمل صالحا ؟

قال : نعم ٠

قال : فان لم يكن هو فكن أنت !!

فرج الله قريب

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت ، وكنت أظنها لا تفرج

كتمان السر

قال عمرو بن العاص ــ رضى الله عنه ــ : اذا أفشيت سرى الى صديقى فأذاعه كان اللوم على لا عليه ٠

قيل له : وكيف ذلك ؟

قال : لأنى كنت أولى بصيانته منه ٠

دعاء

اللهم ارزقنا حسن التوكل عليك ودوام الاقبال عليك ، واكفنا شر وساوس الشيطان وقنا شر الانس والجان ، واخلع علينا خلع الرضوان وهب لنا حقيقة الايمان ٠ يا رحمن ٠

من التراث

■ الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء

■ مجلة الأزهر من خمسين عامًا

■ من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

الظانين بالله ظن السوء

عليهم دائرة السوء

للإمام الجليل المحدث المفسر الفقيه
شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي
المعروف بـ ابن قيم الجوزية

قال الامام ــ رضى الله عنه (١) :

« ٠٠٠٠٠ أكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم ، وفيما يفعله بغيرهم ٠

ولا يسلم عن ذلك الا من عرف الله ، وعرف أسماءه وصفاته ، وعرف موجب حمده وحكمته ، فمن قنط من رحمته ، وأيس من روحه ، فقد ظن به ظن السوء ٠

ومن جوز عليه أن يعذب أولياءه مع احسانهم واخلاصهم ، ويسوى بينهم وبين أعدائه ، فقد ظن به ظن السوء ٠

ومن ظن به أن يترك خلقه سدى ، معطلين عن الأمر والنهى ، ولا يرسل اليهم رسله ، ولا ينزل عليهم كتبه ، بل يتركهم هملا كالأنعام ، فقد ظن به ظن السوء ٠

ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب فى دار يجازى المحسن فيها باحسانه ، والمسىء باساءته ، ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله ، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين ، فقد ظن به ظن السوء ٠

ومن ظن أنه يضيع عليه عمله الصالح الذى عمله خالصا لوجهه الكريم على امتثال أمره، ويبطله عليه بلا سبب من العبد ، أو أنه يعاقبه بمالا صنع فيه ، ولا اختيار له ، ولا قدرة ، ولا ارادة فى حصوله ، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به ، أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التى يؤيد بها أنبياءه ورسله ، ويجريها على أيديهم يضلون بها عباده ، وأنه يحسن منه كل شىء حتى تعذيب من أفنى عمره فى طاعته ، فيخلده فى الجحيم أسفل السافلين ، وينعم من استنفد عمره فى عداوته وعداوة رسله ودينه ، فيرفعه

١ ــ العنوان من وحى المقال ، والقطعة من كتابه : « زاد المعاد فى هدى خير العباد » ، تحقيق الاستاذين شعيب وعبد القادر الارنؤوط ج ٣ ص ٢٢٩ نشر مؤسسة الرسالة ــ بيروت ٠

الظانين بالله ظن السوء..

الى أعلى عليين ، وكلا الأمرين عنده فى الحسن سواء ، ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر الابخبر صادق والا فالعقل لا يقضى بقبح أحدهما وحسن الآخر ، فقد ظن به ظن السوء

ومن ظن به أنه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل ، وتشبيه ، وتمثيل ، وترك الحق ، لم يخبر به ، وانما رمز اليه رموزا بعيدة ، وأشار اليه اشارات ملغزة لم يصرح به ، وصرح دائما بالتشبيه والتمثيل والباطل ، وأراد من خلقه أن يتعبوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم فى تحريف كلامه عن مواضعه ، وتأويله على غير تأويله ، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة ، والتأويلات التى هى بالألغاز والأحاجى أشبه منها بالكشف والبيان ، وأحالهم فى معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم ، لا على كتابه ، بل أراد منهم ألا يحملوا كلامه على ما يعرفون من خطابهم ولغتهم ، مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذى ينبغى التصريح به ، ويريحهم من الألفاظ التى توقعهم فى اعتقاد الباطل ، فلم يفعل ، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان ، فقد ظن به ظن السوء .

فانه ان قال : انه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذى عبر به هو وسلفه (١) ، فقد ظن بقدرته العجز ، وان قال : انه قادر ولم يبين ، وعدل عن البيان ، وعن التصريح بالحق الى ما يوهم ، بل يوقع فى الباطل المحال ، والاعتقاد الفاسد ، فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء ، وظن أنه ، هو وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله ، وأن الهدى والحق فى كلامهم وعباراتهم . وأما كلام الله ، فانما يؤخذ من ظاهره التشبيه ، والتمثيل ، والضلال ، وظاهر كلام المتهوكين (٢) انحيارى ، هو الهدى والحق ، وهذا من أسوا الظن بالله ، فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء ، ومن الظانين به غير الحق ظن الجاهلية .

ومن ظن به أن يكون فى ملكه مالا يشاء ولا يقدر على ايجاده وتكوينه ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به أنه كان معطلا من الأزل الى الأبد عن أن يفعل ، ولا يوصف حينئذ بالقدرة على الفعل ، ثم صار قادرا عليه بعد أن لم يكن قادرا ، فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به أنه لا يسمع ولا يبصر ، ولا يعلم الموجودات ، ولا عدد السماوات والأرض ، ولا النجوم ، ولا بنى آدم وحركاتهم

---

١ ــ أى القائل بهذا القول هو وسلفه .. الخ

٢ ــ التهوك : كالتهور ، وهو الوقوع فى الأمر بغير روية ،والمتهوك : الذى يقع فى كل أمر ، وقيل هو التحير ، وفى حديث جابر الذى أخرجه أحمد فى المسند ٣/٣٣٨ و ٣٨٧ « أن عمر أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال،انا نسمع احاديثمن يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال : أمتهوكون انتم كما تهوكت اليهود والنصارى ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حيا ماوسعه الا اتباعى » ووهو حديث حسن له شاهد من حديث عبد الله بن شداد عند أحمد ٣/٤٧٠، ٤٧١ ، وآخر من حديث عمر عند أبى يعلى .. (الحاشية للمحققين) .

وأفعالهم ، ولا يعلم شيئا من الموجودات فى الأعيان ، فقد ظن به ظن السوء •

ومن ظن أنه لا سمع له ، ولا بصر ، ولا علم له ، ولا ارادة ، ولا كلام يقول به ، وأنه لم يكلم أحدا من الخلق ، ولا يتكلم أبدا ، ولا قال ولا يقول ، ولا له أمر ولا نهى يقوم به ، فقد ظن به ظن السوء •

ومن ظن به أنه فوق سماواته على عرشه بائنا من خلقه ، وأن نسبة ذاته تعالى الى عرشه كنسبتها الى أسفل السافلين ، والى الأمكنة التى يرغب عن ذكرها ، وأنه أسفل، كما أنه أعلى ، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه•

ومن ظن به أنه يحب الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، ويحب الفساد كما يحب الايمان ، والبر ، والطاعة ، والاصلاح ، فقد ظن به ظن السوء •

ومن ظن به أنه لا يحب ولا يرضى ، ولا يغضب ولا يسخط ، ولا يوالى ولا يعادى ، ولا يقرب من أحد من خلقه ، ولايقرب منه أحد ، وأن ذوات الشياطين فى القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين وأوليائه المفلحين ، فقد ظن به ظن السوء •

ومن ظن به أنه يسوى بين المتضادين ، أو يفرق بين المتساويين من كل وجه ، أو يحبط طاعات العمر المديد الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها ، فيخلد فاعل تلك الطاعات فى النار أبد الآبدين بتلك الكبيرة ، ويحبط بها جميع طاعاته ويخلده فى العذاب ، كما يخلد من لا يؤمن به طرفة عين ، وقد استنفد ساعات عمره فى مساخطه ومعاداة رسله ودينه ، فقد ظن به ظن السوء •

وبالجملة فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ووصفه به رسله ، أو عطل حقائق ما وصف به نفسه ، ووصفته به رسله ، فقد ظن به ظن السوء •

ومن ظن أن له ولدا ، أو شريكا أو أن أحدا يشفع عنده بدون اذنه ، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم اليه ، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم اليه ، ويتوسلون بهم اليه ، ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه ، فيدعونهم ، ويحبونهم كحبه ، ويخافونهم ويرجونهم ، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه •

ومن ظن به أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته ، كما يناله بطاعته والتقرب اليه ، فقد ظن به خلاف حكمته وخلاف موجب أسمائه وصفاته ، وهو من ظن السوء •

ومن ظن به أنه اذا ترك لأجله شيئا لم يعوضه خيرا منه ، أو من فعل لأجله شيئا لم يعطه أفضل منه ، فقد ظن به ظن السوء •

ومن ظن به أنه يغضب على عبده ، ويعاقبه ويحرمه بغير جرم ، ولا سبب من العبد الا بمجرد المشيئة ، ومحض الارادة ، فقد ظن به ظن السوء •

ومن ظن به أنه اذا صدقه فى الرغبة والرهبة ، وتضرع اليه ، وسأله ، واستعان به ، وتوكل عليه أنه يخيبه ولا يعطيه ما سأله ، فقد ظن به ظن السوء ، وظن به خلاف ما هو أهله •

الظانين بالله ظن السوء..

ومن ظن به أنه يثيبه اذا عصاه بما يثيبه به اذا أطاعه ، وسأله ذلك فى دعائه ، فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده ، وخلاف ما هو أهله ومالا يفعله .

ومن ظن به أنه اذا أغضبه ، وأسخطه ، وأوضع فى معاصيه ، ثم اتخذ من دونه وليا ، ودعا من دونه ملكا أو بشرا حيا ، أو ميتا يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه ، ويخلصه من عذابه ، فقد ظن به ظن السوء ، وذلك زيادة فى بعده من الله ، وفى عذابه .

ومن ظن به أنه يسلط على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أعداءه تسليطا مستقرا دائما فى حياته وفى مماته ، وابتلاه بهم لا يفارقونه ، فلما مات استبدوا بالأمر دون وصية ، وظلموا أهل بيته ، وسلبوهم حقهم، وأذلوهم ، وكانت العزة والغلبة والقهر لأعدائه وأعدائهم دائما من غير جرم ولا ذنب لأوليائه ، وأهل الحق ، وهو يرى قهرهم لهم ، وغصبهم اياهم حقهم ، وتبديلهم دين نبيهم ، وهو يقدر على نصرة أوليائه وحزبه وجنده ، ولا ينصرهم ولا يديلهم ، بل يديل أعداءهم عليهم أبدا ، أو أنه لا يقدر على ذلك ، بل حصل هذا بغير قدرته ولا مشيئته ، ثم جعل المبدلين لدينه مضاجعيه فى حفرته ، تسلم أمته عليه وعليهم كل وقت كما تظنه الرافضة ، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه ، سواء قالوا : انه قادر على أن ينصرهم ، ويجعل لهم الدولة والظفر ، أو أنه غير قادر على ذلك ، فهم قادحون فى قدرته ، أو فى حكمته وحمده ، وذلك من ظن السوء به ، ولا ريب أن الرب الذى فعل هذا بغيض الى من ظن به ذلك غير محمود عندهم ، وكان الواجب أن يفعل خلاف ذلك ، لكن رفوا هذا الظن الفاسد بخرق أعظم منه ، واستجاروا من الرمضاء بالنار ، فقالوا : لم يكن هذا بمشيئة الله ، ولا له قدرة على دفعه ونصر أوليائه ، فانه لا يقدر على أفعال عباده ، ولا هى داخلة تحت قدرته ، فظنوا به ظن اخوانهم المجوس والثنوية بربهم ، وكل مبطل ، وكافر ، ومبتدع مقهور مستذل ، فهو يظن بربه هذا الظن ، وأنه أولى بالنصر والظفر ، والعلو من خصومه ، فأكثر الخلق ، بل كلهم الا من شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن السوء .

فان غالب بنى آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ، ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله ، ولسان حاله يقول : ظلمنى ربى ، ومنعنى ما أستحقه ، ونفسه تشهد عليه بذلك ، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به ، ومن فتش نفسه ، وتغلغل فى معرفة دفائنها وطواياها ، رأى ذلك فيها كامنا كمون النار فى الزناد ، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما فى زناده ، ولو فتشت من فتشته ، لرأيت عنده تعتبا على القدر وملامة له ، واقتراحا عليه خلاف ما جرى به ، وأنه كان ينبغى أن يكون كذا وكذا ، فمستقلٌ ومستكثر ، وفتِّش نفسك هل أنت سالم من ذلك :

فَإِن تَنجُ مِنهَا تنج مِنْ ذِى عظيمةٍ
وَإِلاَّ فـإِنى لا إِخَـالُكَ نَاجِيًـا

فليعتن اللبيب الناصـح لنفسـه بهـذا الموضع ، وليتب الى الله تعالى وليستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء ، وليظن السوء بنفسه التى هى مأوى كل سوء ، ومنبع كـل شر ، المركبة على الجهل والظلم ، فهى أولـى بظن السوء من أحكم الحـاكمين ، وأعـدل العادلين ، وأرحم الراحمين ، الغنى الحميد ، الذى له الغنى التام ، والحمد التام ، والحكمة التامة ، المنزه عن كل سوء فى ذاته وصـفاته ، وأفعاله وأسمائه ، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه ، وصفاته كذلك ، وأفعاله كذلك ، كلها حكمة ومصلحة ، ورحمة وعدل ، وأسماؤه كلها حسـنى :

فَلاَ تَظْنُنْ بربك ظـنَّ سَوْءٍ
فَـإِنَّ اللهَ أَوْلَـى بِالجميـلِ
ولا تَظْنُنْ بِنَفْسِـكَ قَطُّ خَيْرًا
وكيف بظـالم جـانٍ جَهُـولِ
وقل يَا نَفْسُ مَأْوَى كُلِّ سُـوءٍ
أَيُرجَـى الخـيرُ مِنْ مَيْت بخِيلِ
وَظُنَّ بِنَفْسِـكَ السُّـوأَى تَجِدْهَا
كَذَاكَ وَخَـيْرُها كالمسـتحيلِ
وما بك مِنْ تُقـى فيهـا وخيرٍ
فتلك مـواهب الـرب الجليـلِ
وَلَيْسَ بِهَـا وَلاَ مِنْهَـا ولكـنْ
من الرحمـن فاشـكرْ للدَّليـلِ

د . ع . خ

أصول سعادة الأمة

للشيخ محمد الخضر حسين

السعادة : هى الخير ، وتمامه .

وتمام السعادة : هو الذى اذا بلغناه لم نحتج معه الى شىء آخر .

وكل الفضائل سعادة ، وأول مراتبها: أن يصرف الانسان اراداته الى مصالحه فى العالم وآخر مراتبها : أن تكون أفعاله كلها الهية ، وهى الخير المحض .

فالسعادة ألذ الأشياء ، وأفضلها ، وأجودها وأوضحها .

وكل من كثرت فضائله كثر حساده عليها ، وانبعثوا لايقاع التلبيس فيها ومن السعادة الحكمة . « **وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا** » (١) الآية .

وللحكمة زمان اظهار ، وزمان كتمان فلا يصلح زمان الكتمان لاظهارها ، ولا زمان الاظهارلكتمانها . وهى تنقص أهلها فى غير حينها ، كما تزيدهم فى حينها ، وتضعهم عند المستخفين بها ، وترفعهم عند المستحقين لها ، والموفق من يعرف ظروفها ويضعها فيما يناسبها .

(١) سورة البقرة من آية رقم ٢٦٩ .

وفساد الدين فى ثلاثة :

زلة العلماء ، وميل الحكماء ، وجهل الرؤساء فى التأويل ، ومن لم يكن معه قلب سليم لم ينتفع بالقرآن الكريم ، فسلامة الانسان عن الخطأ رأسا ليس بمطموع فيها ، ولكن الطمع فى أن يكثر صوابه ويقل خطأه .

والسعادة فى الحكم : هى أن تكون نسبة الحاكم الى المحكوم نسبة أبوية ، ونسبة الرعية اليه بنوية ، ونسبة الرعية بعضها الى بعض أخوية . حتى تكون السياسات مأمونة محفوظة على شرائطها الصحيحة . « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** » (٢) الآية « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ** »(٣) الآية . واذا لم تراع هذه النسب صارت محبة الأخيار الى تباغض الأشرار . وتعود الألفة نفارا ، والمودة نفاقا . ويطلب كل واحد لنفسه مايظنه خيرا له وان أضر بغيره ، وتبطل

(٢) النساء من الآية رقم ٥٨ .
(٣) النحل من الآية رقم ٩٠ .

عرض وتقديم
الأستاذ أحمد حسن جابر رجب

الصداقات ، والخير المشترك بين النـــاس ، ويؤول الأمر الى الهرج الذى هو ضد النظام الذى رتبه الله لخلقه ، ورسمه لهم بالشريعة وأوجبه بالحكمة البالغة .

فلا أحد أخس مرتبة ممن يتتبع القبيـــح ليستخرجه من بين ظهرانى الحسن. والنفوس مجبولة على الاعجاب بالمناظر العظيمة .

ومن الواجب على كل ذى صنعة ألا يحمله فرط الاعجاب بنفسه ، وبصـــناعته على الاستخفاف بمن سواه . وألا يحمله الاغترار بما أوتيه من المهارة فى خاصى صناعته عـلى الخوض فيما ليس هو من شأنه ، بل يعمـل على تفويض كل صناعة الى أربابها ، ويـوف العارفين بها ، والمتقدمين فيها أبلغ حقوقهم من التبجيل والتعظيم ، خصوصا لمن لا يشهد له بالعصمة ، فان الحق لايعرف بالرجـال ، ولكن من يعرف الحق يعرف أهله :

من أصابه منهم ومن أخطأه .

والحق متاح لمن أراده وأحب أن ينطق به لكن للنفوس أوطارا تؤثر على طلب الأجر ، ولابد للفهم من قادح ، وللمنطق من واع .

واذا لم تفلح العقول بالتذكرة لم يحسن الصواب منها .

وعلى سبيل الله أعلام ظاهرة ، وشـواهد واضحة .

ولن يذهب عن الحق من سعى بصدق نيـة فى طلبه .

وان الدين كريم الصحبة يعز من لجأ اليه ويستر عيوب من اتصل به ، عدا مايذهب لـه فى عاقبته من السعادة الأبدية .

وكما أن من عدم العقل لم يزده السلطان عزا كذلك من عدم الايمان لم تزده الروايـة حكمة والعوام يقصدون الحسنات فيخطئون طريقها ، لجهلهم بشروطها .

والفجار يقصدون السيئات فيرتكبونهـا ، للشرارة التى ارتضعوها .

فقد جمعهما تنكب طريق الحسنات الصـحيح وأحدهما رداءة القصد لتعاطى الشر .

فنحن اذن جدراء بأن نسأل واهب العقل أن يرشدنا الى طريق الفضل لنلاحظ الحقائق بنور الحق .

وفضائل الناس لن تتم الا بامتزاج أحوال الدين بالدنيا ، واشتباك أسباب الآخـــرة بالأولى ، ودين الاسلام هو المنتظم لها كلهـا والوافى بعامة أبوابها ، وذلك ظاهر لمن تأمل مواقعها من كتاب الله ، فانه ما من مكرمـة الا وقد جرد ذكرها وتحرز عن ضدها .

وسعادة الأمة فى ظهور تمسكها بالفضائل التى من أهمها :

العفة وتتضمن : الحيـــاء ، والصبر ، والحرية ، والانتظام والمسالمة ، والورع .

والشجاعة وتتضمن : كبر النفس ، والنجدة والثبات ، والحلم .

أصــول سـعادة الأمـة

والسخاء ويتضمن : الكـرم ، والايثـار ، السماحة ، والمواساة .

والعدالة وتتضمن : الصداقة والألفـة ، وصلة الرحم ، وحسن القضاء ، وترك الحقد.

وتفصـيل ذلك فى كلمة : الامـام الأكبـر الشـيخ محمد الخضر حسين — رحمه اللـه تعالى — بعنوانها المتقدم :

قال رحمه الله تعالى :

سعادة الأمة : أن تستنير عقولها .

وتسمو أخلاقها .

وتغتبط بالنظم التى تساس بها .

وترضى عن طرق تطبيقها .

وترتاح الى تنفيذها .

وتأمن أن تمتد يد غريبة الى حـق من حقـوقها .

أما استنارة عقلها : فاقامة معاهد كافيـة للتعليم ، فان الأمة التى تتألف من متعلمـين وغير متعلمين يصعب على قادتها متى أرادوا توجيهها نحو الحياة الصالحة أن يجدوها لينة القياد خفيفة الخطى (١) ، والتعليم الصحيح ما يؤخذ فيه بأرقى النظم وأحكم الأساليب ، وتلقى العلوم بأساليب غير مهذبة هو العلة فى تباطؤ النهضة العلمية ، وعدم انتظام طـرق البحث والتفكير .

ولاسبيل الى أن يغتبط الشعب بنهضـته العلمية حتى يتربى نشؤه على أن يطلبوا العلم بداعى اجتلاء الحقائق ، والحرص على أسمى الفضائل ، ومما يقعد بهم عن مرتبة النبوغ والابتكار فى العلوم أن يجعلوا لطلب العـلم غاية مادية حتى اذا أدركوها انقطعوا .

والتعليم الذى تؤمن عاقبته وتزكو ثمرته ما اهتدى فيه الطلاب الى طريقة نقـد الآراء وتمحيصها حتى لايقبلوا رأيا الا أن يستبينوا رجحـانه بدليل ، وقـد رأينا رأى العـين أن طائفة من أبنائنا قد انحرفوا عن طـــريق الرشد ، ولو كانوا ممن يرد الآراء الى قوانين البحث المعقولة لاستقاموا على هدى اللـه وما كانوا من المفتونين .

وأما سمو أخلاقها : فلتستقيم أعمالهـا وتنتظم المعاملات بينها ، والأعمال الخطيرة انما تقوم على نحو الصبر ، والعزم ، والكرم والاقدام ، والمعاملات الرابحة لا تـدوم فى تماسك وصفاء الا أن تكون محفوفة بنحـو : الصدق ، والأمانة ، والحلم ، وسماحة النفس ورقة العاطفة ، وهذا الوجه من وجـــوه السعادة ملقى فى عهدة من يتولى أمر التربية: كالأمهات ، والآباء ، ورجال التعليم ، ولايكون فى الأمهات والآباء والمعلمين كفاية لأن يخرج الطفل أو الفتى من بين أيديهم طاهر السريرة مستقيم السيرة ، **حتى يكون التعليم الدينى ضاربا بأشعته فى جميع مدارسنا أولية كانت أو عليا ، واذا وصلت التربية الدينيـة الى النفوس من طريقها الصحيح فلا ترى منها الا حياء وعفافا ، وصدقا وأمانة ، واستصغارا للعظائم وغيرة على الحقائق والمصالح وماشئت بعد من عزة النفس ، وكبر الهمة ، تلك خصال لاتثبت أصولها ، وتعلو فروعها الا أن يتفيأ**

---

(١) كذا بالأصل .

عليها ظلال الهداية ذات اليمين وذات الشمال .

واما توفر وسائل الثروة : فلتكون مرافق الحياة بين يديها ، والعيش ميسورا لكل فرد من أفرادها ، وما أبعد الأمة عن سعادة الحياة اذا كثر فيها أولئك الذين يتكففون الناس فى أيديهم ، وأولئك الذين يترددون على المقاهى والنوادى فى الصباح كما يترددون عليها فى المساء .

من حقوق الأمة أن يهيىء لها ولاة الأمور الوسائل للأعمال العامة وينظروا فى ترقية الصناعة والزراعة والتجارة وتوسيع دائرتها يعنون بها من الوجهة العلمية بفتح مدارس لتلقى ماله اختصاص بهذه الأصول الاقتصادية من علوم وفنون . ويعنون بها من الوجهة العملية بانشاء مصانع وتشجيع الزراع وتدبير الوسائل لرواج البضائع الوطنية ما استطاعوا . وبمثل هذه المساعى تجد الأيدى العاطلة مجالا للعمل . ولاتخرج اثمان ملابسنا وأمتعة منازلنا وسائر مرافق حياتنا عن حدود أوطاننا .

وليست تبعة الحالة الاقتصادية ملقاة على عاتق أولى الأمر وحدهم بل على الموسرين حظ من هذه التبعة عظيم ، اذ فى ميسورهم تأليف شركات تراعى فى نظمها أصول الدين الحنيف فتفيض بربح مبارك غزير ويعيش من العمل بها خلق كثير .

أقمت فى عاصمة ألمانية وبعض مدنها وقراها زمنا غير قصير ، فلم أرقط سائلا سليم البنية بل لم أر فى تلك المدة متكففا غير نفر قليل هم ما بين رجل مقطوع اليد ، أو الرجل ، أو عجوز بلغت من الكبر مافت فى عضدها ، لم أر سليم البدن يتكفف اذلا يعدم سليم أن يجد هنالك عملا حيويا اذا شاء والتعليم هنالك الزامى يقبح لصاحبه أن يقف موقف الاستجداء .

وكثير من أمراء الاسلام كانوا ينظرون الى الأمة برأفة ويجتهدون فى أن يخففوا عنها متاعب الحياة ما قدروا وهذا طاهر بن الحسين يقول فى كتابه الذى بعث به الى ابنه عبد الله حين ولاه المأمون مصر والرقة وما بينهما : « وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم ، وأراملهم واجعل لهم أرزاقا من بيت المال وانصب لمرضى المسلمين دورا تأويهم ، وقواما يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك الى سرف فى بيت المال » .

وفى فتح طرق العمل للمستطيعين ، واقامة مستشفيات وملاجىء للمرضى والعاجزين انقاذ للأمة من أن تقود الحاجة طائفة من أبنائها الى نواد أو مستشفيات **يفتحها من يقصد الى افساد عقائدهم الدينية أو اطفاء غيرتها الوطنية .**

أُصــــول سـعادة الأمــــة

وأما الاغتباط بالنظم المدنية : فذلك مايدعوها الى أن تحترمها من صميم أفئدتها فتراعيها فى السر كما تتقيها فى العلانية ، فيكتفى الناس فى أكثر الخصومات بمعرفة الحق من طريق الاستفتاء وأولو الامر هم الذين يقررون النظم المدنية ويقومون على تطبيقها ، فأولوا الأمر على اختلاف طبقاتهم وتفاوت مقاماتهم طائفة من الأمة تولوا النظر فى شئونها العامة ، فيجب أن يتجلى فيهم روح النيابة عنهم ولاينجلى هذا الروح الا أن يعملوا على مايكفل مصالحها ، ومقتضى هذا أن تساس بنظم أحكم وضعا وأرعى للمصالح والأمة الاسلامية انما تشهد للنظم بالحكمة ورعاية المصالح متى وافقت أصول شريعتها ولم ينتهك بها شىء من حرماتها .

وأما الرضا عن حال التطبيق : فلأن صحة النظم انما يظهر أثرها على أيدى من وكل اليهم أمر تطبيقها وما مزية القانون العادل اذا وكل العمل به الى من لم تحسن المدرسة أدبه ؟؟ فتطبيق القوانين على الحوادث يرجع الى أدب الحاكم ومبلغه من العلم والفهم فمن حق الأمة ألا يتولى الحكم فيما شجر بينها الا ذو ثقة وثقافة يجيد بها عمل التطبيق واستقامة يقف أمامها القوى والضعيف على سواء ، وهذا مايدور عليه فضيلة العدل المأمور به فى قوله تعالى : « **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** » (١) . وقوله تعالى : « **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** » .

وأما الارتياح لطرق التنفيذ : فيعود الى السلطة الاجرائية كادارة الشرط ، وحق الشعب على هؤلاء أن تأخذهم به الرحمة ويشعروا بأنه جسد هم بعض أعضائه .

أقمت فى بعض البلاد الشرقية فكنت أرى بين بعض رجال القوة المسلحة وسائر الوطنيين جفاء يتطاير شرره لأدنى مخاطبة تدور بينهما ثم رحلت الى عاصمة أوربية وطفت فى بعض المدن والقرى ، فكنت أرى تعاطفا وائتلافا بين الجند والشرط وبقية الشعب ولايكاد الناظر يفرق بينهما الا بما يحمله الأولون من هيئة رسمية أو سلاح كنت أشاهد سائق العجلة يجادل الشرطى مدة غير قصيرة وأصواتهما فى الارتفاع متساوية ولايكون بعد هذا الا أن يقنع أحدهما الآخر ويفترقا.

نحن نعلم أن انتشار التعليم فى الشعب يساعد رجال الأمن وغيرهم على تنفيذ النظم العامة بكلمة ينبهون بها من يروم مخالفتها ، ولكن المحروم من التعليم هو فى حاجة الى النظر اليه بشفقة ويعالج بشىء من الرفق الا أن يخرق النظام متمردا قال معاوية بن أبى سفيان : « لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى

(١) النساء من آية رقم ٥٨ .

ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني » •

وتطبيق النظم على الوقائع وتنفيذها بعدل حق من حقوق الأمة على ولاة الأمــور • واذا توقف على شيء يرجع الخطاب فيه الى بعض أفراد الأمة كأداء الشهادة على وجهها كــانت تبعته على أولئك الذين يستطيعون أن يشهدوا بحق ويكتمون الشهادة وهم يعلمون •

وأما أمن الأمة من أن تسطو يد غريبة على حق من حقوقها : فلتطمئن على عزتها وكرامتها ولتشعر أن من تلدهم سيعيشون كما تعيش الأمم ذات الشوكة أحــرارا ولا تأمن بأس خصومها ولاتنظر الى مستقبل أبنائها فتراه أغر حجلا الا أن يكــون مابينها وبين رعاتهــا عامرا بالنصح من ناحية وبحسن الطــاعة من الناحية الأخرى •فبالنصح ترقى معاهد التعليم فتستغنى بعلم أبنائها وكفايتهم للعمل عــن أن تستمد وسائل **الدفاع والمنعة من وطن غــير وطنها ، وبحسن الطاعة ينتظم أمــر الجنــد وتبلغ القوة المالية غايتها • وقد عنى الاسلام فيما عنى بهاتين الخصلتين العظيمتين : اخلاص ولاة الأمور للأمة وطاعة الأمة لولاة أمورهــا** فأوجب على الولاة أن يقيموا سياستهم عــلى رعاية الحقوق والمصالح •

قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : « ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطهــا بنصحه الا لم يجد رائحة الجنة » (١) • ثــم التفت الى الرعية فأمرهم بحسن الطاعــة ، ومن شواهد هذا قوله عليه الصلاة والسلام: « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (٢) •

فالحق أن سعادة الأمة فى أيــــدى رؤسائها ، فاذا استقاموا على الطريقة وساسوها برفق وحرص عــلى مصالحها وكرامتها سارت بجانبهم مستقيمة فــلا تلبث أن تنجح فى سيرتها وتظفر ببغيتها

(الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْـدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٣)•

محمد الخضر حسين

نور الاسلام (مجلة الأزهر)

السنة الأولى العدد الخامس جمادى الأولى ١٣٤٩ ••

(١) صحيح البخارى •
(٢) صحيح البخارى
(٣) يونس آية رقم ٦٣ ، ٦٤ •

من نوادر
مخطوطات
مكتبة الأزهر

كتاب تحرير المقال (١)

هو احمد بن محمد بن على بن حجر الهيتمى السعدى الأنصارى ، شهاب الدين شيخ الاسلام أبو العباس : فقيه باحث مصرى مولده فى « محلة أبى الهيتم » من أقليم الغربية بمصر واليها نسبته . والسعدى نسبة الى بنى سعد من عرب الشرقية بمصر ، ولد سنة ٩٠٩ هـ (سنة ١٥٠٤ م) وتوفى فى مكة سنة ٩٧٤ هـ (سنة ١٥٦٠ م) (٢) .

تلقى العلم فى الازهر . وله تصانيف كثيرة منها « مبلغ الادب فى فضائل العرب » « الجوهر المنظم » « الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة » « تحفة المحتاج لشرح المنهاج فى فقه الشافعية » « والفتاوى الهيتمية » « وأشرف الوسائل الى فهم الشمائل » وغير ذلك .

وقد عرّف فن التربية طائفة من علماء المسلمين بحثوا فى مسائله وتكلموا فى نظرياته، وتفرقت بحوثهم ودراساتهم فى مؤلفات تداولها الناس أزمانا طويلة ، وشهدوا لأصحابها بطول الباع والتفوق والابداع ، وقدروا لهم سبقهم باختراع كثير من قواعده.

ومازال جهابذة علماء التربية فى الغرب يعجبون بها ويعترفون بصحتها . وقد عرف علم التربية المربى الماهر ، والمرشد الحكيم الامام الغزالى . فقرر قواعد التربية التى ينبغى أن ينهجها المربى لا فى تربية الصبيان فحسب ، بل فى تربية الكبار من المريدين والأتباع ، وفى كتابه المعروف « احياء علوم الدين » خلاصة لآرائه وتجاربه فى هذا الميدان .

وعرف امام التربية والاجتماع على وجه الدهر العلامة ابن خلدون بمبادئه التى قررها فى مقدمة تاريخه الخالدة المعروفة بمقدمة ابن خلدون . وعرف الفيلسوف الكبير ابن سينا فى رسائله المتفرقة . وعرف غيرهم من علماء الاسلام ببحوثهم فى التربية قبل أن يعرف كثير من علمائها فى الغرب . فى هذا الميدان .

وعلماء التربية من المسلمين فريقان :

فريق بنى آراءه فى التربية على دراسة نفسية وتجريبية تتصل اتصالا وثيقا بعلم

(١) رقم خاص ٧٤٣ ورقم عام ٣٤١٦ مكتبة حليم باشا علم التربية والاخلاق .
(٢) الاعلام للزركلى حـ ١ ص ٢٢٣ .

فى آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال

لابن حجر الهيثمى

تقديم الاستاذ محمد عميرة على

النفس كالغزالى وابن خلدون وابن سينا .. وفريق بنى آراءه فيها على قواعد الدين ، بمعنى أنه يقررها مستندة الى أحكام الدين ، فيجوز ما تجوزه ، ويمنع مالا تقره . غير أنه ينبغى أن نلاحظ أن أكثر العلماء من الفريقين لم يفردوا مسائل التربية بمؤلفات خاصة كما فعل علماء الغرب . بل أدخلوها تارة فى علم الأخلاق والتصوف كما فعل الغزالى ، وتارة فى علم الاجتماع كما فعل ابن خلدون . وعذرهم فى ذلك واضح ووجيه ، فمبادىء علم التربية وسيلة من وسائل تكوين الخلق الفاضل ، والسلوك المهذب الراقى ، كما أنها سبب من أسباب تكوين المجتمع المثالى النبيل ، كما ينبغى أن نلاحظ أن هؤلاء العلماء حين يتكلمون فى مبادىء التربية والتعليم أو آداب العلم والتعلم ، انما يجعلون همهم وكدهم أن يقرروا أولا آداب تعليم القرآن وتعليم السنة ، وما ينبغى أن يتحلى به معلم ومتعلم كل منهما ، وما الطريقة المثلى فى دراستهما وبلوغ الهدف منها ، ووجهة نظرهم فى ذلك أن القرآن كلام الله ، وهو دستور العالم الخالد الذى يجمع الأصول الصحيحة الثابتة فى مختلف العلوم يصل الناس به الى سعادتى الدنيا والآخرة . وكل علم من نبعه استفاض ، ومن نوره اقتبس واستمد ، فهو جدير بالرعاية واستنباط الوسائل التى تعين على سماعه وحفظه وتفهمه وتدبره وتليق بجلاله وقدسه .

ومن علماء الاسلام الذين تكلموا فى علم التربية ، وقرروا بعض مبادئه العلامة ابن حجر الهيتمى فى رسالة له سماها « تحرير المقال فى آداب وأحكام وقوانين يحتاج اليها مؤدبو الأطفال » وهى رسالة موجزة بنى فيها قواعد التربية على أحكام الدين فأقر من قواعد التربية ما أقرته أحكام الشريعة ، ورفض ما رفضته . فهو اذ يقرر ضرب من شرد من الصبيان من الكُتَّاب ، أو ضرب من نطق منهم بالفحش من القول ، ينظر الى أحكام الدين فما تأذن به يترخص فيه ، ويتحرج مما تمنع منه . فالرسالة فى بعض مبادىء التربية فى نطاق الشريعة .

وسبب تأليفها — فيما ذكر — أنه سئل فى موضوعها من مُعَلِّم كُتَّاب ، كان قاضيا ثقلت عليه أمانة القضاء ، فاعتزله وفر بدينه وأمانته الى الله ، مع ضيق الحال وعدم وجدانه لما يكفى

به الأهل والعيال ، فَيَسَّرَ الله له مكتبا بالصفات الآتية فى السؤال .

وفى الاجابة عن هذا السؤال تتلخص رسالة ابن حجر فى تربية الأطفال وهذا بعض مافى السؤال :

مكتب موقوف على عدة أيتام قرر ناظره فقيها لقراءتهم وتأديبهم ، فهل يلزمه أن يرسل خلف من غاب منهم أولا ؟ .

فان قلتم : نعم . فهل يلزمه ذلك من ماله أو يستأجر من يحضر غائبهم من مال الوقف أم لا ؟

وهل يرسل بعضهم خلف بعض لاحضار من تغيب وهرب منهم أم لا ؟.

وهل له ضرب من شرد منهم ، أو أخذ شيئا للغير أو ضربه أو سبه ، وعلم الفقيه بذلك منه أو ظنه بقول مقبول ، كما له ضربه على تعليمه وتأديبه ؟.

وهل يفترق الحال فى ذلك بين المميز وغيره ، والمراهق للبلوغ وغيره ممن لم يراهق ؟.

وهل له الزام حاذقهم باقراء أو تعليم بليدهم ، لأن فى ذلك مصلحة للحاذق بترسخه ما حفظ عنده فيأمن تشتته أولا ؟

وقد ختم السؤال بقوله :

وقد أشكل الأمر فى هذه الأحوال فتفضلوا ببسط بيانها بذكر منقول المذهب وقواعده فيها ، ليحصل لكم بذلك الثواب .

وقد بنى ابن حجر رسالته على سبعة مقاصد :

المقصد الأول : فى الأحاديث الدالة على شرف أهل القرآن .

ومن بين هذه الأحاديث ما أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ان لله تعالى أهلين من الناس هم آهل الله وخاصته » وفى رواية أخرى للطيالسى والنسائى وابن ماجه وغيرهم « ان لله أهلين من الناس ، قيل : من هم ؟ قال : هم أهل القرآن هم أهل الله وخاصته .

المقصد الثانى : فى بعض الأحاديث الواردة فى فضل معلمى القرآن وتعليمه، وضحه الحديث الذى أخرجه الحاكم فى تاريخه أنه صلى الله عليه وسلم قال :

« حملة القرآن هم المعلمون كلام الله والمتلبسون بنور الله، من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله » .

المقصد الثالث : فى الأحاديث الدالة على جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن والرقية به ونحوهما . روى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا بماء أى بأهل ماء فيهم لديغ أو سليم فعرض لهم رجل من أهل الماء ، فقال : هل منكم من راق فان فى الماء رجلا لديغا أو سليما ، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاة فبرأ فجاء بالشاة الى أصحابه فكرهوا ذلك . وقالوا : أخذت على كتاب الله أجرا حتى قدموا المدينة فقالوا يارسول الله أخذ على كتاب

الله أجرا فقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » .

المقصد الرابع : فى الأحاديث الدالة على امتناع أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، وقد روى ابن ماجه عن أبى بن كعب قال علمت رجلا القرآن أى وهو الطفيل بن عمرو الدوسى فأهدى الى قوسا فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ان أخذتها أخذت قوسا من نار » فرددتها .

المقصد الخامس : فى بيان اختلاف العلماء فى الأخذ بالأحاديث السابقة وأورد آراء العلماء على جواز أخذ الأجرة أم لا وبيان أدلتهم .

المقصد السادس : فى تجويز المعلم من نظر المرد الذى يعلمهم وفى بيان حل نظر المعلم الى الأمرد لحاجة التعليم من غير شهوة ولا خوف فتنة ، وقد روى مسلم وغيره عن جرير رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة فقال : « اصرف بصرك » قال بعض العلماء من المتأخرين والنظر بشهوة الى المرأة والأمرد زنا لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « زنا العين النظر » ولأجل ذلك بالغ الصالحون فى الاعراض عن المرد وعن النظر اليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم .

المقصد السابع : فى الأسئلة والأجوبة التى هى السبب فى هذا التأليف ، وقد أوردها صاحب الكتاب وأجاب عنها فى تسعة مسائل .

وتقع هذه الرسالة المخطوطة فى ٦٤ صفحة وعدد سطور كل منها ٢١ سطرا ، وهى بخط معتاد واضح كتبت سنة ١٠٧٦ هـ ، أى بعد وفاة المؤلف بقرن تقريبا ، فقد توفى ابن حجر الهيتمى سنة ٩٧٤ هـ ، وابن حجر علم من أعلام المسلمين يمتاز بالذهن الخصب والثقافة الواسعة والانتاج الوفير ، حيث تربى بالجامع الأزهر وأتم دراسته به بعد دراسته الأولى بمقام السيد أحمد البدوى . وقد درس رغم حداثته على أكابر شيوخ عصره مثل زكريا الأنصارى . ولما كان ابن حجر مبرزا فى أصول الدين والفقه ، فقد نال — ولما يناهز العشرين من عمره — اجازة اصدار الفتاوى والقيام بالتدريس ، ويعتبر ابن حجر والرملى هما المفسران الموثوق بهما لمذهب الشافعى الصحيح (١) .

هذه رسالة مما جادت به قرائح العلماء أصحاب الذهن الصافى والقلوب المضيئة بنور الايمان نقدمها للقراء عرفانا بالجميل ، وتقديرا لما بذلوه من جهد متواصل أفنوا فيه أعمارهم ليضيئوا الطريق أمام أجيال المسلمين ، رحم الله ابن حجر جزاء ما قدم .

مدير مكتبة الأزهر

محمد عميره على

---

(١) دار المعارف الاسلامية جـ ١ ص ١٣٣

الفتاوى

فى النذر والمنذور

س : من السيد أ ٠ ع ٠ ب ٠

نذرت لله جديا ٠٠ وقبل نبحـــه فوجئت بسرقته ، ثم اعترف السارق بالسرقة ودفـــع مبلغ مائة جنيه تعويضا فمن المستحق لهـــذا المبـــلغ ؟

ج : هذا المبلغ ثمن وقيمة المنذور ، ولما كان المنذور للفقراء فتكون قيمته للفقراء بدلا منه ، وعليه فلك الحق فى أن تشترى بهذا المبلغ جديا وتذبحه وتفرقه على الفقراء ، أو أن تــوزع المبلغ جميعه على الفقراء ٠

الإجهـاض

س : من السيدة/ن ٠ م الشرقية ٠

أنجبت ثلاثة أبناء ، وكنت أشعر بتعب شديد فى المرتين الأخيرتين ، وفى المرة الثالثة كـانت حياتى ستنتهى بسبب الحمل ونصحنى الأطباء بعدم الحمل مرة أخرى لما أصابنى ٠

وأنا الآن حامل بجنين عمره شهر ، فهل يحل لى أن آخذ حقنة اجهاض حتى لا أتعـــرض للهـلاك ؟

ج : يحرم الاجهاض ، لأنه قتل لكائن حى ، الا اذا كان فى وجوده خطر على حياة الأم وقال بذلك طبيب مسلم عدل ، فانه يجوز الاجهاض فى هذه الحالة حفاظا على حياة الأم المحققة ٠

الدعوى بالبينة

س : من السيد/م ٠ ج ٠

يلجأ بعض الناس اذا سرق منــه شىء الى ما يسمى « بالبِشْعَة » وهى قطعة حديد محماة يلحسها المتهمون بألسنتهم ، فالبرىء لايصيبه منها أذى والمذنب تحرقه ٠٠ فما حكم الشرع ؟

ج : الدعوى فى الاسلام لابد لها من بينة ، رجلين أو رجل وامرأتين يشهدان بالدعــوى ، فان لم تكن بينة وكان انكار من المدعى عليــه كان عليه اليمين ٠٠ « فالبينه عـــلى المدعى واليمين على من أنكر » فاذا حلف على انكاره برئت ذمته ، واذا امتنع عن اليمين كان عــلى المدعى أن يحلف اليمين ووجب الحـــق على المدعى عليه ، وغير ذلك من الوسائل لا يقـــره الشرع ٠

إعداد عبد الحميد السيد شاهين
ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

الأخت من الرضاع

س : من السيد/ أ ٠ ح ٠ ش ٠

أريد الزواج من بنت زوج أختى من زوجة أخرى ، ولكن الفتاة رضعت من أختى أكثر من خمس رضعات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع ٠٠ فما الحكم ؟

ج : برضاع الفتاة من أختك خمس رضعات فأكثر متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع وهو (حولان) صارت بنتا لأختك وبنت الأخت من الرضاع محرمة على خالها من الرضاع ٠٠ فهذه البنت محرمة عليك لأنها بنت أختك من الرضاع ٠ والرضاع يحرم به مايحرم من النسب ٠

الشبكة والمهر

س : من السيد/ م ٠ ك ٠ ط ٠

توفيت فتاة قبل الدخول بها وتركت : زوجا، أبا ، وقد أعطى الزوج الأب مهرا وشبكة وللزوجة مؤخر صداق ٠ فما الحكم ؟

ج : الشبكة والمهر والمؤخر يعد تركة تقسم حسب الفريضة الشرعية ، للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، والباقى للأب تعصيبا ٠

والله أعلم ٠٠

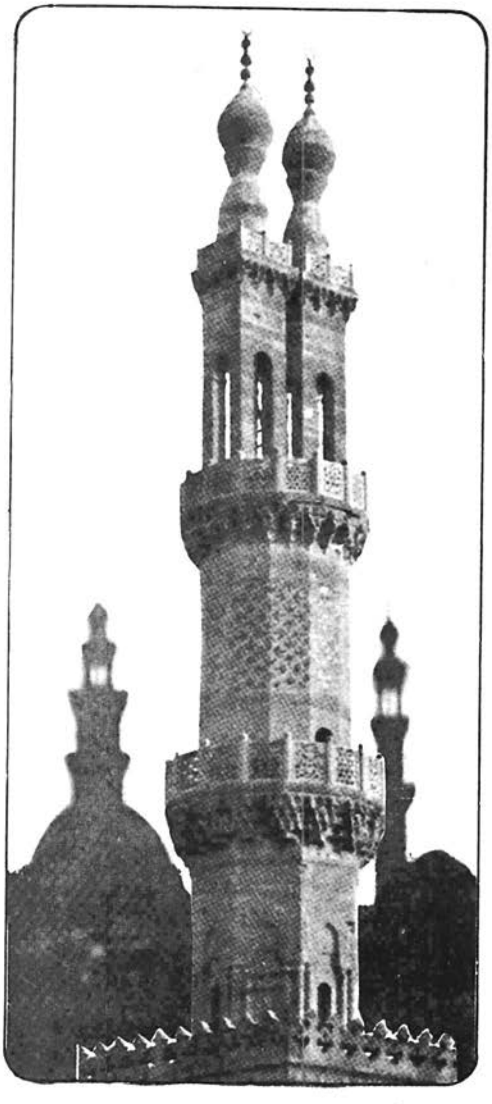

اللغة والأدب والنقد

بين التهذيب واللسان

أقسام المنادى

الشعر الجديد

شاه ولي الله

الرسالة الخالدة

صدى الأيام

بين التهذيب واللسان

للدكتور محمد عبد الحفيظ العريان

لقد قيل « ان أول التجديد قتل القديم دراسة » ..

من وحى هذا المبدأ الهام يتعين — فى نظرى — أن ننطلق لدراسة تراثنا العلمى واللغوى والأدبى ، اذ لا جديد بدون قديم أصيل ثابت . ولا فضل لقديم يقنع بنفسه ولايتطور أو يتجدد مع الزمن ، ومن ثم حرصت قدر الامكان فى هذا العمل ، على ربط الصلة بين الماضى والحاضر والقديم والحديث ، حتى يشعر القارىء بمواطن الالتقاء ومواطن الافتراق بينهما ، وحتى لا يشعر بالقطيعة بين فقه اللغة القديم وعلم اللغة الحديث ، فلا يختنق فى الحدود القديمة الضيقة ، ولا يتيه فى مجال النظريات الحديثة المتشعبة ومصطلحاتها العديدة المتجددة .

ولعل المعاجم اللغوية القديمة من أعظم التراث العربى المحتاج الى درس ومراجعة قصد احيائه وتيسير مادته وجعله فى متناول شبابنا .

لذا حاولت فى نطاق هذه النظرة — دراسة معجم لسان العرب لابن منظور الافريقى (١) باعتباره من أهم المعاجم اللغوية القديمة وأدقها ، وقد قال فيه شيخ المحققين الأستاذ عبد السلام هارون وقد جرى العلماء المعاصرون على توثيق هذا المعجم الجامع وجعلوه فى قمة مراجعهم اللغوية التى يعتمدون عليها (٢) بيد أن هذا المعجم القيم اذا استثنينا بعض الدراسات الجزئية — لم يظفر بدراسة مستقلة جامعة ، تبرز قيمته ومدى مساهمته فى ضبط مفردات اللغة وجمعها بالمقارنة للمعاجم السابقة واللاحقة .

لذا رأيت فى نطاق جهدى المتواضع ، أن أفضل طريقة تمكننا من دراسة هذا المعجم ، هى الرجوع الى مصادرة الخمسة التى اعتمدها ابن منظور ، وأخذ منها قصد المقارنة

(١) (ت ٧١١ هـ) .
(٢) مجلة المجمع اللغوى القاهرة : السنة الثامنة ، العدد ٩٦ ص / ١٠٢ .

بين التهذيب واللسان

بينها وبين اللسان ، لنعرف الى أى مدى كان ابن منظور أمينا فى نقله ، وماهو موقفه من أصحاب المعاجم السابقة .

أول المصادر :

وبما أن التهذيب لأبى منصور الأزهرى(١) كان أول المصادر التى ذكرها ابن منظور فى مقدمة اللسان ، والتى اعتمدها فى تأليف معجمه اذ وصفه بقوله « ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، (٢) فقد رأيت ضرورة المقارنة بين معجمى التهذيب واللسان وان كنت أعتقد أن هذه المقارنة ناقصة مبتورة اذ لابد من المقارنة بين المصادر الخمسة وبين اللسان لتكون أكثر دقة وشمولا .

وعلى هذا ، فانى أعتبر هذه المقارنة الجزئية بين التهذيب واللسان ، ليست سوى محاولة تمهيدية ، لدراسة واسعة شاملة مدققة تتناول مادة اللسان ومقارنتها بمادة المعاجم السابقة المعتمدة لدى العالم الجليل ابن منظور الأفريقى .

وقد ركزت بحثى هذا على عناصر ستة :

١ — الغاية من تأليف المعجمين .

٢ — منهجهما العام فى التأليف .

٣ — منهجهما الخاص فى جمع المادة اللغوية وطريقة ترتيب مشتقاتها .

٤ — وسائل التفسير والشرح فى المعجمين .

٥ — دور التهذيب فى بناء اللسان .

٦ — هل كان ابن منظور والأزهرى أمينين فى نقلهما ؟ .

١ — الغاية من تأليف المعجمين :

من الواضح للمشتغلين بأمور اللغة أن غاية أصحاب المعاجم القديمة هى حفظ اللغة العربية ، وصيانتها من التلاشى والانحلال بتسرب الساقط المبتذل من عجمة الموالى ، أو بطغيان الدخيل على لغة القرآن لغة الدين الاسلامى ، غير أنه من الثابت أيضا أن لكل عالم من هؤلاء غايته الخاصة ، التى تختلف باختلاف العصر الذى عاشه ، وتتكيف حسب العوامل الاجتماعية والفكرية التى أثرت فيه فدفعته لتأليف معجمه — فما هى أولا — غاية الأزهرى من تأليفه لمعجمه التهذيب وما هى غاية ابن منظور من تأليف اللسان ثانيا ؟

(أ) غاية الأزهرى :

لقد عاش الأزهرى فى أواخر القرن الثالث وفى القرن الرابع أى بين (٢٨٢ هـ — ٣٧٠ هـ) وهذه الفترة امتازت بظاهرتين متناقضتين وهما :

أولا : انحطاط الحياة السياسية والاجتماعية .

ثانيا : رقى فكرى ونضج علمى — وقد تولدت عن هذا التناقض حركات مذهبية متباينة وتيارات فكريةمتصارعة كحركة اخوان الصفا وطوائف الشيعة المتطرفة ، وقد نتج عن ذلك — من الوجهة الدينية أن أصبحت

(١) (ت ٣٧٠ هـ) .
(٢) لسان العرب ١١/١/ ط ٠ دار المعارف بالقاهرة .

الآيات القرآنية عرضة للتآويل والتفاسير المتكلفة التى تتفق ونزعات تلك المذاهب لأغراض مذهبية حينا والأهداف سياسية حينا آخر •

وقد لاحظ الأزهرى ذلك فصرح به فى مقدمة التهذيب قائلا « فعلينا أن نجتهد فى تعلم مايتوصل بتعلمه الى معرفة ضروب خطاب الكتاب ، ثم السنن المبينة لجمل التنزيل الموضحة للتآويل لتنتفى عنا الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء أهل الزيغ والالحاد ، ثم على رءوس ذوى الأهواء والبدع الذين تأولوا بآرائهم المدخولة فأخطئوا ، وتكلموا فى كتاب الله — عز وجل — بلكنتهم العجمية دون معرفة ثاقبة فضلوا وأضلوا » (١) •

فالأزهرى يؤمن حسب هذا النص — بضرورة دراسة اللغة العربية دراسة عميقة ، ومعرفة قواعدها معرفة شافية لتجنب التآويل الخاطئة للقرآن الكريم الناتجة عن الحاد وزيغ وعن جهل بالعربية لسيطرة العجمة — فهو يرمى — اذن — الى هدفين مزدوجين رئيسيين من تأليف معجمه التهذيب ، أولهما: دينى ، وثانيهما : لغوى — وقد جسم الأزهرى هاتين الغايتين المثاليتين فى أمور ثلاثة فقال : « وقد دعانى الى ماجمعت فى هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها خلال ثلاث :

(١) التهذيب : ١ : ٤ لابى منصور الازهرى ، تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ومراجعة الشيخ محمد على النجار نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانبـاء والنشر « الدار المصرية للتأليف والترجمة) ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م •

١ — منها تقييد نكت حفظتها ووعيتها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سنيات •

٢ — النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين فى افادتهم لعلهم يحتاجون اليه •

٣ — والخلة الثالثة التى لها أكثر القصد أنى •• : ألفيت طلاب هذا الشأن من أبناء زماننا لايعرفون من آفات الكتب المصحفة المدخولة ماعرفته ، ولا يميزون صحيحها من سقيمها كما ميزته ، وكان من النصيحة التى التزمتها توخيا للمثوبه من الله عليها أن أنضح عن لغة العرب ولسانها العربى •• وأن أهذبها بجهدى غاية التهذيب ، وأدل على التصحيف الواقع فى كتب المتحاذقين •• لئلا يغتربه من يجهله ولا يعتمده من لايعرفه » (٢) •

هكذا نلاحظ اذن أن الأزهرى كان يرمى من خلال تأليفه لمعجمه التهذيب الى غربلة اللغة وتنقيتها من الألفاظ التى تسربت اليها عن طريق معاصريه أو السابقين له من رجال اللغة — كما يرمى الى حماية القرآن من التآويل الباطلة •

(ب) غاية ابن منظور : أما ابن منظور — كما يبدو من خلال مقدمة اللسان فانه يؤمن كالأزهرى بنفس الهدف ، بل انى أعتقد أن ابن‌منظور قد تأثر الى حد كبير بروح‌الازهرى ولعله قد استمد تسمية معجمه (بلسان العرب) من مقدمة التهذيب ، ودليلى على ذلك تكرار الأزهرى لكلمة لسان العرب مايزيد عن

(٢) التهذيب : ١ : ٦ — ٧٠ •

بين التهذيب واللسان

ست مرات ثم على الحاحه وتأكيده على حماية العربية من العجمة ومن شوائب الغلط واللحن ، ومهما يكن من أمر فان ابن منظور كان معجبا بالتهذيب وقد قال فيه : « ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبى منظور محمد بن أحمد الأزهرى » (١) فماذا يعنى ابن منظور بكلمة (أجمل) ؟ ، لاشك أن (اجمل) أفعل تفضيل من فعل (جمل) وقد فسر ابن منظور الجمال بقوله : « الجمال مصدر الجميل ، والفعل جمل وقوله عز وجل **« ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون »** أى بهاء وحسن — ابن سيده : الجمال الحسن ويكون فى الفعل والخلق (٢)•

واذا كان الجمال هو الحسن والبهاء فان ابن منظور لايريد مدح التهذيب من جانب (الكم) أى وفرة المادة الموجودة فيه بقدر مايريد اطراء جانب (الكيف) أى تطريزه لشروح المادة بذكر آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأشعار وأشعارا فصيحة خاصة أن ابن منظور قد وصف (محكم ابن سيد) بكونه (أكمل) كتب اللغة أى أكثرها اتساعا وجمعاء

وفكرة المزج بين الشرح وبين الشاهد القرآنى والشعرى غاية مشتركة بين الأزهرى وابن منظور حتى يثبتا الصحيح الفصيح كما

(١) لسان العرب : ١ : ١١ •
(٢) نفسه : ١: ٦٨٥ •

ورد فى القرآن أو الحديث أو الشعر الذى يصح الاحتجاج به •

وخلاصة القول فانه يمكن حصر الغايات والدوافع المشتركة بين ابن منظور والازهرى لتأليف معجميهما فى أمور ثلاثة :

١ — ارتباط اللغة بالقرآن والحديث •

٢ — استقصاء المفردات اللغوية •

٣ — انتشار الجهل بين الناس بالعربية ومقاومة هذا التيار المدمر للغة •

وبما أن ابن منظور قد عاش فيما بين سنة (٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ) فقد كانت ظروفه السياسية والاجتماعية تختلف عن ظروف الأزهرى ، فقد سيطر التقليد والاتباع واجترار ما ابتكره العلماء السابقون الذين ظهروا فى عصور الازدهار الحضارى ، كما كان عصر ابن منظور عصر الاسفاف الأدبى واللغوى اذ تهلهلت فيه أساليب الشعر وساد التكلف وأصبح اللحن فى الكلام كما قال ابن منظور — « يعد لحنا مردودا وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا ، وتنافس الناس فى تصانيف الترجمانات فى اللغة الأعجمية وتفاصحوا فى غير اللغة العربية(١) » •

ونتيجة هذا الواقع الذى تألم منه ابن منظور تألما شديدا أراد زيادة عن الغايات الثلاثة المشتركة بينه وبين الأزهرى — أن

(١) لسان العرب : ١ : ١٢ •

يقاوم تلك النزعة المحقرة للعربيــة بتفضــيل لغة أجنبية عنها ــ قف عند فعل (تفاصحوا) الذى يفيد التسابق والتبارى فى اتقان هــذه اللغات الأجنبية على حين أن العربية عند ابن منظور على الأقل هى لغة الفصاحة التى يتعين التنافس فى معرفة قواعدها وفى تأليف الكتب بلسانها .

هكذا نلاحظ أن غاية الأزهرى وابن منظور وغيرهما من مصــنفى المعاجم ، لم تكن فقط جمعا واستقصاء لمفردات اللغة ، بل كانت الى جانب ذلك تهدف الى غرض أسمى وهو حماية الروح العربية الاســلامية من تلك الحملات الشعوبية والتمهيدية التى تحلم بالقضاء على تلك الروح العربية الاسلامية منــذ القــديم ومازالت تحاول ...

٢ ــ منهجهما العام : لم يبتكر ابن منظــور والأزهرى منهجهما التأليفى ، فقد كانا كلاهما مقلدين للسابقين من أصحاب المعاجم المتقدمة فقد اتبع الأزهرى منهج الخليل بن أحمد ــ كما اتبع ابن منظــور منهــج البنــدنيجى فى تقفيته(١) أو منهج الجوهرى فى صحاحه كما هو شائع بين المشتغلين فى الحقل اللغوى فكيف كان ذلك ؟

(أ) منهج الخليل : لقــد عدل الخليل عن نظام الأبجدية المألوفة مخيرا ترتيب الكلمات حسب مخارجها ، وقد قسم مخارج الحــروف الى مجموعات تبدأ بالمجموعة الحلقيــة التى أولها العين وتنتهى بالمجموعة الشفوية ونهايتها حرف الميم ، ثم تراه قد سجل هذه الكلمات ــ كما ذكر ذلك الأزهرى فى مقدمة التهذيب على النحو التالى :

١ ــ الثنائى وهو ما اجتمع فيه حرفان من الحروف الصحيحة .

٢ ــ الثلاثى الصحيح وهو ما اجتمع فيــه ثلاثة أحرف صحيحة أصلية .

٣ ــ الثلاثى المعتل .

٤ ــ اللفيف « المفروق والمقرون » .

٥ ــ الرباعى والخماسى .

٦ ــ المعتل : وهو يشمل الهمزة باعتبار أنها قد تسهل الى أحد الحروف المعتلة .

وأخيرا يشرح الكلمة ومقلوباتهــا فى موقف واحد ، ومعنى ذلك أن منهج التقليبات يعتمد على تقليب المادة على أوجهها ليرى منها ماهو مستعمل وماهو مهمل ومثال ذلك . أن المنهــج يفترض لمادة ــ ضرب ــ أوجها ستة نظــرية

(١) هو أبو بشر بن اليمان بن أبى اليمــــان البندنيجى المتوفى عام ٢٨٤ هـ صاحب « معجم التقفيه فى اللغة » وقد نشر هذا المعجم الجليل فى بغداد محققا بواسطة الدكتور خليـــل ابراهيم العطية عام ١٩٧٦ م وفى مقدمته أثبت البندنيجى أنه المؤسس الحقيقى لدرسة القافية وليس الجوهرى كما هو شائع بين جمهور المشتغلين باللغة .

بين التهذيب واللسان

آتية من اجتماع لفظين مبدوأين بالضاد — (ضرب — ضبر) ومن اجتماع لفظين مبدوأين بالراء (رضب — ربض) ومن اجتماع لفظين مبدوأين بالباء — (برض — بضر) .

ثم يقع النظر بعد ذلك فما وافق منها الواقع سمى مستعملا والاسمى مهملا كما ذكرنا ذلك ويبدو الأزهرى من خلال مقدمة التهذيب معجبا بهذا المنهج ففضله على غيره ورتب عليه معجمه « وعلمت أنه لا يفوق أحد الخليل فيما أسسه ورسمه فرأيت أن أنقله بعينه(١) » .

غير أن ابن منظور لم يرتض هذا المنهج فنقده فى مقدمة اللسان أثناء تعرضه لمعجمى التهذيب والمحكم فقال : « غير أن كلا منهما مطلب عسر المهلك ومنهل وعر المسلك وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا وجلاهم عنه.

فأهمل الناس أمرهما وليس لذلك سبب الا سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب(٢) » فابن منظور — اذن — قد عدل عن هذا لما لاحظه فيه من خلط وفوضى ثم بحث عن منهج آخر فوجد تنظيم الجوهرى أكثر أحكاما ويسرا « ورأيت أبا نصر اسماعيل ابن حماد الجوهرى (ت ٣٩٨ هـ) وقد أحسن

(١) التهذيب : ١ : ٤١ بتصرف .

(٢) لسان العرب : ١ : ١١ .

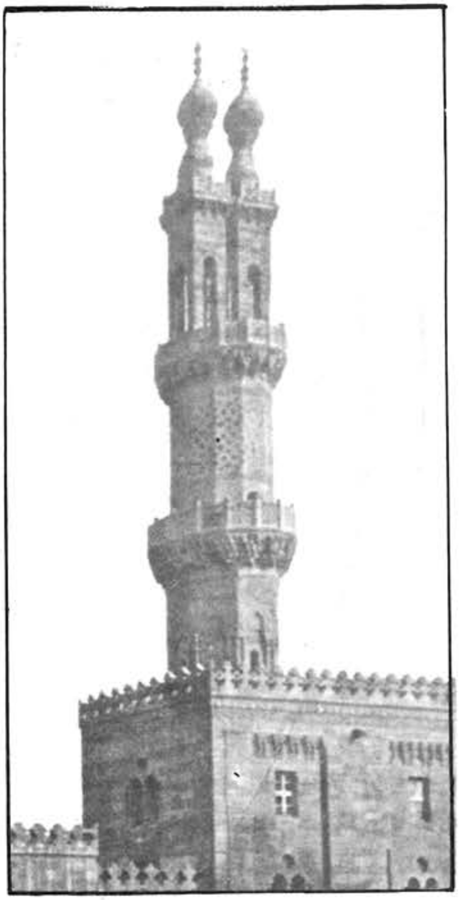

ترتيب مختصره وشهره بسهولة وضعه(٣) » فما منهج الجوهرى وماهى خصائصه ؟

(يتبع)

د / محمد عبد الحفيظ العريان

(٣) نفسه .

أقسام المنادى

للأستاذ أحمد محسن عبد العواضي هلالي

المنادى أقسام أربعة :

أولها : مايجب بناؤه على ما يرفع به لو كان معربا أو على ما يرفع به نظيره من حركة ظاهرة أو مقدرة أو حرف ، وهو ما اجتمع فيه أمران :

الأول : التعريف سواء كأن ذلك التعريف سابقا على النداء كالعلمية نحو (يا طارق) وتعريفه هذا بالعلمية باق بعد النداء وازداد به وضوحا ، وقيل : سلب منه تعريف العلمية ، وتعرف مجددا بالقصد والاقبال ، وهو مذهب الفارسى والمبرد ، ورد هذا بنداء ما لا يمكن سلب تعريفه ، وهو لفظ الجلالة ، واسم الاشارة فلا يمكن سلب تعريفهما لأنهما لا يقبلان التنكير أو كان التعريف عارضا فيه بسبب القصد والاقبال مع كون الكلمة مناداة وهو النكرة المقصودة نحو يا غلام أقبل تريد به غلاما معينا .

الأمر الثانى الافراد : ويقصد به ألا يكون مضافا ولا شبيها به ، فيدخل المركب المزجى نحو (يا بعلبك) والمركب العددى (يا خمسة عشر) والمثنى والمجموع على حده نحو (يا خالدان ، ويا خالدون) ، والمنكر كذلك فى التثنية والجمع السالم نحو (يا رجلان ، ويا مسلمون) ، وجمع التكسير للمذكر (يا زيود ، ويا فهود) وجمع السالم المؤنث نحو (يا فاطمات) وتكسيره أيضا نحو (يا فواطم) . فكل ما كان منها معربا صحيح الآخر غير مثنى ولا مجموع على حده ظهرت فيه ضمة البناء ، وما كان مثنى أو مجموعا على حده بنى على الحرف النائب عن الضمة وهو الألف فى المثنى والواو فى جمع المذكر السالم، وما كان مبنيا قبل النداء سواء آكان علما نحو سيبويه فى لغة من بناه والمركب العددى نحو (خمسة عشر) مسمى به وحذام فى لغة الحجاز أم غير علم نحو هؤلاء فى لغة الضم وهذا ، وأين ، وأنت ، وكذلك ما كان معربا معتل الآخر كفتى ، وموسى ومولى ، وقاض ومهتد ، قدرت فيه الضمة ففى نحو (ياسيبويه ، وياهؤلاء ، وياهذا ، وياأنت) ضمة مقدرة فى آخره مجددة لبنائه ويظهر أثر ذلك التقدير فى تابعه ، فتقول (ياسيبويه العالم) برفع العالم مراعاة للضمة المقدرة فى آخر المنادى ، ونصبه مراعاة لمحله فان محله النصب كما نفعل فى تابع ما تجدد بناؤه بالقصد والاقبال ، نحو (يا زيد الفاضل)

أقسام المنادى

برفع الفاضل مراعاة للفظ ، ونصبه مراعاة للمحل .

والمحكى كالمبنى قبل النداء فى جعل اعرابه تقديريا ، وأنه يبنى على ضم منوى ، ويرفع تابعه أو ينصب وانما بنى المنادى المعرفة لوقوعه فى موقع ضمير الخطاب فى نحو (أدعوك أو أطلبك) المشابه لفظا ومعنى لكاف الخطاب الحرفية فى نحو (ذلك أو تلك أو هنالك) ومماثلته لها افرادا أو تعريفا . وانما ذهبنا الى القول : بمشابهة كاف الخطاب الاسمية لفظا ومعنى لكاف الخطاب الحرفية ، لأن الاسم انما يبنى لمشابهته الحرف لا لمشابهة اسم مبنى ، وخرج بقولنا : ومماثلته لها افراد المضاف وشبهه ، وبقولنا : وتعريف النكرة غير المقصودة لأنها لم تماثلها تعريفا ، وكان بناؤه على الحركة غالبا للاعلام بأن بناءه غير أصلى ، وكانت الحركة ضمة ، لأنه لو بنى على الكسر لالتبس بالمنادى المضاف الى ياء المتكلم عند حذف يائه اكتفاء بالكسرة، ولو بنى على الفتح لالتبس به أيضا عند حذف ألفه المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحه ، ولو قيل : ان المنادى المضاف للياء يجوز فيه الضم عند حذف يائه فلا يحصل الفرق ، أجيب بأنه قليل نادر فلا يلتفت اليه .

ويجوز فى المعرف بالقصد والاقبال ، (النكرة المقصودة) النصب جوازا مرجحا اذا وصف بمفرد أو بجملة أو ظرف بل جعله كثير من النحاة واجبا ذاهبين الى أنه من الشبيه بالمضاف كما يفيده قول صاحب الهمع : أما الموصوفة بمفرد أو جملة أو ظرف فمن شبه المضاف فتنصب ، واستدلوا لهذا بما روى من قوله صلى الله عليه وسلم فى سجوده : يا عظيما يرجى لكل عظيم ، ومثل : يا لطيفا لم يزل ، ويا حليما لا يعجل .

ويفيد صاحب التصريح أن أحوال النكرة الموصوفة ثلاثة :

أولها : وجوب النصب فى حالة دخول النداء على الموصوف وصفته معا بأن يطرأ النداء بعد الوصف بالصفة ، لأنه حينئذ من الشبيه بالمضاف .

ثانيها : وجوب البناء فى حال ورود الوصف بالصفة بعد وقوع النداء فيكون المنادى هو الموصوف وحده وهو مفرد مقصود بالنداء ، ثم يرد عليه الوصف بعد ندائه .

ثالثها : جواز الأمرين النصب والبناء عند امكان تقدير الاحتمالين وللموضح رأى فى الجملة الواقعة بعد المنادى فى مثل : يا عظيما يرجى لكل عظيم ويا حليما لا يعجل ، أن هذه الجملة حال من الضمير المستتر فى الوصف وهو المخاطب بالنداء لا نعت للمنادى حال نصبه ، وهى حينئذ عاملة فيما بعدها فهو من الشبيه بالمضاف الواجب النصب ، وفيه رد على ابن مالك حيث جعل الجملة نعتا .

الثانى من أقسام المنادى : مايجب نصبه ، وهو أنواع ثلاثة .

١ ــ النكرة غير المقصودة جامدة كانت أو مشتقة فى شعر أو نثر نحو قول الأعمى : (يا رجلا خذ بيدى) ، وقول عبد يغوث بن وقاص الحارثى :

فيا راكبا اما عرضت فبلغن
نداماى من نجران ألا تلاقيا

وقــول الواعظ مثلا : (يا غــافلا والمــوت يطلبه) على اعتبار الواو استئنافية ليصــح التمثيل للنكرة غير المقصودة اذ لو جعلت الواو حالية لكان من الشبيه بالمضــاف ، والمعنى فى الجملة ظــاهر على الحالية لا على الاستئناف ولذا فان الأولى أن يجعل من الشبيه بالمضاف لا من المفرد المنكر ٠

وقد أنكر المازنى وجود هذا النوع مدعيــا أن نداء غير المعــين لا يمكن ، ولا فائدة لــه ، وتنوينه شاذ أو ضرورة لأنه لا يحقق الغرض من النداء ، فلا يلبى ولا يستجيب بفعل مأمور به أو ترك منهى عنه ، فنــداؤه لغــو وعبث لا غناء فيه ولا ثمرة له ، فينبغى اغفاله وعدم الاعتداد به ، والالتفات اليه ٠

٢ ــ المضاف : سواء كانت اضافته مَحضة، أى خالصة من شائبة الانفصال نحو : (ياعباد الله اتقوا ربكم) أو غير محضة باضافة الوصف المشبه للفعل الى معمولــه نحــو (يا حميد الخصال ، يا ناصر الحق) بشرط ألا يضــاف الى ضمير الخطاب فان أضيف اليه فلا ينادى فلا يقال (يا غلامك) لأنه يســتلزم اجتمــاع النقيضين لاقتضاء النداء خطــاب الغــلام ، واضافة الغلام الى ضمير الخطاب يقتضى عدم خطابه ، لوجوب تغاير المتضايفين ، وامتنــاع اجتماع خطابين لشخصين فى جملة واحدة ٠

٣ ــ الشبيه بالمضاف : وهو ما اتصل بــه شيء يتمم معناه ، بأن يكون معمولا له : رفعا نحو (يا حسنا خلقه) أو نصبا نحو (ياقاصدا مكة) أو جرا نحو (يا محسنا الى الفقــير ، يا رءوفا بالعباد) ، أو يكون المنــادى مفردا نكرة منعوتا بمفرد نحو (يا رجلا كريما أقبل) أو بجملة نحو (يا صديقا يحفظ الجميل) أو بظرف نحو (يا سائرا أمام الركب تمهل) حيث أن النداء ورد على الموصوف والوصف معــا ، أى أنه طرأ بعــد الوصــف بالصــفة فعمــل الموصوف وهو المنادى فيما بعده وهو الصفة فهو لهذا من الشبيه بالمضاف ، ويتبين من هذا أن الشبيه بالمضاف لا ينحصر فيما عمل فيمــا بعده أو عطف عليه ما بعده بل منه أيضا النكرة الموصوفة بمفرد أو جملة أو ظرف كمــا سلف أو معطوفا عليه قبل النــداء نحــو (يا ثلاثة وثلاثين) فيمن سميته بالكلمتين أى بمجموع المعطوف والمعطوف عليه معا فيجب نصــبهما اتفاقا للطول ، أما نصب ثلاثة فلأنــه شــبيه بالمضاف من حيث أن الثانى من تمام الأول لأن التسمية حدثت باللفظين مع حــرف العطف ، وحرف العطف يقتضى معطوفا ومعطوفا عليه، وهو بمنزلة العامل فصار كأنه بعض اسم عمل فى آخر فأشبه (يا راكبا جملا) ، وأما نصــب ثلاثين فبالعطف على ثلاثة ، ويمتنع ادخــال (يا) على ثلاثين ، لأنه جزء العلم الثانى ، مثل شمس من عبد شمس ٠

وان ناديت جماعة عدتهم مســاوية هــذا العدد ، فان كانت غير معينة نصبتهما وجوبــا لأن الأول نكرة غير مقصودة والثانى معطوف على المنصوب وان كانت معينة ضممت الأول ، وعرفت الثانى بأل وجوبا ونصــبته أو رفعته لأنه اسم جنس أريد به معين فوجب ادخــال أداة التعريف عليه ، ولم يكتف بحرف النداء لأنه لم يباشره ثم نصبته عطفا على محل الأول اذ محله النصب أو رفعته عطفا عــلى لفظــه الا ان أعدت معه (يا) فيجب ضمه وتجريــده من أل ، لأنه لا يجمع بين (يا) و (أل) الا مع لفظ الجلالة والجمل المحكيــة المصــدرة بأل ٠

أُقسام المنادى

القسم الثالث من المنادى : ما يجوز ضمه وفتحه ، وهو نوعان :

الأول : منهما ما استوفى شروطا ثمانية : أن يكون المنادى علما ، مفردا ، موصوفا ، والوصف لفظ ابن أو ابنة ، متصل به ، مفرد ليس مثنى ولا مجموعا على حده ، مضاف الى علم ، والمنادى المنعوت ذا حركة ظاهرة أى صحيح الآخر ، فاذا اجتمعت تلك الشروط نحو : يازيد بن سعيد ، ويا مصعب ابن عمير ، جاز فيه الضم على الأصل ، لأنه علم مفرد ، وجاز فيه الفتح على ثلاثة أوجه :

١ ــ اما على الاتباع لفتحة ابن ، اذ أن الحاجز بينهما غير حصين لأنه ساكن •

٢ ــ أو على تركيب الصفة مع الموصوف وجعلهما شيئا واحدا كخمسة عشر •

٣ ــ واما على اقحام ابن بين المتضايفين ، واضافة زيد الى سعيد لأن ابن الشخص تجوز اضافته اليه لملابسته اياه •

وفتحة المنادى (زيد ، ومصعب) على الوجه الأول فتحة اتباع ، وعلى الوجه الثانى فتحة بناء وعلى الثالث فتحة اعراب ، وفتحة ابن فتحة اعراب اذا ضم المنادى أو فتح اتباعا أو نصب اعرابا ، وفتحة بناء على الوجه الثانى القائل بتركيب الصفة مع الموصوف •

والمختار عند البصريين عدا المبرد الفتح ، وهو عندهم أكثر من الضم لخفته ، وعليه قول الشاعر :

يا حكم بن المنذر بن الجارود
سرادق المجد عليك ممدود

بفتح حكم ، ويرى المبرد أن الضم أجود وهو القياس ، وأنه لو قال يا حكم بالضم لكان أولى اذ هو الأصل فى المنادى المفرد العلم •

وتابع هذا المنادى الموصوف بابن أو ابنة يجب نصبه اذا كان المنادى مفتوحا بناء أو منصوبا اعرابا نحو يا راشد بن حبيب العاقل ، بنصب العاقل ، اما اذا كان مضموما فكذلك عند جماعة وكأن الموجب للنصب والمانع من الرفع عند ضم المنادى هو الفصل بين التابع والمتبوع بالوصف (ابن أو ابنة) ، وفريق يرى أنه لا مانع من رفعه عند ضم متبوعه فاذا فقد واحد من تلك الشروط الثمانية : بأن كان المنادى غير علم نحو (يا رجل ابن جابر) أو كان غير مفرد أى مضافا نحو (يا عبد العزيز ابن هشام ، أو يا عبد الرحمن بن عوف) أو لم يكن الوصف لفظ ابن أو ابنة نحو (يا حسين الشهيد) أو لم يتصل به نحو (يا جميل العاشق ابن معمر ، ويا صالح المقدام ابن طريف) أو لم يكن الابن صفة ، نحو (يامحمد ابن جعفر ارحم الضعفاء) على أنه بدل أو بيان أو منادى مستأنفا حذف حرف ندائه أو كان مضافا الى غير علم نحو (يا على ابن قريتنا) أو كانت الحركة فيه مقدرة نحو (يا عيسى ابن مريم ، يا موسى بن عمران ، يا مصطفى بن اسماعيل ، يا مرتضى بن جعفر) أو اذا ثنى الوصف أو جمع ، وهو ما لا يعقل تصوره مع اشتراط افراد المنادى **اذا فقد أحد هذه** الشروط الثمانية ، وجب نصب غير المفرد ، وهو المضاف نحو (يا عبد المعز بن بدر) وتعين الضم فى الباقى وعلة وجوب تقدير الضم فى ذى الحركة المقدرة أى المعتل هو أن تقدير الفتحة لا فائدة له وقد أجاز الفراء تقدير

الضمة والفتحة ، فالضمة على الأصل، والفتحة على الاتباع أو التركيب أو اقحام ابن واضافة مقدر الحركة الى ما بعد ابن ولم يشترط الكوفيون أن يكون الوصف ابنا فان أى وصف نصب مسوغ عندهم لجواز الفتح فى المنادى الموصوف به بناء على أن علة الفتح عندهم هى التركيب ، واستدلوا بقول جرير يمدح عمر بن عبد العزيز :

فما كعب بن مامة وابن سعدى
بأجود منك يا عمر الجوادا

بفتح عمر والجوادا ، وقافية القصيدة كلها منصوبة ، ورد استدلالهم بأن عمر فى البيت أصله عمرا بالألف بناء على جواز زيادتها فى غير ندبة أو استغاثة أو تعجب ، ثم حذفت ، ويحتمل أنه نون ضرورة ثم حذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وحكى الأخفش أن بعض العرب يضم ابن اتباعا للمنادى فى حالة ضمه•

والوصف بابنة مثل الوصف بابن فى جواز الضم والفتح فى المنادى الموصوف به ، اذ هو ابن بزيادة التاء وهى فى حكم الانفصال نحو (يا هند بنة عتبه) بضم هند على الأصل ، وفتحها اتباعا لفتحة ابنة لأن الحاجز بينهما ساكن فهو غير حصين ، أو للتركيب ، أو الاضافة واقحام ابنه بين المتضايفين •

بخلاف الوصف (ببنت) أو (ابن ، وابنة) مصغرين فانه لا تأثير له ، فنحو : (يا فاطمة بنت محمد ، ويا سعد بنى سعيد ، ويا عاتكة بنية وائل) يتعين فيه الضم ويمتنع الفتح لتعذر الاتباع ، وذلك لوجود حاجز حصين بين الوصف والموصوف وهو تحرك الباء الموحدة فى الوصف ، وجوز بعضهم فيه الفتح سماعا بناء على أن الفتح للتركيب لا للاتباع ، وهو جائز لا اعتراض عليه •

واذا وقع الابن بين علمين فى غير النداء وكان صفة لما قبله فحكمه أن يحذف تنوين موصوفه لفظا ، وألف ابن خطا كما فى النداء ، نقول : جاءنى سهيل بن عمرو بحذف تنوين سهيل ، وألف ابن كتابة الا اذا جاءت ابتداء سطر ويجوز تنوينه ضرورة ، كقوله : جارية من قيس بن ثعلبة : تزوجت شيخا غليظ الرقبة بتنوين قيس للضرورة • وان كان الابن خبرا لا صفة انعكس الحكم فينون المخبر عنه اذا كان مصروفا تقول : بلال بن رباح ، وعمار ابن ياسر ، وعامر بن خزيمة ، وكذلك اذا لم يقع الابن بين علمين نحو : حضر محمود ابن أستاذنا بتنوين محمود واثبات ألف ابن كتابة، فهذا الحكم ، وهو حذف التنوين من الموصوف وألف ابن خطارهن بتوفر شرطين •

أولهما : أن يقع الابن بين علمين •

وثانيهما : أن يكون صفة للعلم الذى تقدمه، فمتى فقد أحد الشرطين عاد الاسم الى أصله من التنوين ، وثبتت ألف الابن خطا

القسم الثانى مما يجوز فيه الضم والفتح : أن يكرر المنادى مضافا ثانى المكررين ، علما كان أو غير علم ، نحو (يا سعد سعد الأوس لا تهن) أى لا تضعف أو لا تؤذ وتحقر أحدا ، فالثانى من المكررين واجب النصب أما الأول ، فيجوز فيه الضم والفتح ، أما الضم فهو الأصل والأكثر استعمالا ، لأنه علم مفرد ، ويكون الثانى حينئذ بيانا للأول أو بدلا منه أو منادى ثانيا بتقدير (يا) ، أو مفعولا باضمار (أعنى) ونحوه ، أو توكيدا لفظيا وهو مذهب ابن مالك،

أقسام المنادى

واعترضه أبو حيان بأن التوكيد لا يجوز لاختلاف نوعى التعريف فيهما ، فالأول معرف بالعلمية أو بالنداء ، والثانى بالاضافة ، وثم مانع أقوى وهو اتصال الثانى بما لم يتصل به الأول ويستمسك ابن مالك بظاهر تعريف التوكيد اللفظى فانه صادق مع اختلاف وجهى التعريف ومع اتصال الثانى بما لم يتصل به الأول .

وأما النصب فعلى ثلاثة أوجه :

أولها : أنه مضاف لما بعد الثانى وأن الثانى مقحم بينهما بناء على جواز اقحام الأسماء ، وهو محظور عند أكثر النحويين ، وعلى جوازه ففيه فصل بين المتضايفين ، وهما كالشىء الواحد وكان ينبغى أن ينون الثانى لقطعه عن الاضافة ، ويجاب بأن عدم تنوينه انما هو لمشاكلة الأول المؤكد به .

ثانيها : أنه مضاف الى محذوف مماثل لما أضيف اليه الثانى ، وأن التقدير (يا سعد الأوس ، سعد الأوس) فحذف المضاف اليه الأول لدلالة الثانى عليه ، نظير قولهم : قطع الله يد ، ورجل من قالها وهو قليل فى كلامهم وسعد الثانى حينئذ بيان للأول أو بدل منه أو توكيد لفظى أو منادى ثان حذف منه حرف النداء ويرى الفراء أن الاسمين مضافان لما بعدهما فهما منصوبان اعرابا للاضافة ، ولا حذف ولا اقحام ، وهو ضعيف لتوارد عاملين على معمول واحد ، الا أن يقال : ان العاملين هنا ، وهما المنادى المكرر متحدان لفظا ومعنى فكأنهما عامل واحد ، وهذا نظير قولك : جاء سعيد ، وأتى هاشم العاقلان .

ثالثها : أن الاسمين ركبا تركيب خمسة عشر ثم أضيفا بعد التركيب ، كخمسة عشر داود ، ورد هذا بأن فيه تكلف تركيب ثلاثة أشياء وجعلها كالشىء الواحد ، ولا وجه لهذا الاعتراض اذ المركب فى الحقيقة شيئان فقط أما الثالث فهو المضاف اليه .

ولا يشترط فى المنادى المكرر أن يكون علما، فان اسم الجنس نحو (يا غلام غلام كندة) و (يا رجل رجل الساعة) ، وكذلك الوصف نحو (يا جابر جابر العثرات ، ويا واهب وأهب الجزيل ، ويا صاحب صاحب الأمير) كالعلم تماما فى كل ما تقدم ، وهو مذهب البصريين ، وأما الكوفيون ، فقد أوجبوا ضم الأول فى اسم الجنس ومنعوا فتحه ، كما أوجبوا الضم بلا تنوين أو النصب منونا فى الوصف .

رابع أقسام المنادى ما فيه وجهان :

الأول : ضمه مبنيا .

الثانى : نصبه معربا ولو فيما ضمه مقدر وهو المنادى المستحق للضم اذا اضطر الشاعر الى تنوينه ، سواء أكان علما أم نكرة مقصودة ، فالعلم نحو قول الأحرص .

سلام الله يا مطر عليها .
وليس عليك يا مطر السلام

بتنوين مطر الأول وبقاء ضمه مبنيا ، وقول المهلهل :

ضربت صدرها الى وقالت
يا عديا لقد وقتك الأواقى

بتنوين عدى معربا منصوبا . والنكرة المقصودة ، نحو قول كثير عزة :

ليت التحية كانت لى فأشكرها
مكان يا جمل حييت يا رجل

بتنوين جمل مبنيا على الضم وقول جرير :

أعبدا حــل فى شــعبى غريبــا

ألوما لا أبالك واغترابا

بتنوين عبدا ونصبه اعرابا

لكن لا حاجة لجعل هــذا المثال من المنــون اضطرارا ، وانما هو من المفرد الموصوف الذى سبق أنه يجوز نصــبه ويعتبره بعضــهم من الشبيه بالمضــاف ، فنصــبه لهــذا الســبب لا لتنوينه ضرورة ، وأجاز فيه سيبويه وجهــا آخر وهو أن يكون حالا على تقــدير : أتفخر عبــدا ، أى حال عبــودية ، والفخــر لا يليق بالعبيد •

واختار الخليل وسيبويه والمازنى الضـــم مطلقا لأنه الأكثر فى كلامهم ، واختار أبو عمرو ابن العلاء وعيسى ويونس والجــرمى والمبرد النصب مطلقا • ووافق الناظم والأعلم الخليل وسيبويه فى ضم العلم كمطر فى البيت الأول. فان الضم راجح فى العلم والنصب مرجــوع فيه لقوة شبهه بالضمير ، ووافقــا أبا عمرو ، وعيسى ، ويــونس والمبرد فى نصــب اســم الجنس كعبدا فى البيت الأخــير ، اذ النصب راجح فى اسم الجنس والضم مرجوح لضعف شبهه بالضمير واذا ضم المنادى المفرد المنون اضطرارا جاز فى تابعه الضم مراعاة للفــظ المنــادى ، والنصب مراعــاة لمحله وان نصب تعين نصب تابعه ، فان نون مقصور للضرورة نحو : يا فتى ، فاذا نوى فيه الضم جــاز فى تابعه الوجهان : الضم والنصــب ، وان نوى فيه النصب وجب نصب تابعه •

واختلف فى تنوين المضموم فقيــل : تنوين تمكين لأن هذا المبنى يشــبه المعرب ، وقيــل تنوين ضرورة ، وبه قال ابن الخباز ، ووافقه ابن هشام فى المغنى ، لأن الاسم مبنى عــلى الضم ، وتنوين التمكين انما يلحق الأســماء المعربة فقط •

عامل النصب فى المنادى

انتصاب المنــادى لفظا أو محلا فى رأى سيبويه على أنه مفعول بــه وناصــبه فعــل محذوف ، فأصل (يا ابراهيم أعرض عن هذا) مثلا ، أدعو ابراهيم فحذف الفعل (أدعــو) حذفا لازما لكثرة الاســتعمال ولدلالة حرف النداء عليه وأدائه وظيفتــه ، ويرى المبرد أن ناصبه هو حرف النداء نفسه لسده مسد الفعل فعلى كلا الرأيين (يا ابراهيم) جملة ، وليس المنادى ركنا فيها بل فضــلة ، وانما ركنــاها ــ الفعل والفاعل ــ مقدران عند سيبويه ،وفى رأى المبرد ، حرف النداء سد مسد أحد ركنى الجملة وهو الفعل ، والفاعل محــذوف تبعــا لحذف الفعل الذى استتر فيه •

ويحتمل أن المراد أن الفاعل مستتر فى (يا) لأنها لما عملت عمل الفعل جــاز أن يستتر فيها ما استتر فى الفعــل ، ولكن الأول أوفق بكلامــه فى تقــرير مذهب سيبويه ، وعلى الثانى يكون (يا جابر) مثلا بنفسه جملة تامة ، والمفعول به هنا على المذهبين واجب الذكر لفظا أو تقديرا اذ لا نــداء بدون المنــادى ، فى غــير المواضع التى يجوز فيها حذفه قبل الأمر والدعاء على مذهب ابن مالك •

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

الشعر الجديد -١-

— ٢ —

٥ — موسيقى القصيدة العمودية الداخلية والخارجية المتمثلة فى الوزن والقافية ، يجمع كل النقاد فى القديم ، وأكثر النقاد اليوم، على أنها من الأصول الفنية للقصيدة الشعرية ٠

وبهذه الموسيقى تمتلك القصيدة زمام التأثير الكبير فى الجماهير ، وتقودها دائما الى الصدارة والى الدعوة للحرية والرفاهية والتقدم الحضارى ، وخدمة قضايا العروبة والاسلام ، وقضايا الوطن والشعب ، وقد أكبر المستشرقون قيمتها الفنية ، حتى أن « المستر وليم جونز » المستشرق الانجليزى أكبر قصيدة المعلقات ، وترجم المعلقات الجاهلية الى الانجليزية ، ونوه بصورها وخيالاتها وبحيويتها أيضا ، ودعا فى آخر القرن الثامن عشر الشعراء الانجليز الى احتذائها وخلق نهضة شعرية على أساس أصولها الفنية ٠

ومنذ وضع الخليل بن أحمد(١٠٠ — ١٧٠هـ) عروض القصيدة العمودية ، أصبحت هذه القصيدة سهلة على الشباب والشداة ومحبى الشعر ومتذوقيه ٠

ومنذ أول قصيدة من الشعر الحر نظمتها الشاعرة العراقية « نازك الملائكة » عام ١٩٤٧ فى الكوليرا التى كانت قد انتشرت فى مصر فى ذلك العام ، وقصيدة « بدر شاكر » السياب التى نظمها بعد ذلك بعنوان « هل كان حبا » ، وما صاحب ذلك من بدء مدرسة عراقية من ملتزمى الشعر الجديد ، ومدرسة مصرية من الملتزمين لهذا الاتجاه ، بدأت موجة تشكيك فى القصيدة العموديه ، ورمى لها بالجمود والتقليد والقصور عن مطالب الحياة والعصر والناس ٠

ولا يزال الهجوم على القصيدة العمودية صناعة كثير من هؤلاء ٠ فهذا « معين بسيسو » يقول كما كتب فى جريدة الأهرام : ان الشاعر العمودى يرتطم صوته ، وتسقط قافيته ، ويجىء الشعر الحر كالصاعقة الكهربائية التى تلتهم القصيدة العمودية وتذروها رمادا » ٠

ونحن نعلم أن الشعر الجديد أو الحر يفقد الموسيقى الداخلية ، كما يفقد الموسيقى الخارجية أيضا المتمثلة فى الوزن والقافية ٠

٦ — ومن العجيب أن هذا الشعر قد أصبح مذاهب شتى ، فمنه القصيدة الملتزمة بنظام التفعيلة العروضية مع اطلاق عددها فى البيت ومع الغاء نظام الشطرين فيه أيضا ، ومنه القصيدة النثرية ، ومنه ما يجىء مضطربا بلا قيد ولا نظام ٠

والدكتور « محمد النويهى » يرى هذا الشعر الجديد هو صوت الدعوة الواقعية المادية الشيوعية فى المجتمع العربى ، كما ذكر ذلك فى كتابه عن الشعر الجديد ، وكرر هذا

---

(١) نشر الجزء الاول فى عدد ربيع الآخر ١٤٠٣

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

أيضا الدكتور على عشرى فيما كتبه عن الشعر الحر .

على أن « نازك الملائكة » نفسها ، وهى التى حاولت وضع قواعد للشعر الجديد فى كتابها « قضايا الشعر المعاصر » عادت فى ديوانها الرابع « شجرة القمر » الصادر عام ١٩٦٨ تتنبأ بوقوف تيار الشعر الحر ، وبأن الشعراء لابد راجعون الى الأوزان الشطرية ، بعد أن خاضوا فى الاستهانة بها ، والخروج عليها . ولها الحق فى ذلك بعد ظهور قصيدة النثر ، وبعد أن أصبح الشعر الجديد صوتا من أصوات الدعوة الى اليسارية عند لفيف من الشعراء ، وبعد أن أصبح الغموض والابهام والرمز والمضامين الغربية تحيط بالشعر الجديد احاطة السوار بالمعصم ، وبعد أن صار اهتمامه بالاثارة والرمز الأسطورى والتفكير الدرامى أكثر من أى شىء آخر .

« والعقاد ، وعزيز أباظة ، والزيات ، وصالح جودت ، ووديع فلسطين » والعديد من الدارسين والنقاد يسمونه « الشعر المنثور » .

٧ ــ ولقد رفض العقاد الشعر الحر ، فحين رأى تجارب زميليه شكرى والمازنى فيه ، وهى أولى التجارب من الشعر الجديد ، قال كما فى « ص ٣٠٨ من كتاب فصول من النقد عند العقاد ، تقديم محمد خليفة التونسى » : لا مكان للريب فى أن القيود الصناعية ستجرى وتجرى عليها أحكام التغيير والتنقيح ، فان أوزاننا وقوافينا أضيق من أن تنفسح لأغراض شاعر تفتحت مغالق نفسه ، وقرأ الشعر الغربى ، ورحب العقاد آنذاك بالشعر المرسل والشعر المتعدد القوافى عند شكرى والمازنى . ثم عدل عن هذا الرأى بعد ذلك ، وذكر أنه هو وصديقه المازنى كانا يشايعان زميلهما شكرى بالرأى فى اهمال القافية ، دون استطابة اهمالها فى الأذن ، وأنه هو نظم لقصائد الكثار من شتى القوافى ، ولكنه طواها كلها ، لأنه لم يستسغها ، وأشار الى أنه يوم كتب مقدمة الجزء الأول من ديوان المازنى ، ورحب فيها بهذه النزعات التجديدية ، ومنها الشعر المرسل ، وذلك عام ١٩١٤ كان يظن أن الأذن ستألفها . ولكنه الى اليوم لا يزال ينقبض لاختلاف القوافى بين البيت والبيت عن الاسترسال فى السماع ، وذكر أن سليقة الشعر العربى تنفر من الغاء القافية كل الالغاء .

الشعر الجديد

٨ ــ وللدكتور طه حسين رأى فى الشعر الجديد نشره فى بعض المجلات الأدبية، ويقول فيه : ان النزعة الى التجديد فى الأوزان والقوافى دعوة غير جديدة ، وانما الجدير بالبحث فى الشعر الجديد هو البحث عن توافر الأسس التى يجب أن تراعى فى الفن الشعرى والخصائص التى ينبغى أن تتحقق فيه ، ولا يمكن أن نعد ذلك الجديد شعرا الا اذا قام على تلك الأسس ، وتوافرت فيه تلك الخصائص ، فقد نشر فى مجلة الأديب البيروتية ــ عدد شهر مايو ١٩٦٠ ــ مقالا عن الشعر الجديد أكد فيه ذلك ، وجاء فى خاتمة المقال : فليتوكل شبابنا من الشعراء على الله، ولينشئوا لنا شعرا حرا أو مقيدا ، جديدا أو حديثا بشرط أن يكون هذا الشعر شائقا رائعا •

وفى مقال لطه حسين نشر فى مجلة الآداب البيروتية ــ عدد فبراير ١٩٥٧ ــ قال : انى لا أرى بهذا التجديد فى أوزان الشعر وقوافيه بأسا ، ولاعلى الشباب المجددين أن ينحرفوا عن عمود الشعر ، وقديما خالف أبو تمام عمود الشعر ، وضاق به المحافظون أشد الضيق ، ولست أرفض الشعر لأنه انحرف عن عمود الشعر القديم ، أو خالف الأوزان التى أحصاها الخليل ، وانما أرفضه حين يقصر فى أمرين :

د· طه حسين

عباس العقاد

أولهما : الصدق والقوة وجمال الصور وطرافتها •

وثانيهما : أن يكون عربيا لايدركه فساد اللغة والاسفاف فى اللفظ • وقديما قال أرسطو : يجب قبل كل شىء أن نتكلم اليونانية فلنقل : يجب قبل كل شىء أن نتكلم العربية •

فمن مبلغ الدكتور طه بأن العربية هانت على لسان الشعراء الجدد هوانا ليس بعده من هوان •

٩ ــ ان الشعر الجديد تجديد متطرف لايقبله الذوق العربى ، ولايتفق مع تراثنا الشعرى ، ولايصلح منهجا شعريا لجيلنا العربى ، والكثير من الشعوبيين قد حشروا أنفسهم فى زمرة الداعين الى حركة الشعر الجديد أو الحر حشرا ، وأصبحوا يهرفون بما لايعرفون ، ويقولون مالا يعقلون •

وشعراؤنا المعاصرون ، والشباب منهم بخاصة ، يمكنهم أن يجددوا فى روح القصيدة الشعرية وجوهرها بالحرص على تمثل التجربة الشعرية كاملة فى قصائدهم ، وعلى تمثل الوحدة العضوية للقصيدة • وبالتجديد فى مضامين القصيدة العربية لتصبح أقدر على

عزيز اباظة

صالح جودت

عبد القادر المازنى

التعبير عن حاجات العصر والحيـــاة والمجتمع والانسان العربى بآلامه وآماله •

أما التجديد فى الوزن والقافية على غـــير أساس ، ومع قطع الصـــلة بين حاضر الشـــعر وماضيه ، فذلك خروج على مقومات القصيدة ، وأصولها الفنية الرفيعة •

وللدكتـــور يوسف خليف رأى فى ذلك نشره فى جريدة الأهرام (ص ١١ عـــدد ١٣/٤/٨٢) وذهب فيـــه الى أن حركة الشعر الجديد أو الحر « محاولة مرتجلة تقوم على أسس غـير ثابتة من الوعى الدقيق لأصـول شعرنا العربى الثابتة ، وقيمه الأصيلة ، من وحـــدة الوزن ووحدة القافية » ، ويرى أن هذه المحاولة كـــان من الأولى الاتجاه بها الى غـير الشعر الغنائى لأن شعرنا الغنائى استقرت أصوله منذ أكثـــر من خمسة عشر قرنا من الزمان ، بحيث لم يعد من اليسير أن نسقطها من حسابنا ، أما الشعر القصصى والشعر التمثيلى فهما لونان جديدان ليست لهما جـــذور ضاربة فى أعمـــاق شعرنا العربى ، وطبيعة حركة الشعر الحـــر تجعله صالحا لهمـــا •

١٠ ــ وبعد ، فان تراثنا الشعرى حفظ لغـــة القـــرآن ، ونشرها وأذاع بلاغاتهـــــا بـــين الناشئين والمتأدبين ، ونحن فى أمس الحاجة الى أن تكون لغة الشباب هى اللغة العربية البليغة •

وبسبب ذلك ، ومن أجله أدعو الى المحافظـــة على القصيدة العمودية الموروثة بكل قيمهـــا الفنية ، كما أدعو الى احتذاء هـــذه القصيدة فيما ننظمه من الشعر ، فقـــد أصبحت ظاهرة فنية ، ومنهجا فى الشعر متميزا ، ولمـــاذا نبلبل عقول الشباب ، مما سوف يؤدى الى نفوره من الشعر جملة ، قديمه وجديده •

ان الشـــعر العـــربى الأصـــيل هـــو مربى الأذواق ، ومعلم الأجيال من الشباب ، والمثير للعاطفة ، وللوجـــدان ، والمهـــذب للنفس ، والداعى الى كل المبادىء النبيلة •

ولا أرى أن نستبدل به الشعر الجديد المملوء بالعجمة واللكنة والابهام والمعانى الغريبة ، والأفكار العقيمـــة ، والمذاهب المنحرفة •

وما توفيقى الا باللـــه •

محمد عبد المنعم خفاجى

شاه ولى الله الدكنى (١)

رائد الشعر الأردى

حين نصل الى زمان ولى الله الدكنى تكون مدرسة الشعر الأردى قد عبرت ثلاثة قرون من الزمان وقد برز فى هذه المدرسة اتجاهان : الاتجاه الأول تمثل فى الاتجاه الهندوى بأنماطه ومزاجه وأساطيره ، ومع التطور الثقافى والحضارى لم يعد هذا الاتجاه بقادر على اثراء العقول وتغذيتها كما فقد قدرته على العطاء ، ومن هنا بدأ الاتجاه الفارسى يحل محله .. وهكذا أخذ الاتجاه الهندوى يختفى رويدا رويدا وتبدو فى الأفق شمس الاتجاه الفارسى تشرق على بلاد الهند الواسعة .

ومع ظهور « ولى » كانت جميع أنماط الشعر الفارسى والبحور الفارسية والأساليب البيانية الفارسية قد انتشرت فى جميع أنحاء شبه القارة ، وامتلأ الأدب الدكنى ــ الذى ظل لفترة بعيدا عن تأثير الفارسية ــ بذخيرة ضخمة من أشعار المثنوى والغزل والقصائد وغيرها ، خلفها مئات الشعراء المشهورين ، والمغمورين ، وسقوا أشجار هذه الروضة الأدبية بسنوات من عمرهم ، وقد ساعد فتح « عالمكير » للدكن على تقوية هذا الاتجاه الأدبى فقد اتحد الشمال والجنوب ، وانتشرت لغة العامة من أهل الشمال (تلك اللغة التى خضعت لتأثير العربية والفارسية فى ظل راية الاسلام الخفاقة على شمال الهند) بين أهل الدكن ، ومن هنا جاء دور « ولى » الرائع فى مزج لغة الشمال داخل الاتجاه الأدبى العريق الذى راج لفترة طويلة فى الدكن ، وجعل الاتجاه الأدبى فى الشمال والاتجاه الأدبى فى الجنوب اتجاها واحدا ، رنت أصداؤه فى جميع أنحاء الهند وظلت مسموعة لحوالى مائتى سنة ، ومن هنا اعتبر مؤرخو الأدب الأردى شمس الله ولى الدكنى رائدا للشعر الأردى ظل الشعراء من بعده ينهلون من حوضه العذب .

وبرغم أن « أورنك زيب عالمكير » قدم من شمال الهند وفتح الدكن فى الجنوب الا أن الفتح الثقافى اتخذ طريقا معكوسا فقد نهض « ولى » من الدكن وفتح بشعره شمال الهند أو على الأخص « دهلى » عاصمة شمال الهند . وأوجد معيارا جديدا للغة والأدب واتجاها ظل يعرف لفترة طويلة باسم

---

(١) محمد باقر : مقدمه كلزار عشق انجمن ترقى اردو كراتشى .

للدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم

« ريخته » الذى يمثل النمط الشعرى المعروف باسم (الغزل) أدق تمثيل • ويعد « ولى » هو أول من أبدع فن « الغزل والريخته » بل هو أستاذ الأساتذة وكما قال مير حسن : (ابتدائى ريخته أزوست أول استاذى أين فن بنام ادست) أى : كان أول من بدأ فن الريخته وأول أساتذة هذا الفن (١) •

بدأت اللغة الأردية (ريخته) فى اتخاذ شكل متطور وناضج حين انتهت الهندوية والكجرية والدكنية كلغات اقليمية محلية ، وقد كانت كلها أسماء اقليمية تطلق أصلا على اللهجات التى كانت تمثل اللغة الأردية بشكلها القديم ، وبدأت اللغة بشكلها الجديد تأخذ طابعا شاملا ضم جميع أقاليم الهند : شمالها وجنوبها — فقد تميز أسلوب الريخته بتقليد أسلوب البيان الفارسى والميل الى البساطة والسهولة والبعد عن التكلف والتعقيد بالاضافة الى أن هذا الشكل العام للغة الذى اتخذ طابعا شموليا على جميع مناطق البلاد قد صار مفهوما لدى الجميع بلا صعوبة ، وارتضته جميع مناطق الهند منهجا أدبيا واحدا ويمكن القول بأنه لو لم يتحد الشمال بالجنوب لما كان لولى الله أن ينال هذه المكانة التى يحظى بها الآن فى الأدب الأردى •

سافر « ولى » الى دهلى سنة ١١١٢ هـ/ ١٧٠٠ م وهناك قابل « شاه سعد الله كلشن (المتوفى ١١٤١ هـ/١٧٢٨ م) وكان هذا اللقاء بمثابة نقطة تحول فى تاريخ الأدب الأردى ، فقد استمع شاه كلشن الى أشعار « ولى » ، وأشار عليه أن يغير موضوعاته الشعرية بموضوعات أخرى لها قيمتها فى الأدب وأشار عليه أن يعب من معين الأدب الفارسى ، وأعجب ولى بهذه النصيحة(٢) وبدأ فعلا فى صياغة أشعاره طبقا لاتجاه مدرسة الأدب الفارسى ، ونتج عن هذا امتزاج كيمياوى عجيب فتح أمام الشعر الأردى طريقا جديدا كان يتماشى مع العصر ذاته ، وتبرز أهمية ولى فى قدرته على مزج لغة بأخرى بطريقة لاتجعل هناك أى احساس بعملية المزج ذاتها لم تر له اللغة مثيلا رغم مرور العديد من التجارب المماثلة (٣) •

حين وصل ديوان « ولى » الى دهلى فى العام الثانى لجلوس محمد شاهى العرش (١١٣١ هـ ١٧٨١ م) رأى الشعراء فى الديوان ما فيه من بهاء وروعة ، وبدأت عيونهم تلمع وتزوغ فتركوا قول الشعر الفارسى وقلدوا

(١) تذكرة مير حسن ص ١٨٤ انجمن ترقى هند
(٢) هذه الواقعة كل من صاحب « مخزن النكات » « جاندبورى » ص ٢٢/٢١ مرتبه • اقتدار حسن لاهور ١٩٦٦ م وصاحب نكات الشعراء مير تقى مير ص ٩٤ ط بدايون •
(٣) آب حيات محمد حسين ازاد ص ٨٩ ط لاهور •

شاه ولى الله الدكنى

هذا اللون من الشعر ، وهكذا بدأ « شعر جديد ودخل الأدب الأردى القديم الى مرحلة جديدة أطلق عليها مؤرخو الأدب « العصر الحديث للأدب الأردى » •

ورغم أن الشعراء السابقين لولى كانوا على معرفة بالشعر العربى والفارسى والأنماط الأدبية للشعر العربى والفارسى الا أن ولى نقل هذه الأنماط الى الأدب الأردى وأرسى عمدها وجعل منها جزءا لايتجزء من الريختة فقد كان ذا حس شاعرى مرهف ، فبحث عن بحور الشعر الفارسية والعربية التى تتناسب ومزاج أشعار الريختة وألبسها قالب الأردية كما حدد مزاج الشعر الأردى باختياره لألفاظه ، ولم يقلد فقط التراكيب الفارسية بل بحث عن تراكيب جديدة فصبغ اللغة الأردية بلون جديد ، وبالمصطلح الحديث يجب القول أن ولى الدكنى أول شاعر « رومانسى » من الناحية الفنية ، كما أنه أول من يمكن أن نطلق على أسلوبه الشعرى بالمصطلح الحديث « الشعر الكلاسيكى » فقوته الابداعية وفطرته الذهنية تشد الانتباه ، وما قام به وجد رواجا شديدا ، وكأن الناس جميعا كانوا فى انتظاره لقد ظل « محمد قلى قطب شاه » بقوته الفطرية كعصفور جبلى يغرد لحنا واحدا ، الا أن وليا هنا يتغنى بألحان عديدة متنوعة ، ونصرتى « كشاعر » أعظم من « ولى » ولكنه رغم مزجه للألفاظ العربية والفارسية فى أشعاره الا أنه نظرا لأسلوبه البيجابورى الخاص لم يبرز على المستوى الذى وصل اليه « ولى » نتيجة لقدراته وكفاءاته •

لقد قام ولى بما يمتاز به من توازن بمزج الفارسية والدكنية مع لغة أهل الشمال وجعل منها جميعها لغة واحدة برزت على السطح وأصبحت لغة جميع الاقاليم ، وكل هذا جعل مؤرخو الأدب الأردى يطلقون على « ولى » لقب « رائد الشعر الاردى » •

وقبل أن نطالع شعره نرى لزاما أن نلقى بنظرة سريعة على حياته ووطنه •

ورد اسم « ولى » فى كتب التذاكر بأسماء مختلفة واشتركت جميعها فى ذكر كلمة « ولى » فقد ورد فى (كلشن هند) «وتذكره مير حسن» وتذكره « كلشن سخن » « ومخزن نكات » « وسخن شعرا » « وآثار الشعراء » اسم شاعرنا كما يلى « ولى الله » أو « شاه ولى الله » أما مخزن شعرا وجمنستان شعرا وتذكره ريختة كويان ومجموعة نغز وتذكره مسرت افزا وغيرها فقد ذكرت « محمد ولى » وذكر « حميد أورنك آبادى » فى كتابه « كلشن كفتار » اسم ولى هكذا : ولى محمد (١) • وفى احدى النسخ الخطية لديوان ولى المكتوبة سنة ١١٣٨ هـ / ١٧٢٥ م وردت هذه العبارة (ديوان أشعار ولى مسمى سيد ولى محمد مرحوم بتاريخ جهاردهم شهر محرم الحرام سنة ٨ از جلوس ميمنت مانوس محمد شاه بادشاه غازى خلد

---

(١) انظر جميل جالبى : تاريخ ادب اردو جلد اول ص ٥٣٢ ــ ٥٣٣

الله ماكه وسلطانه روز جهار شنبه وقت جاشت در بلده خير البلاد أحمد آباد حميت عن العناد بخط فقير حقير أضعف العباد وكلب محبوب سبحان نمود بى بود ثناء الله فانى سمت انجام وصورت اتمام بذير رفت) (١) •

وتؤكد الأبحاث الحديثة على أن اسم «ولى» هو « ولى محمد » (٢) وقد هاجر ابوه أو جده من الكجرات الى الدكن ورغم هذه الهجرة الا أن صلة العائلة ظلت قائمة لم تنقطع بمنطقة الكجرات ، أما ولى فبعد قدومه للدكن صار دكنيا واحتفظ بعد ذلك وبقية أفراد أسرته بارتباطه بالكجرات • ورغم اشارته الى وطنه الدكن فى العديد من أشعاره •

يو مكه كى شمع سون روشن هى سمت اقليم كى مجلس •
ولى بروانكى كرتا

ترى ملك دكن بهيتر

شمع وجهك يضيىء الاقاليم السبعة
يلولى : التحليق فوق بلاد الدكن أفضل

ذاعت شهرة « ولى » فى ايران وطوران مع أنه شاعر بلاد الدكن الا أنه لم يقل أبدا بالاقليمية ، فقد كان يعرف ان شخصيته فوق مستوى الاقليمية :

لاتقولوا ان وليا يعبد أصنام الوطن فلاهدف له فى أن يكون وطنه هنا أو هناك وقد انتقل ولى الى الرفيق الأعلى فيما بين سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠ م وسنة ١١٣٨ هـ/١٧٢٥ م (٣) •

حين فتح ولى عينيه وجد منطقة الدكن وقد عمتها ثقافة واحدة على المستوى الاجتماعى والاقتصادى والروحى ، وكانت أشعار حسن شوقى وتلاميذه وتابعيه قد ذاعت فى جميع أنحاء البلاد وبدأت مدرسة الغزل التى شهدت على ساحتها محمود وفيروز وخيالى وأخيرا حسن شوقى تثبت وجودها وبدأ هذا العصر يجارى المستلزمات الثقافية للحياة الجديدة آنذاك •

كانت عملية الابداع الفكرى لشمال الهند تشهد صراعا داخليا شديدا فى ذلك الوقت فقد كانت تريد الحفاظ على اللغة الفارسية كوسيلة للتعبير الا أنه كان هناك احساس أيضا بأن اظهار القوى الابداعية وعملية القلق الفكرى تجد صعوبة داخل اللغة الفارسية ذاتها وفى هذه الظروف بدأ ولى يضع مدرسة الأدب الدكنى فى قالب مدرسة الأدب الفارسى لشمال الهند وظهر نور دفع أدباء شمال الهند الى ترك الفارسية والاتجاه نحوه ، وأدى هذا اللون الجديد والأسلوب الجديد لولى الى وجود حالة من الراحة والسعادة لدى أولئك الذين لم تكن لديهم رغبة فى ترك الفارسية كلية كما أزال أيضا أسباب الصعوبة التى وقفت حائلا دون بعض الأدباء الذين كانوا يريدون التعبير عن أفكارهم على النهج الأدبى الفارسى •

---

(١) النسخة الخطية بمكتبة جامعة البنجاب وايضا مجلة الكلية الشرقية لاهور عدد نوفمبر ١٩٤١ م ص ١٦ •

(٢) جميل جالبى • تاريخ ادب اردو ٥٣٤ — ايضا ظهير الدين مدنى ، ولى كجراتى بمبى ١٩٥٠

(٣) انظر بحث د • حميل جالبى عن سنة وفاة ولى تاريخ ادب اردو جلد اول ص ٥٣٥ وما بعدها فقد قدم فيه جميع آراء مؤرخى الادب الاردى فيما يتعلق بهذا الموضوع •

شاه ولى الله الدكنى

كانت صورة الغزل فى الدكن حين ظهر ولى كشاعر غزلى تقتصر على كونه النمط الأدبى الذى ينشد عن المرأة ، أو التعبير عن أحاديث المرأة ذاتها أو عن موضوعات تخص المرأة مثل الحسن والعشق والجمال والدلال ، الشوق وحرقة الشوق ، الاعراض ورفض الوصال ، الجنس •• كانت هذه هى الموضوعات العامة للغزل ، التى خلت من التجارب العميقة أو الاحساس العميق وهذه صورة عامة نشاهدها فى أشعار «شاهى» و «نصرتى» و «هاشمى» وأسلوب « محمد قلى » و « قطب شاه » و « وجهى » و « عبد الله » و « غواصى » • وكما رأينا فى — المقالات السابقة — (٢) حدث تغيير فى هذا التصور لدى « حسن شوقى » فتنوعت الموضوعات داخل الغزل ، وحين قدم « ولى » جعل من هذا الأسلوب منهجه فقام بادخال جميع تجارب الحياة المختلفة الى دائرة الغزل ليشكل بذلك حياة كاملة داخل غزلياته وهكذا قام ولى فى حياته بأداء دور شاعرين فى وقت واحد :

١ — مزج ولى لغة الشمال بلغة الجنوب فأوجد شكلا أدبيا لقى ترحيبا لدى الجانبين فى وقت واحد ، وأحل هذا الشكل اللغة الأردية محل اللغة الفارسية وكانت هذه الرغبة الشديدة كامنة لدى جميع أفراد المجتمع ذياك الوقت •

٢ — قام ولى باتخاذ هذا الأسلوب اللغوى الجديد وسيلة لايضاح أفكاره ومزج فى موضوعاته بين الجانب المجازى والجانب الحقيقى وجعل منهما جانبا واحدا ، ثم ضغط على الجانب « النسائى » فى غزله وعلى الجانب الشكلى وركز على العواطف الداخلية والاحساسات والعواطف القلبية وبهذا أوجد شكلا أدبيا يحمل جميع الصلاحيات للتعبير عن التجارب المختلفة والمتنوعة للحياة وظهرت علامات جديدة للغزل ، وتجارب للحياة الانسانية بكل ما فيها من تنوع •

بالاضافة الى هذا وضع « ولى » — كأى شاعر عظيم — أجمل وأحسن أجزاء المدرسة الأدبية القديمة داخل شعره ، واجتذب جميع الاصوات الى صوته ، تلك الأصوات التى كانت تعزف مختلف الألحان على قيثارة التاريخ ، كان ولى ينشد الشعر الدكنى بروح العصر القديم ثم يقدم فى الوقت ذاته امكانات جديدة للجيل الجديد ، وحتى يكمل شاعرنا عمله قام بكتابة غزلياته فى جميع الموضوعات وبجميع الأساليب التى كانت رائجة بين شعراء الدكن القدامى من مثل « محمود » و « فيروز » و « خيالى » و « حسن شوقى » و « محمد قلى قطب شاه» و « نصرتى » و « وشاهى » وغيرهم • كما أنشد غزلياته على نفس أسلوب الغزليات الفارسية الذى كان يتطابق وروح ومزاج الأردية وترك ما لايتماشى مع روح ومزاج الأردية ، ولو طالعنا أشعار « ولى » لرأينا بوضوح تام كيف أن صوت « ولى » يلتقى مع أصواتهم جميعا ثم كيف أنه فى نفس

---

(٢) انظر المقالين السابقين بمجلة الازهر عن الادب الاردى فى الدكن •

الوقت ينفصل عنهم جميعا ، فحين يتحدث « ولى » عن (المحبوب) نشعر بامتزاج المضمون مع الشكل وهو مايطلق عليه فى الأردية (خارجيت وداخليت) .

ومن الجدير بالذكر أن الأسلوب الذى اتخذه الغزل فى الفترة التالية والتى شهدت قمة تطوره انما هو مستمد من منابع غزل « ولى » والموضوعات التى ارتبطت بالغزل الأردى فيما بعد نجدها جميعها عند « ولى » (١)ولهذا سيظل اسم « ولى » على رأس القائمة الأدبية لكونه مؤسس هذا الأسلوب وهذا المنهج .

الغزل نمط من شعر العشق ، فشعر الغزل يتضمن الأحوال المختلفة المتنوعة للمشاعر وللعواطف التى تطرأ على الشاعر من العشق ، وهذا نشاهده واضحا فى شعر ولى ، فالحسن والعشق واضحان فى شعره الا أن الحرقة والشوق فى شعره يظهران بأسلوب بسيط وذلك نتيجة أن هذا الصنف من الشعر جديد على اللغة الأردية من ناحية ومن ناحية أخرى فالشاعر حر فى التعبير عن نفسه بالأسلوب الذى يراه (٢) ، كما يقول ولى :

« كان الحسن أكثر الأشياء تحررا داخل ستارة التجريد ، سعى الى العشق فجاء فى صورة انسان ، وتجلى هذا الحسن فاختفى

نور الشمس .. حسنك دائم قائم على حال واحد لا يتغير ، فلماذا ذهب ربيع جنتك .. والمسافر على طريق العشق له فى شارع العشق محطة عند كل خطوة ، فان شئت الانطلاق على طريق العشق فانطلق شجاعا لا تخش شيئا .. انطلق فقد تفتحت الورود وانتشت البلابل ، وانظر حيث شئت فى هذه الروضة — يا ولى — أسلوب العشق ليس سهلا فأنا أحكى بعد تجربة — أنه صعب جدا » .

اما الدكتور سيد عبد الله فى كتابه (ولى سى اقبال تك — من ولى حتى اقبال) فله فى غزل ولى رأى آخر فهو يقول (٣) :

« ولى يملك أسلوبا خاصا فى الشعر الأردى فشعره يخلو من الألم كما يخلو أيضا من عنصر الفكر والفلسفة الى حد ما ، وعشق ولى يتعلق بالعين أكثر مما يتعلق بالقلب ، ولذا فموضوعاته فيما يتعلق بالهجر والفراق لا يشعر فيها القارىء بالصدق ، ولعل الشاعر لم يمر بهذه المراحل حتى يعبر عنها تعبيرا صادقا ، فقد كان عشقه مرتبطا بالنظر أو التصور لأنه عاشق للجمال فقط ، والجمال ليس قاصرا على شخص أو قاصرا على شكل معين بل هو شىء عام فهو كفراشة تجذبها الزهور وكالفراشة تدور حول الشمعة :

هر ذره عالم مين هى خورشيد حقيقى .
بون بوجه كه بابل هون هر اك غنجه دهان كا

الشمس الحقيقية تضىء فى كل ذرة من ذرات العالم وهكذا فانا بلبل كل روضة وكان

---

(١) جميل جالبى : تاريخ ادب اردو ص ٥٤٠.

(١) جميل جالبى : تاريخ ادب اردو ص ٥٤٠. وما بعدها .

(٣) سيد عبد الله : ولى سى اقبال تك وما بعدها ص ١٠

لولى أكثر من محبوبة جميلة والعشق عنده عشق مجازى •

ويصور ولى ما يطرأ على العاشق من أحوال وما يقاسيه من حرقة :

« أفلت العشق من اليد وتعمق فى القلب ولم يعد هناك فرق بين السلطان والفقير فى العالم لم تثقل الحياة على من أصابته سهام العشق ، لم يأت الصياد ولم يدر شيئا عن حالى فلعله لم يعد عالما بحالى ، أثقلنا شراب الشوق فانتشينا وسكرنا حينا ووعينا حينا »•

والحقيقة أن اللهجة الشعرية الغالبة على شعر « ولى » هى لهجة رجولية لاتزال حية فى الشعر الأردى ، فالأسلوب الفارسى ممتزجا بالأسلوب الهندى كون شكلا أدبيا يحمل ملامح ثقافتين فى ثقافة واحدة عرفت باسم (الثقافة الايرانية الهندية) تلك الثقافة التى أنتجتها الثقافة الاسلامية فى شبه القارة الهندية والتى تعد ميراثا لمسلمى شبه القارة الهندية :

من هذا الطائش الجاهل بالمعانى ، انه لم يفهم شيئا مما أوجده « ولى » •

ورغم أن غزل « ولى » تسيطر عليه أحيانا روح الغزل الأردى القديم الا أن مزاج ولى كان يتميز بالاتزان ، ولم ينزل الى المستوى الذى كان عليه « محمد قلى » و « شاهى » و « نصرتى » و « هاشمى » ، فشعر ولى كما يقول « جميل جالبى » (١) يمزج الشكل بالمضمون أو بعبارة أخرى المشاعر الداخلية بالشكل الخارجى •

(لا تغضب ممن أشعل الشعلة الملتهبة أطفىء النار بماء المحبة ، ان قلبى لايعرف قيمة شباكك فيا أيها المتدلل أخبرنى بقدرها ، أنت لاتنسى أحدا فى هذه الظلمة الحالكة وتسمع دبيب كل شىء ، من قبض على طائر قلبى الذى سلبته •• صرفت عمرى كله أعبد طلعتك ، ظللت أتحرق بشوقك فماذا لو احترق الجسد كله • لقد أصابنى هذا النور ووقع على ناظرى ، تحرق القلب فى عشقك وذاب •• أنا « ولى » سمح الطلعة ، قادم الى حضرتك اشتاق اليك فأرنى الشوق) •

وروح الشعر القديم تسيطر على هذا الغزل ، كما أنه يضم عديدا من ألفاظ المدرسة القديمة بالاضافة الى أن أسلوب التعبير يحمل روح الغناء ، والفرق أنه يحمل تصورا ساميا ويمثل صوتا جديدا نلمسه فى جدة العبارت الشعرية التى يستخدمها الشاعر :

آنكهون كو لكاتى جا : يرشق البن
بانى سون به آك بجها تى جا
أطفىء بالماء هذه النار
آواز سناتى جا يسمع الصوت

فالشعر القديم كان خاليا من مثل هذه العبارات وان وجدت كانت مبحوحة مكتومة غير واضحة •

ورغم أن الدكتور سيد عبد الله يرى أن وليا لم يجرب الحب الا أن الدكتور جميل جالبى له رأى آخر يختلف عنه ، فهو يرى

(١) جميل جالبى : تاريخ ادب أردو ص ٥٤٥ وما بعدها •

أن عشق ولى لم يكن عشقا خياليا بل كان حقيقيا ولقد جرب جميع جوانب « العشق المجازى » الذى يعد فى نظر مدرسة الادب الهندية الايرانية أول مراحل العشق :

من وضع قدمه فى وادى الحقيقة كان أول خطوة يخطوها هى العشق المجازى ويتحول هذا العشق الى عشق حقيقى :

النور دائما يحيط بالعارفين ففن العشق فن عجيب •

وقد مزج ولى عشقه بموضوعات التصوف •

« الحياة كأس للمتعة ، لكن ما الفائدة اذا خلت الكأس من الصهباء ، خل نفسك أولا من الأنانية اذا ما أردت لضوء الشمعة أن يستمر ، وجدت أنا — ولى — سلطان دولة القناعة ، وهكذا اعتليت عرش الحق وصارت لى الارض والسماء مرتعا ، فطمع المال عيب كله عيب ، وعيب أن تراودك أفكار الحصول على الكنز » • ويبدو أن الدكتور جميل جالبى يراجع نفسه بالنسبة لرأيه فى عشق ولى اذ يقول :

« وبالاضافة الى احساسنا بالشعر المجازى الا أننا نشاهد أيضا أن هذا الشعر لا يخرج من خانة خالية فى قلب الشاعر » (١) •

ويعرض ولى فى أشعاره تجارب الحياة العميقة المتنوعة لتصبح جزءا من مشاعرنا وأحاسيسنا واستخدامه للألفاظ السهلة البسيطة بالاضافة الى عمق العاطفة يترك أثرا عميقا على قلب القارىء :

« سيظل الأمر معلقا أيها المسافر فلا وقت للبقاء ، القلب يضطرب والحبيب لا يدرى ، العمل أفضل من أمور العشق ، ما معنى الحقيقة وما معنى المجاز ، الرفاق والخلان بلا قرار فهذه ليلة الفراق ، عمهم الحزن والأسى ، والربيع كله يتلاشى ، لم تعد هناك قيمة للانسان والعالم خجل يا « ولى » لم يعد الا الافلاس •• الافلاس •• الافلاس

ولم يأت الصياد ليتقصى أمرى فلم يعد يذكر حالى ، وقلبى عامر بصورتك حتى أنه صار من الصعب التمييز بينك وبينه •• يا ولى ماذا أحكى عن محاسن منجم الجواهر هذا فلقد انتقل الى بيتى وجاءت ، مع دراتك أسرار الحياة » •

ففى الأشعار السابقة نشعر بالتنوع مما ساعد على اتساع الرقعة الغزلية عند ولى لتتضمن جميع الأفكار والموضوعات والاحساسات والعواطف والتجارب وليجد الغزل الأردى اللون الأدبى الذى لايزال حيا باقيا حتى اليوم •

واللون الأدبى الذى نشاهده فى أشعار ولى انما هو نتاج اختلاط الطابع الهندى بالطابع الفارسى وقدرته كشاعر على ربط اللفظ بالمعنى والابداع التأثيرى الخلاق عنده وهى أمور استقاها ولى من شعراء الفارسية من

---

(١) انظر الصفحات السابقة •

مثل « انورى » و « وجمالى » و « جامى » و « عرفى » و « خاقانى » و « الفردوسى » و « هلالى » و « فيضى » و « قدسى » و « طالب » و « خسرو » و « صائب » وغيرهم ممن عاشوا فى الهند أو فى ايران :

يا « ولى » أنت غواص فى بحر المعانى وكل مصرع درر من دررك المعقودة ، وكل حديث تنطق به انما هو كالجواهر تزين كل اذن ، ومع أننى متمثل بلفظ « الهوى » الا أن قلبى عاشق « للمعانى » .

وهكذا نلاحظ تمسك ولى بعرض التجارب المتنوعة بأسلوب بسيط سهل وهذا من مستلزمات الغزل فاذا ما وصلت البساطة الى قمتها أدى ذلك بالتالى الى احداث عمق فى التأثير ، ويصبح من الصعب التمييز بين حدود الشعر والنثر ، ويطلق عليه البعض : السهل الممتنع وهذه درجة عالية من درجات الابداع، وكل شاعر يفخر دائما بوصوله الى هذه الدرجة وهذا المستوى وغالب الشاعر الذى كان يميل بكله الى التعقيد كان ينصح الشعر من أصدقائه الى اتباع الأسلوب السهل .

لا أدرى الى أين أمضى وماذا أفعل فالقلب حزين بائس ، وأرديتى تخضبت حزنا عليك فأنا أرتدى لباس العشق ، أنا لست وحيدا بفراقك فالحزن والغم يحيطان بى من كل صوب يا « ولى » لقد أصبت نفسك بما أصبتها به فقد نظرت الى من أشاحوا بوجوههم عنك، فمن سلك طريق العداء لا ينال الا العداء جزاء ، ألا تدرى ان قاطع الطريق عدو للسراج .. من أصابه سهم العشق كيف لاتثقل عليه الحياة ، اليوم اخضوضرت الجبال والصحراوات وانتشرت المروج فى كل ناحية ، فلا تسأل نفسك كيف جاء الحبيب ، لأن هذا الحسود أسود الوجه هو منبع الفتنة » .

و « ولى » يستخدم فى أشعاره التشبيه والاستعارة والجناس والتلميح والمحاكاة والابهام وغيرها من فنون الكلام ، مما يزيد من تأثير أشعاره كما ينفرد ولى بلحن شعرى خاص تميزت به أشعاره الأردية وخاصة فى غزلياته ذات البحور الطويلة (١) .

نظرة نقدية على اللغة الشعرية عند ولى :

يقسم « صفير بلكرامى » (٢) ، اشعار ولى الى ثلاثة أقسام على أساس لغة هذه الاشعار :

القسم الاول : الأشعار الخاصة بذلك الوقت والتى لم يحدث عليها أى تغيير واحتفظت بطابع الأشعار فى تلك الفترة ، وهو الطابع القديم .

القسم الثانى : تلك الأشعار التى كونت بفعل المتغيرات اللفظية للفترة التى عاشها ولى .

القسم الثالث : الأشعار التى تعبر عن لغة تلك الفترة وتراكيبها واستمرت مشاهدة فى أشعار شعراء الفترة التالية حتى زمان

(١) جميل جالبى : تاريخ ادب اردو ص ٥٥٠ الجزء الاول .

(٢) صفير احمد بلكرامى : جلوة خضر ص ٦٩ ـ ٧٦ ط الهند .

« مصحفى » و « مير » و « سودا » وبعضها ظــل يستخدم حتى زمان « ناســخ » والوقت الحاضر .

وأشعار القسم الأول قليلة وفيها ألفــاظ دكنية خالصة وألفاظ كجرية وهندوية ، الا أنها لو قورنت بأشعار شعراء تلك الفترة لاعتبرت سهلة واضحة . وديوان ولى مليىء بأشــعار القسم الثانى وفيه عدة ألفاظ خاصة كــانت تروج فى اللغة الدكنية وهى من حيث المجموع متشابهة فى اللغة مع أشعار القسم الثالث . التى تتشابه مع الشعر الحالى .

ويمكن القول دون تردد أن ولى قد نقــل اللغة التى بدأت منذ مائتى سنة على طــريق جديد أو ألبسها ثوبا قشيبا ، فقد مزج أشعاره باللغة التى ظلت تستخدم منذ قرنين ومن هنا يمكن لأى باحث أن يطلع من خلال أشعار ولى على اللغة التى كانت تروج منذ القرن العاشر الهجرى وحتى القرن الثالث عشر الهجرى .

وما قام به ولى فى الواقع انما يمثل تمثيلا رائعا وجهة النظر الحضارية والاجتماعية التى كان يمر بها المجتمع آنذاك . فقد انقســمت اللغة فى الدكن الى صورتين : اللغة التى كانت تروج فى المناطق الدراورية للدكن خـــارج منطقة دولة آباد وهذه اللغة لم يحدث لهــا أن اتصلت بدهلى مركز لغة شــمال الهند . والثانية هى اللغة التى راجت فى دولت آبــاد وحواليها وكانت دولت آباد هى المركز .

ودولت آباد تبعد عن أورنك آباد سبعين ميلا ، ونتيجة لحملات المغول وفتوحاتهم فى المنطقة سكن أهل شمال الهند دولة آبـــاد وانتشرت لغة الشمال فى شوارع وحــوارى هذه المنطقة ، وكانت هذه هى اللغـــة التى صادفها ولى والتى بدأ يستخدمها فى أشعاره بما يملك من قدرات ابداعية مع احساســـه بالأسلوب الفارسى واللغـــة الفارســية والأساليب واللهجة والموضوعات الفارسية . ويمكن القول بأنه اذا لم تكن رواية الشــعر متأصلة فى الدكن منذ فترة واذا لم تصل لغة الشمال الى الدكن لكان من الصعب على ولى أن يأتى بانتاجه هذا . فقد ولد ولى وســط ظروف ومتغيرات سياسية واجتماعية وثقافية كان المجتمع نفسه واللغة نفسها والشعر نفسه حينها فى حاجة الى من يقوم بمزج الجنــوب بالشمال ، من يقوم بمزج أسلوب الدكـــن بأسلوب الشمال والأسلوب الفارسى ليوجــد شكلا أدبيا يكون مقبولا لدى جميع الأطراف، بل يوجد أسلوبا توجد فيه امكانيات جــديدة للابداع ، وهذا ما قام به ولى الدكنى .

واذا أردنا أن نضــع ولى فى مــكانه فى المدارس الشعرية التالية له وضعناه بين اتجاه المدرستين اللتين ظهرتا بعده : مدرسة تتسم بطابع الأردية الخالصة ومدرسة يسيطر عليها الطابع الفارسى ووصل ولى الذى وقف بيــن الاتجاهين الى مقام عال كان بمثابة منـــارة تضيىء الطريق للأجيال القادمة من الشعراء(١)

(١) جميل جالبى ، تاريخ ادب اردو ص ٥٥٢ .

تأثير الشعر الفارسى على أشعار ولى :

كما أشرنا قبلا فتح ولى قلبه للغة الفارسية يستفيد منها يستخدم لهجتها ويستخدم أمثالها ومصطلحاتها فى قالب شعرى أطلق عليه اسم (ريخته) ومن هنا امتلأ ديوان ولى بالاشعار التى تتماثل والاشعار الفارسية من ناحية الفكر والمضمون وقد أثبت «عبد السلام الندوى » فى كتابه شعر الهند (١) نماذج من الأشعار الفارسية التى نقلها أو ترجمها ولى عن الفارسية الى الريخته . وأنصح الدارسين المتخصصين بالرجوع اليها .

وقام ولى بعمل عظيم وهو ترجمة المصطلحات والتعبيرات الفارسية الى الأردية فعمل على اثراء اللغة الاردية والشعر الاردى وهناك أمثلة كثيرة نورد بعضها :

نماز كردن الى نماز كرنا يقيم الصلاة

كمر بستن الى كمر باندهنا شمر عن ساعد الجد .

تماشا كردن تماشا كرنا : يتفرج ويتفسح ويتملى بكذا خاصة الحسن والجمال .

دامن كرفتن دامن بكرنا : يمسك بتلابيب

ومن الجدير بالذكر أن أمر الترجمة لم يقتصر على العصر التالى لولى مباشرة بل تعداه الى العصور التالية واستمرت ترجمة المصطلحات الفارسية الى الأردية حتى زمان « مير » و « سودا » و « وناسخ » و « آتش » و « مير حسن » و « أنيس » و « غالب » و « اقبال » وقد أدى هذا الاتجاه الى اثراء اللغة الاردية وضاعف من قوتها التعبيرية وهذا هو حال ترجمة المصطلحات الانجليزية والاستعانة باللغة العربية فى اللغة الأردية فى العصر الحديث .

واذا كان الغزل هو النمط الشعرى الرئيسى لولى تمثلت فيه جميع خصائصه الشعرية الا أن كليات ولى تضمنت أيضا قصائد وكانت كقصائد زمانه التى أنشدت فى مدح الملوك والسلاطين الا انها لم تتضمن نفس الموضوع بل استخدم قصائده فى مدح الرسول ورجال الدين ، وقصائد ولى ليست بالطويلة ولا هى بصعبة البحور لكنها تمتلىء بالأفكار الرائعة وألفاظها قوية جزلة .

وبالاضافة الى القصائد كتب ولى فى الأنماط الشعرية الاخرى كالترجيع بند والتركيب بند التى غلب عليها لون القصيدة ، كما كتب « قطعات مدح فيها الكجرات ومدينة سورت . أما موضوع رباعياتها فكان نعت الرسول ودروس الاخلاق .

لقد كان ولى شاعرا عظيما وحتى يتضح ذلك علينا أن نرى تأثيره فى شعراء زمانه وفى شعراء الفترة التالية له فالاتجاه الذى أشار اليه « ولى » كان هدف كل الشعراء من بعده .

دكتور سمير عبد الحميد ابراهيم

---

(١) الجزء الاول ص ٢٧ ، ٢٨ ط ١٩٤٢ .

الرسالة الخالدة

تأليف الأستاذ المرحوم عبد الرحمن عزام باشا

عرض وتلخيص دكتور عبد الودود شلبي

عبد الرحمن عزام « باشا » أول أمين عام لجامعة الدول العربية قد لا يعرفه كثير من الجيل المعاصر . والقليلون الذين يعرفونه . يعرفونه رجلا سياسيا تولى أمانة الجامعة العربية عقب تكوينها فى اعقاب الحرب العالمية الأخيرة كما يعرفونه رجلا اشترك فى صنع الأحداث التى رافقت هذا الصراع الذى لاتزال رحاه دائرة فى العالم العربى ، وفى المحافل الدولية حول فلسطين والنزاع الاسرائيلى .

ولكن قلة من الناس من يعرفون الأستاذ عبد الرحمن عزام كاتبا ومفكرا اسلاميا .. وأقل من هذا القليل من يعرف أن الرجل كان من أصحاب السيف ، وأنه من المجاهدين الذين اشتركوا فى معارك الاسلام دفاعا عن حرية شعوبه وأوطانه وبخاصة فى ليبيا أثناء الغزو الايطالى وأنه وشقيقه المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام من دعاة الفكر الاسلامى والوحدة الاسلامية العالمية .

فى الأربعينيات من هذا القرن ظهر كتاب « الرسالة » الخالدة فى طبعته الأولى عن احدى دور النشر بالقاهرة . والنسخة التى بين أيدينا هى الطبعة الرابعة من هذا الكتاب باللغة العربية ، اذ أن هذه الرسالة ترجمت الى لغات عدة وظهرت . منها طبعات باللغة الأندونيسية ، والأردية ، والفارسية والتركية وأخيرا ترجم الى اللغة الانجليزية حيث لاقى رواجا كبيرا فى جميع البلدان التى تتحدث بهذه اللغة .

يقول الأستاذ « عبد الرحمن عزام » فى تعريفه بهذا الكتاب :

هذه الرسالة الخالدة ان كانت من عند الله — كما نعتقد نحن المسلمين — فيكفى أنها من الله لتمتاز على كل دعوة من غير الله .

.. وان كانت من (محمد) كما يزعم ذلك المنكرون .. فنحن على بينة من أمرنا ندعو الى سبيلها بالحكمة والموعظة الحسنة ندعو المنكرين لينظروا فيها — لا كدين — بل — كنظرية تاريخية أتت بأفكار وشرائع فى

الرسالة الخالدة

السياسة والاجتماع والاقتصاد ، فسيجدونها بصرف النظر عن التدين أسسا صالحة لنظام عالمى وسط بين المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى يتطاحن عليها الناس الآن.

وسيجدونها حتى على أنها من البشر أصلح الدعوات وأرشدها وأقربها الى مبادىء العدل والحرية والاخاء والمساواة . وسيجدون طرائقها كمبادئها وسطا سهلا يلتقى الناس على قبولها بفطرتهم فيصلح بها الحال ، ويستقيم المجتمع . ويعم السلام بين الأمم وبين الطبقات فى الأمم .

والطبعة الرابعة من هذا الكتاب صدرت عن دار الشروق فى بيروت وتقع فى حوالى ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير ويشتمل الكتاب على مقدمتين احداهما مترجمة عن الطبعة الانجليزية كما يشتمل على سبعة أبواب رئيسية فى أصول الدعوة والاصلاح الاجتماعى والعلاقات الدولية . وأسباب الاضطراب العالمى ، وفى البحث عن سند روحى للحضارة وفى النظام الاساسى للدولة الاسلامية وأخيرا فى انتشار الدعوة بين الأمم الوثنية ـ والمسيحية والأوروبية .

فما هى دعائم هذه الرسالة ؟

وما هو هداها فى الاصلاح الاجتماعى ؟

وما هى سياستها فى العلاقات الدولية ؟

وما هى نظرتها لاسباب الاضطراب العالمى ؟

وما هو النظام العالمى الجديد الذى يوافق روحها ؟

وما هو تاريخ انتشارها شرقا وغربا قديما وحديثا ؟

يقول الاستاذ « عبد الرحمن عزام » فى الباب الأول من الكتاب :

ان الايمان بالله بارىء الكون : وحده لا شريك له هو أصل الرسالة المحمدية وحجر الزاوية فى بنائها أنه الينبوع الذى أفاضه الله فى قلب محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى والحق والسلام والخير . أنه الصدى العميق لذلك الهاتف الذى ناداه من السماء والأرض (**اقرأ باسم ربك الذى خلق**) والدعوة المحمدية بانتصارها على الشرك أزالت العقبة الأولى فى سبيل السمو بالنفس البشرية . ورفعت الحجر عن عقول تحجرت فانطلقت للنظر والتبصر وبدت مثار ذلك بسرعة حتى كادت الدعوة المحمدية أن تكون فى حد ذاتها معجزة .

فالأعراب الذين وأدوا بناتهم ، واعتزوا بسفك الدماء والنهب صاروا الخشع الركع الذين يبتغون فضلا من الله ورضوانا . والأسرة التى كان يرث فيها الرجل زوجات أبيه صارت الأسرة المطهرة ، والقبيلة التى لاتعرف حقا الا لعصبيتها ولا ترعى ذمة الا لمن هو منها صار فيها من يرد الجزية والأموال الى نصارى (حمص) لأنه عجز عن حمايتهم، والسادة والأشراف الذين استعبدوا الناس صاروا يخشون الله ولايخشون فى الحق لومة لائم ، ومن الجفاة القساة جاء الخليفة الذى ترده امرأة فى مجمع من الناس فيقول : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

فالمؤمن لا يكون ظالما ، لأنه يعارض بالظلم

صفة من صفات الله وهى العدل • ولايكون غليظا قاسيا ، وسيده هو الرحمن الرحيم ، ولايكون مخادعا ولا منافقا لأن حسابه مع العليم الخبير الذى يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور •

وفى الفصل الذى عقده المؤلف عن « الاسلام والتكافل الاجتماعى » يقرر الفرق بين الاسلام وأكثر الملل الأخرى • فالاسام ليس دينا فحسب يكتفى فيه المرء بأداء الشعائر والعبادات ثم يدع بعد ذلك مالقيصر لقيصر أو لغيره من الناس • ان الاسلام نظم المعاملات والعلاقات والحقوق والواجبات بين أفراد الأسر ، وبين أفراد الأمة ، وبين الأمم المختلفة فالأمة الاسلامية وحدة موثقة العرى• متساندة متكاتفة متعاونة تدفع مايتطرق اليها من الفساد ان الفرد فى المجتمع الاسلامى جزء من كل يكمله ويكتمل به ، ويعطيه ويأخذ منه ويحميه ويحتمى فيه •

لقد رأيت بعض « قبائل الطوارق » فى شمال أفريقية يحيون حياة هذا التكافل السعيد فليس فيهم من يعيش لنفسه وانما لجماعته • فأول مالفت نظرى لحالتهم هذه أن رجلا من الفرنسيين نزل بينهم فى « فزان » فجاورهم — وعاش بفضلهم ثم خرج يطلب الرزق ويريد أن يرد الجميل ، وترك أسرته فى جوار هذه الجماعة الاسلامية غير أن النحس لازمه فلم يكتسب شيئا فجاءنا فى « مصراتة » يطلب العون منا فأعناه ليعود الى أهله ولكنه رجع الى بعد سنة مرة آخرى فظننت آنه عائد من عند أهله ، فقال لى : لا • ولكننى الآن أستطيع العودة الى أهلى • فقلت له ، وكيف ؟ قال : بعد لقائنا الأخير اتجرت بما حصلت عليه وأصبح الآن فى يدى ما أعود به الى جماعة الطوارق ؟ فقلت : الى اولادك أم الى جماعة الطوارق ؟ قال : الى الطوارق أولا فهم أووا أولادى فى غيبتى • وأنا سأكفل أولاد من أجده غائبا منهم وأقسم ما أعطى الله بين أولادى وأولاد جيرانى • فقلت : هل تعيش جماعتكم كلها كما تعيش أنت مع جيرانك ؟ قال : كلنا فى الخير والشر سواء •

وفى الفصل الذى عقده المؤلف عن أسباب الاضطراب العالمى يحصر أسباب هذا الاضطراب فى أربعة أسباب هى الاستعمار • وصراع الطبقات • والتمييز العنصرى • وهزيمة القوى المعنوية والروحية عند الناس •

واذا كان النزاع بين الطبقات هو حجر الزاوية فى هذا القلق والاضطراب فقد أخذت الحكومات والشعوب فى تلمس أسباب العلاج لهذا الصراع فذهبت مذاهب شتى • فبعضها ذهب الى استئصال طبقة الملاك كما حدث فى روسيا وبعضها الى استئصال دعاة العمالية والشيوعية كما حدث فى أسبانيا ، وبعضها عول على القهر والاستبداد كما حصل فى المانيا وايطاليا — قبل الحرب العالمية الأخيرة — ومن الصعب جدا فى مثل هذا العرض أن ندخل فى بحث النظام الرأسمالى • ماله وما عليه • كما يصعب كذلك متابعة المشكلة الاجتماعية ومتابعة مافعل الأمريكان والأوروبيون هذا الشأن أو ذاك ، وأكثر من كل ذلك صعوبة تقرير ما انتهى عليه الحال بالنسبة للشيوعية التى فقدت بريقها الزائف فى بوتقة التجربة والاختبار ولكن الذى لاشك فيه أن النظام الراسمالى فقد مبررات

الرسالة الخالدة

وجوده القائمة على النهب والاستغلال ، والنظام الشيوعى فقد أسباب بقائه على ضوء التجربة والاختبار ، ولقد كان الانسان وقيمه وروحه هو الضحية الوحيدة فى النظام القائم على رأس المال أو الحكم المزور باسم الفلاحين والعمال .

لقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة وفى يدها سلسلة من ذهب وهى تقول لامرأة عندها . هذه أهداها أبو الحسن — تقصد — عليا — فقال صلى الله عليه وسلم: يا فاطمة أيسرك أن يقول الناس ابنة رسول الله فى يدها سلسلة من نار .

ثم خرج ولم يقعد . وأرسلت فاطمة بالسلسلة فباعتها ، واشترت بثمنها عبدا فأعتقته وحين علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قال : الحمد لله الذى نجى فاطمة من النار .

ان لبس السلسلة ليس حراما فى حد ذاته .. والذهب ليس حراما على المرأة كما هو معروف فى الاسلام .. ولكن التحريم هنا يأخذ وجها آخر ، ان الترف والزينة والاغراق فى الكماليات ليس لهذا كله مبرر فى المجتمع الاسلامى . حين يوجد فى هذا المجتمع بائس أو مسكين لا يجد لقمة العيش .

ترى كم يكون عدد المحرومين فى المجتمع الاسلامى لو طبقت هذه القاعدة البسيطة ببساطة الاسلام فى علاج أمور الدين والدنيا .

وفى الفصل الذى عقده المؤلف عن « هزيمة القوى الروحية والمعنوية » فى العالم يتنبأ بأن الحضارة التى تميل احدى كفتيها الى جانب واحد لابد أن تندثر (وتهوى) لقد صارت الأمم صنوفا من الناس متقاطعة وصار البشر مشتتين فى عالم متنكر تبلبلت فيه الأفكار واختل فيه العرق البشرى ، وتقاطعت فيه الطبقات والطوائف . ففى جيل واحد هزمت حياة الروح هزيمة نكراء أمام حياة المادة وأخذت الآلة الصماء تفتك على غير هدى . وبغير ضابط من دين أو خلق ، أو شرف ، واندفعنا من غير تدبير فى سبيل تحويل الوسائل التى نتمتع بها الى هلاك مدمر لنا ولحضارتنا . وأخذنا نزيف آراء ونظريات نعتقد بها يوما . ثم ندمرها غدا .. فباسم حرية المرأة ندمر هدوء المنزل وحياة الأسرة . وباسم حرية الوطن نمزق الأوطان .

وباسم حرية العمل وحرية رأس المال سنمحو رأس المال ونستعبد العمال وباسم مقاومة الحريات سنفقد حرية الفرد . وحرية الجماعة وحرية الرأى ، ونحن الذين شاهدنا ويلات الحروب العالمية مرتين فى ربع قرن أحق الناس بالتساؤل عن القيمة الحقيقية للمدنية والحضارة التى هذه بعض آثارها .

ان انهزام القوى المعنوية بسيطرة المادة هو انهزام العقل والمروءة والوفاء والفروسية والتقوى والقناعة والرحمة واذا انهزم أولئك جميعا حل الجهل والغدر والخيانة والاثرة والرياء والفتك محلها .

والدعوة المحمدية حين وازنت بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة وأقامت الشريعة على ميزان من العدل يزن بين حاجات الروح وحاجات البدن انما تفعل ذلك لصالح المجتمع البشرى الذى لن يجد فى سواها نجاة ولا ملجأ ولا حلا .

وفى الفصل الذى عقده المؤلف عن انتشار الاسلام بهذه السرعة التى انتشر بها فى العالم كله يعزو المؤلف ذلك الى التسامح الذى اشتهر به المسلمون وميزهم عن غيرهم من الأمم فحين فتح المسلمون أسبانيا كان مجمع « طليطلة » الأكليركى السادس قد قرر أن يقسم الملوك عند توليهم الحكم على نفى أو قتل أو سجن كل من يفكر فى مناقشة أوامر الكنيسة وتعاليم الكثلكة ، ويقول « هلفزيخ » أن أوامر وحشية صدرت لتنصير اليهود الموجودين فى أسبانيا ، أو قتلهم فلما فتح المسلمون أسبانيا تلقاهم اليهود بالترحاب الذى يستحقه المنقذون والمحررون .. ولم يسمع فى أيام الفتح الاسلامى بأية محاولة للاكراه أو الاضطهاد . وقد بلغ من أثر هذا التسامح أن الاسبان لم ينقطعوا عن الدخول فى الاسلام حتى بعد سقوط دولته فى الأندلس فقد ذكر « ستر ليخ ماكوسويل » بعد سقوط غرناطه أن كثيرا من الناس دخلوا فى الاسلام ثم هاجروا بعد ذلك هربا من النار التى تعرض لها المسلمون فى حملة الابادة الهمجية .

يقول توماس أرنولد : أن الكنيسة المسيحية قويت وتقدمت فى رعاية المسلمين وحكمهم فلم يحل الحكم الاسلامى بينها وبين الانتعاش والرقى ، بل ان النساطرة لم تدب فيهم الحمية والحماسة الا فى حماية الاسلام .

ولقد كانت جميع المذاهب المسيحية تتمتع بالرعاية والتسامح من الحكام المسلمين على حد سواء .

وقد ذكر السير توماس أرنولد كيف بلغت الخلافات بين الطوائف المسيحية الى درجة من العداوة والحرب ، ولم يكن يفصل بين هذه الطوائف المتعادية بالعدل الا الحكام المسلمون ، ويقول توماس أرنولد : تحت نظام من الأمن يكفل حرية الحياة والملك والعقيدة تمتع المسيحيون بثروات ونجاح كبيرين : فكان منهم أرباب النفوذ الواسع فى قصور الخلفاء بل ان كثيرا من الخلفاء شيد الكنائس والمعابد لرعاياهم المسيحيين وبنى أحد الولاة الأمويين وهو « خالد القسرى » ، كنيسة لأمه المسيحية دون أن يتدخل لارغامها على اعتناق دين المسلمين .

ولقد اعترف كثير من المنصفين بهذه الحقيقة ، يقول أحد المؤرخين عند ذكر واقعة « بواتيه » التى قتل فيها عبد الرحمن الغافقى وأغارت جيوش « شارل مارتل » على المسلمين قال : لقد تأخرت المدنية والحضارة والتسامح عن أوروبا بسبب هذه الهزيمة عدة قرون .

وبعد :

فهذا الكتاب وثيقة فكرية لعبد الرحمن عزام المجاهد والسياسى ودليل على أن الرجال العظام الذين أنجبتهم هذه الأمة انما هم الرجال الذين أشربت نفوسهم روح الايمان والعقيدة وعاشوا حياتهم للحق والخير والفضيلة ، ومضوا – كما جاءوا – شهبا فى سماء الاسلام والعروبة .

عبد الودود شلبى

ديوان شعر
صدى الأيام

للأستاذ الدكتور
محمد رجب البيومي

فى طبعته الثانية صدر ديوان « صدى الأيام » للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ، وصاحب الديوان غنى عن التعريف لدى قرائه ومستمعيه الذين عرفوه عالما ومفكرا اسلاميا وشاعرا وكاتبا ومحدثا وخطيبا ، يملك منهم الأسماع والقلوب والعقول .

وعنوان الديوان يكشف عن فحواه ، فما يبوح به الشاعر من قول ليس فى الواقع الا صدى لما تقوله الأيام ، حين ينصت جيدا الى وقع أحداثها ، من خلال شعور مرهف ، وحس متوفر ، وبصيرة نافذة .

ربما كان هذا ما يقصده الشاعر من التسمية وربما قصد أن ما يقدمه فى هذا الديوان انما هو أثر من تأثير الأيام بأحداثها فى نفسه ، وفى الديوان من القصائد ما يتسع لكل من هذين التفسيرين المحتملين .

وأيام الشاعر تنوعت فيها المشاعر ، واختلفت فيها الأحاسيس ، ولكن مع هذا فان الوجدان الصادق يجمعها جميعا فى اطار واحد، اذ هو المتلقى الوحيد عنها ، وهو نفسه الذى يصوغ ما تلقاه فى كلمات يشدو بها اللسان ، ويسطرها البنان مخطوطة من ذوب القلب والفؤاد .

وفى صدر الديوان مقطوعة تشبه أن تكون هى المقدمة بدلا من المقدمة النثرية ، وفيها يقول الشاعر عن ديوانه :

صدى الأيام ديوانى
أصور فيه وجدانى

ويؤكد على أنه يترجم عن صوت وجدانه هو دون أن يقلد فى ذلك أحدا :

وما قلدت بل لبيت
صوتا منه نادانى
فان ينفح به أرج
فذلك عطر بستانى
وان تشعل به حمم
فمن جذوات بركانى

ويجمع الديوان بين دفتيه مائة وثلاثا وثلاثين قصيدة ومقطوعة ، يأتى أغلبها ترجمة عن خواطر ذاتية ، ويأتى القليل منها متصلا بموضوعات من خارج ذات الشاعر ووجداناته الخاصة .

٢

واذا كان الديوان « صدى الأيام » على اختلاف شياتها وألوانها فاننا نستطيع أن نسمع بعض موجات هذا الصدى فى منعطفات

عرض ونقد أ. د طه مصطفى أبوكريشة

من حياة الشاعر ، التى آثر أن يسجلها فى بعض القصائد .

ان طفولة الشاعر كان لها صدى فى شعره ، وتسجل لنا قصيدته « مستقبل طفل — ٥٢ » طبيعة هذه الطفولة من خلال الحديث عن نوع معين من الأطفال وفى هذا الحديث يلمح رد الفعل الايجابى عنده نحو صورة هذه الطفولة التى كان عليها ، انه لا يتنكر لها ولا يخفيها ، بل يراها دافعا لأن يكون صاحب قلب كبير يضم بين جوانحه كل طفل على صورته :

لم ألق طفلا بائسا
الا نكرت طفولتى
وعرفت محنته التى
نهضت تطابق محنتى
ورحمت شقوته وان
لم يستفد من رحمتى
أسفى عليه مؤرقى
اذ بات يعرض صورتى
ولعله فى عمره البا
قى يجدد سيرتى

.. لكن الطفل يكبر ، ويدخل معترك الحياة، ويشق طريقه بالكفاح والجهد والجلد ، وتنمو معه مواهبه وملكاته ، ثم تجود هذه المواهب والملكات بفيض من نبعها الصافى الرقراق ،وفى لحظة من لحظات اليأس يظن الشاعر أن أحدا لا يرتوى من هذا النبع ، وأن ما يجود به يذهب عبثا ، كما تذهب قطرات الماء الصافى فى ثنايا الرمال ، وفى قصيدته « النبع الخامل ٤٦ » صدى لهذا الاحساس الموجع المرير :

ضقت فى ساحة المدينة بالضـ
جة والجهد وازدحام الطريق
فصحبت الصحراء يوما طويلا
رائحا غاديا بغير رفيق
واعتزال الورى يهدىء نفسى
ان رمانى الورى بشر محيق

وفى الصحراء بعيدا عن الناس ، حاول أن يطرد ما تزاحم حوله من هموم ، أبت الا أن تتابعه :

غير أن الشجون تتبع أقدامى
فى حشود سوداء تقفو حشودا
أطرد الفوج جاهدا فاذا ولى
بعيدا لمحت فوجا جديدا

وبينما هو كذلك اذا به يلمح فى الصحراء ما يجد فيه مثال حاله من خمول النابهين :

فتجلى نبع من الماء صاف
رقّ فى العين لؤلؤا منضودا
يالسر الحياة جاد على الصحراء
لكن تَأَفَّفَتْ أن يجودا
أنا أبكى خُموله فى قفار
عاش فيها مضيعا منكودا
إنها بيئة تجنت عليه
لوعداها لنال حظا سعيدا
مثل نبع ينساب بين الروابى
يغرس الخصب والرخاء الرغيدا

ديوان شعر
صدى الأيام

قــدره مثــل قــدره فلمـــاذا
بــات فى قفــره يعــانى الجحودا

أليس الشاعر هو هذا النبع ؟ بلى . انـــه هو :

فرأيت النبــع الحزين يعـــانى
ما أعانيــه فى الورى من عقــوق
أنظم الشــعر رائعــا مســتطابا
فاض كالنبــع بالنمــير الــدفوق
ثم يجفى فليس يرويــــــه راو
بــل يوارى فى جوف لحــد عميق
كان أحــرى أن يســتجاد بتقــد
ير وأن يســتعاد بالتصــــفيق
أنا أبكى للدمــع اذ صــار يبكى
فكلانــا فى دمعـــه كالغــريق

فاذا سألنا كيف كان هــذا الخمــول ، وما الذى تطلبه من القراء ؟ أجــاب الشــاعر فى قصيدته « جنون الشــهرة ١٣٦ » عن هــذا السؤال :

يعذبنى حب اشتهارى فى الورى
فأســمو لآمال يضيق بهــا عزمى
أؤرق نفسى كى أخط مقـــالة
يطالعها القــراء ممهــورة باسمى
وأسأل من لاقيت عنهــا فان يفــه
حصــيف بنقد ما توهمته خصمى
وان قال لم أقرأ لبعض شــواغلى
نممت ســجاياه فأسرفت فى الذم
أطالب قـــرائى بحفظ روائعى
وأعتــد تقديرى من اللازم الحتم

فاذا حاول أن يعد جمهور قرائه ، لم يجــد فى العدد ما يرضى النفس ، ويسعد القلب بل كان العدد القليل المحصور سبيلا لمشاعر كثيرة من الحزن والقنوط :

جماهــير قراء أحــاول عــــدهم
فلا تنهض الأرقام بالعدد الضخم
تخيلت جمعــا منهــم مترقبـــا
محيــاى يعتــد اللقاء من الغنم
ويرجــع لى عقلى فأدرك واقعى
وحيدا أعانى الصمت فى منزلى الجهم

لكنه ليس واقــع من يســتشعر العيب فى نفسه وشعره ، وانما هو واقــع مســتمد من هؤلاء الذين لا يســمعون ما يقول ، لأنهم فى صمم عقلى يحول بينهم وبين أن يسمعوا :

فأين قوافى الجياد أهكــــذا
تضيع أغاريدى لــدى معشر صم؟

فالى أين يتجه الشاعر ، ليس هناك مفر من الوحدة والخلوة بعيــدا عن الناس ، وهــذا ما نجد صداه فى قصيدته « هروب ١٥٢ » :

أخلو وحيـــــدا بــدارى
فمـــا يقـــر قــــرارى
أحس مادمت فيهـــــــا
لذعــا كلذع النـــــــار
سأمان مثـــل أســـير
يعــاف قيـــد الاســـار
أعـــد ســـاعات وقتـــى
عــدا يذيب اصطبــــارى

حيران أسأل عما
به يتاح فرارى
فان تسنى سبيل
هربت دون انتظار
هربت لا لحبيب
تشتاقه أوطارى
هربت لا لصديق
أبدى له أسرارى
هربت لا لحديث
فى ندوة السمار

وفى مثل هذه الأحاسيس الغائمة تغيب بواعث الاحساس بالجمال •

الكون حولى جميل
ومقلتى فى ازورار
فلا ترى الأفق يزهى
بساطع الأنوار
بل دامس مدلهم
مسربل بالقار
الحسن زاه ولكن
عن خاطرى متوارى
ان تكدر النفس يوما
فالكون ذو أكدار

واذا كان هذا الصدى معروف السبب ، فهناك من أصداء الأيام ما يحرص الشاعر على اخفاء سببه وعلته ، اذ ليس كل ما فى النفس ما يمكن أن يعلن ويذاع ، وفى قصيدته « المحنة الخرساء ١٦٦ » شاهد على ذلك :

محنتى فيك محنة خرساء
تجهل الأرض كنهها والسماء
يعصف الهول بالضلوع ولكن
لا نوح لا ضجة لا بكاء
يسأل الناس أى خطب دهاه
فهو والثاكل الجزوع سواء
أيها الناس قد جهلتم مصابى
فظننتم وفى الظنون امتراء
فاتركونى ووحشتى وانقباضى
ثم فليصنع الأسى ما يشاء

٣

وفى غير هذا الجانب السابق ترى فى الديوان وقوفا عند بعض مظاهر الطبيعة ، والشاعر لايستملى جمالها فحسب ، بل انه من خلال تذوق الجمال ، يتبادل معها الأحاسيس والمشاعر ، فهو لايقف عند ظاهرها المحسوس ، وانما يتخذ الظاهروسيلة للولوج فى أعماقها مضفيا عليها مظاهر الحياة يقول الشاعر فى قصيدته «احساس النبات ٦»

سرت فى موكب الربيع وللطير
هتاف يرن فى الآذان
وعلى الدوح من غدائره الخضـ
ـر ثياب بهيجة الألوان
ما أجمل الربيع يغمر قلبى
بشعور يحيا به وجدانى

ديوان شعر صدى الأيام

ذلك ظاهر الطبيعة وشكلها المادى المحسوس ، أما الحياة التى يراها الشاعر فيها فيبدو مظهرها فى رده على صاحبه الذى هصر غصنا من أغصان الشجرة :

هصر الغصن كى ينال جناه
أى ذنب لديه للأغصان
صحت فى وجهه جنيت عليه
آثما فانتظر عقاب الجانى
ارحم الغصن لاتنله بسوء
قد يحس النبات كالانسان
واستمع للحفيف منه تجده
بات يشكو الانسان للانسان

وينكر صاحبه أن يكون للنبات حس وشعور :

أى هزل تقول دون اكتراث
هل يحس النبات كالانسان
ألديه روح تلاقى الرزايا
ثم تبكى بدمعها الهتان

لكن الشاعر يقابل انكار صاحبه بدليل عملى صادر من الشجرة ، ذلك حين يتساقط التوت نحوه دون صاحبه ، فيعد ذلك منحة له منها جزاء على رحمته بها ؟

ومضت ساعة فهب نسيم
لأمسى الدوح كالرفيق الحانى
فاذا الغصن يسقط التوت فوقى
دونه وهو لا صق متدانى
قلت ياصاحبى ملكت دليلى
اذ بدا الحق واضحا للعيان
أدرك الغصن رأفتى وحنانى
فحبانى ببره ورعانى
ان يكن لايحس كيف تراه
قام يجزى الاحسان بالاحسان
منطق قد يجادل العقل فيه
غير أن الفؤاد ذو ايمان

وفى قصيدته « رهبة الليل ١٧٩ » يصور الشاعر ظلام الليل الكثيف ، حين يغيب ضوء القمر ، وفى هذا التصوير ترى كيف أضفى الحياة على الليل وعلى الطبيعة من حوله ، فيقول عن ظلام الليل :

.عوه على وجه الطبيعة يجثم
فليس له من دافع حين يهجم
تضج رعود الجو من جبروته
وتبكى عيون المزن لو كان يرحم
جرىء فما فى الكون عات نهابه
عشية يسطو كاسحا فيخيم

ويقول عن أثر هذا الظلام فى جنبات الطبيعة بدوحها وطيرها وجداولها ونباتها وأنهارها :

أرى ما أرى لا الدوح يبهج ناظرى
ولا طيره فوق الغصون يحوم
ولا الجدول الرقراق يألق صافيا
كعهدى به والبدر فى الماء يرسم
وألمح محزون البنفسج عابسا
كثكلى تدارى شاقيا فهى تكظم
ويممت نهرا أستلذ جواره
وكنت أراه فتنة تتجسم
فأسمعنى منه خريرا مقطعا
كأنى به ذو غصة يتألم

وحين يتوجه الشاعر الى الليل معاتبا لــه على كل هذه الرهبــة التى أرعبت الانســان ، وسلبت الطبيعة بهجتها ، فان الليل يرد متظلما مدافعـــا :

هو الليــل آذاه شـــديد تحـــاملى
فصـــاح عــلى غيظ كمــن يتظلم
ألســت أغثت النــاس بعــد عنائهم
فيرتـــاح مجهــود وييــرأ مسقم
وأوحى لــك المعنى الدقيـــق ميسرا
فيعلم رهط الفــكر أنــك ملهـــم

وينهى الشاعر هذا الحوار مخاطبا الليل :

فقلت له أدهشــت ياليـــل منطقــى
كأنــك سر فى الغيـــوب مطلســم
لئن كنت ذا خــير تســوق نميره
الينـــا بـــلا مــن فشرك أعظـــم

والقارىء للديوان يرى قلة الشعر فـــى الطبيعة ، وربما كان استنطاق الطبيعة عــلى هذا النحو السابق هو السبب فى قلة هـــذا الجانب ، فالشاعر لايقف عند ظواهرها التـــى قد تعطينا الكثير من الشواهد ، لكنه يريد أن يغوص فى أعماقها ، وربما عزف الشاعر عــن تقديم الطبيعة الى قرائه على هذا النحو الذى لم يألفوه عند شعراء الطبيعة الذين يقفون عند الأشكال ولايعدون الظواهر .

٤

ويشغل شــعر النسيب الجانب الأكبر فى الديوان ، وكثيرا ما ولج الشعراء هــذا الباب حيث لا يخلو من مثله ديوان شعر ، ونحسب أن شاعرنا من هؤلاء الــذين يلين لهم هــذا اللون لرقة الشعور ورهافة الوجدان فيكثرون منه وان لم يمثــل واقعــا ، وربما كان هــذا ما يوحى به قوله فى قصيدته السابقة « جنون الشهرة » :

وأعمــد للأشعار أنظم عقـــدها
لأغدو أمير القول فى النثر والنظم
يقولون الهام القريض ســـوانح
تطير كلمح البرق فى صفحة الغيم
ولكن الهـــامى يواكب خـــاطرى
متى شئت قلت الشعر كالغيث اذ يهمى
أفسر فى أعماق نفسى طلاســـما
تدق خوافيهـــا فيكشــفها فهمى
خوالج احساس تتبعت نبضهــــا
خفوت السرى فىعالم الدم واللحم
أنمق منهـــا كل عصـــماء أطفـــأت
مثيلاتهـــا فى الرائعات من العصم
وأحسب أن الكون يصغى لشـــدوها
فيثمله ســكر القريض بـــلا اثم

وفى هذا الشعر يلقى الشـــاعر بكثـــير من تأملاته ، ومن هذا القبيل قوله عن الذين يجنح بهم الهوى فى قصيدته « طريق الحب ٤٨ » :

لا تمضـــين مع الهـــوى
قـــدما فيرهقك المســير
فأمامك الصـــخر العتى
ودونك الشـــوك النــير

ديوان شعر
صدى الأيام

متخبطا تهوى ولا تدرى
بمن ذا تستجير

وفى قصيدته « رواسب الحيوان ٧٦ » يجعل الجرى وراء الهوى بقية من رواسب الحيوان فى الانسان :

كل فرد وإن كان ذا اكتمال
تعتريه رواسب الحيوان
ومن الهول أن ترى حيوانا
مستكنا فى باطن الانسان
تبتغى أن تقلم الظفر فيه
وهو لا ينثنى عن العدوان
كلما صاحت الفريزة تدعو
ه الى الأرض هم بالاذعان

ويشيد بمن يتسامون عن جواذب الأرض محلقين فى أفق العلا والارتقاء وفى مقطوعته « ارتقاء ٣٧ » دعوة الى هذا التسامى :

علوت الأفق فابتسمت دهاء
وقالت كيف بت على النقيض
سلوت السفح لم تسعد كثيرا
بما فى السفح من روض أريض
تركت الزهر رفافا بهيجا
تضيق بوصفه حيل القريض
فقلت دعى الزهور تغش غيرى
بما سترت من القبح البغيض
يشع رواؤها فاذا تصبى
ملاكا راح ذا خلق مريض
مضى عهد السفوح ونازعتنا
هواتفنا الى الأفق العريض
ومن بلغ السماء فلا تلمه
اذا كره النزول الى الحضيض

٥

وفى الديوان جانب من قراءة البصيرة فى النفس والكون والحياة ، وفيه ترى الحكمة تنساب على لسان الشاعر لتسجل رجع تأملاته ، وصدى نظراته ومشاهداته •

يتأمل الشاعر نصيب العقلاء والجهلاء من متع الحياة وخطوطها فتروعه المفارقة ، حين يرى العقلاء يشقون ، والجهلاء يتنعمون ، ومن ثم تكون هذه الصورة الآسية الساخرة فى مقطوعته « الجهل جنة ٢٠ » :

لا تطلبن العيش فى كنف الحجا فالعقل محنة
تزداد تعذيبا لنفسك كلما تزداد فطنة
لا ترتضى عز الكمال ودونه وخز الأسنة
فاذا تعذر عفت طعم العيش واستحقرت شأنه
وأخو الجهالة سابح الخطوات منطلق الأعنة
دع جهله يحميه من كيد النهى فالجهل جنة

ويتأمل صور الناس وما يحملون من عقول، فتدهشه المفارقة فى بعضهم ، حين يرى المظهر عكس المخبر ، ومن ثم يدعو الى الحذر من خداع النظر فى قصيدته « ازدراء ١٤٢ » •

ترى الفارع العملاق تحسب عنده
أصالة رأى فى وجاهة منظر

وتسـمعه يهذى فتطرق واجمـا
لســامق مرأى فى قمـاءة مخبر
ظننت صـيال الليث فى روحـاته
فراعـك أن تلقى تفـزع جـؤذر
دع اللحظ لا تحكم به فهو خادع
يضـل وان زايدت فيـه بمجهـر
ودونك فاسمع ثم زن تر واحدا
من الألف توليـه ثنـاء المقـدر

ويتأمل الصداقة والصديق ، فيحزنه ماطرأ على بعض أصدقائه من تغير نحوه ، ويسـجل ذلك فى قصيدته « صديق الأمس ١٦٠ » .

أسفت ولم آسف لجـرم جنيتـه
سـوى أننى أعلنت ودك للنـاس
وبالغت فى حبى فسـقت مدائحى
اليك جزافا لم أزنهـا بقسـطاس
وعذرى أنى قـد خدعت ببهـرج
بكفيك يخفى عنك تهمـة افـلاس
فان أك قد أسلفت مدحك غافـلا
فتلك زهور بعثرت فـوق أرماسى
ملأت بمدحى الكأس صابا وعلقما
لنفسى فدعنى أحتسى علقم الكاس

٦

وللتاريخ الاسلامى وأحداثه الماضية جانب فى هذا الديوان ، وفى قصيدة بعنوان « آذان الفجر فى بلاط الشهداء ٨٩ » يسجل الشـاعر بعض خواطره عن أمجاد المسلمين فى الأندلس:

أحالوا ديارا لقوط فردوس جنـة
ترعـرع فيهـا العـالم المتحضر
مدارس للتثقيف فاضت حياضـها
وطوفانهـا الجياش بالعلم يزخر
محاكم للحق النزيه تســـودها
مسـاواة شرع بالعـدالة يجهـر
مصحات طب ينتحيها أخو الضنى
فينشـط لا يثنى خطـاه مكـدر
حـدائق تكسوها الرياحين بهجة
وأدواحهـا اللفـاء تزهـو وتثمر
ولو لم تتح للناس أندلس لمـا
غـدا لجمال الكون فى العين منظر

وفى قصـيدته « صـلاح الدين الأيـوبى يتحـدث عن الوحـدة العربيـة ١٩٩ » يلقى الشاعر بخواطره نحو الوحدة الاسلامية قائلا على لسان صلاح الدين الأيوبى :

قلت لابـد أن أوحـد قـومى
وبهـم أنقى جهـــد الكروب
زحف الغـرب يستحث الرزايـا
مزبدات فى مـوج جيش صـليبى
فالتفت مصر والشـــام معـا فى
وحدة ضمدت سـخين النـدوب
وحشدت الصـفوف حـولى ودا
همت قوى الزاحفين غير هيـوب

ديوان شعر
صدى الأيام

روع الغاصب الدخيل لزحف
سد فى وجهه طريق الهروب
فانثنى يطلب الفرار فأطبق
نا عليه بجاحم من شعوب
فتهاوى على الدروب قتيلا
دنست منه طاهرات الدروب
هكذا الوحدة القديمة أهدت
راية النصر للثرى المغلوب

هذا وفى الديوان الى جانب ما ذكرنا شعر فى الرثاء والهجاء والسخر والفكاهة لكنه شعر قليل النماذج ، وان كان يحمل نفس الطابع الذى اتسمت به الأغراض الأخرى •

٧

وبعد • ففى هذا العرض ما يكشف للقارىء عن شاعر أصيل مطبوع ، فى شعره النظرة الصادقة ، والبصيرة النافذة والاحساس الرقيق والشعور الفياض ، وفيه الأسلوب السهل السلس ، والمعنى العميق الذى لا يتأبى على من يجتديه •

وللشاعر ملكة الخيال اليقظ الذى يبتكر الصور البيانية ، مجتناة من أدواح صاحبها• وهذه بعض من صور الخيال شاهدة على ما نقول :

يقول عن حفيف الأشجار فى ظلام الليل (١٧٩) :

كأن حفيف الدوح تحت ستوره
شكاية مظلوم على الجور ينقم

ويقول عن زهر البنفسج فى هذا الليل ١٧٩ :

وألمح محزون البنفسج عابسا
كثكلى تدارى شامتا فهى تكظم

ويقول عن غياب القمر فى هذا الظلام :

سموت لنور البدر فاغتلت سحره
وناحت لبلواه شموس وأنجم

واذا كان لابد لنا من شىء نتحاور فيه مع الشاعر الأديب فان هذا الشىء يتمثل فى أن نطلب لشعر الديوان انصافا من الشاعر ، وما الانصاف الا أن يقدم الشاعر شعره للناس وهو مطمئن اليه من خلال توثيق وتعريف لهذه التى جاءت غفلا من تواريخها ومناسباتها ، وأستاذنا يعلم أن لهذا الجانب أهمية كبرى فى البحث والدراسة والنقد • فهل نطمع أن نرى ذلك فى الطبعة الثالثة للديوان ؟

وشىء ثان يتمثل فى بعض الكلمات الغريبة التى تسربت الى الديوان وزادت غرابتها حين جاءت فى ثنايا الشعر السلس ، وعلى سبيل المثال قول الشاعر ص ١١ :

وأسأل نفسى اذ أحلّل موقفى
فتهمى عزاليه كما فاض عيلم

وقوله ١٨٨ واصفا الليل فى رمضان :

وأفرح بالدجى فيفر منى
سريعا مثل مايعدو الظليم

وقوله ٢١٢ :

قالت الشـمس لـه فى رعـده
قدك قـد أشعلت فى قلبى الضراما

وشىء ثالث ما نراه من ظل يسـير لعاميتنا فى بعض الأبيات ومن ذلك ١٣٧ :

وأسـأل نفسى اذ أحلل موقفى
لأى اعتبار طاش فى ملأ سـهمى

وقوله ٧٧ :

وأعتـزل الرفـاق اذا تصـابوّا
فـكل حـديثهم عَجْـن ولّت

وأخيرا فاننا لم نقـدم خلال هـذه الصفحات الدراسة الحقة التى يستحقها الديوان فان لذلك مجالا آخر · وحسبنا هنا أن نكون قد أخذنا بيـد القارىء فى تعـريف يكشف عن معالم الطـريق فى روضة غناء · وبـداهة فان السـير فى الطريق ليس بديلا بحال عن اسـتكناه جوانب الروض والتطـواف بين وروده وزهوره ، ولعل فيما قدمنـا ما يغـرى المسـتزيد بمزيد من تنسيق طـاقات الورود والأزاهير ·

أ·د طه مصطفى أبو كريشة
١٩٨٣/٤/٢٧

مع
رسالة
جامعية

انقضاء العقد بالالغاء والرجوع فى القانون المدنى

« انقضاء العقد بالالغاء والرجوع فى القانون المدنى
دراسة مقارنة بالفقه الاسلامى » .

هذا هو عنوان الرسالة التى تقدم بها الطالب : اسماعيل عبد النبى عبد الجواد شاهين ــ للحصول على درجة « الأستاذية ــ الدكتوراه » فى الفقه المقارن ــ كلية الشريعة والقانون ــ جامعة الأزهر .

وقد نوقشت الرسالة بمدرج كلية الشريعة والقانون فى ٨ ربيع الآخر سنة ١٤٠٣ هجرية .

وتكونت لجنة المناقشة والاشراف من الأساتذة أ . د حسن على الشاذلى أستاذ الفقه المقارن وعميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالكويت ــ مشرفا شرعيا أ . د نزيه محمد الصادق المهدى . أستاذ القانون المدنى بكلية الحقوق ــ جامعة القاهرة ــ مشرفا قانونيا .

أ . د عبد الخالق حسن احمد استاذ القانون المدنى بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ــ عضوا .

أ . د احمد طه ريان أستاذ الفقه المقارن وعميد كلية الشريعة والقانون بأسيوط . عضوا

استغرقت مناقشة الرسالة نحوا من ست ساعات قررت اللجنة بعدها منح الطالب درجة العالمية « الدكتوراه » فى الفقه المقارن مع مرتبة الشرف الأولى .

وقبل أن نتعرض لمنهج الرسالة وخطتها نقول :

الرسالة التى بين أيدينا تعالج موضوعا هاما فى المعاملات المالية بين أفراد المجتمع : وذلك حين يستطيع أحد أطراف العقد أن يلغى العقد بارادته المنفردة دون موافقة أو رضاء الطرف الآخر فى كل من الفقه الاسلامى والقانون المدنى ، وذلك لايجوز الا فى عقود معينة هى العقود الجائزة والعقود الزمنية ، ولايكون للالغاء أثر رجعى وانما يحدث أثره من وقت انهاء الرابطة العقدية ويلاحظ أن هذا الموضوع تتفرق أجزاؤه فى مختلف فروع الفقه الاسلامى كذلك لاينص عليه القانون المدنى المصرى ولم يبين أحكامه وآثاره .

لهذا كله قام الباحث بتنظيم هذا الموضوع بجمعه ثم وضعه فى صورة مواد قانونية . مناشدا المقنن أن يراعيها وهو بصدد تقنين

دراسة مقارنة بالفقه الإسلامى

الباحث : اسماعيل عبد النبى عبد الجواد شاهين

حمدى الليثى

القانون المدنى الحالى المستمد من الشريعة الاسلامية وهو مايسمى بـ « مشروع قانون اصدار المعاملات المدنية » الجديد •

« منهج الباحث فى رسالته » :

ينص الباحث فى رسالته على أنه استخدم المنهج التالى :

١ ــ ابراز نظرية الالغاء والرجوع فى العقد بالارادة المنفردة من حيث مشروعيتها وأحكامها وآثارها •

٢ ــ رجوع الباحث الى أكثر من مرجع فى كل كتب المذاهب الفقهية •

٣ ــ حرص الباحث على ابراز النصوص الفقهية الشرعية (والقانونية) •

٤ ــ جمع الباحث معظم أحكام الأشباه والنظائر (الالغاء) (والرجوع) وذلك لتماثلها فى بعض الأحكام •

« خطة الباحث فى رسالته » :

وقد وضع الباحث خطة لبحثه تمثلت فى تقسيم البحث الى أبواب وكل باب الى فصول وكل فصل الى مباحث • وتقسيم بعض المباحث الى مطالب •

فقسم الباحث رسالته الى : تمهيد • وأربعة أبواب • وخاتمة وذلك على النحو التالى :

فأما التمهيد فعنوانه : « الأسباب العامة لانحلال العقد » وقسمه الى فصول أربعة :

الفصل الأول : فى بيان فكرة العقد وأهميته ومقوماته واطاره فى الفقه الاسلامى ــ والقانون الوضعى •

وجعل المباحث لهذا الفصل أربعة مباحث :

المبحث الأول : فى ماهية العقد •

المبحث الثانى : فى أهمية العقد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى •

المبحث الثالث : فى أركان العقد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى •

المبحث الرابع : فى نطاق العقد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى •

والفصل الثانى بعنوان : « الامتناع عن الوفاء بالعقد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى » •

وقسمه الى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : « الوفاء بالعقد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى » وفيه مطلبان :

الأول : مبدأ سلطان الارادة ومداه فى الفقه الاسلامى •

الثانى : مبدأ سلطان الارادة ومداه فى القانون الوضعى •

المبحث الثانى : « الامتناع عن الوفاء فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى » •

وفيه مطلبان :

الأول : تحليل فكرة الامتناع عن الوفاء فى الفقه الاسلامى .

والثانى : شروط الامتناع عن الوفاء فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى .

المبحث الثالث : آثار الامتناع عن الوفاء :

الفصل الثالث : « بطلان العقد وابطاله فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى » .

وقسمه الى ثلاثة مباحث .

الأول : « ماهية البطلان فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى » .

الثانى : « التكييف الشرعى والقانونى للبطلان فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى .

وفى هذا القسم ثلاثة مطالب :

الأول : التكيف الشرعى للبطلان فى الفقه الاسلامى .

الثانى : آثار بطلان العقد فى القانون المدنى

الثالث : « آثار بطلان العقد وابطاله فىالفقه الاسلامى والقانون المدنى » .

وفيه ثلاثة مطالب :

الأول : آثار بطلان العقد فى الفقه الاسلامى

الثانى : آثار بطلان العقد وابطاله فى القانون المدنى .

الثالث : الموازنة والمقارنة بين آثار العقد الباطل فى القانون الوضعى والفقه الاسلامى .

الفصل الرابع : « فسخ العقد وانفساخه فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى .

وقسمه الى مبحثين : —

الأول : ماهية الفسخ وأنواعه فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى وفيه مطلبان :

الأول : ماهية الفسخ .

الثانى : أساس الفسخ فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى .

المبحث الثانى : آثار فسخ العقد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى وله مطلبان :

الأول : آثار الفسخ فى الفقه الاسلامى .

الثانى : آثار الفسخ فى القانون المدنى .

يلى ذلك أبواب البحث الأربعة :

البـاب الأول :

ويخص : انقضاء العقد بالالغاء فى القانون المدنى والفقه الاسلامى » .

وبه أربعة فصول :

الأول : « ماهية الالغاء والرجوع فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى » .

وقسمه الى مبحثين :

الأول : المسميات المختلفةلانهاء العقد وموقع الالغاء والرجوع فيها .

وفيه مطلبان :

الأول : ماهية الاقالة وشروطها وطبيعتها فى الفقه الاسلامى .

الثانى : ماهية الاقالة وأركانها وشروطها وطبيعتها فى القانون الوضعى .

المبحث الثانى : « ماهية الرجوع والالغاء فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى .

وقسمه الى ثمانية مطالب :

الأول : ماهية الرجـوع والالغـاء فى الفقه الاسلامى .
الثانى : ماهية الرجوع والالغاء فى القانون الوضعى .
الثالث : الموازنة بـين الفقـه الاسـلامى والقانون الوضعى فى ماهية الرجوع والالغاء .
الرابع : أثر الارادة المنفردة فى الغاء العقد فى الفقه الاسلامى والقانون الوضعى .
الخامس : نطاق الالغاء فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى .
السادس : التطور التاريخى لالغاء العقـد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى .
السابع : كيفية الالغاء فى الفقه الاسـلامى والقانون المدنى .
الثامن : طبيعة الالغاء فى الفقه الاسـلامى والقانون المدنى .
الفصل الثانى : خصائص الالغاء فى الفقـه الاسلامى والقانون المدنى والقيود الواردة على حـق الالغـاء .
وقسمه الى مبحثين :
الأول : خصائص الالغـاء .
وقسمه الى مطلبين :
الأول : خصائص الالغاء فى الفقه الاسلامى
الثانى : خصائص الالغاء فى القانون المدنى .
المبحث الثانى : القيـود الواردة على حق الالغـاء .
وقسمه الى مطلبين :
الأول : القيود الواردة على حق الالغـاء فى الفقه الاسلامى .
وله ثلاثة فـروع :
الأول : القيود الشرعية الواردة فى حـق الالغـاء .
الثانى : الاتفاقية التى ترد على حق الالغاء.
الثالث : الشكلية التى ترد على حق الالغاء .
المطلب الثانى : القيود الواردة على حـق الالغاء فى القانون المدنى .
وله أربعـة فـروع :
الأول : الشكلية التى ترد على حق الالغاء .
الثانى : القيود الاتفاقية التى تـرد عـلى حـق الالغـاء .
الثالث : القيود القانونية التى ترد على حق الالغـاء .
الرابـع : الموازنة بـين الفقـه الاسلامى والقانون الوضعى فى القيود الواردة على حق الالغـاء .
الفصل الثالث : شروط الالغاء وأساسه .
الفصـل الرابـع : آثار الالغـاء فى الفقه الاسلامى والقانون الوضعى .
البـاب الثـانى :
« نماذج لأهم العقود التى تنقضى بالالغـاء فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى .
ويشمل ثلاثة فصول :
الأول : انتهاء عقد الشركة بالالغاء فى الفقـه الاسلامى والقانون المدنى .

مع رسالة جامعية

الفصل الثانى : « انقضاء عقد الوكالة بالالغاء » .

الفصل الثالث : « عقد التحكيم ومدى جواز انقضائه بالالغاء » .

الباب الثالث :

« انقضاء العقد بالرجوع فى القانون المدنى والفقه الاسلامى » .

وبه فصلان :

الأول : « ماهية الرجوع ومشروعيته والفرق بينه وبين ما يقاربه من نظم فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى .

الثانى : خصائص الرجوع فى العقد وشروطه فى الفقه الاسلامى والقانون الوضعى » .

الباب الرابع :

« تطبيقات الرجوع فى العقد فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى » .

وقسمه الى فصلين :

الأول : « الرجوع فى عقد الهبة وآثاره » .

الثانى : « الرجوع فى العقد بمقتضى الخيار وآثاره فى الفقه الاسلامى والقانون المدنى » .

وحوت الخاتمة أهم النتائج :

وبعد :

فان هذه الرسالة تبين أن الشريعة الاسلامية بالعمل على تطبيقها ستحل كثيراً من المشاكل التى يعانيها المجتمع المصرى ــ وبخاصة فى هذا الجانب الذى قد ينتج عن أزمة فى الأخلاق .

ثم هى تلقى ضوءاً على ما تميز به التشريع الاسلامى لحفظ الحقوق وصيانة الناس .

وجزى الله الباحث
عن الاسلام خيراً

حمدى الليثى

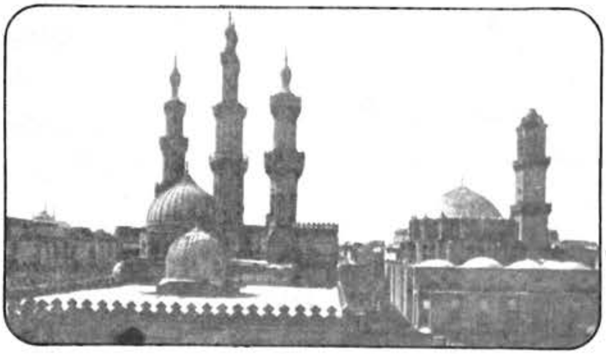

تحقيـــق : عبد العزيز أحمد جيره
عاطف زهــران

دور الأزهر في المستقبل

كما يراه علماء المسلمين

الأزهر قلعة الاسلام وحصنه الحصين له فى كل مكان رجال أفذاذ وفى كل وقت علم وفكر ، شدت اليه الرحال طلبا لعلم يندر أن يوجد الا فيه .

ومن أجل هذا فقد حضر للاحتفال بعيده الألفى وفود أكثر من ٨٥ دولة جاءت اليه من كل فج عميق منهم من تخرجوا منه ووصلوا فى بلادهم الى قمة القيادة والسلطة كرئيس جمهورية المالديف السيد مأمون عبد القيوم خريج الشريعة والقانون — جامعة الازهر .

ومن أجل هذا الدور الذى قام به فى الماضى عبر الألف عام فى شتى أقطار العالم الاسلامى كان لنا هذا اللقاء مع عدد من الوفود الاسلامية لنستطلع رأيهم فى أحوال العالم الاسلامى ، ونعرف ما يطلبون من الأزهر لبلادهم وأبنائهم لتكون للاسلام الكلمة والمنعة .

(وقف القتال بين المسلمين)

تحدثنا الى السيد فودى كامارا وزير الشئون الدينية بغينيا ، فقال : نريد من الأزهر الشريف أن يواجه التحديات والتيارات الفكرية التى تحارب الاسلام فى بلاد العالم وأننا لعلى ثقة من أن الأزهر سوف يؤدى دوره ضد هذه التحديات كما أداها فى الماضى ونقول للأزهر الشريف : سر على بركة الله والشعوب المسلمةمعك والله يرعاك . وان كنت أود أن أقول أيضا على الأزهر أن يحاول باعتبار مكانته المرموقة السامية أن يوقف الحرب التى تدور بين المسلمين بعضهم البعض وهذا حرام لأن دم المسلم على المسلم حرام وعرضه وماله أيضا حرام .

ونريد من الأزهر أن يزيد لنا المنح

دور الأزهر في المستقبل في رأى علماء المسلمين

① العمل على وقف القتال بين أبناء الاسلام
② الأزهر قائد الأمة الاسلامية
③ العلماء هم القدوة
④ تطوير أسلوب الدعوة للاسلام
⑤ الأزهر منارة العلم للإسلام والعرب
⑥ أين مجلة الأزهر.. ولماذا لم تصل إلينا فى بلادنا بأفريقيا؟

الدراسية لأن الاسلام عندنا ينتشر بسرعة وهو فى أيد أمينة ومامن يوم الايأتى الى الخبر باعتبارى وزيرا للشئون الدينية من أن هناك شخصية مرموقة أو حيا بأكمله قد اعتنق الاسلام وهذا يبشر بالخير للاسلام فى بلادنا ولهذا نرجو المزيد من المنح الدراسية والتعاون بيننا وبين الأزهر الشريف .

توعية وتثقيف المسلمين

أما الاستاذ الدكتور/عبد الهادى التازى من المغرب فيقول :

ان كل مسلم فى هذا العالم مدين للأزهر الشريف سواء من حيث العقيدة الاسلامية التى سادت سائر جهات الدنيا ، أو من حيث انتصار الحرث العربى عبر أنحاء العالم وكلنا يعرف ان الازهر هو القلعة الحصينة ضد أى تدخل أجنبى للبلاد وباعتبارى رئيسا لجامعة القرويين بالمغرب فانها قد قامت بنفس الدور الذى قام به الازهر من اعداد (الكوادر) الاسلامية التى كانت ركائز العالم الاسلامى ونظرا لأن هذه هى رسالة الأزهر عبر الألف عام الماضية فانني آمل أن يقوم الأزهر فى المستقبل بالدور المنتظر منه فى توعية العالم الاسلامى وتثقيفه ونشر دعوة الاسلام فى شتى بقاع العالم كله .

وان وجود مثل هذا الجمع الكبير من علماء المسلمين من مختلف البلدان والاقطار لخير دليل وبرهان على اهتمام المسئولين فى بلادهم بمتابعة مسيرة الازهر الشريف هذه المسيرة الاسلامية الطيبة باركها الله وسدد خطاها

حتى تظل علاقة الازهر بمسلمى الهند

أما الاستاذ الدكتور ظهور محمد خان رئيس وفد الهند فى احتفالات الأزهر فيقول :

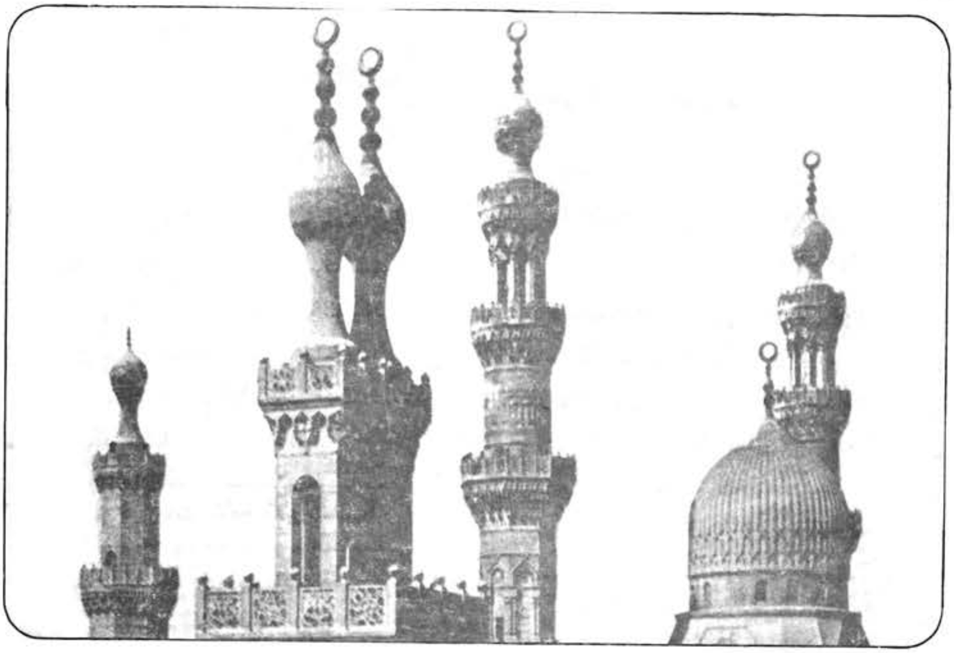

ان عدد المسلمين بالهند يصـــل الى ١٠٠ مليون مسلم والأزهر مهم جدا بالنسبة لنـا لأنه يوجد لدينا والحمد لله مركزان اسلاميان كبيران : (دار العلوم ــ ندوة العلماء) ولهذين المركزين اتصال بالأزهر حتى يمكن عن طريق حل مشاكلنا نحن المسلمين بالهند وهــــذه المشاكل كثيرة وفى مقدمتها التعليم فانه لاتوجد الاستطاعة لدى المسلمين لتوفير التعليم نظرا لظروفهم الاقتصادية وقد قابلت فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وتحدثت معــه عن مطالب المســلمين بالهند من الكتب المدرسية والاسلامية والمنح الدراسية لأبناء المسلمين حتى تظل الرابطــة بين الأزهر والمسلمين بالهند قائمة •

ان لدينا ــ فى أكثر من ٣٠ جامعــــة ــ أقساما للدراسات الاسلامية والعربية بالكليات ويقوم بالتدريس فيها خريجو دار العلـــوم بالهند لكنهم لايجيدون الفصحى وهذه مشكلة أيضا ومن هنا يأتى دور الازهر تجاه المسلمين وأبنائهم فى الهند وهذا مانــود أن يكــون فى خطة الازهر فى المستقبل القريب •

تنفيذ التوصيات والمناقشات هو الأمل

أما الحاج داود مسلم بوكانى من وفـــد أفريقيا الوسطى فيقول :

نريد من الأزهر الشريف وهو قلعة الاسلام وحصنه الحصين أن يتبع ما قيل فى هذا المؤتمر من كلمات وما ألقى فيه من بحوث بالعمل لأن الأمل معقود على الازهر الشريف وبالنسبة لنا فى أفريقيا الوسطى ــ وهى بلد كبير جدا ــ أن يزيد الأزهر منحه الدراسية لطلابنــا ، كذلك زيادة بعثاته الدراسية الينا حتى تتسع

دور الأزهر في المستقبل كما يراه علماء المسلمين

دائرة الاسلام فى بلادنا ونتعلم ويتعلم أولادنا القرآن الكريم وتفسيره وعلوم الحديث وكل مايتعلق بالدين الاسلامى ، ولن يكون هنا الا من خلال بعثات الأزهر الشريف الى بلادنا وكل بلاد العالم الاسلامى الذى يشاركنا هذه المشاكل •

الازهر هو قائد الأمة الاسلامية

أما فضيلة الشيخ/على عبد الرحمن الأمين رئيس وفد السودان الشقيق وعضو مجمع البحوث الاسلامية فيقول :

أننا نريد من الأزهر الشريف أن يكون القدوة العامة لكل من دخل ويدخل الاسلام وهذا ما سمعناه من جميع الأخوة المتحدثين فى هذا الحفل الكبير بل انهم كلهم يقررون قيادة الأزهر الشريف ويتحدثون عنه كدعوة شاملة وفكرة جامعة ونبراس يهدى الجميع الى الرشد •

وأننا نؤمن بأن الأزهر فى الماضى والحاضر والمستقبل هو القائد والدليل للأمة الاسلامية بما ساهم به من جهد فى نشر الاسلام ولذلك فانني أريد منه التصدى لكل التيارات الفكرية التى تريد النيل منه وأن توفر له الوسائل الناجحة لهذا الغرض وعلى البلاد الاسلامية أن تدعم الأزهر بكل مايحتاجه من مساعدة وعون حتى يمكنه أن يؤدى دوره المطلوب منه»

(على الأزهر انشاء المؤسسات الخدمية)

أما رمضان شول من جنوب السودان فيرى أنه لابد للازهر أن يتسع نشاطه أكثر فى كل بلاد العالم الاسلامى التى توجد بها التيارات المعادية للاسلام بل أننى أدعو الازهر أن يقوم بانشاء المؤسسات العلاجية والمصانع حتى يكون هذا عامل جذب للاسلام كما يحدث من الحركات التبشيرية لان مثل هذا العمل يمكن أن يقدم للمسلم مايحتاجه وعلى بلاد المسلمين ان يقدموا له الدعم لهذا الأمر بالذات •

لابد من وجود علاقة بين الازهر وقارة استراليا ..

أما الاستاذ ابراهيم السيد رئيس الرابطة الاسلامية بأستراليا فيقول :

لابد أن يكون هناك اتصال بين الاقليات الاسلامية والأزهر فى جميع أنحاء العالم الاسلامى بل لابد من وجود الداعية الاسلامى المتخرج من الأزهر الشريف بالذات لأن هذا الداعية سيكون هو الرباط بين المسلمين والأزهر الشريف فى المكان الذى يدعو فيه •

وباعتبارى من وفد استراليا فأنا أطلب من الأزهر أن تكون له علاقة مع الجيل الجديد من أبناء المسلمين باستراليا لأن الأزهر وهو أعرق جامعة اسلامية فى العالم الاسلامى لابد وأن يلفت النظر ويعطى الاهتمام الى قادة استراليا حيث يوجد فيها ٢٥٠ ألف مسلم وهم أقلية ومعظمهم يدين للأزهر لأنه القبلة العلمية الوحيدة التى اتجهوا اليها ليعرفوا منها أمور

الدين الاسلامى بل منهم من يرسل حتى الآن الى الأزهر للاستفسار عن أى أمر من الدين يعتريه فى حياته ويجيب عنه الأزهر مشكورا لأن رد الأزهر هو الحجة والبرهان الاول والاخير مهما كان لدينا من علماء فى الدين ففتوى الأزهر ليست فتوى فقط بل هى رباط أيضا بين المستفتى والبلد المفتى مصر وهو الازهر) فلابد من تدعيم هذه الصلة واننا نشكر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية على خطابه الذى ألقاه فى هذه المناسبة وأعلن فيه تدعيمه لرسالة الأزهر الشريف حتى يظهر بمظهره اللائق به .

(دور قيادى)

أما الشيخ محمد بن حمد الخليلى من سلطنة عمان فيقول :

المسلمون ينظرون الى الأزهر نظرة اعتزاز ونظرة أمل فهم يعتزون بماضيه المجيد ويأملون فى مستقبله السعيد وحيث ان الاسلام دين حياة لعمقه وشموله فهو يتناول جميع جوانب الحياة البشرية وفيه حلول مشكلاتها ولذلك كله يأمل المسلمون فى الأزهر — وهو قلعة من قلاع الاسلام — أن يكون له دور قيادى فى حياة الأمة حتى تثوب الى رشدها وتعود لها عزتها .

الدين واللغة والمجلة

أما الشيخ صالح سعيد سينارى مستشار عام الجمعية المنظمة للشئون الاسلامية واللغة العربية فى جمهورية غانا فيقول :

لقد تخرجت من الأزهر منذ ثلاثين عاما وبفضل علماء الأزهر يدخل فى الاسلام الكثير فى أفريقيا ونحن ننتظر من الأزهر أن ينشط برسالته .. تعليم العربية ونشر الدين الاسلامى فى أفريقيا ويمنح الطلاب المجدين فى اللغة والدين الاسلامى منحا علمية خصوصا أبناء غانا الذين أسلموا وتعلموا الدين باللغة الانجليزية وهم لايفهمون العربية فنأمل من الأزهر ان يفسح لهم المجال مما يزيد من قوة ونشاط الدعوة الاسلامية لدينا .. كما نريد من أزهرنا الشريف أن يرسل الينا الكتب الدينية ومجلته الغراء (مجلة الازهر) لنستعين بها على قراءة وفهم الدين ثم تعليم

أبناء بلدنا (غانا) بواسطة هذه المطبوعات فالمسلمون فى غانا يمثلون ٤٥٪ من سكان البلاد ولغة البلاد الرسمية هى الانجليزية بحكم الاحتلال .

تطوير أسلوب الدعوة

ويقول فضيلة الشيخ محمد على الجوزو مفتى جبل لبنان : أننا نريد من الأزهر الشريف فى الغد القريب أن يتخلص من الروتين وان يتطور فى أسلوب الدعوة الى الله وينظمها فى جميع شئونها فى العالم الاسلامى خاصة وانه يعتبر الجامعة التى يتخرج منها هؤلاء الدعاه وانه وحده المؤهل للقيام بهذا الدور الرسالى حتى يستطيع أن يحتل المكانة اللائقة به فى جميع أنحاء العالم الاسلامى

دور الازهر فى المستقبل كما يراه علماء المسلمين

خاصة وأننا فى عصر كثيرا ماتشتد فيه الهجمة على الاسلام من أعدائه وعلى هذا فلابد للأزهر أن يكون يقظا لجميع تحركات أعداء الاسلا حتى يصدهم ويقنعهم بالحجة والبرهان •

زيادة البعثات والمنح الدراسية

أما محمد طاهر من وفد أندونيسيا فيقول ان الازهر الشريف قلعة الاسلام وحصنه الحصين فى الالف عام الماضية •

نريد منه فى السنين القادمة أن يقوم بزيادة أعداد الدعاة الاسلاميين والبعثات الدراسية للعالم الاسلامى بل أيضا نريد منه زيادة المنح الدراسية لأبناء المسلمين حتى يستطيع هؤلاء أن ينشروا الاسلام ويكونوا سفراء للازهر والاسلام فى بلادهم يدافعون عنه وينشرون الوعى بين أبنائه ومن الاشياء التى نعانى منها نحن فى أندونيسيا قلة الكتب الاسلامية بل ان مجلة الأزهر نفسه تكاد لاتصل الينا ومن هنا نرجو ارسال الكتب الاسلامية بما فيها مجلتى الأزهر ومنبر الاسلام أيضا ولايفوتنى هنا أن ألفت النظر الى النقص الذى طرأ على بعثة قراء القرآن الكريم التى توفد فى شهر رمضان الى أندونيسيا لأحياء ليالى هذا الشهر المبارك ولاندرى السبب رغم أن المسلمين يمثلون فى بلدنا نسبة ٩٥٪ من تعداد السكان •

الأزهر كان منارة للعرب والاسلام

أما الدكتور يوسف بلاويسكى رئيس قسم الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة وارسو ورئيس الوفد البولندى بالاحتفال يقول :

الأزهر يعتبر الجامعة الوحيدة التى ظلت واقفة وراسخة وشامخة رغم الظروف التى مرت بالعرب عامة من انحدار فكان منارة للعرب والاسلام وخدمات الازهر للاسلام واللغة العربية كثيرة جدا وقد كانت فى علوم مختلفة مثل الطب والفلك وغيرها بل ان للازهر مكتبة غنية جدا استفاد منها العرب كثيرا ومن هنا فالأزهر رائد فىالامور الاسلامية والعربية والثقافية أكبر من أية مراكز علمية أخرىوذلك يرجع الى اهتمامه بأبنائه الذين يتخرجون منه فكان لديهم العلم العميق وكانوا القدوة ليس فى مصر وحدها بل فى جميع بقاع العالم الاسلامى كل هذا كان للأزهر وجامعته فى الماضى ومن أجل هذا الدور العظيم فالأمل معقود عليه فى المستقبل فى نشر العلوم والثقافة الاسلامية انتشارا أوسع مما هى عليه الآن باعتباره أكبر وأعرق الجامعات بل عليه أن يقوم بنشر التراث العربى القديم كتراث ابن خلدون فى علم الاجتماع وغيره من أفذاذ العرب ، وأن ينشط فى أداء دوره فى العلم حتى يسترد مكانته التى اقتنصها منه العالم الغربى مع أنه صاحبها من البداية •

واننى أريد منه الاهتمام بمشاكل المسلمين

وخاصة الأقليات الاسلامية ويقدم لهـــم الحلول .

زيادة اعداد مجلة الازهر وتطويرها ؟

ويقول سيد طاهر مولانا المستشار الـديني لرئيس جزر القمر أن الأمل معقود على الأزهر في المستقبل ليقوم بحل مشاكل المسـلمين في العالم الاسلامي ونحن في جزر القمر أحـوج مانكون الى الأزهر لحل مشاكلنا التي تتمثـل في حاجتنا الى مدرسين من الأزهر لتعليم اللغة العربية وتدريس الدين الاسلامي لأن بلدنـا اسلامي مائة في المائة بل وتوجد مشكلة أخرى وهي الكتب الاسلامية التي كثـيرا ما تقدمنا بطلبها بالحاح ولم تصل الينا حتى الآن والأهم من ذلك أطلبه وتحدثت عنه في المؤتمر هو مجلة الأزهر الشريف .

لابد من زيادة أعداد الطبع من هذه المجلة وتطويرها واضافة مايجب اضافته من الأبواب اليها ومناقشة شئون العالم الاسلامي فيهـا

لأن هذه المجلة تعتبر حلقة الوصـل بين الأزهر والمسلمين في كل بقاع العالم ولذلك أوجه ندائي الى المسـئولين والقائمين على شئون الأزهر ومجلتـه العظيمة تلبية هذا المطلب الاسلامي .

تحقيـق

عبد العزيز أحمد جيره

عاطف زهـران

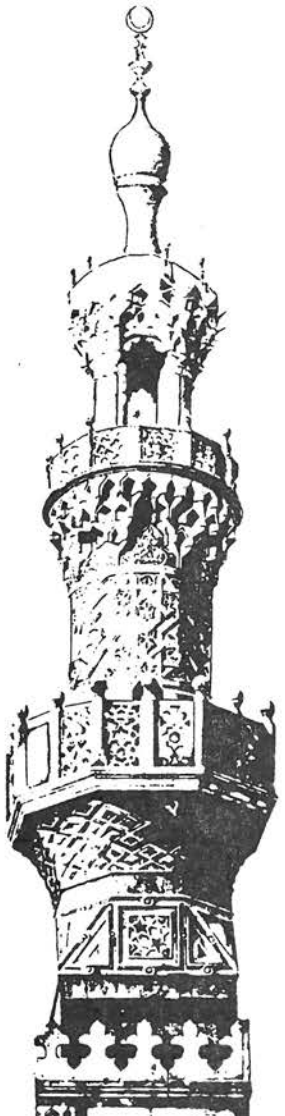

أنباء وآراء

الإمام الأكبر

استقبل فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر خلال الشهر الماضى الفريق أول / سوار خان نائب رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة الباكستانية والوفد المرافق له .

حيث قدموا تهنئة الرئيس الباكستانى لفضيلة الامام الاكبر بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر .

كما دار الحديث حول أثر الأزهر فى العالم الاسلامى ودوره فى دعم الروابط الدينية والحضارية .

* كما أستقبل فضيلته السيد / ذو القرنين زنيارى محمد أمير ولاية لورين بنيجيريا والسيد سفير نيجيريا بالقاهرة لتقديم التهنئة بالعيد الألفى للأزهر وبحث أوجه التعاون بين الأزهر ونيجيريا .

* كما استقبل فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الزعيم مشهود ابيولا رئيس قبائل اليوربا النيجيرية وصاحب مؤسسة كوتكور الصحفية ورجل الأعمال بنيجيريا .

وتم خلال اللقاء بحث أحوال المسلمين والتعاون بين الأزهر ونيجيريا فى المجالات الاسلامية .

معاهد أزهرية جديدة

وافق الدكتور أحمد فؤاد محيى الدين رئيس مجلس الوزراء ووزير شئون الأزهر على انشاء المعهد الابتدائى ببنى سلامه مركز امبابة بالجيزة وضم المبنى المقام عليه الى الأزهر .

* كذلك وافق على انشاء معهد أبو الشقاف الابتدائى بمركز حوش عيسى بالبحيرة .

* ووافق على انشاء معهد شبراملس الاعدادى الثانوى بمركز زفتى بالغربية . وضم المبنى المقام عليهما للأزهر .

* كذلك وافق على انشاء معهد العباسة الابتدائى بمركز أبو حماد شرقية وضم المبنى المقام عليه للأزهر .

* ووافق على انشاء المعهد الابتدائى ببرطس مركز امبابة جيزة وضم المبنى المقام عليه للأزهر .

تقنين الشريعة الإسلامية تحت الطبع

أنتهت اللجان الخاصة بمجلس الشعب من اعداد تقنين الشريعة الاسلامية :

فى العقوبات والمعاملات والتقاضى والتجارة .. وذلك بعد تأصيلها طبقا لمبادىء الشريعة الاسلامية . وقد حرصت اللجان على

إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح • عبد الفتاح السيد عبد السلام

استعراض رأى جميع الفقهاء فى كل قانون • ثم الرأى القوى الذى يتمشى مع ظروفنا من ناحية ويحقق المصلحة العامة من ناحية أخرى فلا ضرر ولا ضرار •• هذا بالاضافة الى انه قد تمت مراجعة القوانين بالأزهر ومجمع البحوث الاسلامية ، والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية وقامت اللجان الفنية بالمجلس بمراجعة (بروفات) المطبعة وستناقش هذه القوانين بمجلس الشعب باذن الله •

تجربة تطبيق الشريعة الإسلامية

أكد الرئيس الباكستانى ضياء الحق أن الشريعة الاسلامية هى النظام الأمثل للحياة ، ودعا الى ضرورة بذل جهود منسقة لتطوير نظام حكومى فى باكستان يتناسب مع الظروف المحلية لها بحيث يستمد أساسا من الشريعة الاسلامية •

وأضاف فى كلمته التى ألقاها بمناسبة افتتاح الدورة الخامسة لمجلس الشورى الباكستانى : أن تجربة تطبيق الشريعة الاسلامية فى باكستان أثبتت عجز الكثير من الأنظمة المستوردة من الخارج بشكل أو بآخر فى مواجهة الحياة وتسييرها ، كما طالب بضرورة التوصل الى توصيات محددة بشأن أفضل السبل للتطبيق الكامل للشريعة الاسلامية ، حتى يمكن التخلص من كل الشرور الاجتماعية التى أنشأتها الأنظمة المستوردة •

أول مؤتمر عالمى للسيرة النبوية فى امريكا

عقد بالولايات المتحدة الأمريكية أول مؤتمر عالمى للسيرة النبوية الشريفة وذلك بدعوة من جمعية أورانج الاسلامية بلوس انجيلوس بولاية كاليفورنيا •

وشارك فى المؤتمر نخبة من العلماء والمفكرين المسلمين داخل القارة الأمريكية وخارجها ، وخاصة من العالم الاسلامى • وقد ناقش المؤتمر عدة موضوعات اسلامية من أهمها :

تطوير العمل الاسلامى على ضوء السيرة والاقتداء بالرسول فى تبليغ الرسالة الاسلامية فى بلاد المهجر •

وقد أقيم خلال المؤتمر معرض للكتاب الاسلامى عرضت فيه أشهر المؤلفات والكتب الاسلامية والفقهية والتاريخية والثقافية والعلمية لابراز مظاهر الحضارة الاسلامية وأثرها فى تقدم المجتمع الاسلامى فى مختلف العصور •

جمعية لإحياء التراث الإسلامى

فى الكويت تم تأسيس جمعية اسلامية تهدف الى احياء التراث الاسلامى ، والعمل على ابراز فضائله ، ودوره فى تطوير الحضارة الاسلامية • وللعمل أيضا على تجميع المخطوطات والكتب الاسلامية فى جميع أنحاء

العالم وتوثيقها وتنظيمها فى مكتبة جامعة .
وتهدف الجمعية الى تشجيع العلماء والباحثين فى مجال الدراسات الاسلامية والعمل على نشر بحوثهم ، ونتاج علمهم اضافة الى العمل على تنقية التراث الاسلامى من البدع والخرافات التى شوهت جمال الاسلام، وحالت دون تقدم المسلمين .
كما أن الجمعية التى أطلق عليها : « جمعية احياء التراث الاسلامى » ستنشىء صندوقا للزكاة والاشراف على صرفها فى الوجوه المشروعة .

جامعة إسلامية للفتيات

طالب الحاج داتوك عثمان عضو مجلس الشيوخ فى ماليزيا بأن تقتصر « الجامعة الاسلامية الدولية » التى سيتم انشاؤها فى (كوالالمبور) على قبول الطلاب الذكور ، لتجنب انهيار الاخلاق وطالب بانشاء جامعة أخرى للفتيات .

وأعرب مجلس الشيوخ خلال مناقشاته فى المجلس لمشروع القرار الخاص بالجامعات عن تأييده لقبول غير المسلمين فى الجامعة الدولية الاسلامية حتى تتاح لهم فرصة معرفة تعاليم الاسلام بصورة أفضل .

أربعة آلاف شاب مسلم فى أمريكا يناقشون قضايا الساعة .

اختتمت رابطة الشباب المسلم العربى فى أمريكا الشمالية ، مؤتمرها السنوى الخامس الذى عقدته فى مدينة (فورت وورث) بولاية تكساس والذى استمر خمسة أيام كان موضوع المؤتمر لهذا العام « الهدى القرآنى » حيث ألقى فيه نخبة من العلماء والأساتذة والمفكرين المسلمين عدة محاضرات فى هذا الموضوع ، وعقدوا عدة حلقات وندوات دراسية اشتملت على موضوعات وقضايا اسلامية تعتبر قضايا الساعة التى تواجه العالمين : العربى والاسلامى .
وفى مقدمة هذه القضايا : المشكلة الفلسطينية والقضية الأفغانية واللبنانية ، وقضايا الأقليات الاسلامية الأخرى التى تواجه أعداء الاسلام ، وتكافح من أجل حريتها وتدافع عن عقيدتها وكيانها .

وقد حضر المؤتمر أربعة آلاف من شباب ونساء وأطفال قدموا من مختلف المدن والولايات المتحدة الأمريكية ومن كندا .
كما حضر المؤتمر عدد من العلماء والمفكرين والأساتذة من أقطار عربية واسلامية .
هذا وقد خصص المؤتمر قاعتين كبيرتين احداهما للشباب والأخرى للفتيات . وأهم المحاضرات التى تضمنها برنامج الرجال هى :

الاعجاز فى القرآن الكريم ، وأزمة الحرية والشورى فى العالم الاسلامى ، وقصة يوسف على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، والتفسير والمفسرين ، والدعوة الاسلامية بين الأصالة والانحراف ، والعمل الاسلامى فى أمريكا ، والتوحيد وأبعاده فى القرآن الكريم ، وقضايا اسلامية •• أما برنامج النساء فقد اشتمل على حلقات دراسية فى المواضيع التالية : القرآن والداعية ، القرآن وتنشئة الأمة ، خلق الانسان بين الطب والقرآن • المرأة المسلمة بين المعرفة القرآنية والالتزام بها • المرأة بين دعاة الاسلام وأدعياء الجاهلية • ندوة عن حركات الجهاد فى الاسلام •

٢ مليون مسلم فى جنوب السودان

بلغ عدد المسلمين فى جنوب السودان مليونى مسلم ••• ومن المعلوم أن عدد سكان جنوب السودان يبلغ خمسة ملايين • منهم ثلاثة ملايين على الفطرة لا ينتمون لأية ديانة •

ثلاثة آلاف كورى يدخلون فى الإسلام

اعتنق ثلاثة آلاف وثلاثمائة كورى الاسلام بعد أن تعلموا مبادىء الاسلام داخل المركز الثقافى الاسلامى بجدة لمدة ثلاثة أشهر •

شعائر صلاة الجمعة فى التليفزيون البريطانى

تم التوصل الى اتفاق بين التليفزيون البريطانى ومجلس أمناء المركز الاسلامى بلندن لنقل شعائر صلاة الجمعة من المركز الاسلامى بلندن خلال المناسبات والاعياد الدينية ••

المعهد الدولى للبنوك الإسلامية

يستقبل المعهد الدولى للبنوك الاسلامية والاقتصاد الاسلامى بقبرص الدفعة الأولى من راغبى الالتحاق بالمعهد • وتشمل الدراسة بالمعهد التدريب على أعمال البنوك الاسلامية• ويقبل المعهد طلابه من شتى الدول الاسلامية• ويحصل خريجو المعهد على درجة الدبلوم فى البنوك والاقتصاد الاسلامى • ويتولى التدريس فيه أساتذة متخصصون من مختلف البلدان الاسلامية •

أنباء وآراء ..

تعميم البنوك الإسلامية

أوصى مؤتمر المنهج الاقتصادى فى الاسلام الذى عقد بالقاهرة بتعميم البنوك الاسلامية ، وانشاء جهاز لمراجعة أعمالها فى ضوء أحكام الشريعة الاسلامية ، والاستجابة الى توجيهات الامام الأكبر شيخ الأزهر بتدريس الاقتصاد الاسلامى فى كليات التجارة والمدارس الثانوية التجارية ، وأن يتولى علماء الأزهر توضيح المفاهيم الاسلامية حول الاستثمارات ، والاسراع فى تطبيق الشريعة .

كما أوصى المؤتمر بتوجيه السياسات المحاسبية للبنوك الاسلامية سواء المرتبطة بنتيجة أعمالها أو مركزها مع عدم تعارضها مع الشريعة الاسلامية ، وايجاد نظام تكاليف مال بالبنوك الاسلامية يحدد تكاليف العمل للمصرف وعدم المغالاة فيها ، وانشاء وحدة للمعلومات داخل المصرف الاسلامى ، وانشاء بنك للمعلومات على مستوى البنوك الاسلاية مجتمعة .

وطالب المؤتمر بضرورة تطوير قانون الشركات فى مصر بما يتناسب مع المجتمع الاسلامى ، والتنسيق بين البنوك الاسلامية فى خطة شاملة حتى يمكن التعرف على « العالم الاجتماعى » على مستوى الدول الاسلامية ، ومناشدة علماء الفقه محاولة تبسيط الموضوعات التى يثار حولها الجدل لاستنباط الأصول الاسلامية وفقا لمنهج الله .

مركز إسلامى فى السويد

تم وضع حجر الأساس لبناء أول مركز اسلامى فى الدول الاسكندنافية بمدينة « ماكو » بجنوب السويد .

ويحتوى المركز الاسلامى على مسجد وفصول دراسية لتعليم أبناء المسلمين الدين الاسلامى الحنيف ، الى جانب مكتبة تحتوى على العديد من الكتب الاسلامية المختارة .

● **كتب السيد /الموافى عبد الله الموافى — كلية اللغة العربية — جامعة الأزهر المنصورة كلمة عن الأزهر تحت عنوان (الأزهر قبلة العلماء) جاء فيها :**

ان للأزهر فضلا فى بناء النهضة الأدبية الحديثة فقد كان له دور فى تلك العصور التى سادها الظلام والفساد والفوضى ، فحفظ اللغة العربية وآدابها أما دوره فى النهضة الحديثة فهو دور المؤسس لبنيانها الرافع لأركانها — ثم شق الأزهر طريقه وسط الظلمات فأضاء القلوب المريضة المظلمة وأنارها بالايمان والتقوى وأبطل البغضاء والفحشاء بالعلم والايمان — ولايفوتنا فى هذا المقام أن نذكر قول شوقى :

ظلمات لاترى فى جنحها
غير هذا الأزهر السمح شهابا
قسما لولاه لم يبق بها
رجل يقرأ أو يدرى الكتابا
حفظ الدين مليا ومضى
ينقذ الدنيا فلم يملك ذهابا

● **كتب السيد : يحيى سعد محمد — كلية الحقوق — جامعة أسيوط •**

مقترحا • أن تخصص المجلة بابا خاصا لنشر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم •

المجلة : نشكر للأخ الكريم اقتراحه ، ونسأل الله التوفيق •

● **كتب السيد/نور الدين مصباح أحمد — المحلة الكبرى — غربية — يقترح أن تخصص المجلة بابا لتفسير القرآن الكريم •**

المجلة — يوجد بالمجلة باب (دراسات قرآنية) ليؤدى هذا الغرض •

● **كتب السيد/حسن أحمد هلال — قنا — قفط — شارع بورسعيد •**

مقترحا • أن يستبدل بكتيب الرسالة جزءا من أحد المجلدات الكبيرة حتى يستطيع محدودو الدخل الحصول عليها •

المجلة : لقد اهتم « التحرير » بهذه الرؤيه، وسوف تقدم المجلة من حين لآخر كتابا من التراث •

● **كتب كل من السادة :**

عزت محمود سليمان — زوير — شبين الكوم

رضا على حسين عبد السلام — العامرية — غربية

عادل رشاد أحمد نصيف — كفر الشيخ — المنشاة الكبرى

محمد أحمد على — السودان — قرية الروف

جمال عبد القادر السيد — كلية العلوم — جامعة الزقازيق

الى المجلة يبدون اعجابهم بمادة المجلة ومافيها من أبواب مختلفة متمنين لها دوام التوفيق •

والمجلة تقدم لهم الشكر لهذا الشعور الطيب وتسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير للاسلام والمسلمين •

أنباء وآراء ..

تعقيب

من الاستاذ/عبد الله مبروك النجار ـ المدرس بكلية الشريعة والقانون .

السيد الأستاذ الدكتور/رئيس تحرير مجلة الأزهر ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد .

فقد قرأت بمزيد من الاهتمام الرسالة التى وردت لمجلة الأزهر عدد جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ . من السيد الأستاذ الفاضل محمد رزق الشافعى ـ الموظف السابق بادارة قضايا الحكومة ، والتى تدل على سعة اطلاع وحسن فهم لما كتبته فى عدد ربيع الآخر سنة ١٤٠٣ هـ عن موضوع «حقوق غير المسلمين فى ظل تقنين الشريعة الاسلامية» تقديرا منى لأهمية هذا الموضوع الذى يحاول البعض أن يتخذ منه ذريعة للهجوم على شريعة الله ظنا منهم أن تطبيق تلك الشريعة الغراء سوف ينال من المراكز القانونية لغير المسلمين فى البلاد الاسلامية . ومن المؤكد أن مثل هذا التخوف لا معنى له ، لأن الشريعة الاسلامية ليست غريبة على حياة غير المسلمين كما أنها ليست بعيدة عن التطبيق عليهم .

ولاشك أن الأستاذ الفاضل لايخالفنى فى حقيقة ثابتة يعرفها كل مطلع على فقه الشريعة وهى أن شريعة الله تحمى حقوق غير المسلمين ولاتفرط فيها وأنها تكفل لهم حرية العقيدة وتحمى دماءهم وأموالهم وأعراضهم ولايمكن الوصول بالقارىء الى ذلك المقصود الا من خلال اعطائه فكرة تليق وظروف تلك الدراسة عن ملل طوائف غير المسلمين والأساس التاريخى لهذا التعدد الكثير والذى يمهد لشريعة الله أن تحكم مسائل أحوالهم الشخصية عند اختلاف المتنازعين فى المذهب أو الطائفة . وفى تصورى أن التعرض لتلك المسألة على النحو الذى نوه عنه الاستاذ الفاضل وبالتفصيل الذى عرضه فى رسالته سوف يزيد الأمر صعوبة أمام القارىء وأمام هذه التفصيلات فى الوصول الى فكرة الموضوع الرئيسية .

وأننى لأشكر للأستاذ الفاضل حسن اهتمامه وتفضله فى ابداء ذلك التفصيل الذى لا أشك أنه قد أكد معلوماتى .فيما أعرفه عن هذا الموضوع المهم وأرجو الله أن يوفقنى لتأصيل هذا الموضوع فى دراسة تستوعب مثل تلك التفصيلات. وهو الموفق والمستعان .

عبد الله مبروك النجار
المدرس بكلية الشريعة والقانون

فهرس العدد

الموضـــوع	الصفحة
● أجل النعم للدكتور على الخطيب	١٠١٩
دراسات قرآنية	
● هذه المزاعم ـــ ماذا لها من الحق ؟ لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير	١٠٢٣
● مع آيات الله فى كتاب الله للدكتور محمد محمد خليفة	١٠٢٧
دراسات فى السنة	
● الوقت وقيمته فى ضوء الكتاب والسنة للدكتور محمد أبو النور الحديدى صقر	١٠٣٦
● الأحاديث الضعيفة للأستاذ محمد أحمد بـــدوى	١٠٤٨
دراسات فى السيرة النبوية	
● زمزم بنت التاريخ للأستاذ السيد حسن قرون	١٠٥٩
● قادة النبى صلى الله عليه وسلم للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو المغيط	١٠٦٦
● دعاية المنافقين للأستاذ حسن على العنيسى	١٠٧١
فى التشريع	
● حقوق غير المسلمين فى ظـــل تقنين الشريعة الاســـلامية للدكتور عبد الله مبروك النجار	١٠٧٧
● من مكارم السلوك والآداب فى الاسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوى	١٠٨٧
من أعلام الأزهر	
● الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز للأستاذ/محمد الطاهر الزنكلونى	١٠٩٢
● حول تدريس اللغات الاجنبية بالازهر للأستاذ أحمد شفيق الخطيب	١٠٩٦
الشــــعر	
● أدب المخلوق مع الخالق للأستاذ كامل أمين	١١٠٨
● فلسفة الصبر للدكتور حســـن جـــاد	١١١٠

فهرس العدد

الصفحة | الموضـــوع

الاسلام والفكر الغربى

● الترجمات الانجليزية للقرآن الكريم
للاستاذ سليمان بركات ١١١٢

● ومن مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى
للدكتور محمود عبد المعطى بركات ١١١٨

● طرائف ومواقف
للاستاذ/عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١١٢٦

من التـــراث

● الظانين بالله ظن السوء
د . ع . خ ١١٢٩

● أصول سعادة الأمة للشيخ محمد الخضر حسين
عرض وتقديم الاستاذ احمد حسن جابر رجب ١١٣٤

● من نوادر المخطوطات بمكتبة الأزهر
للاستاذ/محمد عميره على ١١٤٠

● الفتـــاوى
للاستاذ عبد الحميد شاهين ١١٤٤

فى اللغة والأدب والنقد

● بين التهذيب واللسان
للدكتور محمد عبد الحفيظ العريان ١١٤٧

● اقسام المنادى
للاستاذ احمد حسن عبد العواض هلالى ١١٥٣

● الشعر الجديد
للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ١١٦٠

● شاه ولى الله الدهلى
بقلم الدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم ١١٦٤

● الرسالة الخالدة
للدكتور/عبد الودود شلبى ١١٧٥

● ديوان شعر « صدى الأيام »
عرض ونقد : ا د. طه مصطفى ابو كريشة ١١٨٠

● مع رسالة جامعية
عرض وتقديم حمدى الليثى ١١٩٠

● دور الأزهر فى المستقبل
للاساتذة عبد العزيز احمد جيره وعاطف زهران ١١٩٥

● أنباء وآراء
للاساتذة احمد عبد الرحيم السايح
/عبد الفتاح السيدعبد السلام ١٢٠٢

طبع بمطابع روزاليوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ

بين يدى رمضان

بعد مضى ليلتين خلتا من شعبان نزل الأمر الالهى بفرض صيام رمضان فى السنة الثانية من الهجرة :

« يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »(١)

والتنزيل العزيز يحوى آيات أربع تخص هذه الفريضة لم تتنزل دفعة واحدة ، بل تخللها فترات ، وانتهت بما انتهت بـه الأولى لتؤكد أن الصيام واحد من أسباب يرجو بهـا المؤمن

١ ـ أولى آيات صيام رمضان ـ البقرة ١٨٣ يليها الآيات الثلاث ١٨٤ ـ ١٨٥ ـ ١٨٧ .

* الجزء التاسع ـ السنة الخامسة والخمسون

* رمضـان ١٤٠٣ هجرية

* يونيـة ١٩٨٣ ميلادية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهـر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان : إدارة الأزهـر بالقاهرة

٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف

الأزهـر

التاريخ

بين يدى رمضان

تحصيل التقوى(١) ، فيقى بدنه ما يؤذيه ، ويحفظ نفسه مما يُؤْثِمُها ، فجمعت له خَيْرَيِ الدنيا والآخرة .

فماذا كان من صوم قبل رمضان ..؟

ماذا كان قبل أن يخطو المسلمون الى المدينة المنورة مهاجرين ..؟

وماذا كان للقوم من صيام قبل أن يطرقهم الاسلام .. ؟

لقد عرف المجتمع العربى الصيام فى أكثر من لون قبل الاسلام :

عرفه صمتا عن الكلام ،وسكوتا مُطْبَقاً عنه ليوم أو أكثر ، وسمّاه «الصَّرْس»(٢) وظل منه فى أقاصى العرب وأشتاتها حتى عهد الصديق أبى بكر خليفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

قال قيس بن أبى حازم — رضى الله عنه :

« دخل أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — على امرأة من « أَحْمِس »(٣) يقال لها : زينب فرآها لا تتكلم ، فقال : مالها لا تتكلم ؟ فقالوا : حجت مصمتة . فقال لها : تكلمى ، فانهذا لا يحل . هذا من عمل الجاهلية !! فتكلمت »

قال على بن أبى طالب — رضى الله عنه :

« حفظت عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم : لا يُتْم بعد احتلام ، ولا

---

١ — الآيات الكريمة التى تحمل أسباب التقوى : سببا بعد سبب مبثوثة فى الكتاب العـزيز فى اثنتى عشرة آية فى ختامها قوله تعالى : « لعلكم تتقون » أو « لعلهم يتقون » ففى البقرة : ٢١ — ٦٣ — ١٧٩ — ١٨٣ — ١٨٧ والانعام : ٥١ — ٦٩ — ١٥٣ — والاعراف : ١٦٤ — ١٧١ وطه : ١١٣ — والزمر : ٢٨ ، ومجموعة — فى الوصايا العشر — فى الانعام : ١٥١ — ١٥٣ .

٢ — كذا بفتح فسكون .

٣ — كان الجاهليون — فى تشريعهم لأنفسهم بالجزيرة على مذهبين : الحمس والحلة ، فالحمس هم المتشددون فى التطبيق بخلاف الحلة ، وكانوا — فى الاصل — قريشا ثم انتشر المذهب فيمن صاهرهم من العرب حتى أقاصى الجزيرة .

صُـمَاتَ يوم الى الليـل »(١)

قال ابن قدامة الحنبلى ــ رضى اللــه عنــه :

« ليس من شريعة الاسلام الصمت عن الكلام ، وظاهر الأخبار تحريمه »(٢)

واذ قد حرمه الاسلام شعيرة ، فقد حَبَّبَ فى الصمت ممارسة لضبط اللســان عن اللغو وما فيه من زلل الكلمة والخوض فى الناس ، قال ــ عليه الصلاة والسلام:

« من يضمن لى ما بين لحييه ، وما بين رجليه أضمن له الجنة » (٣)٠

قال الامام النووى ــ رضى اللــه عنــه :

« انه ينبغى لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما ظهرت فيه المصلحة ، ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة فالسنة الامساك عنه ؛ لأنه قد يَنْجَرُّ الكلام المبــاح الى حرام أو مكروه » (٤) ٠

كذلك صام العرب ــ فى جاهليتهم عاشوراء ، ويبدو أن مكة ــ ولهــا مقامها المقدس بينهم ــ صاحبة نشر هذه الشعيرة فيهم ٠ قال دلهم بن صالح :

« قلت لعكرمة : عاشوراء ، ما أَمْرُهُ ؟

قال : أذنبت قريش ــ فى الجاهلية ــ ذنبا فتعاظم فى صدورهم ، فســألوا : ما تَوْبَتُهُمْ ؟ قيل : صوم عاشوراء ، يوم العاشر من المحرم »(٥) ٠

وجاء الاسلام فظلوا عــلى صــيامه ٠٠٠

وفى الحق ان ليوم عاشوراء تاريخا كريما قديما ، فانه « يوم النجــاة » من عهد نوح ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، وشــاء الله أن يكون يوم النجاة لموسى الكليم وقومه ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ٠

روى الامام أبو عبد الله أحمد بن حنبل ــ رضى الله عنــه ــ بســنده الى

---

١ ــ انظر للعلامة الصديقى ــ دليل الفالحين ٢٧١/٢ ــ ٢٨٠ مطبعة حجازى ــ القاهرة ٠

٢ ــ نفس المرجع ٢٠٨/٢ ٠

٣ ــ صحيح البخارى ــ رقاق ٠ الحديث ٢٣ ، وانظر للامام النووى ــ رياض الصالحين ، باب تحريم الغيبة والامر بحفظ اللسان ٠

٤ ــ الامام النووى ــ رياض الصالحين ، نفس الباب ٠

٥ ــ ابن رجب الحنبلى ــ لطائف المعــارف ص ٤٥ دار احياء الكتب العربية ١٣٤٢ هـ ٠

أبى هريرة قـــال :

« مر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأنـــاس من اليهـــود قـــد صـــاموا يوم عاشـــوراء ، فقال : ما هذا من الصـــوم ؟

قالوا : هذا اليوم الذى نجى الله موسى وبنى اسرائيل من الغرق ، وغرق فيه فرعون • وهذا يوم استوت فيه السفينة عـــلى الجودى فصـــامه نـــوح وموسى شـــكرا للـــه تعـــالى •

فقـــال النبى ــ صلى اللـــه عليـــه وســـلم :

أنا أحق بموسى ، وأحق بصوم هذا اليوم ، فأمر أصحابه بالصوم »(١) •

ويرى الأحناف والامامان : ابن القيـــم وابن حجر العســـقلانى أن صـــيام المسلمين لعاشوراء فى المدينة ، وقبل نزول الأمر برمضان ــ كان فرضا وحججهم فى ذلك فوق النقض(٢) •

ثم صام القوم ــ بالمدينة ــ بعد عاشوراء هذا ــ ثلاثة أيام من كل شـــهر ، واستمر ذلك مدة ستة أشهر بدأت بصفر ، وانتهت بشعبان ، ويرى بعض العلمـــاء أنها كانت فرضا بدورها حتى جاء الأمر بصوم رمضان(٣) •

وإذا كان فى صيام عاشوراء مايصلنا بنبى الله نوح ثم بنبيه موسى، فان صيام ثلاثة أيام من كل شهر تصلنا بنبى اللـــه ابراهيم الخليـــل ــ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام(٤) •

ولقد صار ذلك كله ســـنة فى الاســـلام

صراط نبوة كريمة عزيزة علينا نحن ــ المسلمين ــ الذين « لانفرق بين أحد من رسله » سبحانه وتعالى •

د. على الخطيب

---

١ ــ راجع للامام ابن حنبل ــ المسند ٢/٣٥٩ المطبعة الميمنية ، وانظر لابن حجر العسقلانى ــ فتح البارى بشرح صحيح البخـــارى ٤/٢٤٧ المطبعة السلفية بالروضة ، القاهرة ١٣٨٠ هـ •

٢ ــ أنظر كتابنا : الصيام من البـــداية حتى الاسلام ص ١٨١ ــ ١٨٦ ط أولى المكتبة العصرية ــ بيروت ١٤٠٠ هـ •

٣ ــ راجع بالتفسير قوله تعـــالى : « أياما معدودات » ثانية آيات الصيام ــ البقرة ١٨٤ ، وأنظر مقدمة فى فضائل رمضان للعلامة الاجهورى

٤ ــ أنظر كتابنا السابق ص ٩١ ــ ٩٦ •

دراسات قرآنية

ليلة القدر خير من ألف شهر

ليلة القدر خير من ألف شهر

هى ليلة من ليالى الزمان ، خصها الله بمزيد من الفضل ، فعظمت فى نفوس المسلمين ، واعتاد الصالحون منهم أن ينتظروها كل عام ، ليحلقوا بأرواحهم فى جوها ، وليقتبسوا من أنوارها ، ولينالوا من عطاء ربهم بقيام ليلها ، والتعبد فى أسحارها .

وأهل الحاجات منهم يرفعون أكفهم ضارعين خاشعين ، يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ، وكشفا للنوازل وتفريجا للكروب ، ورحمة ربى وحنانه وسلامه وسعت جميعهم ، وصدق الله اد يقول « **ورحمتى وسعت كل شىء** » ويقول « **سلام هى حتى مطلع الفجر** »

والزمان كله عند الله سواء ، فليس لبعضه فضل على بعض ، الا بتشريع ينزل فيه ، أو غايات تترتب عليه ، وكذلك كان الأمر فى ليلة القدر ، فانها وان كانت حصة من الزمان ، فقد رفع الله منزلتها بنزول القرآن ، وشرفها بذلك على جميع الأزمان ، وجعلها من أجله متنزلا للرحمات ومهبطا للسلام ، من غروب شمسها الى مطلع فجرها ، فتعال معى — أيها القارىء — لنتعرف فضلها ، من هذه السورة التى نزلت بشأنها :

يقول الله تعالى « **انا أنزلناه فى ليلة القدر** »

والقدر هنا : بمعنى الشرف والمنزلة الرفيعة .

والمعنى : انا أنزلنا القرآن فى ليلة الشرف السامى ، والقدر العالى ، لنزول القرآن العظيم فيها ، ولأن العبادة والدعاء فيها يعلو قدرهما ويرتفع ثوابهما عند الله تعالى .

وتفسير القدر بالشرف معروف لغة ، يقال: فلان له قدر عند الناس ، أى شرف ومنزلة كريمة .

والضمير فى (أنزلناه) : عائد الى القرآن العظيم وان لم يسبق ذكره ، لاستغنائه عن التصريح باسمه ، فهو العلم الذى لا يغيب عن عقل مؤمن .

وقيل : القدر هنا : بمعنى التقدير ، فعن ابن عباس — رضى الله عنهما — وغيره : أن الله تعالى يقدر فى هذه الليلة ما يكون فى تلك السنة ، من مطر ورزق واحياء واماتة وغيرها الى السنة القابلة ، أى : انا أنزلنا القرآن فى ليلة تقدير شئون الخلائق — أى اظهار هذه الشئون واعلانها للملائكة المأمورين بتنفيذ مقدورات الله فى الكون ، وهم الذين يعرفون بمدبرات الأمور ،كما فى قوله تعالى «**فالمدبرات أمرا**»

أما تقدير الله لأمور الكون فأزلى سابق

للأستاذ مصطفى الحديدى محمد الطير

عضو مجمع البحوث الاسلامية

على خلق السموات والإرض ، كما جاء فى الحديث الصحيح : « رفعت الأقلام وجفت الصحف »(١) •

وبهذا التأويل تطابقت الآية مع قوله تعالى فى سورة الدخان **« انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم »** •

قيل للحسين بن الفضيل : أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض، قال : بلى قيل : فما معنى « ليلة القدر » قال : ليلة سوق المقادير الى المواقيت ، وتنفيذ قضاء الله وقدره •

وقد عظم الله تلك الليلة فقال : **« وما أدراك ما ليلة القدر »** يعنى : وأى شىء أعلمك يا محمد ما هى ليلة القدر فى علو منزلتها عند الله تعالى •

يعنى أن فضلها لا يعلم مداه سوى علام الغيوب •

ثم عظمها بطريقة أصرح فقال :

« ليلة القدر خير من ألف شهر »

فأنت ترى أن الله تعالى جعلها خيرا من ألف شهر ، وكيف لاتكون كذلك وقد نزل فيها أعز كلام من أعز متكلم ، على أعز رسول لأعز أمة **« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »**

وقد أجهد المفسرون أنفسهم فى فهم المراد من هذه الآية الكريمة •

فقيل : معناها أن العمل الصالح فيها خير منه فى ألف شهر ليست فيها •

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما — أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا من بنى اسرائيل حمل السلاح فى سبيل الله ألف شهر ، فعجب لذلك وقال :يارب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا ، فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر لكل عامل الى يوم القيامة : وكذلك روى عن ابن مسعود — رضى الله عنه — •

وهذا الخبر لا صحة له رواية ولا موضوعا ، لأنه يصور النبى — صلى الله عليه وسلم — بأنه يعترض على ربه ويشكو من قضائه ، ولأن بنى اسرائيل ليسوا أطول منا أعمارا ، بل ان قدماء المصريين ليسوا أطول من المعاصرين أعمارا ، كما أثبته علم الآثار ، ولأنهم كانوا يتهربون من قتال العمالقة حفاظا على أرواحهم ووهنا فى ايمانهم ، فهم الذين قالوا لموسى حينما أمرهم بجهادهم : **« اذهب أنت وربك**

(١) رواه الترمذى — وأنظر مسند أحمد ٢٩٣/١ اليمنية •

ليلة القدر

خير من ألف شهر

فقاتلا انا هاهنا قاعدون »(١) ولأنه ليس مقبولا أن يعدل قيام ليلها جهادا فى سبيل الله قل أو كثر ، منا أو من غيرنا ، فان تعريض الأجساد والأرواح لأخطار الجهاد فى تأييد دين الله والدفاع عنه ، لا يعقل أن يفضله قيام ليلة واحدة ــ مهما كان قدرها وفضلها ، ولأنه لو كان قيام ليلها يغنى عن الجهاد ألف شهر ، لتعرض الاسلام لخطر كبير بالاكتفاء بقيامها عن الجهاد .

والذى أفهمه أن هذه الليلة ــ وان كان يعظم فيها قدر الأعمال ، لقوله ــ صلى الله عليه وسلم : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »(٢) فان كونها خيرا من ألف شهر جاءها من أن القرآن العظيم نزل فيها ، فهو مصدر التشريع الالهى، فكانت هذه الليلة خيرا من ألف شهر لم ينزل فيها ، لما فيه من المنافع التى تعود على الجنس البشرى فى عقيدته وأخلاقه وقوانين معاشه ومعاده .

لقد كان الناس يعيشون قبل الاسلام فى حروب متتابعة ، فلا تكاد تنتهى حرب حتى تشتعل حرب أخرى أشد وأقسى ، لأغراض ظالمة أو هابطة لا تقتضيها ، الى ما كانوا يعتقدونه من ألوهية الأنصاب ، وربوبية الكواكب والبشر ، وما كانوا يقترفونه من مفاسد الأخلاق وأدران الذنوب والمظالم ، فكانت هذه الليلة التى نزل فيها القرآن حدا فاصلا بين هذا كله ، وبين العلم والعرفان ، ومعرفة الواحد الديان ، وقوانين السلوك والأخلاق الفاضلة ، لقد فتح القرآن صفحة جديدة نظيفة للبشرية ، تسجل فيها التجمع والاستقرار والمساواة ، وتبادل المصالح على أساس من النفع والخير والمحبة والسلام ، تحت دين واحد لرب واحد ، يرجون رحمته ويخشون عذابه ، فكيف لا تفضل الليلة التى نزل فيها ألف شهر سواها والناس فى جهالتهم يعمهون ، أليست ليلة الشفاء خيرا من ألف شهر يقضيها المرء عليلا مهدما .

وقال بعض العلماء ان كونها خيرا من ألف شهرللايذان بكثرة ثوابها ، وليست للحصر العددى : اه والمراد من انزال القرآن فيها ابتداء انزاله ــ كما قاله الشعبى ــ فقد بدأ انزاله فيها ثم تتابع انزاله حسب الوقائع التى نزل بشأنها لمدة ثلاث وعشرين سنة هى مدة البعثة المحمدية .

وروى عن ابن عباس أن القرآن كله أنزل ليلة القدر الى السماء الدنيا ، ثم تتابع نزوله منها منجما على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ حسب الوقائع ، ولكن هذا الخبر لم يرفع الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولعله من قبيل الرأى القابل للخطأ والصواب ، فانه لا حاجة لأن ينزل الى السماء الدنيا ، لأن نقله من اللوح المحفوظ ميسور لجبريل عليه السلام من وقت لآخر .

وقت ليلة القدر

أكثر العلماء على أنها فى أوتار العشر الأخير

(٢) الدخان ٢ ــ ٤ .
(١) المائدة : ٢٤ .

من رمضان ، ومعظم هؤلاء على أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وعمادهم فى ذلك ما روى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين » وما صح من رواية أحمد ومسلم وأبى داود والترمذى وغيرهم عن زر بن حبيش أنه قال : قلت لأبى ابن كعب : ان أخاك عبد الله بن مسعود يقول: من يصم الحول يصب ليلة القدر ، فقال : يغفر الله لأبى عبد الرحمن • لقد علم أنها فى العشر الأخير من رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين ، ولكنه أراد أن لا يتكل الناس ، ثم حلف لا يستثنى (_ أى لا يقول ان شاء الله _) أنها ليلة سبع وعشرين » الى آخر الحديث ، قال الترمذى حديث حسن صحيح، وخرجه مسلم وبقية من ذكرنا •

وقال أبو بكر الوراق : ان الله تعالى قسم ليالى هذا الشهر _ شهر رمضان _ على كلمات هذه السورة ، فلما بلغ السابعة والعشرين أشار اليها فقال « هى » وأيضا فان ليلة القدر كرر ذكرها ثلاث مرات ، وهى تسعة أحرف ، فتجىء سبعا وعشرين •

وبعد ما تقدم نقول : ان اختلاف العلماء فى تحديد وقتها تابع لاختلاف الروايات فى ذلك ، ولعل الله تعالى أخفى وقتها ليتعدد طلب العبد لها بألوان الدعاء والعبادة ، كما أخفى الاجابة فى الدعاء ليبالغ العبد فيه ، وكما أخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة ، ليجتهد فى الدعاء فى جميع يومها ، وكما أخفى موعد قيام الساعة ليديموا الحذر من مفاجآتها •

ونحن نرجح أنها فى العشر الأخير من رمضان ، لأن النبى _ صلى الله عليه وسلم _ كان يعتكف فى المسجد فى هذه العشر ، وأغلب الظن أنه كان يفعل ذلك طلبا لها ، ويساعد على هذا الترجيح ما نقلناه من حديثى ابن عمر وزر ابن حبيش _ رضى الله عنهم _ •

قالت عائشة _ رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الأخير (_ أى من رمضان _) شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله »

« تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر »

أى تنزل الملائكة كثيرا والروح فى تلك الليلة باذن ربهم وأمره اياهم ، من أجل كل أمر قضاه سبحانه فى تلك السنة المقبلة ، ليباشروا البدء فى تنفيذه ، فان فيها يفرق كل أمر حكيم كما سبق بيانه والملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل **« لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»** والروح هو جبريل عليه السلام ، قال تعالى **« نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين »** •

وقيل الروح بمعنى الرحمة •

وقيل طائفة أعلى من الملائكة ، وما قلناه أولا هو الظاهر •

« سلام هى حتى مطلع الفجر »

أى يسلم فيها الملائكة على مؤمنى أهل الأرض تحية لهم •

ليلة القدر
خير من ألف شهر

وقيل : يسلم الله عليهم •
والســـــلام من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار •
ويجوز أن يكون المعنى : أن الله يســـالم فيها عباده ويتجاوز عن سيئاتهم السابقة ، اذا أقبلوا على عبادته ـ جل وعلا ـ ويستمر هذا السلام حتى مطلع الفجر •

من يحرز فضلها ؟

يحرز فضل هذه الليلة من قامها احتســـابا لوجه الله تعـــالى ، قال ـ صـــلى الله عليه وســـلم ـ : « من قام ليلة القدر ايمـــانا واحتسابا غفر له ما تقـــدم من ذنبه » • أخرجه البخارى ومسلم •
وقال الامام النووى فى شرحه لمســـلم : لاينال فضلها الا من أطلعه الله عليها ، فمن قامها ، ولم يشعر بها لم ينل فضلها ، وخالفه المتولى والأوزاعى ، حيث قالا : ان فضلهـــا يناله من قامها باخلاص لله تعالى •

أحياء ليلة القـــدر

احياء هذه الليلة يكون بالصلاة والدعـــاء وقراءة القرآن والسنة النبوية فى وقت منها ، فلا ينام ليلها كله •
أخرج الامام مالك فى الموطأ عن ســـعيد ابن جبير : من شهد العشاء من ليلة القـــدر ، فقد أخذ بحظه منها : أى من صلاها فى جماعة فقد نال حظا من قيامها الذى يحرز به فضلها، قال القرطبى : ومثله لايقال بالرأى •
وأخرج البيهقى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من صلى المغرب والعشاء فى جمـــاعة حتى ينقضى شهر رمضان ، فقد أصـــاب من ليلة القدر بحظ وافر » •
وأخرج أحمد والترمذى ـ وصححه ـ والنسائى وابن ماجـــة وغيرهم عن عائشـــة ـ رضى الله عنهـــــا ـ قـــالت : قلت : (يارسول الله ان وافقتليلة القدر فما أقول؟ قال : « قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى » •
وقال سفيان الثورى : الدعاء فى تلك الليلة أحب من الصلاة ، وقال : اذا قرأ ودعا كان حسنا ـ والله تعالى أعلم •

مصطفى محمد الحديدى الطير

الصيام

في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

- رمضان شهر البركات
- الصوم جُنة

رمضان

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة · وغلقت أبواب النار · وصفدت الشياطين ، متفق عليه · واللفظ لمسلم·

لقد تفضل الله تبارك وتعالى على أمة حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم بنعم عظمى ومنن كبرى قال تعالى **« وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً »** (١) وقال تعالى **« وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا »** (٢) فخصها بشهر مبارك وجعله موسما للرضوان والرحمة والغفران ، ولم يذكر غيره باسمه فى القرآن ، فقال : **« شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ »** (٣)وخصه بنزول القرآن الكريم فيه ليكون هدى للمتقين ورحمة للعالمين ومطهرا للنفوس ومزكيا لها · وشفاء لما فى الصدور ، وهاديا الى الحق والى طريق مستقيم · جعله نورا وكتابا مبينا ودستورا للخلق أجمعين قال تعالى ·**« قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ. يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ »** (٤) ·

وقال تعالى : **« وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ »** (٥) ·

وقال تعالى : **« قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِى الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ »** (٦) ·

وفضله بليلة مباركة هى خير من ألف شهر فقال تعالى : **« إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ · وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ · لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ · تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ · سَلاَمٌ هِىَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ »** (٧) ·

---

(١) لقمان : ٢٠ ·
(٢) ابراهيم : ٣٤ ·
(٣) البقرة : ١٨٥ ·
(٤) المائدة : ١٥ ، ١٦ ·
(٥) الشورى : ٥٢ ·
(٦) يونس : ٥٧ ·
(٧) سورة القدر ·

شهر البركات

لفضيلة الدكتور محمد محمود شعبان

وكرمه بفرض الصيام فيه فقال تعالى «فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» (١) وهذه الفريضة المباركة تناسب حال القرآن الكريم ودعوته وتتفق مع أهدافه وغاياته .

فالقرآن يحث على التقوى والعدل والاحسان . ويأمر بالصدق والاخلاص فى القول والعمل . وينهى عن كل خلق ردىء من الفحشاء والمنكر والبغى والغش والخداع والحقد والحسد والمكر والسوء فكذلك الصيام فانه يحث على التقوى وتزكية النفوس وتطهير الأجساد ، وتمرين النفس على الجلد ، وتربيتها على الصبر ، لذلك قال تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (٢) .

فصوم رمضان احياء سنوى لذكرى نزول القرآن لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى عناية فائقة بتعظيم هذا الشهر الجليل والاحتفال به بكثرة العبادة والبر والاحسان .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن . فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » . متفق عليه .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر » متفق عليه .

وعن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لاينقص من أجر الصائم شىء » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وجعل لمن صامه من المسلمين مغفرة ذنوبه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » متفق عليه .

(١) البقرة : ١٨٥ .
(٢) البقرة : ١٨٣ .

رمضان شهر البركات

وكذلك لمن قام ليله بالذكر والتسبيح والصلاة وقراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم : **« من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه »** متفق عليه .

وروى النسائى والبيهقى عن عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« ان الله تعالى افترض صوم رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا ويقينا كان كفارة لما مضى »** .

واننا لو بحثنا فى جزاء العبادات لوجدنا أن لكل عبادة جزاء معلوما للعابد يعود عليه الا الصوم فأن جزاءه لا يعلم به الا رب العباد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولايصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل : انى صائم . والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : اذا أفطر فرح ، واذا لقى ربه فرح بصومه » متفق عليه .

ولقد خصص الله عز وجل بابا فى الجنة لا يدخل منه الا الصائمون :

فعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لايدخل معهم أحد غيرهم ، يقال أين الصائمون ؟ فيدخلون منه فاذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » متفق عليه .

ولقد كان هذا الشهر العظيم وما يزال شهر النصر لعباد الله المؤمنين المجاهدين فما من غزوة أو سرية خرجت لتجاهد فيه فى سبيل لله الا كان النصر حليفها . وأصدق دليل على ذلك غزوة بدر الكبرى وفتح مكة . وفتح بلاد المشرق والمغرب . وعين جالوت وفى زماننا الحاضر نصر المصريين على اليهود فى قناة السويس وسيناء فى العاشر من رمضان المبارك .

ومن هنا كان شهر الصبر ، والصبر نصف الايمان ، وجزاء الصبر بغير حساب قال تعالى: **« إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١) »** . ويوفى الصائم أجره بغير حساب .

وأى بشرى أعظم من بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين فى هذا الحديث الذى بين أيدينا حيث يقول : « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » .

وفى رواية أخرى : اذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة . وغلقت أبواب جهنم . وسلسلت الشياطين » .

---

(١) الزمر : ١٠ .

من قام رمضان إيمانًا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه

حديث شريف

وفى رواية ثالثة : اذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين » .

وكل هذه الروايات تفيد معنى واحدا سواء كان بلفظ جاء أو دخل أو (كان) التى بمعنى (وجد) ، لأنها تامة . والمعنى اذا هل هلال رمضان ويؤيد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: صوموا لرؤيته » .

وحديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : انه سمع رسول الله صلى اللهعليه وسلم يقول: ان الجنة لتبخر وتزين من الحول الى الحول لدخول شهر رمضان فاذا كان أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة فتصفق ورق أشجار الجنة.. الحديث وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر يوم من شعبان فقال : أيها الناس انه قد أظلكم شهر عظيم مبارك فيه ليلة القدر وهى خير من ألف شهر . شهر فرض الله صيامه ، وجعل قيام ليله تطوعا ، فمن تطوع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه . وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة» الحديث .

وسمى رمضان برمضان لأمور منها : ١ — ارتماض (١) الذنوب فيه . ٢ — أو لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش . ٣ — أو لوقوعه أيام رمض الحر حيث نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة وسموها بالأزمنة التى وقعت فيها ، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر بناء على أن اللغات من وضع العباد . ٤ — أو من رمض الصائم اذا اشتد حر جوفه .

وفى الحديث دليل لمن قال يجوز أن يقال دخل رمضان بدون ذكر لفظ شهر وهذا ما اختاره البخارى ومسلم ورجحه النووى رضى الله عنهم . وأما من قال انه لايجوز فالحديث حجة عليه .

ومن قال : ان رمضان اسم من أسماء الله تعالى فليس بصحيح كما بين ذلك النووى ، لأن أسماء الله تعالى توقيفية لا تطلق الا بدليل صحيح .

وقوله : فتحت — بضم الفاء وكسر التاء بالتخفيف والتشديد .

أبواب الجنة : أى الثمانية .

وفتح أبواب الجنة حقيقة فمن مات فى هذا الشهر دخل الجنة .

---

(١) ارتماض الذنوب فيه : ابادتها عن الصائم

رمضان شهر البركات

وفى تفتيح أبواب الجنة وتغليق أبواب جهنم وتصفيد الشياطين علامة لدخول الشهر وتعظيم لحرمته •

ويكون التصفيد للشياطين ليمتنعوا عن ايذاء المؤمنين الصائمين والتهويش عليهم حتى لا يفسدوا عليهم صيامهم •

ويحتمل أيضا المجاز • ويكون ذلك اشارة الى كثرة الثواب من الله تعالى للصائمين والعفو عن سيئاتهم وقلة اغواء الشياطين لهم

ويؤيد هذا الرأى الرواية الثانية وهى ، فتحت أبواب الرحمة :

والمراد : قبول الأعمال ورفعها الى السماء، ويؤيد ذلك قوله تعالى : « **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** (١) » •

وكذلك الرواية الثالثة للحديث وهى : فتحت أبواب السماء :

وقوله : غلقت أبواب جهنم : أى أقفلت دونهم حقيقة •

و (جهنم) اسم من أسماء النار كلظى • وسقر • والسعير • والهاوية •

ويجوز أن يكون كناية عن تنزيل الرحمة وازالة الغلق عن مصاعد أعمال العباد تارة ببذل التوفيق • وأخرى بحسن القبول • والغلق كناية عن تنزه أنفس الصائمين عن رجس الفواحش، والتخلص من البواعث على المعاصى بقمع الشهوات •

وقوله : صفدت الشياطين : صفدت بمعنى غُلِّلَت • والصَّفَد بفتح الفاء معناه • الغل • بضم الغين : وهو معنى سلسلت فى الرواية الأخرى • ويكون المعنى بناء على هذا ربط الشياطين بالسلاسل حقيقة •

والمراد بالشياطين : اما أنهم الذين كانوا يسترقون السمع زمن نزول القرآن • ويقع تسلسلهم فى أيام رمضان دون لياليه زيادة فى الحفظ •

أو مردة الجن : كما ورد فى رواية الترمذى صفدت الشياطين مردة الجن :

وفى رواية أخرى : وتغل فيه مردة الشياطين:

أو يكون المراد بتصفيد الشياطين • كناية عن أنهم لا يصلون الى المسلمين لافساد صيامهم الى ما يصلون اليه فى غير رمضان لاشتغالهم فيه بالصيام والذكر الذى فيه قمع للشياطين ، لأن الصائم ضيق على الشيطان مجاريه ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع » متفق عليه فان قيل اننا نرى الشرور والآثام تقع فى رمضان نهارا جهارا فلو صفدت الشياطين لم تقع هذه الشرور والمعاصى •

فالجواب عن ذلك : ان الشياطين تغل عن

---

(١) فاطر : ١٠ •

إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه

صدق الله العظيم

الصائمين الذين صاموا صوما راعوا فيه الشروط والآداب التى سنتها الشريعة •

أو تقول : لا يلزم من تصفيد جميعهم ألا يقع شر ولا معصية لأن لذلك أسبابا أخرى غير الشياطين وذلك مثل النفوس الخبيثة والعادات القبيحة وشياطين الانس الذين لا يبالون بشرع ، ولا يعملون بدين ، ولا يوجد فيهم حياء وفيهم قال الله تعالى : « **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** » (١)•

وقال تعالى : « **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَٰهِ النَّاسِ ، مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ ، الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** » (٢) •

لذلك وجب علينا الشكر لربنا باتباع أوامره واجتناب نواهيه وازم علينا أن نستجيب لله سبحانه وللرسول صلى الله عليه وسلم حيث دعانا لما يحيينا وأن نعتصم بحبل الله جميعا حتى نكون من الراشدين •

وأن نستقبل شهر رمضان بما تستقبله به الجنات •

وأن نبتعد عن الشحناء والبغضاء وارتكاب المعاصى ، حتى نكون من المقبولين •

وأن ندعو دائما بما كان يدعو به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان • «اللهم أنك عفو تحب العفو فاعف عنا»• اللهم آمين •

محمد محمود شعبان

---

(١) الانعام : ١١٢ •
(٢) سورة الناس •

الصوم جنة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم لـه الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به والصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فأن سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم » رواه البخارى .

أولا ــ اللغـــة :

١ ــ جنة : أى وقاية من النار والمعاصى ومن الشهوات . ٢ ــ الرفث : الكلام الفـاحش . ٣ ــ الصخب : اللغط . ٤ ــ سابه تعرض لـه بالسب ، وقاتله : نازعه ودافعه .

ثانيا ما يشتمل عليه الحديث :

١ ــ تشريع الصـوم ليس جـديدا . ٢ ــ الاسلام حين شرع الصيام يهدف الى معان سامية . ٣ ــ الصوم سر بين العبد وربه ٤ ــ الصوم جامعة تربية وتهذيب وعـلاج . ٥ ــ أثره فى الفرد والمجتمع .

١ ــ تشريع الصوم ليس جديدا :

تشريع الصوم ليس جديدا وانما هو تشريع قديم شرعه الله للأمم السابقة وحينما يعلم المسلمون أن الصيام قد شرع من قبل فلا يكون لديهم شعور بالمشقة والحرج وتستريح نفوسهم لما يفرض عليهم من صوم ويقبلون على هذه العبادة بصدر رحب ونفس راضية متشوقة قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** » ١٨٣ البقرة .

٢ ــ تشريع الصوم يهدف الى معان سامية :

والاسلام حين شرع الصيام لم يهدف الى مجرد ترك الطعام والشراب والشهوة ، وانما هدف الى معان سـامية ، وأسرار عالية يستوحيها الصائمون من صومهم ، وهكـذا شأن الاسلام فى سائر العبادات ، فهو لا يرمى الى ظواهر الأمور ومباهجها ولا الى رسوم العبادات وصورها ، وانما يرمى الى أصولها

للشيخ محمد صابر البرديسي

وجوهرها ، ويهتم بلبها وروحها ، قال (صلى الله عليه وسلم) : « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » (١) •

والصوم رياضة روحية ممتازة تغرس فى النفس الصفات النبيلة ، وتطبعها على حب الخير ، وتربى فى الانسان الأمانة الخالصة لوجه الله تعالى ، المبرأة من شبهة النفع وصفة الرياء ، وبذلك يكتسب المرء ثقة الناس واحترامهم وتتوثق الصلة بينه وبين الله تعالى، وكلما ازدادت الثقة بالله وتوطد الاخلاص له كلما أجزل الله الثواب لعبده وضاعف احسانه اليه ، وهذا معنى قول الرسول (صلى الله على وسلم) فيما يحكيه عن ربه : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » •

٣ ـ الصوم سر بين العبد وربه :

اذا صدق الصائم فى المحافظة على صومه ، وأخلص فى الوفاء بحقه ، فلم يخالف مظهره مخبره ، ولا سره علانيته ، كان أمينا فى أدق العلاقات مع ربه ، وأشقها على نفسه ، وحينئذ يتولاه الله برعايته ، ويمده باحسانه وتوفيقه، ويجزيه بأحسن عمله •

والأمانة خلق لازم فى علاقات الناس بعضهم مع بعض لتستقيم أمورهم على أساس المحبة والاخلاص ، فالعامل والصانع والموظف والقاضى والحاكم مؤتمنون على أموال الناس ودمائهم وأعراضهم ، ولا يستقيم عملهم على جادة الحق ، وطريق الصواب الا اذا كان لهم من أمانة الضمير حافز ووازع •

الصوم جامعة تربية وتهذيب :

وصوم رمضان هو جامعة تربية وتهذيب ، فيها تسمو النفس بجليل الخصال ، ومحامد العادات ، وأطهر العلاقات •

والصوم يربى الارادة ، ويقوى العزيمة ، فان الصائم الذى يملك نفسه فيمنعها فى نهار رمضان عن مطالبها الضرورية فى الحياة ، لاشك قادر على وقفها عند حدها ، وحجزها عن الشرور والآثام •

والصوم يعلم الصبر ، والصبر أثر من آثار العزيمة ، فان المرء اذا لم يتدرع فى حياته بقوة العزيمة ، لم يستطع الصبر على المكاره والشدائد والمتاعب ، وما نجح المصلحون والمكتشفون الا بفضل عزيمتهم وصبرهم •

ولقد سمى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شهر رمضان شهر الصبر ، وجعل الصوم علاجا لثورة النفس عندما يستفز الانسان

(١) رواه الامام أحمد ومسلم والنسائى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) •

الصوم جُنّة

بالمشاتمة والمسابة والمقاتلة والعـــدوان حيث يقول عليه الصلاة والسلام « **فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم** » .

فالصوم وقاية من المنكرات والآثام والفسوق والعصيان واللغو والسباب وقبح الكـلام ، وزلات اللسان .

ومن لم يستفد بدرس الصيام فى تهـذيب نفسه وتأديبها كان صومه صورة مجردة من روح الحياة وفى هذا المعنى يقول صلى اللــه عليه وسلم (**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجـــة فى أن يــدع طعامه وشرابه**) (١) .

٥ ــ أثر الصوم فى الفرد والمجتمع :

وللصوم آثار جليلة وثمرات طيبة مباركـة تعود على الفرد والمجتمع، ومن ثمراته للفردأنه يرقق الحواس فيجعل الانسان يحس بنعمـة الله عليه الذى أطعمه بعد جوع وسقاه بعد ظمأ فيشكر الله على هذه النعم ، ولهذا ختم اللــه آية الصوم بقوله : « **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُـــونَ** » .

قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** » ١٨٣ البقرة .

والمراد أن يعتقد الصائم أنه صـام ليتقى شر حيوانيته فهو عندما يقول : (انى صائم) فهو بذلك يذكر أنه انســان وليس بحيوان فبالصوم قد وقى الصائم نفسه من الوقوع فى الشرور والمعاصى ، ووقاها من النـــار فى الآخـرة .

والصائم لارقيب عليه الا الله ، فاذا ترك شهوته ابتغاء مرضاة اللهواتقاء غضبه وسخطه، وعلم أن الله مطلع عليه فى سريرة نفسه ، فان ذلك يعود عليه بالخير ، اذ تتربى عنده ملكـة الحياء من الله ، ومراقبته تعالى وخشيته ، وهو بعد ذلك يكون مع الله ، فلا يحب أن يراه الله حيث نهاه فيترك متاع الحياة الدنيا وملذاتهـا الفانية ، الا بالقدر الــذى شرعه اللــه ، وفى الحدود التى أمر بها ، مما يكون فيه صلاحــه وهداه ، وبذلك تصبح أعماله كلها خيرا ،ويكون دائما محوطا برعـــاية الله ، يعيش فى أمن وسعادة .

وبجانب هذه الفـــوائد الروحيــة لـــه فوائد بدنية ، فان الصوم قد جعل علاجا لبعض الأمراض الجسمية ، فقد قرر علماء الطب : أن الصوم يريح المعـــدة ، ويدرأ عنها العلل والأســقام .

وللمجتمع من الصوم فوائد جليلة ، فان الصائم اذا أحس حـرارة العطش والجوعوذاق مرارتهما ،رق قلبه وتحركت فيه دوافع الشفقة والرحمة ، وتذكـــر اخوانه الفقراء والمساكين فمد اليهم يــد المساعدة وعاش جميع أفراد الأمـــة فى رخاء وسعادة (لو تراحم الناس مــا كان بينهم بائس ولا محروم) وحينئذ تصبح الأرض وكأنها جنة ويصبح الناس وكأنهم ملائكة ، والله الموفق .

محمد صابر البرديسى

(١) رواه البخارى .

دراسات في السنة

■ نقد المتقدمين
لبعض أحاديث
صحيح البخاري

■ نحو الإقتداء
بالسنة النبوية المطهرة

■ الوقت وقيمته
في الكتاب والسنة

نقد المتقدمين لبعض أحاديث صحيح البخاري

نقد الرجـــال وقيمته

قد توجه النقد الى ما حكم فيه بالوهم على بعض الرجال ، وهذا منه مـــا يؤثر ذلك الوهم قدحا ومنه مالا يؤثر .

والمراد بالتأثير انما هو فى قيمة الرجال والحكم عليهم ، وان كان ذلك لا يؤثر فى متن الحديث .

وقد علمنا أنه لم ينفرد الرواة الضعفاء بالحديث فى صـــحيح البخـــــارى الا فى حديثين .

وقد تبين أن كلا منهما قد توبع ومعنى ذلك أنه ثبت أنه لم ينفرد ضعيف بالحـــــديث ، فعلى فرض ثبوت ضعف الراوى لم يتأثر المتن الذى ثبت أنه قد روى من طرق أخرى صحيحة غير الطريق الذى توهم فيه الضعيف لمتابعته من طريق صحيح ،وهذا ما بينه ابن حجر فقال: بعد أن أورد الرجال الذين ورد فيهم طعن : «فجميع من ذكر فى هذين الفصلين ممن احتج به البخارى لا يلحقه فى ذلك عيب لما فسرناه ، وأما عـــدا من ذكر فيهما ممن وصف بســـوء الضبط أو الوهم أو الغلط ونحو ذلك فَبَيَّن أيضا أنه لم يلحقه عيب قال : فلم يخـــرج لهم الا ما توبعوا، عليه عنده أو عند غيره .

وبذلك فقد أصبحت قيمة النقد فى الرجال انما هى بالنسبة الى الحكم عليهم ، والتعريف بهم ، وسلم المتن لمجيئه من طريق آخر صحيح وأن قيمة السند كما هى لصحة الحديث .

وهى أيضا للبركة بالاسناد المتصـــل الى صاحب السنة صلى الله عليه وســـلم حتى تتصل الروحانية النبوية فى سلسلة كريمـــة عطرة الى راوى الحديث وقارئه وهـــذا ممـــا اختصت به الأمة الاسلامية فى حفظ تراثهـــا حيا نابضـــا بالحياة ، وهى احدى الحكم التى عُدَّت فى اعجام أوائل السور حتى لا يستطيع انسان أن يقرأها بدون شيخ حتى يتأكد المُتَلَقِّى أن النقل من شيخ الى ما فوقه كان بالمشافهة باتصال روحى تلقاه مقرىء عن مقرىء حتى فم النبى (صلى الله عليه وسلم) المعطـــر الذى تلقاه من جبريل عن رب العزة ، سلسلة مباركة مطهرة تتجلى فيها الروحانية والبركة .

مقاييس الطعن فى الرجال

ونرتاد الى رياض ابن حجر فى مقاييس نقد الرجال ومدارها وقيمة رجال الصحيح .

قال ابن حجر : لا يقبل الطعن فى أحـــد

للدكتور الحسيني هاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

منهم (أى من رجال الصحيحين) الا بقادح واضح لأن أسباب الجرح مختلفة ومدارها على خمسة أشياء •

١ ــ البدعة •

٢ ــ المخالفة •

٣ ــ الغلط •

٤ ــ جهالة الحال •

٥ ــ دعوى الانقطاع فى السند بأن يدعى فى الراوى أنه كان يدلس أو يرسل •

فأما جهالة الحال فمندفعة عن جميع من أخرج لهم فى الصحيح ، لأن شرط الصحيح أن يكون راويه معروفا بالعدالة فمن زعم أن واحدا منهم مجهول ، فكأنه نازع المصنف فى دعواه أنه معروف ولاشك أن المدعى لمعرفته ، مقدم على من يدعى عدم معرفته ، لما مع المثبت من زيادة العلم ، ومع ذلك فلا تجد فى رجال الصحيح أحدا يسوغ اطلاق اسم الجهالة عليه أصلا •

وأما الغلط ، فتارة يكثر من الراوى وتارة يقل •

فحيث يوصف بكونه كثير الغلط فيما أخرج له ان وجد مرويا عنده أو عند غيره من رواية غيره غير هذا الموصوف بالغلط علم أن المعتمد أصل الحديث لا خصوص هذه الطريقة ، وان لم يوجد الا من طريقه فهذا قادح يوجب التوقف عن الحكم بصحه ما هذا سبيله وليس فى الصحيح بحمد الله من ذلك شىء •

وحيث يوصف بقلة الغلط ، كما يقال سىء الحفظ ، أوله أوهام أوله مناكير ، وغير ذلك من العبارات ، والحكم فيه كالحكم الذى قبله ، فتارة يكثر وتارة يقل وينظر فيما أخرج له •• الخ وليس فى الصحيح بحمد الله شىء من ذلك •

الا أن الرواية عن هؤلاء فى المتابعات أكثر منها عند المصنف من الرواية عن أولئك مع عدم التفرد فلا طعن أى هى للاستئناس والشواهد وتكثير الطرق فهى معاده •

وقد نص على ذلك ابن حجر فى باب ما طعن عليه من رجال المعلقات أذكره لأهميته فهو خير دليل لسلامة متن ونصوص المعلقات وبذلك يسلم كل ما جاء بالصحيح من المعلقات ، كما سلم ما جاء من الأصول ، وقد عقد ابن حجر فصلا فى سياق من علق البخارى (١) شيئا من أحاديثهم ، مِمَّن تكلم فيه : قال وما يعلقه البخارى من أحاديث هؤلاء انما يورده فى مقام الاستشهاد وتكثير الطرق ، ومعنى ذلك أنه معاد فى صورة غير معترض عليها فى الكتاب ، ولذا رتب النتيجة المنطقية قائلا (فلو كان ما قيل فيهم قادحا ما ضر ذلك) ثم أورد الأسماء على التفصيل •

(١) المقدمة ص ١١١ •

نقد المتقدمين لبعض أحاديث صحيح البخاري

والأمر الثالث (١) : المخالفة ويثبت بها الشذوذ والنكاره فاذا روى الضابط والصدوق شيئا ، فرواه من هو أحفظ منه ، أو أكثر عددا ، بخلاف ما روى بحيث يتعذر الجمع على قواعد المحدثين ، فهذا شاذ ، وقد تشتد المخالفة بأن يضعف الحفظ ، فيحكم على من يخالف فيه بكونه منكرا ، وهذا ليس فى الصحيح منه الا نذر يسير .

وقد تقدم فى نقد المتن فى قصة جمل جابر ، والروايات الضعيفة فى مقابل الروايات القوية ، والأكثر عددا التى رجحها البخارى بعد ذكر الجميع ، وقد علمت أن البخارى ينبه عليه ، ويذكر فيه رأيه ، فلا اعتراض عليه .

٤ ــ **قال ابن حجر** : وأما دعوى الانقطاع فمدفوعة عمن أخرج لهم البخارى كما علم من شرطه ، ومع ذلك فحكم من ذكر من رجاله بتدليس أو ارسال أن تسير أحاديثهم الموجودة عنده بالعنعنة ، فان وجد التصريح بالسماع فيها اندفع الاعتراض والا فلا ، وقد ثبت فى المعنعن فلا وجه للاعتراض .

والأمر الخامس : البدعة ، والموصوف ، اما أن يكون ممن يكفر بها أو يفسق ، فالمكفر بها لابد وأن يكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة كما فى غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول الالهية فى على أو غيره ، أو الايمان برجوعه الى الدنيا قبل يوم القيامة ، أو غير ذلك ، وليس فى الصحيح من حديث هؤلاء شىء البتة ، والمفسق بها كبدع الخوارج والروافض الذين لا يغلون ذلك الغلو وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين لأصول السنة خلافا ظاهرا لكنه مستند الى تأويل ظاهره سائغ ، فقد اختلف أهل السنة فى قبول حديث ما هذا سبيله اذا كان معروفا بِالتَّحَرُّز من الكذب مشهورا بالسلامة من حوارم المروءة ، موصوفا بالديانة والعبادة فقيل يقبل مطلقا وقيل يرد مطلقا ، والثالث التفصيل بين أن يكون داعية لبدعة أو غير داعية ، فيقبل غير الداعية ، ويرد حديث الداعية ، وهذا المذهب هو الأعدل ، وصارت اليه الطوائف من الأئمة ، وادعى ابن حبان اجماع أهل النقل عليه لكن فى دعوى ذلك نظر ، ــ ثم اختلف القائلون بهذا التفصيل ، فبعضهم أطلق ، وبعضهم زاده تفصيلا ، فقال : ان اشتملت رواية غير الداعية على ما يشيد ببدعته ويزينه ويحسنه ظاهرا فلا تقبل ، فان لم تشتمل فتقبل ، وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه فى عكسه فى حق الداعية ، فقال : ان اشتملت روايته على ما يرد ببدعته قبل والا فلا ، وعلى هذا اذا اشتملت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له ببدعته أصلا ، هل ترد مطلقا ، أو تقبل مطلقا ، ومال الفتح القشيرى الى تفصيل آخر فيه ، فقال : ان وافقه غيره فلا يلتفت اليه هو ، لخمادًا لبدعته واطفاء لناره ، وان لم يوافقه أحد ، ولم يوجد ذلك الحديث الا عنده ، مع ما وصفنا من صدقه ، وتحرزه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته ، فيجب أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ،

ونشر تلك السنة على مصلحة اهانته ، واطفاء بدعته ، والله أعلم .

واعلم أنه قد وقع من جماعة الطعن فى جماعة بسبب اختلافهم فى العقائد ، فينبغى التنبيه لذلك ، وعدم الاعتداء به الا بحق ، وكذا عاب جماعةٌ من الورعين جماعةً دخلوا فى أمر الدنيا فضعفوهم لذلك ، ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط .

وأبعد من ذلك كله من الاعتبار تَضْعِيفُ من ضَعَّفَ بعضُ الرواة بأمر يكون الحمل فيه على غيره أو للتحامل بين الأقران ، وأشد من ذلك ، تضعيف من ضعف من هو أوثق منه أو أعلى قدرا أو أعرف بالحديث ، وقد بين ابن حجر القطع بعدالتهم وحفظهم . قال : « ينبغى لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأى راو كان ، مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه ، وعدم غفلته ، ولاسيما ما انضاف الى ذلك ، من اطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين ، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه فى الصحيح فهو بمثابة اطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما ، هذا اذا خرج له فى الأصول ، فأما ان خرج له فى المتابعات والشواهد والتعاليق ، فهذا تتفاوت درجات من أخرج له — منهم فى الضبط وغيره من حصول اسم الصدق لهم ، وحينئذ اذا وجدنا لغيره فى أحد منهم طعنا ، فذلك الطعن مقابل لتعديل الامام ، فلا يقبل الا مُبَيَّن السبب مفسر بقادح يقدح فى عدالة هذا الراوى ، وفى ضبطه مطلقا أو فى ضبطه الخبر بعينه ، لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة ، منها ما يقدح ومنها مالا يقدح ، وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسى يقول : فى الرجل الذى يخرج عنه فى الصحيح : هذا جاز القنطرة ، يعنى بذلك ، أنه لا يلتفت الى ما قيل فيه .

قال الشيخ أبو الفتح القشيرى فى مختصره ، وهكذا نعتقد وبه نقول ، ولا نخرج عنه الا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد فى غلبة الظن على المعنى الذى قدمناه ، من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين ، ومن لوازم ذلك ، تعديل رواتهما ، وبهذا فقد اندفع الاعتراض عن نقد رجال البخارى ، وبالتالى ثبت المتن سليما ، المسند منه والمعلق .

ويؤكد ذلك المعنى وصل ابن حجر لما لم يوصل فيه ، وقول البخارى ، ولست أروى حديثا من حديث الصحابة والتابعين الا ولى فى ذلك أصل أحفظه من كتاب أو سنة (١) .

وهذه نتيجة يعتز بها المسلمون ، وحق لهم أن يباهوا بها تراث الانسانية جمعاء .

وصدق رسول الله « صلى الله عليه وسلم » القائل « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » (٢) وصدق الله العظيم الذى قال : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٣) .

والقائل (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) (٤) .

الحسينى هاشم

---

(١) الطبقات جـ ٢ ص ٨ .
(٢) رواه مسلم .
(٣) سورة الحجر آية ٩ .
(٤) سورة الرعد آية ١٧ .

نحو الاقتداء
بالسنة النبوية المطهرة

نحن — المسلمين — نوقن بأن كتاب الله الكريم لا ريب فيه هدى للمتقين ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد • وحفظه الله تعالى من التغيير والتبديل والتحريف ، وعلى هذا توارثه المسلمون جيلا بعد جيل ، منذ بعثة النبى الخاتم — صلى الله عليه وسلم — وسيظل على هذا الحفظ ، وهذه الرعاية والعناية من المسلمين الى أن يرث الله الأرض ومن عليها بفضل الله •

واذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الاسلامى ، فان السنة النبوية الصحيحة هي المصدر الثانى • وقد اقترنت السنة النبوية بكتاب الله سبحانه ، تبين مقاصده وأهدافه ، وتشرح مالم يكن مفصلا من أحكام القرآن ، وتفسر وقائعه ، وتتبع الصور والجزئيات ، مما جاء على وجه الاجمال فى مصدر التشريع الأول : فقد جاء ذكر الصلاة والزكاة ، والحج — مثلا — فى القرآن •• مجملا ، وتكفلت السنة النبوية بتفصيل وتفسير هذا الاجمال ، ليصبح الأمر فى غاية الوضوح والبيان ، ونفى اللبس والغموض ، ويعين بالتالى على امكانية الطاعة والتنفيذ فى قبول ويسر وسهولة ، بضميمة اليسر ، ورفع الحرج ، ودفع الضرر، وبساطة الشعائر والتعاليم ، وتلك ميزة الاسلام فى سماحته ، : « **هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج** » ، وما خير رسولنا — صلى الله عليه وسلم — بين أمرين الا اختار أيسرهما ، ولطالما أوصى : بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا ، لأن هذا الدين يسر لا عسر •

وكما كانت السنة الشريفة لهذه المهمات الجليلة والعميقة الأثر فى حياة المسلمين •• كانت أيضا للتشريع فى مسائل عديدة ، ذكرها العلماء الأقدمون فى كتبهم ، وبينوا وضعيتها ومناسباتها ، ورتبوا عليها ما تمليه من أحكام وتشريع ، ومن هذا التشريع النبوى بالسنة المطهرة باذنه تعالى :

— جعله — صلى الله عليه وسلم — المدينة المنورة حرما ، كما جعل الله تعالى مكة المكرمة حرما آمنا •

— وتحريم لحوم الحمر الأهلية ، وكل ذى ناب ومخلب من الطيور والسباع •

— وتحريم زواج المتعة — لأن الأصل فى

للدكتور توفيق محمد شاهين

الزواج التأبيد ، وهى مؤقتة — وكانت أحلت فى الحرب لأيام ، ثم حرمها الرسول — صلى الله عليه وسلم — الى يوم القيامة ، بأحاديث صحيحة مستفيضة .. الأمر الذى جعل أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يعتبره زنا ، وقال : (لو أتيت بناكح متعة لأقمت عليه حد الزنا) .

— وكتحريمه — صلى الله عليه وسلم — الجمع فى الزواج بين المرأة وعمتها ، أو خالتها ، حتى لا تقطع أرحامهن .

—وكاقراره — صلى الله عليه وسلم — ميراث الجدة ، وليس له ذكر فى كتاب الله سبحانه .

— وهناك مسائل أخرى كثيرة فى هذا الصدد ، مثل : التشريع فى مسائل الشفعة والمساقاة ، وغير ذلك .

وتشريع الأحكام بالسنة الصحيحة كتشريعها بالقرآن الكريم ، لقوله تعالى : « **وما ينطق عن الهوى** » ، « **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول** » ، « **وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا** » .

واخباره — صلى الله عليه وسلم بقوله : « **ألا وانى أوتيت القرآن ومثله معه** » ..

ونلاحظ أن حظوظ الناس فى التمسك بالسنة جد مختلف : فمنهم من يراعيها فى كل شئونه وهذا مطلوب محمود ، ومنهم من يراعيها فيما يسهل عليه فقط ويترك ما صعب عليه وهذا تفريط ، ومنهم من يهملها كلية وهو آثم .

ونحن نعلم أن سنة النبى — صلى الله عليه وسلم — وأحاديثه ، هى : أقواله ، وأفعاله ، وتقريراته وأحواله ... لكن يجب أن نعرف أن من سننه ما هو تشريع عام ، صدر عنه — صلى الله عليه وسلم — على وجه التبليغ ، أو لبيان وجه الحلال والحرام ، كما سلف ، وهذا أمر واجب الاتباع تماما ، كما هو واجب فى القرآن الكريم .

ومن سننه ما ليس بتشريع عام ، بل فعله النبى — صلى الله عليه وسلم ، أو صدر عنه ، أو أقره لسبب من الأسباب ، أو فى مسألة بعينها .. فلا يجوز لأحد أن يقدم عليه أو يحاول فعله بنفسه — اليوم أو بعد اليوم بحجة أن النبى — صلى الله عليه وسلم — فعله أو أقره ، بل لابد من اذن الوالى أو الدولة :

فقد بعث النبى — صلى الله عليه وسلم — الجيوش للدفاع والغزوات ، وصرف أموال بيت المال ، وصدر عنه ذلك كوال للمسلمين وامام لهم .

ومن السنة ما صدر عنه بوصفه قاضيا للمسلمين ، كقوله — عليه الصلاة والسلام : « من أحيا أرضا ميتة فهى له » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « من قتل قتيلا فله سلبه »، وقوله صلى الله عليه وسلم : « خذى لك

ولولدك ما يكفيك بالمعروف » .. الخ . قال بعض العلماء هذا تشريع عام فيتبع ، وقال آخرون ليس شرعا عاما ، لأنه صدر فى وقائع بعينها ، أو تحريضا فى وقائع تخصها ، أو فتوى فى مسألة بعينها ، أو بصفة القضاء فلا يجوز التعميم ، أو كانت خصوصية له صلى الله عليه وسلم . كاباحته لمن واقع أهله عامدا فى رمضان — ولم يكن لديه مقدرة على الفدية بأنواعها — أن يأكل هو وآله تمر الهدية التى أهديت للرسول ، وأهداها الرسول اليه ليكفر بها عن خطيئته ، لكن لم يكن بين لابتى المدينة من هو أفقر من الرجل وآله ، كما ذكر . وقد اختلف العلماء أيضا هنا : أهى خصوصية للرسول ؟ لأن القرآن يوصى فى الكفارة بأن تكون لاطعام ستين مسكينا ؟ أو يجوز لمن فى مثل حالة ذلك الرجل ؟ أو لا يجوز ، وما صدر عنه — صلى الله عليه وسلم — فى هذا الشأن انما هو خصوصية له ، بوصفه رسولا ؟

وكذلك من السنة النبوية ، ما صدر عن الرسول الأكرم ، موافقا لما هو عرف أو خبرة أو جبله ، أو عادة جارية فى البيئة بين قومه ومخالطيه ، مثل :

تفضيل لبس الأبيض ، والأكل باليد ، والجلوس على الأرض ، وغطاء الرأس بعمامة أو نحوها والسواك من شجر الأراك .. الخ .

أو يكون فعله أو قوله لتجربة اشتهرت بين قومه وذاعت ، ولكنها — بالضرورة — لا يخضع لها جميع الأشخاص ، ولو لنفس أعراض المرض ، كقوله — صلى الله عليه وسلم — لمن سأله عن شفاء لبطن أخيه المصاب بالاستطلاق — ثلاث مرات : «اسقه عسلا» . فليس العسل دواء من كل اسهال ، ولا داعى للتكلف فى القول بأن من أنواع الاسهال مايكون دواؤه بما يعين على شدة الاسهال ، وبخاصة والتجربة على هذا القول ما تزال فى طورها التجريبى والاختبارى .

ولا نحب — فى هذا المقام — أن يفتح غير الفاهمين ، أو المبطلون ، أو من فى قلوبهم مرض ، الباب على مصراعيه : بمثل هذا الحديث الشريف : « أنتم أعلم بشئون دنياكم » ، للتفلت من اتباع السنة النبوية ، التى هى واجبة الاتباع مثل القرآن الكريم ، أو المطالبة بالغاء السنة من دنيا المسلمين ، أو الفصل بين شئون الدنيا والدين فى مسائل التشريع ، ليبقى الاسلام دائرا فى فلك العبادة وأمور الآخرة وشئون الغيبيات وحدها — لا يقول بهذا الا مغرض أو حاقد ، أو جاهل أو متحلل .

بقى أن نشير الى أن هناك أشياء فى السنة حرمها الرسول — صلى الله عليه وسلم — أو كرهها ، أو فعلها وليست لأحد غيره :

فالرسول كغيره من الانبياء لا يورثون ، وما يتركونه بعد التحاقهم بالرفيق الأعلى انما هو صدقة .

كما لا يحل للرسول وأهل بيته الصدقة ، لأنها من أوساخ الناس ، وطهرة مالهم .

والرسول تزوج أكثر من أربع ــ وهــــو ما قرره القرآن الكريم ــ وكان زواجه بأكثــر من أربع زوجات خصوصية له ــ صلى الله عليه وسلم لمقام التشريع ، ومصلحة الرسالة، وليست مسألة شهوة وهوى ، كما فصــــله العلماء والمفسرون فى كتبهم . كما حــرم الله عليه استبدالهن ، أو زواجهن من بعده ــ صلي الله عليه وسلم ــ .

وأهل الصحراء يحبون أكــل « الضــب »، وهو حيوان شبيه بالتمساح أو ما نسميه بــ « السحلية » الكبيرة . وعرض خالد بن الوليد ــ رضى الله عنه ــ قطعة من الضب ، عــلى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ليأكلها ، ولكنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يقبلها منـــه . فسأله خالد : أهو حرام يارسول الله ؟ قال : لا : ، ولكن نفسى تعافه » .

فالرسول لم يأكله ، ولم يقبل هدية خالــد منه ، لأن معدته لا تقبله ، وشهيته لا تتفتــح له ، ونفسه لا تقبل عليه .. ومع ذلك لم يحرمه النبى صلى الله عليه وسلم ، بل هو حــلال لمن يأكله ويشتهيه .

ذكرت ذلك لنعلم : أن سنة النبى صلى الله عليه وسلم فى التشريــع ، وأحاديثه لتحريم الحرام وحل الحلال .. انما هى أمر واجب الاقتداء والاتباع ، وبها تكــون الأســـوة والقدوة ، وحسن الاتباع .

أما ما ليس كذلك ــ مما ضربنا له الأمثلة ــ فأمر يفعله المســلم اذا أحب أن يقتــدى برسول الله فى كل أموره وأحواله ، وهذا شىء محبوب ومرغوب لا شك فى ذلك . لكن لو لم يفعله بعض الناس فلا يليق بمسلم اطــلاقا

أن يعنفه ، أو يوبخه ، أو يؤنبه ، أو يختلف معه اختلافا كبيرا لانه لم يفعله ، فضلا عن أن نقع فى المصيبة العظمى فيكفره والعياذ بالله .

فلو استاك انسان بفرشاة أسنان ، أو سواك من غير شجرة الأراك ، أو أكــل بالشــوكة والسكينة ، أو جلس على الخــوان والمــائدة ليأكل ، أو شرب الماء فى كــأس ، أو ربط على رسغه ساعة أو لبس طربوشا أو عرى رأســه أو لبس سروالا أو (بنطلونــا) ، وصــلى فيه ، أو لــم يكتحــل فى عينيــه ، أو لبس يرخ (عذبة) من عمامته على ظهره ، أو لبس ماله لون مناسب ، فيه الحشمة والوقــار بما ألفه قومه ، أو ركب سفينة أو قطارا أو طائرة فى سفره أو سيارة فى تنقلاته .. الخ هــذه القوائم التى يتشبث بها من يتعالون بالســنة الشريفة ويصرون على فعلها بأنفسهم ، وحمل غيرهم على ذلك والا رموه بتهم أخفها وأرشقها البدعة والمخالفة .

أقول : هذه الأشــياء ــ من الســنة غــير التشريعية ــ لو لم يفعلها انســان ــ مع أن فعلها أفضل لمن قدر على ذلك ــ ولقى ربه ، فلن يضر ايمانه شىء ان شاء الله .. فهــو مؤمن على ملة الاسلام ، وسنة رسوله .

نحو الإقتداء بالسنة النبوية المطهرة

٥

وفى رأيى : أن الخلاف العنيد ، والجدل الخشن ، والتسفيه فى الرأى ، ومحاولة حب الغلبة فى النقاش وسوق الرأى لافحام الغير ، وما يتبع ذلك من هجر أو اجتنباب أو خصومة أو احتقار للغير .. فى رأيى أن هذه هى البدع والمعاصى التى لا يحبها الله ورسوله .. وتعظم المصيبة وتشتد اذا تمسكنا بمثل هذه السنن وأهملنا الفرائض أو تجاهلناها .

وقد سقت ما سقت : لأنى رأيت فى أسفارى وبخاصة فيما وراء البحار — كثرة من الخلافات التى تبدأ صغيرة ، وسرعان ما تكبر الى حد العداء أو توهمه بين مسلمين غير فاهمين ، فيتدابرون بسبب ذلك بدلا من لقياهم على مودة ومحبة وتعارف وتآلف كما يأمرهم بذلك دينهم الحنيف .

وسمعت من ظريف : أن بعض الداعين للاسلام فى البلاد غير الاسلامية ، يصرون على دعوة غير المسلمين الى الاسلام بمثل الأمثلة التى ذكرناها من السنة غير التشريعية ، ويتمثلون أمام من يدعونهم للشرب جلوسا ، والأكل باليد ، ولعق الصحن ، والجلوس على الأرض ، وارتداء جلباب أبيض فوق البنطلون ، ووضع السواك دائما فى الفم ، وكأنما الاسلام ليس فيه الا هذه الأشياء .. بينما أغفل أو غفل — بمعنى أصح — هؤلاء عن أساسيات الاسلام ، وشعائره وأثرها ، وفضائله ومغزاها .. فحبذا لو دعا هؤلاء الدعاة — جزاهم الله الخير — الناس الى الاسلام بادئين بالشهادة ومعناها فى تحرير الفرد وأمنه وسعادته ، ومثنين بالفرائض والأخلاق ومحاسن الآداب الاسلامية .

وحبذا لو اختفت نهائيا هذه الخلافات : ليحل الوئام والمودة محل الشقاق والنفرة ، لأن بعض المتدينين والدعاة — أحيانا — لهم أمور : تغيظ ولا تسر ، وتضر ولا تنفع ، وتنفر ولا تبشر :

يقول أستاذنا الشيخ محمد الغزالى : ان الاسلام كمنجم ملىء بالجواهر واليواقيت، يدخله بعض الدعاة فلا يخرج منه الا « بقفة تراب » على رأسه يخرج بها ليبشر الناس بالاسلام بما فى قفته ، بدلا من أن يعرض عليهم جواهره وذهبه . ويقول : ان بعض الناس لا يفهم من السنة النبوية الا أنها جلباب أبيض ، وسواك من أراك .. والحق أن السنة منهج حياة راقية نافعة ورفيعة ومهذبة. السنة منهج حياة متكامل ، ترويها لنا حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وسيرته عليه الصلاة والسلام كما رواها الثقات الأعلام :

فى أحوال الرسول — صلى الله عليه وسلم ، وأخباره ، وعاداته ، وسجاياه ، وخلقه القويم، وتدبيره الصائب .

يقول الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله،

— من شاهد أحوال النبى صلى الله عليه وسلم .

— أو أصغى الى سماع أخباره المشتملة

على أخلاقه وسجاياه وعاداته .

ـ وسياسته لأصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم .

ـ وتآلفه أصناف الخلق . وقوده اياهم الى طاعته .

ـ مع ما يحكى من عجائب أجوبته فى مضايق الأسئلة .

ـ وبدائع تدبيراته فى مصالح الخلق .

ـ ومحاسن اشارته فى تفصيل ظاهر الشرع .

لم يبق لديه ريب ولا شك فى أن ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية .. بل لا يتصور ذلك الا باستمداد من تأييد سماوى وقوة الهية بل كانت شمائله وأحواله شواهد ساطعة بصدقه » .

هذا كلام الامام الزاهد أبو حامد الغزالى رحمه الله ، عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولنا فى نبينا أسوة حسنة كما يقول القرآن الكريم ، وحبذا لو اقتدينا بـه فى مهمات الأمور قبل دقائقها وجزئياتها :

فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ ساس بحكمته أصناف الخلق وهداهم ، وتلك معجزة له ، فى أن يتآلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، مع ما عرف عنه من لين ورقة ورأفة ، فيبكى للعظة وسماع القرآن ، يتآلف الصديق مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع ما عرف عنه من شدة شكيمة فى الحق ، حتى لو سلك طريقا لسلك الشيطان غيره ـ وهما الشريفان يتآلفان مع سليمان الفارسى وصهيب وبلال رضى الله عنهم أجمعين ، فيكونون أخوة فى الاسلام تفوق أخوتهم أخوة النسب ، لأن الأولى صلة السماء .

وأجوبة الرسول فى مضايق الأسئلة تحملنا على طلب العلم ، والعلم النافع المنظم المفيد الذكى العميق ، المستمد من كلام الله تعالى ، والأحاديث النبوية وفعل الصحابة وقولهم ، وتفسيرات الأئمة والتابعين رضوان الله عليهم . وبدائع التدبير فى مصالح الخلق تقتضى أن يتنوع الطلاب فى طلب صنوف العلم وألوانه ، لرقى الحياة ، وازدهارها، ونهضة الأمة ورفعتها ، نطلبه فى أماكنه ، لنخدم به أمتنا قبل غيرنا ، ونرفع به من شأن جماعتنا قبل غيرها ، ونضحى فى سبيل الآخرين من أمتنا والانسانية قبل ذواتنا .. وتلك هى سنة الرسول الأمجد ، والأسوة

والقدوة ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

وختاما : يجب أن ندرك أن القرآن الكريم، والسنة النبوية ، هما مصدر التشريع الاسلامى ، وهما وما يتبعهما من روافد الاجتهاد ، والقياس ، والاستحسان ، والمصالح المرسلة .. يتسعان للحركة الفكرية العاقلة ، والاستنباط الذكى ، فى تشريعات الاسلام ، (ما عدا العقائد وأصول التشريع ، فهى ثابتة راسخة) .

وبهذه الحركة الفكرية لا يقف الاسلام على لون واحد من التفكير ، وساير الثقافات الصحيحة ، وأسهم فى الحضارات النافعة وكل ما فيه صلاح البشرية ورفاهيتها ، مهما نمت الحياة وارتقت ، ومهما تغيرت أنماط السلوك البشرى السوى فيها ، ومهما ارتقى العقل البشرى فى آفاقه التى جدت وتجد .

وبهذا صلح الاسلام لكل زمان ومكان الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

وكان نتاج الحركة الفكرية الذكية ثروة فقهية ضخمة ، لا نجد لها مثيلا عند غيرنا من الأمم . ثروة تهدى ولا تردى ، وتسير ولا تحجم ، وتعين ولا تعوق ، وتصون ولا تبدد ، وتغنى ولا تحوج ، وتريح ولا ترهق ، وتعقل ولا تشتط ، وتنتهى الى خير طريق .

(وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

وحرى بنا أن نعض على سنة نبينا — صلى الله عليه وسلم — بالنواجذ ، فكتاب الله تعالى وسنة نبيه خير هاد وخير عاصم .

ولقد خاب وخسر من يحاول النيل من السنة النبوية ، أو يقول بتركها اكتفاء بالقرآن الكريم ، وبرغم الدفع القوى فى تنشيط هذه الفتنة من قبل — وما زالت لها جذور الى الآن ، لأن الباطل لا يهدأ ولا يكل ولا يمل — فان وعى المسلمين بمقدراتهم ومقررات اسلامهم بقى عاصما من التردى فى الخطأ ، وحافظا للشعلة من الانطفاء .. ولنا أن نحمد الله تعالى على نعمه وحفظ دينه .. ولهم أن يحمدوا الله على خيبتهم .. فالحق أحق أن يتبع .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

د. توفيق محمد شاهين
مدير المركز الاسلامى
أتوا — كندا

الوقت وقيمته في ضوء الكتاب والسنة

للدكتور محمد أبو النور الحديدي صقر

قيمة الوقت ..

للوقت فى الاسلام قيمة كبيرة وأهمية قصوى ، يتضح ذلك مما يلى :

أولا : ربط العبادة والذكر بأوقات الليل والنهار المختلفة .

فقد أمرنا الله سبحانه بتسبيحه فى أوقات الليل والنهار ، فنسبحه حين المساء ، وحين الصباح ، وفى وقت العشى ووقت الظهيرة ، قال الله تعالى :

« فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ » (١) .

ومن العلماء من أبقى التسبيح على أصله « وهو تنزيه الله تعالى عما لا يليق به فى هذه الأوقات .

روى أبو داود ــ بسنده ــ عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال حين يصبح : **سُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ.وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ، يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَيُحْيِى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ »** أدرك ما فاته من يومه ذلك ، ومن قالهن حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته (٢) .

ومنهم من قال : المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس فقوله « حين تمسون » صلاة المغرب والعشاء ، وقوله « حين تصبحون » صلاة الصبح ، وقوله « وعشيا » صلاة العصر وقوله « وحين تظهرون » صلاة الظهر .

أخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال :

(١) سورة الروم الآيتان ١٧ ، ١٨ .

(٢) سنن ابى داود جـ ٧ ص ٣٣٥ .

الوقت ..

وقيمته .. فى ضوء الكتاب والسنة

جمعت هذه الآية مواقيت الصلاة « فسبحان الله حين تمسون » قال : المغرب والعشاء « وحين تصبحون » ، « الفجر ، وعشيا » العصر ، وحين تظهرون الظهر » (١) .

ثانيا : رفع أعمال العباد فى الليل والنهار .

مما يدل على أهمية الوقت أن الأعمال التى يعملها العباد فى النهار ترفعها الملائكة الى الله — عز وجل — قبل الليل ، والأعمال التى يعملونها بالليل ترفع عند الفجر ، روى البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ينعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر ، وصلاة العصر ،ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم — وهو أعلم بهم — كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون (٢)) .

فطائفة الملائكة التى ظلت مع العبادة بالنهار عندما تصعد فى آخر النهار تسأل عن العباد ، وطائفة الملائكة التى باتت مع العباد عندما تصعد بعد صلاة الفجر تسأل كذلك عن العباد .

ويكون الاقتصار فى هذا الحديث — على سؤال الذين باتوا دون الذين ظلوا ، من باب الاكتفاء بذكر أحد المثلين عن الآخر كقوله تعالى « سرابيل تقيكم الحر » أى والبرد ، فالله تعالى يسأل كلا من الطائفتين فى الوقت الذى تصعد فيه ، ويدل على هذا رواية موسى ابن عقبة عن أبى الزناد عند النسائى ولفظه « ثم يعرج الذين كانوا فيكم » وقد وقع التصريح بسؤال كل من الطائفتين فى الحديث الذى رواه ابن خزيمة فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، فيجتمعون فى صلاة الفجر ، فتصعد ملائكة الليل ، وتبيت ملائكة النهار ، ويجتمعون فى صلاة العصر ، فتصعد ملائكة النهار ، وتبيت ملائكة الليل ، فيسألهم ربهم : كيف تركتم عبادى » (٣) ، الحديث ، ثم يقول ابن حجر : وقد ورد أن الرزق يقسم بعد صلاة الصبح ، وأن الاعمال ترفع فى آخر النهار، فمن كان فى طاعة بورك فى رزقه وفى عمله » (٤)

ثالثا : الْقَسَمُ بالزمن :

أقسم الله تعالى بالزمن ، لما فى مروره من أصناف العجائب ، ولينبهنا الى قيمته وأنه ينبغى أن يستفاد بكل لحظة منه ، وأن يكون فى كل جزء من أجزائه طاعة لله وذكر وعمل خير .

أقسم بالزمن عامة فى قوله تعالى « **وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

(١) فتح القدير جـ ٤ ص ٢٢٢ .
(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ ٢ ص ٣٣ .

(٣) فتح البارى لابن حجر جـ ٢ ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٤) المرجع السابق جـ٢ ص ٣٧ .

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ»

وعلى الرأى القائل أن المقصود بالعصر صلاتها ، أو العشى ، كما أقسم بالضحى ، فلا يخلو أيضا من لفت أنظارنا الى وقت من الزمان وما وقع فيه ، لنقترب الى الله تعالى فيه ، كما أقسم تعالى بالليل ، والنهار على أن عمل الناس مختلف طاعة وعصيانا فى قوله تعالى « **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**» (١) كذلك أقسم تعالى بالفجر ، وبليال عشر ، وبالليل ، فى السورة المسماه بسورة « الفجر » ، وذكر أن فى الاقسام بهذه الأشياء بيانا لقيمتها وقدرها ، قال تعالى :

« **وَالْفَجْرِ ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ** » (٢) .

والفجر الذى أقسم الله ــ تعالى ــ به هنا هو الوقت المعروف ، وسمى فجرا ، لأنه وقت انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم ، وقيل : صلاة الفجر ، والأول أرجح .

والليالى العشر : هى الليالى العشر الأول من ذى الحجة ، وقيل : العشر الأول من المحرم وقيل : العشر الأواخر من رمضان .

والشفع عند العرب : الزوج ، والوتر : الفرد ، والمقصود : اما نفس العدد ، أو مايصدق عليه من المعدودات بأنه شفع ، أو وتر ولذا رجع أن المعنى : شفع كل الأشياء ووترها ، ثم أقسم تعالى بالليل اذا يسر أى يمضى .

(١) سورة الليل من الآية ١ ــ ٤ .
(٢) سورة الفجر من الآية ١ الى ٥ .

ثم يستفهم تعالى لتقرير تعظيم ، وتفخيم ما أقسم به من هذه الأمور المذكورة .

يقول الشوكانى : فى معنى الآية « **هل فى ذلك قسم لذى حجر** » هل فى ذلك المذكور من الأمور التى أقسمنا بها ، قسم أى مقسم به حقيق بأن تؤكد به الأخبار لذى عقل ولب ، فمن كان ذا عقل ولب علم أن ما أقسم به الله من هذه الأشياء حقيق بأن يقسم به ، ومثل هذا قوله « **وانه لقسم لو تعلمون عظيم** » (٣) .

كما أقسم تعالى بالضحى ، وبالليل على أن نبينا محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما تركه ربه منذ اختاره ، وما أبغضه منذ أحبه فى قوله تعالى : « **وَالضُّحَى ، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى** » .

يقول النسفى فى تفسيره : المراد : وقت الضحى ، وهو صدر النهار ، حين ترتفع الشمس وأنه خص وقت الضحى بالقسم ، لأنها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا ، أو : النهار كله ، لمقابلته بالليل فى قوله « **وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى** » أى سكن ، والمراد سكون الناس والأصوات فيه ، وجواب القسم « **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى** » وذلك لما تأخر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما ، فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت (٤) .

وسبب النزول هذا يرويه لنا البخارى بسنده عن جندب بن سفيان ــ رضى الله عنه ــ قال: اشتكى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

(٣) فتح القدير جـ ٥ ص ٤٣٢ ــ ٤٣٤ .
(٤) تفسير النسفى جـ ٤ ص ٣٦٣ .

الوقت وقيمته ..

فى ضوء الكتاب والسنة

فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة (١) فقالت: يا محمد انى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا ، فأنزل الله عز وجل « **وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى** » (٢) .

رابعا : الأمر بذكر الزمن للاعتبار بما وقع فيه من أحداث .

من المعلوم أن الزمن وعاء للأحداث ، وأن الأحوال والوقائع الماضية ينتفع الناس بذكرها، ويعتبرون بها ، لذا فقد أمر الله — تعالى — ورسله الناس بذكر أزمنة وقعت فيها أحداث معينة تدعو الى العظة والاعتبار .

من ذلك دعوة نبى الله شعيب عليه الصلاة والسلام قومه أن يذكروا وقت أن كانوا قليلا فصيرهم الله كثرة . فى قوله تعالى حاكيا عنه « **وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ** » (٣) . والمعنى :

واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم ، فكثركم الله ووفر عددكم .

كذلك أمر الله تعالى المسلمين الذين كانوا قلة مستضعفين خائفين فى مكة ، لكثرة أعدائهم أن يذكروا الوقت الذى كانوا فيه على هذا الحال ، ثم أواهم الى المدينة ، وأيدهم بنصره بمظاهرة الأنصار ، وامداد الملائكة يوم بدر، ورزقهم من الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلهم، قال تعالى « **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** » (٤) .

قال ابن كثير — رضى الله عنه — فى تفسير هذه الآية : ينبه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم ، واحسانه لهم ، حيث كانوا قليلين فكثرهم ، ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم ، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات ، واستشكرهم فأطاعوه وامتثلوا جميع ما أمرهم وهكذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة قليلين مستخفين ، مضطهدين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله من مشرك ومجوسى ورومى كلهم أعداء لهم ، لقلتهم وعدم قوتهم ، فلم يزل دأبهم حتى أذن الله لهم بالهجرة الى المدينة ، فآواهم اليها ، وقيض لهم أهلها آووا ونصروا يوم بدر وغيره ، وواسوا بأموالهم ، وبذلوا مهجهم فى طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال قتادة بن دعامة السدوسى : كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلا ، وأشقاه عيشا ، وأجوعه بطونا ، وأعراه جلودا ، وأبينه ضلالا ، من عاش منهم عاش شقيا ، ومن مات منهم ردى فى النار ، فيؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلا منهم حتى جاء الله بالاسلام فمكن به البلاد ، ووسع به فى الرزق

---

(١) هى أم جميل بنت حرب امرأة أبى لهب .
(٢) صحيح البخارى جـ ٨ ص ٧١٠ .
(٣) سورة الأعراف الآية ٨٦ .

(٤) سورة الأنفال الآية ٢٦ .

وجعلهم به ماوكا على رقاب الناس وبالاسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكرو الله على نعمه ، فان ربكم منعم يحسب الشكر وأهل الشكر فى مزيد من الله (١) .

كذلك أمر الله تعالى نبيه محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يذكر وقت أخذ الله تعالى من النبيين عهدهم المؤكد أن يفوا بما التزموا ، وأن يصدق بعضهم بعضا ، وأن يؤمنوا برسالة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ورسالاتهم فى قوله تعالى :

« وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا » (٢) .

وأمر الله تعالى المؤمنين أيضا أن يذكروا فضله تعالى وانعامه عليهم وقت مجيء جنود الأحزاب ، وتألبهم عليهم فى قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا » (٣) .

قال أبو السعود فى تفسيره لقوله : « اذ جاءتكم جنود » المراد بالجنود الأحزاب، وهم قريش وغطفان ، ويهود قريظة والنضير، وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا ، فلما سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسى ، ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره ، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآطام ، واشتد الخوف ، وظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق فى المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر أن نذهب الى الغائط .

وقال فى تفسيره لقوله : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا » وبعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية ، فأخصرتهم (٤) ، وسفت التراب فى وجوههم ، وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد ، وقطعت الأطناب (٥) وأطفأت النيران ، وأكفأت القدور ، وماجت الخيل بعضها ببعض ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم ، فقال طليحة بن خويلد الأسدى : أما محمد فقد بدأكم بالسحر ، فالنجاة النجاة فانهزموا من غير قتال (٦) .

خامسا : المسارعة الى الأعمال الصالحة .

يجب على المسلم أن يبادر بالأعمال الطيبة قبل أن يأتى وقت لايتمكن فيه من تأدية هذه الأعمال ، بأن تعرض له حالات تحول بينه وبين أدائها ، أو ضعف أو مرض يقعده عن القيام بها ، أو يفاجئه الموت ، أو تقوم عليه الساعة ، وقد أمرنا ربنا بالمسارعة الى البر والخير ، وما به يغفر الذنب ، وتنال الجنة ، قال تعالى:

«وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (٧) ».

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٠٠ .
(٢) سورة الأحزاب الآية ٧ .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٩ .

(٤) أخصرتهم : آلمتهم ببردها .
(٥) الأطناب : الحبال التى تربط بها الخيام .
(٦) تفسير أبو السعود جـ٧ ص ٩٢ ، ٩٣ .
(٧) سورة آل عمران الآية ١٣٣ .

الوقت وقيمته ..
فى ضوء الكتاب والسنة

وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر — رضى الله عنهما — قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى فقال : كن فى الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل .

وكان ابن عمر يقول : اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ،ومن حياتك لموتك(١).

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالأعمال سبعا ، هل تنتظرون الا فقرا منسيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا (٢)، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة ، فالساعة أدهى وأمر » (٣) .

ولنا فى نبينا — صلى الله عليه وسلم — الأسوة الحسنة ، فى المبادرة بتأدية ما هو مطلوب منا حتى ننفك من تبعته ، ونتخلص من مسئوليته ، روى البخارى بسنده عن أبى سروعة عقبة بن الحارث — رضى الله عنه — قال : صليت وراء النبى — صلى الله عليه وسلم — بالمدينة العصر فسلم ثم قام مسرعا ، فتخطى رقاب الناس الى بعض حجر نسائه ، ففرغ الناس من سرعته ، فخرج عليهم ، فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته ، قال : ذكرت شيئا من تبر (٤) عندنا (٥) فكرهت أن يحبسنى (٦) فأمرت بقسمته » .

وفى رواية أخرى للبخارى أيضا عن عقبة قال : صلى بنا النبى صلى الله عليه وسلم العصر فأسرع ثم دخل البيت ، فلم يلبث أن خرج فقلت أو قيل — له ، فقال : كنت خلفت فى البيت تبرا من الصدقة ، فكرهت أن أبيته فقسمته (٧) » .

قال ابن بطال : فى الحديث أن الخير ينبغى أن يبادر به ، فان الآفات تمرض ، والموانع تمنع ، والموت لا يؤمن ، والتسويف غير محمود . وزاد غيره : وهو أخلص للذمة ، وأنقى للحاجة ، وأبعد من المطل المذموم ، وأرضى للرب ، وأمحى للذنب (٨) » .

ومن هنا أوصى الاسلام المسلم أن يعد وصيته مكتوبة ، وألا يؤجل كتابتها أكثر من ثلاث ليال .

روى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما حق امرىء مسلم له شىء يوصى به ، يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده (٩) » .

وفى رواية مسلم ، يبيت ثلاث ليال « قال ابن عمر : ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندى وصيتى » .

---

(١) صحيح البخارى جـ ١١ ص ٢٣٣ .
(٢) مؤديا لضعف الرأى .
(٣) أعظم بلية .

(٤) قطع من ذهب أو فضة .
(٥) كان من الصدقة .
(٦) يشغلنى التفكير فيه عن التوجه والاقبال على الله .
(٧) صحيح البخارى جـ ٢ ص ٣٣٧ .
(٨) فتح البارى جـ ٣ ص ٢٩٩ .
(٩) صحيح البخارى جـ ٥ ص ٣٥٥ .

سادسا : أداء الطاعات فى وقت متقدم أكثر ثوابا من أدائها فى وقت متأخر •

ينبغى العلم بأن أداء الطاعات وأعمال الخير فى وقت متقدم يفوق فى الثواب أداءها نفسها فى وقت متأخر •

فأداء الصلاة فى أول وقتها أكثر ثوابا من أدائها فى وسط وقتها ، وفى آخره •

روى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :

سألت النبى — صلى الله عليه وسلم : « أى العمل أحب الى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قال : ثم أى ؟ قال : ثم بر الوالدين قال : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قال : حدثنى بهن ولو استزدته لزادنى » (١)•

ونقل ابن حجر عن ابن بطال قوله : فى الحديث ان البدار الى الصلاة فى أول أوقاتها أفضل من التراخى فيها ، لأنه انما شرط فيها أن تكون أحب الأعمال اذا أقيمت لوقتها المستحب •

ثم يقول ابن حجر : اتفق أصحاب شعبة (أحد رواة هذا الحديث) على اللفظ المذكور فى الباب وهو قوله « على وقتها » وخالفهم على بن حفص ، وهو شيخ صدوق من رجال مسلم فقال : « الصلاة فى أول وقتها » أخرجه الحاكم والدارقطنى والبيهقى من طريقه»(٢)•

وروى أبو داود عن أبى ذر قال : قال لى رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر كيف أنت اذا كانت عليك أمراء يميتون الصلاة — أو قال يؤخرون الصلاة — ؟ قلت : يا رسول الله فما تأمرنى ؟ قال : صل الصلاة لوقتها ، فان أدركتها معهم فصله فانها لك نافلة » (٣) •

والمبادرة بالذهاب الى الجمعة تفوق فى الثواب الذهاب اليها متأخرا ، روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة (٤) ثم راح (٥) ، فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » (٦) •

وأيضا القتال والنفقة فى سبيل الله قبل فتح مكة أكثر ثوابا منهما بعد الفتح ، قال تعالى : « **لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** » (٧) •

المراد بالفتح : فتح مكة عند أكثر المفسرين وقال الشعبى والزهرى : انه فتح الحديبية ، قال قتادة : كان قتالان : أحدهما أفضل من الآخر ، ونفقتان : احداهما أفضل من الأخرى

---

(١) صحيح الباخرى جـ ٢ ص ٩ •
(٢) فتح البارى جـ ٢ ص ٩ ، ١٠ •

(٣) سنن ابى داود جـ ١ ص ٢٤٨ •
(٤) اى كغسل الجنابة ، فالتشبيه للكيفية لا للحكم •
(٥) زاد أصحاب الموطأ عن مالك فى الساعة الأولى •
(٦) صحيح البخارى جـ ٣ ص ٣٦٦ •
(٧) سورة الحديد آية ١٠ •

الوقت وقيمته..
في ضوء الكتاب والسنة

كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك ، وفى الكلام حذف والتقدير : لا يستوى من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل ، فحذف لظهوره ، ولدلالة بقية الآية عليه .

وانما كانت النفقة والقتال قبل الفتح أفضل من النفقة والقتال بعد الفتح ، لأن حاجة الناس كانت اذ ذاك أكثر ، وهم أقل وأضعف.

وقال الزجاج : لأن المتقدمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم ، وكانت بصائرهم أيضا أنفذ (١) .

وأخرج الامام أحمد عن أنس رضى الله عنه قال : « كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها ، فبلغ النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : دعوا لى أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبا ما بلغتم أعمالهم .

سابعا : الحساب على الوقت فى الآخرة .

يسأل العبد - يوم القيامة - عن أشياء منها علمه ، وماله ، وجسمه ، ومما يسأل عنه أيضا عمره ، هل قضى أيامه وسنواته فيما هو أنفع له فى الدنيا والآخرة ، أو أمضى عمره لاهيا عابثا ، يضيع أوقاته فيما لا يجدى ويبدد ساعاته فيما لايعود عليه بنفع عاجل وآجل ، فالأول رابح فائز ، والثانى خاسر هالك .

روى الترمذى بسنده عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه » .

فسؤال العبد يوم القيامة عن عمره يدل على ما للعمر من أهمية ، وما لأوقاته من قيمة فى نظر الاسلام ، وأنه ينبغى الحفاظ على العمر بتمضيته فى طاعة الله ، ونفع الناس وأن تضييعه سدى ، وتبديده هباء ذنب كبير ، وجرم خطير يهان به العبد يوم القيامة على رءوس الأشهاد ، ويعذب به فى جهنم وبئس المهاد .

الآثار الناجمة عن الانتفاع بالوقت وعن تضييعه :

لا يصح أن يغيب عن بال امرىء أن الأعمار محددة ، والآجال مقدرة ، اذا انقضت لا تمد واذا انتهت لا يزاد عليها ، فأى اضاعة لها ، أو - لبعضها خسارة لا تعوض وغرم لا غنم بعده ، قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ، وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » (٢) .

---

(١) فتح القدير جـ ٥ ص ١٦٨ .

(٢) سورة المنافقون الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ .

ولقد تنبه بعض المسلمين الى قيمة الوقت، وقدروه قدره ، واستشعروا حرمته ، وقبحوا اهداره وتضييعه ، فشغلوا أوقاتهم بطاعة الله تعالى واتخذوا منها زادا للآخرة فأظمأوا نهارهم ، وأسهروا ليلهم ، أو كانوا كما قيل : رهبانا بالليل فرسانا بالنهار ، وأدوا من كبريات الأعمال وجلائلها ما يستغرب حصوله فيما عاشوه من أعمار ، حيث مات بعضهم فى سن الأربعين أو الخمسين ، وتركوا من الأعمال المجيدة ، والآثار الطيبة مالا يبلغ شأوه من تجاوزوا الثمانين ، أو قاربوا المائة لكن انتابهم شىء من الكسل أو الفتور فى العمل .

ومن هؤلاء أصحاب الأعمار القصيرة المباركة على سبيل المثال لا الحصر الامام الشافعى صاحب المذهب المشهور فان له نتاجا علميا ضخما مع أنه عاش أربعا وخمسين عاما فقط (١) وأيضا الامام الغزالى صاحب المؤلفات القيمة مع أنه لم يعش أكثر من خمس وخمسين عاما (٢) .

والأمم والشعوب كذلك تتفاوت فى الانتفاع بالزمن .

فبعضها ينجز فى فترة قصيرة أعمالا رائعة تقوى بها عسكريا ، وتزدهر بها اقتصاديا ، وتتفوق بها ثقافيا وعلميا ، وتسبق غيرها فى شتى المجالات .

وبعضها الآخر لا تعرف للزمن أهمية ، ولا للوقت قيمة ، فتبدد أوقاتها هباء وتضيعها سدى ، وتمضى عليها الأعوام والقرون ، ولا تظهر لها منجزات ذات قيمة وأثر ، فتبقى كما هى ضعيفة ومتخلفة فى اقتصادها ، وجيوشها، وعلومها ، ومعيشتها ، وتصبح عالة على غيرها من الأمم والشعوب الناهضة المتقدمة تستورد منهم ماهى بحاجة اليه ، وتعتمد عليهم حتى فى ما هو ضرورى لحياتها .

ان أمسكوا عنها ما بأيديهم تهددها الخطر، وانتابها القلق ، وان منعوا عنها ما هى بحاجة اليه خضعت لهم ، واستكانت ، واستجدتهم العون ، وناشدتهم المساعدة ، وشعوب المسلمين – الآن – معظمها فى حالة ضعف ، واعتماد على الشعوب الأخرى فى شتى مطالب الحياة ، ولوازم العيش ، ان حبسوا عنا منتجاتهم الوفيرة ، واحتجزوا دوننا مصنوعاتهم المتطورة ساءت أحوالنا ، واضطربت معيشتنا .

وما ذلك الا لأنهم انتفعوا بالوقت وأضعناه نحن ، وجدوا وتكاسلنا ، فى حين أن ديننا يدعو الى احترام الوقت ، واستغلاله فيما ينفع ، والى الجد فى العمل ، والاخلاص فيه، ويعتبر السعى على المعاش قربة وطاعة ، وأن نفع الآخرين بما ينتجه المسلم صدقة .

روى أبو داود الطيالسى فى مسنده عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا فيأكل منه بهيمة أو انسان أو طير الا كان له صدقة » (٣) .

وأهل الايمان حقيقة أحق من غيرهم بحسن التصرف ، والدقة فى تسيير الأمور واجتياز الصعاب والشدائد بحكمة وحنكة ، فقد حكى لنا القرآن الكريم – فى قصة يوسف عليه الصلاة والسلام : أنه بعد أن عبر رؤيا ملك

---

(١) ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفى سنة ٢٠٤ هـ .
(٢) ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفى سنة ٥٠٥ هـ .
(٣) منحة المعبود فى ترتيب مسند أبى داود للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا جـ ١ ص ٢٦٠ .

الوقت وقيمته..
فى ضوء الكتاب والسنة

مصر : « قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ، ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ » (١) .

وجد الملك الكافر أنه أعجز من أن يصرف أمر خزائن مصر فى هذه الحقبة العصيبة فأسندها الى الأمين يوسف على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام « وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِى بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ، قَالَ اجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ » (٢) .

وان أمانة يوسف عليه السلام وحفظه وعلمه كل مكن له فى الأرض — وهى صفات نابعة من ايمانه وصدق يقينه ، وسلامة عقيدته التى جعلته أهلا لرحمة الله وثوابه فى الدنيا والآخرة .

ألا فليعتبر أبناء الاسلام ، وليتذكر أهل الايمان « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » .

---

(١) سورة يوسف الآيات ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .
(٢) سورة يوسف الآيتان ٥٤ ، ٥٥ .

وليفتنموا أفرادا وشعوبا أوقاتهم ، وليشغلوها بما ينفعهم فى الدنيا ، ويرفع شانهم بين العالمين ، وبما يتزودون به للآخرة فيتبوأوا عند ربهم المقام الأمين فى جنات وعيون .

والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

د . محمد أبو النور الحديدى صقر

المراجع

اسم الكتاب	المؤلف
اولا : كتب التفسير	
١ ـ تفسير ابى السعود	ابو السعود
٢ ـ تفسير ابن كثير	ابن كثير
٣ ـ تفسير النسفى	النسفى
٤ ـ فتح القدير	الشوكانى
٥ ـ فى ظلال القران	سيد قطب
ثانيا : كتب السنة	
٦ ـ صحيح البخارى	البخارى
٧ ـ صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج
٨ ـ سنن ابى داود	أبو داود السجستانى
٩ ـ سنن الترمذى	الترمذى
١٠ ـ مسند أبى داود	ابو داود الطيالسى
١١ ـ فتح البارى	ابن حجر العسقلانى
١٢ ـ معاجم اللغة	

دراسات في السيرة النبوية

- قادة النبي صلى الله عليه وسلم

- الوصية الجائرة

٢٢ عمرو بن أمية الضمرى

هو عمـــرو بن أميـــه بن خويلـــد بن عبد الله الضمرى من كنـــانة ، يكنى : أبا أمية ، أسلم قديمـــا(١) وهاجر الى الحبشة ، ثم هاجر الى المدينة .

شارك فى بئر معونة ، وانفرد بسرية ، وكان رسولا لرسول الله ــ صلى الله عليـــه وسلم الى النجاشى ملك الحبشة .

فأما بئر معونة فأول مشاهده(٢) ، وفيهـــا أسرته بنو عامر ، وانتهز عامر بن الطفيل أسره فأطلقه فى نذر وقال لـــه : انـــه كان على أمى نسمة ، فاذهب فأنت حر عنها .

كان عمرو من فتاك الجاهلية ، فكان مشهورا معـــروفا بين العـــرب ، ويعتبر من القناصـــة النادرين ، فارس شديد على جرأة وشـــجاعة ونجدة وجراءة .

حدث أن أبا ســـفيان بن حـــرب قال لنفر ــ من قريش ــ قبل اسلامه : ألا أحد يغتـــال محمدا فانه يمشى فى الأسواق ، فتقدم اليـــه أعرابى يرشح نفسه لذلك فأعطاه بعيرا ونفقة، فانطلق الى المدينة المنورة .. فما رآه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى قال : ان هذا ليريد غدرا ، فجـــذبه أسيد بن الحضـــير بداخلة ازاره فاذا بالخنجر فأسقط فى يديه ، وقال : دمى ... دمى ... ثم لـــم يمـــلك أن اعترف لرسول الله صلى الله عليـــه وســـلم ، فانتدب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عمرو بن أمية ، وأرسل معه سلمة بن أسلم ، أو جبار بن صخر الأنصارى ليقتلا أبا سفيان، فدخلا مكة ، وما رآه أبو سفيان يطوف بالبيت حتى عرفه ، فأوجس شرا ، وأدرك عمرو الأمر ففر واختبأ بأحد جبال مكة ، فطلبوه وصاحبه دون جدوى وبينما كان ــ رضى الله عنـــه فى كهف بهذا الجبل اذ دخل عليه عبيـــد الله بن مالك بن عبيد الله التيمى ، وهو من أعداء الله فقتله ، ثم أتبعه آخر كان يتغنى قائلا :

ولست بمســـلم مادمت حيـــا
ولست أدين دين المســـلمينا

ثم زحف فى خفيـــة الى « التنعيم » حيث صلب كفار قريش خبيب بن عدى الذى أسر فى « معونة » وأرسل به الى مكة ــ رضى الله عنه ــ فانتهز عمرو غفلة من حراسه ، فأنزله ، وانطلق به فوارى جثتـــه بجـــرف فى مســـيل يأجج (٣) .

---

(١) هذا هو الارجح .
(٢) انظر المنذر بن عمرو ــ رضى الله عنه
(٣) واد قرب مكة .

للأستاذ إبراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

وأسرع الى المدينة فلقى رسولين لقريش بعثت بهما يتحسسان الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر ، وقدم به على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكانت سريته مباركة .

وقد أرسل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عمرا الى النجاشى ملك الحبشة — رضى الله عنهما — سنة ست من الهجرة يدعوه الى الاسلام ، فأسلم ، وطلب اليه — بأمره — صلى الله عليه وسلم أن يخطب أم حبيبة(١) — رضى الله عنها للرسول — صلى الله عليه وسلم ، ويرسلها ومن عنده من المسلمين ، فخطبها النجاشى وأصدقها أربعمائة دينار من عنده هدية للرسول — صلى الله عليه وسلم ، ثم جهزها وأرسل بها معززة مكرمة الى المدينة .

طال العمر لعمرو فمات فى أواخر حكم معاوية — رضى الله عنهما ، وكانت وفاته نحو سنة ٦٠ هـ رضى الله عنه .

٢٣) غالب بن عبد الله الليثى

رضى الله عنه

هو غالب بن عبد الله بن مسعر الكنانى الليثى من أهل الحجاز ، أسلم وسكن المدينة. أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سريتين ، قاد فى الأولى ثلاثين رجلا الى « المَيْفَعَة » (٢) الى بنى مرة فقاتلهم وغنم منهم .

وأرسله الرسول صلى الله عليه وسلم — فى الثانية — الى بنى الملوح بالكديد (٣) وفى هذه السرية وقع أكثر من حادث :

١ — ففى الطريق لقوا الحارث بن مالك بن قيس الكنانى الليثى المعروف بابن البرصاء — رضى الله عنه — فأسروه ، فقال : انى جئت أريد الاسلام ، فقالوا له : « ان تك مسلما فلن يضيرك رباط ليلة ، وان تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك » وشدوا رباطه ، ووضعوا عليه حارسا ، فعلت السرية ذلك أخذا بمبدأ ضمان السلامة وما تقتضيه من الحرص والحذر .

٢ — أرسل غالب رضى الله عنه جندب بن مكيث الجهنى ليكون عينا على بنى الملوح ، فاعتلى تلا يشرف على القوم ، وثبت مكانه لا يأتى بأية حركة حتى لا يراه أحد وظل يرصد القوم ، ولكن رجلا من القوم رأى فى العتمة زوال جندب رضى الله عنه وأراد أن يتأكد : هل هو عين لقوم أو شىء ثابت ؟، فرماه بسهم، أصاب جنبه ، فنزعه ولم يتحرك ، ثم رماه بسهم آخر أصاب منكبه فنزعه ولم يتحرك .

سبحان الله !.. سهمان أصاباه فما تحرك

---

(١) هى أم المؤمنين رملة بنت أبى سفيان . كانت زوجة لعبيد الله بن جحش الذى تنصر فى الحبشه وبقيت — رضى الله عنها — على اسلامها

(٢) من أرض نجد .

(٣) من أرض الحجاز .

أو تند عنه صرخة حتى لا يدل القوم على سرية المسلمين •

وفى السحر هاجمت سرية غالب رضى الله عنه بنى الملوح واستاقوا غنائمهم من الأنعام وغيرها ، واتجهوا الى المدينة ، وابن البرصاء معهم •

٣ ــ وصرخ صارخ القوم وتجمع بنوالملوح وخرجوا فى مالا قبل لسرية المسلمين بهم ، واقترب القوم من سرية المسلمين ، ولكن الله سبحانه وتعالى أرسل سحابا أنزل مطرا غمر وادى قديد(١) فحال بينهم وبين المسلمين •

وكان غالب بن عبد الله رضى الله عنه فى مقدمة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى غزوة الفتح ليمنع وصول الأخبار الى قريش ، وكان يأخذ نفسه بالحرص ، مؤخرا من يسبق جيش المسلمين من غيرهم ، حتى دهم المسلمون مكة ، وقد أخذ الله العيون ، فلم تصل الأخبار قريشا ، وتم الفتح باذنه تعالى، فكان فتحا مبينا ونصرا عزيزا •

(٢٤) أبو بكر الصديق
رضى الله عنه

هو عبد الله بن عثمان بن عامر التيمى القرشى ، أبو بكر الصديق بن أبى قحافة ــ رضى الله تعالى عنه ــ قيل : أن اسمه كان « عبد الكعبة » فسماه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم « عبد الله » •

وقيل : ان أهله سموه « عبد الله » ، ويقال له : « عتيق » لحسن وجهه وجماله ، أو لأنه لم يكن فى نسبه شىء يعاب به •

وقيل انما سمى « عتيقا » ، لأن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال له : (أنت عتيق من النار) ، أما لقب « الصديق » فأمره مشهور معروف ، فبعد الاسراء والمعراج ، أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم القوم بهذا الأمر فكذبوه ، ثم ذهبوا الى « أبى بكر » يخبرونه بما قال محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لعله يترك الاسلام ، فقال لهم : « انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة ، والله لو أخبرنى أنه عرج به الى السماء لصدقته » •

ولذلك سمى أبو بكر الصديق •

أسلم أول الرجال ، وقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم عنه فى اسلامه : « ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت له كبوة وتردد ونظر ، الا أبا بكر ماعتم حين ذكرته له ماتردد فيه » •

كان له فى الجاهلية أمر الديات ، اذا أنفذ أمرا وافقت عليه قريش ، وتحملت معه ماتحمل من الديات ، وكان من أعلم العرب بأنسابها •

كان سباقا فى الخير ، ففى غزوة تبوك ــ جيش العسرة ــ طلب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أصحابه المساعدة فى اعداد الجيش ، فأحضر أبو بكر رضى الله عنه كل ماله ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم :

(١) قديد : واد بالحجاز بين مكة والمدينة

« ماذا تركت لأولادك »؟، قال ــ رضى اللــه عنه : « تركت لهم الله ورسوله » •

حضر مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم كل مشــاهده لم يتخلف عن غزوة ، كان ممن ثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحد وحنين ، وكان صاحب راية الرسول صلى الله عليه وسلم يوم تبوك •

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم قائدا لسرية وجهها الى قبيلة فزاره فهاجمهم وسبى منهم وقتل ، وكان جنــديا فى جيش أســامة ابن زيد رضى الله عنهما فلم يستنكف أن يكون تحت امرة هذا الشاب •

ويختاره الصــحابة أول خليفة للمسلمين ، يقولون : « ارتضاه الرسول لديننا أفلا نرضاه لأمور دنيانا » •

ويقوم بالعبء خير قيــام ويقود ســفينة المسلمين بحكمة وشــجاعة فى ظلمــات الردة الحالكة حتى يعيد للجزيرة العربية اســلامها ووحدتهــا •

ويلقى ربه له من العمر مثــل ما للرســول صلى الله عليه وسلم ــ ثلاثة وستون عاما •

رحم اللــه أول الخلفــاء ، وأول الرجــال اسلاما ، وأول من بشره الرسول صلى اللــه عليه وسلم بالجنة •

٢٥ عمر بن الخطاب
رضى الله عنه

عمر بن الخطاب بن نفيل قرشى عــدوى ــ من بنى عدى ــ كان سفير قريش فى الجاهلية اذا وقعت داخلها وقيعة ، أو حدث بينها وبين غيرها أمر ، وهو مقدمهم ان فاخرهم مفــاخر أو نافرهم منافر •

لما انتشرت دعــوة الاســلام تأخر عمر بن الخطاب عن تلبية النداء ، وكان شــديد الأذى للمسلمين ، حتى قيل ــ « لو أســلم حمــار الخطاب ما أسلم عمر » •

وقصة اســلام عمر ــ رضى الله عنــه ــ معروفة مشهورة •

وبالرغم من أنه تأخر فى اسلامه الا أنــه صار وزير صدق لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم •

شهد عمر رضى الله عنه بدرا وأحدا وجميع المشاهد ، وثبت مع الرسول صلى الله عليــه وسلم ، وأرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية من ثلاثين رجلا الى (تربة) ــ من الحجاز ــ يريد هوازن ولكنهم هربــوا خوفا ولم يجد منهم أحدا ، وكان أيضا جنــديا فى جيش أسامة بن زيد رضى اللــه عنهمــا فكان كصاحبه أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنهما لم تستشعر نفسه غضاضة ، بل رضى أن يكون تابعا لقائد أصغر منه سنا •

ثم شاء الله ــ سبحانه ــ أن يؤول اليه أمر الأمة فكان قائدها وحاكمها وكان يخطط بالمدينة المنورة ــ لقــواده فى معــاركهم ، وكأنهم بين يديه ، أو كأنه معهم ، فأدى الأمانة ثم لحــق بالرفيق الأعلى شــهيدا مجيــدا ــ رضى الله عنــه •

ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

الوصية الجائرة

لما حضرت الوليد بن المغيرة المخزومى الوفاة دعا بنيه ، وكانوا ثلاثة : هشام ابن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد ابن الوليد ، فقال لهم : أى بنى ، أوصيكم بثلاث فلا تضيعوا فيهن :

ـ دمى فى خزاعة فلا تطلنه ، والله انى لأعلم أنهم منه برآء ، ولكنى أخشى أن تسبوا به بعد اليوم .

ـ وربای فی ثقیف فلا تدعوه حتی تأخذوه .

ـ وعقری عند أبی أزیهر فلا یفوتنکم به .

هذه هى الوصية التى أوصى بها الوليد بنيه ، وهى ليست من الوصايا النافعة العادلة، ولكنها من الوصايا المدمرة الجائرة وهذا الذى نقوله يحتاج الى توطئة وتمهيد لينجلى شأن الوصية وما انتهى اليه أمرها ، وصلتها بالاسلام وأهله ، وما كان عليه المجتمع القرشى فى مكة ، والمجتمع الاسلامى حين ذاك ، فالحوادث وقعت بعد الهجرة وبعد موقعة بدر ، كان الوليد بن المغيرة حين أوصى آخر من بقى من بنى (المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم) وكان يمثل زعامة بنى مخزوم التى انتهت اليه والتى يستظل بظلها الرجل الغشوم أبو جهل بن هشام (ابن أخى الوليد) وقد عانى المسلمون من موقف الوليد وعداوته للاسلام منذ ظهوره ، وكان يقول : « أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ؟ » ففى ذلك يقول القرآن الكريم « **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** »

وبعيد من المنطق أن أوازن بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين الوليد بن المغيرة ، بيد ان لى أن أوازن بين آباء كل من الرجلين على طريق العرف الدنيوى ، فليس فى بنى مخزوم من يضارع قصى بن كلاب الذى جمع قريشا ورد اليها ولاية الكعبة ، وقصى ابن عم مخزوم نجدهما معا (مرة بن كعب بن لؤى) وليس فى بنى مخزوم بعد قصى من يضارع هاشم بن عبد مناف ولا عبد المطلب بن هاشم ولولا هاشم لماتت مخزوم جوعا ، فقد روى القرطبى فى تفسيره (سورة قريش) وحديثه عن « الايلاف » أن قريشا كانوا اذا أصابت واحدا منهم مخمصة جرى هو وعياله الى موضع معروف ، فضربوا على أنفسهم

للأستاذ السيد حسن قترون

خباء فماتوا حتى كان عمرو بن عبد مناف (هاشم) وكان سيدا فى زمانه ، وله ابن يقال له أسد (هو أبو فاطمة أم على بن أبى طالب) وكان له ترب من بنى مخزوم يحبه ويلعب معه فقال له : نحن غدا نعتفر ، وتأويله : ذهابهم الى ذلك الخباء وموتهم واحدا بعد واحد • فدخل أسد على أمه يبكى ، وذكر ما قاله تربه ، فأرسلت أم أسد الى أولئك بشحم ودقيق فعاشوا به أياما ، ثم ان تربه أتاه أيضا فقال : نحن غدا نحتضر ، فدخل أسد على أبيه يبكى ، وخبره خبر تربه ، فاشتد ذلك على عمرو بن عبد مناف ، فقام خطيبا فى قريش • وكانوا يطيعون أمره • فقال : انكم أحدثتم حدثا تقلون فيه وتكثر العرب ، وتذلون وتعز العرب، وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم والناس لكم تبع •• ثم بين مقصده فقال : ابدءوا بهذا الرجل — يعنى المخزومى — فأغنوه عن الاعتفار ، ففعلوا ، ثم انه نحر البدن وذبح الكباش والمعز ، ثم هشم الثريد وأطعم الناس فسمى (هاشما) قال الشاعر :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مسنتون عجاف

ثم جمع كل بنى أب على رحلتين : فى الشتاء الى اليمن ، وفى الصيف الى الشام للتجارات ، فما ربح الغنى قسمه بينه وبين الفقير حتى صار فقيرهم كغنيهم ، فجاء الاسلام على هذا فلم يكن فى العرب بنو أب أكثر مالا ولا أعز من قريش ، وهو قول شاعرهم :

والخالطون فقيرهم بغنيهم
حتى يصير فقيرهم كالكافى

وقد أخذ هاشم لهم المواثيق من أمراء الشام وقيصر الروم والقبائل المنتشرة بين الشام واليمن ، فكانوا فى أمان فى الوقت الذى كان الناس يتخطفون من حولهم ، وكان عبد المطلب يسمى صاحب عير قريش ومعناه : رئيس الغرفة التجارية كما نقول اليوم وقد استفاد بنو مخزوم من تلك الرحلات فأثروا ثراء عظيما ، وكثر أولادهم ، وامتازوا بالقوة الجسدية وجمال النساء •

وباستقراء كتب التراث يتبين لنا أن بنى مخزوم ظهروا — كسبط قوى فى قريش — بعد وفاة عبد المطلب بن هاشم وتقسمت بطون قريش وظائف السيادة فيها ، وظهرت وظائف لم يحدثها قصى بن كلاب ، وبعد أن كان الأمر منوطا ببنى عبد مناف شاركهم غيرهم فيه ولذا قالوا :

انتهى الشرف الى عشرة بطون هم : هاشم وأمية ، ونوفل ، وعبد الدار ، وأسد ، وتيم ، ومخزوم ، وعدى ، وجمح ، وسهم :

فكانت لأمية راية الحرب يخرجها عند القتال ليسلموها الى قائدهم المختار •

ولهاشم سقاية الحاج •

وكانت لنوفل الرفادة وهى اعانة الحجاج المنقطعين بالمال •

الوصية الجائرة

وكانت لعبد الدار السدانة والحجابة واللواء .

وكانت لبنى أسد المشورة .

وكانت لبنى تيم الديات والمغارم .

وكانت لبنى مخزوم القبة وهى مجتمع الجيش والأعنة وهى قيادة الفرسان .

وكانت لبنى عدى السفارة .

ولبنى جمح الايسار أو الأزلام (١) .

ولبنى سهم الحكومة والأموال المحجرة .

وظلوا يتولونها حتى ظهر الاسلام .

وينبغى أن نعلم أن تلك الوظائف خاصة ببنى « كعب بن لؤى » .

وحين تسمع « بطون قريش » يدخل فى ذهنك أن قريشا جميعها من عامر بن لؤى والحارث بن فهر وبنو الأدرم وغيرهم من تلك البطون !!.

فالحقيقة أن البطون العشرة هى من خصوصية « كعب بن لؤى » وحين قامت الخلافة الاسلامية لم تخرج عن بنى كعب بن لؤى ، ثم انحصرت فى بنى قصى ، ثم صارت الى فرعى عبد مناف : أمية وهاشم .

يقول العقاد(٢) : ولم يكن لهذه الوظائف الموزعة شأن واحد فى جميع الأوقات والأحوال بل كانت تعلو وتهبط على حسب الزعيم الذى يتولاها وعلى حسب القوة التى عليها بيته عند ولايته اياها ، ولكننا اذا نظرنا اليها نظرة مجملة وجدنا منها ما كان يقصد به « جبر الخاطر » والارضاء ، وما كان يشبه الوظائف الشورية أو الادارية الثانوية فى حكوماتنا الحاضرة ولم نجد بينها « سلطات » فعالة خليقة أن تتعاقب مع الزمن غير ثلاث متفرقات، وهى السلطة الروحية لهاشم وعبد الدار ، والسلطة السياسية لأمية ، والسلطة العسكرية لمخزوم » .

وقد ظهرت مخزوم كقوة ضاربة فى حرب الفجار ، وقعت تلك الحرب ومحمد الأمين - صلى الله عليه وسلم - فى سن الرابعة عشرة واستمرت خمس سنوات الا قليلا ولذا ترى كتاب السيرة يختلفون ، فيقولون كانت سنه أربعة عشر عاما ، وبعضهم يقول كان فى العشرين من عمره ، وكان ينبل على أعمامه أى يرد عنهم نبل عدوهم ، وهذه الحرب أظهرت رجالا لهم قدراتهم الحربية وفى مقدمتهم بنو المغيرة من مخزوم . قال عبد الله بن الزبعرى:

ألا لله قوم و
لدت أخت بنى سهم
هشام وأبو عبد
مناف مدره الخصم
وذو الرمحين أشباك
من القوة والحزم
فهذان يذودان
وذا من كثب يرمى

وهو شعر لا يتساوى مع البطولة ولكنه يشير اليها ، وابن الزبعرى من بنى سهم

---

١ - الأيسار : جمع يسر وهم المقامرون .
٢ - عبقرية خالد : قريش ومخزوم .

ـ رهط عمرو بن العاص ـ ولذا يفخر ببنى المغيرة لأن أمهم من بنى سهم ، ولقد أبلى فى تلك الحرب بلاء حسنا : هشام بن المغيرة والد أبى جهل ، ونافس بنى عبد مناف فى القيادة والسيادة كما نافسهم عبد الله بن جدعان من رهط أبى بكر الصديق فكان يحمل الرجال على مطاياه ويسلمهم بالمئات ، وكان كل بطن لـه زعيمه وكانت الرياسة العامة لحرب بن أمية (حسب رواية العقد الفريد) وأنكر الزبير بن عبد المطلب ما جرى من حرب الفجار فدعا الى حلف الفضول •

أخذت مخزوم مكانتها منذ اليوم فلما مات هشام بن المغيرة لم تقم قريش فى مكة سوقا ثلاث سنوات حزنا عليه واظهارا للحقيقة فيه حتى قال شاعرهم :

وأصبح بطن مكة مقشعرا

كأن الأرض ليس بها هشام

وتعرضت الكعبة للهدم لسيل نزل بها وأرادوا هدمها وبناءها من جديد ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم فى الخامسة والثلاثين من عمره ، وقد ظهر بنو مخزوم قوة لها فعاليتها فى أمر الكعبة ، فحين هاب الناس هدمها قال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم فى هدمها ، فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم ترع ، اللهم انا لا نريد الا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنين ، وانتظر النـاس أن يصاب فلما أصبحوا ووجدوه سليما أقبلوا على الهدم •

واختلفت قريش فى أمر الحجر الأسود فيمن له حق وضعه فى مكانه ، وحسم النزاع أبو أمية المخزومى أخو الوليد حيث قال اجعلوا بينكم ـ فيما تختلفون فيه ـ أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد • فلما حكموه قال : هلم الى ثوبا فأتى به ، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ، ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ، حتى اذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه •

وكان أحد الأربعة أخ آخر للوليد هو أبو حذيفة بن المغيرة حيث اشترك فى رفع الثوب ، ومعنى هذا أن بنى المغيرة لهم القدح المعلى بين قريش ، ويرى العقاد أن بنى مخزوم فى ثروتهم وعدتهم وبأسهم أقوى البطون القرشية حين ينفرد كل بطن منها على سائر بطونها ، ولكنهم لم يستأثروا بالزعامة القرشية لأنهم كانوا ينافسون بنى هاشم وبنى أمية وبنى عبد الدار وهم ثلاثة بطون يلتقون فى جد واحد (قصى) أقرب من الجد الذى يجمعهم ببنى مخزوم ، وهو مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر جد قريش أجمعين •

وما قاله العقاد لا ندفعه ولكنا نرى حسب ما نصت عليه كتب السيرة أن بنى مخزوم لم ينافسوا أبدا بنى عبد الدار ، بل كانوا الى جانبهم حين قام بنو عبد مناف قومتهم لأخذ الوظائف التى أسندها قصى لابنه عبد الدار وهى الحجابة والسقاية والرفادة واللواء لشرفهم بين قومهم ، فكان بنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر مع بنى عبد مناف ، وكان بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار ،

الوصية الجائرة

وخرجت بنو عامر بن لؤى وبنو محارب بن فهر فلم يكونوا مع أحد من المتنازعين ، وفريق عبد مناف سموا (المطيبين) ، لأنهم غمسوا أبديهم فى جفنة ملئت طيبا ، وفريق عبد الدار سموا « الأجلاف » فبنو مخزوم كانوا ردءا لبنى عبد الدار ، ولكن العقاد نظر الى النسب ولم ينظر الى تنازع أصحاب النسب ، وقولى هذا لا ينفى مقدرتهم ومكانتهم فى قريش وحرب الفجار وما ترتب عليها من الدعوة الى عقد حلف الفضول شطرت المطيبين ، فكان ممن خرج منها بنو أمية وبنو نوفل وهم من بنى عبد مناف ، وجاء الاسلام ، فكان بنو أمية وبنو نوفل مع قريش ضد بنى هاشم وبنى المطلب وقد نعى أبو طالب عليهما موقفهما منه، وخذلانهما له ، وانقيادهما لغيرهما وهما القادة فى قصيدة طويلة ، يقول :

فعبد مناف أنتم خير قومكم
فلا تشركوا فى أمركم كل واغل(١)
لعمرى لقد وهنتم وعجوتم
وجئتم بأمر مخطىء للمفاصل(٢)

فى ذلك الحين كان الوليد بن المغيرة يحارب الدعوة الاسلامية بكل ما يملك من تعال وفعل ، وأشد موقف له سجله القرآن الكريم فى سورة المدثر ، وقصته كما ذكرها ابن هشام . قال : ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش — وكان ذا سن فيهم — وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، انه قد حضر هذا الموسم ، وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول به . قال : بل أنتم فقولوا أسمع . قالوا : نقول كاهن . قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة(٣) الكاهن ولا سجعه . قالوا : فنقول مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر . قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول ساحر . قال : ماهو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم وانتهت بضاعتهم عند هذا الحد ، وأوقعهم فى حيرة ، وهنا قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لغدق وان فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل ، وهنا سقط على جهد فى التفكير جعله يأتى بحركات تشمل جسمه كله وصفها القرآن وصفا كاشفا ساخرا ، قال الوليد : ان أقرب القول فيه أن تقولوا « ساحر » جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء

١ — الواغل : الهاجم على القوم فى شرابهم ولم يدع .
٢ — مخطىء للمفاصل : بعيد عن الصواب .
٣ — زمزمة الكاهن : كلامه الخفى .

وزوجه ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه وقاموا لينفذوا خطته ، فجلسوا على أفواه الطرق للقادمين من كل صوب للموسم ، لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه ، وذكروا لهم أمره .

قال ابن اسحاق : « فجعل أولئك النفر يقولون ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس ، وصدرت(١) العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها » . وهكذا كانت الضارة نافعة ، فخدم الدعوة خصومها ، وباء الوليد بسخط الله وغضبه . وقد ذكر القرآن الكريم ما حدث . قال تعالى :

« ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ . لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ »(٢) .

وهذه الآيات تصف الموقف كله ، وتضعه موضع السخرية فى فكره وحركة وجهه واقباله وادباره ، وقد بين الله عقابه الذى يستحقه ، وقد أشار القرآن الكريم الى أبنائه وأمواله وحياته الرافهة ، والمعلوم من تاريخه أنه كان يلقب بالوحيد وبريحانة قريش ، له ثراؤه الكبير من الذهب والفضة والبساتين والكروم والتجارة والعروض والخدم والجوارى والعبيد ، ويروى سفيان الثورى أنه كان يملك ألف ألف دينار ويروى ابن عباس أنه كان يملك من الفضة تسعة آلاف مثقال .

ولم يكن يرحل أبناؤه لطلب الرزق فى التجارة كما تفعل قريش ، بل كانوا بجانبه ويقوم خدمهم بشئون التجارة وغيرها ومن ثم قال القرآن « **وبنين شهودا . ومهدت له تمهيدا** » وهؤلاء الأبناء قالوا : انهم عشرة وبعضهم قال ثلاثة عشر منهم بنتان ، وبعضهم جعل العدد سبعة ، والذين عرفوا منهم خمسة: الثلاثة الذين حضروا الوصية ، واثنان أحدهما يكنى به وهو عبد شمس ، والآخر (عمارة بن الوليد) وعمارة هذا هو الذى عرضته قريش على أبى طالب ليأخذه بدلا من ابن أخيه محمد — صلى الله عليه وسلم — ويسلم اليهم محمدا — عليه الصلاة والسلام — ليقتلوه . فقال لهم أبو طالب قولته الحكيمة : والله بئس ما تسومونني ، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ هذا والله ما لا يكون أبدا ، وعمارة فى نظر قريش يعادل محمدا فى الجمال والفصاحة والأسرة وشتان بين الرجلين : محمد — صلى الله عليه وسلم — رحمة للعالمين ، وعمارة نكبة على أسرته وقومه: ذهب مع عمرو بن العاص الى الحبشة ليردا المهاجرين اليها ، فغازل امرأة عمرو فى محضره، وغازل زوجة النجاشى ، ثم هرب الى الأدغال فى حالة جنونية فقالوا انه من فعل السواحر .

أما الثلاثة الذين حضروا الوصية فقد

---

١ — صدرت : رجعت .
٢ — المدثر من الآية ١١

الوصية الجائرة

أسلموا بعد ذلك وحسن اسلامهم ، ومنهم سيف الله وبطل الاسلام خالد بن الوليد .

كانت قريش حين الوصية فى تجمل تخفى أحزانها لفقد أبطالها فى موقعة بدر . والأبناء لابد وقد دفنوا أباهم أن ينفذوا وصيته ، والا لحق بهم العار — كما يعتقد الأب والأبناء .

من الوصية : « دمى فى خزاعة فلا تطلنه »

ماذا حدث من خزاعة للوليد ؟ ان القرآن يقول مخاطبا الرسول :

« انا كفيناك المستهزئين ، الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون » ومن هؤلاء المستهزئين الوليد بن المغيرة ، فكيف كفى الله رسوله منه ؟ تقول كتب السيرة : ان الوليد مر على رجل من بنى كعب بن عمرو من خزاعة وهو يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش فى رجله خدشا وليس بشىء ، ومرت سنوات وقد شفى منه الوليد ولكن الله أنفذ وعيده فيه ، فأشار جبريل الى أثر الجرح فى رجله فانتقض به فكان هلاكه . ولكن أبناء الوليد طالبوا بالثأر ، وكان لبنى كعب من خزاعة حلف من بنى عبد المطلب بن هاشم فأبت عليهم خزاعة ما طالبوا به ، ودارت مناوشات كلامية بين المخزومين وبين خزاعة . فقال عبد الله بن أبى أمية المخزومى — وهو ابن أخى الوليد — :

انى زعيم أن تسيروا فتهربوا
وأن تتركوا الظهران(١) تعوى ثعالبه
وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا(٢)
وأن تسألوا أى الأراك أطايبه ؟
فانا أناس لا تطل(٣) دماؤنا
ولا يتعالى صاعدا من نحاربه

فأجابه الجون بن أبى الجون الخزاعى :

والله لا نؤتى الوليد ظلامة
ولما تروا يوما تزول كواكبه
ويصرع منكم مسمن بعد مسمن(٤)
ونفتح بعد الموت قسرا مشاربه
اذا ما أكلتم خبزكم وخزيركم(٥)
فكلكم باكى الوليد ونادبه

وعرف الناس أن مخزوما تخشى السبة ورأت خزاعة مجاملتهم فأعطتهم بعض الدية، وهدأت الثورة ، ولكن شاعر خزاعة جعل من الباطل حقا فافتخر بقتل الوليد وجعل صاحب النبل فاتكا ميمون النقيبة ، ولولا حلف بنى عبد المطلب من خزاعة لتغير الموقف .

والثانى من الوصية أو الثالث حسب الترتيب : « عقرى عند أبى أزيهر » وما عقره؟ كان أبو أزيهر قد زوجه بنتا ثم أمسكها عنه ، فلم يدخلها عليه حتى مات ، ولكن هشام بن الوليد عدا على أبى أزيهر وهو بسوق ذى المجاز فقتله بعقر أبيه ، وكان أبو سفيان

---

١ — الظهران واد قريب من مكة تسكنه خزاعة

٢ — الجزعة : ماانثنى من الوادى واطرقا موضع .
٣ — تطل : تهدر .
٤ — المسمن : الشريف .
٥ — الخزير : نوع من الحساء .

ابن حرب بن أمية عنده عاتكة بنت أبى أزيهر، وأزيهر رجل شريف من قبيلة « دوس » ومعنى هذا أن بنى أمية لا يقبلون أن يقتل أزيهر لأمر لا يستحق القتل ، فخرج يزيد بن أبى سفيان فجمع بنى عبد مناف (أبقة وهاشما ونوفلا والمطلب) للقتال والتصدى لبنى مخزوم وأبو سفيان بذى الحجاز ، فقال الناس : أخفر أبو سفيان فى صهره فهو ثائر له ، وسمع أبو سفيان بأن ابنه سيقاتل بنى مخزوم وكان يحب قومه حبا شديدا ولاسيما وهو فى نكبة بدر ويعد نفسه لحرب المسلمين فأسرع الى مكة وخشى أن يكون قد حدث فى أبى أزيهر مايفرق بين بطون قريش فبلغ ابنه وهو فى الحديد بين بنى عبد مناف والمطيبين ، فأخذ الرمح من يده، ثم ضرب به على رأسه ضربة هده منها • ثم قال له : قبحك الله ، أتريد أن تضرب قريشا بعضهم ببعض فى رجل من دوس ، سنؤتيهم العقل ان قبلوه ، وأطفأ ذلك الأمر •

وانتهز حسان بن ثابت الفرصة فأرسلها نارا على أبى سفيان يجبنه ويحرض على أخذ الثأر لأبى أزيهر فقال :

غدا أهل ضوحى ذى الحجاز كليهما
وجاء ابن حرب بالمغمس ما يغدو(١)

فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال : يريد حسان أن يضرب بعضنا ببعض فى رجل من دوس ، بئس والله ما فعل •

وحاولت دوس أن تأخذ ثأرها من قريش ، وحدث أن الشاعر ضرار بن الخطاب الفهرى خرج فى نفر من قريش الى أرض دوس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس، فأرادت دوس قتلهم بأبى أزيهر ، فقامت دونهم أم غيلان ونسوة معها حتى منعتهم ، فقال ضرار بن الخطاب فى ذلك :

جزى الله عنا أم غيلان صالحا
ونسوتها اذ هن شعث عواطل
فهن دفعن الموت بعد اقترابه
وقد برزت للثائرين المقاتل

ويختلف الرواة فى التى حمت ضرارا من القتل ، أهى أم غيلان أم أم جميل ؟ قال ابن هشام : ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه •

وحين كان عمر بن الخطاب خليفة أتته أم جميل وهى ترى أن ضرار أخو عمر ، فلما انتسبت له عرف القصة ــ والقصة كانت فى الجاهلية ــ فقال لها : انى لست بأخيه الا فى الاسلام ، وقد عرفت منتك عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سبيل • وهكذا انتهت الوصية فى أبى أزيهر •

فأما الوصية فى ربا الوليد فقد قال ابن هشام :

لما أسلم أهل الطائف كلم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خالد بن الوليد فى ربا الوليد الذى كان فى ثقيف ، لما كان أبوه أوصاه به ، فلم ينفذ الرسول ــ صلوات الله

---

(١) ضوحى ما انعطف من الوادى وللغمس موضع بطريق الطائف •

الوَصِيةُ الجَائِرَة

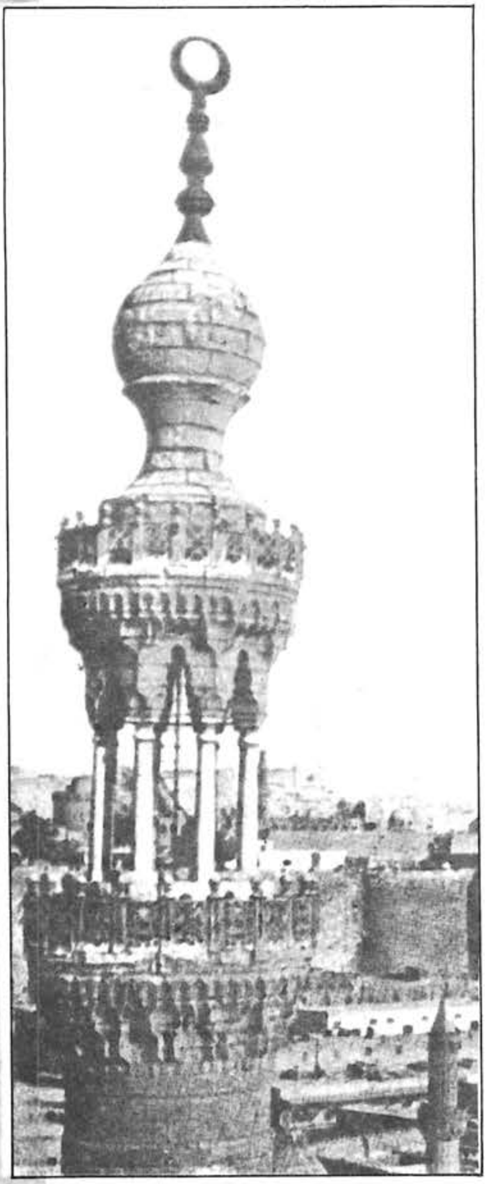

وسلامه عليه ــ تلك الوصية ، قال ابن اسحاق: ذكر لى بعض أهل العلم : أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقى من الربا بأيدى الناس نزلن فى ذلك من طلب خالد الربا : قال تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ • فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ • وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » (١)•

وفى تفسير الكشاف للزمخرى وفى تفسير القرآن العظيم لابن كثير أنها نزلت فى ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا • وأرى أن ما جاء بكتب السيرة فى هذا الشأن أولى بالرواية ، لأن الأمر راجع الى وصية الوليد ، وقد جرت لها أحداث فى جوانبها الثلاثة ، ولأن الوليد كانت له أموال يتعامل فيها بالربا على طريقة المصارف فى العصر الحديث ، وبتحريم الربا انتهى عهد الجاهلية ، كما انتهى أبناء الوليد من عقابيل وصية أبيهم الجائرة •

السيد حسن قرون

---

١ ــ البقرة ٢٧٨ ، ٢٧٩ •

من أعلام الأزهر

الشيخ مصطفى مجاهد عبد الرحمن العشرى

للدكتور علي الخطيب

فقيه شافعي عرف نفسه – عن نَصَفَةٍ – فعرف قدره، وأدرك واجبه – عن وعي – فالتزم أمانته، وأعطى العلم – عن صدق – فآتى ثمره.

عالم صحب العلم بفكر بصير، وتحصيل مستمر، ووعي عميق. تسره «فريضة» العلم من حب وإخلاص وأمانة وبذل وحماس، فرضي بكل ذلك، وسعى إلى العلم بحقه وعرف العِلمُ فيه هذا الرضا والوفاء فأقبل عليه، والتزما حتى تبادلا السخاء.

أعطى العلم عقله ووعيه بكل قوة في صحته، واستمر في العطاء حتى بعد أن عسعس الليل إلى ما تبقى من نور عينيه، فلم يُبْقِ منهما الا هَنَةً من بصيص يستطيع «التوقيع» به، فاستعاض عنهما بأهله وتلاميذه، ولم يتوقف، وقد أعانه ربه – سبحانه – ببصيرة علوية السمات ألقت الرضا بالقضاء في نفسه، وأنزلت سكينة «حمدالله» في قلبه، فكان بها سعادته في تحصيل هذا العلم الشريف.

وسخا له العلم وأفاض، وأعطاه في غير قصد، وَنَحَلَهُ في غير مَنّ، فتفتقت له كنوزه

<

الشيخ مصطفى مجاهد عبد الرحمن العشرى

فعب من روافده ، ونهل من منابعه •

ولم يكن العقل والوعى كل ما قدم للعلم ، فكان له من حر ماله مكتبتان عامرتان جمعهما بحذق ومهارة ودقة ودراية :

احداهما بالقاهرة ، والأخرى بالاسكندرية فكان منزله بكلتا المدينتين لا ينقصه أن يقدم للشيخ زاده فى الدين واللغة والأدب وما برز الشيخ فيه من فقه وأصول •

وعنيت أسرة الشيخ — رحمه الله — بتراثه فأفردت له مبنى خاصا بمنزله فى القاهرة ، وقامت تصونه حفظا وعناية •

•• •• ••

كان اسلامه وأزهريته هما الإطار الذى يحدد شخصيته ، ويبسط منها العطاء ، بل إن كلتا السمتين تستمد من الأخرى ، ثم تعود وَتَرْفِدُهَا ، فكانت أزهريته من اسلامه ، وإسلامه من أزهريته :

فهذا الدين العظيم دفع بوالده أن يهبه للأزهر(١) فسلك فيه سبيله ، وَصَعَّدَ فيه حتى أعلى قمة فى تخصصه ، وأرقى درجة فى سلكه الجامعى(٢) ، فكان أول من رأس قسم «الفقه المقارن» بكلية الشريعة والقانون — جامعة الأزهر(٣) •

وهكذا كانت أزهريته دفعة من إسلامه •

وامتاز إسلامُهُ بأزهريته :

فإن الأزهر — وكذلك شاء الله الحكيم — أن يكون ، وأن يظل — النبع الوحيد لعلوم هذا الدين ، وما عِلْمٌ منها إلا هو جدول من هذا النبع يفيض بإشراقة خاصة من الإسلام لا تستبين إلا منه ، ولا تُجْنَى ثمارها الا من غرسه ، فمدت أزهريته علوم الإسلام فى نفسه حتى ملأت عليه حياته ، فصار حبه للأزهر إيمانا منه بالاسلام •

ولقد كان هذا الحب عنيفا على عمق وجلال، وعنف هذا الحب وعمقه يفسران لنا صدق شيخنا وشدته — رحمه الله — على من تناول الأزهر بغير فهم ولا مبالاة ولا انصاف •

•• •• ••

وإسلامه وأزهريته شكلا وطنيته :

فكان من « الدين » حُبُّ مصر ، وكل أرض إسلامية ، وكان من « الأمانة » حفظهمصر وكل

---

(١) بشر والده بولادته ببلدته فارسكور يوم ٥ من يناير ١٩٠٥م ، وكان يقرأ — مع صحبة له — فى سيرة النبى — صلى الله عليه وسلم ، فسماه مصطفى تيمنا برسول الله — صلى الله عليه وسلم ، وعمل على تحفيظه لكتاب الله العزيز •

(٢) نال « العالمية النظامية » عام ٢٩/١٩٣٠ ، ثم « التخصص القديم » (الدكتوراه) عام ٣٣/١٩٣٤ م ثم عمل :

(أ) اماما وخطيبا بمسجد الخواجه عثمان بالاسكندرية من ديسمبر ١٩٣٥ — الى أكتوبر ١٩٣٧ م •

(ب) ثم مدرسا بالقسم العام بالجامع الازهر فى ١٤ من أكتوبر ١٩٣٧ ، فكانت فرحته بهذا العمل شديدة لأنه رأى نفسه يدرس فى ذات المعهد العتيق ، وهنأه والده وتنبأ له بمستقبل عظيم •

(و) ثم نقل الى معهد شبين الكوم فى ٢٥ من الشهر نفسه واستمر يعمل حتى السادس من نوفمبر ١٩٣٨ •

(د) وفى السابع من نوفمبر ١٩٣٨ م تسلم عمله مدرسا بمعهد الاسكندرية فعمل به عشر سنوات •

(هـ) باشر — بعدها العمل بكلية الشريعة فى ١٨ من أكتوبر ١٩٤٨ •• ثم توالت ترقياته •

(٣) رأس هذا القسم فى ١٨ من سبتمبر ١٩٦٥ •

أرض إســلامية ، وما من شــك فى أن هــذا « العمق » للوطنية فى أوج جوهرها إنما هــو من غرس الأزهر فى كل نفس سعدت بالتربية فى كنفه ، وبالتعلم فى معاهــده ، فكانت مصر ـــ لديه ـــ مثل أى بلد إسلامى لا تصلح إلا بهذا الدين ؛ فكانت وطنيته ـــ رحمــه الله ـــ من « دينه » والإخلاص لها من أمر ربه ـــ عز وجــل •

ووطنية الشيخ على هــذا المــدى النفسى والمادى متسقة مع « قوميته » وما قوميته الا قومية هذا الدين •••قومية أوعب من الجنس، وأطهــر من أن تنتمى إلى شرق أو غرب ، أو تتسلق باسم « الدين » أهدافا ذاتية ليس لها من سموه نصيب ، فعاش لا ينتمى إلى جماعة تنفرد بشعار ، ولا يرضى أن يكون « صورا » من أبواقها •

وعلى هذا الوضع امتدت وطنيته واطردت، وزادتها معاصرته للاستعمار ـــ نحوا من نصف قرن حدة ، تركت ســماتها فى نفســه ، فكان لوطنيته حذر وحساسية وقصد شحيح فى طرح الثقة بكل من لاذ بالاستعمار بســبب ، هــذا الاستعمار الذى اتخذ من « المنفى » مدرســة لتقليم صلابة الوطنية وبث « المرونة » مكانها، ومن العجيب أن أقرأ مصداق رأى الشيخ هذا فيما كتبــه مؤرخ مصر عبد الرحمن الرافعى ـــ رحمه الله ورحم شيخنا ـــ(١) •

ولهذا كم كان يؤلمه أن يرى أزهريا «وفديا» أو «سعديا» أو « دستوريا » أو عضــوا فى جماعة •••

(١) راجع مذكرات هـــدى هانم شـــعراوى الصادرة عن دار الهلال •

لماذا يكون هذا ؟!!

ألم يغنــه الإســلام ثم الأزهر عن هــذا الوضــع ؟ !

وهل العمل للإسلام لا يكون إلا من خــلال جماعة أو شخص •• ؟ !

وإذا كان لابــد مــن ذلك فليــكن باســم « الأزهر » قلب الإســلام •

أليس هو ميداننا ••؟

ماذا يطلب « عالم » من هذا الوضع ••؟!

بل صرح ـــ رحمه الله ـــ بالرضا عن رجال الأزهر الذين تعقبوا هــذه الحالات لينجــو الأزهر من شرها •

•• •• ••

وله ـــ من أزهريته ـــ فقهه :

وقد كان ـــ رحمه الله ـــ شافعيا قد أوعب مذهبه ودرس « أصوله » ثم امتدت دراسته إلى غير مذهب الشافعى ـــ رضى الله عنــه ، فخرج إليه بمقارنة تســتهدف الأقوم الأثبت على حرص والتزام ، فقد كان ـــ رحمه الله ـــ محافظا شديد المحافظة على أمانة وفهم فى غير صخب أو خيلاء •

وشــدة محافظته أطلقته إلى غوص أكثر ، فكان « جَدِيدُهُ » وثيقَ الصلة بالقديم وأصوله غــير متمرد عليهــا ، ومن هنــا تميزت فيــه « المحافظة » عن « الجمود » فليس الجمــود

إلا توقفا عند قدر محدود لا استيعاب بعده ، فلا يملك صاحبه العطاء إلا من خلال ما تقوقع عليه ، أو يرضى لنفسه أن يمرق ــ والعياذ بالله ــ متخليا عن « الأصول » .

فأما المحافظة ــ فى الشيخ رحمه الله ــ فكانت على تجديد لا يريب .

وهل كان الصعود إلى الكواكب تخليا عن قواعد الطبيعة ..؟!

ألم يكن انطلاقا منها ومحافظة عليها ..؟ ولكن ... على أيدى علماء راسخى العلم يعلمون مَأْتَى القديم ، وفيض عطائه .

.. .. ..

ثم تأتى ــ من بعد ــ صفات أُخَرُ للشيخ ــ رحمه الله ــ تتسق إلى جانب إسلامه وأزهريته ... صفات العالم المسلم ...

لمسناها فى الشيخ : رفعة فى غير كبر ، ومروءة فى غير ملق ، وصبر فى غير أذى ، وَدَرم على طبع يشح بعزة المؤمن أن تذل لغير الله ، فلم يسهم فى ريبة ، أو يداهن فى معصية .

ولسنا نعلم أنه طرق بابا لمن يرأسه إلا مطلوبا ، فان لم يكن فقد استقر بمقام عزيز ــ رحمه الله ــ .

ثم كان ــ رحمه الله ــ ساخرا بطبعه ، يسعفه « التعليق الخاطف » الذى اشتهر به ، وكان تعليقا يصاغ تلقائيا فى (تَوْرِيَةٍ) أو عاريا منها ، وكثيرا ما كانت لاذعة قد تنتزع منا الضحك فى غير احتشام حين تفجؤنا فلا نملك حيالها استمساكا بينما هو ــ على ما هو عليه ــ من سمت ووقار ، وما كان يزيد إعجابه بالشىء عن قوله : الله ... الله .

.. .. ..

وكان له ــ رحمه الله ــ صفة تندر فى غيره ، وما وجدتها فيمن عاصرت إلا فيه .. كانت « المفاجأة » وما يلزمها من « دهشة » وما تطلق من « حيرة » وتقبض من « فكر » لا تكاد تمر به ، ولم أدرك تحليلا لهذه الظاهرة الا بعد سنين عديدة من صحبته .

ربما وقع الحدث فأثر فى الملايين ، وفاجأهم على غرة فأعقب سعادة أو مرارة ، بينما شيخنا ــ رحمه الله ــ ثابت لا يتوقع غير ما حدث ، ولست أشك فى أن «الايمان بما له من البصيرة» يحلل هذه الظاهرة فى شيخنا ــ رحمه الله ــ .

كان حسابه لمقدمات الأحداث جامعا .

والمامه بما يحيط بها شاملا .

وتفريقه بين واقعها وما يطلق حولها دقيقا .

ثم إيمانه باضطراد سنن الله الكونية موجودا .

فمن أين تأتى المفاجأة ، أو تَصَّاعد دهشتها على وجهه ، أو تلزمه الحيرة وعجز الفكر .

انما تكون المفاجأة أو لا تكون بمقدار ما فى النفس من حساب وإلمام وتفريق وإيمان .

فمن ثقلت موازينه منها خفت مفاجأته أو عدمت .

ومن خفت موازينه منها ثقلت مفاجأته أو أذهلت .

واذا لم تكن مفاجأة ، ولا دهشة ، ولم تكن حيرة وانقباض فكر ، فانما لدى الشيخ ــ رحمه الله ــ بشر مقدم ، أو حزن مسبق نتيجة حساباته ــ رحمة الله عليه .

ولكن الحق يقال : إن حسابات الشيخ

ــ على اضطرادها ــ ادركها الخطــأ مرتين أو ثلاثة فيما أعلم ، ولقد رأيته وســمعته عــلى أسى ــ بآخرة من حياته ــ من نقده الامــامَ الأكبرَ الشيخ عبد الرحمن تاج ــ رحمه الله ورحم شيخنا ــ ، ولعل فضيلة الشــيخ تــاج نزه من الشــيخ حينها منزلة الامام الأكبــر الشيخ مأمون الشناوى الذى كان له ــ رحمه اللــه ــ فى قلب شــيخنا منزلة كريمــة لعمله الصــامت الجليل من أجــل الأزهر وعــامة المسلمين •

وربما كان الأسى قد لازم شيخنا أيضــا من عمل بعض تلاميذه ، ويرحم الله الجميــع • وحسب الشيخ أن تطيح حساباته فى أحداث معدودة ، فما كان ــ وهو على هــذا الخلق ــ ليمر سليما معافى من بين فرث المجتمع وعمله والله ولى الصابرين •

وللشيخ ــ رحمه الله عطاءه العلمى :

وقــد أعطى العلم من حَضَرَهُ ، أو شــاركه من عالم أو تلميذ ، وتلاميذه من جلس بين يديه من أبناء الأزهر على اختلاف جنسياتهم ، أو من غيرهم ممن لجأ إليه مستفتيا فى مسجد أو طريق أو سعى الى منزله ، أو صــحيفة رأى الشيخ وقتها أنها مســتقلة النهج عــلى غــير انتمــاء •

كُلَّ ذلك أعطى لوجه الله ، وبمشيئته وحده، فما تناول أجرا ، ولا ألمح بمشــقة تســتمطر أجرا •• عف منه الضمير والكيان فكان الغرس طيبا والعطاء مثمرا •

حضره مرة شهر رمضان ببلــدته ، والتقى ثمة بكوكبة من إخــوانه العلمــاء ، ففطن الى ما يحلو ــ فى رمضان ــ من ســهر وســمر ، وخشى أن يمر الشهر المبارك على ذلك، فاقترح

عليهم أن يقرءوا كل أمسية جزءًا من تفســير الامام النسفى ــ رضى الله عنه ــ فما انقضى رمضان حتى أتم العلماء قراءة هذا الســفر الجليل •

كان مجلســه يكثر ــ اذ يكثر صــباحا ــ بمكتبة كلية الشريعة قبل الدرس أو بعــده ، ومساء بمنزله بالقلعة ، ثم بمصر الجــديدة ، وهو مجلس لا يخــلو من عالم أو طالب علم ، فَإِذَا تُلِىَ كتابٌ أو فصل من كتاب دار حــول القارىء منــا عــديد من كتب تلاحــق النص المقروء حتى تنتهى القراءة ، وما فيها شىء ند عن ذهن أو ثقل على إدراك •

فاذا أشرفت السنة عــلى النهــاية ، وآذن الوقت باختبــار « التعيين » وهــو اختبــار لا تتعدى مادته أسطرا معدودة تحوى نصــا لأحد المراجع الأمهات ، يدور فيــه وحــوله اختبار شفهى يتنــاوله من كل جوانبــه التى تخطر على البال ••• أختبار كالحــديث ••• والحديث ذو شــجون عــلى الطالب أن يكون مستعدا فيه لكل ما لــه حســاب ••• وما لا حساب له ••• عندئذ يستعد الشيخ ــ رحمه الله ــ فيلزم منزله ، ويمنح أهله اجازة مبكرة يقضونها بين ذويهم ، أو فى الاســـكندرية ، وكانت له حينئذ عبارة ضاحكة ، اذ يقول ــ عن نفسه : لقد نلت استقلالا ذاتيا •

ويتوافــد الطلبــة إلى داره ، وعليهم أن مدوا أنفسهم فى وحــدات : بعضــها يلتزم

الشيخ مصطفى مجاهد عبد الرحمن العشرى

بإعداد الطعام وادارة شئونه على نفقة الشيخ، والبعض يقرأ ويسمع شرح الشيخ واعتراضاته واجاباته ••• والبعض عليه أن يصحب من حان وقت اختباره الى الكلية على مرح ، وهذا شرط الشيخ ، حتى تكون نفسية الطالب على خير حالها توكلا على المولى — عز وجل — وغبطة بالأمل فيه •

ويظل المنزل على ذلك من الصباح الباكر الى وقت متأخرْ من المساء •

وقد يلم به المرض فيستمر فى العطاء ، بل يرى فيه الشفاء ، وأجره — فى ذلك كله — على المولى — عز وجل •

والكتاب عنده — على قيمة مختارة نتيجةَ فحص وخبرة ينتهيان ببيان لما تميز به الكتاب، ولست أذكر عنه حكما عاما على مرجع حتى ما اشتهر منه على ألسنة الناس ، ومن هنا انتفعنا منه بالاهتمام بتفسير الامام الخازن — رضى الله عنه — ولم ننزع الى تركه ، أو الغض منه — حاشا لله ، فان فيه معالم نفيسة لا ندركها — وبخاصة فى عصرنا الحديث — اذا ذهبنا نلتمسها فى غيره •

وأثمر تحذيره لنا ممن يغلو فى الحكم على الحديث الشريف ، فكان يقول : فلان — وهو من علماء القرن الثالث عشر يمسك بموسى لحديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك يعنى ألا نعتبر مرجعه الضخم قولا فصلا فى الحكم على حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، أو آثار الصدر الأول من سلفنا الصالح — رضوان الله عليهم أجمعين •

وقد دفعته مادة كتاب نادرة فى تاريخ الحرمين ، وما اتصل بهما فى مطلع هذا القرن الى نَسْخِهِ وقد وفق الله وَنُسِخَ له •

وكذلك حرص — رحمه الله — على أن يحوز تفسير القرطبى من طبعة دار الكتب المصرية ، واستطاع — بتوفيق من الله — أن يحوز الكتاب عدا الجزء الثالث عشر منه ، فطلب الى تلاميذه :

الأستاذ الشيخ محمد النادى البدرى ، والشيخ سعيد أحمد ادريس ، « وثالث » أن ينسخوا له صورة « طبق الأصل » من الطبعة النافدة : سطورا بداية ونهاية ، وأرقاما ، وحواشى مع الدقة وسلامة الخط وحسنه ، وأنجز الاخوة العمل ••• ثم ظهرت النسخة المطبوعة مرة أخرى فاشتراها ، وعبثا حاول الأخوة أن يستردوا الجزء الذى نسخوه ، فقد كان استمساكه به أقوى ، وحرصه عليه أوفر لما فيه من رمز جليل لوفاء نبيل •

ويتمثل عطاؤه العلمى — من بعد تلاميذه — فيما كتبه فى السبعينيات والثمانينيات الهجرية — فى الاعتصام بأبواب ثابتة ، وأخرى تناولت شئونا مختلفة •

ومقالاته — ذات الشئون المختلفة — أسبق فى تحريرها من ذات الأبواب الثابتة ، إذ بدأ كتابتها فى رمضان من عام ١٣٧٢ هـ — مايو ١٩٥٣ •

وعنى فى كتاباته الأولى بالدولة والشورى ، ومنها جمع كتابه « من سجل الخالدين » الذى حظى بتقدير رجال الحكم ، وتلقى عنه كتاب

شكر وتقدير من « الصاغ أركان حرب كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة » فى ١٩٥٣/٩/٦ م • ونشر نصه بعدد الاعتصام غرة ربيع الآخر ١٣٧٣ ـ ديسمبر ١٩٥٣ •

وفى هذا اللـــون كتب عن « الوالدين » ـ « رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » وكانت كلمة طيبة حارة ذات رصيد مفعم بالحب والاجلال فقد كانت تأبينا لوالدته ـ رحمها الله •

والأبواب الثابتة التى تناول الكتابة خلالها ثلاثة :

« من فم الوحى » ومقالاته ـ فى هذا الباب ـ شرح لأحاديث نبوية شريفة بدأها بقوله ـ عليه الصلاة والسلام :«أربع من كن فيه كان منافقا خالصا»• الحديث ، وعَنْوَنَ له بـ « علامة المنافق » ونشر بغرة ربيع الآخر ١٣٧٣ هـ ـ ديسمبر ١٩٥٣ •

و « دروس من السماء » وأخلص مادته فيه لتفسير آيات من الكتاب العزيز بدأها بقولـــه تعالى : (**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ••**) الآية ونشرها فى ذى الحجة من عام ١٣٧٣ هـ أغسطس ١٩٥٤ م •

و « لمحات إسلامية » بدأها فى ربيع الأول من عام ١٣٧٤ هـ ـ نوفمبر ١٩٥٤ وافتتحهـا بمقاله : « المؤتمر الإسلامى والأزهر » •

وفى عام ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م أصدر كتابه « فى الفقه المقارن » وأهداه : إلى كل مخلص أمين من أهل العلم •

وإلى أرواح الأئمة المجتهدين الذين حملوا فقه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم •• ثم إلى أرواح من مضى من علماء المسلمين •• فوالده •• فإخوانه المخلصين •

وعرض فى هذا الكتاب لتسعة مباحث فقهية

ذكر منهجه إزاءها فى مقدمته : فقال : « هذه بحوث فقهية تحريت فيها صحة النقل عن الأئمة المجتهدين ، والتزمت فيها بما أيـــده الدليل الواضح ونصرته الحجة الدامغة » •

وفى ضوء هذا المنهج تناول المسائل الآتية :

(أ) انتفاع المرتهن بالمرهون •

(ب) من تثبت له الشفعة •

(ج) النكاح بعبارة النساء •

(د) إجبار البكر البالغة على التزوج •

(هـ) حكم الاشهار فى النكاح •

(و) الشرط فى عقد النكاح •

(ز) نكاح المتعة •

(ح) نكاح المحلل •

(ط) نكاح أصول المزنى بها وفروعها •

ويعتبر هذا السفر عمدة فى البحوث الحديثة التى تناولت المسائل الفقهية بدراسة مقارنة بين المذاهب ، ومرجعا فريدا لطلاب الدراسات العليا فى بابه •

ومع أن الشيخ ـ رحمه الله ـ أحد أساطين « الفقه المقارن » فى العصر الحديث ، وأول من تولى رياسة قِسْمِهِ ـ بكلية الشريعـة إلا أنه نفض يديه من « التقريب » بين أهل السنة وغيرهم •

ثم ما كان يغيب عنه تيار الفكر فى قومه •

أقرأنى ـ على أيام ـ «فن الأدب» لكاتب مسرحى ، ذكر فى أوائل فصوله أنه يعـــالج قضاياه على أساس أنه «شرقى مسلم» ولعل

الشيخ أعجب ببعض الكتاب ، وربما مات راجيا أن يستمر هذا الأديب على الصالح من مادته حين كان من الممكن أن تحاور « النية الحسنة » فتكون دفاعا عن هذا الأديب فى بعض قوله قبل أن تهب عليه رياح «الماسونية» فتمتزج — فى شغف — برغبته فى أن يكون فيلسوفا فينتهى الى معادلة عقيمة وفكر سقيم.

ونهجه — رحمه الله — فى تحليل الشخصيات عين نهجه فى تقييم الكتاب ، فكان للشخصية عنده جوانب عدة ، لكل جانب منها حُكْمُهُ .

وهذا شىء مما علق بذهنى من عباراته :

أحمد حسن الزيات ثروة قومية .

د/ محمد البهى عبقرية فَذَّة فى «العقيدة».

د/ طه حسين على وفاء لشيخه عبد المعطى

الشرشيمى يزوره فى « القبة الفداوية » ويقبل يــده .

ابن حزم — رضى الله عنه — أديب أكثر منه فقيــه .

وصداقته — رحمه الله — وفاء بلا حدود ، يمليها طابع نقى واقتناع وافر :

ويعتبر الدكتور محمود حُبّ الله — رحمه الله — أعز الناس على نفسه ، وأقربهم الى قلبه .. تحابا فى الله..اجتمعا عليه..وافترقا عليه.. جمع بينهما — بعد الايمان بالله والوفاء لدينه — إحساس عريض بأوضاع المسلمين فى أنحاء العالم ، والإسهام — قدر الطاقة — فى خدمتهم .

ولقد كان « مجمع البحوث الاسلامية » — بحكم قانون انشائه ، وطابعه — ميدانا طيبا لهذا الاسهام ، فهو الامتداد الطبيعى لهيئة كبار العلماء ، وهو الذى نِيطَ به بحث أمور المسلمين وأحوالهم وما يطرأ على مجتمعاتهم فى العصر الحديث ، وكان الدكتور محمود حب الله أول « أمين عام » لهذا المجمع ، فوقف الشيخ إلى جوار زميله وصديقه جنديا مجهولا فى تكوين هذا المجتمع ، وترك به آثارا راسخة — إلى يومنا هذا — إعدادًا وتكوينا وتوجيها :

فأغلب الجهاز العامل بهذا المجمع — عند انشائه — كان من اختيار الشيخ ، فتكونت أروقته بطاقات ممتازة رباها الشيخ ومرّسها ، فقامت بالعمل دون أن تنوء بمشقته ، وتسامت به فوق واجبه ، فأعطت — بإحسان — شرف به هذا المجمع . والشيخ — من وراء ذلك كله — يوجه لهؤلاء الأبناء النصيحة حتى صار الإحساس بالإحسان شعورا طبيعيا فى نفوس الزملاء فبذلوا عن رضا ، وأعطوا بسخاء .

ولم يكن رفضه للعمل خارج مصر — من قبل ذلك — ليمر دون أسف صادق ، واحتجاج شديد أمين عليه لهذا الرفض من أخلص أصدقائه المقربين إليه ، وفى مقدمتهم الدكتور محمود حب الله — رحمه الله ..

وشاء الله أن يقبل فضيلة الدكتور أمين المصرى الذى أوفدته جامعة «أم القرى» لكل شروط الشيخ ..

فذهب ..

ذهب ليساعد فى إنشاء قسم الدراسات العليا بأم القرى (٢) .

وأقام عاما بالجوار المبارك .. ثم زار القاهرة والإسكندرية صيفا .. وفى العام التالى (٣) أصر على النزول بالمدينة المنورة فى الإجازة الصيفية .. فمضى اليها .. ومضى القضاء إليه فيها ..

وتلقى كل منا رسالة بعث بها اليه .. كانت الأخيرة .. ثم اشتد به المرض ..

وفى جوار المصطفى الأمين — صلى الله عليه وسلم — أسلم الشيخ مصطفى وديعة خالقه — عز وجل — ولحق بالرفيق الأعلى فجر الخميس ٢٨ من ربيع الآخر ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠/٧/٢ وثوى جسمانه بالبقيع ..

وربما سرى الخبر الى القاهرة متهاديا .. لكن استقباله كان عاصفا ..

كان احساسا بالكنز المفقود فى هذا الفقيه النادر ، والانسان العظيم .

(٢) سافر للعمل بهذه الجامعة — بمكة المكرمة فى ٢٦ أكتوبر ١٩٦٨ م واستمر حتى وفاته رحمه الله

(٣) كان سفره الى مكة فى هذا العام فى ١١ من سبتمبر ١٩٦٩ .

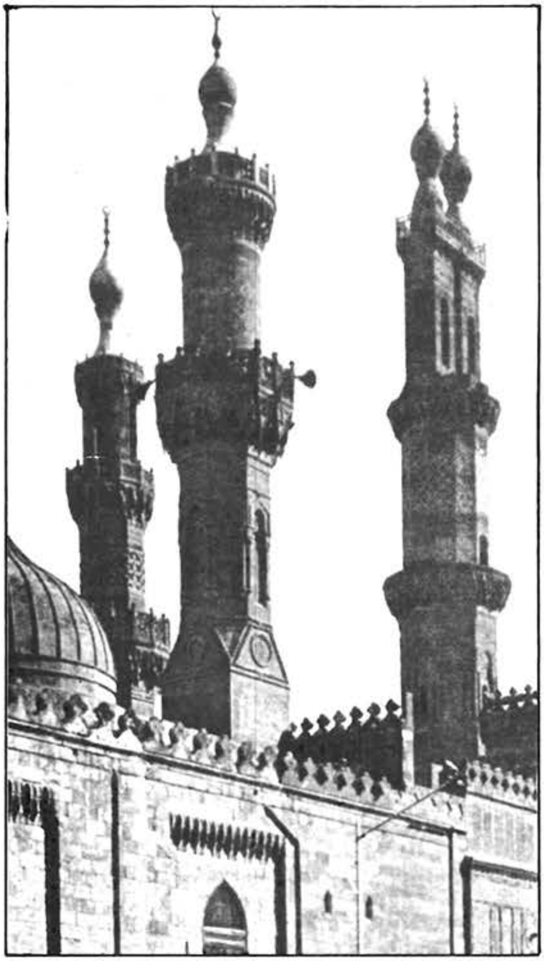

ثم مضى الشيخ — قبل أن يتقاعد (١) — الى الحجاز — اقتنع بالذهاب لأمر قدره الله .. كانت الخاتمة بانتظاره ..

(١) أحيل الى التقاعد — رحمه الله — فى ٥ — ١ — ١٩٧٠ عن خمس وستين سنة عملها فى الازهر الشريف .

من أعلام الأزهر

رحم الله شيخنا .. وأجزل مثوبته .. وجزاه عنا وعن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

وكان لفقده أثره فى نفس الشيخ محمد توفيق النحاس مراقب البحوث والثقافة الاسلامية بالأزهر ، فقال ــ رحمه الله :

حَالَفَتْكَ الْمُنَى فَآوَتْكَ طِيبَهْ ... وانتهى الشوطُ فى البلاد الحبيبهْ
وَجَرَى الشوقُ بِالمُحِبِّينَ حَتَّى ... جَاوَرَ الْوَافِدُ الْمُحِبُّ حَبِيبَهْ
مصطفى : قد دَعَاكَ لِلْقُرْبِ مِنْهُ ... مصطفًى مجتبى فكنت مُجِيبَهْ
وَعَبَرْتَ الدنيا مُجَاهِدَ صِدْقٍ ... لتكون الْعُقْبَى مُهَاجَرَ طيبهْ
كُلُّ قلبٍ بَكَاكَ يَغْبِطُ مَثْوَا ... كَ ، وَإِنْ مَدَّ فِى نَوَاكَ نَحِيبَهْ
صِرْتَ فِى جنة النعيم وَصَيَّرْ ... تَ قلوبًا تَصْلَى عذابَ المصيبهْ
الحجاز الذى يُنَقِّبُ عن كَنْـ ... ـزِ الْمُنَى كنت حَظَّهُ ونصيبَهْ
فَرَأَى فِيكَ مَا رَأَى فى رَعِيـ ... ـلِ السلف الثَّبْتِ مِنْ صَفَاءِ النَّقِيبَهْ
تَنَقُّلُ الْأَزْهَرَ الشَّرِيفَ إِلَى مَنْ ... يَتَلَقَّاه بالصدورِ الرحيبهْ
تنقل الْعِلْمَ وهو دَيْنٌ تؤديـ ... ـهِ فَتُحْيِى حَكِيمَهُ وَأَرِيبَهْ
المعانى البعيدة الْغَوْصِ طَاعَتْ ... لك فَوْرًا إِلَى مَعَانٍ قريبَهْ
واذا الْمُعْضِلَاتُ لَمْ تَلْقَ حَلًّا ... فَاضَ مِنْ عِلْمِكَ الْحلولُ العجيبهْ
واذا شَكَا مِنَ الرَّيْبِ شاكٍ ... كُنْتَ هَيْنًا حَكِيمَهُ وَطَبِيبَهْ
فى « دروس من السماءِ » يُطَوِّعْـ ... ـنَ شَبَابَ الجيلِ الْعَصِىَّ وَشِيبَهْ
واذا الباطِلُ اسْتَفَزَّ غرورًا ... كنتَ لِلْحَقِّ دِرْعَهُ وَرَقِيبَهْ
دائب الدَّرْسِ رَاضِىَ النَّفْسِ مهما ... سَاوَرَتْكَ المعوقاتُ العصيبهْ
كنت فى مِصرَ للشريعةِ نَجْمًا ... سَارَ حتى كان الحجازُ مَغِيبَهْ

د . ع . خ

- رؤية الهلال
- الصيام وشريعة الإسلام

التشريع

- الصيام والقيام
- ليست التخمة من هدى الإسلام

رؤية الهلال

روى أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصارى قالا : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة ٠

هنا نزل قوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ »(١)

فالتساؤل وقع عن حقيقة فلكية تتعلق بالقمر ، فجاء الجواب على أسلوب الحكيم بأن أرشدهم الى حكمة ذلك ، وهى أن الأهلة معالم يعرف الناس بها معاملاتهم وفرائض دينهم فى التوقيت ٠ ؟

وقد ارتبطت بالهلال أركان الدين الأساسية فالحج أشهر معلومات هى شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة ، والصيام فى شهر رمضان ، والزكاة تجب بانقضاء الحول ، كما ارتبطت بالهلال الأشهر الحرم التى جعلها الله دينا قيما وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ٠٠ قال الله سبحانه :

« إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ » (٢) وتعلقت بالهلال أحكام فقهية كثيرة مثل عدة النساء فى الطلاق والوفاة ، تلك الفترة الزمنية التى يتحتم أن تقضيها المرأة قبل الاقتران بزوج آخر ٠٠ قال الله جل شأنه : **« واللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ »** (٣) ، وقال عز اسمه : **« وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا »** (٤) ٠

وهكذا كان للهلال ارتباط وثيق بحياة المسلمين ، ولذا فمن السنة أن يقول المسلم عند رؤية الهلال :

الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ، ربى وربك الله ٠

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٩

(٢) التوبة آية ٣٦

(٣) سورة الطلاق آية ٤

(٤) سورة البقرة آية ٢٣٤

دكتور محمد سيد أحمد المسير

والشهر القمرى لا يزيد عن ثلاثين ليلة ولا ينقص عن تسع وعشرين ، وفى الصحيح أن ابن عمر رضى الله عنهما حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، والشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الابهام فى الثالثة ، والشهر هكذا وهكذا وهكذا يعنى تمام الثلاثين .

ومعنى « هكذا » الاشارة بأصابعه العشرة.

والمقصود بقوله « انا أمة أمية » أن العرب فى ذلك الوقت لم يكن لهم كبير عناية بالعلوم والمعارف .

وذات يوم أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يدخل على أزواجه شهرا ، قالت عائشة رضى الله عنها — لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يار سول الله انك أقسمت ألا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال : ان الشهر تسع وعشرون » .

أى أن هذا الشهر الذى وقعت فيه تلك الحادثة كان تسعا وعشرين ليلة .

وعلى هذا فان المسلمين مطالبون شرعا باستطلاع الهلال عقب تسع وعشرين ليلة من كل شهر قمرى فان شهدوا الهلال كان ذلك بدءا للشهر التالى والا أتموا الشهر الذى هم فيه ثلاثين يوما .

وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان أغمى عليكم فاقدروا له » .

ومعنى « أغمى » أو « غم » أو « عمى » أو « غمى » كما فى روايات أخرى — أى حال بينكم وبين رؤيته غيم .

وقد اختلف العلماء فى معنى فاقدروا له » :

فقالت طائفة من العلماء معناه ضيقوا له وقدروه تحت السحاب ، وممن قال بهذا أحمد بن حنبل وغيره ممن يجوز صوم يوم ليلة الغيم عن رمضان .

وقال جماعة منهم ابن قتيبة معناه قدروه بحساب المنازل والفلك .

وذهب مالك وأبو حنيفة والشافعى وجمهور السلف والخلف الى أن معناه قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما ، واحتج الجمهور بالروايات الأخرى الصحيحة التى تقول « فأكملوا العدة ثلاثين » .

وليكن معلوما أن هذا الاختلاف كله انما هو فى ليلة الغيم والسحب ، أما حيث يكون الجو مكشوفا وصحوا ثم لم ير الهلال فيجب اكمال العدة ثلاثين يوما .

بقيت قضية مثارة وهى هل لكل بلد رؤيته أو أنه اذا ثبت الهلال فى بلد ثبت حكمه لما بعد من البلاد ؟ !

رؤية الهلال

وليس فى القضية نص صريح ، وكل ما ورد فى الصحيح أن أم الفضل بنت الحارث بعثت كريبا الى معاوية بالشام قال : فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل على رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة فى آخر الشهر ، فسألنى عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما ، ثم ذكر الهلال فقال : متى رأيتم الهلال ؟

فقلت : رأيناه ليلة الجمعة .

فقال : أنت رأيته ؟

فقلت : نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية .

فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه .

فقلت : أولا نكتفى برؤية معاوية وصيامه ؟

فقال : لا ، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

فلعل ابن عباس لم يعمل بخبر كريب ، لأنه شهادة فلا تثبت بواحد .

ثم ان سبل الاتصال لم تكن ميسورة حتى يمكن ابلاغ الخبر فى حينه .

وخلاصة الموضوع أن القضية مرتبطة بثبوت رؤية الهلال وبلوغ الخبر على جهة التصديق الى المكلفين سواء اتفقت المطالع أو اختلفت واشتركوا فى جزء من الليل .. فهذا أدعى للتآلف والوحدة .

دكتور

محمد سيد أحمد المسير

الصيام في شريعة الإسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

الصوم فطرة مألوفة وعادة معروفة يلجأ اليه كل كائن حى فترة أو فترات من الزمان حتى أننا نجد بعض الحيوانات كالجمال والثعابين وأنواع من الضب تصوم فترة من الزمان ، وهو عبادة قديمة جاءت بها الأديان السابقة فلقد كان المصريون القدماء يصومون وانتقل منهم الصوم الى اليونان والرومان .

وتوراة اليهود تفرض الصوم فى (يوم الكبور) ويسمونه بيوم الغفران كما يسمى بعاشوراء اليهود ويقع فى العاشر من شهر تشرى وماعدا هذا اليوم فهو نفل لاحرج لمن قام منهم بالصيام فيه ويحدثنا مفسرو القرآن الكريم أن موسى عليه السلام صام أربعين يوما أنزل الله عليه التوراة بعدها وكلمه عند انتهائها وذلك فى تفسير قوله تعالى (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) سورة الاعراف ١٤٢ والأمر كذلك فى أناجيل النصارى (١) .

الصوم فى الاسلام تكليف تعبدى :

يتميز الصوم بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين سائر الأركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم (كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به) (٢) .

فهو تكليف الهى صادر عن الله الذى له بمقتضى ربوبيته وألوهيته أن يكلف عباده بما شاء من التكاليف وأن يرسم لهم مايريد من مراسم العبادة ودلائل الخضوع والعبودية .

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

(١) الاصحاح الرابع من أنجيل لوقا عددا .
(٢) اخرجه أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث أبى هريرة .

الصيام
فى شريعة الإسلام

(الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) سورة البقرة ١٨٣ •

فهو فرض على كل مسلم بالغ عاقل مقيم مالم يكن مأمورا بالفطر كالحائض والنفساء أو مرخصا له به كالمريض والمسافر •

عن على كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (رفع القلم عن ثلاثة ، عن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم) (١) •

كيف يكون الصيام :

يكون ذلك بالامساك عن الطعام والشراب والأفعال الجنسية من طلوع الفجر الى غروب الشمس ايمانا واحتسابا لله سبحانه قال تعالى (**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**) سورة البقرة ١٨٧ •

اليسر فى الصوم الاسلامى :

جرى الاسلام فى تشريعه للصوم على منهجه فيما كلف به العباد بما لايشق عليهم ولايعنتهم تطبيقا لقوله تعالى (**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**) سورة البقرة ١٨٥ (**هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**) سورة الحج ٧٨ لذلك فهو يجعل المسلمين أمام الصوم أقساما ثلاثة •

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى •

القسم الاول : المقيمون الأصحاء القادرون على الصوم بلا ضرر يلحقهم ولا مشقة تصيبهم وهؤلاء يجب عليهم أن يصوموا شهر رمضان كله ومن انتهك حرمته بالافطار فيه فقد استوجب غضب الله وباء بسخطه عليه •

القسم الثانى : المرضى والمسافرون وهؤلاء يباح لهم الافطار وعليهم قضاء ما أفطروا فى أيام أخر قال تعالى : (**فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**) سورة البقرة ١٨٤ ، ويلحق بهذه الطائفة الحامل والمرضع والحائض والنفساء فعليهن القضاء بعد زوال عارض الحمل والارضاع والحيض والنفاس

وقد قضت شريعة الاسلام بذلك لأن شأن المرض والسفر التعريض للمشقة ، وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان الله وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن المسافر والحبلى والمرضع الصوم أو الصيام (٢) •

وعن عائشة أم المؤمنين قالت كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة (٣) •

القسم الثالث : وهم من يشق عليهم الصوم ويجهدهم جهدا شديدا لسبب من الأسباب التى لايرجى زوالها كالشيخوخة والمرض المزمن وما شابه ذلك فهؤلاء أباح الله لهم أن يفطروا وكلفوا بالاطعام بدلا من الصوم يقول تعالى (**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ**

(٢) رواه أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجه واللفظ له •
(٣) رواه البخارى ومسلم •

مِسْكِينٍ) ســــورة البقرة ١٨٤ أى يتحملونه بمشقة وجهد .

فقد روى عن ابن عباس أن الآية الكريمــة المشار اليها خاصة بالشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لايستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كــل يوم مسكينا (١) .

وهناك من العلماء من قال : لا فدية عليــه لأنه لا يطيق الصــوم لكبره والله تعالى يقول (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) سورة البقرة ٢٨٦ — واذا — فهو غير مكلف أن يصوم وبناء عليه لاتلزمه فدية طعام مسكين عن كل يــوم يفطره (٢) .

مراتب الصوم : للصوم فى الاسلام مراتب ثــلاث :

المرتبة الأولى : صوم العموم ويتحقق ذلك بالامساك عن الطعام والشراب والشهوة وهذا هو الصوم الظاهر الذى عليه أكثر المسلمين ويظنون أنهم أدوا به ماوجب عليهم .

المرتبة الثانية : صوم الخصوص وهــو الامساك عما ورد فى المرتبة الأولى مضــموم اليها صوم الجوارح عن ارتكاب الآثام مــن عدوان وفساد ومشى الى مايغضــب الله والامساك عن قول المنكر والزور واللغو والكذب والهذيان والغيبه والنميمة أو الاســتماع الى الأكاذيب أو النظر الى الحرمات والتطلع الى الأسرار يقول رسول الله صلى الله عليــه وسلم (من لم يدع قول الزور والعمل بــه

(١) رواه البخارى وهذا مذهب الجمهور .

(٢) من القائلين بذلك الامام مالك والامــام الشافعى فى أحد قوليه وأبو ثور وداود وابن حزم .

(٣) رواه البخارى وأحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه .

فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه)(٣).

ويقول عليه الصلاة والسلام (الصيام جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ، ولا يجهل فان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صــائم انى صائم) (٤) .

المرتبة الثالثة : صوم خصوص الخصوص : وفيه كل ما تقدم فى المرتبــة الأولى والثــانية مضموم اليهمــا صوم القلوب وتطهــيرها عن كل مالا يناسب الايمان ولا يلائم الاخــلاص ومنه ترك التفكــير فى الخطــايا وتدبير الفتن والتوجه الى غير الله وصرف الهمم فى دنيات الأمور والبراءة من الحسد والحقد والتهاون فى اقامة الحدود ورد المظالم والعبث بأمــور دولة الاسلام أو بمصالح المسلمين .

من حكم فرضية الصيام فى الاسلام :

لم يكن جانب الحرمان من الطعام والشراب هو الهدف الذى قصد اليه الشارع الاسلامى بافتراض الصوم على المسلمين ، ولكنه قصد الى أهداف أخرى تتحقق بالصيام وهى غرس خلق المراقبة وخلــق الصــبر فى نفوس المســلمين وبهما تصدق النية وتقــوى العزيمة فيثبتون لحوادث الدهر ، وما يعترضهم من عقبات فى الحياة من نوازع الشهوة والهوى ودوافع الغيرة والغضب والانتقام والتقــلب بين السراء والضراء والنزوح عن الأوطــان ومفارقة الأهل والأحباب ، وقد يتحتم الجهاد فى سبيل الله والدفاع أو الحرب فى ســبيل الذود عن البلاد والأوطان .

فما أحوج المسلمين الى أن يتذرعوا بخلق

(٤) رواه البخارى فى الادب والحــاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الايمان .

الصيام
فى شريعة الإسلام

الصبر ليثبتوا أمام المحن ويصمدوا أمام الأحداث ، وما أكثرها فى زماننا المعاصر وما أحوجهم الى أن يتسلحوا بسلاح المراقبة والاستعانة بالله والرجوع اليه والاعتماد عليه ومن يتتبع تاريخ المعارك الحاسمة فى الاسلام والتى انتصر فيها المسلمون على أعدائهم يجدها حدثت فى رمضان مثال ذلك غزوة بدر الكبرى وفتح مكة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد ومعركة عين جالوت بقيادة حاكم مصر السلطان قطز ضد جيوش التتار .

ولذلك فرض الله صوم رمضان ليغرس بصومه المتتابع ملكة الصبر والمراقبة ، ثم جعله فى كل عام ليتكرر الدرس على المسلمين وينمو الغرس بينهم مما يقتضى على الصائم أن يتذرع بالصبر ويتسلح بالمراقبة فلا يسرف فيما كان محظورا عليه بصومه حتى لاينطفىء عليه مصباح الاشراق القلبى الذى أحسه فى نهاره ولا ينقطع عنه التتابع الروحى الذى ألم به فى أوقات صيامه (١) .

بهذا تتحقق حكمة الله فى التعبد بالصوم فيه تزكو القلوب وتصفو النفوس وتتهذب الأرواح فيعيش المسلمون وهم منابع للخير فى أوطانهم عيشة راضية سداها المحبة والوئام فيما بينهم ولحمتها التعاون والسلام بينهم وبين سائر الناس وبهذا يتم اقترابهم من الملأ الأعلى فيسعدون وتسعد البشرية بسعادتهم وليس أدل على أهمية صوم رمضان وقدسية ذلك على المسلمين من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أفطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صوم الدهر وان صامه (٢) .

هل هناك فوائد صحية من عبادة الصيام :

يقول الدكتور محمود أحمد نجيب أستاذ الجراحة بكلية طب جامعة عين شمس فى أبحاثه (ان فى الصيام استعادة للقوى ونماء للصحة وتجديدا للخلايا المرهقة طبقا لما يلى :

أولا ـ فى الصيام يقل حجم الدم نظرا لفقد السوائل فى العرق والتبخر من سطح الجسم والبول وذلك دون تعويض هذه السوائل بسبب الصيام ، وقلة حجم الدم ينتج عنها أن المجهود الذى تبذله عضلة القلب فى ضخ الدم من الأوردة الى الشرايين يكون قليلا ، وهذا من شأنه أن يعطى عضلة القلب فترة من الراحة تمتد الى مايقرب من ست عشرة ساعة ـ وعضلة القلب هذه التى تعمل ليل نهار طول العام لاتتاح لها ساعات من العمل دون اجهاد كبير الا خلال ساعات الصيام الذى يمتد على مدى ثلاثين يوما مما يتيح للعضلة المذكورة أن تجدد حيوية وقوة الألياف العضلية ، ولا يستطيع العقل أن يفكر فى وسيلة يمكن أن تحقق لعضلة القلب البناء والاصلاح والتجدد الا بصيام شهر رمضان .

ثانيا ـ الجهاز الهضمى يعمل بصفة دائمة طوال العام ، وحين يجىء شهر رمضان تتاح الفرصة للمعدة ولباقى الأمعاء أن تظل على مدى ساعات متتالية خالية تماما من أى طعام

(١) كتاب الاسلام عقيدة وشريعة للمرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت .

(٢) صحيح البخارى .

وهذا شىء فريد فى حد ذاته لأنهـا بخلو فترة من الطعام تهدأ حركاتها وافرازاتها ويمكن أن تكون هى الفرصة الملائمة التى تشفى فيها القروح أو الجروح بالأغشية المخاطيـة •

ثالثا ــ نتيجة توقف الامتصاص من الأمعاء لا يصل الى الكبد أحماض أمينية أو «جلوكوز» أو أملاح وعلى هذا فان الخلايا الكبـدية لاتستطيع أن تقوم بتكـوين مركبـات « جيليكوجين » أو « بروتينيـات » أو ــ « كوليسترول » لعدم وصول مكونات هـذه المركبات وذلك نتيجة خلو الأمعاء من أى طعام وبالتالى توقف الامتصاص ولما كان تكـوين هذه المركبات هو أهم عامل للخليـة الكبـدية فان ساعات الصيام تتيح الظـروف الملائمـة للبناء والاصلاح واعادة التكوين وكذلك يتيح الصيام الفرصة للخلايا الكبدية للتخلص ممـا قد يكون قد ترسب فى داخلها من دهنيات ذلك لأنه من الأمراض الشائعة ترسيب وتخـزين الدهنيات داخل الخلايا الكبدية وهو ما يعرف بالتآكل أو الهدم الدهنى وفى الصـيام تنخفض الدهنيات فى الدم الذى يصـل الى الكبد بسبب عدم امتصاص أى دهنيات على مدى ساعات متتالية وهذا قد يكون سـببا لخروج الدهنيات عبر جدار الخلية الكبدية •

رابعا : من الحقائق التى لاجدال فيها فى أمر الصيام أن المسلم المعافى الجسم فى فترة صومه من النادر جدا أن يصاب بأزمة صحية طارئة مثل الذبحة الصدرية أو جلطة أو نزيف المخ أو النزيف المعوى وسجلات أقسـام الاستقبال بالمستشفيات خـير دليـل على ذلك (١) •

ولنختم هذا المقال عن فوائد الصـيام **بشهادة طبيب انجليزى لا يدين بالاسلام اذ** يقول دكتور ألان كوت (ان الصوم يباعـد بين الصائم وبين العادات غير المستحبة ويقلل من البدانة ويشعره بأنه أكفأ ذهنيا وجسديا ويريح أجهزة الجسم من عناء الطعام فى غير أوقـات الصـيام ويداوى بعض الأمـراض ويخفف التوتر ويدعو الى الهدوء والطمأنينة ويساعد الجسم على مداواة نفسه بنفسـه ويجعل الصائم أهدأ نوما كما يشحذ حواسه ويقوى ارادته ويمنحه صفاء روحيا ويشعره بأنه قد أصبح أصغر سنا أو أكثر شـبابا ومتعاطفا مع الجائعين والمحرومين ويقـوى صلته بربه كما يجعله سباقا لخدمة النـاس واجابة حاجاتهم (٢) •

ويقرر دكتور بول براج أن الصـيام هو الوسيلة الفعالة لتخليص الجسم من أعبائه وسمومه وقيوده (٣) •

أما رب العالمين فيقول فى محكـم كتابه الكريم (وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) سورة البقرة ١٨٤ •

المستشـار
محمد عزت الطهطاوى

---

(١) كتاب الطب الاسلامى شفاء بالهدى القرآنى دكتور محمود أحمد نجيب أستاذ الجراحة بكلية طب جامعة عين شمس •

(٢) كتاب الصيام الغذاء الأمثل تأليف الطبيب الانجليزى دكتور الان كوت •

(٣) عن كتـاب معجزة الصيـام تأليف دكتور بول براج •

ليست التخمة من هدى الاسلام

قال ربنا جل شأنه فى كتابه العزيز « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » .

ان أمراض البطن لا تخرج عن التخمة والاسراف فى الأكل دون وعى وبغير أناة ، وهنا ندرك مدى حرص الحق تبارك وتعالى على الصحة البدنية للانسان الذى يتجلى فيه صنع الخالق وروعة اتقانه جل شأنه . ١

ويقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »(٢) .

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : اياكم والبطنة من الطعام والشراب ، فانها مفسدة للجسم ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فى الطعام والشراب ، فانه أصلح للجسد ، وأبعد من السرف ، وأن الله تعالى ليبغض الحبر السمين وأن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

وقال معاوية رضى الله عنه : البطنة تذهب بالفطنة(٣) .

وقال أبو قراط(٤) : الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع . وهنا يجلى لنا أبوقراط مخاوفه من التخمة وأنها تؤذى البدن فى كل أحوالها .

ولن نعدو الحقيقة اذا ما قلنا أن القرآن الكريم قد جمع طب الباطن كله فى عبارة جميلة(٥) رائعة بالغة الدقة والاتقان ، وهى قوله تعالى : **« وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا »**.

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

١ ـ من ملاحظات وتجارب الكاتب العملية :

٢ ـ روح المعانى للامام الالوسى البغدادى ج ٨ ص ١١٠ .

٣ ـ نهاية الارب فى فنون الادب للنويرى ج ٣ ص ٣٤٢ طبعة مصورة عن دار الكتب .

٤ ـ أبو قراط حكيم اليونان وأبو الاطباء المعروف .

٥ ـ العجائب للكرمانى . بتصرف فى العبارة فقط .

للدكتور السيد الجميلى

(ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع) (١) • صدق رسول الله •

وسئل رجل : هل أتخمت قط ؟ قال : لا • قيل : ولم ؟ قال : لأنا اذا طبخنا أنضجنا ، واذا مضغنا دققنا ، ولا نملأ المعدة ولا نخليها •

ولا تخرج بحوث الطب القديم أو المعاصر عما قرره الطب القرآنى والطب النبوى ، لأن الحق تبارك وتعالى وهو الذى جمع شتات الانسان ، وركب أسراره ، وجمع أنحاءه هو الذى أوحى لنبيه صلى الله عليه وسلم « **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى** » •

وكما أن الاسلام فى نصحه وارشاده يكره الشبع والتخمة والامتلاء فانه يكره للانسان أن يأكل كل ما اشتهاه ، لأن النفس قد تشتهى ما يضر البدن ، وفى ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت »(٢) •

ويقول الامام الغزالى ــ رحمه الله ــ يجب ألا يمد المرء يده الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع أحد ما لابد من تقديمه على الطعام ثم ينبغى أن يرفع اليد قبل الشبع ، ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب »(٣) •

١ ــ راجع صحيح البخارى فى الاحكام وبدء الخلق والاعتكاف وأبا داود فى الصوم ، والسنة والادب •
٢ ــ ابن ماجه ج ٢ ص ١١١٢ •
٣ ــ احياء علوم الدين للغزالى ج ٢ ص ٤ •

ثم يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أكثر الناس شبعا فى الدنيا ، أطولهم جوعا يوم القيامة »(٤) •

وأكثر الأمراض انما تنشأ من ادخال الطعام على الطعام ، والزيادة فى القدر الذى يحتاج اليه الانسان ، وتناول الأغذية القليلة النفع البطيئة الهضم ، والاكثار من الأغذية المختلفة التراكيب(٥) •

ولا شك أن القلب الذى يقوم بخدمة جسم يزن كيلو جراما أقل جهدا وارهاقا من نظيره الذى يخدم جسما يزن مائة كيلو جرام ، ونحن نعلم أن الناعورة(٦) التى تقوم برى خمسين فدانا أكثر جهدا وارهاقا من تلك التى تروى عشرة فدادين ولا جرم أن الأولى تصدأ ويبلى جسدها مبكرا عن زميلتها ، ومن ثم نرى فى الناس من ضخام الجسوم كسلا فى القلب وعدم الوفاء بالمطلوب من الانقباض القوى النشيط ، وهذه القلوب المكبوتة تنشط، وتقوى بنيتها بتقليل الوزن ، واذابة الشحم والدهون فى الدم لاسيما مادة الكولسترول •

ويتأثر الكبد وكذلك الكلى والبنكرياس فى جسم يربو على المائة كيلو •

وهذه الأوزان الثقيلة للجسوم المترهلة تضغط على مفاصل الجسم وتسبب أوجاعا

٤ ــ نفس المصدر السابق •
٥ ــ هذا رأى ابن القيم •
٦ ــ الناعورة : الساقية •

ليست التخمة
من هدى الإسلام

روماتيزمية مفصلية ، فكلما خف وزن الجسم كان ذلك أجمل وأعظم •

يجب أن يتحرر الغذاء الانسانى من الشحوم والدهون والنشويات الكثيرة بكميات هائلة حتى نسلم من أذى هذه المواد التى تفتك بالمعدة وتسمم الكبد بدهونها الحارة القتالة ، وأهمها تصلب الشرايين وانسداد أو ضيق مجارى الشرايين المختلفة بالجسم •

من أهم أخطار ومضاعفات التخمة والسمنة التعرض للأمراض المعدية بكثرة واطراد لضعف مقاومة الجسم ، والتهاب الحوصلة المرارية ، وحدوث حصوات المرارة ودوالى الأطراف وارتشاح عضلة القلب فضلا عن النزلات الشعبية المزمنة وفوق ذلك كله وأخطر منه « الذبحة الصدرية » •

لذلك يجب الاعتدال فى الأكل والشرب وتجنب الاسراف وتفادى الشره ــ قاتل الله الشره ــ وعدم الانسياق والانقياد الى شهوة النفس التى تجرى وراء كل ممنوع وتعزف عن كل متبوع ، والكثير من حالات ارتفاع ضغط الدم الى درجات عالية تهدد الحياة انما مرجعه الى السمنة والتخمة والافراط فى الطعام •

والاسراف فى كل أمر مضر وخيم العواقب، اذ أن الترف فى كل شىء له مصائبه ونوائبه وبلاياه ، ومن ثم نرى فى سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم شواهد على ذلك فكان لا يأكل الا أقل القليل ، ثم يرفع يده عن الطعام تاركا اياه لمشاركيه •

وكانت فى سيرته صلى الله عليه وسلم الشريفة دلائل وأمارات على طيب نفسه ، فكان يأكل مما يجد ، فان لم يجد الا ثريدا(١) أكل ، وان لم يجد الا الخل والزيت أكل ، وان أصاب لحما أكل بلا مخيلة ولا اسراف •

هذه هى النفس المطمئنة التى ارتقت وتسامت بالبشرية ، من بنى الانسان الى أقصى غايات العظمة والتكريم ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيما فى هديه ، عظيما فى سلوكه عظيما فى التلقى عن ربه ، وعظيما فى تبليغ رسالة ربه الى خلقه فكان خير من أقلته الغبراء من خلق الله ، صاحب الشفاعة فى فصل القضاء ، وصاحب المقام المحمود صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، الى يوم الدين •

اللهم نسألك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونبيك الكريم شفيعا لنا ، وأن تتقبل منا انك أنت السميع العليم •

د• السيد الجميلى

---

١ ــ وكان الثريد هو الغذاء السائد فى الجزيرة العربية آنئذ •

الصيام والقيام

للدكتور محمد محمد الشرهتاوى

يتعانق الصيام فى نهار شهر رمضان مع القيام فى لياليه .. من حيث ان كلا منهما متمم لعمل الآخر .. فالاول عبادة نهارية .. والثانى عبادة ليلية .. فكأن الليل والنهار مشغولان معا بالعبادة .. وهذا ما لا يتفق مثله فى شهر من شهور السنة العربية كلها .

والصيام عبادة سلبية لأن عمادها سكون الجوارح عما تعودت عليه طيلة السنة من تناول الوجبات الثلاث فى أوقاتها الرتيبة .. وفى رمضان يخلو النهار كله من تناول المفطرات كلها حقيقة بالكف عن الأكل والشرب والجماع .. أو حكما .. كمن أكل ناسيا أو شرب أو جامع كذلك .. فانه ممسك حكما ، صائم شرعا .. ويجب تذكير الناس لمن يشاهد افطاره .. ليكف عما يصوره بصورة المفطرين .. وفى حق الضعيف لا يحب ذلك رحمة به (حاشية الطحطاوى على الدر المختار جـ ١ : ٤٤٩) .. حتى اذا جن الليل ، وتناول الصائم افطاره .. ومرت عليه فترة استجمام واسترواح من بين المغرب والعشاء .. سن له أداء صلاة التراويح .. ثمانى ركعات .. كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلى نافلة الليل وبعدها ثلاث وتر .. أو عشرين ركعة كما ندب اليها عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ابان خلافته بعد جمع الناس على امام واحد وقال : (نعمت البدعة هذه) .

واذا عرفنا أن وقت أداء التراويح متأخر عن وقت صلاة العشاء أدركنا مدى ما فى هذا التشريع الحكيم من أهداف تيسيرية وصحية .. اذ أن الحركة الكثيرة عقيب الأكل مباشرة لا تتفق مع المفهوم الصحى المتعارف .. وقد

الصيام والقيام

شرع صيام رمضان في السنة الثانية للهجرة بعد موقعة أحد .. وبعد تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة بنحو نصف شهر في رواية الاكثر .. أو بشهر ونصف في رواية غيرهم ، ويبدأ يومه من الصبح الصادق وهو البياض الذي يعترض الأفق من جهة المشرق .. الى المغرب .. أي الى زمان غياب جرم الشمس كله .. بحيث تظهر الظلمة في جهة المشرق .. وفي البخاري عنه صلى الله عليه وسلم : (اذا أقبل الليل من هنا (وأشار الى جهة المشرق .. أي اذا وجدت الظلمة حسا في هذه الجهة) فقد أفطر الصائم) .. أي صار مفطرا في الحكم ، لأن الليل ليس طرفا في الصوم .. وقد شرعه الله تعالى لتحقيق آثار حميدة ، ومصالح شتى تتناول الروح والنفس والجسد معا .. بعد مراعاة حقوقه : الصورية بالامساك عن سائر المفطرات ، وحقوقه المعنوية .. بالكف عن الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان والأذن والفرج ، فان الصيام يضعف حركتها في محسوساتها . ولهذا قيل في الحكم : (اذا جاعت النفس شبعت الأعضاء ، واذا شبعت النفس جاعت الأعضاء) فاذا استكمل الصائم آداب صومه حسا ومعنى أورثه ذلك تقوى في القلب ، وصفاء في الروح ، وعافية في الجسد .. ولذ اختتمت آية الصيام بقوله تعالى : (لعلكم تتقون) وذلك بعد قوله عز وجل : (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) البقرة / ١٨٣ . فاذا عرف الصائمون ما أنعم الله به عليهم في صومهم من يسر وتخفيف شكروا ربهم اذ أباح لهم الافطار في كل الليل حتى مطلع الفجر .. وكان في مبدأ الاسلام اذا ناموا بعد المغرب .. أو دخل عليهم وقت العشاء الآخرة وهم في يقظة .. حرم عليهم تعاطي المفطرات .. الى الليلة القابلة فينسخ هذا الحكم بحكم أخف وأسهل ، وذلك بقوله تعالى : (**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**) البقرة ١٨٧ .. الى قوله تعالى : (**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**).

وقد ذكر المفسرون في سبب هذه الآية : (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء الآخرة .. فلما أغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة .. اني رجعت الى أهلي .. فوجدت رائحة طيبة ، فسولت لي نفسي .. فجامعت أهلي .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما كنت جديرا بذلك يا عمر .. فقام رجال .. فاعتذروا بمثله) .. فنزلت الآية .. ولا مانع من تعدد أسباب النزول لآية واحدة .. فقد ذكر في سبب نزولها حادث آخر يستدعي الرحمة والرفق وهو : أنه ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم أن بعض الصحابة سقط مغشيا عليه بسبب الصوم (١) .. فسأله صلى الله عليه وسلم .. فأخبره بأنه أهل زرع وحرث ، وأنه جاء لينظر ما تعمله له زوجته ليتعشى به .. فغلبته عينه فنام .. فلم يستيقظ الا بعد الغروب ، فلم يتناول شيئا) فنزلت هذه الآية .. هذا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

صدق الله العظيم

بالاضافة الى ألوان أخر من السماحة والتجاوز فى صيام شهر رمضان على الرغم من شدة الوصاية بصيامه ، وقوة التحذير من افطاره بقوله صلى الله عليه وسلم : **(من أفطر يوما من رمضان بغير عذر لم يقضه عنه صيام الدهر كله وان صامه)** •• رواه الترمذى فقد شرع الله تعالى رخصا بالفطر فيه للمريض الذى يعلم بتجربة أو اخبار طبيب ثقة أن الصيام يزيد فى مرضه أو يؤخر شفاءه •• وللمسافر الذى يقطع مسافة القصر فى سفره (٨٩ كيلو) برا •• أو بحرا •• أو جوا • لأن علة التخفيف مظنة الشدة •• سواء تحققت أم لم تتحقق ، ومن شأن الأسفار أيا كانت وسيلتها •• أن تعرض صاحبها للمشقة ولو نفسيا وعصبيا ، وقد ارتبطت الرخصة بمطلق السفر •• فى قوله تعالى **« فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ »** • أى اذا أفطر •• وما جاء به القرآن مطلقا ولم تقيده السنة الصحيحة •• فليس لأحد كائنا من كان أن يقيده •• أو يحدد مفهومه •• الا اذا ثبت له ذلك بنص آخر من قرآن أو سنة •• وقد أذن للكبير الفانى وللشيخه الفانية •• وكذلك للمريض مرضا لا يرجى برؤه •• أن يفطروا شهر رمضان مع وجوب فدية عن كل يوم أفطروه **(صاعا من طعام وتجزىء الكيلة المصرية من البر أو ثمنها عن أربعة أيام)** • وكذا رخص للحامل والمرضع اذا خافتا على نفسهما أو على ولدهما أو على الامرين معا الفطر مع القضاء فى غير رمضان بدون فدية على الراجح عند الحنفية •• ومثل ذلك من تقضى طبيعة عمله على مر السنة كلها عدم احتماله للصوم حيث يباح له الفطر •• وينتظر فرصة للقضاء •• فاذا ضاق عمره عن ذلك فدى عن كل يوم طعام مسكين وقيل : لا فدية عليه •

كل هذه التسهيلات والرخص فى صيام هذا الشهر المبارك تحرك قلب المؤمن وعقله بعواطف الشكر لله تعالى ، خلجات الامتنان والاعتراف بالفضل لصاحبه •• واذا كانت فريضة الصيام لا تعقب الا التقوى والشكر •• فقد تكامل الخير كله للصائم ، واستجمع البر من أطرافه ولذلك قال الله تعالى : **(فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** •• وصلاة

الصيام والقيام

التراويح سنة مؤكدة لمواظبة الخلفاء الراشدين عليها .. للرجال وللنساء .. والمراد معظم الخلفاء الراشدين لأن أبا بكر رضى الله عنه لم يفعلها ، وفى رمضان يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(ان الله تعالى فرض عليكم صيامه ، وسننت لكم قيامه .. ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)** .. وروى سعيد بن منصور من طريق عروة : أن عمر جمع الناس على أبى بن كعب فكان يصلى بالرجال ، وكان تميم الدارى يصلى بالنساء .. أى التراويح كما فى المواهب .. وأفضل أوقاتها بعد العشاء ، وقبل الوتر .. ولوفاته بعضها .. صلاة بعد الوتر .. ولو وحده .. ولا تقضى اذا فات الليل .. والجماعة فيها سنة كفاية فى الأصح .. والأفضل فى زماننا (المرجع السابق) : ٢٩٧ : أن يقرأ فيها قدر ما لا يثقل على الناس .. قال فى المجتبى : **(لو صلى المصلى فى الفرض بثلاث آيات قصار أو آية طويلة فقد أحسن ولم يسىء .. فماظنك بالتراويح)** .. بل أفتى أبو الفضل الكرمانى والوبرى : اذا قرأ فى التراويح الفاتحة.. وآية .. أو آيتين .. لا يكره .. مراعاة لأهل زمانه .. ومن لم يكن عالما بأهل زمانه فهو جاهل .. ويكتفى عند شعور الامام بملل من وراءه : باللهم صل على محمد فى التشهد .. لأنه الفرض عند الشافعية .. ويسلم بعده .. وتكره من قعود مع المقدرة على القيام ، ولا يصلى النفل والوتر بجماعة الا فى رمضان .

وأفضل صور الوتر ثلاث ركعات .. اما متواصلات كالمغرب وهو رأى الحنيفة .. واما مفصولا بينها بقعود أوسط وسلام كما هو رأى الشافعى .. ويجوز اقتداء حنفى بشافعى فيه وفى غيره .. كما يجوز اقتداء شافعى بحنفى ، ويتابع كل منهما فى كل ما يفعله امامه ، لانه أمر مجتهد فيه .. وليس فيه صفة القطع والالزام ، وفى ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة فيقول : من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

د . محمد محمد الشرقاوى

الشعر

- تائب بالباب
- من نفحات رمضان
- اليتيم الشريد
- الأزهر في ألف عام

تائب بالباب

شعر شوقي محمود أبو ناجي

صفاء الضياء بنفسى ألمّ   فَضَوَّأ دربى لتسعى القدمْ
الى حيث أنشد عفو الاله   وذنبى كالجرح لم يلتئمْ
سعيت الى الباب ·· باب المتاب   وبى خشية الخائف المتهمْ
أقدم رجلا فترتد أخرى   كأنى فوق اللظى المضطرمْ
وتطفو الذنوب بوجه كريهٍ   على صفحةٍ موجها مُدْ لَهمْ
على صفحة الأمس والأمس ضمَّ ضلالات نفس تحس الألمْ
ضلالات نفس صرير الذنوب يؤز بأسماعهم كالحممْ
ويجثو دعائى وقد بللته   دموع تسر شعور الندم
وهمس الضراعة فى كفتى يناجى بضعف مفيض النعم
على الباب يارب ها قد وقفت   ذليلا وذنبى بصدرى جثم
وللذنب عند اختلاج الدعاء   أنين يترجم ما ينكتم
ولكن توبة عاص يدق   على باب رحمة من لم ينمْ
ستحملها تمتمات الملائك   فى سمتها المشرق المبتسم
فأسمع صوتا عميق النداء   من الغيب يهتف منذ القدم
أنا الله أصفح عن كل عبد   مسىء اذا ما أحس الندم
وليس سواى يجيب الدعاء   ويكشف ما ساء مهما عظم

من نفحات رمضان

للأستاذ خالد محمود ابراهيم سالم

رَمَضَانُ أَقْبَلَ فَانْتَبِهْ يا صَاحِ ... لِجَمَالِهِ الْمُتَأَلِّقِ الْوَضَّاحِ
فَلْتَنْشَرِحْ صَدْرًا لَهُ مُسْتَقْبِلاً ... ومُوَدِّعًا فى غُدْوَةٍ وَرَوَاحِ
فَالنُّورُ فِيهِ يَعُمُّ كُلَّ مُوَحِّدٍ ... يَرْقَى بِهِ عنْ عَالَمِ الْأَشْبَاحِ
إِذْ تُشْرِقُ الْأَرْوَاحُ فِيهِ وَهَلْ هُنَاكَ أَجَلُّ مِنْ إِشْرَاقَةِ الْأَرْوَاحِ
وَالذِّكْرُ أُنزِلَ فِيهِ بَارَكَ لَيْلَةً ... مَجْلُوَّهَ الْإِمْسَاءِ وَالْإِصْبَاحِ
عَنْ أَلْف شَهْرٍ فُضِّلَتْ مَصْحُوبَةً ... بِمَعِين خَيرٍ لِلْجَمِيعِ مُتَاحِ
لِلْقَائِمِينَ اللَّيْلَ فِى أَسْحَارِهِمْ ... يَرْجُونَ فَضْلَ الْمُنْعِمِ الْفَتَّاحِ
وَالْقَارِئِينَ كِتَابَهُ فِى هِمَّةٍ ... مُتَدَبِّرِينَ عَلَى هُدًى وَصَلَاحِ
وَالْوَاصِلِينَ عَلَى تُقًى أَرْحَامَهُمْ ... بِصَفَاءِ نَفْسٍ مُشْرِقٍ وَسَمَاحِ (١)
بَدْرٌ بِهِ وَالْفَتْحُ كُلٌّ قَدْ غَدَا ... آيًا وَتَارِيخًا وَرَمْزَ كِفَاحِ
فِى بَدْرٍ عَزَّ الْمُسْلِمُونَ بِنَصْرِهِمْ ... عَنْ قِلَّةٍ فِى عُدَّةٍ وَسِلَاحِ
وَمَنِ احْتَمَى بِاللَّهِ كَانَ بِسَاحِهِ ... فَالْزَم حِمَاهُ تَكُنْ مَلِيكَ السَّاحِ
وَالْفَتْحُ أَشْرَقَ حِكْمَةً لَمْ يَسْتَبِنْ ... أَسْرَارَهَا غَيْرُ الْحِجَا اللَّمَّاحِ
دَخَلَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ أُمَّ الْقُرَى ... فِى رَوْعَةٍ جَلَّتْ عَنِ الْإِيضَاحِ
بَسَطُوا بِرَاحٍ لِلسَّلامِ لَوِ ابْتَغَوْا ... هَزُّوا جَحَافِلَهَا بِتِلْكَ الرَّاحِ
أَرَأَيْتَ أَعْظَمَ مِنْهُمُو فِى قُوَّةٍ ... وَأَجَلَّ مِنْهُمْ لِالْتِئَامِ جِرَاحِ
وَرَأَيْتَ كَيْفَ تَطَايَرَتْ أَخْبَارُهُمْ ... أَخَّاذَةً مِنْ نَشْرِهَا الْفَيَّاحِ
وَرَأَيْتَ كَيْفَ تَسَرْبَلَتْ أَرْوَاحُهُمْ ... تَاجَ الْيَقِينِ وَرِبْقَةَ الْإِصْلَاحِ
فَاسْلُكْ سَبِيلَهُمُو جِهَادًا مُشْرِقًا ... والنَّفْسُ قَوِّمْهَا تَلُذْ بِنَجَاحِ
وَاسْتَنَّ شَهْرَكَ مَنْهَجًا تَحْيَا بِهِ ... دَوْمًا طَهُورَ النَّفْسِ حِبَّ فَلَاحِ
صُمْ فِيهِ عَنْ دَنَسٍ يَلُمُّ فَيَرْتَدِى ... ثَوْبَ الرِّبَاحِ مُبَطَّنًا بِجُنَاحِ
وَعَنِ الْمُبَاحِ فَصُمْ مُجَاهَدَةً مَتَى ... كَانَ الطَّرِيقُ إِلَيْهِ غَيْرَ مُبَاحِ
وَاصْحَبْ كِتَابَ اللَّهِ فِى شَغَفٍ وَفِى ... تَرْنِيمَةِ الْمُتَدَبِّرِ الصَّدَّاحِ
إِنَّ الْكِتَابَ لِمَن تَدَبَّرَ نَهْجَهُ ... مِشْكَاةُ هَدْيٍ مُشْرِقِ الْمِصْبَاحِ

---

(١) شرق صفة لصفاء ·· وسماح : جود ·· وهو عطف على صفاء ·

الشريد اليتيم

زفـراتُ هــذا القيظ من زفراتـــه   ودمـوعُ هـذا الغيم مـن عبَـرَاتِهِ
ضاق النَّهـار أسىً بحَمْــل همــومه   وانشـــقَّ صـدر الليـل من أنَّـــاتهِ
عــارٍ تكنَّحــفَ للخطـوبِ فــلا أبٌ   يحنــو ولا أمٌّ هــوتْ سَــــوْآتِهِ
للــه واهى الخفـقِ بين ضـــلوعه   زادت كـــوارثُه عـلى دقَّـــاتِهِ
أَسْـــوانُ تُدْرِكُ شجوه من صـــوته   وتحــسُّ ذلَّ اليُتْـمِ من نبـــــراته
وأخــو محيـــا كالخِضَــمِّ مغضـنٍ   يطـوى الشـحوب أســاه فى طيَّاتِهِ
خط الشـــقاءُ عليــه قصـــةَ يُتْمِــهِ   ان تلقــه تعـــرفْه من قَسَـــماته
وطريـــدُ كَـوْنٍ ضـلَّ فى آفـــاقِه   فجميعُهـــا ــ إن ســار ــ من غاياته
واذا أقـــام فمــا يفىء إلــى حِمـىً   يحنــو عـلى المشـبوب من لَوْعَــاتِهِ
حمل الفـــوادحَ رأســـهُ ما ضَــمَّه   صَــدْرٌ يَلُمّ الشـعثَ من أَشْـتَاتِهِ
ومشى يَئِنُّ فمـــا أقـــالته يـدٌ   مسـحت على المكـدود من شَـعَراته
عِقِمت أمانيــــه ، ولـكنْ دهـــرُهُ   أعيـــا مناكبَــهُ بعبء بَنَـــاتِهِ
كم حسـرة قـد أورثتهــا نظــرةٌ   لمنــى الطفـــولة فى وجوه لِدَائِنِـــه
ويرى البشــاشة فى مواكب لهـوهم   فيـذوق طعمَ المــوت قبـل ممـاتِهِ
يــارُبَّ طفـل صـاح منهم : يا أبى   فيكاد يصـــعقه صـــدى صـيحَاتِهِ
أوْ صـــاح : يا أمىِّ فكـــانت هتفةٌ   تنشـــق منهـــا النفس عن حسراتِهِ
وكـــأنه مــن دهـــرهم تقطيبـــةٌ   لعبوســـه غــامَتْ عـلى صــفحاتِهِ
وهمو أغـــاريد الحيــاة شـــدت بهـا   شــفة الربيـع الطلـق فى بســماتِهِ
ان ســـاجلوه الشـــدو فى أفراحهم   غنــى من الأشــجان فى آهـــاتِهِ
أو رام تنغيـمَ الســرور لــه فَمٌ   ماتت أغــانِى البشر فــوق لهـــاته
أبــدا تُغَالِبُــه الدمــوع كأنهـــا   خُلِقَتْ مَعَ الْأَجْفـــانِ فى حَـدَقَاتِهِ

للدكتور حسن جاد

وَإذا أهَلَّ العيدُ فى آفاقه ... وأشاع فى الدنيا سنا بَهَجَاتِهِ
وتسابق الأطْفَالُ فيه مواكبا ... نشوى سقاها العيدُ من نَشَواته
وعلى جُسُومهمُو جديدُ ثيابه ... وعلى وجوههمو سنا لمحاته
أبصرت مَطْوِيًّا على اسماله ... يطوى الضلوع أسى على جمراته
حيرانَ ينظرهم فيرجع باكيا ... متعثرا فى الذُّلِّ من خطواته
العيدُ يَملأُ كأسهم من شهده ... ويصب مُرَّ الصَّاب فى كاساتِه
ما العيدُ للمحزون إلاَّ لوعةٌ ... تُضْنَى وتجديدٌ لِظُلْم حيَاته
نكرى لآلام اليتيم مريرة ... يعيا بها فيتيه فى غَمَرَاتِهِ
مَنْ لليتيم يحوطه برعاية ... ويقيله فى العيش من عَثَرَاته ؟
شُدُّوا عَزَائمه فَرُبَّ إسَاءَةٍ ... للدهر صارت بعدُ من حسناته
واحْمُوا مواهبه يجِئْكُمْ فى غدٍ ... بالمعجزات الْغُرِّ من آياته
إنّ الذِى خلق النبوغ مواهباً ... قد صيَّر الإغفالُ مِن آفَاتِهِ
وَلَرُبَّ مغمورِ الطفولةِ خَامِلٍ ... يومها يهابُ الليثُ من وثباته
ولربما نهض اليتيم بقومه ... وأطلت الآمال من راياته
الْيُتْمُ أنجَبَ للزمانِ (مُحَمَّدًا) ... فمحَا دُجَاهُ وكانَ خَيْرَ هُدَاتِهِ

الأزهر

فى ألف عام

يا منهل الوراد قدرك أكبر — نحن الظماء وأنت نعم الكوثر
عزفت بك الأقدار أروع لحنها — لحنا تهز به القلوب وتسحر
اليوم عيدك مدحة شاعر — غراء يحملها الرواة فتبهر
اليوم يختال المعز بمجده — ويتيه عجبا بالمفاخر جوهر
واليوم تشمخ مصر ترفع رأسها — شرفا بأزهرها الشريف وتفخر
ان كنت منتسبا لمصر فقد كفى — أنى انتسبت لها وفيها الأزهر
واذا انتسبت لمجدها ولمجده — فقت السحاب وعانقتنى الأقمر
يا معهدى انى أحبك كعبة — كالكعبة الأولى تؤم وتقدر
منحت شراعك ريح مجدك قدرة — تجرى بها عبر العباب وتبحر
البصرة انتقلت اليك بطمها — والكوفة ارتحلت اليك تشمر
والجامع الأموى منذ نشأوته — ألقى اليك العهد لا يتنكر
أنت المنار لكل عزم مؤمن — بالله لا يكبو ولا يتعثر
مهما تنكر للوفاء معاند — حقدا عليك فلن ينالك منكر
انى أحبك معهدى لكرامة — هى منك لى هبة وكنز ينضر
وأنا أحبك للعروبة موئلا — للضاد تحرسها وأنت غضنفر
وأنا أحبك فى الشدائد منبرا — فيه يجلجل صوتك المتجبر

للدكتور عز الدين على السيد

فلسانه سيف البيان وعزمه ... للثائرين قناته لا تكسر
كم هز ركن الظالمين فزلزلوا ... وعنوا لصوت فى الكريهة يزأر
صرخات أبطال الكفاح ترددت ... فى جانبيك كان ساحك محشر
لما استطاع على حماك (كليبر) ... ذاق الردى بيدى فتاك كليبر
لا ينصر العادى ولو بلغ الذرا ... فاسلم سلمت لنا تقود وتنصر
فى ألف عام سرت حامل راية ... لا تستكين ولا تنى أو تفتر
تسعى بلا من ووجهك باسم ... وربيع زهرك فى الأنام منضر
يأيها العلماء كنتم مشعلا ... للمسلمين اذا أضاتم أبصروا
كالنور ينقشع الظلام بضوئه ... وبدونه كشف الدجى يتعذر
ما كان للاسلام يوم كريهة ... كاليوم حولكم العدا تتنمر
من ذا لدين الله غير سيوفكم ... سيف الحقيقة بالاله مؤزر ؟
فبألف ألف مقبلات أبشروا ... وليبق للمجد التليد الأزهر

■ تأثير الأزهر
في الخارج
بين الماضي
والحاضر

من الدعوة إلى الإعلام

■ التليفزيون وأثره
في سلوك أطفالنا

تأثير الأزهر في الخارج

بين الماضي والحاضر

للدكتور محمد شتا زيتون

فى يوم السبت ٢٤ من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ ٩٧٠ م بدأ تأسيس الجامع الأزهر واستمر العمل فيه الى أن تم بناؤه وافتتح للصلاة باقامة أول جمعة فيه فى السابع من شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ(١) ، فى عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى .

وفى عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمى (٣٦٥ ــ ٣٨٦ هـ) جعله معهدا علميا عندما طلب منه وزيره يعقوب بن كلس سنة ٣٧٨ هـ تخصيص رزق جماعة من الفقهاء بلغ تعدادهم خمسة وثلاثين رجلا فوافق العزيز وأعطاهم ما يكفى كل واحد من الرزق الناض وبنى لهم دارا بجانب الجامع الأزهر ، وبذلك تحول الأزهر من جامع للصلاة فقط الى جامع للصلاة وجامعة علمية كبرى لها تأثيرها العميق فى الداخل والخارج ، وبدأت تعم شهرة الأزهر الآفاق ، وأتت اليه الوفود من جميع البلاد الاسلامية : لتعلم العلوم نقلية وعقلية ، شرعية وعربية .

وسوف يقتصر هذا البحث على تأثير الأزهر فى الخارج بين الماضى والحاضر ، حيث قام هذا التأثير على دعامات متعددة سلكها الأزهر خلال عمره المديد منها :

الدعامة الأولى : الطلاب الوافدون :

فقد قام الأزهر باستقبال الطلاب الوافدين من أبناء البلاد الاسلامية وتزويدهم بالعلم والثقافة والمعرفة ، وتربيتهم تربية اسلامية وتعليمهم اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ثم عودة هؤلاء الوافدين الى بلادهم بعد أن تزودوا بثقافة

---

١ ــ أنظر كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى ج٣ ص ١٥٧ ، اصدار دار التحرير للطبع والنشر عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ ، الخطط الجديدة لمصر القاهرة لعلى مبارك المطبعة الاميرية الطبعة الاولى ١٣٠٤ هـ ج٢ ص٩ دائرة المعارف الاسلامية ص ١٨٣ .

تاريخ الأزهر في الخارج

الاسلام وتعاليمه حيث يعملون على نشرها وتعليمها للناس ، فكانوا بذلك هداة مرشدين ، ودعاة مصلحين مبلغين لرسالة الأزهر — رسالة الاسلام — فى كافة أنحاء العالم وقد بدأ ذلك منذ تحول الأزهر الى جامعة علمية ، وتطور ذلك مع مرور الأيام على مدى عمر الأزهر المديد •

ولم تمدنا المصادر بعدد الطلاب الذين كانوا يدرسون فى الأزهر فى عهده المبكر ولكن المقريزى يذكر أنه فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة بلغت عدة من يلازمون الاقامة فى الجامع الأزهر سبعمائة وخمسين رجلا ما بين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم(١) ولم يبين لنا المقريزى عدد العجم والزيالعة والمغاربة من مجموع العدد الذى ذكره ، ولكنه حدد الجهات التى وفدوا منها مما يدل على وجود وفود من البلاد الاسلامية فى بداية القرن التاسع الهجرى •

وقد خصص عدد كبير من أروقة الأزهر للوافدين عليه من أساتذة وطلاب الأمم الاسلامية المختلفة لتسهيل أمر سكنهم واعاشتهم فوفر الأزهر لهم منذ وقت مبكر من حياته اقامة مستقرة فى هذه الأروقة كما أجرى عليهم المرتبات النقدية والعينية حتى يحقق لهم التفرغ الكامل لتوصيل العلم والمعرفة كما اشتملت بعض هذه الأروقة على مكتبات يستعين بها الطلاب وتكون قريبة منهم ، ومن هذه الأروقة :

١ — رواق الحرمين ويسكنه مجاورو أهل مكة والمدينة والطائف وشيخه الشيخ محمد عبد الله الطائفى وأهله قليلون كانوا سبعة طلاب فى القرن التاسع عشر الميلادى ، له مرتب وجراية كل يومين اثنا عشر رغيفا وربع رغيف(٢) •

٢ — رواق الدكارنة (الغورية) الدارفورية وأهله قليلون وهو لطلبة اقليم دارفور السودانى وأهله قليلون وله مرتب وجراية كل يومين ثلاثة وثلاثون رغيفا وشيخه الشيخ حسن عبد الوهاب الدكرورى وبلغ عدد طابته فى القرن التاسع عشر الميلادى خمسة وثلاثين طالبا سودانيا(٣) •

٣ — رواق الشوام: أنشأه السلطان قايتباى سنة ٨٧٣ هـ وله أوقاف جارية وأهله كثيرون من جميع بلاد الشام وشيخه الشيخ عبدالقادر الرافعى الطرابلسى أحد مدرسى الأزهر ولهم مرتب من النقود والجراية كل يومين ثمانمائة وستة وخمسون رغيفا وعدد طلبته فى القرن التاسع عشر الميلادى مائة وثلاثون طالبا

---

١ ـ الخطط للمقريزى ج٣ ص ١٦٣ •

٢ ـ الخطط التوفيقية ج٤ ص ٢٢ ، مجتمع علماء الازهر فى مصر ابان الحكم العثمانى د• عبد الجواد صابر رسالة دكتوراه ص ٥٩٩ •

٣ ـ خطط توفيقية ج ٤ ص ٢٢ ، مجتمع علماء الازهر مرجع سابق ص ٥٩٤ تاريخ الجامع الازهر لعبد الله عنان ص ٣٠٢ •

شاميا(١) •

٤ ــ رواق جاوة أندونيسيا ويسكنه طلبة اندونيسيا والفلبين والملايو وسيام وهم قليلون ولهم جراية كل يومين أحد عشر رغيفا وشيخه الشيخ محمد الجاوى وبلغ عدد طلبته فى القرن التاسع عشر تسعة طلبة(٢) وبه خزانة كتب •

٥ ــ رواق السليمانية (الأفغان) ويؤمه طلبة الأفغان وما وراء النهر وأهله قليلون ومرتبهم من الجراية كل يومين أربعون رغيفا وبلغ عدد طلبته فى القرن التاسع عشر الميلادى نحو عشرة طلاب وبالرواق خزانة كتب(٣) • وشيخه الشيخ محمد جان محمد الأغوانى •

٦ ــ رواق المغاربة : وأهله كثيرون من طرابلس وتونس والجزائر والمغرب وشيخه الشيخ أحمد عبد السلام المصورى المغربى ومرتبه كل يومين ثمانمائة واثنان وستون رغيفا ولا يستحق جرايته الا من كان مالكى المذهب وبلغ عدد طلابه فى القرن التاسع عشر الميلادى خمسين طالبا(٤) •

٧ ــ رواق السنارية أنشأه العزيز محمد على باشا وشيخه الشيخ محمد على وداعة السنارى ورتب لطلبته ثمانون رغيفا كل يوم(٥) •

١ ــ المرجعان السابقان الأول نفس الجزء والصفحة والثانى ص ٥٩٦ تاريخ الجامع الازهر لعبد الله عثمان ص ٣٠٢ •

٢ ــ المرجعان السابقان الاول نفس الجزء والصفحة والثانى ص ٥٩٢ تاريخ الجامع الازهر لعبد الله عنان ص ٣٠٢ •

٣ ــ المرجعان السابقان الاول نفس الجزء والصفحة والثانى ص ٥٩٥ تاريخ الجامع الازهر لعبد الله عنان ص ٣٠٢ •

٤ ــ المرجعان السابقان الاول نفس الجزء والصفحة والثانى ص ٥٩٨ تاريخ الجامع الازهر لعبد الله عنان ص ٣٠٢ •

٨ ــ رواق الأتراك أنشأه السلطان قايتباى وفى العصر المملوكى كان يرتاده طلبة الأتراك وفى العهد العثمانى كان يقصده الطلبة من تركيا وتركستان وألبانيا واليونان ويوغسلافيا وروسيا وله مرتبات كثيرة منها جراية كل يومين مائتان وستة وخمسون رغيفا ونقود يأخذونها وايراد أوقاف يستحقها كل مجاور من هذه البلاد وشيخه الشيخ راشد أفندى أحد مدرسى الأزهر وبلغ عدد طلبته فى القرن التاسع عشر الميلادى خمسين طالبا(٦) •

٩ ــ رواق البرنية ويسكنه طلبة ساحل الذهب والسنغال وغينيا ونيجيريا ومرتبه كل يومين واحد وخمسون رغيفا وشيخه الشيخ أحمد محمد الجبرتى وكان طلبته فى القرن التاسع عشر الميلادى عشرة طلبة(٧) •

١٠ ــ رواق الجبرتية • وأهله قليلون ويؤمه طلبة أريتريا والحبشة والصومال ومرتبه كل يومين واحد وخمسون رغيفا وشيخه الشيخ أحمد محمد الجبرتى وعدد طلبته فى القرن التاسع عشر خمسة وعشرون طالبا(٨) •

١١ ــ رواق اليمنية • للطلبة القادمين من اليمن وله جراية كل يومين أربعة وثلاثون رغيفا وشيخه الشيخ أحمد باعلور اليمنى وبلغ عدد طلبته القاطنين به عشرين طالبا فى القرن التاسع عشر الميلادى(٨) •

٥ ــ الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٢٢ •

٦ ــ الخطط التوفيقة ج ٤ ص ٢٣ ، مجتمع علماء الازهر د • عبد الجواد صابر ص ٥٩٠ •

٧ ــ الخطط التوفيقة ج ٤ ص ٢٣ ، مجتمع علماء الازهر د• عبد الجواد صابر ص ٥٩٢ •

٨ــ الخطط التوفيقة ج ٤ ص ٢٣ ، مجتمع علماء الازهر د• عبد الجواد صابر ص ٥٩٩ •

١٢ ــ رواق الأكراد : وقد هدم وبنى مكانه الرواق العباسي ونقل اليه طلبة الأكراد الذين بلغ عددهم فى القرن التاسع عشر تسعة طلاب وله جراية كل يوم خمسة وستون رغيفا وشيخه الشيخ عبد الله الكردى(١) .

١٣ ــ رواق الهنود : للطلبة القادمين من الهند وباكستان وبلغ عدد القاطنين به فى القرن التاسع عشر الميلادى عشرة طلاب ومرتبهم كل يومين ثلاثون رغيفا وشيخهم الشيخ مصطفى امام هندى(٢) .

١٤ ــ رواق البغدادية : للطلبة القادمين من ايران والبحرين والعراق وكردستان والكويت وكان يسكنه فى القرن التاسع عشر تسعة طلبة ومرتبه كل يوم ثلاثون رغيفا ، شيخه الشيخ عيسى البصرى(٣) .

١٥ ــ رواق البرابرة يسكنه مجاورو البربر من موريتانيا وما اليها وهم يزيدون على أربعين طالبا وشيخه الشيخ محمد نور البربرى ومرتبه كل يومين أحد عشر رغيفا وربع رغيف (٤) .

١٦ ــ رواق دكارنة صليح ويسكنه الطلبة الوافدون من منطقة تشاد فى وسط افريقيا وكان عدد طلبته فى القرن التاسع عشر الميلادى خمسة طلاب وشيخه الشيخ جمعه عبد الرحمن الصليحى ولهم جراية كل يومين سبعة عشر رغيفا وربع رغيف(٥) .

١٧ ــ رواق الصين : وقد أنشىء حديثا وينتمى اليه أبناء الصين(٦) .

ومن احصاء الطلبة الوافدين الذين يقطنون فى هذه الأروقة حسب ما أمدتنا به المصادر فى القرن التاسع عشر الميلادى ، يتبين لنا أنهم يقاربون خمسمائة طالب من مختلف أنحاء العالم الاسلامى يوفر لهم الأزهر الغذاء والمسكن .

ومن هنا يتبين لنا أن الأزهر كان موئلا لكل الطلاب المسلمين مهما اختلفت لغاتهم وجنسياتهم وألوانهم وفى رحابه تحققت المساواة وانعدمت الامتيازات بين الطلاب وكانت أروقة الأزهر مفتوحة لجميع الطلاب وحلقاته ترحب بكل الوافدين اليها وبعض الوافدين يأتون اليه عن طريق حكوماتهم وبعضهم ترسلهم هيئات اسلامية ، وكثيرون منهم يأتون بأنفسهم ، والأزهر يرحب بالجميع ويقدم لهم كل ما يحتاجون اليه من نفقات ورعاية مادية ومعنوية ، ثم يلحقهم بالفرق الدراسية التى تناسبهم، ويعد دراسات خاصة باللغة العربية لمن يحتاج اليها ليتابع دراسات الأزهر(٧) .

وفى القرن العشرين تمدنا الاحصائيات بعدد الطلاب الوافدين المقيدين فى الأزهر مع اغفالها لغير المقيدين وهم كثير .

ففى سنة ١٩٣٨ بلغ عدد الطلاب الوافدين

---

١ ــ الخطط التوفيقة ج ٤ ص ٢٣ ، مجتمع علماء الازهر د. عبد الجواد صابر ص ٥٩١ .

٢ ــ الخطط التوفيقة ج ٤ ص ٢٣ ، مجتمع علماء الازهر د. عبد الجواد صابر ص ٥٩٩ .

٣ ــ الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٢٣ تاريخ الجامع الازهر لعنان ص ٣٠٢ ، مجتمع علماء الازهر د. عبد الجواد صابر ص ٥٩٢ .

٤ ــ الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٢٤ .

٥ ــ الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٢٣ تاريخ الجامع الازهر لعنان ص ٣٠٣ ، مجتمع علماء الازهر د. عبد الجواد صابر ص ٥٩٤ .

٦ ــ تاريخ الجامع الازهر لعنان ص ٣٠٣ .

٧ ــ الازهر تاريخه وتطوره ص ٥٧٠ ــ ٥٧٤

٧٠٠ سبعمائة طالب .

وفى سنة ١٩٤٨ بلغ عدد الطلاب الوافدين ٩٩٩ تسعمائة وتسعة وتسعين طالبا .

وقد كثر عدد الطلاب الوافدين على الأزهر من البلاد العربية والاسلامية وغيرها من عام ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٦٤م فكان كالتالى :

١ ـ مجموعة الدول العربية من آسيا وتشمل : فلسطين والاردن وسوريا ولبنان واليمن والسعودية والعراق والبحرين والكويت وامارة عمان .

٢ ـ مجموعة دول افريقيا وتشمل : الجزائر وليبيا وتونس والمغرب والسودان والحبشة وأريتريا والصومال والسنغال وغينيا ومالى ونيجيريا والنيجر وغانا وغامبيا وساحل العاج ومدغشقر وموريتانيا وفولتا العليا وسيراليون والكنغو وداهومى وراوندى أو راندى وليبيريا وتوجولاند وتنجانيقا وكينيا وتشاد وأوغندا وزنجبار .

٣ ـ مجموعة دول شرق آسيا وتشمل : اندونيسيا والفلبين والملايو وسيام وتايلاند والهند وباكستان ومالديف وبورما وايران وكمبوديا والأفغان وسيلان وسنغافورة والاتحاد السوفيتى .

٤ ـ مجموعة دول : تركيا وقبرص واليونان ويوغسلافيا وألبانيا واليابان وأمريكا وانجلترا وألمانيا واستراليا .

والمجموع الكلى لجميع الطلاب الوافدين على الأزهر ليرتشفوا من رحيقه خلال تلك الأعوام هو :(١)

سنة ١٩٥٢ م ٢٥٤٨ طالبا
سنة ١٩٥٣ م ٢٨٤٨ طالبا
سنة ١٩٥٤ م ٤٠٨٣ طالبا
سنة ١٩٥٥ م ٤٢٩١ طالبا
سنة ١٩٥٦ م ٣٢٩٣ طالبا
سنة ١٩٥٧ م ٣٠٧١ طالبا
سنة ١٩٥٨ م ٢٥٢٧ طالبا
سنة ١٩٥٩ م ٢٧٨٨ طالبا
سنة ١٩٦٠ م ٢٩٣٠ طالبا
سنة ١٩٦١ م ٢٨١٧ طالبا
سنة ١٩٦٢ م ٢٧٢٥ طالبا
سنة ١٩٦٣ م ٢٨٨٤ طالبا
سنة ١٩٦٤ م ٣٦٢٧ طالبا

وزيادة فى رعاية هؤلاء الطلاب الوافدين الى الأزهر(١)والاهتمام بهم أنشأ الأزهر لهم مدينة جامعية تخصص لسكناهم على أحدث طراز وعلى رقعة كبيرة بأرض الغفير بالدراسة حيث ضمت واحدا وأربعين عمارة سكنية تتسع كل منها لسكنى ١٢٠ طالبا وبكل منها ابهاء للأكل والاستقبال وأطلق على المدينة اسم « المدينة السكنية لطلبة البعوث الاسلامية » وهى تتسع لسكنى خمسة آلاف طالب .

وفضلا عن توفير السكنى المريحة لطلاب البعوث الاسلامية فان الأزهر يمنح هؤلاء الطلاب اعانات شهرية تبدأ من خمسة جنيهات(٢) للطلاب الذين يتمتعون بالسكن فى مدينة البعوث وهذا يعبر عن الرعاية الفائقة من الأزهر للطلاب الوافدين عليه (٣) .

١ ـ أنظر الازهر تاريخه وتطوره ص ٣١٠ ، ص ٥٦٧ ، ٥٦٩ ـ ٥٧٤ .

(٢) زادت الآن زيادة كبيرة فهى تبدأ بـ ٢٥ جنيها للمعاهد الازهرية و١٥ جنيها للجامعة و٣٥ جنيها للدراسات العليا عدا ما تقدمه لهم المدينة من مأكل ومسكن ورعاية صحية واجتماعية

٣ ـ تاريخ الجامع الازهر محمد عبد الله عنان الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

وعندما أنشئت كلية البنات بجامعة الأزهر اتسع صدرها لقبول طالبات وافدات من شتى أنحاء العالم الاسلامى بحيث بلغ عدد الطالبات الوافدات فى العام الجامعى ٧١/١٩٧٢ م ١٣٤ أربعا وثلاثين ومائة طالبة من دول آسيا وأفريقيا يقدم لهن المسكن والمأكل (١) وهكذا يعمل الأزهر على أن يؤثر فى الخارج عن طريق تعليم الطالبات أمهات المستقبل كما يؤثر عن طريق الطلاب أما عدد الطلاب الوافدين فى مرحلة الاجازة العالية فى الجامعة موزعين حسب سنوات الدراسة فى كلياتهم خلال العام الجامعى ٧١/١٩٧٢ فقد بلغ مجموعهم فى الكليات كالتالى :

كلية أصول الدين ٢٢٥ طالبا .
كلية العلوم ١٢ طالبا .
كلية الشريعة والقانون ٧٥٩ طالبا .
كلية التربية ٥٩ طالبا .
كلية اللغة العربية ٣٨٤ طالبا .
المعهد العالى ٩٤ طالبا .
كلية التجارة ١٠٤ طلاب .
معهد اللغات ٩٥ طالبا .
كلية الزراعة ١١٠ طلاب .
كلية الطب ٣٤٦ طالبا .
كلية البنات كما ذكرنا ١٣٤ طالبة .
كلية الهندسة ٢٦٢ طالبا .
المجموع ٢٥٨٤ طالبا . (٢)

وبلغ عدد الدول القادمين منها اثنتين وخمسين دولة من قارة آسيا وأفريقيا وأوروبا(٣) .

وقد قدم الأزهر فى العام الجامعى ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ ١٩٨١–١٩٨٢ م منحا الى اثنتين وتسعين دولة ليتعلم أبناؤها فى الأزهر ويرتشفوا من رحيقه وينعموا بالحياة العلمية فيه ثم يرجعوا الى بلادهم هداة ومرشدين وقد بلغ عدد طلاب هذه الدول المتمتعين بمنح الأزهر حسب احصاء مراقبة البعوث الاسلامية كالتالى :(٤)

(أ) من الوطن العربى : من السودان والصومال وموريتانيا وسلطنة عمان ، وفلسطين ولبنان والجزائر واليمن الشمالية وتونس وجيبوتى والبحرين وسوريا والأردن والعراق ٣٢٥ طالبا .

(ب) ومن أفريقيا : من تنزانيا وفولتا العليا والنيجر وغينيا كوناكرى والسنغال والكنغو برازافيل والكاميرون وغامبيا وبنين (داهومى) وكينيا وغينيا الاستوائية وموريشيوس وزامبيا وتوجو ومالى وجزر القمر وأوغندا ونيجيريا وغانا وسيراليون وساحل العاج وكينشاسا (زائير)وبورندى وتشاد ومدغشقر وغينيا بيساو والرأس الأخضر وليبيريا وموزمبيق ورواندا والجابون وزيمبابوى وسلطنة الأوسا وأثيوبيا وجنوب افريقيا وناميبيا وسويزيلاند

---

٢ – تقويم جامعة الازهر فى أربع سنوات دار المعارف ص ٦١٦ .

٣ – تقويم جامعة الازهر فى أربع سنوات دار المعارف ص ٦٠٧ .

٤ – أنظر تفصيل ذلك فى تقويم جامعة الازهر فى أربع سنوات دار المعارف ص ٦٢٤ ، ٦٢٥ .

٥ – احصائية مراقبة البعوث الاسلامية ببيان عدد الطلاب الوافدين المقيدين على منح الازهر عام ١٤٠١ – ١٤٠٢ هـ الموافق ١٩٨١ – ١٩٨٢ م

ومالاوای وأريتريا وبوتسوانا وأفريقيا الوسطى وليسوتو ١٤٥٦ طالبا .

(جـ) ومن آسيا : من الفلبين والباكستان والمالديف وبنجلاديش ونيبال وسيريلانكا وأندونيسيا وماليزيا وبورما وجزر فيجى واليابان والهند وأفغانستان وسنغافورة وكمبوديا وايران والصين وبرونى وتايلاند واستراليا وكوريا الجنوبية ١٠٢٥ طالبا .

(د) ومن أوربا وأمريكا : من تركيا واليونان وروسيا وأمريكا وألمانيا الغربية وفنزويلا والبرازيل وبلجيكا ويوغسلافيا ورومانيا وانجلترا والمكسيك والنمسا وترينداد وفنلندا وفرنسا ٢٠٧ طلاب .

وبذلك يكون المجموع من كل الدول هو ٣٠١٣ طالبا (١) .

هذه الاحصائيات السابقة التى تبين عدد البلاد الاسلامية وغير الاسلامية وعدد الطلاب القادمين منها حتى هذا العام ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م خير دليل على التأثير الحقيقى للأزهر فى الخارج حيث يعود هؤلاء الطلاب الى بلادهم بعد تخرجهم منه أو بعد حصولهم على قدر كبير من التعاليم والمعارف الاسلامية فيقومون بنشر هذه التعاليم فى بلادهم فى المدارس وفى المساجد وفى الجامعات وفى شتى أنحاء مجتمعاتهم المتعددة ، والكل يكن لهم كل تقدير واحترام ويهتدى بآرائهم ويسير عليها، لأنهم قد اغترفوا من تعاليم الاسلام فى رحاب الأزهر الشريف وتفقهوا فى الدين على أيدى علماء الأزهر الأجلاء .

وهم الآن يوضحون لقومهم فى شتى أنحاء العالم بلغات قومهم حقيقة الاسلام ويشرحون تعاليمه ومبادئه ، ويتحقق فيهم قول الله تعالى : « **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (٢)** » .

وبعض هؤلاء الطلاب الوافدين الى الأزهر يكون لهم شأن كبير فى بلادهم عند عودتهم اليها حيث يتولون فيها قيادات سياسية ، وتعليمية وغيرها من الخدمات الاجتماعية المتعلقة بشئون بلادهم ، فيتفوقون فيها ويكون لهم تأثير كبير فى بلادهم ، ولا شك أنهم يعتبرون لسان الأزهر المعبر فى تلك البلاد وصورته المشرقة وصوته المدوى بتعاليم الاسلام ، ومنارته المشعة بأهدافه السامية فى شتى أرجاء العالم وقد اغترفوا ذلك من تعاليم الاسلام السمحة ومبادئه السامية التى يقوم الأزهر وعلماؤه الأفذاذ على حمايتها ونشرها فى أنحاء العالم .

وقد أدت هذه الوفود الطلابية بجوار ذلك الى توثيق الصلات بين الأزهر وبين سائر الأمم والشعوب العربية والاسلامية فى شتى أنحاء العالم ، بل اننا نجد أن الصلات التى تقوم بين أبنائه الطلاب من شتى أنحاء العالم تعمل على توثيق الصلات بين الأمم بعضها وبعض .

د. محمد محمد شتا زيتون

(١) هذا هو مجموع المقيدين على منح الازهر أما الطلاب الوافدون الذين يدر بالازهر — معاهد — كليات دراسات، عليا بما فيهم هؤلاء فلا يقلون عن اثنى عشر ألف طالب (١٢٠٠٠)

٢ — سورة التوبة آية ١٢٢ .

التليفزيون وأثره فى سلوك أطفالنا

* **الأبـــاء** : أولادنا يديرون ظهـورهم لنا ٠٠ ويقبلون على هذا الجهـاز ٠٠ !!

* **الأمهات** : لم أعد أحتمـل أولادى وهم يرددون الكلمات النابية التى يسـمعونها من التليفزيون ٠٠ !

* **علماء الدين** : لقد هبط بمستوى الـذوق والخلق لدى أطفالنا وأفشى الكثير من أسرار العلاقات الزوجية .

* **رجال الشرطة** : انه يعلم الجريمـة ٠٠ **وينشر العنف ــ وعندنا الأدلة ٠٠ !**

* **رجال الاعلام** : لا خـوف على أطفالكم منـه ٠٠ ولكن ٠٠

* **علماء النفس والتربية** : انه يساعد على النضج العقلى للطفلقبل الأوان .

ترى أين الحقيقة ؟ وسط هـذا الخليط من الآراء ؟

الآراء التى صادفناها ونحن نبحث هـذه القضية ــ والى أى مدى يؤثر هذا الجهـاز فى حياة أطفالنا ٠٠ ؟

ومن من هؤلاء الذين قدمنا على صـواب فى مخاوفه ٠٠

وهل علماء النفس محقون فى تفاؤلهم ٠٠؟!

حقيقة ٠٠ ، ان الموضوع جـد خطـير ، ولا تكفينا هذه السطور العجلى فى تنـاوله ، وانما الأمر يحتاج الى بحوث ميدانية تجرى فى هذا الشأن ، وان كنا فى هذا المقام سنأخذ بنتائج بحوث أجريت من قبل ، ولكن فى دول أوربية وأمريكية وبحث واحد أجرى فى مصر عام ١٩٧٨ م ٠٠ ولسـت أدرى لمـاذا ــ فى العـالم العربى والاسـلامى بالـذات ــ لا يحظى الطفل الا بأقل القليل من اهتمامات الباحثين والمفكرين ؟ وسـوف تدهش معى حين تعلم أن نسبة الأطفال فى العالم العـربى يشكلون حوالى ٤٣٪ من تعداد السكان (١) ، وسـوف تزداد الدهشـة والحيرة حين تعلم أن هذه النسبة لا تحظى من الانفاق عليهـا من ميزانية حكوماتها الا بفتات المائدة ٠٣ر٪

أولا : التليفزيون فى قفص الاتهام : ــ

فى خلال السنوات العشر الماضية ، شـغل التليفزيون الكثير من أوقات العلماء والباحثين فى مجالات التربية وعلم النفس والاجتمـاع والاعلام والعاملين فى مجـالات الاتصـال ٠٠ ولقـد أطالوا البحث فى قضية التأثير عـلى الطفل على وجه الخصوص ، وتعرضوا للآثار السلبية التى يتركها هذا الجهاز على أطفالنا !

غير أنه من الملاحظ أن كثيرا ممن كتب فى هذا الميدان ــ ، كتب بحرارة زائدة ، وخوف وافر على أطفالنا ــ وهم محقون فى ذلك ــ

١ ــ د٠ فوزية فهيم : التليفزيون فن ، سلسلة اقرأ ، العدد ٤٦٥ .

للأستاذ حسن على محمد العنيبسى

ولكن متى كان التحيز من سمات البحث العلمى ؟ ومتى أفادت العاطفة فى قضايا خطيرة كهذه القضية ؟ .

والباحث فى هذا الميدان يجد أمامه كثيرا من علامات استفهام تطرح نفسها على بساط البحث ومازالت مثل هذه الاستفهامات — فى الدول النامية بالذات — لم تجد اجابة واحدة شافية مفيدة .. فما يكون مضرا للطفل من برامج فى دول أوربا قد يكون غير ذى ضرر للطفل الأفريقى وما يراه الباحث مفيدا للطفل المسلم قد لا يراه كذلك من هو فى أمريكا !؟ .

الا أن هذا لا يمنع من وجود أمور محددة قد تؤثر على الطفل — أى طفل — تأثيرا خطيرا يسبب الكثير من السلبيات التى تظهر فيما بعد وهنا مكمن الخطر .. ! ، ونجمل أهم الاتهامات الموجهة الى التليفزيون فيما يلى :

— التليفزيون هبط بمستوى الذوق والخلق لدى الأطفال .

— التليفزيون يعمل على الاقلال من معرفة الطفل ويأخذ من وقت القراءة .

— التليفزيون يساعد على انتشار العنف بين الأطفال ويعمل على نشر الجريمة .

— التليفزيون لم يجعل فى الحياة الأسرية أسرارا . فقد وصل حتى غرفة النوم .

التليفزيون يأخذ الطفل من أحضان أمه ولا يوفر وقتا للعلاقات العائلية ، وبالتالى يساعد على غربة الطفل فى بيته وشعوره بالانعزال .. !

— التليفزيون هبط بالقيم والمبادىء .. ويمجد القيم الهابطة ويقدم صورا مشوهة للعلاقات الانسانية .. مما يشوه فكرة الطفل عن مجتمعه .

هذه تساؤلات طرحها كثير من العلماء والباحثين وأجروا تجاربهم وأبحاثهم وحاولوا وضع أجابات لها .. سنقدمها بين يديك .

*** ولنا الى جانب هذه الاتهامات .. اتهام :**

اذا كان فى مجال السينما توجد أفلام « للكبار فقط » ولا يسمح بمشاهدتها للاطفال .. ، فلماذا لا يراعى التليفزيون هذه الأمور وهو الذى يدخل « كل بيت » أى أنه للجميع كبارا وصغارا ، واذا دخل كل بيت فان برامجه تصبح فى متناول الجميع الطفل .. والكبير .

واذا كان منتجو « الأفلام السينمائية » والمسرحيات يتنافسون فى انتاج الافلام المثيرة بكل صنوف الاثارة سعيا وراء الربح المادى ، وكسبا لمزيد من المشاهدين ، فان التليفزيون غنى عن مثل هذه الامور ، حيث أن مصدر تمويله مضمون ، من مال هذا الشعب تقدمه له الحكومة سنويا ، كما أن **جمهوره مضمون ،** كل أسرة تقتنى تليفزيون ، اذن لماذا ينسى هذا الجهاز هذه الحقائق !؟ .

التليفزيون
وأثره فى سلوك أطفالنا

ولقد نشرت مجلة الاذاعة والتليفزيون (١) فى عدد سابق عبارة شهيرة لأحد النقاد المعروفين قال فيها : —

« لقد كنا نخاف على البنت أو الولد ونمنعهما من دخول « الكباريه » ، فأدخل التليفزيون « الكباريهات » الى كل بيت .. !!

حتى العلاقات الزوجية فقدت قدسيتها وتحولت الى مجموعة من المشاهد المثيرة التى تدور حول علاقات حجرة النوم بين الزوجين ..!

ونحن هنا نتساءل : لماذا لا ينقى التليفزيون برامجه .. كل برامجه .. من هذا الغثاء .. !؟ من كل الأنماط السيئة .. لماذا ؟

وفى هذا الصدد فاننى لست مع الذين يقولون : ان على الآباء منع أولادهم بطريقة ما من مشاهدة مثل هذه الأفلام التى تحوى مشاهد جنسية أو مشاهد عنف ، من حيث أن ذلك صعب عمليا ولن يكون الأب رقيبا مستديما على أولاده .. !

كما أننى لست مع الذين يرفضون التليفزيون كلية ويرون أن ندعه لبلاد الكفار (٢) وأن نخرجه من دائرة الاهتمام ونستغنى عنه بوسائل أخرى .. !!

١ — مجلة الاذاعة العدد رقم ١٨٧٣ الصادر فى ٦ — ٢ — ١٩٧١ م .

٢ — صاحب هذا الرأى د. عمارة نجيب أستاذ الدعوة بجامعة الازهر فى كتابه المدخل الى الاعلام الاسلامى وهو كتاب جديد فى بابه الا أن لدينا تحفظات على كثير من آرائه .

ان كثيرا من برامج التليفزيون تعرض مشاهد العنف والقسوة والسلوك المنحرف بدرجة خطيرة تؤكد ما يقال بأن المواجهة الأولى للطفل مع العنف والسلوك الوحشى تحدث على شاشة التليفزيون ، ويرى كثير من علماء النفس أنه توجد علاقة ارتباطية بين زيادة جرائم العنف وازدياد البرامج المليئة بالسلوك الوحشى وفى دراسة قام بها د. وليام بيلسون (٣) لمعرفة العلاقة بين مشاهدة الأطفال للعنف فى التليفزيون وبين اكتسابهم صفة العنف فى حياتهم العملية .. ومن نتائج هذه الدراسة وجد : —

— أن الأطفال الذين يشاهدون برامج العنف يتسم سلوكهم بالعنف الى درجة كبيرة تزيد حوالى الضعف عن أولئك الذين لا يشاهدون الا أقل القليل من هذه البرامج .. !!

— وتوجد خمسة برامج تليفزيونية تسبب هذا العنف ، وسوف نذكرها ، لأن التليفزيون المصرى مصمم على اذاعتها وإتحاف أطفالنا بها : —

هذه البرامج هى :

أفلام رعاة البقر ، مباريات الملاكمة والمصارعة والكاراتية ، أفلام الجريمة والافلام البوليسية ، والتمثيليات التى تظهر أبطالها وهى تمارس العنف ضد بعضها البعض الآخر (٤) .

ولخطورة القضية يكفى أن نشير الى تصريح خطير للرئيس الراحل جون كينيدى رئيس

٣ — د. فوزية فهيم ، المرجع السابق ، ص ١٠٤

٤ — وتشتد الخطورة اذا علمنا أن الاطفال يشاهدون أكثر من ٥٩٪ من البرامج المخصصة للكبار.!

الولايات المتحدة الامريكيــة .. يقــول أن الجريمة زادت بسبب التليفزيون وأن مكافحة انحراف الأحداث يكلف بلاده حوالى خمســة بلايين دولار سنويا » .

ومن المفيدأن نذكر فى هــذا المقــام ، أن الولايات المتحدة الامريكية ، التى تتوافر فيها الحرية المطلقة ، الى حد بعيد ، تمارس انشاء لجــان فنية ــ موجودة فعلا ــ وهذه اللجــان معنية بمجالات الفنون الاذاعية الموجهة الــى الأطفال والشباب ، وتقوم بمتابعة ما يــذاع ، ومراقبة الشبكات التليفزيونية التى تخرج عن القصد وتوقع عليها العقــوبات المـــــلائمة للمخالفات ، وقد تصل العقوبة الى حد سحب ترخيصها ، كما أنه توجــد شــبكات اذاعيــة وتليفزيونية متخصصة ، موجهة الى الشباب ، ومنها ما هو مخصص للأطفال ..

ومن هنا نرى الى أى مدى تحرص الدولــة على حماية أطفالها من تجاوزات الوســـائل الاعــلامية ومنها التليفــزيون على وجـــه الخصـــوص ، وذلك لأن الأطفال هم الثــروة الحقيقية لبلادهم .. !

ولكن ليس معنى هذا أننا نقول هنا أن يجب الغاء التليفزيون نهائيا من حياتنا ، وحيـــاة أطفالنا حتى نستريح ، ونريح ، ولكنى أقــول ان الاستخدام الخاطىء لهذا الجهاز هو الذى يؤدى الى هذه النتــائج الخطــيرة ، وهــذا الاستخدام يتمثل فيما يقدمه التليفــزيون من قيم ومبادىء تختلف تماما مع قيمنا الاسلامية فى بعض الأحيان .

*** ثانيا : مشاهدة التليفزيون بين الأطفال :**

لو أنك سألت طفــلا .. لماذا نشــــاهد التليفزيون (١) ؟ فلن تجد لــديه جـــوابا شافيا ، فقد يجيب بأنه يشــاهدهلأنــه يحب التليفزيون ، أو لأنه يسليه ، أو لأن « مامــا تشاهده » !! وذلك دون أن يقدم لك شـــيئا مفيدا عن سبب الاقبال على المشاهدة كسبب حقيقى ، ولهذا لجأت الى دراستين أتلمس فيها جوابا عن هــذا الســؤال : ــ

الأولى : قــام بهــا العــالم ويلبور شرام وجاك ليــل ، وباركر .. وســـــوف نذكــر نتائجها فقط .

والثانية : فى بحث لتقييم برامج الاطفــال بالاذاعة والتليفزيون قام به اتحاد الاذاعة فى عام ١٩٧٨ وقد أجرى فى مدينة القـــاهرة .

(أ) البحث الذى قام به شرام وزميلاه :

قدم ديلبور شرام وزميـــلاه الســـؤال السابق الذكر الى الاطفال بطريقة غير مباشرة فوجدواالآتى : ــ

ــ أنه يوجد سبب واضح لمشاهدة الأطفال للتليفزيون وهو الاســاس الســلبى بالسرور نتيجة للترفيه الذى يقدمه الجهاز حيث يعيش الطفل فى جو خيــالى ليتخلص من مشـــاكل الحياة الواقعية ..

ــ كذلك فان الأطفال يكتســـبون جانبا من المعرفة عن طريق التليفزيون دون قصد منهم لذلك ، رغم أن الأطفــال يضــيقون بالبرامج التعليميــة ، وذلك لأنهم يريــدون أن يجىء

١ ــ حاولت أن أوجه هذا السؤال بصـــيغ مختلفة الى كثير من الاطفال فى منازل كثير من أصدقائى وراعيت أن يكونوا من شرائح اجتماعية مختلفة ، وفى الحق أنى وجدت تأثرا كبيرا لدى الاطفال بالتليفزيون وتأثيرا واضحا على الطفــل فى مفردات الالفاظ ، وخبراته فى الحياة ، وكم المعلومات عن الحياة العامة ، لاسيما أســـماء الاماكن والممثلين والفنانين والاغانى !!

التليفزيون
وأثره فى سلوك أطفالنا

التعليم من التليفزيون بطريق غير مباشر .

ـ يجد الطفل فى التليفزيون ما يعينه على الهرب من الصراع النفسى ، كما أنه يشبع رغباته النفسية ، ويسرح معه بخياله ..

ـ التليفزيون يحتوى على كل مميزات الوسيلة السمعية والبصرية ومن هنا تأتى جاذبيته فى الصورة .. والصورة المتحركة .. والملونة . .والمكبرة أحيانا ..!!

ب ـ البحث الذى أجرى بمدينة القاهرة فى ج . م . ع : (١)

أجرت هذا البحث الامانة العامة لاتحاد الاذاعة والتليفزيون فى مدينة القاهرة فى ١٩٧٨م ، على : أطفال المدارس الابتدائية .. فى السن التى تتراوح بين ٨ ـ ١٢ سنة أى بين تلاميذ الصف الثالث وحتى السادس الابتدائى .

وقد روعى فى تحديد السن .. أنها السن التى يمكن للطفل فيها أن يعبر عن رأيه فيما يقدم له بوضوح ، وكانت عينة الدراسة : عينة عشوائية منتظمة قوامها «٤٠٠» طفل وطفلة ، وهى تضم حوالى « ١٣٦ » مدرسة ابتدائية منتشرة على أربعة أقسام ادارية هى : ـ قصر النيل ، بولاق ، عابدين ، الموسكى .

النتائج :

وبالبحث اتضح أن ٩٨٪ من أفراد العينة(٢) يشاهدون برامج التليفزيون بصفة عامة ، وهذا مكمن الخطورة حيث يشاهد الاطفال برامج الكبار ، بما لايتناسب مع السن أو التفكير .. ووجدوا أيضا أن ١٠٠٪ من الاطفال فى العينة « ذكور » يشاهدون برامج التليفزيون ، فى حين أن ٩٥٪ من الاناث يشاهدون برامج التليفزيون ..

وفيما يلى أهم البرامج التى يفضل أطفالنا ـ فى القاهرة مشاهدتها :

الترتيب	اسم البرنامج	معدل المشاهدة
الاول	برامج الاطفال	٩٠ر٨٪
الثانى	الفيلم العربى	٧٩ر٦٪
الثالث	المسلسلات	٦١ر٢٪
الرابع	عالم الحيوان	٣٥ر٥٪
الخامس	أفلام الكرتون	٣٤ر٤٪

ويلاحظ أن الفيلم العربى يحتل المرتبة الثانية .. ونظرة واحدة على مضامين أفلامنا العربية تؤكدلنا الى أين نحن نسير .. وكيف نجنى على هؤلاء الاطفال ..؟

أما عن البرامج التى يقدمها تليفزيون جمهورية مصر العربية للأطفال فهى كالآتى مرتبة حسب أولويات مشاهدتها لدى الأطفال:

الترتيب	اسم البرنامج	معدل المشاهدة
الأول	سينما الأطفال	٧٠ر٢٪
الثانى	عصافير الجنة	٦٤٪
الثالث	فتافيت السكر	٥٢ر٥٪
الرابع	نادى العلم والايمان	٣٣٪
الخامس	عالم الصغار	١٦٪

ويلاحظ أن البرامج ذات الجرعة الدينية الخفيفة تأتى فى المؤخرة « الترتيب الرابع » ، ويرجع هذا الى مسألة التوجيه .. اذ لابد أن يوجه الآباء والامهات أولادهم ويساعدونهم

---

١ ـ راجع بحث تقييم برامج الاطفال بالاذاعة والتليفزيون ـ اتحاد الاذاعة والتليفزيون ـ الامانة العامة ط ١٩٧٨ ـ بمكتبة كلية الاعلام ـ جامعة القاهرة .

٢ ـ نفس المرجع ، ص ١ ، ٣ ، ٦ ، ١٦ .

فى اختيار ما يشاهدونه وما لا يشاهدونه !! قدر المستطاع •• !

ويقدم البحث (١) عدة مآخذ على برامج الأطفال يحسن بنا أن نذكرها فى هذا المقام :

١ ــ أن هذه البرامج غير مفهومة لكل الأعمار

٢ ــ أن موضوعاتها مكررة فى مختلف البرامج •

٣ ــ توجد مبالغة فى القصص الخرافية •

٤ ــ ضعف مستوى الشكل والمضمون •

٥ ــ لا تهتم بالمشاكل الحقيقية للأطفال •

٦ ــ قلة ما يعرض من أفلام الكرتون •

٧ ــ كثرة ثرثرة المذيعات •• مما يأخذ من وقت البرنامج •

٨ ــ عرض اللقطات المخيفة •

وذكر البحث عدة أوجه للافادة من هذه البرامج منها :

١ ــ أن ٥٢٪ من أطفال العينة تعلمهم هذه البرامج احترام الوالدين •

٢ ــ أن ٤٢٪ من أطفال العينة تعلمهم حب المدرسة •

٣ ــ أن ٢٧٪ من أطفال العينة تعلمهم الشجاعة والصدق فى القول :

ثالثا : متى يبدأ الطفل فى استعمال التليفزيون ؟ ومن أكثر الأطفال مشاهدة له ؟ •

ان «التليفزيون» ليس بأول الوسائل التى يتعرف عليها الطفل فى حياته •• وليس هو مصدر المعرفة الأوحد لدى الأطفال •• فهناك الحواس التى أودعها الله فى الانسان ، وهناك المشاهدات اليومية للطفل ، وقصص الأم للأولاد •• !

ويمكن القول أن أول وسيلة للمعرفة لدى الطفل هى الكتاب (٢) ، ويتم اتصاله بها عندما يسمع قصة على لسان والدته قبل النوم وعليه فان الطفل يتعرف على الكتاب عن طريق قصة يسمعها وليس عن طريق القراءة المباشرة •• !

ولقد أثبتت بعض الدراسات العلمية أن أول اتصال يتم بين الطفل والتليفزيون يتم فى سن الثانية ، وذلك عندما ينصت مصادفة الى برنامج يستمع له شخص آخر ، حتى اذا بلغ سن الثالثة من عمره استطاع أن يحدد أى البرامج يحبها ويفضلها مثل برامج الأطفال وبرامج الصور المتحركة وأفلام الكرتون وقصص الحيوان •• الخ •

وفى الفترة من الثالثة وحتى سن السادسة يبدأ الطفل فى معرفة بقية وسائل الاتصال فيتعرف على « الراديو » ، وقد يصحبه أحد الكبار من أسرته الى « السينما » ويبدأ فى معرفة الوسائل المطبوعة ، ويبدأ بعد ذلك نشاطا ايجابيا نحو الكتاب خصوصا بعد دخوله المدرسة •• ويمكن أن نجمل عدة حقائق حول بداية تعرف الطفل على التليفزيون منها :

١ ــ أن طبيعة البرامج التى يتعرف الطفل عن طريقها بالوسيلة : (راديو أم تليفزيون) ترتبط ارتباطا وثيقا بمادة هذه البرامج •

٢ ــ أن الطفل حين يتعرف على هذه الوسائل السمعية والبصرية فانه يتعرف اليها على أنها مجالات خيالية أو أنها خبرات سمعية وبصرية ، كما أن الكيفية التى يستعمل بها الطفل التليفزيون توضح لنا أنه يعتبره جسرا الى عالم الخيال ••

---

١ ــ نفس المصدر ، ص ٦ •

٢ ــ نفس المصدر ، ص ١٦

التليفزيون
وأثره فى سلوك أطفالنا

والملاحظ أن الاقبال على التليفزيون يطغى على جميع وسائل الاتصال لدى الأطفال وهنا — فى الحقيقة — خطورة الموقف اذ يسيطر التليفزيون ويستأثر بنصيب الأسد فى عدد المشاهدين من الأطفال .. ومن هنا ننادى بضرورة التدقيق فيما يقدم من موضوعات!!

وفى تجربة أجراها الباحثون فى هذا الميدان (١) تبين لهم أن معدل السن الذى يبدأ فيه الأبناء التعرف على التليفزيون هو ٢٫٨ سنة ، وفى تجربة قام بها نفس الباحثين فى سان فرانسيسكو للتمييز بين استعمال الطفل للتليفزيون وبين الاستعمال المنتظم فوجدوا أن : —

٣٧٪ من الأطفال يستخدم هذا الجهاز فى سن الثالثة .

٦٦٪ من الأطفال يستخدم هذا الجهاز فى سن الرابعة .

أكثر من ٨٠٪ من الأطفال يستخدم هذا الجهاز فى سن الخامسة (وهى سن الذهاب الى رياض الأطفال) .

وأكثر من ٩٠٪ من الأطفال يستخدم هذا الجهاز بانتظام فى سن السادسة (وهى سن المرحلة الابتدائية فى السنة الأولى) .

واذا ما قارنا بين استخدامهم للتليفزيون واستخدامهم لأية وسائل اعلامية أخرى لوجدنا أن التليفزيون فى المقدمة فمثلا فى سن الثالثة يشاهد الطفل ٤٥ دقيقة يوميا ، كذلك فان ٩٠٪ من الأطفال يعرفون « التليفزيون » حق المعرفة قبل أن يقرأوا أول صحيفة .

٨٠٪ من الأطفال يتعرفون على «التليفزيون» قبل أن يتعلموا فى المدرسة نطق أى كلمة مكتوبة .

٦٦٪ من الأطفال يتعودون على المشاهدة قبل أن يذهبوا الى « السينما » هذه الحقائق تشير الى أن هذا الجهاز يحتكر وقتا كبيرا من وقت أطفالنا ويصل اليهم قبل أية وسيلة أخرى ، واذا كان العلم فى الصغر كالنقش على الحجر — فان هذا العلم الذى يقدمه التليفزيون ينبغى أن يكون مفيدا وبناء .. !

وتشير نتائج أحد الأبحاث التى أجريت لمعرفة كم من الزمن يقضيه الطفل مع التليفزيون فوجدوا الآتى :

— الطفل الذى فى سن الثالثة يقضى ٤٥ دقيقة فى المشاهدة فى الأيام العادية وتزداد هذه المدة مع كبر السن حتى تصل الى ساعتين ونصف فى سن الخامسة .

— وفيما بين الخامسة الابتدائية والثانية الاعدادية تزيد مدة المشاهدة حتى تصل الى أكثر من ثلاث ساعات .. !!

والأرقام السابقة الذكر لها دلالات خطيرة .. فمعناها أن الطفل خلال سنوات تعلمه فى المدرسة يقضى مع التليفزيون ٥٪ من الزمن الذى يقضيه فى المدرسة ومن سن الثالثة الى السادسة عشر يبلغ مجموع الزمن الذى يقضيه الطفل مع التليفزيون أكثر من الذى يقضيه فى

١ — التليفزيون وأثره فى حياة أطفالنا : مرجع سابق ص ٤٤ ونحن لا نتفق مع المؤلف فى مسألة أن الكتاب أسبق الى الطفل من التليفزيون حتى وان كان عن طريق قصة يسمعها وذلك لان الثابت علميا أن الطفل يتعرف الى التليفزيون فى الثانية من عمره !!

المدرسة ، ويقول الباحثان : شرام وباركر .. **ان الطفل يقضى من وقته فى مشاهدة التليفزيون زمنا أطول من الذى يستغرقه فى أى نشاط آخر الا النوم واللعب ..!! .**

والغريب أن الباحثين وجـــدوا أن أكثر الأطفال مشاهدة للتليفزيون هم الذين رزقـــوا ذكاء أقل من غيرهم .. لأن الاكثر ذكاء يتحول الى القراءة والى الكتاب والى أشياء تتحدى مستواه العقلى .. !!

ويلاحظ أن ٥٠٪ مــن الأطفال يشـــاركون الكبار فى مشاهدة برامج التليفزيون فى الفترة الأولى من السهرة وهنا أيضا مكمن الخطورة الذى يجب أن يراعيه التليفزيون ، ولهذا يبدى الكثير من الآباء مخاوفهم من الانطباعات التى تحدثهـــا برامج العنف والجريمة على عقـــول أبنائهم الصغار ، وكلما زادت ثقافة الوالدين كلما كان خوفهم أكبر على أولادهم من هـــذا الجهـــاز .. !!

والحقائق والأرقام السالفة الذكر تقول لنا ان التليـــفزيون يقتطع بعض الوقت المخصص للعب لأن فى برامجه ما يشـــبع نفس الرغبات التى يجنيها الطفل عن طريق اللعب .. !!

رابعا : ادمان الطفل لمشـــاهدة التليفزيون وعلاقته بالمشاكل العائلية فى المنزل :

هناك دراسات كثيرة تتصل بموضوع العلاقة بين المشـــاكل الاجتماعية للطفل ومشـــاهدته للتليفزيون ، واحدى هـــذه الدراسات أجرته السيدة « لوت بيلين » حيث اكتشفت هـــذه السيدة أنه توجد عـــلاقة بين الذكاء والطبقة الاجتماعية والدين ومدى مشاهدة التليفزيون.

كما أن المشاكل الشخصية للطفل ، مثل أن يكون دميما أو سمينا بدرجـــة لافتة للنظر أو منطويا .. الخ لها علاقة بمحتـــوى البرامج التى يشاهدها الطفل ، ووجدت هذه السيدة أن الطفل الذى يعانى من بعض هذه المشاكل يميل الى مشاهدة الأفلام التى يقوم البطل فيـــها بأعمال عدائية .. !!

كما أن المشـــاكل العائلية ونزاع الوالدين يشعر الطفل بعدم الأمان ، فيرى الأمور بعين ساخطة وتطول مـــدة مشـــاهدته للتليـــفزيون ويتأثر بما يشـــاهده الى حـــد بعيـــد .. لأنه افتقد القدوة فى منزله .. !

ولهذا فان الأطفال الذين يشعرون بالاحباط يميلون الى التنفيس عن مشـــاعرهم بطريقة تعويضية بمشاهدتهم للبرامج الخيالية ، ويتأثر سلوكهم بأعمال الاعتـــداء التى يرونهـــا فى التليفزيون .

وقد وجـــد الباحث شرام وباركر أنه كلما زادت حدة الصراع بين الطفل ووالديه حول مواقف معينة أو نظرته ونظرتهم لأمور ما :

ــ تزيد مدة مشاهدته للتليفزيون

ــ تزيد مدة استماعه للراديو

ــ يزيد عدد مرات ذهابه الى السينما

ــ يقل عدد المجلات التى يقرأها

ــ يقل عدد الكتب التى يقرأها

ولهذا ، فاننـــا لا نعفى الوالدين وطريقة تعاملهم مع أطفالهم وأسلوب حياتهم ونظـــام معيشتهم مـــن التأثير عـــلى الطفل فى زيادة المشاهدة من عدمها .. !!

*** التليفزيون .. وما يحدثه من آثار عـــلى أطفالنا :**

لشد ما أخاف على رجال المستقبل ، وشباب الغد من هـــذا الجهاز ــ رغـــم ما يطمئننا به

التليفزيون
وأثره فى سلوك أطفالنا

باحثو الاعلام – ذى الجاذبية الشديدة للطفل الذى يهوى الصورة والحركة والألوان . وكلها أدوات متوفرة للتليفزيون .. !

وفى بحثنا عن هذه الآثار التى يحدثها التليفزيون ، فانه لا يمكننا مناقشة هذه القضية دون أن نفهم الرابطة التى تربط بين الطفل والصورة التى يراها فى التليفزيون ، ولا يمكننا فهم هذه الرابطة ، دون أن نفهم خصائص كل منهما ، أى خصائص الطفل وطبيعته ، وخصائص الصورة ..

ا – طبيعة التليفزيون :

* **من خصائص هذا الجهاز أنه له قدرة** كبيرة على جذب الانتباه .. الى حد الاستغراق .. ! وكيف لا ؟ وهو الذى يخاطب العين والأذن ، ومن ثم يركز انتباه المشاهد على الحركة فى مساحة صغيرة جدا وهى شاشته .. !

* أن يسهل الحركة والنقل من مكان الى مكان ، خصوصا بعد ظهور الأحجام الصغيرة التى تعمل على بطارية السيارة والاحجام الأخرى التى تعمل فى جهاز « كاسيت » !! ، وبالتالى فانه يصاحب المشاهد فى خلوته ورحلاته وفى بيته كذلك ..

* ان « كاميرا » التليفزيون دائما تبحث عن كل ما هو غريب وطريف ومثير مما يزيد من جاذبيته وسلطانه على الأطفال .

* امكانيات الاخراج التليفزيونى التى تضخم الصورة أو تعرضها بأشكال فنية جذابة ، وانتشار الخدع التليفزيونية السينمائية ..

* يوفر على المشاهد كثيرا من الجهد والانتقال .. فهو يشاهد الكثير مما يروقه عن طريق الأفلام بدلا من الذهاب الى السينما .. ودفع ثمن تذكرة .. وقد لا يعجبه « الفيلم » .. !

* أنه ينقل الأحداث حية على الهواء – ويتميز بهذا عن السينما والمسرح – ويقدم الأخبار التى تهم المشاهد مما يزيد من التصاق المشاهد به .. هذا الى جانب العديد من المزايا والخصائص التى يتمتع بها هذا الجهاز ونحن نذكرها كمؤشرات اذا ما قارنا ذلك بطبيعة الطفل لنعرف الى أى مدى والى أى حد يمكن أن يؤثر هذا الجهاز ..

ب – طبيعة الطفل :

الطفل كائن حى .. يولد صفحة بيضاء ، لديه الاستعداد الكامل للتعلم ، واستثمار ما وهبه الله سبحانه من ذكاء وفطنة ، ولهذا فان الطفل انسان صغير يتدرب اجتماعيا على يد من هم أكبر منه ، ويتلقى عنهم الخبرات المختلفة .. والطفل فى بداية حياته توجد لديه طاقة ضخمة للتعلم ، والتشكل ، ومن هنا فان التأثير يكون سهلا والتغيير يكون واضحا .!

وقد قالوا ان الطفل فى العصر الحديث له ثلاثة مربين : الآباء ، والتليفزيون ، والمدرسة .. وأصبح التليفزيون لا يقل تأثيرا عن الوالدين أو المدرسة فى تنشئة الأطفال ..!!

وتتداخل مرحلة الطفولة مع مرحلة

المراهقة ، وهى مرحلة تتميز بتقلب الأحاسيس والمشاعر ، وقد يستولى على المراهق شعور بعدم الاطمئنان والخوف ، وقد يمر بخبرات اجتماعية قاسية تجعله سريع التأثر ، وقد يثور على المجتمع ، والأسرة ، ثم يأتى التليفزيون فيشعل الفتيل .. !!

ومن هنا فان الطفل انسان يكون فى أمس الحاجة الى من يفهمه ، ويقدر مشاكله ، ويساعده على حلها ، ويأخذ بيده الى بر الأمان ، بدلا من الصياح فى وجهه ، ومقابلة مشاكله بعدم الاكتراث ، ومن هنا يهرب الطفل الى الخيال .. ويستعين بجهاز التليفزيون على ذلك حيث يرى فيه وسيلة للتنفيس عما عجز عن حله من مشاكل .. !

كما يجب أن نعلم يقينا أن الظروف المحيطة بالطفل والحاجات التى يحس بها وظروف العائلة ، ومستواها الاجتماعى ، ودرجة الوعى لدى الأم والأب ، كل هذه الأمور هى التى تقرر كيفية استعماله للتليفزيون ، وبالتالى تقرر النتائج المترتبة على هذا الاستعمال ..

بعد أن :

عرضنا — سريعا — طبيعة التليفزيون ، وطبيعته أو خصائص الطفولة ، فانه يمكن القول أن الآثار التى يحدثها التليفزيون — أيا كانت — هى عبارة عن نتيجة التفاعل بين خواص البرامج التى يشاهدها الطفل ، وبين خصائص الطفل النفسية والعقلية والاجتماعية .

كما يجب ألا نغفل جانبا هاما فى مسألة التأثير ألا وهو أن أثر البرنامج المذاع يتوقف على ما به — أيضا — من قيمة بالنسبة للمشاهد تهمه ، أو هو يسعى اليها ، أو جديدة عليه ، أو تدعم اتجاها لديه من قبل ..

ولهذا فان كثيرا من الدراسات والبحوث التى أجريت فى مجال التأثير من جانب التليفزيون على الطفل أظهرت أن ذلك التأثير يتم وفقا لعدة عناصر :

* **القدرة العقلية :** وهى المؤشر الأساسى الذى يحدد لنا قدرة الطفل على التعلم ، والى أى مدى يستطيع أن يفرق بين الحقيقة والخيال ، وبين الغث والسمين من البرامج ، وتكون رؤيته للبرامج رؤية ناقدة ، ولا يأخذها كمسلمات .

* **السن أو العمر** : وقد سبق أن عرضنا مدى أهمية السن فى تحديد ساعات التعرض للتليفزيون فكلما كبر الطفل زادت ساعات مشاهدته حتى يصل الى الحد الذى لا يزيد عليه الا وقت النوم واللعب فقط ..

* **العلاقات الاجتماعية** : ونقصد بها تلك العلاقة الكائنه بين الطفل ووالديه ، وبين والديه وكل منهما مع الآخر ، ومدى الاستقرار العائلى من عدمه ، والاشباع العاطفى للطفل من عدمه أيضا ..

التليفزيون وأثره في سلوك أطفالنا .

والتليفزيون يعطى الطفل بديلا عن النشاط الواقعى فى الحياة ، فعندما ترى طفلا يمص أصبعه وهو يشاهد التليفزيون فانه يمكن القول أن هذا الفعل حل محل ما يفقده من الحنان فى علاقته مع أمه (١) .

غير أنه يمكن القول ان التليفزيون لا يمكنه أن يقدم للطفل الراحة النفسية التى يشعر بها عندما يكون فى حضن أمه ولن يكون بديلا عن الأم ..

وترى بعض الدراسات الاعلامية ، أن التليفزيون ليس بقوة التأثير التى يتصورها أكثر الناس ، وأن التليفزيون قليل الأهمية اذا قورن بالمؤثرات الاخرى على الطفل مثل ظروف العائلة ، والتربية ، والجماعة التى يتعامل معها ، والمدرسة التى يتعلم فيها ، والأصدقاء الذين يلعب معهم ..

ويرى كثير من الباحثين أنه من الصعب أن نشير الى عمل سلوكى محدد منسوب الى طفل ما ونقول أن هذا السلوك بسبب مشاهدة التليفزيون .. !!

ونحن نرى أن فى هذا الرأى كثيرا من التجنى وعدم الواقعية ، فمن خلال زيارتى لدار الأحداث فى الجيزة ، وجدت أكثر من حالة لأطفال ارتكبوا جنايات عقب مشاهدتهم لأفلام يعرضها التليفزيون وتحفل الكثير من كتب الدراسات الاعلامية بالعديد من القضايا التى تؤكد تأثير التليفزيون على الطفل .

كذلك فاننا نتفق مع الرأى القائل بأن الطفل الذى يشاهد أحد البرامج ، ويتعلم منها — مثلا — كيفية ارتكاب جريمة سرقة ، وقام بها فعلا ، فان هذا الطفل بلا شك — غير طبيعى ، يختلف عن غيره من الاطفال فى خصائص نفسية كثيرة .. وأن لديه الاستعداد أصلا ثم قد **ساعده على ذلك ما يراه فى التليفزيون ..**

وهنا الخطورة .. **حين يقوم التليفزيون بدور الباعث أو المثير** .. !! ، فمهما حاول رجال الاعلام أن يخففوا من تأثير التليفزيون على الطفل فاننا نقول بدلا من ذلك ابحثوا كيف ننقى هذا الجهاز من الشوائب التى يعرضها .. !

ومن الآثار السيئة للتليفزيون أنه يسبب ارهاقا لعين الطفل ، نتيجة استمرار تركيز البصر على الصورة ، وذلك نتيجة عدم فهم الطفل للجلسة الصحية الصحيحة أمام التليفزيون ، أو حين تتم المشاهدة فى حجرة مظلمة حيث يزيد ذلك من حدة الضوء الذى تستقبله العين ، ومن هنا وجب على الآباء أن يعلموا أولادهم القواعد الصحية للمشاهدة ومن الآثار السلبية أيضا أنه يعود الطفل على

---

١ — شرام وآخرين ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠

السهر والنوم متأخرا مما يجعله متوترا عندما يستيقظ مبكرا ، وينام أثناء الدرس فى المدرسة •• ومن أخطر الآثار السلبية أيضا ــ أنه ثبت بالفعل ــ أنه يعلم الطفل العنف وينمى استعداده للجريمة ، وكما يقولون اذا كان السجن هو الكلية التى تخرج المجرمين ، فان برامج العنف هى المدرسة الاعدادية التى تبذر بذور الشر فى نفس الطفل •• !

وتشير الاحصائيات التى أجريت فى الولايات المتحدة الى أن التليفزيون يساعد على انحراف الأحداث ، حيث انه خلال السنوات العشر الأخيرة التى انتشر فيها التليفزيون زادت عدد الجرائم لدى الأحداث المقيدين فى السجلات الى أكثر من الضعف ••!

ويشجع التليفزيون على الانطوائية لدى الطفل نتيجة عدم التفاعل مع أسرته أو بين افراد الأسرة فهم دائما صامتون ــ الا فيما ندر ــ وهم يشاهدون التليفزيون ، وبعد المشاهدة يكونون قد تعبوا ولا توجد رغبة فى الحديث أو المناقشة •• !

وتأتى خطورة تأثيرات هذا الجهاز فى كونها لا تحدث مباشرة أو فى ساعتها وانما بعد مدة طويلة وتأثيرها تراكمى وعلى المدى البعيد •

خاتمة :

هذه المامة سريعة لآثار التليفزيون على أطفالنا وقد دفعنى لكتابة هذه السطور ما أراه من ظواهر غريبة على أطفالنا بدأت تنتشر ، وذلك التقليد لأبطال الأفلام الذى أراه لدى الأ طفال عند زيارتى بيت صديق أو قريب •

وفى النهاية لا أرانى قد وفيت الموضوع حقه فانما الامر يحتاج الى وقت وامكانيات وبحوث تخرج عن طاقتنا وقدرتنا •• لهذا آثرنا أن نسوق هذه السطور العجلى لنتبين الخطر ونهتم له ••

حسن على محمد العنبيسى

طرائف

ســـر الزهـــد

جاء رجل الى الحسن البصرى ـــ رضى الله عنه ـــ يسأله عن سر زهده فى الدنيا ، فقال : أربعة أشياء :

علمت أن رزقى لا يأخذه غيرى فاطمأن قلبى

وعلمت أن عملى لا يقوم به غيرى فاشتغلت به وحدى .

وعلمت أن الله مطلع عـــلى فاســـتحييت أن يرانى على معصية .

وعلمت أن الموت ينتظرنى فأعـــددت الزاد للقاء ربى .

صـــلاح الأمة وفسادها

أول صلاح الأمة : فى الزهد واليقين .

وأول فسادها : فى البخل وطول الأمل .

أجـــود النـــاس

من جاد من قلة ، وصان وجه الســـائل عن المذلة .

قـــالوا ...

* أقرب ما يكون العبد الى الله اذا سأله ، وأبعد ما يكون من الناس اذا سألهم .

* من اشترى ما لا يحتـــاج اليـــه باع ما يحتاج اليه .

* اذا أردت أن تعرف من أين حصل الرجل على المال فانظر فى أى شىء ينفعه .

* أصـــعب الأشـــياء أن ينـــال المرء ما لا يشتهيه ، وأصـــعب من ذلك أن يشـــتهى ما لا ينـــاله .

* من بلغ غاية ما يحب ، فليتوقـــع غايـــة ما يكره .

* الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بهـــا .

* صمتك حتى تستنطق خير من نطقك حتى تســـكت .

* من كثر رضاه عن نفسه كثر الساخطون عليـــه .

* كان النـــاس يفعـــلون ولا يقولون ثم صاروا يقولون ولا يفعلون .

ومواقف

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

قالوا عن الثقلاء

كان أبو هريرة — رضى اللــه عنــه — اذا استثقل رجلا يقول : « اللهم اغفر له وأرحنــا منـــه » •

وكان الامام الأعمش — واسمه سليمان بن مهران — اذا رأى ثقيلا ، قال : « ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون » •

وقيل للأعمش : لم عمشت عينــاك ؟ قال : من نظرى الى الثقلاء •

ونقل عن السدى المفسر أنه قال : لقد ذكر الله الثقل فى القرآن فى قوله تعالى : **« فــاذا طعمتم فانتشروا »**

وذكر الزمخشرى أن الشعبى — رحمه الله عاده ثقيل فأطال الجلوس ، ثم قال ماأشد مامر عليك فى مرضك ؟ فقــال الشــعبى : قعــودك عندى !!

حـــقيـقة

قيل لعبد الله بن بسام : فلان غيرته الوزارة فقال : اذا ولى الرجل ولاية فرآها أكبر منه تغير ، واذا وجدها أقل منه لم يتغير •

حـــقاً

أخــو العلم حى خالــد بعــد موتــه
وأوصـــاله تحت التــراب رميــم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى
يظن من الأحيـــاء وهــو عـــديم

دعـــاء

اللهم انى أسالك نفســا بك مطمئنــة تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك ، وتقنع بعطائك •

من التراث

- مجلة الأزهر من خمسين عامًا
- من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

مجلة الأزهر من خمسين عامًا

من الواجب على الانسان أن يعرض جميع ما يسنح لخياله من الأبواب الاعتقادية على عقله ، ليامن من آفات الكذب ، غير أنه ربما كره عرضه على عقله تفاديا من أن يُزَنَّ(١) بالنقص ، أو يُؤَنب بالكذب .

وكما أن العمل الأحكم هو ما يكون الاقدام عليه بعد التقدير ، فان مثل العمل القول الأحكم هو ما يكون اطلاقه بعد الروية . كذا العلم الأحكم هو ما يكون الاعتقاد له بعد التهذيب . اذا عرف هذا نقول :

ان العلم هو الاحاطة بالشىء على ما هو عليه من غير خطأ ولا زلل وأعز أنواع العلم : العلم الملى وأربابه : هم المصطفون من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وكل نبى حكيم وليس كل حكيم نبيا .

واستفادة العلم عمارة القلب .

ومجالسة العلماء والحكماء تجلية للأبصار .

وبدو صلاح العقلاء قطيعة أصناف الجهلاء

وأعون الأشياء على تذكية العقل الخضوع للتعلم .

وما الذل والنقيصة الا فى الجهل والغباوة .

ومن الواجب على كل انسان أن يلتزم التعليم لمن هو دونه . والتعلم ممن هو فوقه،

---

١ ـ يعاب .

صدق العزيمة أو قوة الإرادة

لفضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

عرض وتقديم

الأستاذ أحمد حسن جابر رجب

ولن يسلك سبيل الطعن على أهل العلم الا من ثكل التعظيم من الناس ، وحاول اماتة الرغبات فى العلم تَسَخُّطاً على ما يراه من محلهم فى قلوب العباد • ومتى أحب العالم أن تنظر العيون اليه بالاجلال فليقرن بعلمه القناعة والزهد • ومهما فعل ذلك فقد صار مصباحا يقتدى به فى ظلمات الشبهة ، فان من هزه علمه الى الاعجاب بنفسه فقد أورثه الكبر والخيلاء ، وعرضه للعداوة والمقت •

وأحسن أدب الأفاضل ألا يفخروا بشىء مما فضلوا به على الدهماء • ولم يزل العائبون آفة المحسنين • وابن آدم الى عيب أخيه أسرع من السبع الى فريسته •

ومن قال : ان الأحكام الدينية من حقها أن نتبع فيها الكتاب والسنة فقط فقد دل من نفسه على جهل عظيم :

أما أولا : فان الله تعالى يقول : **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** » التوبة / ١٢٢ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نضر الله أمرأ سمع مقالتى فبلغها ، فَرُبَّ حاملِ فقه الى من هو أفقه منه » ابن ماجه فى السنن ١/٥٢ فى باب من بلغ علما • وقوله صلى الله عليه وسلم : « نَضَّرَ الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فَرُبَّ مبلغ أوعى من سامع » حديث صحيح رواه أحمد ، والترمذى ، وابن حبان عن ابن مسعود •

وقال صلى الله عليه وسلم : « نضر نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » حديث صحيح رواه الترمذى ، والضياء عن زيد بن ثابت •

ثم رضى صلى الله عليه وسلم من معاذ حين وجهه الى اليمن فقال : « بم تحكم بعد كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم :

فقال : أجتهد رأيى » •

<

فى الحـديث الذى رواه أحمـد بن حنبل : ٥/٢٢٠ قال : حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا الى اليمن قال لـه : « كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بما فى كتاب اللـه ، قال : فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله • قال : فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيى لا آلو • قال : فضرب رسـول الله صـدرى ثم قال : الحمد لله الذى وفق رسول رسـول الله لما يرضى رسول الله » •

وأما ثانيـا : فـلأن الصـحابة كلهم بعد رسول (٣) الله صلى الله عليـه وسلم : كانوا فرقتين : فرقة أقدمت على استعمال المقاييس• وفرقة آثرت الكف عنها من غير أن توجه المعابة على الفرقة الأولى ، وليس يشك أنه لو كـان القياس محظورا فى الدين ، لوجد منهم طائفة تستنكر صنيع أولئك واذن فقد دل سـكوتهم عنه على أنهم لم يعتقدوا فيه الحظر فصـار استعماله على الحقيقة حكما اجماعيا •

وأما ثالثا : فلأن الآثار المروية ــ وان كثرت، فانها تنحصر بحيث لا يحتمل الزيادة عليهـا والحوادث العارضة للخليقة هى فى القوة غـير منحصرة ، ولا متناهية ، ومهما حظر الاجتهاد على المفتين لم يوجد بد من الرجوع الى أحـد الوجهين •

وأما رابعا : فلأن الله تعالى أقام للخليقـة أصـول الأغذية ثم هداهم لجهـات تمييزها ، ليستخلصوا باجتهادهم خصائص الموافق منها، لتصحيح الجسم • كذلك أيضا شرع لهم فى أمر دينهم أصولا جامعـة ووهب لهم العقول الصحيحة ليستعملوها فى رد الفروع اليهـا ، لتصحيح الروح ، لينهض بالجسـم ، واليـه يرجع الى قوله تعـالى : « **فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** » الآية ١٧ من سورة الزمر •

وكل ذلك مرجعه : العزيمة الصـادقة التى تعبر عن النية التى ارتضـاها الشرع وأشـار اليها فضيلة الامام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين فى كلمته بعنوانها المتقدم قال (١) :

يخطر فى النفس أمر فتثق بأنه حق أو نافع، فتحرص على حصوله ، فاذا أضافت الى هـذا الحرص النظر فى وسيلة بلوغها اياه ، وبدا لها أنه فى حدود استطاعتها فسرعان ما تقبل عليه، وتبذل سعيها للوصول اليه ، وذلك ما نسـميه بالعزم والارادة •

فما يخطر فى النفس مما تعتقـد حقيقته أو نفعه ، وتود أن يكون حاصلا لديها ثم لاتسعى له سعيه ، ولا تضع لبلوغه خطة ، فانما هـو التمنى الذى لا يفرق بين المحال والمستطاع ، والذى يخطر فى نفوس القاعدين كما يخطر فى نفوس المجاهـدين وما مثله الا كمثـل الشرر الذى يلمع حول النار ثم يتصاعد هباء •

واذا تحدثنا فى هـذا المقال عن قوة الارادة وذهبنا فى حديثها مذهب خصال الحمد ، فانما نعنى الارادة المتوجهة الى ما هو خير • ومـن أفضل ما يمدح به الرجـل أن يتوجـه بعزمه القاطع الى اظهار حق أو اقامة مصلحة •

---

١ ـ نور الاسلام (مجلة الازهـر) الجـزء السادس جمادى الاخرة ١٣٤٩ هـ •

تنشأ قوة الارادة من التجارب ، فمن تعلق همه بأمر كان قد عرف بطريق التجـربة أنـه ميسور وان عاقبته سلامة ونجاح ، انقلب همه فى الحال عزما صادقا أما من لم يسـبق لـه تجربة فقد يتخيل الأمر بمكان لا تناله يده ، أو يخشى من أن يلاقى وراء السعى اليه خيبـة فيقف فى تردد واحجام • فذو العمر الطـويل من أولى الألباب قـد يكون أسرع الى بعض الأمور ، وأشد عزما عليها من حـديث السن ، لما تفيده التجارب من امكانها ونجاح السـعى لهـا •

وتنشـأ قوة الارادة من درس التـاريخ ، فالذى يخطر فى باله أمر قرأ فى مسيرة شخص أنه كان قـد هم بمثله وعمـل لحصوله فنجح عمله وصلحت عاقبته ، شأنه أن يعزم على ذلك الخاطر ويجعله بعد العزم عملا نافذا •

فمن يخطر فى باله أن يدعو الحاكم الجـائر بالموعظة الحسنة ، وقد قرأ سير العلماء الذين كانـوا يأمرون بعض الجبارين بالمعـروف ، فيأتمرون ، أو يكظمـون فى الأقل غيظهم ولا يبطشون ، يكون أقوى عزما على الدعوة ممن لم يقرأ فى هذا الشأن خبرا ، لـما عرفه من أن للحق الذى يخرج فى أسلوبه الحكيم سـطوة على النفوس وان كانت طاغية ، فيقدم عـلى وعظـه فى رفق وحسن خطاب ، فان لم يهـده سبيل الرشد قضى حق النصيحة له ، وما على الذين أوتوا الحكمة الا البلاغ •

وتنشأ قوة الارادة من أدلة خاصة تجعـل الرجل على يقين من نجاح العمل وحسن العاقبة واعتبروا فى هذا بتصميم أبى بكر الصـديق رضى الله عنه ــ على قتال أهل الردة ومانعى الزكاة فانه كان عالما بأنه على حق من قتالهم ، وكان على ثقة من أنه سينتصر بفئتـه القليلة على جموعهم الكثيرة • ومما دله عـلى أنـه الظافر وأن المرتدين عن الدين لا يفلحون قوله تعالى : « **هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِـرَهُ عَـلَى الدِّينِ كُلِّـهِ وَلَوْ كَـرِهَ الْمُشْرِكُونَ** » الصف / ٩ ولو تقاعد أبو بكر عن جهاد تلك القبائل وخلى الردة تتفشى فى جزيرة العـرب وباء فاتكا لانفصـمت عرى الوحدة العربية الاسلامية ولم يستقم أمر تلك الفتوح التى كانت عاقبتها ظهور دين الحق على سائر الأديان •

وتنشأ قوة الارادة من كمال بعض السجايا الأخرى وبلوغها غاية قصوى ، كسجية ابـاء الضيم تهز الضعيف وتثير فى نفسه العزم على أن يدافع القوى عن حقوقه ما استطاع دفاعه، وكذلك خلق الشجاعة يجعل الرجل أمضى عزما وأسبق الى الحروب من الجبان الذى يتمثل له الموت فى كل سبيل •

ومما يساعد الرجل على صدق العزيمة خلق التعفف وشرف الهمة ، فلتجدن أنزه القـوم نفسا وأبعدهم عن الطمع وجهة أشـدهم عزما على أن يقول حقا ، أو يعمل صـالحا وان لم يرض عن قوله الحق أو عمله الصـالح ذو مال أو سلطان •

تتفاوت الارادة فى القوة ، وتفاوتها عـلى قدر قوة شعور الرجل بما للشىء من حقيقة أو نفع ، وعـلى قـدر ثقتـه من تيسره وامكان حصوله ، فالذى أتقن علمـا فأحاط بأصـوله

وغاص على أسراره يكون عزمه فى الدعاية الى الأعمال المرتبطة به أقوى من عزم ذلك الذى وقف فى دراسته عند حد لا يجعله من أعلامه ، والرئيس العادل يكون أقوى عزما على حرب أعدائه من الرئيس الجائر ، لأن العادل يثق من قومه بحسن الطاعة ، أكثر مما يثق الجائر ، ومن ظفر من قومه بحسن الطاعة فقد ظفر بأكبر الفوز والانتصار .

نقرأ فى التاريخ أن المنصور بن أبى عامر الذى جذب عنان الملك من يد هشام بن الحكم فى قرطبة قد غزا ستا وخمسين غزوة دون أن تنتكس له راية أو يتخاذل له جيش ، أو يصاب له بعث ، أو تهلك له سرية . ومن درس سيرته لم يعجب لهذا الانتصار المطرد ، اذ يجد فيها عدلا ومساواة يأخذان النفوس الى أن تلقى اليه بالمودة والامتثال .

ومن الأخبار الشاهدة بما وصفنا أن رجلا من العامة وقف بمجلسه وقال له : ان لى مظلمة عند ذلك الوصيف الذى على رأسك ، وأشار الى الفتى صاحب الدرقة(١) ، وكان للفتى فضل محل عنده ، فقال المنصور : ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية ، ثم نظر الى الفتى وقال له : ادفع الدرقة الى فلان وانزل صاغرا وساو خصمك فى مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك ، ثم قال لصاحب شرطته الخاص به : خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره ، وبعد أن جازاه القضاء بما يستحق أبعده المنصور عن خدمته .

وصاحب مثل هذه السيرة حقيق بأن يكون له ــ متى هم بالحرب ــ عزم لا يختلج بتردد فمن وضع أمامه غاية شريفة ورام من قومه العمل لها بعزم لا يخالطه فتور فما عليه الا أن يريهم بالأسلوب السائغ والدليل المقنع وجه شرف تلك الغاية ، ثم يصف لهم طريقها الناجح فلا يكون منهم الا أن يتسابقوا اليها ويقتحموا كل عقبة تلاقيهم فى سبيلها .

فاذا رأيت قوما يذكرون فى صباحهم ومسائهم شيئا من معالى الأمور ولم ترهم يسعون له سعيه ولا يتقدمون اليه بخطوة ، فاعلم أن العزم لم يأخذ من قلوبهم مأخذه فهم اما أن يكونوا عن حقيقته وشرف غايته غائبين، واما أنهم ضلوا طريقه وما كانوا مهتدين .

واذا ذكرنا العزم النافذ فى خصال الشرف فانما نريد الاقدام على الأمر بعد استبانة عاقبته ولو على وجه الظن الغالب ، وذلك ما يعنيه عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ فى قوله : « ولكن الحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث » والمكيث من لا يخف الهجوم الا بعد روية وتدبر .

ولا يُعَدّ فى قلة العزم أن يستبين الرجل الحق أو المصلحة ويقف دون عزمه مانع ، كأن يعلم أن عقول الجمهور لا تتسع لقبوله ويخشى الفتنة فيرجئه ريثما يمد له بما يجعله مقبولا

---

(١) الدرقة : الترس

سائغا قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر : ياأبت مالك لا تنفذ الأمور ؟ فوالله لا أبالى فى الحق لو غلت بى وبك القدور ٠ فقال له عمر : لا تعجل يابنى ان الله تعالى ذم الخمر مرتين وحرمها فى الثالثة ، وانى أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه وتكون فتنة ٠

ولا يعد فى قلة العزم أن يرى الرجل رأيا ويعقد النية على انفاذه ثم يبدو له على طريق الحجة أنه غير صالح فينصرف عنه ، وقوى العزيمة هو الذى تكون ارادته تحت سلطان عقله فيقبل بها على ما يراه صوابا ويدبر بها عما يراه فسادا ٠

واذا قال الشاعر مادحا :

اذا هَمَّ ألقى بين عينيه عزمَهُ
ونكبَّ عن ذكر العواقب جانبا

فانما يريد الهم الناشىء عن رجاحة رأى ٠
وقوى العزم متى بصر بالأمر ووثق بأنه سداد قطع نظره عن العواقب ونهض له فى قوة ٠

أما ضعيف العزم فانه يترك نفسه مجالا للخواطر وذكر العواقب هذه تغريه على العمل، وهذه تصده عنه حتى تفوت الفرصة ويذهب وقت العمل ضائعا ٠

ومن صرامة العزم أن تفرغ فؤادك من كل داعية شأنها أن تلحق بعزمك وهنا أو تصرف وجهك عنه صفحا ٠ وتتمثل هذه الصرامة فى عبد الرحمن الداخل « صقر قريش »(١) اذ خرج من البحر أول قدومه على الأندلس وأهديت له جارية بارعة الجمال ، فنظر اليها وقال : ان هذه من القلب والعين بمكان وان أنا شغلت عنها بما أهم به ظلمتها ، وان أنا اشتغلت بها عما أهم به ظلمت همتى ، فلا حاجة لى بها الآن وردها على صاحبها ٠

وكثيرا ما يجىء التردد فى الأمر من ناحية الشهوات والعواطف ، كالذى يثق بما فى طلب العلم من خير وشرف ويقعده عنه حب الراحة وايثار ما تنزع اليه النفس من اللذات الحاضرة والذى يقول :

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة
فان فساد الرأى أن تترددا

انما ينبه على التردد الناشىء عن نحو الشهوات والعواطف ، فذلك هو التردد المفسد للرأى والموقع فى خسر ٠

لقوة الارادة أثر فى انقلاب حال الأفراد والجماعات عظيم ، فكم من فتى يساويه فى نباهة الذهن وسائر وسائل السؤدد فتيان كثيرون ، ولكنه يجد من قوة الارادة ما لا يجدون فيكون له شأن غير

---

١ ــ قال أبو جعفر المنصور لاصحابه يوما : أخبرونى عن صقر قريش فذكروا له طائفة من الخلفاء وهو يقول «لا» فقالوا من ياأمير المؤمنين ؟ فقال : عبد الرحمن بن معاوية الذى عبر البحر وقطع القفز ودخل بلدا أعجميا مفردا فمصر الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين وأقام ملكا بعد انقطاعه ، لحسن تدبيره وشدة شكيمته ٠

شأنهم ، ويبلغ فى المحاور شأوا أبعد من شأوهم . ولو نظرت الى كثير ممن ظهروا أكثر مما ظهر غيرهم ، وأقمت موازنة بينهم وبين كثير من لداتهم لم تجد فى أولئك الظاهرين مزية يرجح بها وزنهم غير أنهم يهمون بالأمر فيعملون .

واذا جعلت تتقصى أثر دولة الموحدين التى وضعت قدمها فى « فاس » وبسطت أجنحتها على الأندلس والجزائر وتونس وجدت أقصى هذه الدولة همة طفحت بها نفس محمد بن تومرت بعد انصرافه عن مجالس أبى حامد الغزالى ، وأبى بكر الطرطوشى وغيرهما عائدا الى بلده بالمغرب الأقصى .

وكم من أمة أو دولة لم ينقذها ممن يبتغى بها سوءا سوى قوة الارادة ، وقد يكون فيما صنع هارون الرشيد بالبرامكة غلو فى الانتقام وسرف فى القتل ولكن تنقية مناصب الدولة منهم لم تكن الا نبت اليقظة والارادة التى لا يأخذها التردد فى قطع المكر السيىء من جذوره واذا صح ما يصفهم به بعض أهل العلم (١) من أنهم كانوا يكيدون للاسلام كيد الباطنية كان لهرون الرشيد موقف خير من موقف المنتقم للملكة أو ملك أسرته من بعده .

فاذا كان صدق العزيمة من أفضل خصال الشرف وأجلها فى الاصلاح أثرا فجدير بأساتيذ التربية أن يعطوه من عنايتهم نصيبا وافرا ، وحقيق بالرجال القوامين على الشئون العامة أن يأخذوا به أنفسهم ، ويقيموه شاهدا على كفايتهم فان ما بيننا وبين المدنية الفاضلة والحياة الآمنة مسافة طويلة المدى صعبة المرتقى ، اذا لم نقطعها بالعزم الصارم والعمل المتواصل ظلمنا أنفسنا ، ولم نقض حق الأجيال بعدنا فمن واجبهم علينا أن نبنى لهم صروحا من العز شامخة ، فان لم نستطع هيأنا لهم أسسا ليرفعوا عليها قواعد الشرف والمنعة ، فاذا هم أحرار فى أوطانهم حقا مكرمون لنزلائهم طوعا .

وما اقترن العزم الصحيح بأدب التوكل على من بيده ملكوت كل شىء الا كانت عاقبته نجاحا ورشدا « فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ » .

محمد الخضر حسين

١ ـ هذا ما قرر القاضى أبو بكر بن العربى فى كتاب القواصم والعواصم .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

فضائل رمضان (١)

للأجـــــهورى

وهو العلامة أبو الارشـاد نور الدين محمد بن أبى محمد زين الدين عبدالرحمن ابن على المعروف بالأجهـورى المـالكى المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ .

فسر فيه آية الصيام وذكر كثيرا من فضائل رمضان أوله بعد المقدمة « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَـا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُـونَ** » وقـد شرح الشيخ الأجهورى هذه الآية الكريمة وبين فيها آراء بعض العلماء من الناحيـة اللغوية والشرعيـة وقال : ــ

أتى بياء النداء الموضوعة لنداء البعيد ، وان كان المنادى هنا قريبا ، اذ قد تستعمل فيـه لتنزيله منزلة البعيد . للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه ، وقال البيضاوى عند قوله تعالى: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ** » ما نصه : «يا» حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد ، اما لعظمتـه كقـول الداعى يارب ، ويا الله وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، أو لغفلته وسوء فهمه ، أو للاعتنـاء بالمدعو له وزيادة الحث عليه .

١ ــ الكتاب بمكتبة الازهر برقم خاص ١١٢ ورقم عام ٤٨٨١ فى علم الآداب والفضائل .

فضائل رمضان

وفى قوله تعالى « **كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** » أى الأنبياء والأمم من لدن آدم ،وفيه توكيد للحكم ، وترغيب على الفعل ، وتطييب النفس ، وأراد بالترغيب التحضيض وبالطيبب التسهيل ، فلذا عدّى بعلى .

والتشبيه يحتمل أن يكون فى مطلق الايجاب لا فيه وفى العدد وتعيين الزمان ، ويحتمل أن يكون فيه وفى العدد وتعيين الزمن ، والى هذا الثانى أشار البيضاوى بقوله :

« وقيل : معناه صومكم كصومهم فى عدد الأيام وفى زمنه ، لما روى أن رمضان كتب على النصارى فوقع برد أو حر شديد — فحولوه الى الربيع أى لأنه أعدل فصول السنة ، اذ لا تتغير كيفية الهواء فيه تغيرا فاحشا ، وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله » .

وقيل : زادوا ذلك لموتان — بضم الميم — أى موت كثير أصابهم .

وقال غيره : التشبيه يحتمل أن يكون فى النوعية ، وأن يكون فى الكمية والتعيينية ، والى هذا القول ذهب طائفة كالشعبى وقتادة ومن وافقهما ، فان الله تعالى كتب على عيسى صوم رمضان فغير فرقة من قومه ذلك ، وذلك لانه كان ربما يقع فى الحر الشديد أو البرد الشديد ، وكان يشق عليهم فى أسفارهم ويضرهم فى معاشهم ، فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم فى فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه فى الربيع ، وزادوا عليه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين يوما .

وقال الشيخ الأجهورى — رحمه الله — :

مما يدل على أن صوم رمضان فرض على النصارى حديث عقيل(١) بن حنظلة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كان على النصارى صوم شهر رمضان فمرض رجل منهم ، فقالوا: لان شفاه الله لنزيدن عشرا ، ثم كان ملك آخر أكل لحما فأوجع فاه فقالوا لان شفاه الله لنزيدن سبعا ثم كان ملك آخر فقالوا لنتمن هذه السبعة عشرا ، ونجعل صومنا فى الربيع ، قال فصار خمسينا » وقد ورد هذا الحديث فى مجمع الزوائد للهيثمى الجزء الثالث ص ١٣٩ عن (دغفل بن حنظلة) رواه الطبرانى فى الأوسط مرفوعا ورواه

اِسْتَعِينُوا بِطَعَامِ السَّحَرِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ أَوْ بِالقَيْلُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ

حديث شريف

١ — وصحة اسم من روى الحديث هو دغفل ابن حنظلة الشيبانى كما وردت ترجمته فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٢ ص ١٣٢ .

الطبرانى فى الكبير موقوفا على دغفل ورجـال اسنادهما رجال الصحيح •

وقال المؤلف ــ فى فضائل شـهر رمضـان ما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنـه عن النبى صلى الله عليه وسلم « ان أبواب السماء وأبواب الجنة لتفتح لأول ليلة من شهر رمضان فلا تغلق الى آخـر ليلة منـه » ولما ذكر فى البستانى من حديث « ان لله ملكا رأسـه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الأرض ، له جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب ، أحدهما من ياقوتة حمـراء ، والآخـر من زمردة خضراء ، ينادى كل ليلة من شهر رمضان هل من تائب فيتوب عليه ، هل من مستغفر فيغفر له ، هل من طالب حاجة فيستعد لحاجته ، يا طالب الخير أبشر ويا طالب الشر أقصر » •

وقولى : ويقبل الدعاء وينجح أى أن الدعاء يقبل بشهر رمضان بليله ونهاره ، كما ذكره فى عدة الحصـن الحصين ، من أن : من أوقات الاجابة شهر رمضان •

وقال فى فضل السحور : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « استعينوا بطعام السـحر على صيام النهار ، وبالقيلولة على قيام الليل» •

وفى رواية : « من أحب أن يقوى على الصيام فليتسحر ، وليشم طيبا ، ويأكل قبل أن يشرب ولْيُقِلَّ » •

وفى بستان الواعظين روى عن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« ان العبد المؤمن اذا قام فى رمضـان الى السحور فتوضأ وصلى ركعتين جعل الله خلفه سبع صفوف من الملائكة فاذا فرغ أمنوا عـلى دعائه ويكتب الله له بعددهم حسنات ويرفع له بعددهم فى الجنـة درجات ، ويمحوالله لـه بعددهم سيئاتثم لايزالون يدعون ويستغفرون له الى يوم القيامة » •

وأنشد الأجهورى فى فضل صـلاة القيـام فقال :

وفيه قد صلى نبى المرحمـة
قيـامه بليلتين فاعلمـه
أو بثلاث ثم لم يخرج لـه
خشية أنيفرض عليهم فعله
ثمة كان الجمع فيه من عمـر
لما وعاه عن عـلى من خبر
من أنـه تنـزل أملاك كرام
برمضـان كل عام للقيـام
فمن لهم قد مس أو مسـوه
يسـعد والشـقوة لا تعروه

أشار بذلك لما فى البخارى ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل فصلى فى المسجد فصلى رجال بصـلاته فأصـبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع أكثر منهم ، فخرج عليه الصلاة والسلام فى الليلة الثانية فصلى فصلوا،

فضائل رمضان

فلما أصبح الناس يذكرون ذلك فكثر أهل المسجد فى الليلة الثالثة ، فخرج فصلوا بصلاته فلما كان فى الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج اليهم ، حتى خرج لصلاة الفجر ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس ثم تشهد ، فقال :

أما بعد : فانه لم يخف على شأنكم الليلة ولكن خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها .

قال السائب بن يزيد لما جمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس فى قيام رمضان قدم أُبَىَّ ابن كعب وسلمان الفارسى رضى الله تعالى عنهما يصليان بالناس فكان القارىء يقرأ بالمائتين وكنا نعتمد على العصى من طول القيام ولا ننصرف الا فى بزوغ الفجر .

وقال على رضى الله عنه : انما اتخذ عمر رضى الله عنه صلاة التراويح لحديث سمعه منى . قالوا وما هو يا أمير المؤمنين ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان لله تبارك وتعالى موضعا عن يمين العرش يسمى « حظيرة القدس » وهو من نور فيها ملائكة لا يحصى عددهم الا الله سبحانه وتعالى يعبدون الله تعالى عبادة لا يفترون ساعة فاذا كان أول ليلة من شهر رمضان استأذنوا ربهم أن ينزلوا الى الأرض فيصلون مع جماعة المؤمنين فيأذن لهم ربهم تبارك وتعالى فينزلون كل ليلة الى الأرض فمن مسهم أو مسوه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا » .

فقال عمر — رضى الله تعالى عنه : نحن أحق بهذا وجمع الناس وصلى بهم التراويح .

وقال فى ليلة القدر ما رواه عبد الله بن مسعود قال : لقد أحييت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وسلمان الفارسى رضى الله عنهم فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان فصلى بنا الى الصباح فقلنا : يارسول الله لقد أمددت بنا فى هذه الليلة وما فترت حتى أصبحنا فما يقال لهذه الليلة ؟ قال : « ليلة القدر » .

وقال فى بستان الواعظين قال محمد بن كعب رضى الله عنه : اجتمع جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عمر ابن الخطاب — رضى الله عنه — فتذاكروا ليلة القدر وكان منهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فتكلم كل واحد منهم بما سمع من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وابن عباس ساكت فقال عمر — رضى الله عنه : مالك لاتتكلم يا ابن عباس . تكلم ولا تمنعك الحداثة » (١)

" الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون "

صدق الله العظيم

---

١ — صغر السن .

فقال : ان الله تعالى وتر يحب الوتر ، وقد جعل الله أيام الدنيا تدور على سبع، وخلق الانسان من سبع ، وخلق أرزاقنا من سبع ، وجعـل فوقنا سبع سماوات ، وجعل تحتنـا سـبع أرضين ، وجعل البحار سبعا ، وجعل أعضاء السجود سبعا ، وحـرم من نكـاح الأقربين سبعا ، وجعل رمى الجمار سـبعا ، وأظن ــ والله أعلم ــ أنها الليلة السابعة من العشـر الأواخر من رمضان ، فتعجب عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ وقال : ياقوم من كان يروى هذا كما رواه ابن عباس رضى الله عنه .

واستطرد المؤلف رحمه الله فى ذلك حتى ذكر بعض الفضل الذى يناله الصائم يوم صـلاة العيد ، لما روى أن عمر بن عبد العـزيز رضى الله تعالى عنه وقف بعد صلاة يوم العيد وقال:

اللهم انك قلت ــ وقولك الحق ــ « **إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَـرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِـنِينَ** » فـان كنت من المحسنين فارحمنى ، وان لم أكن من المحسنين، فقد قلت « **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** » فارحمنى ، فان لم أكن من المؤمنين أى كامل الايمان فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة ، لأنك قلت « **وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ** » فاغفر لى ، وان لم أكن مستحقا لشىء من ذلك ، فأنا صاحب مصيبة ، وقد قلت « **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّـهِ وَإِنَّا إِلَيْـهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِم صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِم وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** » اللهم فارحمنى .

والنسـخة فى مجلـد بقلم معتاد بخط

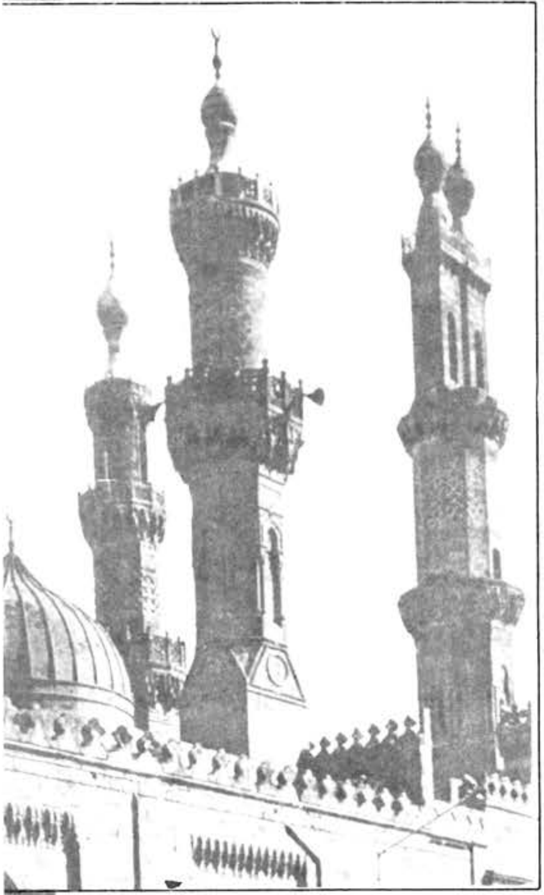

أحمد محمد عفى سنة ١٢٣٧ هـ وتقـع فى ١٧٠ ورقة ومسطرتها سبعة عشر سطرا. نسأل الله تعالى أن يوفقنا الى ما فيـه رضاه وطاعته.

مدير

مكتبة الأزهر

محمد عميره على

الفتاوى

زواج المسلمة بغير المسلم

س : من السيد أ ٠ ب ٠ أبو على ٠

١ ـ ما حكم زواج المسلمة بغير المسلم كتابيا أو غيره ؟

٢ ـ وما مدى مسئولية الوالدين والمسلمين الذين يرون هذا الزواج ؟

ج : نفيد عن الاول أن الله تعالى يقول : **« وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ، وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا »** الآية (٢٢١) من سورة البقرة ٠

وبذلك حرم الله على المسلم أن يتزوج من مشركة ـ كتابية أو غيرها ـ كما حرم على المسلمة أن تتزوج المشرك ـ كتابيا أو غيره ٠

ثم أباح الله بعد ذلك للمسلم أن يتزوج الكتابية يقول تعالى : **« الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ »** الآية (٥) من سورة المائدة ٠٠ وبقى تحريم زواج المسلمة من الكافر على تحريمه ، وذلك لأن المسلم يؤمن بجميع الرسل فهو أمين على من يتزوجها فلا يضارها فى عقيدتها ، أما الكتابى فلأنه لايؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو غير أمين على امرأته المسلمة٠

وزواج المسلمة من الكتابى منكر محرم شرعا بالكتاب والسنة والاجماع ٠

أما عن الثانى : فان زواج المسلمة من الكتابى ما كان الا نتيجة للبيئة التى تحيط بها والذى وضعها هذا الموضع هما والداها ، وواجبهما وواجب المسلمين الذين يرون ذلك أن يمنعوه قدر طاقتهم ٠٠ ومسئوليتهم بعد ذلك أمام الله يفعل بهم ما يشاء ٠

مصارف الزكاة

س : من السيد / م ٠ ف ٠ رياض ٠

هل يجوز صرف الزكاة للداخلين فى الاسلام حديثا ، أو الراغبين فى الدخول فيه ٠

وهل يجوز دفعها للانفاق فى أغراض تعليم العلوم الاسلامية مثل بناء المدارس وطبع الكتب الاسلامية وتوزيعها مجانا ٠٠ ما الحكم ؟

ج : يجوز صرف الزكاة للداخلين فى الاسلام حديثا اذا كانوا محتاجين لذلك لقوله تعالى : **« وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ »** ٠

إعداد عبد الحميد السيد شاهين

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

كما يجوز دفع الزكاة لغرض طبع الكتب الاسلامية وتوزيعها مجانا للمسلمين ، وكذا بناء المدارس وغير ذلك من المنافع العامة لقوله تعالى : « وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ » من الآية (٦٠) من سورة التوبة .

يمين الطلاق

س : من السيد م . م .ص .

غضبت الزوجة وذهبت لبيت والدها فقال لى أبى : «روح هات زوجتك فقلت له : على الطلاق بالثلاثة ما أنا رايح جايبها من عند والدها .. ثم جبتها .

ومرة ثانية قلت لها على الطلاق بالثلاثة ما أنت رايحه بيت والدك الا بعد ستة أشهر ، ثم توفى والدها قبل مرور المدة المذكورة فذهبت الى بيت والدها .

ومرة ثالثة حلفت عليها قائلا : روحى « طالق طالق طالق » محرمة على زى أمي وأختي وشافعى ومالكى .. فما الحكم ؟ .

ج : اليمين الأول والثانى يمينان لا يقع بهما طلاق وذلك حسب القانون الجارى به التقاضى فى مصر والمأخوذ من الشريعة الاسلامية .

أما اليمين الثالث:فبقولك لزوجتك «روحى طالق طالق طالق» ومحرمةعلى زى أمي وأختي وشافعى ومالكى .. يقع به طلقه واحدة رجعية ، فلك مراجعة زوجتك مادامت فى العدة ، فاذا انقضت عدتها منك لا تحل لك الا بعقد ومهر جديدين وبرضاها .. وتبقى معك على طلقتين . هذا اذا كان الحال كما ذكر فى السؤال .

فى الميراث

س : من السيد / ع . فتح الله .

توفيت امرأة عن أخوة نكور أشقاء ، أولاد أخ شقيق . فمن يرث ؟ .

ج : التركة كلها للاخوة الأشقاء تعصيبيا يقسم بينهم بالتساوى ، ولا شىء لأبناء الأخ الشقيق لحجبهم بالاخوة .

س : من السيد / ن . س سراج .

توفى رجل عن أخت شقيقة ، أبناء عم شقيق نكور واناث ، بنات أخ شقيق . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأخت الشقيقة النصف لعدم وجود من يعصبها أو يحجبها ، والباقى للذكور من أبناء العم الشقيق تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى ، ولا شىء للاناث من أبناء العم ولا لبنات الأخ الشقيق ، لأنهن من ذوات الأرحام المؤخرات فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

والله أعلم ..

فى اللغة والأدب والنقد

- حذف حرف النداء والمنادى
- التقويم النفسى للأدب عند العرب
- الحية فى النصوص العبرية .. ومدلولاتها
- حقيقة التوسل والوسيلة
- ديوان عامر

حذف حرف النداء والمنادى

أحمد عبد العواض هلالى

حذف حرف النداء جائز مع كل منادى اذا وجدت قرينة تدل عليه ، نحو (يوسف أعرض عن هذا) و (سنفرغ لكم أيها الثقلان) ، (أن أدوا الى عباد الله) ونحو (خيرا من سعيد أقبل) ونحو (من لا يزال محسنا أحسن الى) .

ولا فرق بين أن يكون المنادى مفردا أو مضافا أو شبيها بالمضاف ، ولا فرق فى المفردبين أن يكون مقصودا للنداء لذاته كيوسف أو صلة لنداء غيره كأى ، ولا بين أن يكون معربا قبل النداء مثل (يوسف) أو مبنيا مثل (من) أو معربا قبل النداء فى بعض حالاته ومبنيا فى بعضها الآخر (كأى) .

وقل الحذف مع اسم الجنس المعين ، وهو المبنى للنداء نحو (أطرق كرا) ، و (اقتد مختوق) . و (أصبح ليل) ، ومع قلته فانه يقاس عليه لكثرة وروده نظما ونثرا ، وهو مذهب الكوفيين ، أما اسم الجنس المفرد غير المعين نحو : يا رجلا خذ بيدى فقد أجاز بعضهم حذف الحرف معه لكن الصحيح غير ذلك وأن الحرف يلزمه .

كذلك يجوز حذف حرف النداء مع اسم الاشارة على قلة نحو (هذا امض فى طريقك) ، و (هؤلاء اتقوا ربكم) وهو مقصور على السماع اذ لم يرد الا فى الشعر ، ومنعه البصريون وحملوا ما ورد منه على الشذوذ فى النثر والضرورة فى الشعر ، واحنوا المتنبى فى قوله :

هذى برزت لنا فهجت رسيسا
ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

لكن ينفى وقوع اللحن أن المتنبى كوفى ، والكوفيون يجيزون حذف حرف النداء مع اسم الاشارة كما مر ، وأخرج بعضهم قول المتنبى هذا على أنه ليس من قبيل حذف حرف النداء من اسم الاشارة ، فجعل (هذى) مفعولا مطلقا نائبا عن المصدر ، أى برزت هذه البرزة ، وحينئذ فلا شاهد فيه ، لكن ابن مالك رد هذا بأنه لا يشار الى المصدر على طريق المفعول المطلق الا منعوتا بخلك المصدر ، نحو : فهمت هذا الفهم ، وسرت ذلك السير ، ودعوت تلك الدعوة .

الحالات التى يمتنع فيها حذف حرف النداء

هناك حالات يمتنع فيها حذف حرف النداء من المنادى لأن الحذف فيها يوهم خلاف المراد ويفوت الغرض المقصود من النداء ، من هذه الحالات :

١ ــ المندوب : فان حذف حرف الندبة معه، وهو (وا) أو (ياء) عند أمن اللبس ، ان هذا الحذف لا يحقق الغرض من نداء المندوب ، وهو اظهار التفجع عليه أو التوجع منه بمد الصوت الذى لا يحصل الا بوجود حرف النداء .

٢ ــ المستغاث به : وهو اما مجرور باللام،

حذف حرف النداء

او مفتوح مع زيادة الألف فى آخره ، أو مجردا منهما وجميع تلك الحالات يطلب فيها مد الصوت ، وحرف النداء هو الذى يعين على مد الصوت ، فحذفه يفوت الغرض المقصود من الاستغاثة .

٣ ــ المتعجب منه ، لأنه كالمستغاث به لفظا وحكما .

٤ ــ المنادى البعيد حقيقة أو تقديرا : لأن حذف الحرف منه لا يتأتى معه مد الصوت المطوب فى نداء البعيد ليسمع فيقبل ويجيب .

٥ ــ ضمير المخاطب لقلة ندائه واقتصاره على الشعر فقط كقول الشاعر :

يا أبجر ابن أبجر يا أنتا
أنت الذى طلقت عام جعتا

أما ضمير المتكلم والغائب فيمنع نداؤهما اتفاقا فلا يقال (يا أنا) ولا (يا هو) . وأما ما سمع من مثل (يا هو : يا من لا هو ، الا هو) فان (هو) اسم للذات العلية لا ضمير .

٦ ــ لفظ الجلالة : لأن نداءه على خلاف الأصل لوجود (أل) فيه فلو حذف حرف النداء لم يوجد دليل على حذفه .

٧ ــ اسم الجنس المفرد غير المعين نحو (يا غافلا والموت يطلبه) فحذف حرف النداء معه يوهم أنه غير منادى لعدم وجود قرينة لفظية أو حالية تدل على الحذف ، ولأن الحذف غير جائز الا اذا كان المنادى ــ بالفتح ــ مقبلا على المنادى ــ بالكسر ــ متهيئا لسماع مايقوله وهذا انما يتأتى فى المعرفة دون النكرة .

حذف المنادى : هل يجوز حذف المنادى وابقاء حرف النداء ؟ .

ذهب ابن مالك الى جواز ذلك قبل الأمر والدعاء نحو (يا ... أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم) و (يا ... الله ييسر لك كل أمورك) وأتى بشواهد على ذلك. وحجته فى اجازته قبل الأمر والدعاء أنهما مظنة النداء ووقوعه معهما كثير غالب فحسن التخفيف معهما بالحذف .

ومنعه أبو حيان وعلل المنع بأن الجمع بين حذف الفعل النائب عنه حرف النداء، والمنادى فيه اجحاف وهدم لبناء الجملة المكونة من المنادى وأداة النداء ، ولم يرد بذلك سماع عن العرب ، (ويا) فى الشواهد التى جاء بها ابن مالك للتنبيه مثلها قيل : رب ، وليت. وحبذا .

ذلك أن المنادى فى حقيقة أمره مفعول به ، فاذا قلت : (يا عبد الله) فان أصله (يا أدعو عبد الله) فيا حرف تنبيه ، وأدعو فعل مضارع قصد به الانشاء لا الاخبار ، وفاعله مستتر فيه (وعبد الله) مفعول به ومضاف اليه . ولما كانت الحاجة تدعو الى استعمال النداء كثيرا فى لغة الحديث اليومية أوجبوا حذف الفعل اكتفاء بأمرين اثنين : أحدهما دلالة قرينة الحال ، والثانى الاستغناء بما جعلوه كالنائب عنه والقائم مقامه ، وهو (يا) وأخواتها .

ومن هذا يتبين أن حق جميع أنواع المنادى أن تكون منصوبة لأنها مفعولات، وانما يظهر نصبها اذا لم يكن المنادى مبنيا ، وانما يبنى المنادى اذا ما أشبه ضمير الخطاب المشبه لكاف الخطاب الحرفية لفظا ومعنى كما سيأتى تفصيلا فى مبحث : أقسام المنادى ، وأحكام كل منها ان شاء الله تعالى .

أحمد عبد العواض هلالى

الحية

فى النصوص العبرية ومدلولاتها

للأستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

لا يوجد حيوان على الأرض تضاربت حوله الأفكار والمشاعر مثل الحية ، فهى مقدسة عند المصريين ، رمز للحكمة والدهاء والخلود عند الساميين ، أداة الغواية فى التوراة المتداولة كما هى آية هدأية فيها ، طالبة للانسان ومطلوبة منه للعداوة بينهما ، آية تصديق لموسى — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — برسالته — التوراة .

ثم للحية خصائصها وصفاتها ، فهى — كما ورد فى كتاب الحيوان للجاحظ تحت عنوان « القول فى الحيات » أعجوبة من الأعاجيب فى الحيلة والدهاء فلكى تحصل على طعامها تدس ثلثها فى الرمال عندما تشتد الحرارة وتمتنع الأرض على الحافى والمنتعل وتنتصب كالرمح المركوز بباقى جسمها فيظنها الجراد وصغار الطيور عودا فتقع وهى لا تدرى على رأسها فتقبض الحية عليها وتلتهمها فان أشبعها انصرفت والا ظلت على حالتها غير مكترثة بحرارة الرمل .

ويدهش الجاحظ — أكثر — قوة بدنها التى يقول فيها : انها لو تمكنت من الدخول فى جحر أو صدع صعب اخراجها منه على أقوى الرجال ان أمكنه أن يمسك بذنبها ولو بكلتا يديه لشدة اعتمادها وتعاون أجزائها ووجه الغرابة فى ذلك أنها ليست بذات قوائم لها أظفار أو مخالب أو

الحية
في النصوص العبرية

أظلاف تنشبها في الأرض وتتشبث بها وتعتمد عليها كما أنها لدنة ملساء علكة •

كذلك يقال فيها : ان عيونها تضيء بالليل وأنها لا تموت حتف أنفها وانما بعرض يعرض لها ، أما عن صبرها فليس في الحيوان من هو أصبر منها على الجوع في شبابها ولا تشتهي الطعام في هرمها • وهي تعجب باللبن فان وجدته في اناء بدون غطاء كرعت فيه وربما مجت ما صار في جوفها منه فيصيب شارب ذلك اللبن أذى ومكروه كبير(١) •

والذي لا شك فيه أن خصائصها وصفاتها التي ذكرناها كانت تثير من الاعجاب بقدر ما تثير من الرعب فتضاربت المشاعر والأفكار فيها وذلك وضع طبيعي بالنسبة لما تحمله من دلالات وايحاءات ولما أدركه الناس من دلالاتها وايحاءاتها ولذلك اختلف رد الفعل لديهم وتراوح في جاهلية الناس بين العداء والتقديس •

فهم عادوها من ناحية دلالتها الحسية التي ظهرت لهم في حيلتها ودهائها وقوتها وافسادها ولما كانت هذه تهدد حياتهم وممتلكاتهم تجنبوها وتحاشوها فاذا لزم الأمر طاردوها وسحقوا رأسها تخلصا من شرها •

ثم هم بالغوا في تقديرها من ناحية دلالتها المعنوية — الايحاءات — التي ظهرت لهم في صبرها وحكمتها التي تمثلت في قدرتها الفريدة على التقاء النقيضين فيها — الرأس والذنب• ورأوا هذه الايحاءات تمثل قيما كبرى ومثلا عليا وحقائق ثابتة ترتبط بالكون والحياة توسع ادراكهم وتقوي شعورهم وترقى بسلوكهم رفعوا منزلتها وأعلوا شأنها •

وبعبارة موجزة وجدناهم يقتلون الصفات السيئة فيها ويحيون الصفات الأخرى باتخاذها هي رمزا لهذه الصفات فالرمز — من وجهة نظرهم — يسمح لهم بزيادة الاقتراب منها دون ما ضرر وزيادة التأثير والايحاء دون ما حاجز، فأما الحاجز الذي يمكن أن يفصل بينهم وبينها في غير الرمز فهو الواقع الذي ينذر بالخطر القائم على ما يعرفونه منها •

وهنا نسأل : هل الدلالات والايحاءات التي ارتبطت بالحية هي نفسها التي استخلصها اليهودي منها ؟

نقول : ان الأمر عند اليهودي مختلف عنه عند العامة اذ تراه قد جمع بين مساوئها ومحاسنها دون ما تفرقة وجعلهما شيئا واحدا استحقت به الحية عنده التقدير والتقديس مما أدى الى ، خلودها لديه وأرجع خلودها هنا الى

---

١ — تهذيب الحيوان للجاحظ — بتصرف من ٧٤ — ٧٧ •

حكمتها التى تمثلت فى قدرتها الفذة على التقاء مطلق النقيضين فيهـا وليس مجـرد الرأس والذنب وهذا فى نظره فقط الذى يتطلب الحيلة والدهاء والصبر •

والذى يترتب على هـذه الدلالة التى خرج بها من تركيبته هذه على النحو الذى بيناه هو أنـه اذا أردنـا ــ أى اليهـود ــ الخلـود فلنتسلح بحكمة الحية ، وأن نعمل بكل الحيلة على جمع ما يبدو متناقضا واحتوائه فينا دون ما عجلة أو تسرع أما الايحاء الذى نقصده فهو أن تكون لنا خصائص الحيات وصفاتها معا دون ما تفرقة •

نخلص من ذلك الى أن دلالة الحية وايحاءها عند اليهودى أن يكون هو والحية شيئا واحدا، فاليهودى مرادف للحية فى الخصائص والصفات ونستطيع أن نتبين هذه الحقيقة فى نداء المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لهم بـ « أيها الحيات • أولاد الأفاعى » فهذا النـداء يدل على قوة هـذه العـلاقة وشـدة ظهـور الخصائص والصفات بدلالاتها وايحاءاتهـا فى سلوكهم الذى كان من مظاهره تحريف وصـايا الرب سبحانه بحيث تصير الى ضدها حتى فى أقرب المقربين اليهـم كالوالدين ، وربطهـم الوصايا العشر بالقريب(١) •

أيضا نجد جمع المتناقضين بالحيلة والدهاء لا يختلف ولا ينقطع وان النظر فى مفهوم الأمن عندهم لكفيل باثبات هذا التناقض فهم يرفعون شعار السلام ويطالبون بالأمن وهما أمران لا يقبلان الاعتراض عليهما حتى من معارضيهم الا أن تحقيقـه وفـق مفهـومهم لا يعنى الا الاستيلاء على مزيد من أرض الغير بالقدر الذى يرونه يحقق لهم الأمان وبذلك ينقلب الأمن الى عملية سلب لأراضى الغير •

ومما عرضناه وقدمناه يتضح لنا عدم مفارقة الخصائص والصفات المأخوذة من الحية لليهودى وكان ذلك سببا فيما يشاع عنهم من أن اليهودى فى أى مكان وزمان هو نفسه فى كل مكان وزمان •

محمد عبد العزيز عبد اللطيف

---

١ ــ قارن سفر الخروج ٢٠ ــ ١٢ بما ورد فى متى ١٨ ، ١٩ •

التقويم النفسي للأدب عند العرب

شهد النقد العربى فى القرن الثالث الهجرى جهودا فى التقويم النفسى للأدب العربى ، واذا كان الأمر كذلك فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ الحياة النقدية عند العرب فان القرن الرابع الهجرى وهو عصر النضج والازدهار فى النقد الأدبى — قد تقدمت فيه جهود النقدة من أمثال ابن طباطبا سنة ٣٢٢ هـ ، والرمانى سنة ٣٨٦ هـ ، والخطابى سنة ٣٨٨ هـ الى مدى بعيد ٠

فيما يتصل بالاعتبار النفسى عند تقويم الأدب وتفسيره ، بل ان هؤلاء النقدة قد ركزوا فى كتاباتهم على هذا الاتجاه النفسى ، وأولوه المزيد من العناية والاهتمام ، ففى كتاب ابن طباطبا (عيار الشعر) صورة كاملة للصناعة الشعرية ، سماها بعض المعاصرين : نظرية شعرية (١) ٠ ولقد بسط فيها شارحا حقيقة الشعر ، وطريقة عمله ، وأساليبه وفنونه ، ومسلك العرب فى التشبيهات ، ثم حدد المعايير الموضوعية لتقدير الشعر وتقويمه ، مستنبطا من عرضه المسهب مقياسا لقبوله وهو الاعتدال اذ الشعر المقبول هو ما جاء صحيحا يقبله العقل ، وما كان عذب اللفظ يشنف الأذن ، صحيح الوزن يؤنس السمع ، فان علة كل حسن مقبول الاعتدال كما أن علة كل قبيح منفى الاضطراب ، والنفس تسكن الى كل ما وافق هواها ، وتقلق مما يخالفه ، ولها أحوال تتصرف بها ، فاذا ورد عليها فى حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له ، وحدثت لها أريحية وطرب ، فاذا ورد عليها ما يخالف قلقت واستوحشت ٠

وللشعر الموزون ايقاع يطرب الفهم لصوابه ، وما يرد عليه من حسن تركيبه ، واعتدال أجزائه ، فاذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى ، وعذوبة اللفظ ، فصفا مسموعة ومعقوله من الكدر تم قبوله له ، واشتماله عليه ، وان نقص جزء من أجزائه التى يعمل بها وهى : اعتدال الوزن ، وصواب المعنى ، وحسن الألفاظ ، كان انكار الفهم اياه على قدر نقصان أجزائه(٢) ٠

وهكذا استطاع ابن طباطبا أن يصل الى نتيجته تلك بعد أن ربط بين الحواس المتنوعة ومحسوساتها ، مسجلا ملاحظته عليها التى

---

١ — عباس : د٠ احسان (تاريخ النقد الادبى عند العرب) ص ١٣٣ ط أولى بيروت ٠

٢ — ابن طباطبا : محمد بن أحمد (عيار الشعر) ط فن الطباعة بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م٠

دراســة نقــدية

للدكتور عبد الحميد العبيسى

انتهت على الرغم من اختلاف الحواس — الى النفرة من القبيح ، والاقبال على الجميل .. وما الشعر بمنأى عن هذه الحواس ومحسوساتها ، فان النفس تطرب له حين يكون مقبولا ، وتنصرف عنه حين يأتى مرذولا .

كما أمكن لابن طباطبا أن يبرز عنصرا جديدا فى النقد العربى وهو العنصر النفسى ، من خلال ربطه بين الأدب والنفس البشرية ، ذلك أن الاعجاب بالشعر ، والهيام به لا يقف عند ألفاظه وأوزانه وأفكاره وأنفاسه ، بل يكون أقوى وأوضح حين يتجاوب هذا الشعر مع تلك النفس ، فتقبل عليه ، وتطمئن اليه(١) .

ولا شك فى أن صنيع ابن طباطبا رائع ورائد يستحق التقدير والاعجاب ، حيث تناول الجانب الجمالى والنفسى معا فى بحثه عن علة حسن الشعر ، مما سوغ لبعض المعاصرين أن يقرر فيه — وهو على حق — : « ان العملية الشعرية عمل عقلى واع تمام الوعى ، وأن التأثير الجمالى وهو الاعتدال — تأثير فى الفهم على شكل لذة — كاللذات التى تجدها الحواس المختلفة فى مدركاتها ، واذا كان الاعتدال ميزة للجمال فى الكيان الكلى ، فان الصدق على اختلاف مفهوماته — هو الذى يهيىء الفهم لقبول المحتوى والتجربة ، ذلك موقف نقدى فيه شذوذ حتى على بعض مفهومات النقد المعاصرة حينئذ ، الا أنه موقف متكامل ، وفى تكامله سر انفراده بين سائر المحاولات النقدية : (٢) فاذا ما اتجهنا صوب الرمانى ألفينا كتابه (النكت فى اعجاز القرآن) نموذجا مبتكرا لدراسة الأثر الجمالى والنفسى معا فى الصورة القرآنية ، وعلى الرغم من أنه اعتبر البلاغةكما اعتبر الصرفةجزءا منوجوه الاعجاز القرآنى السبع(٣) — فانه قد بذل قصارى جهده فى تجلية الصورة الفنية فى القرآن ، مع تركيزه على العنصر النفسى فيها ، بما جعل تلك الصورة تسيطر على شعور الدارس ، وتوقظ الكامن من حسه ، فيرى مدى صدقها المؤدى الى غاية الجمال السافر الخالب !! ولقد أدرك الرمانى أيما ادراك حقيقة البلاغة ومضمونها فى جانبيها النفسى والفنى دون فصل بينهما — حين قرر : أنها ايصال المعنى الى القلب بأحسن صورة من اللفظ ، وليست افهام المعنى ، لأنه قد يفهم المعنى متكلمان : أحدهما بليغ ،والآخر عيى ، وليس كذلك تحقيق اللفظ على المعنى ، لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى ، وهو غث مستكره ، ونافر متكلف .

وبيان الرمانى هذا انما هو تعبير صادق عن دور البلاغة بين المتكلم والسامع ، أو الأديب والقارىء — وهو تعريف مستحدث عنده

١ — العبيسى : د. عبد الحميد (فى نقد الادب عند العرب) ط عام ١٩٧٧ (محاضرات) .

٢ — عباس : د. احسان (تاريخ النقد الادبى عند العرب) ص ١٤٥ — ١٤٦ « بتصرف » .

٣ — الرمانى : أبو الحسن (النكت — ثلاث رسائل) ط دار المعارف سنة ١٩٦٨ م .

التقويم النفسى للأدب عند العرب

للبلاغة ـ لم أجده عند من سبقوه ، بل انه ليرفض باصرار التعريفات التقليدية التى سادت جو البلاغة منذ الجاحظ سنة ٢٥٥هـ مؤسس البيان العربى •

ولقد استنبط بعض المعاصرين(١) من تعريف الرمانى الى أنه يهدف الى تحقيق معنيين :

١ ـ **أحدهما :** متعلق بالأثر النفسى للبلاغة ، وهو « ايصال المعنى الى القلب »

٢ ـ **ثانيهما :** متعلق بالأسلوب ، أو الصورة البيانية للبلاغة من اللفظ والصياغة ، وهو « فى أحسن صورة من اللفظ » •

والمتأمل فى صنيع الرمانى هذا يجد أن المعنى الاول غاية وسيلتها المعنى الثانى ، بل ان المعنى الاول يتوقف تحقيقه على تحقيق المعنى الثانى ، مما يدل على مدى الارتباط والتلازم بينهما ، حتى لكأنهما شىء واحد(٢)• ثم يقسم الرمانى البلاغة عشرة أقسام هى : الايجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة وحسن البيان(٣) •

والذى نلحظه فى عرضه التطبيقى لهذه الأنماط هو أنه حريص غاية الحرص على ابراز الأثر الجمالى والنفسى معا ـ على تفاوت ـ فى تلك الأقسام ، ولعل حديثه عن التشبيه والاستعارة ـ فيما اصطلح عليه حديثا بالصورة الأدبية ـ برهان تلك الحقيقة ، فان الرمانى قد عالج سبع عشرة آية لتشبيهات متنوعة ، منها قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا »(٤)

فهذا بيان ماقد أخرج مالا تقع عليه الحاسة الى ماتقع عليه ، وقد اجتمعا فى بطلان المتوهم مع شدة الحاجة ، وعظم الفاقة، ولو قيل : يحسبه الرائى ماء ، ثم يظهر على خلاف ما قدر لكان بليغا ، وأبلغ منه لفظ القرآن ، لأن الظمآن أشد حرصا عليه ، وتعلق قلب به ، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذى يصيره الى عذاب الأبد فى النار ، وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه ، فكيف اذا تضمن مع ذلك حسن النظم ، وعذوبة اللفظ ، وكثرة الفائدة ، وصحة الدلالة(٥) •

ولقد رأيت الرمانى فى تقسيمه التشبيه يطلق على التشبيه المعنوى ، كتشبيه قوة فلان بقوة فلان مثلا اسم التشبيه النفسى ، كما يقرر فى تعريفه أنه لايخلو من أن يكون فى القول ، أو فى النفس (٦) • أما تناوله للاستعارة فانه يمثل قمة اتجاهه فى التصوير البيانى ، والتفسير النفسى ، اذ حلل أربعا

---

١ ـ سلام : د• محمد زغلول (أثر القرآن فى تطور النقد العربى) ص ٢٣٤ ط المعارف عام ١٩٥٥ م •

٢ ـ العبيسى : د• عبد الحميد (الاعجاز النظمى للقرآن) ص ٢٤ ج١ ط الحلبى بالقاهرة عام ١٩٨٠ م •

٣ ـ الرمانى : أبو الحسن (النكت) ص ٧٦•

٤ ـ سورة النور : ٣٩

٥ ـ الرمانى : أبو الحسن (النكت) ص ٧٧

٦ ـ المصدر السابق ص ٧٩ من الآية ١٨ فى سورة الانبياء •

وأربعين آية قرآنية ، سأكتفى بثنتين منهـا ، قال الله تعالى : « **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ** » ، فالقذف ، والدمغ هنا مستعار ، وهو أبلغ ، لأن فى القذف دليلا على القهر ، لأنك اذا قلت : قذف به اليه ، فانما معناه : ألقاه اليه على جهة الاكراه والقهر ، فالحق يلقى على الباطل فيزيله على جهة القهر والاضطرار ، وعلى حالة الشك والارتياب ، ويدمغه أبلغ من يذهبه ، لما فى « يدمغه » من التأثير فيه ، فهو أظهر فى النكاية ، وأعلى غى تأثير القوة •

ومنها قوله تعالى : « **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** » الآية : ١٨ من سورة التكوير •

وتنفس ها هنا مستعار ، وحقيقة اذا بدأ انتشاره ، وتنفس أبلغ منه ، ومعنى الابتداء فيهما (أى الانتشار والتنفس) ، الا أنه فى التنفس أبلغ لما فيه من الترويح على النفس! بل ان التنفس هو سر الحياة ، وما فيها من متعة ونزهة وجمال !!

فانظر مسلك القرآن فى جعل الصبح ـ وهو مشهد مألوف مكرور ـ قد ظهر جديدا لم تشهده من قبل عينان !! (٢) •

ومما يلفت النظر عند الرمانى أن الألوان البلاغية الاخرى التى تغلب عليها صفة اللفظية كالتلاؤم والفواصل ـ قد حفل بالاثر النفسى لها حين عرضها ، فان التلاؤم : تعديل الحروف فى التأليف ـ وفائدته تظهر فى حسن الكلام فى السمع ، وسهولته فى اللفظ ، وتقبل المعنى له فى النفس لما يرد عليها ، من حسن الصورة ، وطريق الدلالة كما أن الفواصل القرآنية : حروف متشاكلة فى المقاطع توجب حسن افهام المعانى ، والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، ذلك أن الفواصل تابعة للمعانى ، وأما الأسجاع فالمعانى تابعة لها •

وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ، لأنها طريق الى افهام المعانى التى يحتاج اليها فى أحسن صورة يدل بها عليها(٣) » •

فأنت ترى معى الرمانى جماليا يحس بموطن الابداع والتأثير فى الصورة البيانية وغيرها ، كما يبدو ملحا على الأثر النفسى فيها ، مما جعله ملهما لكل المهتمين من بعده بالتصوير البيانى ، ومدى تأثيره العاطفى والوجدانى !!

أما (الخطابى) فلقد كان فى كتابه « بيان اعجاز القرآن » مكملا لجهد (الرمانى) ، الا أنهما ـ بلا ريب ـ صورة زاهية مشرقة للذوق البلاغى المصفى الذى صقله وهذبه القرآن الكريم ، وسنجد هذه الصورة متألقة تواكبها أصالة فى النظر ، وقوة فى الفكر ، وعمق فى البحث ، وقدرة على الاستنباط ، ودقة فى الملاحظة ، وروعة فى التحليل لدى الخطابى الذى تميز عن الرمانى بابرازه

١ ـ المصدر السابق ص ٩١ •
٢ ـ قطب : الاستاذ (التصوير الفنى فى القرآن) ص ١٩١ « بتصرف » •
٣ : الرمانى : أبو الحسن (النكت) ص ٩٦ ـ ٩٨ •

التقويم النفسى للأدب عند العرب

المعارضة الادبية بأصولها ومقاييسها ، مما كشف عن ذوق أدبى رفيع ، وحس بيانى مرهف يدل على ممارسة الجمال القرآنى ، وتمكن من أساليب اللغة ، وادراك لمذاهبها فى التعبير ، واستيعاب لأنماط صياغاتها فى دلالاتها على التصوير !!

وموقف الخطابى هذا يبدو أكثر وضوحا فى تصويره للنظم الذى هو سر الاعجاز ، اذ النظم يقوم على لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم .

وأن القرآن انما صار معجزا ، لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف مضمنا أحسن المعانى ، وجمع بين المعانى الرائعة وبين الموضوعات المتباينة الى ذلك النظم العجيب ، مودعا أخبار القرون الماضية(١) .

ويمضى الخطابى الى غايته المثلى ليقرر أن النوع الأفضل من الكلام ، والأمثل هو ما جاء به القرآن ، وهو الذى جمع البلاغة والفخامة مع العذوبة والسهولة !!

ولم يقف الخطابى عند النظم الذى يعتبر بحق رائد النقدة العرب فى تصويره فكرته ، بل انه جعل وجها نفسيا يراه مناط الاعجاز القرآنى كذلك ، مبينا أن هذا الوجه النفسى وجه آخر ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه الا الشاذ من آحادهم ، وهو من رزق الشفافية ، ومنح الصفاء الروحى ، وذلك صنيعه بالقلوب ، وتأثيره فى النفوس ، فانك لاتسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا اذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة فى حال ، ومن الروعة والمهابة فى أخرى ما يخلص منه اليه ، تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور ، حتى اذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق ، وتغشاها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلود ، وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها ، فكم من عدو فتاك للرسول (صلى الله عليه وسلم) يريد اغتياله، فإذا ما سمع آيات من القرآن أسقط فى يده ، وكف عن معاداته (٢) ولاينسى الخطابى دفاعه عن النص القرآنى ، وقوة تصويره ونفاذه ، فنجده يبدو بين الاعجاز النظمى وبين الاعجاز النفسى — فارسا مغوارا يتصدى للأباطيل ، ويفضح الأكاذيب —

فمثلا فى هذه الصورة الاستعارية عنده من قصة (يوسف) على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : « فأكله الذئب » قال المتوهمون المشككون : كان ينبغى أن يقال : فافترسه الذئب ، لأنهم يقولون : افترسه الوحش : الاسد أو الذئب ، فالافتراس : فعل الوحوش الكاسرة ، ولا يقولون : أكله الأسد ، ولما كان مقصد اخوة يوسف اخبار أبيهم بأن الذئب قد أتى على يوسف ، فلم يبق منه شيئا وأكل جميعه ، ولاريب فى أن كلمة « أكل » هى التى تفيد ذلك أيما افادة ، وقد حكى عن

---

١ — المصدر السابق ص ٢٧ — ٢٨ .

٢ — الخطابى : أبو سليمان (بيان اعجاز القرآن) ص ٧٠ .
من الآية ١٧ فى سورة يوسف .

(ابن السكيت) فى « ألفاظ العرب » قولهم : « أكل الذئب الشاة ، فما ترك منها تامورا » ، وعليه جاء قول الفرزدق :

فتى ليس لابن العم كالذئب ان رأى
بصاحبه يــوما دما فهــو آكلــه

كما ورد قول العباس بن مرداس :

أبا خراشــة أما أنت ذا نفر
فان قومى لم تأكلهم الضبع

فأنت ترى أن لفظ الأكل شائع الاستعمال فى الذئب ، وغيره من السباع كالضبع ..

وعلى هذا فالتعبير القرآنى بــ « فأكلــه » أبلغ وأدل !! ، اذ يتضمن القتل وزوال جثــة المقتول ، بخلاف « افترس » ، فانها لاتفيــد الا القتل فحسب ، اذ الافتراس هو فعــــل السبع : القتل فقط وأصل الفرس : دق العنق مع بقاء الجثة أو بقاء جزء منها ، فان أباهم قد يطالبهم بأثر باق منه يشهد بصدقهم ، الا أن خوفهم من تلك المطالبة هــــو الــذى جعلهم يزعمون الاكل ، ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة ، وكذلك الحال فى قوله تعالى : « **وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ** » من الآية : ٣٧ من ســورة يس ، والسلخ ها هنا مســـتعار ، وهو أبلغ منه لو قال : يخرج منه النهار ، وان كان هــو الحقيقة ..

وكذلك قوله تعالى : **فَاصْدَعْ بِمَــا تُؤْمَرُ** » هو أبلغ من قوله : فاعجل بما تؤمر ، وان كان هو الحقيقة ، والصدع مستعار ، وانما يكون ذلك فى الزجــاج ونحــوه من فلز الارض ، ومعناه : المبالغة فيما أمر بــه (ص) ، حتى يؤثر فى النفوس والقلوب تأثير الصدع الحسى فى الزجــاج وغيره ..

وفى القرن الخامس الهجرى الذى هو بحق عصر النضج البلاغى نرى الامام عبد القاهر الجرجانى ســنة ٣٧١ هـ فى كتبــه : « أسرار البلاغة » ، « دلائل الاعجاز » ، « الشــافية فى اعجاز القــرآن » قد أبدع أيما ابداع فى الكشف عن نظــرية (النظم) أو (العلاقات) بما لم يسبق به ، وكان الدافع النفسى واحدا مع الدافعين الآخرين وهمــا الدينى والتعليمى الذى جعله يبسط تلك النظرية فى ثنايا كتابيه : الأسرار والدلائل ، فان علم البيان (أى النظم عنده) قد لقى من الضيم ما لقيه ، ومنى من الحيف ما منى به »(١) .

فلا مناص من أن يدرأ الامام هــذا الظلم ، ويدفع ذلك الضيم . وبدهى أن كلمة «البيان» عنده مرادفة للبراعة ، والفصاحة ، والبلاغة ، والنظم ، خلافا لمــا نراه لدى البــلاغيين من المتأخرين فى تقسيمهم البلاغة ثلاثة فنون هى. المعانى ، والبيان ، والبديع .

ومهما يكن الأمر فان عبد القاهر بمنهجــه التحليلى الفذ الوضىء قد اســتطاع أن يكون مثلا فريدا للناقد الجمالى النفسى الأصــيل ، وقد اجتمع له من احساس صــادق بالجمال ، وذوق أدبى صاف ، وقدرة عالية على التعليل والتوجيه ، ونظرة شاملة عميقة هى آية عمقه

---

١ ــ الجرجانى : عبد القادر (دلائل الاعجاز) ص ٢١ ط المنار سنة ١٩٦٠ القاهرة .
من الآية ٩٤ فى سورة الحجر .

التقويم النفسى للأدب عند العرب

الوجـــدانى والفكرى ، فلا عجب أن نـــراه فى النظم يلح على الاعتبارين : الجمالى والنفسى فى وقت واحد ، وسأورد بعضا من نماذجـــه التطبيقية التى تكشف بجلاء عن ملامح منهجه النقدى الجمالى النفسى ، وتحدد لنا أبعاد هذا المنهج •

وأول ما يصادفنا هو كتابه «أسرار البلاغة» الذى عرض فيه صور البيان ، وفق مفهـــوم وتحديد الآخرين ـــ مضـــيفا اليه بعض ألوان البديع ـــ كما هو معروف الآن • وهذه الصور من التشبيه ، والتمثيل ، والمجاز ، والكنـــاية هى من مقتضيات النظم عنده ، اذ أنها أصول كثيرة كان جل محاسن الكلام ـــ ان لم نقـــل كلها ـــ متفرعة عنها ، وراجعة اليها ، وكأنهـــا أقطاب تدور عليهـــا المعـــانى فى متصرفاتها ، وأقطار تحيط بها من جهاتها(١) •

بل انه لـــيرى لتلك الصـــور فى كتـــابه : « دلائل الاعجاز » دورا فى تحقيق الاعجـــاز بالنظم الذى اشتمل عليها ، « لأن هذه المعانى التى هى الاســـتعارة ، والكناية ، والتمثيل ، وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم ، وعنها يحدث ، وبها يكون •• (٢) » •

وفى مدخـــله الى تلك الصـــور فى كتـــابه « الأسرار » نراه يركز على الاختصـــاص فى الترتيب ، فانه يقع فى الألفـــاظ مرتبـــا عـــلى المعانى ، المرتبة فى النفس ، المنتظمة فيها على قضية العقل ، ومن أجل هـــذا لو قلت فى بيت امرىء القيس من مطلع معاقته المشهورة :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فجعلته هكذا من مصراعه الأول :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
منزل قفـــا ذكرى من نبك حبيب

كان ذلك اخراجا له من كمـــال البيـــان الى مجال الهذيان ، نعم وأســـقطت نســـبته من صاحبه ، وقطعت الرحم بينه وبين منشئه •

وفى ثبوت هذا الأصل ما تعلم به أن المعنى الذى كانت له هذه الكلم ••، بيت شعر ، أو فصل خطاب ، هو ترتيبها على طريقة معلومة، وحصـــولها عـــلى صـــورة من التـــأليف مخصوصة ••»(٣)

ويمضى عبـــد القاهر فى بســـط فكرته عن فضيلة النظم ، منبها الى أن هنا أقساما قـــد يتوهم فى بدء الفكرة ، وقبل اتمـــام العبرة أن الحسن والقبح فيها (أى الكلمة) لا يتعـــدى اللفظ والجـــرس الى ما يناجى فيـــه العقـــل النفسى ، ولها (أى للفصاحة والفضيلة) اذا حقق النظر مرجع الى ذلك ، ومنصرف فيمـــا هنالك ، منها التجنيس ، والحشو »(٤) •

وهكذا نرى عبد القاهر ينظر الى الجمـــال من خلال نظرة عقلية نافذة تتراءى للناظر أكثر اتضاحا فى كتابـــه : « الدلائل » حـــول بيت امرىء القيس نفسه قائلا : « انـــه لا يكون ترتيب فى شىء حتى يكون هنـــاك قصـــد الى

١ ـــ الجرجانى : عبد القاهر (أسرار البلاغة) ص ١٨ ط المنار القاهرة •

٢ ـــ الجرجانى : عبد القاهر (دلائل الاعجاز) ص ٢٥١ •

٣ ـــ الجرجانى : عبد القاهر (أسرار البلاغة) ص ١٤ ـــ ١٥ •

٤ ـــ الجرجانى : عبد القاهر (أسرار البلاغة) ص ١٦ •

صورة وصنعة ان لم يقدم فيه ما قدم ، ولم يؤخر ما أخر ، وبدىء بالذى ثنى به ، أو ثنى بالذى ثلث به لم تحصل لك تلك الصورة ، وتلك الصنعة ٠٠ »(١)

وليست الصورة عنده الا النظم الذى يتحقق بين تلاحم اللفظ والمعنى ، وتوخى معانى النحو فيما بين الكلم ، وترتيب المعانى أولا فى نفسك ، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ فى نطقك ٠٠ »(٢)

بل ان الصورة ــ فى رأيه ــ تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذى نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البينونة بين آحاد (أفراد) الأجناس تكون من جهة الصورة ، فكان بين انسان من انسان ، وفرس من فرس ، بخصوصية تكون فى صورة هذا لا تكون فى صورة ذاك ، وكذلك كان الأمر فى المصنوعات ، فكان بين خاتم من خاتم ، وسوار من سوار بذلك ، ثم وجدنا بين المعنى فى أحد البيتين وبينه فى الآخر بينونة فى عقولنا ، وفرقا عبرنا عن ذلك الفرق، وتلك البينونة بأن قلنا : للمعنى فى هذا صورة غير صورته فى ذلك ، وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر ، بل هو مستعمل مشهور فى كلام العلماء ، ويكفيك قول الجاحظ : « وانما الشعر صناعة وضرب من التصوير ٠٠ »(٣)

والامام بهذا البيان التفسيرى الذى أبرزه فى معرض حديثه عن أسلوب الموازنة الأدبية

١ ــ الجرجانى : عبد القاهر (دلائل الاعجاز) ص ٢٣٤ ٠

٢ ــ الجرجانى : عبد القاهر (دلائل الاعجاز) ص ٢٨٧ ٠

٣ ــ الجرجانى : عبد القاهر (دلائل الاعجاز) ص ٣٢٠ ٠

بين الشعرين ، ومعاييرها الفنية يكون قد خطا بمصطلح الصورة خطوات كبيرة على درب الموازنة التى ــ أراها ــ أرقى المناهج النقدية وأدقها فى القديم والحديث على السواء ، والا فانظر الى طريقته فى الموازنة بين البحترى والمتنبى ، « فليس يتصور فى نفس عاقل أن يكون قول البحترى :

وأحب آفاق البلاد الى الفتى
أرض ينال بها كريم المطلب

وقول المتنبى :

كل امرىء يولى الجميل محبب
وكل مكان ينبت العز طيب

ــ سواء ٠٠ » (٤) ٠

وواضح أن عبد القاهر كان حريصا كل الحرص على استخدام العقلية فى الكشف عن جمال الصورة ، وتفاوت الصور ، طريقا الى تقرير الاعجاز ، أما عنايته بالدلالات النفسية لأشكال التعبير فحدث عنها ولا حرج ٠

د٠ عبد الحميد العبيسى

٤ ــ الجرجانى : عبد القاهر (دلائل الاعجاز) ص ٣١٩ ٠

حقيقة التوسل والوسيلة

على ضوء الكتاب والسنة

لفضيلة الشيخ موسى محمد على

فى هذه الآونة التى تشهد فيها أمة الاسلام بزوغ القرن الهجرى الجديد بما يحمله من اشراقات الصحوة الاسلامية المباركة : تحفل الساحة الاسلامية بالعديد من التيارات المذهبية المختلفة التى يشق بعضها طريقه فى تؤدة واتزان واستقامة ، بينما يصطرع بعضها الآخر ويلتوى عن الجادة مهدرا طاقته وحيويته فى دوامة الصراع المذهبى التى تعوق الانطلاقة الاسلامية المنشودة بما تثيره من جدل فى عديد من القضايا الفرعية ، ومن أبرز هذه القضايا : قضية « التوسل والوسيلة » التى تصاعد الجدل فيها الى مستوى التوحيد أو الشرك .

وفى غمرة هذا الجدل والخلاف والتساؤلات جاء هذا الكتاب على قدر يحمل النور من كتاب الله وسنة مصطفاه الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ومن هدى سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين . فجاء بحق ـ كتاب الساعة فى المكتبة الاسلامية ، ليعالج أخطر قضايا الساعة الدينية ، بروح النصفة العلمية والتجرد للحق من كل هوى ، اللهم الا هوى التبعية المطلقة لما جاء به سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحابته أجمعين .

فمؤلف هذا الكتاب عالم فاضل أخرج للمكتبة الاسلامية عديدا من المؤلفات والأبحاث فى علوم القرآن والسنة وتاريخ آل البيت الأطهار رضى الله عنهم أجمعين ، كما حقق للمكتبتين القرآنية والحديث كنوزا من التراث العلمى النفيس مثل كتاب أحكام القرآن لأبى الحسن الكياالهراسى وكتاب مشكل الحديث للامام أبى بكر بن فورك . وكتاب الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة للحافظ الذهبى وغير ذلك .

تناول المؤلف بالبحث والتمحيص كافة أبعاد قضية التوسل وجوانبها مستجمعا فى بحثه شتات ماتفرق فى أمهات المصادر والمراجع التى تصدت من قبل لهذه القضية قديما وحديثا ، مع اضافة الرؤية المعاصرة وادراجها تحت منظار البحث القرآنى والسنى بمنهجيه علمية ثاقبة وتنسيق موضوعى رائع .

ولنأخذ أولا فى العرض الاجمالى لمباحث الكتاب ومحتوياته :

يشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة أبواب

للدكتور جودة محمد أبو زيد المهدى

ناهزت فى الكم خمسمائة صحيفة من القطع الكبير .

أما المقدمة : فقد جسد فيها المؤلف منطلقه فى بحث القضية ، ومنهاجه فى تناولها ، ويتمثل ذلك فى الاتباع المطلق والكامل للرسول الكامل صلوات الله وسلامه عليه ، وتحكيمه فى كل ما اختلف فيه ، مع الاذعان الكامل والقبول الكلى والجزئى لحكمه وانتفاء الحرج بصدده والتسليم المطلق به عملا بقوله تعالى : « **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** » .

من هذا المنطلق عالج المؤلف جوانب القضية فى مباحث كتابه على النحو التالى :

ففى الباب الأول : فصلان : تناول فى « أولهما » : (مشروعية التوسل والاستدلال لها من القرآن العظيم والسنة المطهرة) فبين مدلول التوسل والوسيلة فى اللغة وشمول مدلول الوسيلة — فى مفهوم اللغة والشرع — للأعمال الصالحة المشروعة وللذوات الفاضلة المقربة عند الله تعالى من الأنبياء والصالحين ثم تناول — بالتدليل المتضافر بالأحاديث الصحيحة — مشروعية التوسل بذات النبى صلى الله عليه وسلم وبذوات غيره من الصحابة والصالحين ، وأقام الأدلة لجواز التوسل به صلى الله عليه وسلم فى الأحوال الثلاثة . قبل التشرف بظهوره صلى الله عليه وسلم فى هذا العالم ، وأثناءه ، وبعد انتقاله الى الرفيق الأعلى ، كما بين أن التوسل به صلى الله عليه وسلم يشتمل على أنواع ثلاثة :

أولها : طلب الحاجة من الله تعالى مع التقرب اليه سبحانه بذاته — صلى الله عليه وسلم — أو بجاهه وبركته قبل خلقه أو بعده فى حياته الدنيا ، أو بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه .

وثانيها : طلب الدعاء منه ، فى حياته الدنيا أو فى حياته البرزخية ، أو فى عرصات القيامة .

وثالثها : طلب الأمر المقصود منه — صلى الله عليه وسلم — على معنى التسبب فيه بالدعاء والشفاعة . عند الله عز وجل ، فيئول هذا النوع — فى حقيقته — الى النوع الثانى المتقدم وقد أتى المؤلف بالعديد من الأدلة على مشروعية الأنواع الثلاثة .

ثم تناول الفصل الثانى : من هذا الباب : (مشروعية الزيارة للنبى صلى الله عليه وسلم ولقبور الأولياء الصالحين) .

فأبرز العديد من أدلة الكتاب والسنة لذلك ، كما أبرز بالتدليل والاستشهاد مشروعية شد الرحال لهذه الزيارة وبين آدابها الشرعية وما تسفر عنه من أثر روحى عظيم .

وأما الباب الثانى : فقد تصدى فيه المؤلف لتلك الشبهات التى طرحها خصوم التوسل

حقيقة التوسل والوسيلة

فى القضية وتتمثل فى خمس شبهات رئيسية:
أولاها : شبهة انكار التوسل والاستغاثة .
وثانيتها : شبهة انكار الاستغاثة بالموتى .
وثالثتها : شبهة انكار زيارة قبور الأنبياء والصالحين .
ورابعتها : شبهة انكار الصلاة فى المساجد التى بها قبور .
وخامستها : شبهة انكار وصول ثواب قراءة القرآن والدعاء للميت .

وقد فند المؤلف ــ بتوفيق عظيم من الله تعالى ــ كل هاتيك الشبه ، ورد عليها بشوامخ الحجج النقلية والعقلية بما لايدع لدى منصف لاحق مرية ولا ارتيابا .

وأما الباب الثالث : فقد ضمنه المؤلف فصولا ثلاثة تبرز خلفيات قضية التوسل التى يجب ان يتعرفها من يتصدى للخوض فيها على منهاج علمى مستقيم .

فالفصل الأول : يتناول : حياة الأنبياء وغيرهم فى قبورهم . والاستدلال لذلك من الكتاب والسنة .

والفصل الثانى : يتناول حقيقة الولاية لله تعالى وبيان معنى الولى ــ بالمعنى العام وبالمعنى الخاص ــ من دلالة النص القرآنى المحكم ، كما يتضمن اثبات الكرامات لأولياء الله تعالى فى الحياة وبعد الموت وبيان خطورة معاداة الأولياء وما ورد فيها من الوعيد الالهى الشديد .

وأما الفصل الثالث : فقد عقده المؤلف لبيان جواز التقبيل والتبرك بآثار الصالحين . وقد استند فى ابراز مشروعية ذلك الى الأحاديث النبوية الصحيحة والآثار المروية المتعاضدة والى آراء أئمة المذاهب الفقهية الكبرى ، ونخبة أقوال جهابذة السلف الصالح رضوان الله عليهم ، التى تؤكد ــ بيقين ــ هذه المشروعية .

وفى الباب الرابع : تناول المؤلف موضوع (الذكر) الذى هو منشور الولاية ومعراج القرب من الله عز وجل وقد تضمن هذا الباب فصولا ثلاثة :

الفصل الأول : فى بيان منزلة الذكر من العبادة ، وحكمة مشروعيته على ضوء الكتاب والسنة . وقد عرف فيه بأقسام الفكر وأنواعه وكيفياته فتضمن الأدلة النقلية على مشروعية الذكر الجهرى والسرى ، والذكر المنفرد والذكر مع الجماعة ، والذكر المقيد والذكر المطلق كما أثبت فيه المؤلف ــ بالأدلة القرآنية والحديثية ــ مشروعية الحركة فى الذكر ردا على من يزعم حرمة ذلك .

وفى الفصل الثانى : تناول المؤلف فضل الذكر وثمرته التى ينالها الذاكر ، وقد حفل هذا الفصل بروائع الأحاديث والآثار التى تجسد عظمة الذكر وضرورته وثماره المتعددة.

وأما الفصل الثالث : فقد أفرده المؤلف للمسبحة (١) دليل مشروعيتها ، وهو مبحث جد بالغ الأهمية اذ هو محل جدل ولغط .

فأفاض المؤلف باركه الله فى ايراد الأحاديث الصحيحة والآثار المتضافرة عن الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ــ التى تؤكد بيقين مشروعية اتخاذ المسبحة وتدحض فرية بدعيتها كما نوه فى تناوله ببعض

(١) بزنة مفعلة ــ بكسر الميم وفتح الباء ، ومن المولد ــ بعد عصر الرواية لفظ : السبحة : بضم السين .

المؤلفات التى أفردها بعض الأساطين فى هذا الصدد كمصنف ابن علان ــ شارح كتاب الأذكار ــ المسمى (ايقاد المصابيح لمشروعية اتخاذ المسابيح ، ومصنف الامام السيوطى : (المنحة فى السبحة) • ثم يأتى الباب الخامس والأخير ، متناولا فيه المؤلف ــ فى أربعة فصول ــ تلك المسائل المتنوعة والمتفرعة الداخلة فى اطار قضية التوسل كاشفا ــ بالأدلة النقلية الصحيحة ــ حقيقة ماتطرق اليه النزاع واحتدم فيه الخلاف ، وصوبت اليه الاعتراضات رغم شرعيته المؤكدة بمنطوق ومفهوم الكتاب والسنة •

ففى الفصل الأول : تناول مشروعية اطلاق السيادة على سيدنا ومولانا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورد بالأدلة القرآنية والحديثية الصحيحة على من زعم اختصاص السيادة بالخالق دون المخلوق فحكم بالاشراك على من يطلق السيادة على سيد ولد آدم ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو على غيره من صالحى أمته • وبين بالدلائل الساطعة استحباب اطلاق السيادة عليه صلوات الله وسلامه عليه بما لا مزيد عليه •

وفى الفصل الثانى : ــ من هذا الباب ــ تناول مشروعية الصلاة والسلام على سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فبين فضلها ومنزلتها وأجلى معناها ومغزاها وبين حث السنة الشريفة عليها وترغيبها فيها لنيل ثمارها •

وأما الفصل الثالث : فقد أفرده المؤلف لبيان مواطن الصلاة على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفوائدها • فبين تلك المواطن التى يتأكد فيها طلب الصلاة عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على سبيل الوجوب أو الاستحسان المؤكد فأثبت تسعة وثلاثين موطنا بأدلتها ، وهو تسجيل رائع يحمد عليه المؤلف كذلك عدد من ثمار هذه الصلاة ما يناهز عدد تلك المواطن ، وأثبت فى هذا الفصل باقة عاطرة من مأثور الصيغ فى الصلاة على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزا خواصها وفوائدها المتعددة •

ثم جاء الفصل الرابع : بمسك الختام ــ فى الشفاعة وأدلة اثباتها لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبيان أنواعها فى الآخرة ، وقد ختم المؤلف بها كتابه القيم مؤكدا بثبوتها ثبوت مشروعية التوسل والوسيلة ، ومؤملا ــ ونحن معه ــ أن تكون هى خاتمة أمرنا ان شاء الله تعالى •

وبعد هذا العرض الاجمالى لمباحث الكتاب: نأتى الى :

الجانب التحليلى من هذه الدراسة :

فى محتويات هذا البحث منهج علمى سديد متكامل ، ومعالجة موضوعية رائعة ، مستوعبة لأطراف الموضوع ، حافلة بثراء المادة العلمية وغزارة المصادر مع عظم الافادة منها بتوفر الأداة وعمق النظر فى فهم مرامى النصوص وتوجيه الأدلة فى مسارها الصحيح دون تعسف أو التواء •

ثم اننا نجد ــ من خلال تلك الدراسة فى رحاب الكتاب والسنة ــ ذاتية علمية تجسد منهج (الاتباع) بحق وحقيقة ــ وهو المنهج الذى رفع لواءه الامام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله ورضى عنه ، فقد كان شعاره هذا الحديث الشريف • « اتبعوا

ولا تبتدعوا فقد كفيتم » (١) •

والمؤلف من خاصة تلاميذ الامام الراحل عليه رضوان الله ، وقد طبق منهاجه هذا فى كتابه هذا على أكمل وجه •

وأما عن المنهج الذى اختطه المؤلف فى هذه الدراسة العلمية : فاننا نجد سمتين بارزتين للاطار المنهجى الذى تناول به الكاتب موضوعه وهما : الشمول ، والتكامل ، فقد رسم المؤلف خطته العلمية على أساس شمولى لكل جوانب وأبعاد موضوع التوسل والوسيلة وما يتعلق به من فرعيات مرتبطة بجوهره فألقينا هذا الاستيعاب لأجزاء الموضوع وما يناط به من مباحث ، كالزيارة ومشروعية السفر اليها ، واثبات حياة الأنبياء وغيرهم فى قبورهم ، وجواز التقبيل والتبرك بآثار الصالحين •

ومشروعية الذكر الجهرى مع الجماعة ، والحركة فى الذكر ، والمسبحة ودليل مشروعيتها واطلاق السيادة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصلاة والسلام عليه ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام واثبات الشفاعة له صلى الله عليه وسلم ، الى غير ذلك من متعلقات الموضوع التى يثار حولها جدل كبير • كذلك تتمثل ظاهرة التكامل الموضوعى فى منهج المؤلف فى كتابه تمثلا بارزا ، حيث نجد كل مبحث من مباحثه يدعم الآخر فى اقامة بناء متكامل ، كما نجد سريان علاقتى اللزومية والاقتضاء عبر أبواب الكتاب وفصوله بشكل ملحوظ ، وبترتيب منطقى محكم •

فالفصل الاول من الباب الاول يحمل عنوان القضية (التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة) وهذا هو جوهر الموضوع والمنطلق لبحث متعلقاته ، نجد المؤلف يتبعه الفصل الثانى عن (الزيارة ودليل مشروعيتها) ، من حيث ان الزيارة للنبى — صلى الله عليه وسلم — من أقوى الوسائل للفوز بشفاعته فالزيارة مظهر بارز من مظاهر التوسل •

ولما كانت هناك شبهات عديدة تثار حول مشروعية التوسل والزيارة • أفرد المؤلف الباب الثانى وكتابه لرد هاتيك الشبه من منطلق الرجوع الى الكتاب والسنة وتسليط ضوئها الوهاج لقشع غياهب تلك الشبهات كشبهة انكار التوسل بدعوى أنه اشراك وكشبهة انكار زيارة قبور الصالحين ، وشبهة انكار الصلاة فى المساجد التى بها قبور الى غير ذلك• فصنيع المؤلف ههنا فى غاية الاحكام ، اذ أنه يتصدى بعد تقرير الحقيقة لتنفيذ الشبه التى تثار حولها حتى تستقر شرعيتها فى القلوب فازالة الشبه بعد تقرير الاثبات تأكيد له بنفى ضده ، — وسنورد فيما بعد أمثلة لذلك — ثم بعد معالجة تلك الشبهات التى تصدى لها البحث — ومنها شبهة انكار الاستغاثة بالموتى تحتم موضوعية البحث وتكامله على المؤلف أن يتصدى لاثبات حياة أولئك الصالحين من الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — وغيرهم فى قبورهم فيفرد لذلك : الفصل الأول من الباب الثالث ، ثم يتبعه بحيثيات وصلاحيات نفع أولئك الصالحين من الأولياء العارفين فى الفصل الثانى مبينا حقيقة الولاية لله عز وجل ومعرفا بصفات هؤلاء الأولياء وما أكرمهم

---

(١) رواه الطبرانى والدارمى — فى العلم من مسنده — عن ابن مسعود موقوفا (انظر الجامع الكبير) •

الله تعالى به من الكرامات فى الحياة وبعد الممات •

ولما كان من مظاهر التوسل بهؤلاء الأولياء التبرك بهم وبآثارهم : جعل الفصل الأخير من هذا الباب فى بيان جواز التقبيل والتبرك بآثار الصالحين •

ثم لما كان مدلول الوسيلة شاملا — فى مفهوم اللغة والشرع — للعمل الصالح وللذوات الصالحة : عقد المؤلف الباب الرابع للذكر الذى هو ذروة العمل الصالح ، مبرزا تكامله مع قسيمه — فى مدلول الوسيلة — فى التقرب الى الله سبحانه ، ثم يختم المؤلف أبواب كتابه بمتممات البحث ومؤكدات شرعية الحكم فى هذه القضية وفى الباب الخامس الذى ختمه بشفاعة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه وورثته الطيبين الطاهرين •

وهكذا يبرز اتساق المنهج وتكامله فى استجماع جوانب الموضوع وأطرافه المتعددة وتسلسله باحكام رائع ، وترابط وثيق •

ثم نأتى أخيرا : للتعرف على صورة المعالجة العلمية التفصيلية فى هذا البحث لنرى كيف استطاع المؤلف — بتوفيق الله تعالى — أن يسلط ضوء الكتاب والسنة على هذا الموضوع بمختلف جوانبه وابعاده ، وأن يدلل لمشروعية التوسل بكافة أنواعه ومظاهره التى اتسعت لها دائرة الشرعية الالهية •

ان نقطة البدء فى الموضوع هى اثبات شرعية أصل التوسل الذى هو التقرب الى الله تعالى بالوسيلة وهى كل ما جعله الله سببا فى القربى عنده ووصله الى قضاء الحوائج عنه سبحانه • هنا يدلل المؤلف على ذلك بقوله تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** » (١) • وبقوله تعالى : « **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ** » (٢) •

ولاريب فى دلالة كل من الآيتين الكريمتين على مشروعية اتخاذ الوسيلة ، ولكن أول اعتراض يطرأ فى القضية انما هو بتخصيص مدلول الوسيلة وقصره على العمل الصالح من العبد المتوسل نفسه • ونفى شرعية اتخاذ أى ذات — مهما كانت مقربة عند الله تعالى — وسيلة اليه ، وهنا : يؤكد البحث من منطلق الكتاب والسنة شمول الوسيلة فى الآيتين الكريمتين للاعمال الصالحة وللذوات الصالحة المقربة عند الله تعالى من الأنبياء والصالحين •

أما أدلة التوسل بالأعمال الصالحة فهى كثيرة ولا خلاف عليها ، وقد أورد المؤلف منها حديث أصحاب الغار الذين توسلوا بصالح أعمالهم وهو مروى فى صحيح البخارى • وأما أدلة التوسل بالذوات — الصالحة الى الله تعالى فقد تضمن الكتاب العديد منها وخاصة أدلة التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم البالغة الكثرة •

وفى هذا المقام تجلت روعة المعالجة العلمية المنهجية للمؤلف ، اذ صنف هذه الأدلة تحت أنواع ثلاثة يشمل كل نوع منها أحوالا ثلاثة :

فالنوع الأول : من التوسل به صلى الله عليه وسلم : هو طلب الحاجة من الله تعالى مع التقرب الى الله سبحانه بذات النبى صلى الله عليه وسلم أو بجاهه أو ببركته ، وهذا

(١) سورة المائدة ٣٥ .
(٢) سورة الاسراء ٥٧ .

حقيقة التوسل والوسيلة

التوسل جائز مشروع فى الأحوال الثلاثة : قبل خلقه • وبعد خلقه — فى الحياة الدنيا — وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم — فى حياته الأخرى •

أما الدليل على مشروعية التوسل به قبل وجوده — صلى الله عليه وسلم — فى الدنيا فقد ساق المؤلف لذلك مارواه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين بسنده عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما اقترف آدم — عليه السلام — الخطيئة قال : يارب أسالك بحق محمد الا غفرت لى ، فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟؟ قال : يارب لأنك لما خلقتنى بيدك ، ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا « لا اله الا الله محمد رسول الله » فعرفت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك، فقال الله تعالى • صدقت يا آدم ، انه لأحب الخلق الى ، واذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك » (١) •

وأما الدليل على مشروعية التوسل به صلى الله عليه وسلم : — فى الحالة الثانية من النوع الأول — أى بعد خلقه أثناء وجوده صلى الله عليه وسلم فى الدنيا تقربا الى الله تعالى بذاته الشريفه فقد ساق المؤلف لذلك مارواه الامام الترمذى — فى كتاب الدعوات من سننه — عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافينى ، قال : « ان شئت دعوت ، وان شئت صبرت فهو خير لك » قال : فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى لتقضى لى ، اللهم شفعه فى (٢) — قال البيهقى : وزاد محمد بن يونس فى روايته : « فقام الرجل وقد أبصر » أ هـ •

كذلك استدل المؤلف على مشروعية التوسل به صلى الله عليه وسلم فى الحالة الثالثة من النوع الأول — أى التقرب بذاته أو بجاهه بعد انتقاله — صلى الله عليه وسلم — الى الرفيق الأعلى — مارواه الطبرانى فى معجمه الكبير عن عثمان بن حنيف : أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى حاجة له ، فكان عثمان لا يلتفت اليه ولا ينظر فى حاجته فلقى ابن حنيف فشكا ذلك اليه ، فقال له عثمان بن حنيف : ايت الميضاة فتوضأ ، ثم ايت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل : اللهم انى أسالك وأتوجه اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة ، يامحمد انى أتوجه بك الى ربك فيقضى حاجتى ، وتذكر حاجتك • فانطلق الرجل ، فصنع ما قال له ، ثم أتى باب عثمان بن عفان فجاء البواب حتى أخذه من يده فأدخله على عثمان بن عفان • فأجلسه معه على الطنفسة فقال : ماحاجتك ؟؟ فذكر حاجته وقضاها له ، ثم قال له : ماذكرت حاجتك حتى كان الساعة وقال : ماكانت لك من حاجة فاذكرها • ثم

---

(١) رواه الحاكم — فى المستدرك — وقال : هذا صحيح الاسناد ، ورواه البيهقى ايضا فى (دلائل النبوة) وذكره الطبرانى وزاد فيه : (وهو اخر الانبياء من ذريتك) .

(٢) قال الترمذى : راويه « هذا حديث صيحح » ورواه أيضا النسائى والبيهقى •

ان الرجل خرج من عنده ، فلقى عثمان بن حنيف ، فقال له : جزاك الله خيرا ، ماكان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت الى حتى كلمته فى: فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته ، ولكنى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتاه ضرير فشكا اليه ذهاب بصره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أو تصبر » ؟ فقال : يارسول الله ، انه ليس لى قائد وقد شق على، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « ايت الميضاة . فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات » .

قال ابن حنيف . فوالله ماتفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط أ هـ كذلك أورد المؤلف العديد من الأدلة على مشروعية النوع الثانى من التوسل ، وهو طلب الدعاء منه صلى الله عليه وسلم فى الأحوال الثلاثة : أثناء حياته الدنيا ، وبعدها فى حياته البرزخية . ثم فى عرصات القيامة الكبرى يوم يشفع فى أمته صلى الله عليه وسلم وقد نص القرآن الكريم صراحة على مشروعية هذا النوع فى حياته صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا » (١) والآية صريحة كل الصراحة فى ابراز تلك المشروعية .

وقد أورد المؤلف استدلاله بهذه الآية الكريمة على مشروعية التوسل به صلى الله عليه وسلم بمعنى طلب الدعاء منه بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى — فى حياته البرزخية — وهى الحالة الثانية من النوع الثانى من أنواع التوسل — وذلك فى الفصل الثانى من الباب الثانى بصدد رده على شبهة انكار الاستغاثة بالموتى ، فأورد مارواه الحافظ ابن حجر الهيثمى عن أبى سعيد السمعانى أنه روى عن سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه (٢) ، أنهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم أعرابى فرمى بنفسه على القبر الشريف — على ساكنه أفضل الصلاة والسلام — وحثى من ترابه على رأسه ، وقال : يارسول الله ، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك ، وكان فيما أنزله الله عليك قوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا » . وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى الى ربى ، فنودى من القبر الشريف أن قد غفر لك أ . هـ وقد حفل الكتاب بنظائر كثيرة لهذا الدليل من الأحاديث والآثار الصحيحة .

وأما الاستدلال لمشروعية النوع الثانى للتوسل فى حالته الثالثة — فى عرصات القيامة بالشفاعة فقد أفرد المؤلف له آخر فصول الكتاب كما أسلفنا .

وأما النوع الثالث من أنواع التوسل وهو طلب الحاجة منه صلى الله عليه وسلم فانه — كما قدمنا فى العرض — راجع الى النوع الثانى ، اذ أن حقيقة : طلب المتوسل أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم أو الصالح المتوسل

---

(١) سورة النساء ص ٦٤ .

(٢) ابن حجر — الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم . وانظر ايضا للشيخ ابراهيم السمنودى المنصورى ١/١٧٧ .

به سببا فى حصول المطلوب بالدعاء أو التشفع ونحوه ومن هذا قول الصحابى للنبى صلى الله عليه وسلم : أسألك مرافقتك فى الجنة ، فقال له صلى الله عليه وسلم « اعنى على نفسك بكثرة السجود » .

وقد أبرز المؤلف مشروعية التوسل بغير النبى صلى الله عليه وسلم ممن له نسبة اليه صلى الله عليه وسلم من آل بيته الأطهار وأولياء أمته الأخيار الذين نالوا أهلية القرب والتحقق والصلاح والخيرية ، وناهيك فى هذا الصدد بحديث توسل سيدنا عمر بسيدنا العباس رضى الله عنهما ، المروى فى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه من آن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانوا اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: « اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا قال : فيسقون » أ هـ .

فالاستدلال قائم بهذا الحديث على مشروعية التوسل بغير النبى صلى الله عليه وسلم من الأولياء الصالحين .

وقد دفع المؤلف توهم الواهمين أن عدول سيدنا عمر عن التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم الى التوسل بعمه العباس يفيد انكار التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، بأن التوسل ههنا انما هو باخراجه الى المصلى ليباشر صلاة الاستسقاء ويؤم المصلين ويدعو الله على مرأى ومسمع منهم وهم يؤمنون على دعائه ، ثم ان سيدنا العباس رضى الله عنه من جملة المستسقين المنتفعين بالسقيا فاجتمعت فيه الحاجة وقربه من النبى صلى الله عليه وسلم وثمة فائدة أخرى عظيمة لهذا العدول : وهى افادة مشروعية التوسل بغيره صلى الله عليه وسلم . ثم تأتى النقطة الحاسمة فى فهم حقيقة التوسل — فى ختام الفصل الأول — والتى ينبغى أن يعيها جيدا كل راغب فى تفهم الحقيقة ، وهى معقد الحكم فى جوهر القضية بقول المؤلف : « وخلاصة » القول : ان المراد من الاستغاثة بالأنبياء والصالحين ، والتوسل بهم : هو أنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود ، والله تعالى هو الفاعل كرامة لهم ، لا انهم هم الفاعلون — كما هو المعتقد الحق فى سائر الأفعال ، فان السكين لا يقطع بنفسه ، بل القاطع هو الله تعالى ، والسكين : سبب عادى خلق الله تعالى القطع عنده » .

ومن منطلق تفهم هذه الحقيقة البينة لدى الفطر السليمة والعقول المستنيرة والقلوب الفاقهة عن الله تعالى : عالج المؤلف — فى الفصل الأول من الباب الثانى — شبهات المنكرين بزعم أن المتوسلين قد أشركوا فى الألوهية والربوبية ، وحملوا عليهم كل الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين وعباد الأصنام من مثل قوله تعالى : « وَالَّذِينَ تَدْعُونَ

مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ • إِن تَدْعُوهُمْ لَايَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْسَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » (١) •

ومثل قوله سبحانه : **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَانَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ••** » (٢) الى غير ذلك من الآيات المنزلة فى المشركين •

ثم كان أولى بالمعترضين أن يدركوا الحقائق التالية :

أولا : ان الذين نزلت فيهم هذه الآيات مشركون قد جعلوا الأصنام آلهة كما اتخذ غيرهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وأما المتوسلون فانهم موحدون لايعتقدون الها ولا ربا الا الله وحده جل شأنه وكل ماسواه ومن سواه من الأنبياء والأولياء عبيد له سبحانه •

ثانيا : ان المشركين اعتقدوا أن آلهتهم التى أشركوها بالله تعالى مستحقة للعبادة وأما المتوسلون فانهم لم يعتقدوا معبودا الا الله وحده ، ولا خالقا ولا رازقا الا هو •

ثالثا : ان المشركين قد عبدوا تلك الآلهة بالفعل كما حكى الله عنهم فى قوله(**مانعبدهم الا ليقربونا الى الله**) • وأما المتوسلون فانهم لم يعبدوا الأنبياء ولا الأولياء ولم يتخذوا ربا معبودا سواه سبحانه فاذا احتج المعترضون بأن القرآن قد قرر بأن دعاء غير الله عبادة له والمتوسلون يدعون الأنبياء والصالحين • نقول : ان الدعاء يأتى فى اللغة لمعان شتى ، وأصله : الطلب ، وفى هذه الآيات المحتج بها من نحو قوله تعالى : « **فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** » (٣) قد جاء الدعاء بمعنى العبادة ، فلا ينبغى أن تحمل على عمومها فى الدلالة اللغوية فالعلاقة بين الدعاء اللغوى والعبادة الشرعية انما هى العموم والخصوص الوجهى ، ومن ثم فليس كل دعاء عبادة ، كما أنه ليس كل عبادة دعاء •

ومن ثم فان التوسل أو التشفع أو الاستغاثة ــ وكلها بمعنى واحد ــ لا يقصد بها عبادة غير الله على الاطلاق بدليل مشروعيتها التى نطقت بها نصوص الكتاب والسنة •

فالمؤثر والموجد والنافع والضار هو الله سبحانه وتعالى وحده • هذه هى عقيدة الموحدين المحمديين • فليعلمها المعترضون جيدا قبل الحكم على أهل (لا اله الا الله) بما لايرضى الله ورسوله •

على هذا المنهاج والمنوال سار المؤلف على بركة الله شامخا •

(١) سورة فاطر ١٣ ــ ١٤ •
(٢) سورة الزمر ٣ •
(٣) سورة الجن ١٨ •

حقيقة التوسل والوسيلة

وفى مسألة مشروعية الصلاة فى المساجد التى بها قبور • نجد المؤلف يقرر لها الفصل الرابع من الباب الثانى ويقيم صروح الأدلة من السنة المطهرة مستهلا بالحديث الذى رواه الامام ابن حبان وحكم له بالصحة •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أسرى بى الى بيت المقدس مربى جبرائيل الى قبر ابراهيم — عليهما الصلاة والسلام — فقال : انزل صل هاهنا ركعتين فان هاهنا ولد أخوك عيسى عليه السلام » أ هـ دلالة لاشك فيها على مشروعية الصلاة بجوار القبور •

وأما حديث (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) فان الامام البيضاوى قد وضح المراد به خير توضيح فقال :

لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتجهون فى الصلاة نحوها واتخذوها أوثانا — لعنهم الله — ومنع المسلمين عن مثل ذلك • فأما من اتخذ مسجدا فى جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه فلا يدخل فى هذا الوعيد أ هـ هذا هو الفهم المستقيم الذى هو مشرب السلف الوضاء ومرتضى جمهور الأمة ، فالقبر النبوى الشريف فى مسجده الشريف منذ القرن الأول فى الاسلام ولم ينكره أحد من السلف والمسجد الحرام به قبر سيدنا اسماعيل — فى حجر اسماعيل — وقد قال صلى الله عليه وسلم (ما بين زمزم والحطيم تسعون نبيا موتى)• وأئمة المذاهب الفقهية الكبرى كالامام مالك رضى الله عنه لم يروا بأسا بالصلاة فى المقابر: وقد ساق المؤلف العديد من النصوص والأدلة لذلك •

بهذا المنهج وبتلك الروح العلمية المسكة بمقاليد الأدلة الصحيحة عالج المؤلف مباحث قضية التوسل فى ضوء الكتاب والسنة (٢) •

وأننى لأود — مخلصا — أن يقرأ هذا الكتاب كل مسلم حريص على تعرف حكم الله ورسوله فى هذه القضية بروح مخلصة لله ولرسوله بعيدة عن التعصب الذى يبدد وحدة الصف الاسلامى ولتكن جميعا أمة واحدة على كلمة الله مجتمعين على ما اتفقنا عليه•وليعذر بعضنا البعض فيما اختلف فيه •

واللهالموفق والهادى الى سواء السبيل

دكتور جوده محمد أبو يزيد المهدى

مع رسالة جامعية

العلاقة بين العقيدة والأخلاق فى الاسلام

للباحث : سامى عفيفى حجازى

عرض وتقديم : عبد العزيز أحمد جيرة

فى كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر بالقاهرة ـ وفى يوم ٢٠ يناير ١٩٨٣ نوقشت رسالة بعنوان (العلاقة بين العقيدة والأخلاق فى الاسلام) تقدم بها الطالب سامى عفيفى حجازى المعيد بقسم العقيدة والفلسفة بالكلية لنيل درجة التخصص (الماجستير) وتكونت لجنة المناقشة من :

الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم الفيومى عميد كلية الدراسات الاسلامية والعربية ـ مشرفا .

الأستاذ الدكتور عوض الله جاد حجازى رئيس جامعة الأزهر سابقا ـ عضوا .

الأستاذ الدكتور محمد أحمد مصطفى الاستاذ المساعد بكلية أصول الدين ـ عضوا

وبعد مناقشة استغرقت أكثر من ثلاث ساعات قررت لجنة المناقشة منح الطالب درجة التخصص (الماجستير بدرجة امتياز) .

ونحاول على هذه الصفحات أن نقدم عرضا لهذه الرسالة حيث أنها تمس موضوعا حيويا كما قال أحد أعضاء المناقشة ، ونبدأ بالحديث عن الرسالة ومكوناتها فنقول أنها تتكون من :

١ ـ المقدمة ٢ ـ ثلاثة أبواب ٣ ـ الخاتمة

أولا : المقدمة

أما المقدمة فتحدث فيها الباحث عن العقيدة التى جاء بها الاسلام للناس فانها النافذة التى يطل منها المسلمون على العوالم الحية كما أنها المنظار الذى ترى بواسطته كافة حقائق الحياة ، ويفسر الانسان على ضوئها مجرى حياته ومرساها ثم بين الباحث أثر العقيدة فى تقويم الأخلاق ، فرأى أنها تقوم فى جوهرها على بناء الانسان عقلا وفكرا وروحا وسلوكا بالامتثال لما أمر به الله سبحانه ، والاقتداء برسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن منطلق العقيدة يكون السلوك لسلطانها على صاحبها وانقياده لها ، ولذلك يكون الدين هو العبادة التى توجهها العقيدة وتكون الأخلاق الاسلامية هى المحور الأساسى الذى ترتكز عليه انسانية الانسان ، ومن هنا كانت الأخلاق محل التركيز فى دعوات الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام جميعا ـ .

سبب الاختيار

ثم يطلعنا الباحث على سبب اختياره لهذا الموضوع قائلا :

ان السبب الذى دفعنى لاختيار هذا الموضوع ما رأيته من فجوة كبيرة بين القول

والعمل والاعتقاد والسلوك ، ولما رأيته من تدهور يرحف على المجتمع الاسلامى لا سيما فى عقيدته فى هـذا العصر الذى طغت فيه الماديات على الروحانيات وأصبح كأنه بلا عقيدة ، ونتيجة لهذا تفككت الأسر والمجتمعات وأظلم الجانب الروحى فحال بينه وبين السعادة النفسية والطمأنينة القلبية ، ثم توصل الباحث الى أنه لا خروج لبنى البشر من ذلك الا اذا صحت عقيدتهم واستقام سلوكهم عليها لأن الاسلام هـو النظام الذى تصلح به الحياة

ثانيا : أبواب الرسالة

الباب الأول ــ العقيدة الاسلامية

ويشمل فصولا ثلاثة هى :

(مفهوم العقيدة والحاجة اليها) وبدأ التحدث فيه عن معنى العقيدة فى اللغة فعرفها بأنها العهد المشدود والعروة الوثقى ، وذلك لاستقرارها فى القلب ورسوخها فى الأعماق •

أما فى الاصطلاح الشرعى فهى : عبارة عن مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والفطرة والسمع يعقد عليها الانسان قلبه ويثنى عليها صدره جازما بصحتها قاطعا بوجودها وثبوتها كاعتقاده بوجود خالقهوعلمه به ولقائه به بعد موته ونهاية حياته ثم تحدث الباحث عن وحدة العقيدة وبين أن كلمة الاسلام ليست اسما لدين خاص وانما هى اسم للدين الذى هتف به كل الأنبياء اذ هـو عقيدة التوحيد كما قال القرآن الكريم « **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى** » الآية ، ثم قال : ان الاسلام يشتمل على :

١ ــ **العقيدة :** وتتعلق بالأمر القلبى •

٢ ــ **الشريعة ،** وتطلق على ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام والمعاملات والعبادات •

٣ ــ **الأخلاق ،** وهى المحور الأساسى الذى ترتكز عليه انسانية الانسان ، بل انها السياج الذى يحمى صاحبه عن أن يقدم على أى عمل أو فعل لا يستريح اليه ضميره الحى أو نفسه الطيبة •

وأخيرا ختم الفصل بحاجة الانسانية الى الاسلام باعتبار أنه عنصر ضرورى لأن الانسان جسم وغذائه الطعام والشراب • أما الروح فغذائها الايمان والعقيدة •

الفصل الثانى (أركان العقيدة) •

وقد بين فى هذا الفصل أركان العقيدة الستة وهى بالترتيب : ا ــ الايمانبالله تعالى أى التوحيد المطلق بالربوبية والاعتقاد بأنه ــ سبحانه ــ اله واحد فرد صمد لا معبود غيره ولا اله سواه موصوف بكل كمال منزه عن كل نقص ، وهذا الاعتقاد هو القوة الدافعة للخير والرادعة للشر ، وعلى ذلك فهو الحصن الأمين الذى يلجأ اليه الانسان اذا أصابه ضرر وبه يتحرر من العبودية لغير الله أو الخوف من أحد من عباده « **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** » •

٢ ــ **الايمان بالملائكة** •

٣ ــ **الايمان بالرسل** •

٤ ــ **الايمان بالكتب :** وهىالكتب السماوية التى أنزلها الله لرسله

٥ ــ **الايمان باليوم الآخر :** وهـو يوم

القيامه الذى يجزى فيه الانسان ويحاسب على كل ما قدمه فى حياته الدنيا ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا .

٦ ــ الايمان بالقدر ، ومعناه : الايمان بتقديم علم الله تعالى لكل ما كان وما هو كائن وما سيكون وأنه تعالى قد كتب كل شىء فى لوح محفوظ ولا يقع أى شىء للانسان الا بارادته ومشيئته سبحانه وتعالى« **وماتشاءون الا أن يشاء الله** » ، ويكون الرضا بالقضاء والقدر خيره وشره هو ثمرة الايمان بالله

الفصل الثالث :

وعنوانه :

(العوامل النفسية لتكوين العقيدة الاسلامية)

فى هذا الفصل تحدث الباحث عن العوامل النفسية لتكوين العقيدة الاسلامية وهى :

(أ) العقل : وهذا يعد أعظم نعمة من الله للانسان ، وهو ميزته على سائر المخلوقات فعن طريقه يفكر ويتدبر ويتصور ويفهم فيعرف الحق ويعلم الصواب ، ولذا فهو موطن العقيدة .

والاسلام دين عقلى يحث على استعمال العقل والتفكير والتدبر فى ملكوت الله ومخلوقاته كما ورد فى كثير من آيات القرآن الكريم « **أفلا يتدبرون ــ أفلا تبصرون** » ،

(ب) الارادة : وهى فى الأصل (قوة فى ذات الانسان) ، وقد جعلت اسما لنزوع النفس الى الشىء مع الحكم فيه بأنه ينبغى أن يفعل أو لايفعل ، وتوصل الباحث الى أن العقل لا يصدر فى أفعاله الا عن الارادة ، ولهذا كانت هى أساس المسئولية والميزة للأعمال كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) ،

٥ ــ الوجدان : وهو شعور متكامل فى النفس الانسانية يدوم بدوام الحياة وينفعل به الفرد ويحتل الجانب الاكبر من تفكيره ولأهميته فانهمتصل اتصالا وثيقا بكلتصرفات الشخص وسلوكه ولهذا فهو العلة الحقيقية لتكوين العقائد على العموم والدينية على وجه الخصوص .

ثم واصل الباحث بعد ذلك الحديث عن (خصائص العقيدة الاسلامية) فرآها :

١ ــ الربانية : وهى تصور اعتقادى موحى به من الله .

٢ ــ التوحيد : وهو يعنى وحدانية الاله وأحديته (لا اله الا الله محمد رسول الله) ويمكننا القول بأننا نجد فى كلمة التوحيد الركن الاول للاسلام وأصول الايمان التى كلف الله بها عباده .

٣ ــ الحياة والفطرة : وهما خاصية من ثمرات الربانية التى هى نور باطنى موثوق به يحتوى على ضمان أحقيته من ذاته بخلاف « التقليد » وهو نوع من التبعية ولذلك فعقيدة الاسلام عقيدة الفطرة تتناسق تعاليمها مع الفطرة السليمة البعيدة .

٤ ــ العقل والوضوح : وهما خاصية كثيرا ما تتحدث عنها الآيات القرآنية التى تحث فيها المسلمعلى التدبروالتبصر والتفكروالتعليم وذلك واضح فى أول سورة نزلت من القرآن الكريم « **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ الى قوله تعالى عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ** » وقوله « **وَفِى أَنفُسِكُم أَفَلَا تُبْصِرُونَ** » والحث على التفكر لاشك من مميزات الاسلام حيث ارتباطه بالعقل .

الباب الثانى « الاخلاق الاسلامية ومعيارها »
قسم الباحث هذا الباب الى فصلين

وتحدث فيه عن مفهوم الأخلاق فهى فى اللغة جمع خلق ــ بضم الخاء واللام ــ وتطلق على السجية والتطبع بمعنى أنها الصورة الباطنة للانسان أما فى الاصطلاح عند الاسلاميين فهى: عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الافعال حميدة سميت الهيئة خلقا حسنا وان كانت غير حميدة فهى خلق سىء .

أما الاخلاق عند المحدثين : عادة الارادة بمعنى تغليب ميل من الميول على غيره باستمرار ، وبهذا التعريف تصبح الاخلاق عند الاسلاميين جوهر الدين وروحه ، والاتيان بكل مشروع والابتعاد عن كل مرفوض أثر من آثارها .

غاية الأخلاق : لا يخفى علينا أن الاسلام قد ربط بين جوانبه برباط أخلاقى فتطهير الباطن أساس كل اصلاح ظاهرى وعلى ذلك فغاية الأخلاق الاسلامية تحقيق السعادة النفسية والطمأنينة القلبية للانسان وتهيئة الحياة الآمنة والعيشة الراضية فى كل حياته العاجلة والآجلة ومن هنا كان تركيز الاسلام على الجانب الباطنى الذى يترجم عنه أفعال الانسان وحركات جوارحه الظاهرية فالغاية هى الفوز برضى الخالق سبحانه وتعالى .

أما ضرورة الاخلاق الاسلامية وحاجة الانسان اليها : فمما لا شك فيه أن الانسان فى حاجة الى الأخلاق الاسلامية فهى المقياس الذى يقاس به أعمال الانسان الارادية فيحكم عليها بأنها خير أو شر ، ولذلك نجدها تدعو كل انسان أن يكون خيرا فى الدنيا والآخرة .

الفصل الثانى وعنوانه (المعيار الخلقى ومصدره فى الاسلام) وقد تحدث الباحث فى هذا الفصل عن المعيار الخلقى فى الاتجاهات الفلسفية فقال أنها عدة معايير هى :

١ ــ **المعيار العقلى :** وهو الذى يعنى بدراسة الاخلاق على اساس ارتباطها بالعقل .

٢ ــ **المعيار النفسى :** ويقوم فى دراسته للأخلاق على أساس من العوامل النفسية ومدى تأثيرها فى السلوك الانسانى .

٣ ــ **المعيار الاجتماعى :** ويقوم على ربط الدراسات الاخلاقية بعلم الاجتماع ربطا وثيقا حتى ظنت جزءا منه .

٤ ــ **المعيار الحيوى .** ويعتمد فى دراسته للاخلاق على علم الحياة فتخضع الاخلاق للحياة وما فيها من تطور وتكيف وفقا للبيئة التى يعيشها الانسان .

٥ ــ **المعيار الدينى :** ويعتمد فى دراسته للاخلاق على العقيدة الدينية التى أساسها القرآن الكريم الذى يعتبر مصدر العقيدة والاخلاق .

وقام الباحث بنقد للمعايير غير الاسلامية من المعايير السابقة ثم تحدث بعد ذلك عن معيار الاخلاق الاسلامية وقسمها الى قسمين .

الاول الخارجى : وهو المبادىء الاخلاقية الموضوعية أو المشروعة وذلك مثل : الاخلاص ــ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ــ العدل ــ المساواة ــ الامتثال للسلوك الطيب والاجتناب للسلوك الخبيث ــ المحافظة على العهود .

الثانى الداخلى : ويشمل الارادة ــ العقل ــ الوجدان ــ الغاية » فالغـــاية والارادة تتناولان السلوك الاخلاقى من حيث الظـاهر والباطن ، أما العقل والوجدان فيقومان بتمييز السلوك الأخلاقى من غيره وتحدث الباحث عن سمات الاخلاق الاسلامية وطبيعتها فقال : انها أربع سمات وهى :

(أ) **العمومية** : وتعنى أنها لم تدع جانبا من جوانب الحياة الا رسمت له المنهج .

(ب) **الثبات** : ومعناه أنها ثابتة فى جميع أدوار الانسانية وتطورها مع الزمن .

(جـ) **الكمـال** : بمعنى أنها كاملة حيث أن مرجعها عين مرجع الاسلام أى عن :اللـــه عز وجل .

(د) **الالزام السماوى** : ويعنى ذلك أنها تنبثق عن الوحى الآلهى والامر الألهى الذى يسمو فوق كل الزام .

الباب الثالث وعنوانه « مظاهر العلاقـــة بين العقيدة والاخلاق »

يتكون هذا الباب من ثلاثة فصـــول هى الاول : (بنية الاخلاق فى الاسلام) تحدث فى هذا الفصل عن العلاقة والاخلاق وأوضـــح أن تأثير العقيدة فى الأخلاق أمر لا يستطيع أحد أن ينكره بل ان الجانب التطبيقى للأخلاق هو تأكيد لرسوخ العقيدة فى نفس الشـــخص السـالك ثم انتقل الى صلة الشريعة بالأخلاق قائلا : ان العبادة اذا لم تقترن بالأخلاق تصبح عبـادة جوفاء لا فائدة فيها حيث أن الأخلاق تقوم بتهذيب الوجدان وتربية الضـــمير فى الانسان ثم قام الباحث بتعريف الضـــمير فى اللغة بأنه هو : **السر** وأيضا هـو الشىء الذى تضمره فى قلبك أما فى الاصطلاح فهو : **تلك** القوة الروحية الخفية التى يشعر بها الانسان فى نفسه تحثه على فعل الواجب وتحسـنه له وتشجعه عليه . ثم ختم هذا الفصل بالحديث عن الالزام الخلقى فى الاسلام : وأوضـح أن هنـاك من الناس من يلتزم بالأخـــلاق الاســلامية لما فيها من راحة نفس وهدوء بال واستقرار فى الحياة الاجتماعية ومنهم من يلتزم بها تحت التهديد والوعيد ومنهم من يلتزم بها طلبا للثواب والأجر أى أن الناس يختلفون فى التزامهم بالأخلاق . الفصل الثانى بعنوان « المسئولية الاخلاقية » وتحـــدث فيه عن المسئولية « بمعناها العـــام » وهى التزام الشخص بما يصـــدر عنه قولا أو عمــلا **أما شروطها فهى : «أهلية التصرف ــ العلم ــ الارادة »** .

أنواعهــا ثلاثة هى :(اخلاقية ــ دينية ــ اجتماعية) والثلاثة مجتمعة فى قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)** .

الفصل الثالث : (الجزاء الخلقى) : وقد تحدث الباحث عن الجزاء بمعناه العام قائلا هو : المكافأة على الشىء أو المثوبة على عمـل الخير أو العقوبة على عمل الشر وباعتبار المصدر فان الجزاء ينقسم الى(**مثوبة ــ عقوبة**) أما بحسب الوقت فينقسم الى **(أ) دنيوى** : ويدل عليه قوله تعالى : **« وَعَدَ اللَّـــهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا (ب) أخروى : ويدل عـــلى**

ذلك قولـــه تعالى : « **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُـــوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً** » .

واختتم الفصـــل بالحديث **عن خصائص الأخلاق الاسلامية المتعلقة بالجزاء وهى :**

١ ــ ان الاسلام ربط الاخلاق بالجزاء ربطا لانفصام له سواء كان هذا الجـزاء عاجلا فى الدنيـا أو آجـلا فى الآخـرة .

٢ ــ أن الاخلاق الاسلامية شـملت كل من الظاهر والباطن ولقد رعى الاسلام الجانبين معا عندما قرر للسلوك الاخلاقى الجزاء المادى والمعنوى . ٣ ــ ربط الاسلام لمصير الانسان من حيث السعادة والشقاوة فى الدنيا والآخرة بالعمل الاخلاقى .

(الخـــاتمة)

وأنهى الباحث هذه الرسالة القيمـــة بالخاتمة التى تحدث فيها عن النتـــائج التى توصل اليها قائلا بأنها هى ا ــ ان العقيـــدة فطرة فى الانسان وذلك لاستقرارها فى القلب ورسوخها فى الأعماق .

٢ ــ وحدة العقيدة بمعنى أن الاسلام هو اسم الدين الذى حمله جميع الأنبياء عليهـم أفضل الصلاة والسلام . ٣ ــ أثبت البحث أن ينابيع العقيدة الاسلامية موجودة فى النفس الانسانية وهى الوجدان والارادة والعقل على خلاف ما ذهب اليه الكثيرون .

٤ ــ الأخلاق هى القواعد والمبادىء المنظمة للسلوك الانسانى . ٥ ــ توصل الباحث الى أن خصائص العقيدة الاســـلامية تتركز فى (الربانية ــ التوحيد ــ الفطرة ــ العقـــل والوضوح) . ٦ ــ المعيار الدينى قـــام على التكامل بين الظاهر والباطن . ٧ ــ اتفـــاق الاخلاق والاسلام على معيار الحق والباطـل والخير والشر ولذا ارتبطت الأخلاق الاسلامية بالالزام كما أنه يرتبط بالالزام ناتجان يستلزم أحدهما الآخر .

أهم التوصيات التى أوصى بها الباحث فى رسالته بعد هذه الدراسة هى : ١ ــ استعمال عبارة (الأخلاق الاسلامية) بــــدل عبـــارة (الأخلاق فى الاسلام) .

٢ ــ عدم استعمال عبارة الأخلاق الفلسفية فيما يخص الأخلاق الاسلامية لأن هذه فى رأى الباحث أخلاق الفلاسفة أما الأخلاق الاسلامية فمصدرها الحق الوحى الآلهى التأكيد على دراسة مادة « الأخلاق الاسلامية » بهـــذا المفهوم السابق فى جميع مراحل التعليم .

واذا كان لنا من تعليق على الرسالة ، فقد مرت أمامنا على خطة البحث ولكنا افتقدنا منهج الباحث ، وكان ينبغى أن يحدده لخطة البحث نفسها حتى نـــدرك مدى تطبيق المنهج على كل أبواب البحث وفصوله ، وندرك ــ الى جانب ذلك ــ استيفاء البحث لمادته أو قصوره عنها . وجزى الله الباحث خيرا .

عبد العزيز أحمد جيرة

بعث مجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف برقية شكر الى السيد / محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية بمناسبة انعقاد المؤتمر التاسع للمجمع هذا نصها :

« السيد / محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

وبعد ،

فان مجلس مجمع البحوث الاسلامية فى أول انعقاد له بعد احتفالات مصر والعالم الاسلامى بالعيد الالفى للازهر ، وبعد انعقاد المؤتمر التاسع للمجمع ليتقدم الى سيادتكم بعظيم الشكر ووافر التقدير على تفضلكم برعاية هذه الاحتفالات وحرصكم على نجاحها وافتتاحها بكلمتكم التاريخية التى اتخذها مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية التاسع الوثيقة الاولى من وثائقه لما تحملهمن تجسيد لدورالازهر واشادة بمكانته العلمية والوطنية على مدى تاريخه الطويل ، وما هو مأمول منه فى نشر الدعوة الاسلامية وجمع كلمة المسلمين على العمل بشريعة الاسلام .

والله المسئول أن يحقق على أيديكم وفى عهدكم المبارك مزيدا من الرعاية حتى يتمكن من تحقيق ما ترجونه وما يرجوه العالم الاسلامى منه .

وفقكم الله وأبقاكم ذخرا للاسلام وأهله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الازهر

ورئيس مجلس مجمع البحوث الاسلامية

الامام الأكبر يرأس اللجنة العليا لشئون الدعوة الاسلامية

* أصدر الدكتور أحمد فؤاد محى الدين رئيس مجلس الوزراء ووزير شئون الأزهر قرارا بانشاء اللجنة العليا لشئون الدعوة الاسلامية بالأزهر على أن يرأس اللجنة فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر وعضوية كل من :

وزراء الاوقاف والتعليم والثقافة والاعلام ووكيل الأزهر ومفتى الجمهورية ورئيس جامعة الأزهر ، ورئيس المجلس الاعلى للشباب والرياضة وشيخ مشايخ الطرق الصوفية وأمين عام مجمع البحوث الاسلامية ، ورئيس الادارة المركزية لشئون الدعوة بوزارة الاوقاف والشئون الاجتماعية ورئيس ادارة المعاهد الأزهرية ومدير عام الوعظ بالأزهر ومدير عام المساجد بالاوقاف ومدير عام الارشاد والثقافة الاسلامية بوزارة الاوقاف وسكرتير المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وممثل عن الجمعيات المهتمة بشئون الدين الاسلامى يختاره شيخ الأزهر وخمس من الشخصيات الاسلامية المهتمة بأمور الدعوة بترشيح من وزير الاوقاف ويقوم بتعينهم شيخ الازهر .

ويكون عمل هذه اللجنة : اقتراح خطط وسياسات الدعوة الاسلامية فى الداخل والخارج ودراسة الوسائل والامكانيات التى تساعد على نشر الدعوة الاسلامية والتنسيق بين الأجهزة العاملة فى مجال الدعوة الاسلامية .

ودراسة المشكلات التى تواجه الدعوة واقتراح الحلول لها ودراسة تقارير لجان

<

التوعية الدينية بالمحافظات والمشاركة فى وضع منهج التوعية الدينية بين حجاج بيت الله الحرام ، وتنظيم أداء مناسك الحج والعمرة.

والمشاركة فى وضع التخطيط الذى يدعم القيم الدينية فى اجهزة الاعلام المختلفة .

ودراسة أحوال الاقليات الاسلامية فى ابلاد الأجنبية والعمل على مساعدتها ماديا ومعنويا .

معجم مصنفات القرآن الكريم

أنهى الدكتور على شواخ اسحاق استاذ الأدب المساعد بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية فى الرياض اعداد « معجم مصنفات القرآن الكريم » بعد أحد عشر عاما من البحث فى المخطوط والمطبوع من كتب علوم القرآن الكريم . وقد رتب المعجم ترتيبا « الفبائيا » — وهو يتناول عدةمواضيع منها : آىالقرآن، أحرف القرآن ، أحكام القرآن ، أسباب النزول ، اعجاز القرآن ، تجويد القرآن ، تفسير القرآن ، دراسات قرآنية ، رسم القرآن ، غريب القرآن ، قراءات قرآنية ، المحكم والمتشابه ، معانى القرآن ، الناسخ والمنسوخ ، لغات القرآن ، الوجوه والنظائر فى القرآن : وسيصدر المعجم قريبا .

باحث امريكى يعتنق الاسلام

أعلن الباحث الامريكى « وليام يوفاك » اعتناقه للدين الاسلامى ، وأطلق على نفسه اسم : محمد توفيق .

وكان الباحث الامريكىيعد رسالة للدكتوراه فى علم الاجتماع عن القبائل السودانية ، وقضى بين افراد قبيلة « الرشايدة » السودانية ثلاث سنوات يدرس عاداتهم وتقاليدهم ..

وقد أعلن المسلم الامريكى بعد عودته الى (لوس انجلوس) أنه تمكن من اقناع والدته وخالته بأعتناق الدين الاسلامى .

الدكتور عبد الودود شلبى امينا عاما للجنة العليا لشئون الدعوة الاسلامية

* أصدر فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قرارا باسناد أعمال الامانة العامة للجنة العليا لشئون الدعوةالاسلامية الىفضيلة الدكتور عبد الودود ابراهيم شلبى الأمين العام المساعد لشئون الدعوة الاسلامية بمجمع البحوث الاسلامية .

ألف يابانى يعتنقون الاسلام

أفادت مصادر المركز الاسلامى اليابانى فى طوكيو أن ألف يابانى قد أعلنوا اعتناقهم للدين الاسلامى .

وقد أعلن المسلمون الجدد أنهم وجدوا فى الاسلام المبادىء والقيم الانسانية العليا .

وقد طلب زعيم المسلمين فى اليابان ، من دول العالم الاسلامى ايفاد عدد كبير من الدعاة والقراء لنشر الوعى الدينى بين المسلمين الجدد .

المؤتمر السنوى لتاريخ العلوم

عقد معهد التراث العلمى العربى بجامعة حلب مؤتمره السنوى السابع لتاريخ العلوم عند العرب ، والاحتفال بمرور أثنى عشر قرنا على ميلاد العالم الاسلامى أبى عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى . وذلك بالتعاون مع الجمعية السورية لتاريخ العلوم .

تطلع المؤتمر الى أبحاث أصيلة لم تنشر سابقا فى موضوع تاريخ العلوم والطب والتكنولوجيا عند العرب وذلك تمشيا مع أهداف معهد التراث للنهوض بالأبحاث المتعلقة بتاريخ العلوم والقيام بالدراسات والبحوث الأساسية الرامية الى بيان مكانة العلوم العربية ومدى ما أسهم به العلماء العرب فى تقدم العلوم عامة ٠

فهرسة المخطوطات العلمية

يعمل الدكتور عدنان جواد الطعمة المحاضر بجامعة جيسن بألمانيا الغربية فى فهرسة المخطوطات العلمية العربية الموجودة فى مكتبة الدولة ببرلين الشرقية ٠ ومخطوطات الرياضيات المحفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس ، والمتحف البريطانى ، ومكتبة برلين الاتحادية ٠

كتب الاخ محمد السيد أحمد ــ كلية أصول الدين ــ جامعة الازهر كلمة عن شهر رمضان ونحن فى استقباله تحت عنوان (شهر رمضان شهر القرآن) جاء فيها :

ان شهر رمضان من أفضل الشهور عند الله تعالى ففيه نزل القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى فى سورة البقرة **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)** ٠

فمن هذه الآية الكريمة يتضح لنا أن هذا الشهر شهر مبارك فيه نزل القرآن وهو هدى للناس وهو معجزة الله الخالدة فى كل زمان ومكان الى أن تقوم الساعة ٠ وفيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر قال تعالى : **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ٠ سَلَامٌ هِىَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)** سورة القدر ٠

فيجب علينا ونحن فى هذا الشهر الكريم أن نحيى الشهر بتلاوة القرآن واتباع أحكامه ونجعله دستورنا لكى لانضل ولا نذل ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتى) أو كما قال ٠

كتب الأخ أحمد الطاهر على ــ القاهرة ــ حلوان ٠

مقترحا ٠ زيادة عدد صفحات باب الفتاوى الاسلامية ٠ لما فيه من الافادة الكثيرة ٠

والمجلة : لايسعها الا أن تشكر لك هذا الاهتمام ــ وتعمل على زيادة عدد صفحات باب الفتاوى

- **عبد الفتاح السيد عبد السلام**
- **أحمد عبد الرحيم السايح**
- **الشافعى عبد الراضى**

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● التاريخ بين يدى رمضان	
للدكتور على الخطيب	١٢١١
دراسات قــرآنية	
● ليلة القدر خير من ألف شهر	
للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير . .	١٢١٦
الصيام فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم	
● رمضان شهر البركات	
للدكتور محمد محمود شعبان	١٢٢٢
● الصــوم جنة	
للشيخ محمد صابر البرديسى	١٢٢٨
دراسات فى السنة	
● نقد المتقدمين لبعض أحاديث البخارى	
للدكتور الحسينى هاشــم	١٢٣٢
● نحو الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم	
للدكتور توفيق محمــد شاهين	١٢٣٦
● الوقت وقيمته فى ضوء الكتاب والسنة	
للدكتور محمد أبو النور الحديدى صقر .	١٢٤٥
الســيرة النبوية	
● قادة النبى صلى الله عليه وسلم	
للاستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الفيط .	١٢٥٤
● الوصــــية الجائرة	
للاســتاذ السيد حسن قرون	١٢٥٨
● من أعــلام الازهر الشيخ مصطفى مجاهد العشرى	
للدكتــور على الخطيب	١٢٦٧
التشريع	
● رؤية الهــــلال	
للدكتور محمد سيد أحمد المسير	١٢٧٨
● الصيام فى شريعة الاسلام	
للمستشار محمد عزت الطهطاوى . . .	١٢٨١
● ليست التخمة من هدى الاسلام	
للدكتور السيد الجميلى	١٢٨٦
● الصـــيام والقيـــام	
للدكتور محمد محمد الشرقاوى	١٢٨٩
الشــــعر	
● تائب بالباب	
للاستاذ / شوقى محمود أبو ناجى . . .	١٢٩٤
● من نفحــات رمضان	
للاستاذ خالد محمود ابراهيم سالم . . .	١٢٩٥
● اليتيم الشريد	
للدكتور حســن جــاد	١٢٩٦
● الازهر فى ألف عــام	
للدكتور عز الدين على السيد	١٢٩٨
من الدعوة الاسلامية	
● تأثير الازهر فى الخارج بين الماضى والحاضر	
للدكتور محمد شتازيتون	١٣٠١
● التليفزيون وأثره فى سلوك أطفالنا	
للاستاذ حسن على العنيبسى	١٣٠٨
● طــرائف ومــواقف	
للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم . .	١٣٢٠
● مجلة الازهر من خمسين عــاما	
للاستاذ أحمد حسن جابر رجب	١٣٢٢
● من نوادر مخطوطات مكتبة الازهر	
للاستاذ محمد عميرة على	١٣٢٩
● الفتــاوى	
للاستاذ عبد الحميد السيد شاهين . . .	١٣٣٤
فى اللغة والأدب والنقد	
● حــذف حرف النداء	
للاستاذ أحمد عواض هلالى	١٣٣٧
● الحية فى النصوص العبرية ومدلولاتها	
للاستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف . .	١٣٣٩
● التقــويم النفسى للادب عند العرب	
للدكتور عبد الحميد العبيسى	١٣٤٢
● حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة لفضيلة الشيخ موسى محمد على	
للدكتور جوده محمد أبو يزيد المهدى . .	١٣٥٠
● مع رســالة جامعية	
للاستاذ / عبد العزيز أحمد جيره . . .	١٣٦١
● أنباء وآراء للأســاتذة	
عبد الفتاح السيد عبد السلام ــ أحمد عبد الرحيم ــ الشافعى عبد الراضى	١٣٦٧

طبع بمطابع روزاليوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر

في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف

الأزهر

هذا العدد

مع العيد الألفى للأزهر الشريف ، انعقد المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الاسلامية بأعضائه كبار العلماء ،فالتقى العيد التاريخى بالعمل العلمى فكان حدثان نشطت لهما مصر : دولة وشعبا ، ونشط الأزهر خاصة فى كلا الميدانين ليقدم للتاريخ جلال الحفل ، وللناس أعمال المؤتمر ، وقد كان فى كليهما خير للاسلام والمسلمين .

فأما الأمانة العليا للجنة الاحتفال بالعيد الألفى فقد سارعت باصدار كتاب تذكارى جمع خلاصة الفكر والأمل فى صرح مصر الغالى :

أزهرها الحبيب ، وحوى الكتاب تاريخ الأزهر ، وعمله العلمى والسياسى والاجتماعى الذى سعدت به مصر ، ونالت به مركزها فى العالمين .

● شوال ١٤٠٣ هجرية
● يوليو ١٩٨٣ ميلادية

الجزء العاشر
السنة الخامسة والخمسون

هـذا العـدد

وفى هذا العدد طـرح الكتـاب فيه نقدهم وآمالهم وتوقعاتهم لهـذا المعهد العتيـق ٠

وأما مجلة الأزهر فقد تولت تقديم أعمال المؤتمر العلمى التاسع للقراء فقدمت ــ الى جانب كلمات الحفل من واقع تسـجيلاتها ــ أعمال المؤتمر وقراراته وتوصياته عن الفترة الأولى (١) ، وصـدر عددها التذكارى فى شهر رجب ١٤٠٣ هـ يحمل ــ فى مواده ــ أربعة عشر بحثا ، ألقيت فى الدورة الأولى للمؤتمر ٠

ونظرا لحجم المجلة فقـد أوردت بعض البحـوث بتمامهـا ، وملخصا وافيا عن بقيتها ٠

ولكى تتابع المجلة أداء رسالتها ، كان عليها أن تتمم ما بدأته فى عدد رجب فتقدم أعمال الدورة الثانية للمؤتمر التاسع وقراراتهـا وتوصياتها (٢) حتى يكون لدى القارىء أعمال المؤتمر تامة ، وشاء الله سبحانه ــ أن يكون هذا العدد سجلا لهذه الأعمال ، الى جانب أبواب المجلة الأخر ٠

وتتمثل بحوث هذه الفترة فى موضوعات ذات صـلة حيـوية بالمجتمع الاسلامى فى ظروفه الراهنة التى يشعر رجال الأزهـر ــ أمامها ــ بوجوب متابعتها فحصا ودرسا لاخراج أحكامها الاسلامية للناس ، فلا تدع فى نفوسهم ــ ازاءها ــ حرجا ، أو اضطرابا يبلبل الفكر ، ويسمح بالرأى النافر والمروق المهين ٠

والله نسأل كريم السداد وجميل التوفيق

---

(١) الفترة الاولى من السبت ٤ ــ الى الخميس ــ ٩ من جمادى الآخرة ١٤٠٣
الموافق ١٩ ــ ١٩٨٣/٣/٢٤

(٢) الفترة الثـانية من الاحـد ــ ١٢ ــ الى الخميس ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٣
الموافق ٢٧ ــ الى ــ ١٩٨٣/٣/٣١

دكتور على الخطيب

بحوث
المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية

أعمال الفترة الثانية

من الأحد ١٢ - إلى الخميس ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هجرية

الموافق ٢٧ - إلى ٣١ من مارس ١٩٨٣

إعداد الأساتذة

- عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
- محمد صابر البردليسى
- على حامد عبد الرحيم
- عبد الفتاح حسين الزيات
- عبد الفتاح السيد عبد السلام
- جلال محمد عفيفى
- سعيد عبد الحى
- عبد العزيز أحمد جيرة

أعمال الفترة الثانية
للمؤتمر التاسع
لمجمع البحوث الإسلامية

للأستاذ / محمد أمين البدوى
مدير الأمانة الفنية لمجمع البحوث الاسلامية

جرت العادة بالنسبة لمؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية أن ينعقد المؤتمر على فترتين ٠

* الفترة الأولى :

ويشترك فيها السادة : ــ

(أ) اعضاء المجمع من داخل الجمهورية وخارجها ٠

(ب) علماء المسلمين المدعوون من جميع أنحاء العالم ٠

(جـ) المهتمون بالشئون الاسلامية من داخل جمهورية مصر وخارجها ٠

وقد خصصت مجلة الأزهر عددها السابع : رجب ١٤٠٣ هـ ــ ابريل ١٩٨٣ لاحتفالات العيد الألفى للأزهر الشريف ، واعمال المؤتمر التاسع فى فترته الأولى ، وها هى تخصص عددها العاشر : شوال ١٤٠٣ هـ ــ يوليو ١٩٨٣ م لبقية أعمال المؤتمر ، فتقدم :

* الفترة الثانية :

التى اشترك فيها السادة : ــ

أعضاء مجمع البحوث الاسلامية من داخل جمهورية مصر وخارجها والباحثون الذين لهم ابحاث تلقى فى هذه الفترة ٠

عقد المؤتمر جلساته فى فترته الثانية بقاعة الاجتماعات بادارة الأزهر فى الفترة من الاحد ١٢ الى الخميس ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٧ الى ٣١ من مارس ١٩٨٣م ٠

ورأس جلسات هذه الفترة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الاسلامية ٠

وأبحاث هذه الفترة : ــ

١ ــ التلقيح الصناعى لتوالد الانسان ، والاجهاض ٠

لفضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ــ شيخ الأزهر ــ ٠

٢ ــ الأزهر وعنايته بقدسية القرآن وتيسير تفسيره ٠

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير عضو المجمع ٠

٣ ــ منهج الاسلام فى علاج المشكلات الاجتماعية ٠

لفضيلة الشيخ عطيه صقر عضو المجمع

٤ ــ نقل الأعضاء من انسان لآخر ٠

لفضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ــ شيخ الأزهر ــ ٠

٥ ــ الطب الاسلامى للأستاذ الدكتور على مطاوع العميد السابق لكلية طب الأزهر ٠

* ثم أصدر المؤتمر قراراته وتوصياته عن هذه الفترة ٠

* واليكم هذه البحوث ، فالقرارات والتوصيات :

نقل الأعضاء من إنسان لآخر (١)

لفضيلة الإمام جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

موجز العناصر

١ ــ هل تجوز الوصية بقطع عضو أو جزئه الميت اذا أوصى بذلك أو بموافقة عصبته ؟

٢ ــ هل ينطبق على هذه الوصية ــ المعنى الشرعى أو القانونى أو اللغوى ــ؟

٣ ــ هل يجوز تبرع انسان حى بعضو من أعضاء جسده لشخص آخر مهدد بالموت أو التبرع ببعض دمه ، وما معيار ذلك ؟ وهل يجوز اقتضاء مقابل مادى فى نظير العضو أو الدم المتبرع به ؟ .

٤ ــ هل يمكن نقل عضو ميت دون وصية منه أو ترخيص من ورثته ، ومن أصحاب الحق فى هذا الترخيص شرعا ؟ .

٥ ــ ما هو التعريف الفقهى للموت ، ومتى يعتبر الانسان ميتا ؟ .

٦ ــ شق بطن من ماتت حاملا وجنينها حى وما اذا مات الجنين فى بطن أمه ، شق بطن الميت لاستخراج ما يكون ابتلعه من مال قبل وفاته وآراء الفقهاء فى ذلك والرأى المختار للفتوى ؟ .

(*) ألقى البحث صباح الاحد ١٢ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هجرية ٢٧/٣/١٩٨٣ .

٧ ــ ما حكم المفاضلة بين عدد من المرضى تساوت حالتهم المرضية فى وجوب نقل عضو أو نقل دم مع عدم وجود أعضاء أو كمية من الدم أو الدواء كافية لانقاذ الجميع ؟ .

٨ ــ ما حكم الاسلام فى استعمال الأجهزة الطبية التى تساعد على التنفس والنبض مع التأكد من موت الجهاز العصبى ؟ .

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده .

ان الوصية فى اصطلاح فقهاء الشريعة الاسلامية : (تمليك مضاف الى ما بعد الموت) ، وبهذا المعنى تكون الوصية شرعا جارية فى الأموال والمنافع والديون، وقد عرف القانون الوصية بأنها تصرف فى التركة مضاف لما بعد الموت) .

وبهذا فان الايصاء ببعض أجزاء الجسم كما جاء فى السؤال لا يدخل فى نطاق الوصية بمعناها الاصطلاحى الشرعى ، لأن جسم الانسان ليس تركة ، ولكنه يدخل فى المعنى اللغوى للفظ الوصية ، اذ هذا اللفظ يطلق بمعنى : (العهد الى الغير فى القيام بفعل شىء حال حياة الموصى أو بعد وفاته) كما أن التبرع بجزء من الجسم حال الحياة يجوز شرعا باعتبار أن الانسان صاحب التصرف فى ذاته أو غير جائز باعتبار أن هذه الارادة ليست مطلقة بدليل النهى شرعا عن قتل الانسان نفسه .

والذى أختاره أن كل انسان صاحب ارادة فيما يتعلق بشخصه وان كانت ارادة مقيدة بالنطاق المستفاد من قول الله تعالى فى سورة البقرة من الآية ١٩٥ : **(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** وقوله سبحانه فى الآية رقم ٢٩ من سورة النساء **(وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)** .

يدل لذلك ما ساقه الفقهاء من نصوص فى شأن الجهاد بالنفس وتعريضا بذلك للقتل ، وما أوجبه الاسلام فى شأن انقاذ الغرقى والحرقى والهدمى مع ما قد يترتب على ذلك من هلاك المجاهد أو المنقذ ، فاذا جزم طبيب مسلم ذو خبرة أو غير مسلم كما هو مذهب الامام مالك بأن شق أى جزء من جسم الانسان الحى باذن وأخذ عضو منه أو بعضه لنقله الى جسم انسان حى آخر لعلاجه اذا جزم أن هذا لاضر فيه بالمأخوذ منه أصلا ، اذ الضرر لا يزال بالضرر ، ويفيد المنقول اليه جاز هذا شرعا بشرط ألا يكون الجزء المنقول على سبيل البيع أو بمقابل لأن بيع الانسان الحر أو بعضه باطل شرعا .

وبعد هذا فان السؤال المطروح : هل يجوز شرعا للانسان التبرع أو الايصاء ببعض أجزاء جسمه بعد الوفاة خدمة للمرضى المحتاجين (كالكلى) (والقرنية) وغيرها أو لا يباح ذلك ؟

لاجدال فى أن الله سبحانه كرم الانسان وفضله على كثير من خلقه ونهى عن ابتذال ذاته ونفسه والتعدى على حرماته حيا وميتا

وكان من مقاصد التشريع الاســـلامى حفظ النفس كما تدل على ذلك الآيتان الكريمتـــان المتلوتان آنفا ، ويدل على تكريم الاســلام للموتى من بنى الانسان ما شرع من : التكفين والدفن وتحريم نبش القبور الا لضرورة كما يدل على هذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن كسر عظم الميت بقوله : **(كسر عظم الميت ككسره حيا)** .

واذا كان الاسلام كرم الانسان حيا وميتـا فهل يجوز شق جسده بعد الوفـاة ومتى ؟ . حين نرجع الى كتب الفقه الاســـلامى التى بأيدينا نرى أن الفقهاء قد تحـــدثوا فى باب الجنائز عن شق بطن من ماتت حاملا وجنينها حى وما اذا مات الجنين فى بطن أمــه ، وعن شق بطن الميت لاستخراج ما يكون قد ابتلعه من مال قبل وفاته وفى هذا يقول فقهاء المذهب الحنفى :

حامل ماتت وولدها حى يضطرب ، شـــق بطنها من الجانب الايسر ويخرج ولــــدها ولو بالعكس . بأن مات الولد فى بطن أمه وهى حية قطع وأخرج وذلك لأنه متى بانت عـلامة غالبة على حيـاة الجنين فى بطن الأم المتوفاة كان فى شق بطنها واخراجه صيانة لحرمة الحى وحياته وهذا أولى من صيانةحرمة الميت ، ولأن الولد اذا مات فى بطن أمه الحية وخيف عـلى حياتها من بقائه ميتا فى بطنها ولم يمكن اخراجه دون تقطيع كان للقابلة ادخال يدها بآلة تقطعه بها وتخرجه حفظا لحياة الأم .

وفى شأن شق بطن لاخراج ما ابتلعه الميت من مال قالوا : أنه اذا ابتلع الانسان مـــالا مملوكا له ثم مات فلا يشق بطنه لاستخراجــه لأن حرمة الآدمى وتكريمه أعلى من حرمة المال فلا تبطل الحرمة الأعلى للوصول الى الأدنى ؛ أما اذا كان المال الذى ابتلعه لغيره فان كان فى تركته ما يفى بقيمته أو وقع فى جوفه بـدون فعله فلا يشق بطنه لأن فى تركته وفاء به ولأنه اذا وقع فى جوفه بغير فعله لا يكون متعديا ، أما اذا ابتلعــه قصـدا فانه يشـق بطنــه لاستخراجه لأن حق الآدمى صاحب المال مقدم فى هذه الحال على حق الله تعالى سيما وهذا الانسان صار متعديا ظالما بابتلاعه مـال غيره فزالت حرمته بهذا التعدى .

وفى فقه الشافعية : أنه ان ماتت امرأة وفى جوفها جنين حى شق بطنها لأنه استبقاء حى باتلاف جزء من الميت فأشبه اذا اضـطر الى أكل جزء من الميت وهذا اذا رجى حياة الجنين بعد اخراجه ، أما اذا لم ترج حياته ففى قول لاتشق بطنها ولاتدفن حتى يموت ، وفى قول تشق ويخرج ، وعن ابتلاع الميت المال قالوا . وان بلع الميت جوهرة لغيره وطالب بها صاحبها شق جوفه وردت الجوهرة وان كانت الجوهرة له ففيه وجهان : أحدهما يشق لأنها صـارت للورثة فهى كجوهرة الاجنبى ، والثانى لا يجب لأنهاستهلكها فىحياته فلم يتعلق بها حق الورثة.

وفى فقه المالكية : أنه يشـــق بطن الميت لاستخراج المال الذى ابتلعه حيا سـواء كان المال له أو لغيره ولا يشق لاخراج جنين وان كانت حياته مرجوه .

ويقول فقه الحنابلة : أن المرأة اذا ماتت وفى بطنها ولد يتحرك فلا يشق بطنها ويخرجه القوابل من المحل المعتـــاد ، وان كان الميت قد بلع مالا حال حياته فان كان مملوكا لــه لم

نقل الأعضاء من إنسان لآخر

يشق لأنه استهلكه فى حياته اذا كان يسيرا وان كثرت قيمته شق بطنه ، واستخراج المال حفظا له من الضياع ولنفع الورثة الذين تعلق به حقهم بمرضه وان كان المال لغيره وابتلعه باذن مالكه فهو كحكم ماله لأن صاحبه أذن فى اتلافه ، وان بلعه غصبا ففيه وجهان •

أحدهما : لا يشق بطنه ويخرج من تركته •

والثانى : يشق ان كان كثيرا لأن فيه دفع الضرر عن المالك يرد ماله اليه وعن الميت بابراء ذمته وعن الورثة بحفظ التركة لهم •

وفى فقه الزيدية : أن المرأة اذا ماتت وفى بطنها ولد حى شق بطنها واستخرج الولد لقوله عز وجل : (**ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**) وذلك بشرائط أن يكون الولد قد بلغ وقتا ومدة يعيش اذا خرج حيا ، وأن يكون الشاق بصيرا باخراجه وأن يكون هناك من يكفله ويقوم به اذا خرج حيا وروى صاحب الروض النضير عن الحسن بن زياد قال : كنت عند أبى حنيفة فجاءه رجلان على حمارين فسلما عليه ثم مضيا •

قال لى أبو حنيفة : أتدرى من هذا يعنى أحدهما فقلت لا ؟

فقال : هذا ماتت أمه وهى حامل به فجاءوا فسألونى عن امرأة ماتت وفى بطنها ولد حى فقلت : الحقوا الساعة فشقوا بطنها وأخرجوا الولد قال : فهذا هو •

وينص فقه الشيعة الامامية على أنه اذا مات ولد الحامل قطع وأخرج ، ولو ماتت هى دونه يشق جوفها من الجانب الأيسر وأخرج وفى رواية يخاط بطنها •

وخلاصة ماتقدم أن فقه مذهبى الامامين أبى حنيفة والشافعى يجيزان شق بطن الميت سواء لاستخراج جنين حى أو لاستخراج مال ، وأن فقه مذهبى مالك وأحمد ابن حنبل الشق فى المال دون الجنين •

والذى أختاره فى هذا الموضع هو ما ذهب اليه فقهاء الحنفية والشافعية من جواز شق بطن الميت لمصلحة راجحة سواء كانت لاستخراج جنين حى أو مال للميت أو لغيره اذا كان ذا قيمة معتد بها عرفا ينتفع بها الورثة أو تقضى به ديونه ، وأما الحديث الشريف الذى رواه البيهقى فى السنن الكبرى كما روى فى سنن أبى داود وسنن ابن ماجه عن عائشة — رضى الله عنها — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : (كسر عظم الميت ككسره حيا) فالظاهر أن معناه أن للميت حرمة وكرامة كحرمة الحى فلا يتعدى على جسمه بكسر عظم أو غير هذا مما فيه ابتذال له لغير مصلحة راجحة ، وهذا المعنى ظاهر مما ذكره المحدثون فى بيان سبب الحديث من أن الحفار الذى كان يحفر القبر أراد كسر عظم انسان دون أن تكون هناك مصلحة فى ذلك •

(البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف جـ ٢ ص ٦٤) •

وبهذا المفهوم يتفق الحديث مع مقاصد الاسلام المبنية على رعاية المصالح الراجحة وتحمل الضرر الأخف لجلب مصلحة تفويتها أشد ، وفى استدلال الفقه الزيدى بالآية

الكريمة (**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**) اشارة الى رجحان العمل بهذه الرخصة التى ارتآها فقهاء مذاهب الحنفية والزيدية والشافعية والشيعة الامامية كما تقدم فى النقل عنهم .

واذ قد انتهينا الى اختيار شق بطن الميت لاستخراج ما ابتلعه من مال أو لاستخراج جنين حى ترجى حياته فهل يجوز هذا شرعا لأخذ جزء من جسم الميت واضافته الى جسم الانسان الحى على سبيل العلاج والدواء أو لايحل هذا ؟.

أو بعبارة أخرى : هل يحل شرعا نقل جزء من جسم انسان ميت الى جسم انسان حى بقصد علاج هذا الاخير أو لا يحل ؟ .

وتقدمة للاجابة على هذا التساؤل يتعين التعرف على حكم الاسلام على الانسان بعد الموت ، هل جسده ميتة نجس كسائر الميتات ، وهل ما ينفصل منه حال حياته يصير ميتة نجسا كذلك ؟

يقول الامام النووى الشافعى فى « المجموع » شرح المهذب فى بيان الجلود النجسة أن الصحيح فى المذهب : أن الآدمى لاينجس بالموت لكن استعمال جلده ولاشىء من أجزائه بعد الموت لحرمته وكرامته وأن قولا ضعيفا فى المذهب قد قال : بنجاسة الآدمى بالموت.

وفى الفقه الحنفى أن الآدمى ينجس بالموت ثم اختلف فقهاء المذهب هل هى نجاسة خبث باعتباره حيوانا دمويا فيتنجس كسائر الحيوانات أو هى نجاسة حدث يطهر بالغسل كالجنب والحائض اعمالا لحديث أبى هريرة — رضى الله عنه — كما جاء فى « فتح القدير » للكمال بن الهمام (سبحان الله المؤمن لاينجس حيا ولا ميتا) وحديث ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : (لا تنجسوا موتاكم فان المؤمن ليس ينجس حيا ولا ميتا) أخرجه الحاكم والدار قطنى مرفوعا كل بسنده .

والأظهر فى الفقه المالكى أن الآدمى الميت ولو كافرا طاهر كما جاء فى « الشرح الكبير » « وحاشية الدسوقى » فى بيان الأعيان الطاهرة والنجسة ، وأن ما انفصل منه حيا أو ميتا طاهر كذلك ، والصحيح عند الحنابلة كما جاء فى « المغنى » لابن قدامة فى بيان ماينجس به الماء أن الآدمى طاهر حيا وميتا ومقابل الصحيح أنه ينجس بالموت ويطهر بالغسل .

ويرى فقه الزيدية : أن جسد الآدمى المسلم طاهر حيا أو ميتا وأن مايلحقه هو الحدث الأكبر أو الاصغر ويقول ابن حزم فى كتابه « المحلى » ان كل ماقطع من المؤمن حيا أو ميتا طاهر .

ومن هذا العرض الوجيز نرى أن كلمة الفقه الشافعى والمالكى والحنبلى والزيدى والظاهرى متفقة على أن الصحيح أن جسد الانسان المسلم طاهر حيا وميتا ، واذا — أخذنا من الفقه الحنفى القول بأن النجاسة بعد الموت : انما هى نجاسة حدث لا خبث ويطهر بالغسل كالجنب والحائض — فان رأى هذه المذاهب يكاد يتفق على طهارة جسد —

المؤمن بعد الموت وعلى طهارة ما انفصل منه حال الحياة كذلك •

ثم ننتقل بعد هذا للبحث فى أقوال الفقهاء عما اذا كان يحل قطع جزء من جسم انسان حى أو ميت ونقله الى جسم انسان حى لعلاجه أو بديلا لجزء تالف فى جسد هذا الأخير أو لايحل ذلك ؟ •

يقول الفقه المالكى ــ كما جاء فى « الشرح الكبير » « وحاشية الدسوقى» ــ اذا سقطت السن جاز ردها وربطها بشريط من ذهب أو من فضة ، وانما جاز ردها لأن ميتة الآدمى طاهرة ، وكذا يجوز أن يرد بدلها سنا من حيوان منكى وأما من ميتة فقولان : بالجواز والمنع ، وعلى الثانى فيجب قلعها فى كل صلاة مالم يتعذر عليه قلعها والا فلا •

وفى الفقه الحنفى نقل العلامة ابن عابدين فى حاشيته « رد المحتار على الدر المختار » فى الجزء الاول فى بيان حكم الوشم عن « خزانة الفتاوى » فى مفسدات الصلاة : كسر عظمه فوصل بعظم كلب ولاينزع الا بضرر جازت الصلاة •

وفى « بدائع الصنائع للكاسانى » فى أواخر كتاب « الاستحسان » ولو سقط سنه يكره أن يأخذ سن ميت فيشدها مكانها بالاجماع ، وكذا يكره أن يعيد تلك السن الساقطة مكانها عند أبى حنيفة ومحمد ــ رحمهما الله ــ ولكن يأخذ سن شاة ذكية ميشدها مكانها وقال أبو يوسف ــ رحمه الله ــ لا بأس بسنه ويكره سن غيره ، ونقل صاحب « البحر الرائق فى كتاب الحظر والاباحة عن الذخيرة » : رجل سقط سنه فأخذ سن الكلب فوضعه فى موضع سنه فثبتت لا يجوز ولا يقلع ، ولو أعاد سنه ثانيا وثبت •

قال : ينظر ان كان يمكن قلع سن الكلب بغير ضرر يقلع وان كان لايمكن الا بضرر لايقلع •

وفى الفقه الحنبلى قال ابن قدامة فى « المغنى » فى الجنائز : وان جبر عظمه بعظم فجبر ثم مات لم ينزع ان كان طاهرا وان كان نجسا وأمكن ازالته من غير مثله أزيل لأنه نجاسة مقدور على ازالتها من غير مضرة •

وفى الفقه الشافعى : كما جاء فى « المجموع » للنووى فى باب طهارة البدن ــ اذا انكسر عظمه فينبغى أن يجبره بعظم طاهر قال أصحابنا : ولا يجوز أن يجبره بنجس مع قدرته على طاهر يقوم مقامه فان جبره بنجس نظر ان كان محتاجا الى الجبر ولم يجد طاهرا يقوم مقامه فهو معذور وان لم يحتج اليه أووجد طاهرا يقوم مقامه أثم وواجب نزعه ان لم يخف منه وسواء اكتسى العظم لحما أم لا ؟ هذا هو المذهب •

وهناك قول : انه اذا اكتسى العظم لحما لا ينزع وان لم يخف الهلاك ، حكاه الرافعى ومال اليه امام الحرمين والغزالى ، وهو مذهب أبى حنيفة ومالك ، وان خاف من النزع

هلاك النفس أو عضو أو فوات منفعة عضو لم يجب النزع على الصحيح من الوجهين .

ثم قال : فى مداواة الجرحى بدواء نجس وخياطته بخيط نجس كالوصل بعظم نجس ولو انقلعت سنه فردها موضعها . قال أصحابنا العراقيون : لا يجوز لأنها نجسة وهذا بناء على طريقتهم — ان عضو الآدمى المنفصل فى حياته نجس وهو المنصوص عليه فى « الأم » ولكن المذهب طهارته وهو الأصح عند الخراسانيين ، فلو تحركت سنه فله آن يربطها بفضة وذهب وهى طاهرة بلا خلاف .

وفى استبدال جزء من جسم الانسان بالذهب ورد حديث بن أسيد الذى أصيب أنفه يوم الكلاب ، فاتخذ أنفا من فضة فأنتن ، فأمره رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يتخذ أنفا من ذهب ، وقد أخذ بهذا الحديث فقهاء الحنفية فى باب الحظر والاباحة وفقهاء الحنابلة كما نقله ابن قدامة فى غير موضع من كتابه « المغنى » وفقهاء الشافعية ، فقد أورده النووى فى باب الآنية وغيره ، ونص الشافعية على أنه يحل لمن ذهبت سنه أو أنملته أن يتخذ بديلا لها من الذهب امضاء لحديث عرفجة ، سواء أمكنه اتخاذ ذلك من فضة أم لا .

واختلفت كلمتهم فيمن ذهبت أصبعه أو كفه أو قدمه ، هل له أن يتخذها من فضة أو من ذهب بين محرم ومبيح ؟ .

وفى جواز أكل لحم الآدمى عند الضرورة قال فقهاء الحنفية — على ماجاء فى « الدر المختار » للحصكفى وحاشية « رد المختار » لابن عابدين فى الجزء الخامس — ان لحم الانسان لايباح فى حال الاضطرار ولو كان ميتا لكرامته المقررة يقول الله سبحانه وتعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمُ) من الآية ٧٠ من سورة الاسراء .

وكذلك لايجوز للمضطر قتل انسان حى وأكله ولو كان مباح الدم كالحربى والمرتد والزانى المحصن لأن تكريم الله لبنى آدم متعلق بالانسانية ذاتها فتشمل معصوم الدم وغيره وبهذا أيضا يقول الظاهرية بتعليل آخر غير ما قال به الحنفية .

ويقول الفقه المالكى : أنه لايجوز أن يأكل المضطر لحم آدمى وهذا أمر تعبدى وصحح بعض المالكية أنه يجوز للمضطر أكل الآدمى اذا كان ميتا بناء على أن العلة فى تحريمه ليست تعبدية وانما لشرفه ، وهذا لايمنع الاضطرار على ما أشار اليه فى « الشرح الصغير » بحاشية الصاوى فى الجزء الأول .

وأجاز الفقه الشافعى والزيدى : أن يأكل المضطر لحم انسان ميت بشروط منها ألا يجد غيره كما أجاز للانسان أن يقتطع جزء نفسه كلحم من فخذه ليأكله استبقاء للكل بزوال البعض كقطع العضو المتآكل الذى يخشى من بقائه على بقية البدن ، وهذا بشرط ألا يجد محرما آخر كالميتة مثلا وأن يكون الضرر الناشىء من قطع الجزء أقل من الضرر الناشىء من تركه الأكل فان كان مثله أو أكثر لم يجز قطع الجزء ، ولايجوز للمضطر قطع جزء من آدمى آخر معصوم الدم ، كما لا يجوز للآخر أن يقطع عضوا من جسده ليقدمه للمضطر لأكله .

نقل الأعضاء من إنسان لآخر

وفى الفقه الحنبلى أنه لا يباح للمضطر قتل انسان معصوم الدم ليأكله فى حال الاضطرار ولا اتلاف عضو منه مسلما كان أو غير مسلم ، أما الانسان الميت ففى اباحة الأكل منه فى حال الضرورة قولان :

أحدهما لا يباح :

والآخر يباح الأكل منه لأن حرمة الحى أعظم من حرمة الميت قال ابن قدامة فى « المغنى » ان هذا القول هو الأولى .

ونخلص مما سلف الى أن فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة قد صرحوا بأنه اذا كسر عظم الانسان فينبغى جبره بعظم طاهر — على حد تعبير الشيرازى الشافعى فى (المهذب)، وأنه لا يجوز جبره بعظم نجس الا عند الضرورة ، كما اذا لم يوجد سواه ، وأنه يجوز رد السن الساقطة الى مكانها وربطها بالفضة أو بالذهب ، كما يجوز استبدالها بسن حيوان مذكى .

ونص الفقه الحنفى على أنه لو وصل عظم انسان بعظم كلب ولا ينزع الا بضرر جازت الصلاة معه وهذا النوع وأمثاله من فروع الحنفية يتخرج عليه أنه اذا قضت الضرورة بوصل العظم المكسور بعظم نجس فلا حرج فى ذلك ولا اثم ، بدليل اجازة الصلاة ما دام يتعذر نزعه الا بضرر .

كما نخلص الى أن جسم الانسان الميت طاهر وما انفصل منه حال حياته كذلك طاهر والى جواز شق بطن الآدمى الميت لاستخراج جنين حى ترجى حياته أو مال ابتلعه قبل وفاته على الاختلاف بين فقهاء المذاهب كما تقدم بيانه والى أنه يجوز اضطرارا أكل لحم انسان ميت فى قول فقهاء الشافعية والزيدية وقول فى مذهب المالكية ومذهب الحنابلة ، ويجوز أيضا عند الشافعية والزيدية أن يقطع الانسان من جسمه فلذة ليأكلها حال الاضطرار بالشروط السابق الاشارة اليها ، ويجور وصل عظم الانسان المكسور بعظم طاهر على نحو ماتقدم أيضا فى سنده الفقهى .

وتخرجا على ذلك وبناء عليه يجوز شق بطن الانسان الميت وأخذ عضو منه أو جزء من عضو لنقله الى جسم انسان حى آخر يغلب على ظن الطبيب استفادة هذا الأخير بالجزء المنقول اليه ، رعاية للمصلحة الراجحة التى ارتآها الفقهاء القائلون بشق بطن التى ماتت حاملا ، والجنين يتحرك فى أحشائها وترجى حياته بعد اخراجه ، واعمالا لقاعدة : الضرورات تبيح المحظورات ، وأن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف التى سندها الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، فان من تطبيقها كما تقدم جواز الأكل من انسان ميت عند الضرورة صونا لحياة الحى من الموت جوعا المقدمة على صون كرامة الميت اعمالا لقاعدتى اختيار أهون الشرين .

واذا تعارضت مفسدتان روعى أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما ، واذا جاز الأكل من جسم الآدمى الميت ضرورة جاز أخذ بعضه

نقلا لانسان آخر حى صونا لحيـــــاته متى رجحت فائدته وحاجته للجزء المنقول اليه •

هذا عن الإنسان الميت ، أما عن الانســـان الحى واقتطاع جزء منه فقد تقدمت الاشارة الى أن فقه كل من الشـــــافعية والزيديـــة يجيزان أن يقتطع الانسان الحى جزء نفسه ليأكله عند الضرورة بشرط ألا يجد مباحـــا ولا محرما آخر يأكله ويدفع به مخمصته وأن يكون الضرر الناشىء من قطع جزئه أقل من الضرر الناشىء من تركه الأكل •

ومتى كان الحكم هكذا فانه يجوز تخريجا عليه القول بجواز تبرع انسان حى بجزء من جسده لايترتب على اقتطاعه ضرر به متـــى كان مفيدا لمن ينقل اليه فى غالب ظن الطبيب لأن للمتبرع ــ كما تقدم ــ نوع ولاية على ذاته فى نطاق الآيتين الكريمتين **(وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُم)** و **(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)** ولايباح أى جزء بل الجزء أو العضو الـــذى لا يؤدى قطعه من المتبرع الى عجـــزه أو الى تشويهه وبهذا المعيار يكون حكم نقل الـــدم من انسان لآخر واذا قد انتهى الرأى الـــى أجازة شق جسم الميت أو تشريحه لأخذ عضو أو جزء منه وجواز نقله الى جسم انسان حى يستفيد به •

والى جواز تبرع انسان حى بأخذ عضـــو منه أو جزء وجواز نقل هذا الى انسان آخر حى بالشروط سالفة الاشارة فانه يمكن ايجاز الاجابة على الأسئلة المرددة فى هذا الموضوع على الوجه التالى :

أنه يجوز نقل عضو أو جزء عضو من انسان حى متبرع لوضعه فى جسم انســـــان حى بالشروط الموضحة آنفا ، ومن هذا البـــاب أيضا نقل الدم من انسان لآخـــــر بذات الشروط •

ويحرم اقتضاء مقابل للعضو المنقول أو جزئه كما يحرم اقتضاء مقابل للدم لأن بيع الآدمى الحر باطل شرعا لكرامته بنص القرآن الكريم وكذلك جـــزؤه ويجوز كذلك أخذ جزء من انسان ميت ونقله الى انسان حى مادام قد غلب على ظن الطبيب استفادة هذا الأخـــير بهذا النقل باعتباره علاجا ومداواة وذلك بناء على ماتقدم من أسس فقهية •

ويكون قطع العضو أو قطع جزئه من الميت اذا أوصى حى بذلك قبل وفاته أو بموافقـــة عصبته بترتيب الميراث اذا كانت شـــخصية المتوفى المأخوذ منه معروفة وأسرته وأهلـــه معروفين ، أما اذا جهلت شخصيته أو عرفت وجهل أهله فانه يجوز أخذ جزء من جســـده نقلا لانسان حى آخر يستفيد به فى عـــلاجه أو تركه لتعليم طلاب كليات الطب لأن فى كل ذلك مصلحة راجحة تعلو على الحفاظ عـــلى حرمة الميت وذلك باذن من النيابة العامة التى تتحقق من وجود وصية أو اذن من صـــاحب الحق من الورثة أو اذنها هى فى حالة جهالة شخص المتوفى أو جهالة أسرته •

ولايقطع عضـــــو من ميت الا اذا تحققت وفاته والموت ــ كما جرى بيانه فى كتب الفقه هو زوال الحياة ، وعلامته ، اشخاص البصر وأن تسترخى القدمان وينعـــــوج الأنف

نقل الأعضاء من إنسان لآخر

وينخسف الصدغان وتمتد جلدة الوجه فتخلو من الانكماش .

وفي نطاق هذا يجوز اعتبار الانسان ميتا متى زالت مظاهر الحياة منه وبدت هذه العلامات الجسدية وليس مايمنع من استعمال أدوات طبية للتحقيق من موت الجهاز العصبى لكن ليس هذا وحده آية الموت بمعنى زوال الحياة ، بل أن استمرار — التنفس وعمل القلب والنبض كل أولئك دليل على الحياة وان دلت الأجهزة الطبية على فقدان الجهاز العصبى لخواصه الوظيفية فان الانسان لايعتبر ميتا بتوقف الحياة فى بعض أجزائه بل يعتبر كذلك شرعا وتترتب آثار الوفاة من تحقيق موته كلية فلا تبقى فيه حياة لأن الموت زوال الحياة ، ويمتنع تعذيب المريض المحتضر باستعمال أية أدوات أو أدوية متى بان للطبيب أن هذا كله لاجدوى منه وأن الحياة فى البدن فى سبيل التوقف .

وعلى هذا فلا اثم اذا أوقفت الأجهزة التى تساعد على التنفس وعلى النبض متى بان للمختص القائم بالعلاج أن حالة المحضر ذاهبة به الى الموت .

ولعل من التتمة بيان حكم ما قد يثار عن المفاضلة بين عدد من المرضى الذين تساوت حالتهم المرضية فى ضرورة نقل عضوا أو نقل دم أو اعطائه دواء حالة أن الموجود هو عضو واحد أو كمية من الدم أو الدواء لاتكفى لانقاذ الجميع ، فهل تجوز المفاضلة بين المرضى فى هذه الحال المتعلقة بأمور الحياة والموت أم ماذا ؟

ولا مراء فى أن الآجال موقوتة عند الله سبحانه وتعالى وأمر غيبى يصل اليه علم الانسان وأن المرضى ليس دائما علامة على قرب الاجل أو على حتمية الموت عقبه ، وغلبة الظن أساس شرعى تقوم عليه بعض الأحكام فاذا غلب على ظن الطبيب المختص بحكم التجربة — والممارسة وبشرط اجادته وحذقه مهنة الطب أن أحد هؤلاء المرضى يفيده هذا العضو أو تلك الكمية من الدم أو الدواء كان له ايثاره بذلك باعتبار أن العلامات .

والقرائن قد أكدت انتفاعه بهذا العضو أو بالدم اذا نقل اليه ، أما اذا لم يغلب على ظن الطبيب ذلك بقرائن وعلامات مكتسبة من الخبرة والتجربة ، فإن الاسلام قد أرشد الى اتخاذ القرعة طريقا لاستبانة المستحق عند التساوى فى سبب الاستحقاق وانعدام أوجه المفاضلة الأخرى ، وهذه القرعة قد فعلها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى أمور كثيرة منها الأقراع لمعرفة من ترافقه من نسائه أمهات المؤمنين فى سفره .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

جاد الحق على جاد الحق

الطب الاسلامى

القى البحث صباح الاحد ١٢ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ ، ١٩٨٣/٣/٢٧ .

للاستاذ الدكتور على مطاوع

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ، ونور العيون وضيائها وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه — « قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ (١) » .

اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام ياذا الجلال والاكرام ..

أيها الأخوة المسلمون السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

(١) سورة المائدة من الآتين ١٥ ، ١٦

موضوع بحثنا هو « الطب الاسلامى » .

لقد عجب قوم من هذه التسمية وقالوا انه لايوجد طب يهودى ولا طب نصرانى فلماذا يكون هناك طب اسلامى ؟

والحقيقة أن الناس على مر العصور والأيام لم تسمع عن طب يرتبط بدين من الديانات السابقة . ولكن الناس سمعت وقرأت عن الطب النبوى وهو مايجب أن نبحث ونتوسع فيه ونطلق عليه « الطب الاسلامى » .

وهو الطب الذى يرجع فى قيمه وتعاليمه وأصوله ووسائله الى معتقداتنا الاسلامية النابعة من الكتاب والسنة يعلمها ويطبقها كل من الطبيب والمريض .

وعجبت من هؤلاء الذين يدينون بالاسلام وينكرون أن فى الاسلام طبا للقلوب والأبدان لأنهم نسوا أو تناسوا أو أنساهم الشيطان أن كتاب الله الخالد لم يترك صغيرة ولا كبيرة تهم المرء فى دينه الا واحتواها • ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — المكلف ببيان ما فى الكتاب قد بين للناس ما سألوه عنه من الكتاب وتكفل الله — عز وجل — ببيان مالم يبينه الرسول — صلى الله عليه وسلم — مما لم يسألوا عنه مصداقا لقول الله — عز وجل — : (**مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ**) (**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**) (١) (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**) (٢) •

فاذا كان الكتاب لم يفرط فى شىء مما يهم المسلم فى دينه ودنياه • أفتراه فرط فيما ينفع المسلم فى سلامة نفسه وصحة بدنه وصلاح بيئته لا ، والله الذى لا اله غيره • مافرط ربى سبحانه وتعالى فى الكتاب من شىء ولكن كثيرا من الناس لهم قلوب لايعقلون بها وكم من آية يمرون عليها وهم عنها غافلون هذا وبالاحالة الى كتب الله السابقة لانجد فى التوراة ولافى الانجيل مثل قوله — عز من قائل — (**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَايَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**) ٣ ،

وقوله تعالى عن النحل (**يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**) (٣) •

ومن أجل هذا لم يقل أحد ان هناك طبا يهوديا أو طبا نصرانيا ولاينكر مسلم يلقى السمع وهو شهيد أن فى كتاب الله طبا وأن هذا الطب الاسلامى حقيقة يجب ألا نظل عنها غافلين • فقد آن الأوان لكى نبحث فى كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — ونستخرج الكنوز التى قال الله عنها (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ**) (٤) •

ان رسولنا — صلى الله عليه وسلم — رد الطبيب الذى أهداه المقوقس عظيم القبط فى مصر اليه وقال له : نحن قوم لانأكل حتى نجوع واذا أكلنا لانشبع • لاحاجة بنا لطبيب •

فهو — صلى الله عليه وسلم — لم يقبل الطبيب من أهل الكتاب لأنه لايلتزم بالحلال والحرام فى ديننا • والرسول — صلى الله عليه وسلم — يقول « ماجعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليهم » •

والرسول — صلى الله عليه وسلم — لاينطق عن الهوى وانما بما علمه الله « **وَعَلَّمَكَ مَالَمْ**

(١) سورة النحل من الآية ٤٤
(٢) سورة فصلت من الآية ٥٣ .
(٣) سورة النحل من الآية ٦٩ .
(٤) فصلت الآية ٥٣ .

تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» والرسول صلى الله عليه وسلم ـ الـــذى رد طبيب المقوقس قائلا له : لاحاجة بنا لطبيب أمـــر المسلمين بالتداوى • وقال : « تداووا عبـاد الله • فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء » •

ومعنى هذا أن النبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ يريد للمسلمين طبا يرجع فى قيمه وتعاليمه وأصوله ووسائله الى معتقـــداتنا الاسلامية النابعة من الكتاب والســـــنة والشامل للناحية الوقائية والعلاجية مستهدفا سلامة النفس والجسد فى مراحل الحيـــاة المختلفة جنينا وطفـــلا وشـــابا يافعا وكهـــلا وشيخا بل وما قبل الحيـــاة الجنينية أى فى مرحلـــة الزوج وهو ما زال فى الأصـــــلاب (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) •

ويجب على الطبيب والمريض وأهل المريض أن يعلموا أن لكل أجل كتاب ، وأن كـــل نفس ذائقة الموت وأنه اذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، وأن الشافى هو الله وأن الطبيب لايشفى ولا يطيل العمر ولا ينقص عمر الانسان •

وأن المرض اما ابتلاء من الله للعبـــد أو نتيجة خطأ مصداقا لقول الله تعالى (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) (١) وقوله تعالى (وَمَـا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) (٢) وقوله تعالى : (وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِـــن نَّفْسِكَ) (٣) وأن على المريض فى كلا الحالين أن يلجأ الى الله فانه لا ملجأ من الله الا اليه • فيسأل الله الشفاء مستعينا بما بينه اللـــــه ورسوله من الاستغفار (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَـــذِّبَهُمْ وَهُـــمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (٤) والتـــوبة الى قراءة القرآن وبذل الصدقات أو شرب ماء زمزم لمن كـــان فى رحاب البيت أو استعمال العســـــل أو الحجامة أو الكى •

وهذا الأسلوب فى التداوى هو ما يتفق مع معتقداتنا وأصول ديننا الحنيف ويجب على المسلم أن يعلم تمام العلم أن الله هو الفعال لكل شىء وأنه فعال لما يريد وأنـــه اذا أراد شيئا فلا راد لارادته وأنه اذا قضى أمرا فلا راد لقضائه وأن ارادته وقضاءه لايتعلقـــان بالأسلوب ، وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وأنه لطيف خبير عليـــم حكيم يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وأنه مع الانسان أينما كان ومطلع عليه ويعلم مـــافى نفسه وأن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفـــو عن السيئات (قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا (٥)) •• (وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

(١) الانبياء من الآية ٣٥ .
(٢) الشورى من الآية ٣٠ .
(٣) النساء من الآية ٧٩ •
(٤) الانفال الآية ٣٣ .
(٥) الزمر من الآية ٥٣ .

إِلاَّ اللَّهُ (١)) . (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) (٢) .

ولما كان ابن آدم خطاء فعليه اذا أخطأ أن يسأل ربه العفو والمغفرة والتوبة نان اللـــه يقبله ويفرح بتوبته ويتجاوز عن أخطائه ومن الناس من يبدل الله سيئاتهم حسنات وطلب العفو والمغفرة لايحتاج الى واسطة فاللــه معنا فى كل وقت وفى كل مكان ويسمع كلامنا ويعرف مايدور فى أنفسنا .

ويجب على الانسان أن يعرف أعداءه فى هذه الحياة الدنيا لأنهم هم الذين يدفعونــه الى الخطأ وارتكاب الذنوب والتى من نتائجها ابتلاؤه بالأمراض .

١ ــ وأول عدو للانســان هو الشــيطان « ابليس وأعوانه » لقوله تعالى حكاية عــن ابليس (**لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** (٣)) . (**وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلاَّ عِبَــادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**) (٤) وقوله تعالى : (**كَالَّــذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**) (٥) .

٢ ــ النفس : والنفس هى الــــروح اذا دخلت الجســم واشتغلت بمطالب الجســد وشهواته والنفس اذا وسوست للانســان كانت أشد خطرا عليه من وسوسة الشــيطان لأن النفس أمارة بالسوء أى شديدة الالحاح وأما الشيطان فانه يخنس عند ذكر الله واذا رفض الانسان وسوسة الشيطان بمخالفة ما فانه يتركها ويلجأ الى مخالفة أخرى يوسوس بهـــا .

٣ ــ ان للنفس طاقات قوية اذا استخدمت فى الشر أمكنها أن تدمر الانسان . هذه القوى الروحية عند النفوس غير القوية فى ايمانهــا يمكنها أن تؤثر تأثيرات سيئة فى الانســان نفسه وفى غيره من الناس . هــؤلاء الذين الذين لايحبون الخير للناس ويحقدون عليهم عندهم من الطاقات الروحية ما يكفى للتدمير هذه القوة تسمى « الحسد » ولقد قــال رسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ « العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر » ولقــد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وســلم أن نستعيذ بالله من شر الحاسد اذا حسد بقراءة المعوذتين .

٤ ــ شياطين الانس يوسوســـون له ليخرجوه عن سواء السبيل فيرتكب المعاصى ويكتسب السيئات . وليعلم الانسان أن الله غنى عن عباده . (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ، إِن يَشَــأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَــلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**) (٤) .

وحياة الانسان أو موته لاتؤثر فى استمرار

(١) ال عمران من الآية ١٣٥ .
(٢) البقرة من الآية ١٨٦ .
(٣) الاعراف الآية ١٦ .
(٤) الحجر من الآية ٣٩ و ٤٠ .
(٥) البقرة من الآية ٢٧٥ .

(٤) فاطر الآيات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

الكون وبقائه • وموت الانسان لايضار بـه أحد لأن الله هو القائم على كل نفس وهو رب العالمين فهو الخالق والرازق والمدبر لأمور العباد •

فاذا صحت عقيدة الانسان وأسلم أمره الى الله فلن يجد القلق الى نفسه سبيلا •لأن الأمور مقدورة • وما كان لك سوف يأتيك • ولو اجتمعت الانس والجن على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك • ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء فلن يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك • جفت الأقلام وطويت الصحف وجرى القلم بما هو كائن والشافى فى الحقيقة هو الله عز وجل ـ(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) (١) والطبيب لايطيل عمر المريض ولايمنع عنه الموت اذا جاء الأجل •

واذا كان الأمر كذلك فما هو اذا دور الطبيب أو الهدف من الطب ؟

الهدف من الطب هو الوقاية من المرض ومنع حدوثه • وهذا هو فرع الطب الوقائى وفن المداواة عند حدوث المرض وهذا هو الطب العلاجى • ولما كانت الوقاية خير من العلاج كان فرع الطب الوقائى هاما ولازما للفرد وللمجتمع بشطريه المحدود والواسع أى على مستوى الدولة وعلى المستوى العالمى ويشمل سلامة النفس والجسد والبيئة •

والطب الوقائى يشمل وقاية النفس ويسمى هذا الفرع الطب الوقائى النفسى

(١) الشعراء الآية ٨٠ .

وأساسه سلامة العقيدة • فاذا اعتقد الانسان أن الله هو الخالق والرازق والمربى والمحيى والمميت والشافى والنافع والضار بيده الرزق وبيده الأجل فلن يذل لمخلوق مثله ولن يلجأ فى أى شىء الا اليه • فاياك نعبد واياك نستعين •

وفى هذا المعنى يقول رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ـ اسأل الله فى كل شىء حتى شراك نعلك وملح طعامك فاذا تركزت حاجات الانسان فى جهة واحدة وهى الله عز وجل فان ذلك أدعى الى راحة باله واطمئنانه وعدم تشتته فيمن يلجأ اليه لقضاء حاجاته •

والطب الوقائى يشمل سلامة الجسد ويسمى الطب الوقائى الجسدى وهو ينبع من مجموعة الأوامر والنواهى فى فرع العبادات والتى تهدف فى غالبيتها الى المحافظة على سلامة الجسم من الأمراض حتى تتمكن النفس وهى مناط التكليف من القيام بالتكاليف الشرعية •

ففيما يختص بالاكل مثلا حدد الشارع لنا ما نأكل ومقدار ما نأكل وكيف ومتى نأكل • فقال تعالى : (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) (٢) وقال :

(كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ) (٣) وقال :

(٢) المؤمنون من الآية ٥١ .
(٣) البقرة من الآية ١٧٤ .

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا) (١) وقال : (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) (البقرة ١٧٣) وقال : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) • (المائدة ٣) •

وقد أثبتت الأبحاث أن لحم الخنزير عسر الهضم لاحتوائه على الدهنيات أكثر من أى لحم آخر كما أنه مصدر للعدوى بديدان التريخبيلا التى تسبب آلام روماتيزمية شديدة فى العضلات كما أنها مصدر للعدوى بالدودة الشريطية (تينيا سوليم) والدودة وبويضاتها تصيب الانسان بخلاف الدودة الشريطة التى تعيش فى البقر فان بويضاتها لاتصيب الانسان هذا فضلا عن آكلى لحم الخزير لا يغيرون على زوجاتهم كما يفعل الخنزير أى أنهم يكتسبون صفات الخنزير وسلوكه نحو زوجته •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان ولابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »** •

وسألت السيدة عائشة رضى الله عنها النبى صلى الله عليه وسلم عن حد الاسراف فى قول الله تعالى : (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا) فقال لها يا عائشة الأكل فى اليوم مرتين اسراف والله لا يحب المسرفين •

وقال رسولنا صلى الله عليه وسلم « كلوا الطعام شتى فان حر هذا يطفىء برد هذا وهذا يعنى أن تعدد مصادر الطعام واجبة لاستكمال المواد الغذائية اللازمة للانسان — فالطعام يجب أن يشتمل على المواد الكربوهيدرائية والمواد الزلالية والمواد الدهنية والأملاح والفيتامينات •

وفى حالة المرض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فان الله يطعمهم ويسقيهم • وقال « اذا اشتهى مريض أحدكم شيئا فليطعمه وفيما يختص بالشراب فان الماء سيد الشراب لقوله تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) (٢) •

ويجب أن يكون صافيا لالوان له ولارائحة • عذب الطعم حلوه •

ويجب عدم الاسراف فى الماء والشراب عموما لقوله تعالى : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا) (٣) •

وحرمت الخمور والمسكرات لقوله تعالى : (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة ٩٠) •

ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم ماأسكر كثيره فقليله حرام •

---

(١) الاعراف من الايه ٣١ •

(٢) الانبياء من الآية ٣٠ .

(٣) الاعراف من الآية ٣١ .

ونحن نعلم تأثير المسكرات (أى كل ما يحتوى على الكحول) على الكبد وأنه يسبب تليف الكبد ويؤثر بالتالى على وظائف الكبد الحيوية اللازمة للحياة ٠

وكمية الماء التى يجب على الانسان أن يشربها يوميا تتوقف على ما يفقده الجسم من الماء فى البول والعرق والنفس ليظل حجم الدم فى الجسم ثابتا ومن كثر شربه كثر دمه ٠ ومن كثر دمه طال نومه ومن طال نومه قلت بركة عمره ٠ وبالعكس من قل أكله قل شربه قل دمه قل نومه زادت بركة عمره لزيادة عدد ساعات العبادة والعمل ٠

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها كان أحب الشراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلو البارد أى الماء العذب الممزوج بالعسل أو المنقوع فيه التمر أو الزبيب ٠

وقال صلى الله عليه وسلم « **لا تعبوا الماء عبا فانه يورث الكباد ولكن مصوه مصا** » ٠ (عن عبد الله بن المبارك والبيهقى وغيرهما)

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السرب من فم السقاء ٠ وكان يشرب جالسا ويتنفس أثناء الشرب ثلاثا ويقول أن ذلك أروى وأمرأ وأبرأ ٠

كما نهى عن التنفس القدح وأمر بابعاد الاناء عن الفم حتى يتنفس وروى الترمذى فى جامعه عنه صلى الله عليه وسلم « لا تشربوا نفسا واحدا كشرب البعير ٠ ولكن اشربوا مثنى وثلاث ٠ وسموا اذا أنتم شربتم ٠ واحمدوا الله اذا أنتم فرغتم » ٠

وقال صلى الله عليه وسلم « غطوا الانا وأوكوا السقاء فان فى السنة ليلة ينزل فيها وبا لا يمر باناء ليس عليه غطاء وسقاء وليس علي وكاء الا وقع فيه من ذلك الداء » ٠

ونهى رسول الله عن الشراب فى ثلمة القدح وأن ينفخ فى الشراب « أى نهى عن الشرب فى القدح المشروخة لصعوبة تنظيفها » ٠

وفيما يختص بالاخراج فالمفروض أن الانسان بفطرته يستجيب لاحساسه بالرغبة فى التبول أو التغوط ٠ ولكن الاسلام حدد الطريقة التى تكفل سلامة الفرد ومن يعيش معه عند قضاء الحاجة ٠

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبول واقفا ونهى عن التبول والتبرز فى موارد المياه وفى الظل « تحت الأشجار » وفى الطرقات وسماها الملاعن الثلاث ٠

كما نهى النبى — صلى الله عليه وسلم — عن استقبال القبلة وقت التبرز ٠

كما أمر بالاستعاذة من شر الشياطين ووساوسهم وأن يحضروا وقت قضاء الحاجة (**وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ**) ٠

كما أمر بالاستجمار وبالاستنجاء عند وجود الماء واشترط أن يكون الحصى للاستجمار جافا ٠

ومن جهة المسكن والملبس : نذكر قول الله تعالى فى سورة النحل (آية ٨٠ ، ٨١)

(**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ**

ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ . وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) .

(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ . كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) .

ومن جهة المنكح : قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) . الروم ٢١ وقال تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا . وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) . الآية ٢٣ ، ٢٤ من سورة النساء .

ولقد وجد أن زواج الأقارب يؤدى الى ظهور تشوهات خلقية فى النسل ولذلك قال رسولنا صلى الله عليه وسلم « اغتربوا لا تضووا » وهذا ملاحظ فى اليهود الذين يتزاوجون فيما بينهم فقد وجد أن نسبة التشوهات الخلقية والتخلف العقلى كبيرة بينهم فى هذه المجتمعات .

وقال تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) البقرة ٢٢٣ .

وقال تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ . فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) . البقرة ٢٢٢ .

ويلاحظ أن مباشرة النساء فى المحيض فيها أدى للرجال وللنساء على السواء فدم الحيض بيئة صالحة لنمو الميكروبات التى قد تصيب الرجل بالتهاب فى مجرى البول .

كما أن المرأة فى فترة الحيض تكون الأوعيه الدموية فى جدار الرحم مفتحة وان انقباضات الرحم التى تحدث أثناء الاتصال الجنسى قد

تؤدى الى دخول أجزاء من محتويات تجويف الرحم (وهى الخلايا التى كانت مبطنة لجدار الرحم) الى الأوعية الدموية ومنها الى أجزاء الجسم المختلفة حيث تنمو وتسبب أوراما يتسبب منها نزيف وقت العادة الشهرية •

وقال تعالى : (**فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ**) وقاية من الميكروبات توجد فى الشرج والتى قد تصيب قناة مجرى البول فى الرجل ان هو خالف الأمر وأتى زوجته فى دبرها •

وفى العلاقة الزوجية ومباشرة الزوجة يقول صلى الله عليه وسلم ان الرجل يجب أن يلاعب زوجته قبل اتيانها وأن لا يتركها حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها وعدم مراعاة ذلك سبب لكثير من فشل الزيجات أو الحياة الزوجية غير السعيدة أو الأمراض النفسية عند الزوجين •

وفى الأمومة :

يقول الله تعالى : (**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**) •

وفى هذه الآية أمر للأمهات بارضاع أولادهن وقد ثبت أن لبن الأمهات هو أحسن غذاء للطفل وأنه فى فترة الرضاعة الأولى بعد الولادة مباشرة يكون لبن الأم غنيا بالبروتينات التى تعطى الطفل مناعة ضد كثير من الأمراض ، كما أن لبن الأم معقم ليس به ميكروبات تسبب نزلات معدية أو معوية وهو جاهز فى كل وقت تحت طلب الطفل كما أن تركيبه يتغير تبعا لاحتياجات الطفل وتغير سنه •

كما وجد أن اللبن الذى يعطى للطفل له دخل فى تكوين جسم الطفل وعقله وسلوكه ولذلك يجب اختيار المراضع ذوى البنية الجيدة والخلق الحسن والسلوك الجيد لأن الطفل كما يتأثر بوالده ووالدته من حيث تركيب الحيوان المنوى والبويضة فانه يتأثر كذلك باللبن الذى يرضعه فى سنى حياته الأولى لأن جسمه ومخه يكون فى دور التكوين والبناء •

والرسول صلى الله عليه وسلم يوصى ألاترضع الوالدة الحامل ولدها لأن الطفل لذى يرضع من لبن الحامل ينشأ ضعيف لبنية •

ويصح أن نقف وقفة فان فى هذه الآية وسيلة لتنظيم النسل اذ أن ارضاع الطفل حولين كاملين ومنع الحمل أثناء الرضاعة يعنى أن الأم يجب ألا تنجب الا مرة كل ٣ سنوات على الأقل : سنتين فترة الرضاعة وسنة أخرى مدة الحمل •

ومن جهة النوم :

يقول الله تعالى : (**وَمِن آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**) • الروم ٢٣ •

ويقول جل شأنه :(**وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا**) •

وقوله تعالى : (**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**) (الزمر ٤٢) •

ويجب على الانسان أن ينام اذ النوم ضرورى لاستعادة النشاط فى الأعضاء وفى المخ • وقد وجد أن عدم النوم يؤدى الى اختلال القوى العقلية • وعدد ساعات النوم تتوقف على سن الشخص فالطفل يحتاج الى فترة أطول من الشخص البالغ وهذا يحتاج الى فترة أطول من الشيخ وكلما كان النوم أعمق كلما استفاد منه الجسم أكثر أى أن النوم لفترة قصيرة نوما عميقا أفضل من النوم مدة طويلة نوما خفيفا سطحيا حيث تكثر الضوضاء •

ومن جهة الوباء :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا ظهر الوباء فى أرض وأنتم خارجها فلا تدخلوها واذا ظهر فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها ، وهذه القاعدة هى المتبعة حاليا لمنع انتشار الأوبئة بعمل كردونات حول البلدة الموبوءة ومنع الدخول والخروج الى أن يتم القضاء على الوباء •

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لاعدوى ولاطيرة » فهذا شأن الرجل القوى الجسم القوى الايمان • فالميكروب لايصيب الرجل القوى لأن عنده من القوى المناعية مايمكنه من وقاية نفسه ضد الميكروبات • وعنده من قوة الايمان مايبعد عنه التطير لثقته فى الله تعالى وأنه لايصيبه الا ماكتب الله له أو ما كتبه عليه •

وهذا يجب أن يكون شأن الطبيب والمرض حتى يجد المرضى من يقومون على خدمتهم أما ضعيفى الايمان ضعيفى الأجسام فان قوتهم المناعية تتأثر بخوفهم وعدم ايمانهم وقلة المناعة تجعلهم عرضة للاصابة بالأمراض ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم وفر من المجذوم فرارك من الأسد لأن خوفك من المريض يقلل من قواك المناعية ويجعلك عرضة للمرض ويتضح من ذلك أن الخوف هو سبب المرض •

وهذا يفسر المثل الشائع ، « اللى يخاف من العفريت يطلع له » •

وفى هذا المقام يجب أن نتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن العدوى « فمن أعدى الأول » • ان سبب مرض الأول هو عدم اتباعه تعاليم الاسلام وانحرافه عن الطريق المستقيم مما كان سببا فى نقص المناعة عنده فأعطى الفرصة للميكروبات الموجودة فى جسمه والتى تعيش عيشة تعاونية وفى حالة غير مرضية أن تصبح مرضية وتسبب له المرض • مصداقا للمثل الشائع « ايه اللى خلى فرعون يتفرعن قالوا مالقاش حد يوقفه عند حده » وكذلك الميكروب الذى كان يحيا حياة تعاونيةولايسبب مرضا لأن الجسم به منوسائل المناعة ما يوقفه عند حده فاذا قلت هذه القوى المناعية نتيجة للخوف وللصدمات النفسية والعاطفية والقلق النفسى فان الأمراض تجد سبيلها الى الجسم وهذه تشمل الالتهابات

والأورام .

وفى الموت يقول الله تعالى : (**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**) (آل عمران ١٨٥) .

وقال : (**وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاب**) .

وقال : (**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**) الاعراف ٣٤ وفى المــوت تترك النفس الجسد ولا تعود اليه كما هــو واضح من قوله تعالى : (**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**) . (الزمر ٤٢) .

ومن مات يجب أن يقبر والقبر أول منازل الآخرة وفى عملية دفن الموتى يقول الله تعالى على لسان ابن آدم الذى قتل أخاه : (**قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**) المائدة ٣١ .

وفى هذه الأمثلة الســـابقة من الآيات والأحاديث التى تهدف الى وقاية الانسان من الأمراض قليل من كثير مما فى الاسلام مــن تعاليم تهتم بوقاية الفرد من الأمراض ووقاية المجتمع أيضا .

أما الطب العلاجى :

أو فن المداواة أو الاستشفاء

فالهــدف منه هو :

تخفيف الآلام

وقف النزيف

اصلاح الكسور والخلع

ازالة الأجسام الغريبة الضارة من الجسم .

تخليص الجسم من السموم الفكرية .

تخليص الجسم من السموم المــادية مهما اختلفت مصادرها .

تخليص الجسم من الأجزاء الزائدة مثـل الأورام .

تعويض الأجزاء التالفة منه .

وأخيرا وصول الجسم أو النفس أو همـــا معا الى حالة الاتزان والاستقرار .

ولحصول الشفاء نلجأ الى وسائل مختلفة. أهمها وأقواها وأسرعها وأبســطها هــو طلب الشفاء من الله . أى الدعاء . اما مباشرة أو بالواسطة أى بواسطة الصالحين من عبــاده . وله أن يستعين بوسائل تقربه الى الله مثـل قراءة القرآن أو تقديم الصدقات ولا يلجـأ الى هذه الوسيلة الا قوى الايمان .

الذى يعتقد .. فى قوله تعالى : (**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ**) (الاسراء ٨٢) . وفى قوله تعالى : (**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ**) . (البقرة ٢٧١) .

وقوة الايمان تعنى قوة الصلة بين النفس وخالقها فهى تقوم بأداء ما أمــــرها الله به وتنتهى عما نهاها الله عنه فيصدق عليها قول الله عز وجل فى الحديث القدسى « عبـــدى أطعنى أجعلك ربانيا تقول للشىء كن فيكون » .

ألا ترى أنه بالرياضة الروحية وبالتدريب

الطب الإسلامى

يمكن للنفس أن تتحكم فى عدد ضربات القلب وسرعة التنفس وتوزيع الدورة الدموية فى أجزاء الجسم المختلفة والاحساس بالألم أيا كان سببه .

وذلك لأن الانسان خليفة الله فى أرضه وقد سخر الله جسد الانسان للنفس لتستعين به فى القيام بالتكاليف الشرعية التى أمر الله بها الانسان فكان لزاما على الجسد أن يكون تحت امرة النفس طالما أن النفس قائمة بما كلفها الله به . فاذا قصرت النفس فى القيام بما كلفت به ضعف سلطانها على الجسد .

وخروج النفس عن الطريق المستقيم المرسوم لها يتبعه خروج الجسد عن حالة الاتزان فى تركيبه ووظائفه فينتابه المرض — (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) (الشورى ٣٠) .

ويبدأ فى البحث عن العلاج . ولضعف صلته بالسماء يلجأ الى الأرض وما يخرج منها لمداوة أمراضه — وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تداووا عباد الله فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء » .

وهكذا يلجأ المريض الى الأسباب ويستشير الأطباء عملا بقوله تعالى (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (الانبياء ٧) وطبعا أخذه بالأسباب لا يؤدى الى النتائج المطلوبة الا بأمر الله .

والمحافظه على الجسد فى حالة صحية جيدة أمر لازم لقيام النفس بالتكاليف الشرعية المطلوبة منها والمكلفة بها من الله عز وجل . ويجعل الجسد فى حالة صحية طيبة يجب عدم الافراط أو التفريط فى احتياجات الجسد من مأكل ومشرب وملبس ونوم ومنكح . ولذلك بين الله للانسان ما يلزم من هذه الاحتياجات حتى يظل الجسد فى حالة تمكنه من القيام بهذه التكاليف .

ولم يشأ الله أن يجعل الانسان ملكا لا يأكل الطعام ولا يعصى الله ولكن رزقه من الطيبات وبين له حدود الاستمتاع بالطيبات وأمره ألا يتجاوز الحد زيادة أو نقصا فيتلف نفسه . (وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ) (النساء

وذلك لأن تلف الجسد يؤدى الى تلف النفس لعجزها عن القيام بالتكاليف الشرعية . كما أن تجاوز النفس فى طلب شهوات الجسد يودى الى اتلافه ومرضه . ولذلك أمرنا الله جل شأنه بتدريب النفس على شهوات الجسد بالقيام بالتكاليف الشرعية فالصوم تدريب على قهر شهوة البطن والفرج ، والزكاة تدريب لقهر شهوة حب المال ، والحج تدريب على ترك شهوة الملبس والمسكن الفاخر والتدريب على حياة الجندية فى التقشف وطاعة الأوامر والصلاة تدريب على نظافة الجسم والملبس والوقوف بين يدى الله على الأقل خمس مرات فى اليوم ليكون على صلة دائمة به فلا يسمح لهوى النفس أو الشيطان بجرها بعيدا عن الطريق المستقيم كما أن صلاة الجماعة تدريب على تقوية الصلات الاجتماعية والاهتمام بحياة المجتمع الاسلامى .

والأمراض الناشئة عن تجاوز النفس فى طلب شهوات الجسد مادية كانت أو معنوية تؤدى بالانسان الى الانحطاط الخلقى وارتكاب الرذائل والبعد عن الفضائل والسير فى ركاب الشيطان وهو يعلم أن الشيطان للانسان عدو مبين ويصبح كل همه دنياه ولم يعد يهتم بأخراه وهؤلاء هم حطب جهنم الا ما شاء الله.

(**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**)(البقرة ٢٦٨) ومن خاف الفقر أصبح حريصا بخيلا يحب جمع المال ولاينفقه فلا ينتفع هو به ولا المجتمع الذى يعيش فيه . وفى سبيل جمع المال قد يسرق ويقتل ويكذب ويشرب الخمر ويلعب القمار . وهكذا نرى أن حب الدنيا رأس كل خطيئة .

وأن حب الله وحب الآخرة والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره هى السبيل الى سلامة النفس وشفائها من جميع أمراضها .

أما أمراض الجسد فقد تكون كما قلنا سابقا ناشئة عن انحراف الانسان عن الطريق المستقيم مصداقا لقوله تعالى : (**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**)(الشورى ٣٠) وقد يكون ابتلاء من الله . (**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**) (الانبياء ٣٥) .

والمؤمن الكامل اذا أصابه المرض لجأ الى الله يدعوه طالبا منه المغفرة والشفاء وقد يتوسل الى الله بقراءة القرآن (**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**) (الاسراء ٨٢) . وخصوصا آيات الشفاء وسورة الفاتحة والصمدية ويس .

وقد يتوسل الى الله بالصدقات امتثالا لقول الله تعالى : (**إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ**) (البقرة ٢٧١) . والأمراض من السيئات . وامتثالا لقول رسولنا صلى الله عليه وسلم « داووا مرضاكم بالصدقة » .

وقد يتوسل الى الله بشرب ماء زمزم لمن يكون فى الرحاب المكية امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « ماء زمزم لما شرب له » .

فاذا لم يحصل الشفاء لجأ الى الأخذ بالأسباب المادية تطبيقا لقوله صلى الله عليه وسلم « تداووا عباد الله فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء » .

وقوله « ماأنزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله » .

وأول الأدوية المادية التى يجب التفكير فيها بعد ماء زمزم هو العسل « عسل النحل » لقول الله عز وجل فيه (**يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ**) (النحل ٦٩).

وقد أثبت تحليل عسل النحل أن به حوالى ٤٠٪ من سكر الجليكوز ومثلها من سكر الفاكهة

أو سكر الليفيلوز وهو سكر أحادى يدخل خلايا الجسم مباشرة بدون حاجة الى أنسولين وهو يختلف فى ذلك عن الجليكوز الذى لايمكن أن يدخل خلايا الجسم والاستفادة منه الا فى وجود الأنسولين • كما أن الجسم يختزن من الليفيلوز على هيئة جليكوجين ثلاثة أمثال مايختزن من الجليكوز • ولما كان الكبد الذى يختزن قدرا كبيرا من الجليكوجين أقدر على أداء وظائفه وخصوصا التخلص من السموم من الكبد المحتوى على قدر أقل من الجليكوجين فان عسل النحل يعتبر دواء ناجعا لأمراض الكبد ومساعدتها على التخلص من السموم حتى فى مرضى البول السكرى •

وقد •• أثبت تحليل عسل النحل أيضا وجود مضاد حيوى فيه يمنع البكتريا بجميع أنواعها كما يمنع نمو الفطريات • واذا وضعت فى عسل النحل قطعة من اللحم الطازج فانها تظل على حالها لمدة عام أو أكثر بدون أن يتغير طعمها أو يصيبها التلف • ولذلك يعتبر عسل النحل أحسن غيار للجروح والالتهابات الجلدية بأنواعها •

ويحتوى عسل النحل على الكثير من عناصر الأرض التى تدخل فى جسم الانسان وخصوصا العناصر النادرة وذلك لأن النباتات المختلفة تمتص هذه العناصر وتختزنها وتختلف النباتات فى أنواع العناصر النادرة التى تمتصها وتختزنها فمنها ما يختزن اليود ومنها ما يختزن الكبريت ومنها مايختزن الذهب وغيره والنبات يختزن هذه العناصر فى أجزائه المختلفة ومنها رحيق الأزهار الذى سخر الله نحل العسل يمتص هذا الرحيق من شتى الأزهار ولذلك فان عسل النحل يحتوى الكثير من هذه العناصر التى يتكون منها جسم الانسان والتى لو نقصت عن حد معين ينتابه المرض فيجد فى عسل النحل الدواء الناجع لأنه يعوض له مانقص من جسمه من عناصر •

ويحتوى عسل النحل علاوة على الرحيق : حبوب اللقاح من مختلف الأزهار وهذه تحتوى علاوة على العناصر المعدنية الهرمونات والفيتامينات ومواد أخرى وحتى لاتنبت حبوب اللقاح فى العسل فان النحل تفرز موادا تمنع نمو حبوب اللقاح • وهذه المواد وجد أنها تعطل نمو الخلايا السرطانية فى الانسان والحيوان •

ولكن الحقيقة التى يجب أن نعيها وأن نستفيد منها هى أن الله سبحانه وتعالى الذى خلق الانسان أخبرنا أن فى العسل شفاء حيث قال فى محكم كتابه : (**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ • فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)(النحل ٦٩) •

واطلاق لفظ الشفاء بدون تحديد نوع المرض ولا كمية العسل ولا كيفية الاستعمال يوجب علينا أن نبحث فى هذه الأمور • (**وَاللَّهُ يَهْدِى**

لِلَّتِى هِىَ أَقْوَم) . (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّه) .

وكما قلت آنفا ان النباتات المختلفة تركـــز العناصر فى كل أجزائها مع تركيزها أكثر فى بعض أجزاء النباتات المختلفة أحيانا فى الجذور وأحيانا فى الأوراق وأحيانا فى الأزهار وأحيانا فى الثمار . ولذلك فان الانسان يستعمل هذه الأجزاء المختلفة من النباتات حسب وجـــود العناصر الشافية فيها وهذا يتوقف على البيئة التى ينمو بها النبات . فقد ينمو نفس النبات فى بيئة ما فيحتوى على كمية أقل أولا يحتوى اطلاقا على هذه العناصر الشافية لاختـــــلاف طبيعة التربة والبيئة التى ينمو فيها النبات .

وقد وجد أن استعمال الخلاصات النباتيـــة فى العلاج أفيد للانسان من استعمال الأدوية المصـــنعة لأن الأدوية الكيميائية المركبة التى يصنعها بالتخليق الكيميائى فى مصانع الأدوية لها من الآثار الجانبية ما يسبب أضرارا كثيرة للانسان بينما عسل النحل والخلاصات النباتية والخلاصات الحيوانية من أجزاء الحيوان التى تركز العناصر المختلفة ليس لها هذا القـــــدر الكبير من الآثار الجانبية والمضـــاعفات التى تحاول التقليل من آثارها السيئة باعطاء المزيد من الأدوية الأخرى لعلاج هذه المضاعفات .

ولقد استن لنا رسولنا ــ صــلى الله عليه وسلم ــ الذى لا ينطق عن الهوى نظاما للحياة ونظاما للتداوى فعلمنا كيف نعيش وأمرنا أن نسأل أهل العلم كل فيما تخصص فيه (**مَافَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ**) (الانعام ٣٨) (**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) (الانبياء ٧) .

وأخبرنا فيما يختص بالتداوى فى قوله صلى الله عليه وسلم « شفاء أمتى فى ثلاث » شربة عسل ، وشرطة محجم ، والكى ، وما أحب أن أكتوى « وفى حديث آخر » آخر الدواء الكى « فلا نلجأ اليه الا بعد أن نســتعمل وســائل التداوى المختلفة بدءا بالالتجاء الى الله ندعوه ونتوسل اليه بالاســـــتغفار والتوبة وقراءة القرآن وتوزيع الصدقات بنية الشفاء ثـــم استعمال ماء زمزم ثم استعمال عسل النحل ثم استعمال الخلاصات النباتية مع تدبير الغذاء واستفراغ محتويات الجسم الضارة من المعدة والأمعاء . والاحتراز عن استعمال ما حرم شرعا من مأكل أو مشرب أو ملبس الا عنـــد الاضطرار عملا بقول رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم « ماجعل الله شفاء أمتى فيمـــا حرم عليهم » ، فمثلا فى الخلاصات النباتيـــة يجب ألا نستعمل الخلاصـــات الكحولية وفى المشروبات يجب مراعاة الحديث الشريف : ما أسكر كثيره فقليله حرام . وفى المأكولات يجب مراعاة قوله تعالى (**قُل لَّا أَجِدُ فِى مَا أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْفِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) (الانعام ١٤٥) كمـــا يجب مراعـــاة قـــوله تعالى (**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**) (الأعراف ٣٢) وقوله تعالى (**كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ**

مَا رَزَقْنَاكُمْ) (البقرة ١٧٢) وقـــوله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (الاعراف ٣١) •

وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليـــه « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » •

وقوله أيضا « بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه • فان كان ولابد فثلث لطعــامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » •

وهكذا يتبين لنا أن الله جلت قدرته قد بين لنا ما يلزمنا فى حياتنا لنحيا الحياة الطيبـــة التى أرادها لعباده الذين يستمعون القـــول فيتبعون أحسنه •

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَـا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (الاعراف ٩٦) •

والدين الاسلامى يطلب من المسلم أن يكون قويا فى جسمه معافى فى بدنه سليما فى عقله ونفسه • فالمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وفى كل خير •

ومن بات آمنا فى سربة معافى فى بدنه عنده قوت يوم فقد حيزت له الدنيا ولقد خلق الله الانسان ليكون خليفة فى الأرض • ومناط هذا التكليف انما هـو للنفس البشرية • والنفس لاتقوى على أداء التكاليف الا اذا كان الجسد سليما معافى ومن أجل هذا أمرنا بالتداوى •

ولو أنعمنا الفكر فى المعتقدات الدينية لوجدنا فيها أفضل وسيلة للوقاية من الأمراض النفسية وفى الشريعة أفضل الوســـائل للوقاية من الأمراض الجسدية •

واذا وقع الانسان فى المخالفة وانتابه المرض فليلجأ الى الله يستغفره ويدعوه يطلب منـــه الشفاء مستعينا بالقرآن وبالصدقات ــ (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) (هود ١١٤) •واذا عز الشفاء يستمر فى الطلب من الله مع اللجوء الى الأسباب فى المنهج الذى أوضحه رســـول الله صلى الله عليه وسلم « شـــفاء أمتى فى ثلاث » •

وهذه الوسائل يجب على المسلمين العاملين فى الحقل الطبى البحث فيها ومقارنتها بمـــا استوردناه من وسائل العلاج الأخرى والتى يقوم الدواء المصنع فيها بالقســـــط الأوفى خصوصا بعد ما لمسناه من الآثار الجانبيـــة الضارة فى هذا الدواء المصنع وأن ما وصـــفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من وســائل العلاج يمتاز بأنه ليس آثار جانبية ضارة فضلا عن أنها أرخص وأسرع فى نتائجها العلاجية •

ولوتدبرنا قول الله تعالى عن عسل النحـــل (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) بـــدون تحـــديد لطريقة الاســــــتعمال وبدون تحديد للأمراض التى يشفيها • بل أطلق ذلك فان هذا يعنى أن فى العسل شفاء للأمراض على اطلاقها بما فى ذلك مرض السرطان •

وبالاطلاع على ماكتب عن عسل النحل فى بعض المراجع وبالبحث والتجربة وجد أنـــه استعمل بنجاح فى شفاء أمراض الجلد وأمراض العين واستعمل للغيار على الجـــروح حتى السرطانية منها • والغرغرية التى تصـــيب الأقدام والأيدى فى مرض السكر والتى أوصى

الجراحون ببترها • وكانت النتائج فوق ماكنا نتصور لأن بعض هذه الحالات كان الالتهاب قد أصاب عظام القدم أو عظام اليد •

واستعمل العسل كغيار على الثآليل المزمنة فى باطن القدم (عين السمكة) مع الأشعة فشفيت فى وقت أقل من المعتاد عند الاستعمال للعلاجات الأخرى • وبعلاج واحدة فقط يشفى غيرها من الثآليل مهما كان عددها • وشفاء الثآليل بهذه الصورة يدل على أن العسل مادة مضادة للفيروسات • وهذا يفسر استعمال الروس للعسل فى الوقاية من مرض شلل الأطفال •

واستعمل العسل فى علاج أمراض الجهاز التنفسى وخصوصا الرشح والحساسية والتهاب الجيوب الأنفية والربو وغيره من الأمراض •

واستعمل العسل فى علاج أمراض المعدة والأمعاء •

وفى أوراق البردى الخاصة بالطب أوصى قدماء المصريين باستعمال العسل فى الجروح وفى ادرار البول ولاراحة الأمعاء •

وفى الطب الهندى القديم كان الدواء الذى يجلب السعادة ويحفظ الشباب مصنوع أغلبه من العسل • وكانوا يوصون بوجبة معينة لاطالة العمر أهم عناصرها العسل واللبن وكان — أبقراط يأكل العسل باستمرار ويستعمله فى طبه كعلاج لكثير من الأمراض •

وكتب ديسقوريدس الاغريقى : ان العسل يستعمل بنجاح فى علاج أمراض الأمعاء والجروح المتقيحة والبواسير •

وكان جالينوس الاغريقى يصفه لعلاج حالات التسمم المختلفة ولأمراض القناة الهضمية •

وكان ابن سينا يقول اذا أردت أن تحتفظ بشبابك فاطعم العسل وكان يوصى من جاوزوا الخامسة والأربعين أن يأكلوا العسل بانتظام وخصوصا مع عين الجمل المسحوق لأنه غنى بالزيت •

وجاء القرآن الكريم يقول عن عسل النحل ان فيه شفاء للناس •

ويقول رسولنا صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى والذى قال الله فيه « **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** » •

تداووا عباد الله — وعليكم بالشفاء بين العسل والقرآن •

وشفاء أمتى فى ثلاث : شربة عسل وشرطة محجم والكى — وآخر الدواء الكى •

ولفهم خصائص العسل العلاجية يجب أولا معرفة نتائج تحليل العسل وما به من مواد يحتوى العسل على :

١ — سكر الجليكوز بنسبة ٤٠٪ •

٢ — سكر الفركتوز (الليفيلوز) بنسبة حوالى ٤٠٪ •

٣ — الخمائر : دياستيز — انفريتز — كاتاليز — بيروكسيداز — ليباز •

٤ — المواد المعدنية : الكالسيوم — الصوديوم — البوتاسيوم — المغنسيوم — الحديد — الكلور — الفوسفور — الكبريت —

اليود •

وبعض أنواع العسل يحتوى على مواد مشعة •

وبالتحليل الطيفى وجد أن العسل يحتوى على كميات قليلة من :

المنجنيز ــ السيلكون ــ الألومنيوم ــ البورون ــ الكروم ــ النحاس ــ الليثيوم ــ النيكل ــ الرصاص ــ القصدير ــ التيتان ــ الخارصين (الزنك) ــ الأزميوم •

والأملاح المعدنية مهمة جدا للجسم • وقد عملت تجارب معملية على الحيوانات فأعطيت طعاما يحتوى على الزلاليات والنشويات والدهنيات والفيتامينات وخاليا من الأملاح فماتت الحيوانات بينما استمرت مثيلاتها التى أعطيت نفس الغذاء مضافا اليه الأملاح المعدنية على قيد الحياة •

لقد خلق الله الانسان من تراب الأرض والماء ، والتراب والماء يحتويان كل العناصر الموجودة فى الكون وبذلك يصير جسم الانسان محتويا على جميع العناصر المعروفة ولكن بنسب متفاوته تبعا للوظيفة التى يؤديها كل عنصر فى الجسم • فالصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والحديد والفوسفور والكبريت واليود والكربون والاكسجين والايدروجين تشكل الكميات الكبيرة من العناصر • أما باقى العناصر فهى موجودة بكميات ضئيلة • ولذلك تسمى العناصر النادرة ولكن وجودها فى الجسم ضرورى لعمل بعض الخمائر الموجودة فى الجسم •

ويحتفظ الجسم بهذه العناصر فى حدود معلومة لو زادت عنها أو نقصت عنها لأدى ذلك الى اختلال فى الجسم وظهرت العلل والأمراض التى تختفى لو عادت نسبة هذه العناصر الى مقاديرها الطبيعية التى فطر الله الانسان عليها •

ونسبة هذه العناصر فى الجسم فى تغير مستمر ما قامت الحياة • فاذا ما نقصت فان الجسم يعوض النقص من الغذاء الذى يتناوله الانسان وهو اما أن يكون من أصل حيوانى أو نباتى والحيوان يتغذى على حيوان آخر أو نبات • أى أن مصدر العناصر الموجودة فى جسم الانسان ترجع فى النهاية الى النباتات التى تتغذى منه الأرض والماء •

وقد وجد أن النباتات تختلف فيما تحتويه من عناصر كما ونوعا •

فهناك نباتات تحتوى على كمية عالية من الحديد ومنها ما يحتوى على نسبة عالية من الكالسيوم ومنها ما يحتوى على نسبة عالية من الكبريت أو اليود • وقد وجد أن هناك نبات يختزن عنصر الذهب • ولله فى خلقه شئون •

والعبرة من هذا أن تناول الانسان لهذه النباتات يعوض ما ينتاب الجسم من نقص فيها فيظل سليما معافى •

والانسان قد لايستطيع أن يأكل من كل النباتات التى تحتوى مايلزم من العناصر وخصوصا العناصر النادرة • ومن حكمة الله ورحمته بالانسان خليفته فى الأرض أن سخر له نحل العسل وأوحى اليها أن « **كُلِى مِن كُلِّ**

الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً • يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ » •

ومن الأمثلة على دور هذه العناصر النادرة فى جسم الانسان عنصر اليود اللازم لتكوين هورمون الغدة الدرقية وهو لازم لنمو الجسم واذا نقص عن حد معين أثناء الحياة الرحمية أو فى سنى الطفولة فان يصاب بقصر القامة ويصير « قزما بطىء التفكير والحركة » • وعنصر الزنك ضرورى لتكوين مادة قاتلة للميكروبات فى غدة البروستاتا فى الرجل تحافظ على قناة مجرى البول خالية من الميكروبات المرضية • واذا نقص هذا العنصر أدى ذلك الى التهاب البروستاتة ومجرى البول والاحتباس البولى • فتبارك الله رب العالمين •

٥ ـ والعسل يحتوى أيضا على بعض الأحماض العضوية مثل التفاحيك والترتريك والليمونيك واللبنيك والأوكساليك • كما يحتوى على قليل من الزلاليات والفيتامينات•

والفيتامينات الموجودة فى العسل هى ب ٣ ، ب٦ ، ه ، ك ، ج وغيرها • وقد دلت الأبحاث على أن العسل يحتوى على كمية كبيرة من الريبوفلافين ب٢ يعادل الموجود منه فى لحم الدجاج • وخمسة أضعاف الموجود منه فى الجبن القليل الدسم وفيتامين ب٣ حمض اليانتوثنيك وهو عامل مهم ضد التهابات الجلد •

وفيتامين ه (بيوتين) وهو يمنع انتشار الأكزيما والقوباء والدمامل والصدفية •

وفيتامين ب١٢ (حمض الفوليك) يستعمل بنجاح فى علاج فقر الدم (الأنيميا الخ

وفيتامين ك يستعمل فى حالات النزيف •

وفيتامين ج يزيد مناعة الجسم ضد العدوى ويساهم فى عمليات التأكسد والأختزال والتكوين العادى للدم •

ولو أن الفيتامينات الموجودة فى العسل بكميات صغيرة • ولكنها ذات أهمية كبيرة لأنها متحدة مع مواد أخرى من الأحماض العضوية والكاربوهيدرات والأملاح المعدنية التى تسهل على الجسم الانتفاع بها •

وحبوب اللقاح الموجودة فى العسل تحتوى على معظم الفيتامينات وكذلك بعض الهورمونات الجنسية • وترشيح العسل لتخليصه من حبوب اللقاح يفقده ما به من الفيتامينات والهورمونات التى توجد بكثرة فى الغذاء الملكى وهو جزء خاص من العسل تصنعه النحل الشغالة لغذاء الملكات •

وكمية الفيتامينات الموجودة فى كيلو جرام من العسل هى كالآتى :

فيتامين ب٢ (ريبوفلامين) حوالى ٥ر١ ميلى جرام

فيتامين ب١ (انيورين) حوالى ١ر٠ ميلى جرام

فيتامين ب٣ (حمض البانتوثبنيك) حوالى ٠ر٢ ميلى جرام

فيتامين ب٥ (حمض النيكوتينيك) حوالى ٠ر١ ميلى جرام

فيتامين ب٦ (بيريد وكسين) حوالى ٠ر٥ ميلى جرام

فيتامين ج (حمض الاسخربوط) حوالى ٠ر٣٠ — ٠ر٥٤ ميلى جرام ٠

٦ — مضادات حيوية غالبا نتيجة نشاط افرازى فى النحلة الشغالة وقد غسلت مزارع ميكروبية مختلفة عمرها ٢٤ساعة فى سم٣ محلول ملح فسيولوجى ثم أخذت نقطتان من المستحلب وأضيفت الى ٣ سم٣ من العسل وتم مزجها بعناية ثم وضعت فى فرن عند درجة ٣٧ مئوية ثم عملت مزارع منها يوميا فكانت النتيجة كالآتى :

الميكروب السبحى (سترتبوكوكس) : ماتت كل البكتريا بعد اليوم الثالث ٠

الميكروب العنقودى (ستافيلوكوكس) : ماتت كل البكتريا بعد اليوم الثالث ٠

ميكروب التنيفود والباراتيفود وبكتيريا ياكولاى وميكروب جارتنر وميكروب شيجا	ماتت كلها بعد يومين

وقد أثبتت التجارب أن البكتريا تنمو بعد دور الحضانة فى وسط عالى التركيز من السكر يحتوى على ٤٠٪ جليكوز و ٣٠٪ فركتوز و ٠ر٠٢٪ حمض النحليك ٠

ولايمنع العسل نمو البكتيريا فقط ولكنه يمنع نمو الفطريات كذلك ويمكن حفظ قطعة من اللحم فى العسل لمدة عام محتفظة بكل خصائصها وطعمها وقد أثبتت التجارب أن قتل البكتريا والفطريات لا يرجع الى النسبة العالية للمواد السكرية الموجودة بالعسل ولكن الى مضادات حيوية تفرزها النحل الشغالة ٠ وقد أوضحت التجارب أن العسل كلما خفف كان تأثيره القاتل أكبر وذلك التخفيف الى حد معين ٠

٧ — يحتوى العسل على مادة تمنع انقسام الخلايا ٠ اذ تقوم النحل الشغالة بافراز مادة تمنع نمو حبوب اللقاح بمنع نمو وانقسام خلاياها ٠

٨ — يحتوى عسل النحل على مادة مضادة للفيروسات ٠ وذلك يكون العسل هو الدواء الوحيد فى العالم الذى يحتوى على هذه المادة والتى يمكن للانسان أن يتعاطاها حيث أن المادة التى يعرفها العلماء المضادة للفيروسات « الانترفيرون » والموجودة فى كرات الدم البيضاء سريعة التلف فى درجة الحرارة العادية ٠

ولقد قمت شخصيا بعلاج الثآليل التى يسببها فيروس معروف بجلسة أشعة مع الغبار بالعسل على واحدة فقط من الثآليل فشفيت كل الثآليل فى أقل من الوقت المعتاد اذا لم يستعمل العسل بعد الأشعة ٠

واحتواء العسل على مادة مضادة للفيروسات يفسر سر استعمال الروس للعسل كمادة واقية من الاصابة بمرض شلل الاطفال (البوليو) ٠

ومن الحقائق المعروفة عن سكر الفركتور الموجود فى العسل أنه أحلى من سكر الجليكوز وأنه يدخل الخلايا ويتم احتراقه فيها بدون

احتياج الى وجود الأنسولين كما هو الحال فى سكر الجليكوز • وهو لذلك مفيد لمرضى السكر اذ يمنع التسمم الخلوفى اذا استعمله المريض بالسكر فى احتياجاته اليومية بدل السكر العادى (سكر القصب) • كما أن الكبد يختزن من سكر الفوكتوز ثلاثة أمثال مايختزن من سكر الجليكوز على صورة جليكوجين •

ومعروف أن الكبد يختزن كمية كبيرة من السكر أقدر على أداء وظائفه من الكبد الذى يختزن اقل • ومن وظائف الكبد الأساسية تخليص الجسم من السموم •

ومن هذا نتبين قيمة العسل لمرضى السكر وقيمته فى مقاومة السموم •

٩ ـ هذا ولايزال هناك ٧ر٣٪ من محتويات العسل لم تعرف طبيعتها بعد • وهكذا يتبين لنا قيمة العسل كغذاء وكدواء •

ويتبين لنا أن العسل باستعماله منفردا أو مع غيره من العناصر أو المواد يمكن أن يكون دواء شافيا لكثير من الأمراض التى تصيب الانسان •

لقد استخدمته مع فوق أكسيد الايدروجين (بوريا بيروكسيد) كدهان لعلاج سرطان الجلد فى المرحلة الأولى وكانت النتائج مدهشة •

ولقد قمت بالقاء محاضرة فى هذا الموضوع فى ندوة دولية لعلاج سرطان الرحم والمثانة فى مارس ١٩٧٩ بمعهد التغذية بالقاهرة بينت فيها أسباب التحول السرطانى للخلايا وعلى أساس هذه الفكرة استخدم العسل والأكسيجين فى العلاج • وفى هذه الطريقة لا نرمى الى قتل الخلايا السرطانية وانما أعادتها الى حالتها الطبيعية بامدادها بما يلزمها من الغذاء (الفركتوز) والأكسيجين •

هذا بخصوص العسل وهو أحد وسائل العلاج الثلاثة التى قال عنها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم •

أما بخصوص الحجامة فمعروف منها نوعان: الحجامة الجافة والحجامة الرطبة •

وقد كانت معروفة ومنتشرة فى مصر الى عهد قريب وتعرف « بكاسات الهواء » وكانت تستعمل فى علاج الالتهابات والآلام الروماتزمية وكانت هناك أجهزة صغيرة للقيام بعمل التشريط فى حالات الحجامة الرطبة فى أقل من ثانية وبدون ألم يذكر •

وللحجامة أساس علمى معروف وهو أن الأحشاء الداخلية تشترك مع أجزاء معينة من جلد الانسان فى مكان دخول الأعصاب المغذية لها فى النخاع الشوكى أو النخاع المستطيل أو قنطرة فارول أو فى المخ المتوسط •

وبمقتضى هذا الاشتراك فان أى تنبيه للجلد فى منطقة ما من الجسم يؤثر على الأحشاء الداخلية المقابلة لهذا الجزء من الجلد •

وهى نفس النظرية التى على أساسها تستخدم الابر الصينية فى علاج الأمراض وتخفيف الآلام • ولقد شاهدت بنفسى تجربة على استعمال الابر الصينية فى علاج المغص الكلوى وألم البطن أثناء نزول العادة عند بعض البنات والسيدات وكانت النتيجة زوال الألم فى دقائق معدودة وبدون اعطاء أى دواء أو حقن •

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحتجم وقال « خير ماتداويتم به الحجامة » : فى الصحيحين والنسائى وأحمد .

وقال ابن عباس قال نبى الله صلى الله عليه وسلم حيث عرج به – مامر على ملأ من الملائكة الا قالوا عليك بالحجامة .

وقال صلى الله عليه وسلم ان خير ماتداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشى .

والحجامة الرطبة تنقى سطح البدن لأنها تستخرج الدم من نواحى الجلد بينما الفصد ينقى أعماق البدن . والفصد هو قطع أحد الأوردة وترك الدم يسيل منه بقدر معلوم لا يتسبب عنه أذى للجسم . والفصد فى الأوردة المختلفة يفيد كل منها فى أمراض خاصة كما أن الحجامة فى أمكنة خاصة تفيد فى أمراض معينة .

والحجامة الجافة والرطبة وسيلة من وسائل علاج الألم قائمة على القاعدة التى يطبقها كل منا تلقائيا عندما يشعر بألم (أكلان) فى أى جزء من جلده فانه يقوم بتدليك (هرش) المكان فلا يشعر بالألم بعد ذلك وتعليل ذلك يقوم على النظرية العلمية للعالم الفسيولوجى بافلوف والتى تسمى التثبيط الواقى للجهاز العصبى . فعندما يصل تنبيه الى المخ عن طريق الأعصاب فان المخ يترجم هذا التنبيه حسب مصدره ونوعه أى يحدد نوع التنبيه ألما كان أو حرارة أو برودة أو لمسا ولكن اذا وصل عدد التنبيهات التى تصل الى المخ فى وقت واحد عددا كبيرا فان المخ لايستطيع التمييز عندئذ ويتوقف عن العمل فيلغى الشعور من المنطقة التى زاد فيها عدد التنبيهات وفى حالة الحجامة تخرج التنبيهات من نهايات الأعصاب فى المنطقة المحتجمة بأعداد كبيرة فيقوم المخ بالغاء الشعور من المنطقة ويزول الألم .

وهى نفس النظرية التى يقوم عليها التخدير بالابر الصينية مع الفارق أن فى الابر الصينية يكون التنبيه عند نهاية عصبية واحدة ولكن عدد التنبيهات تزيد عن المائة والعشرين فى الثانية وذلك يتم اما بهز الابرة يدويا أو بايصال الابرة بجهاز كهربائى يعمل بتيار متقطع بذبذبة – تصل الى ١٢٠ فى الثانية وعندها يقوم المخ بوقف الاحساس فى المنطقة التى تخرج منها التنبيهات من الجلد ومن العضو الداخلى الذى يشترك مع هذه المنطقة من الجلد فى مكان الدخول للأعصاب فى الجهاز العصبى المركزى .

الكى نوعان : -

١ – كى طبى .

٢ – كى جراحى .

والكى الطبى يقوم تقريبا بنفس عمل الحجامة أو الابر الصينية . ولقد شاهدت

بنفسى تجربتين احداهما فى علاج حالة التهاب رئوى بالكى بين الأضـــــلاع من الخلف . والأخرى حالة اسهال ومغص (دوسنتاريا) فشل العلاج بالأدوية فى وقفه . وفى هـــذه الحالة تم الكى على الكعبين وكانت النتيجة فى كلتا الحالتين اختفاء الأعراض المرضية فـورا بصورة كانت بالنسبة لى كأنها السحر .

أما الكى الجراحى فقـد تفنن فيه الأطباء الجراحون العرب أمثال أبو القاسم الزهراوى الذى صنف فيه أبوابا فى كتابه عن الجـراحة تستحق الدراسة والتجربة .

وأخيرا وليس آخـــرا فان هناك توجيهات علاجية أوصى بها رسولنا صلى الله عليه وسلم فى علاج حالات مرضية مختلفة ودراستها تفتح انا أبوابا من المعرفة تضـاف الى المعرفة التى أمرنا الله عز وجـل باكتسابها من تنفيـذنا لقول الله تعالى (**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**) (الذاريات ٢١) .

وبعد اكتسابنا لهذه المعارف فان هناك أمرا آخر أمرنا الله عز وجل بالقيام به وهو قوله تعـالى : (**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**) (النحل ١٢٥) .

أليس الطب فرعان من فروع الحكمة ، ولقد وعى أهل الكتاب هذا الأمر فقاموا بنشر دينهم عن طريق انشاء المستوصـفات والمستشفيات لتخفيف آلام الناس والاحســـان اليهم بعلاجهم . والنفس البشرية جبلت على حب من أحسن اليها . ومن أحب انسانا أطاعه فاذا عالجه ثم دعاه بالموعظة الحسنة الى الدخول فى دينه فانه يستجيب له .

ودعوتنا الى الطب الاسلامى لاتعنى وقـف العلاج بالطرق المتبعة حاليا ولكننا ندعو الى اجراء البحوث وعمل مقارنة بين أســـلوبى العلاج لاتباع الأمثل (والله يهدى للحـــق ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم) وربما كان الأمثل هو المزج بينهما .

الطب الإسلامى

الخلاصة من هذا البحث :

لقد صدق فينا قول رسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه وراءهم » ٠

لقد آن الأوان أن نعود الى ديننا الى كتاب ربنا والى تعاليم وتوجيهات رسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ ٠

قال تعالى : (مَافَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ) (الانعام ٣٨) ٠

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « لقد تركت فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى » ٠

وأرى أن الازهر الشريف وقد مضى ألف عام على انشائه ٠ وفى فرصة احتفالنا بعيده الألفى أن تقوم كلية الطب بجامعة الأزهر بانشاء قسم للطب الاسلامى بجميع فروعه ويقوم على جمع المعلومات النظرية والعملية وعمل الدراسات العلمية والتطبيقية ويشرف على هذا القسم مع الأطباء أساتذة من الكليات الاسلامية الدينية : أصول الدين والشريعة والدعوة يقوم كل منهم بالاسهام فى قيام هذا الركن من أركان الحياة الاسلامية والذى طال انتظار المسلمين له ٠ والذى يحارب أعداء الدين فى ظهوره ولكن الله متم نوره ولو كره المشركون ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠٠

أ ٠ د ٠ على محمد مطاوع

عميد طب الأزهر سابقا

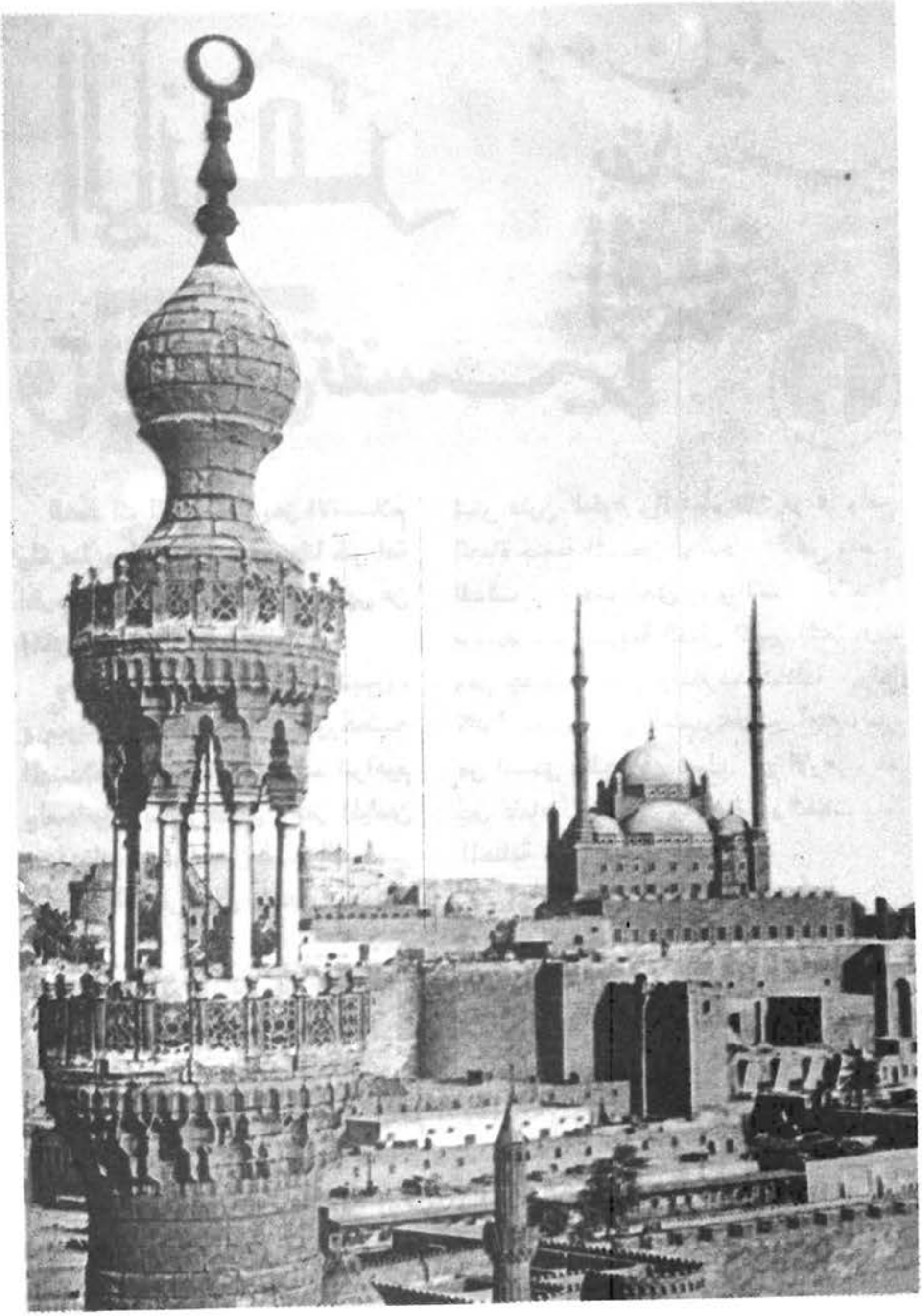

الأزهر وعنايته بقدسية القرآن وتيسير تفسيره

الحمد لله الذى أعزنا بعز الاسلام وأكرمنا بهداية القرآن ، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس ، نأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ونؤمن بالله •

والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، ورسوله الى الناس أجمعين ، ورحمته المهداة الى العالمين ، حفيد ابراهيم واسماعيل وسليل عدنان والغر الميامين من أحفاده ، محمد بن عبد الله خير الأطهار والأبرار وعلى آله وأصحابه وأتباعه •

وبعد ففى هذا المؤتمر التاريخى العتيد ، يجتمع الصفوة البررة من علماء المسلمين فى أرض الله — للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر المعمور وما من أحد من السادة المشتركين فى هذه الندوة الحافلة ، الا لديه شعور قوى بأنه وثيق الصلة بالأزهر ، اما بطلب العلم فى كلياته ومعاهده ، أو بالتلمذة على أساتذته المنبثين فى شتى الجامعات الاسلامية أو على ما ألفه قدامى علمائه والمعاصرون منهم فى شتى فنون العلوم والمعارف فالأزهر فى واقع الحياة جامعة المسلمين فى أنحاء الأرض وهو السلسبيل العذب الذى روى الظماء ولا يزال يرويهم ، من شريعة الديان الكبير المتعال ، ومن جداول الفنون والمعارف المختلفة ، واذا كانوا يقولون : ان العلم رحم بين أهله ، فان من الصدق والحق أن نقول : أن الأزهر رحم بين علماء المسلمين ومثقفيهم والطبقات المختلفة من شعوبهم أجمعين •

الأزهر والتفسير الوسيط

وبعد فنقول : اذا كان الأزهر فى الأمة الاسلامية بهذه المثابة فمن حق المسلمين على علمائه أن يقدموا لهم من العلوم مايزكو به الايمان ويدفع عن الاسلام زيف المزيفين ، وحملات الحاقدين ، وأن يطهر الكتب الدينية من الاسرائيليات الدخيلة عليها ، والآراء الهابطة التى تسربت اليها ، وبخاصة تفسير كتاب الله الذى لا يعوج فيقوم ، ولا يذيغ فيستعتب ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد — كما قاله الرسول المعصوم

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

القى البحث صباح الاثنين ١٣ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣/٣/٢٨ م .

صلى الله عليه وسلم ــ بل هو كما قال الحق تبارك وتعالى « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » .

ولقد رأى مجمع البحوث الاسلامية ، أن التفاسير القرآنية على اختلاف الأحقاب والدهور ، أقحم عليها كثير من الاسرائيليات والآراء الهابطة ، التى لا تليق بمعجزة القرآن الخالدة ، ودستوره التليد العتيد الباقى ما بقى الزمان ، ووجد أن تطهيرها جميعا مما أقحم عليها يكاد يتعذر لكثرة التفاسير التى ألفت فى القرآن كله أو بعضه أو اتساع مداها ، وتعذر جمع عدد كبير من ثقات العلماء القادرين على تمييز الغث من السمين والضعيف من القوى ، والاسرائيلى من المروى ، لتفرقهم فى الجامعات الاسلامية ، ولاحتياج هذا العمل الى فترة طويلة ، وميزانية مالية ضخمة وكل ذلك لا يتيسر تحقيقه ، فاذا تصفحتم الجزء الأول من فهرس دار الكتب ، وجدتم كتب التفسير فيه تبدأ من الصحيفة رقم ١٢١ وتنتهى برقم ٢٢٣ أى أن أسماء كتب التفسير فيها تشغل أكثر من مائة صفحة ، وتبلغ مئات من الموسوعات وسواها ، مما لا يحصى فما ظنك بما يوجد فى مكتبات الأقطار الاسلامية ، وما منها الا فيه من الاسرائيليات والآراء الواهنة مما لا يليق بكتاب الله ، ولا يتفق مع واقع الحياة ، ولا تستسيغه العقول ولا يناسب تطور الزمن .

فلهذا وجد الأزهر أن أفضل علاج سريع لحسم هذه المشكلة التى تؤرق العيون وتؤلم القلوب ، أن يخرج للمسلمين

تفسيرا نقيا من الاسرائيليات ، دقيقا فى شرح الآيات ، سهل العبارة ، جيد الأسلوب محببا الى القلوب ، بعيدا عن التعقيدات الفنية ، حتى يستطيع كل مسلم كيفما كانت ثقافته ، أن ينتفع بكتاب الله تعالى فى عقيدته وأخلاقه بيسر ومتابعة دون كلالة أو ملالة .

وقد ندب مجمع البحوث طائفة من علماء الأزهر ، وعهد الى كل اثنين منهم تفسير حزب من أحزابه ، ثم اختار عددا من خبراء التفسير الثقات ، وعهد اليهم تنسيق ما كتبه المفسرون وتحقيقه .

وقد انتهت لجنة الخبراء من مراجعة أربعة وثلاثين حزبا وتنسيقها ، فى أسلوب جزل ، واخراج علمى دقيق متناسب ، بحيث يتابع القارىء الاستفادة منه فى شوق ودون ملل ،

الأزهــــر

وعنايته بقدسـية القـرآن .. وتيسـير تفسـيره ..

وقد طبع المجمع منها واحدا وثلاثين حـزبا حتى الان ، على ورق جيد وبصورة مشـوقة وبكميات وفيرة لتوزيعها على العالم الاسلامى وقد ورد الى مجمع البحوث الاسـلامية رسائل من شتى البلاد الاسلامية ، تثنى على هذه الخطوة المباركة فى تفسـير كتـاب الله تعالى ، وتنـزيهه عن أباطيـل الاسرائيليات ومنكرات الآراء ، وتيسير فهمه على الوجـه السديد لجميع الثقافات .

*** نمـادج من التفاسير الهابطة ***

وقـد رأينـا أن نذكـر لكم نمـاذج من الاسرائيليات والآراء الهزيلة التـى تورطت فيها كتب التفسير ، ومما كتبناه فى التفسـير الوسيط ، ليتضح لكم المنهج السديد الـذى سلكناه ، فاليكم مايلى :

١ ــ يقـول الله تعالى فى شـأن اليهود

« وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ..» الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

وقد كتب فيها القرطبى خمس عشرة صفحة ٤٣٢ ــ ٤٤٦ فكيف يستطيع القارىء استيعاب هذه الصفحات الكثيرة فى شرح آية واحـدة وفيها الكثير مما يصعب فهمه أو تصـديقه ، وكيف يخرج منها بفهم مستقيم للآية ؟

ومما ذكره القرطبى ما نقله عن على وابن مسـعود وابن عبـاس وابن عمـرو وكعب الأحبار ، والسدى والكلبى ، وخلاصته أنه لما كثر الفساد من أولاد آدم فى زمن ادريس عليه السـلام عيرتهم الملائكـة ، فقـال الله تعـالى او كنتم مكـانهم ، وركبت فيكم ما ركبت فيهم لعملتم مثـل أعمالهم ، فقـالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا ذلك ، قـال الله : فاختاروا ملكين من خياركم ، فاختاروا هاروت وماروت ، فأنزلهما الى الأرض فركب منهمـا الشهوة ، فما مر بهما شهر حتى فتنـا بامرأة اسمها (ناهيل) اختصمت اليهما وراودهـا عن نفسها ، فأبت ألا أن يدخـلا فى دينهـا ويشربا الخمر ، فأجاباها وشربا الخمر وألما بها ، فرآهما رجل فقتـلاه ، وسـألتهما عن الاسم الذى يصعدان به الى السماء ، فعلماها ايـاه ، فتكلمت بـه ، فعرجت الى السـماء فمسخت كوكبا ــ فانظروا الى تلك المسـاحر تروى فى تفسير كتاب الله .

وفى رواية أخرى أن الله خـير هـاروت وماروت بعد ما فعلوه من المخازى ــ خيرهما ــ بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختـارا عذاب الدنيا ، فهما يعذبان فى بابل فى سرب من الأرض هناك ، كذا قال الوضاعون فض الله أفواههم .

وأفحش من ذلك أن يروى ابن كثـير عن الامام أحمد بسنده عن ابن عمر أنه سـمع

نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان آدم لما أهبطه الله الى الأرض ، قالت الملائكة أى رب « **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَالاَ تَعْلَمُونَ** » قالوا ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم ، قال الله تعالى للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة حتى تهبطهما الى الأرض فننظر كيف يعملان ، قالوا ياربنا : هاروت وماروت ، فأهبطا الى الأرض ، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر ، فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الشرك ، فقالا لا والله لا نشرك بالله شيئا أبدا ، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبى تحمله فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى تقتلا هذا الصبى ، فقالا : لا والله لا نقتله أبدا ، فذهبت ثم رجعت بقدح من الخمر تحمله فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى تشربا هذه الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبى ، فلما أفاقا قالت المرأة : والله ماتركتماشيئا أبيتماه على الا فعلتماه حين سكرتما ، فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا) وهكذا رواه أبو حاتم ابن حبان فى صحيحه ، وعقب عليه ابن كثير بقوله : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيح الا موسى بن جبير ، يعنى أن ضعف الحديث جاء من جهة موسى بن جبير هذا .

والواقع أن أسباب ضعفه بل وضعه كثيرة : منها أنه يخالف نص القرآن .

فان الله أخبر فى القرآن أنه قال للملائكة قبل خلق آدم : « **إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَالاَ تَعْلَمُونَ** » أى أن الملائكة قالوا لربهم (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا**) قبل أن يخلق آدم ، وذلك حين أخبرهم بأنه سيخلقه ويجعله خليفة فى الأرض ، يريدون بسؤالهم هذا معرفة الحكمة فى جعله وذريته خلفاء فى الأرض وهم بهذه الحالة من الافساد المنتظر منهم ، فرد الله عليهم بقوله « **إِنِّى أَعْلَمُ مَالاَ تَعْلَمُونَ** » لكن هذا الحديث جعل سؤال الملائكة لربهم بعد اهباط آدم الى الأرض وهو مخالف لنص القرآن ، كما أن الملائكة لما عجزوا عن الاخبار بأسماء المسميات التى علمها الله لآدم ، ثم أخبرهم بها آدم بأمر من ربه اقتنعوا بأهليته للخلافة فى الأرض ، فعظموه وسجدوا بأمر ربهم، وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة البقرة « **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ . وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** » .

واذا كان أمر الملائكة من آدم على هذا الحد من الاجلال والاقتناع الى درجة

الأزهـــر وعنايتــه بقدسـيـة القرآن

وتـيسـير تفسـيره ..

السجود تعظيما ، فكيف يعودون الى سؤال ربهم بعد اهباطه الى الأرض قائلين مرة أخرى (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** ..) الآية كما جاء فى هذه الرواية المزورة التى أسندت الى الامام أحمد .

ومن العجيب أن تتورط كتب التفسير فى هذه الأكذوبة الحقيرة على ملائكة الله الذين (**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**) ثم انظروا معى كيف استساغوا أن يتحول كوكب الزهرة الى امرأة تنزل الى الأرض وتترك مدارها بين المجموعة الشمسية فى فترة الاختبار التى زعموها، وفيه من الخطورة الكونية ومخالفة الحكمة الالهية ما فيه ، فأى حاجة لتحويل كوكب الى امرأة ، والنساء الجميلات كثيرات فى الارض — ان صحت أكذوبتهم فى هاروت وماروت — وحاشا أن تصح ثم انظر معى كيف استساغوا أيضا هذا التناقض الذى حدث بين الرواية الأولى التى تقول : ان امتحان هاروت وماروت كان بامرأة من الانس تسمى ناهيل ، ضحكت عليهما حتى فعلا المنكر معها وامتثلا أمرها فى الشرك والقتل وشرب الخمر ، وسرقت منهما الاسم الذى يصعدان به الى السماء ، فلما تكلمت به عرجت الى السماء وتحولت الى كوكب الزهرة ، أى أن الزهرة لم تكن موجودة ثم وجدت — كيف استساغوا هذا مع الرواية الأخرى التى تحكى العكس ، وهو أن الزهرة كانت موجودة ثم تحولت الى امرأة لاختبار الملكين .

وهذا ابن كثير المعروف بالتحرى والدقة ، لقد شغل قراءه بست صفحات حكى فيها مهازل تلك الروايات معزوة زورا الى عدد من الصحابة وتابعيهم ، ومصدر البلاء فيما عزى اليهم راجع الى كعب الأحبار الذى كان يهوديا وأسلم ، وقص على الناس هذه القصة الاسرائيلية ، ثم دست على المسلمين فى تفسير كتاب الله .

يقول ابن كثير ما خلاصته بعد عزوه رواية ابن عمر الى كعب الأحبار — يقول : قصها خلق كثير من المفسرين القدامى والمتأخرين ، وحاصلها راجع فى تفصيلها الى اخبار بنى اسرائيل وليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد الى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن اجمال القصة من غير بسط ولا اطناب ، فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ما أورده الله تعالى ، والله أعلم بحقيقته .

ألا ترون معى أن هذا الاسفاف الساقط ما كان يصح ذكره فى تفسير كتاب الله تعالى وان عقبوا عليه بالضعف ، فان أعداء الاسلام يستخدمون أمثال هذه الأكاذيب فى الطعن على دين الله الذى بعث رسوله ليظهره على الدين كله .

لهذا رفضنا ذكر ذلك وأمثاله فى التفسير الوسيط ، وفسرنا الآية تفسيرا مستفيضا لأهمية الموضوع ، وانى أقطف منه ما يتصل

بموضوع الملكين مرتبطا بصدر الآية ، وأترك ما وراءه لمن أراد الاستزادة ، فاليكم بعض ما كتبنا •

« وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ••• » الآية •

أخبر الله سبحانه فى الآية السابقة أن اليهود الذين أوتوا التوراة ، لما جاءهم رسول من عند الله ، نبذوا كتاب الله الذى جاءهم به وهو القرآن مع أنه مصدق لما معهم من التوراة ، واشتغلوا بالسحر الذى كان عليه آباؤهم من قبل ، واستمروا على اتباع كتبه التى ورثوها عنهم ، وكانت الشياطين على عهد سليمان ، تتلوها على كهان اليهود ، وتعلمهم قواعد السحر ، وتخبرهم كذبا أن ملك سليمان وسلطانه على الانس والجن والطير والريح ، لم يقم الا على تلك القواعد ، فكانوا يدونونها عن الجن فى كتب لديهم توارثها الخلف عن السلف ، حتى وصلت الى يهود المدينة ، فكانوا يشتغلون بها قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، ولما بعث رفضوا كتاب الله الذى جاءهم به ، وفضلوا عليه الاستمرار فى مزاولة السحر الذى قامت الديانة الموسوية على ابطاله والقضاء عليه فى يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ، فقد ألقى السحرة حبالهم وعصيهم فى هذا المهرجان ، وخيل الى موسى من سحرهم أنها تسعى « فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى. قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى • وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى • فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ » •

ولما كان السحر يؤدى الى الكفر ، وكان اتهام الشياطين لسليمان بمزاولته يشينه ، نفاه الله عنه بقوله « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ » فكذبهم الله بهذا ، ونزه سليمان عن السحر الذى نسبه اليه الشياطين ، وتبعهم فى ذلك اليهود الذين اعتادوا تلويث الأنبياء ، كما نلمسه فى أسفار العهد القديم •

وللعلماء فى حكم تعلم السحر والشعوذة ومزاولتهما كلام طويل هام ، وقد ذكرنا بعضه فى التفسير الوسيط ، والمقام لا يسمح ببسط الحديث عن ذلك ، فليرجع الى ما كتبناه أو الى المطولات •

وكما اتبع اليهود فى مزاولتهم السحر ما زعمته الشياطين فى شأن ملك سليمان من قيامه على السحر الذى لقنوه كهانهم فأضلوهم عن سواء السبيل ، اتبعوا أيضا ما أنزل على الملكين هاروت وماروت ببابل ، وبابل احدى مدن العراق ، كان يسكنها الصابئة الذين يعبدون الكواكب ، وكانت فيهم طائفة يزاولون السحر ، ويدعون الناس الى الكفر بتقديس الكواكب والشياطين زاعمين لها سلطانا على أهل الأرض ، وكانوا يسيطرون عليهم بالسحر ليحملوهم على عبادتها •

الأزهـــر
وعنايته بقدسية القرآن .. وتيسير تفسيره ..

ومن رحمة الله تعالى أنه جعل من نواميسه أن لا يذر الشر يسيطر على عباده ، فلهذا سخر رجلين صـالحين من البشر اسـمهما هاروت وماروت لتحـذير الناس ، فكانا لصـلاحهما يشـبهان الملائكة ، فلهـذا أطلق عليهمـا لفظ الملكين ، أو هو من الألوكة وهى الرفعة .

ولما كان لكل شيء آفة من جنسه ، فلذا ألقى الله فى قلبيهما علم السـحر ، فكانا يعلمـان الناس السحر لكى يتخلصـوا بمعرفتـه من سحرة الصـابئة ويتقوا شرورهم ويفلتوا من التبعية لعقـائدهم ، وكانا يمزجـان التعليم بالتحذير ، فيقولان لمن يعلمانه : انمـا نحن فتنة — أى امتحان — من الله تعالى لعباده ، لينظر أينتفعون بسحرنا فى اتقاء الشر وجلب الخير ، أم يسـيئون اسـتخدامه فى الاضرار بالناس وافساد العقائد ، فهو سلاح ذو حدين ، فكما ينفع يضر ويفسد العقيدة ، وفى مثل هذا الابتـلاء يقول الله تعـالى « **وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَـةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُـونَ** » ويحكى الله تحذير الملكين للناس بقـوله سـبحانه « **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَـةٌ فَلاَ تَكْفُرْ** » أى فلا تكفر بما يخالف شروط الايمان من قول أو عمل أو اعتقاد .

والمقصود من انزال السـحر عـلى هذين الرجلين المشبهين للملائكة لصلاحهما القاؤه فى قلبيهما وتعليمهما اياه ، فكل العلوم والمعارف تهتدى اليها القلوب ، وتهبط اليها من عند الله بالهامه اياها ، وقيل انهما ملكان حقيقة ، وان السحرة كثروا فى ذلك العهد ، واخترعوا فنونا غريبة من السحر ، يموهون بها على الناس ، وربما زعموا أنهم أنبياء ، فبعث اللـه هذين الملكين ، ليعلما الناس السحر حتى يميزوا بينه وبين المعجزة ، فيحذروا الكذابين ولا يخدعوا بسحرهم .

ولكن ما قلناه من أن هاروت وماروت رجلان يشبهان الملائكة بصلاحهما هـو الرأى الحق ، وتؤيده قراءة (الملكين) بكسر اللام كما أنـه ليس من سنة الله أن يبعث الملائكة لتحـذير الناس ، بل سنته أن يبعثهم من البشر ، ولهذا لما طلبت قريش من الله أن يكون رسوله اليهم من الملائكة رد عليهم بقوله « **وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ** » .

وقـد ذكر الله بعض ما كان الملكان يعلمانه لأهل بابل من السحر ويحـذرانهم منـه فقال « **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَـا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَـرْءِ وَزَوْجِهِ** » واختص الله هـذا النوع بالذكر ، لأنه من الصور التى تظهر منها مفسدة السحر بأشـد ما يكون ، فلهـذا آثر ابرازها ، ليعلم الناس منها مدى ما يصـل اليـه السحر من الاضرار بالمجتمع ، فان افساد الأسرة افساد للمجتمع ، لما فيه من تشريد الأولاد الذين هم أساسه ، ثم بين الله أن السحر ليس ضـارا بذاته ، بل بمشـيئة الله تعـالى من باب ربط المسببات بأسبابها .

ثم بين خطأ اليهود فى حرصهم على تعلم السحر والعمل به مع سوء عاقبته فقال « **وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ** » لأنهم يقصدون به الاضرار بالناس فى سبيل مآربهم الخبيثة وان ساءت عاقبتهم ، ولهذا كشف الله سوء نياتهم وشؤم عاقبتهم ، وعدم اكتراثهم بما يعلمون من حرمته وسوء مآله بقوله « **وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** » أى ولقد علم اليهود الذين نبذوا كتاب الله واتبعوا السحر ، أن من استبدل السحر بكتاب الله وآثره على شرعه ، ليس له حظ من الجنة ، ولا أى نصيب من الخير يوم القيامة ، اذ ليس له ايمان ولا عمل صالح يكافأ عليه « **وَلَبِئْسَ مَاشَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** » شروا هنا بمعنى : باعوا ، كما فى قوله تعالى « **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ** » أى وباعوا يوسف بدراهم قليلة .

والمعنى : ولبئس هذا الذى باعوا به حظ أنفسهم من الخير وهو تعلم السحر والعمل به ، ولو كان عندهم علم وعقل لأدركوا أن هذا السحر ضار مفسد للنفس والعقل وللناس ، فكيف آثروه على الايمان ؟

وبعد : فهانحن أولاء قد جئناكم بخلاصة ما كتبناه عن قصة هاروت وماروت ، وليس فيها شىء من الاسفاف الذى ألحقته الأساطير الاسرائيلية بقصتهما ، ونقلتها كتب التفسير القديمة عن تلك الأساطير ، ومع أنهم عقبوا عليها بتنزيه ساحة الملائكة عما جاء بها من الاسفاف ، لأنهم أمناء الله على وحيه ، وسفراؤه لرسله ، ولكنه من الخطأ البين الاهتمام بها الى درجة ذكرها فى كتب التفسير ، وشغل القارىء بها ، وتحريض أعداء الاسلام على اتهام الاسلام بقيامه على تلك الأساطير .

* الأرضون السبع *

ومن أمثلة التفسير بالروايات الحقيرة ، ما قيل فى تفسير قوله تعالى « **اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** » من آخر سورة الطلاق : الأرضون سبع ، وبين كل أرض والتى تليها خمسمائة عام ، والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه فى السماء ، والحوت على صخرة ، والصخرة بيد ملك ، والثانية مسجن الريح ، والثالثة فيها حجارة جهنم ، والرابعة فيها كبريت ، والخامسة فيها حيات ، والسادسة فيها عقارب والسابعة فيها سقر ، وفيها ابليس مصفد بالحديد ، يد أمامه ويد خلفه يطلقه الله تعالى لمن يشاء .

وعنايته بقدسية القرآن .. وتيسير تفسيره ..

ومن عجب ان يروى هذا الهراء الحاكم عن ابن عمر مرفوعا ، وفيه يقول الذهبى : حديث منكر لا يعول عليه أصلا — يعنى أنه موضوع ، فكيف يوضع فى تفسير آية هامة من القرآن ، وعندما نصل اليها فى التفسير الوسيط — ان شاء الله — سيكون لنا فيها تأويل هام بتوفيق الله رب العالمين •

*** الجرأة على التفسير ممن لا يعلمون ***

من الأمور المسلمة عقلا أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، وأن من لا علم له بأصول الحكم فى قضية ولا تصور عنده لجزئياتها ، فانه لا يستطيع الحكم فيها ، وأن الذى يمارس فنا ، لا يصلح لابداء الرأى فى فن آخر لاعلم له به ، فلا يصح لمهندس فى المبانى ، أن يمارس مهنة الطبيب الجراح ، والا قتل المريض ، كما لا يصح لطبيب أن يمارس هندسة المبانى ، والا انهارت المبانى التى أقحم نفسه فيها •

ومن هذا المنطلق لا يصح عقلا ولا شرعا أن يمارس تفسير كتاب الله من لا علم له بأصول التفسير وقواعده وأحكامه وارتباط آياته المطلقة بآياته المقيدة ، وبسنة رسول الله الذى أنزل الله اليه الذكر ليبين للناس ما نزل اليهم ، وبقواعد اللغة وفقهها ، وبأصول الفقه، على أن من علم كل ذلك لابد له من أن يطلع على ما كتبه علماؤنا المتخصصون ، وأن يتتلمذ على كتبهم ، ويتعرف آراءهم ويستفيد منهم قبل أن يطلع على الناس بآراء فاسدة •

فمثلا يقول الله تعالى فى سورة البقرة «**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**» فيخرج علينا بعض الكتاب بمقال فى صحيفة الأخبار ويزعم أن الآية يستفاد منها أن من آمن بالله وعمل صالحا يدخل الجنة وان لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولا شك أن هذا الحاد فى دين الله ، فلو كان ايمان اليهود والنصارى والصابئين بالله يكفى فى نجاتهم مع كفرهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، لما بعث النبى الى هرقل عظيم الروم يدعوه الى الاسلام الذى جاءت به الرسالة المحمدية فيقول له (بسم الله الرحمن الرحيم • من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، وان توليت فان عليك اثم الأريسيين ، و(**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**) فأنت ترى من النص الشريف أنه

قال تعالى

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون

صلى الله عليه وسلم لم يسلم على هرقل ، بل سلم على من اتبع الهدى ، ولو كان هرقل على الهدى ، لقال له السلام عليكم كما دعاه الى الاسلام ، لأن ما عليه هرقل ليس هو الاسلام الذى شرعه الله ، كما أنه ليس ايمانا بالله لما يشوبه من اعتقاد الولدية والشركة الثلاثية، والكفر برسوله الذى جاء بالاسلام ولهذا ختم الرسول كتابه اليه ، بأنه ان تولى وأعرض عن الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فليشهد هو ومن معه أن النبى صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه ، هم المسلمون دونهم ، فاقرأ هذا الحديث فى البخارى كتاب بدء الوحى ، ففيه فصل الخطاب وشفاء القلوب .

ولو كان ايمان هذه الطوائف بالله وباليوم الآخر معتبرا عند الله ومنجيا ، لكان نظم الآية هكذا « **ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » لكنه تعالى لم يعتبرهم مؤمنين فلهذا دعاهم الى الايمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات واشترطه لنجاتهم بقوله « **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ** » الآية أى من آمن من هذه الطوائف غير المؤمنة وعمل صالحا فلا خوف عليهم ... الخ(1) .

والواقع أن الآية الكريمة اختصت المسلمين بوصف الايمان فى صدرها ، ودعت الطوائف الثلاث الذين بعدهم الى الايمان ليحصلوا على الأجر ، ويأمنوا من الخوف والحزن .

ومن دواعى الأسف أن يعتبر الكاتب كل من يؤمن بالله ناجيا ، مهما شاب ايمانه من شرك ولو كان الأمر كما زعم ، لوجب الحكم بأن عباد الأصنام ناجون ، لأنهم يؤمنون بالله « **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** » العنكبوت (٦١) ، ومثلهم الصابئون فهم يؤلهون الكواكب مع ايمانهم بالله .

ألا فليعلم كل من ضل فى فهم هذه الآية أنه ملحد لابد له أن يتوب ، ألم يقرأ قوله تعالى : « **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا. أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا** » ، وقوله سبحانه حكاية

(1) أى فلا خوف عليهم مما مضى من كفرهم ، ولا هم يحزنون على فوت ثواب لهم .

وعنايته بقدسية القرآن .. وتيسير تفسيره ..

لدعاء موسى ربه من أجل قومه ، وما رد به تعالى اذ يقول : « وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ • الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » الأعراف : ١٥٦ — ١٥٧ •

ألم يقرأ قوله تعالى « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » الأعراف (١٥٨) ، وقوله سبحانه « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ » •

ان المطلوب منا أن لا نكره أحدا على دين الاسلام ، وأن نسالم من يسالمنا منهم ، وأن ندعهم لعقائدهم ولكن لا يصح أن نصل فى مجاملة أهل الأديان الى قلب الحقائق فى النصوص القرآنية أو النبوية ، فذلك هو الخطر الأكبر الذى تعرضنا لدرء أمثاله فى الصحف العامة والكتب المؤلفة ، ولا نزال له بالمرصاد بمشيئة الله رب العالمين ، ونحيلكم على ما كتبناه فى التفسير الوسيط على هذه الآية فى سورتى البقرة والمائدة •

نعيم الجنة وعذاب النار
كما يراها بعض المغامرين

وقد حاول أديب معاصر أن يظهر جلال القرآن وجماله وفضله على البشرية كما يقول فاختار أمورا كان القرآن صريحا فيها ، وحمل فيها النص على غير ظاهره ، وخالف بذلك اجماع المسلمين سلفا وخلفا ، ومن ذلك قوله(١) فى تفسير « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ » حيث يقول : ان ما جاء فى الآية من

---

(١) أى فى ص ٦٥ ص كتابه •

أنهار العسل والخمر فى الجنة ، كان سببا فى انصرافه عن الدين فى أول أمره ، وبعد أن هداه الله السبيل انقدح فى نفسه أنها ضرب مثل على سبيل التقريب ، وليست ايراد أوصاف حرفية ، فهذا مستحيل — كذا يقول — ويعقبه بقوله : كما تصور اللذة الجنسية لطفل لا يعرفها بأنها شىء مثل السكر ، وذلك التمثيل لتقريب نعيمها للبدوى الذى أعز أمانيه الماء العذب والخمر والعسل واللبن — ثم قال — **« إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا »** •

وهذا الكلام واضح الخطأ ، اذ لو أريد التمثيل لقيل مثل الجنة كمثل كذا ، على حد قوله تعالى **« مثلهم كمثل الذى استوقد نارا »** فقد شبه حالهم بحال الذى استوقد نارا ، فذكر المشبه والمشبه به ، وكقول المؤلف (اللذة الجنسية مثل السكر) ففيه المشبه وهو اللذة ، والمشبه به وهو السكر — وان كنت أرى هذا التمثيل ممجوجا — أما الآية (مثل الجنة) فانها لم يذكر فيها الممثل به ، فالحق أن المثل فيها بمعنى الصفة ، أى صفة الجنة وحالها أنها فيها أنهار من ماء غير آسن •• الخ ، فكما يستعمل المثل بمعنى الشبه ، يستعمل أيضا بمعنى الصفة والحال ، وأى مانع من النعيم المادى الى جانب النعيم الروحى أليست الخلائق تبعث بأجسادها وأرواحها ، ولماذا يمنع المؤلف تناول هذه المطعومات بالجنة ويقول باستحالتها فيها فى حين أنه يقرر فى كتابه أن آدم باشر حواء فى الجنة مباشرة جنسية — كما زعم — لأن الشجرة التى أكلا منها أطلقت فيهما الشهوة الجنسية كما ادعى، فأى الأمرين أقوم قيلا ، أن يضاجع آدم حواء دون دليل ، أو أن يشرب المنعم فى الجنة من هذه الأنهار وهى منصوصة فى كتاب الله ؟•

وأعجب العجب أن ينسى المؤلف هذا الذى قاله ويعترف بنقيضه فيقول فى ص ٧٣ (ويروى القرآن عن أهل الجنة أنهم يتذاكرون وهم يأكلون فاكهة الجنة : فيقولون : انهم رزقوا من أنواع هذه الفاكهة وهم فى الدنيا مع الفارق فى الجودة) هكذا قال ، ثم أتبعه فى ص ٧٤ ما هو أصرح فى تناقضه ، اذ قال : (واذا فكر العقل فى مثل هذه الجنة ، فهو عسل ولكن لا كما نعرف من عسل ، واللبن هو اللبن، ولكن لا كما نعرف من لبن ، والنساء لا كما نعرف من نساء) الى آخر ما قال •

أفلا تعجب معى اذ تراه حين أعرض عن الدين فى أول أمره كان اعراضه بسبب العسل والخمر واللبن ولأنه عاد اليه ليفسره بأنه رمز للذة فى الجنة ، ثم يعود فيعترف بالطعام والشراب والفاكهة فى الجنة ، وأن أهل الجنة يتذاكرون بأن الفاكهة تشبه فاكهة الدنيا ،فهل يصح أن يفسر كتاب الله بمثل هذا التناقض ؟•

وتراه فى ص ٦٦ من كتابه يقول : ان ماجاء فى وصف الجحيم حقيقة مستحيلة ، وما هى الا ألوان من **ضرب المثل** ، ولكننا نقول له : أى تمثيل فى [illegible] قوله تعالى : **« فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي**

وعنايتـه بقدسـية القرآن .. وتيسـير تفسـيره .

وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَـارَةُ » وقوله « لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ » وتراه بعد أن أيقظته صرائح القرآن يقول فى ص ٧٤ من كتابه (وبالمثل ما يروى القرآن عن النار ، فهى نار لا كما نعرف من نار ، والمعذبون بهـا يتكلمون ويتحاورون ، فأجسادهم لا يمكن أن تكـون لهـا نفس الكيميـاء التى نعلمهـا فى الأجساد ، والا لتبخرت فى لحظـات ، ولمـا استطاعوا أن يتبادلوا كلمة) ففى هذا الكلام يعترف بالنار وبالعذاب المادى بالنار بعـد أن أنكره ، ويجد حلا لذلك فيقول : ان الأجسادهم كيمياء أخرى تخالف كيمياءها فى الدنيا ، والا لتبخرت فى لحظات ، ثم يقول فى نفس الصفحة (ولهذا يمكن أن يتضـاعف العـذاب حسـيا ومعنويا بطريقة نجهلها) والواقـع أن اللـه تعالى كشـف عن ذلك بعض الكشف بقـوله « كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ » فانظر كيف يتناقض ويبلبل الأذهان فى السمعيات ما بين نفى واثبات ، كما تناقض فى أمور كثيرة ، وارتكب أخطاء خطيرة، لم نر داعيا لبسطها فى هذا المقام ولقد كتبنـا تقريرا عن الكتاب بينـا ما فيـه من أخطـاء وتناقضات ، وطلبنا ايقاف نشره عقب صدوره، فان خطره على قارئه شديد ، ومن أراد معرفة المزيد عن هذا الكتاب وغيره فليرجع الى كتابنا (اتجاه التفسير فى العصر الحديث) .

وانا نحمـد الله على أن هذا الكتاب الآن فى موقف ممتاز من الخـير والفضـل وحسن القدوة فى الأخذ بتعاليم الاسـلام والدعـوة اليه ــ نسأل الله لنا وله دوام التوفيق .

*** رسالة الفتح ***

تقع هـذه الرسالة فى ٤١٦ صـفحة ، وهى مليئة بالخرافات والهـوس فى تأويل آيات من القرآن ، وكان صـاحب هـذا الكتاب يوزعه مجانا كأنه عميل لهيئة خطيرة معادية للاسلام، لا يهمها ما تنفقه فى سـبيل ذلك ، وقـد زعم المؤلف أمورا خطيرة ، فأنكر وجـود المسـجد الأقصى واسراء النبى اليه ، وابتدع تشريعات من عنده ، وشرع حدودا لم يشرعها الله ولم يقل بها أحد من المسـلمين ، وهام فى أوديـة التخريف وسوء التأويل ، وسنذكر فيمـا يلى نماذج مما قاله هذا المخرف .

يقول فى ص ١٠ من كتابه تفسـيرا لقـوله تعالى « انى أرى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِـمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَـبْعَ سُـنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَـرَ يَابِسَاتٍ » .

معنى (بقرة) طـائر ، وفى موضـع آخر (بقرة واضحة) فقـد رأى العـزيز فى المنام سبع طيور سمان يأكلهن عجاف ، والتى سماها المحرفون بقرة ، واستقام لسان العرب عـلى المحرف بعد الجيـل الثالث الاسـلامى ، تلك الماشية اسمها (المها) والمها لا تأكل المها ، أما

الطير فبعضه يأكل بعضا ـ ثم يمضى فى هـذا التخريف •

ونحن نقول لهـذا المجنـون : أنت تقرأ فى الآية أنها رؤيا منام ، ولا يمتنع فى النـوم أن يخيل للرائى أن البقرات بمعناها اللغوى يأكل سمانها عجافها ، تمثيلا لسنوات الجدب التى تلت السـنين الخضراء ، وأكل الناس فيهـا محاصيل السنين المخصبة ، وكانت هذه الرؤيا ليتهيأ الناس وقتئذ لخزن المحاصيل استعدادا للسنين السبع الشداد ، ولست أدرى ما الذى حمل المؤلف على هذا التأويل الفاسد •

*** بقرة بنى اسرائيل ***

وتراه فى ص ١٢ يقول فى تفسير قوله تعالى: « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً** » ما يثـير العجب من جنونه اذ يقول (بقرة) أى دجاجة، (لا فارض) لم ينقطع منها البيض (عوان بين ذلك) وسط بين الصغيرة والمسنة تبيض البيض (صفراء فاقع لونها تسر الناظرين)ـ صفراء ـ اسم للطير المسمى بالأوز والبط ـ كذا قال ـ ومعنى صفراء تحدث صفيرا (فاقع لونها تسر الناظرين) أبيض ناصع تشغل خاطر من ينظر اليها (**لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا**) تلك صفة الغراب فالغراب بقـرة ليست بـذلول (مسـلمة) يحجل اذا سار ـ ثم يقول : واصطاد كل اسرائيلى غرابا وقام بذبحه وقالوا لموسى عندما سـمعوا أمر المولى بذبح الغراب (الآن جئت بالحق) •

فهل سمعت ما قاله هـذا المؤلف المعتـوه ، الذى حول البقرة المطلوبة الى دجـاجة تبيض البيض ، ثم حولها الى غراب أصفر فاقع ، مع أن الغراب لونه أسود ، وارتضى أن يوصـف الغراب بما وصف الله بـه البقرة ، من أنهـا لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ، وبأنه ليس ذلولا يثير الأرض ولا يسقى الحرث ، هكـذا قال هذا المعتوه ولله فى خلقه شئون •

تفجير الفراعنة للذرة وشـق مجرى النيل

ويقول هـذا المؤلف شـفاه الله من مرض الغرور الذى أخرجه من دائرة العقلاء ـ يقول فى ص ١٩ ما يأتى فاسـمعه وحاول أن تكتم ما يثيره من الضحك : (ان سر حضارة الفراعنة هو معرفتهم لعلم تفجـير الذرة الذى ورثوه من قوم ثمود الذين عاشـوا فى بلاد النـوبة جنوب صعيد مصر ، فأرسـل فيهم رسـولهم صالحا ، واتخذوا من أشعة الذرة سبيلا لشق مجرى النيل ، وقطعـوا حـاجز الصـخور ، وأجروا النيل فى مجراه الحالى •

وهذا الذى قاله المؤلف افتراء على التاريخ وعلى الحقيقة فثمود تسمى عادا الثانية ،وهم من العرب الأولين كانوا يسكنون الحجر بين الحجاز والشام ، فى طريق الذاهب الى تبوك من المدينـة ، ولكن عقليـة المؤلف جعلتهم فى جنوب صعيد مصر ، وتخيلتهم يفجرون الذرة ليشقوا مجرى النيل ، مع أن الله تعالى أجراه بمسيل مياه البحـيرات الاستوائية من أعلى الى أدنى •

وعنايته بقدسية القرآن .. وتيسير تفسيره .

* سورة الفجر .. والتحنيط *

وفى ص ٢٣ – ٢٤ يقول المؤلف فى تفسير قوله تعالى : « وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ » يقول ما يأتى – وما أغرب ما يقول –

الواو فى (والفجر) للعطف ، والمعطوف عليه قوله تعالى « عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ » من سورة الحشر كذا قال أيها المستمعون الكرام – وعقبه بقوله : والمولى لا يحلف لمخلوقاته التى خلقها ، والحلف لايصدر الا من ضعيف لقوى ، ومحال أن يحلف المولى وهو القوى العزيز – ثم يقول من وحى خياله المريض : والفجر فجر الدم فى الشرايين ، والأشعة بتفجير الذرة « وليال عشر » أولى ليالى التحنيط – كذا قال – والشفع شفع الليالى العشر عشرون ليلة (والوتر) مثل الليالى العشر – عشر ليال – (والليل اذا يسر) الدنيا هى الليل بمعنى الحجاب ، والقسم هو الحظ والنصيب – كذا قال – (لذى حجر) لذى تحجر وذى صمغ – ثم يقول : وفى كل مدة من مدد التحنيط الذى يتم عند الفراعنة فى أربعين ليلة يوضع الحجر ومعناه الصمغ – هكذا قال شفاه الله – فانظر يا أخى المسلم : كيف طوعت له نفسه ، وساقه خياله الى أن يعطف الفجر على آية فى سورة الحشر ، وبينهما ثمان وعشرون سورة وأن يهذى هذا الهذيان الشنيع .

و ما جناه خياله المريض تفسيره العجل الحنيذ باسحاق عليه السلام ، مع أنه هو العجل المشوى الذى قدمه ابراهيم عليه السلام لضيوفه الذين كان يحسبهم من البشر ، وهم من الملائكة جاءوا ليهلكوا قوم لوط فى صورة شبان حسان من البشر .

وفى صفحات ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ أنكر الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ،وفسر المسجد الحرام بالقرآن ، والمسجد الأقصى بسدرة المنتهى ، وفسر الآيات التى رآها النبى فى تلك الليلة بأرواح القدس السبعة المزعومة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ومناة واللات والعزى ، كما أنكر استقبال بيت المقدس قبل تحويل القبلة الى الكعبة وهو بهذا وبكثير من أمثاله ينكرها علم من الدين بالضرورة ، كغزوة الفتح ونبوة ادريس ، وادعى أن الرسول لم يتزوج بغير عائشة الى غير ذلك مما يقطع بسطحية هذا المعتوه ، وأنه مدفوع من جهة معادية للاسلام ، أعانت جهالته وغروره بالاغراء على ارتكاب هذا الاثم الذى يشبه سيل العرم ، وقد أنكرناه وطلبنا مصادرة كتابه الملىء بهذه الخرافات .

* هل خلق محمد فى كوكب آخر *

ومن الكتاب من ينعته بعض الصحف بالمفكر الاسلامى ، خرج على الناس بكتاب له جاء فيه ما لا يحل لمسلم أن يقوله ، فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خلق فى كوكب

آخر وحفظ فيه القرآن قبل أن ينزل الى الأرض ، فلهذا كان يعجل بقراءته أثناء نزول الوحى به عليه

وهذا كلام واضح البطلان ، ولا يقوله الا من يعتقد تناسخ الأرواح ، أو وجود انسان واحد فى مكانين فى وقت واحد ، وكلاهما باطل نقلا وعقلا ، ألم يقرأ هذا الكاتب قوله تعالى فى حق نبيه فى سورة الشورى « **مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا** » (١) ، وكيف ساغ له أن يؤلف تلك القارعة المهلكة ، ويستنتجها من قوله تعالى « **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ** »، لقد كان النبى أميا « **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** » فلهذا كان حريصا على متابعة جبريل حين الوحى بتحريك لسانه بما يسمعه من جبريل ، خوفا من أن تعزب عنه كلمة منه ، وكان يلاقى من ذلك مشقة وعناء ، فلهذا أراحه الله من هذا العناء ضامنا له حفظه فى صدره من غير أن يحرك لسانه أثناء الوحى بقوله جل ثناؤه « **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** » فامتثل صلى الله عليه وسلم، فكان يجد نفسه حافظا بعد انتهاء جبريل من الوحى ، فيمليه على كتابه لاثباته ، وكان ينزل عليه جبريل فى شهر رمضان ليدارسه القرآن، لمزيد تثبيته فى حفظه ، ومن هنا لا تجد كتابا اكتملت فيه أسباب اليقين مثل القرآن العظيم.

(١) من الآية رقم : ٥٢ .

ارفعوا أيديكم عن القرآن

أيها المجترئون على حرم القرآن وقدسيته ارفعوا أيديكم عن ممارسة تفسيره ، فليس هذا الوحى الالهى هينا أمره حتى على العلماء الأعلام ، ان من السداد أن تتركوا الأمر لأهله ، يتحملون عبئه ، مستعينين بسنة رسول الله وما يفتح الله به على السلف الصالح من فهم جيد فيه ، ينقله الينا الثقات الذين يخشون جلاله ، اتركوه للذين يعيشون فى ظلاله ، ويعملون فى حقله ، فهم أولى الناس به ، وأحرصهم على قدسيته ، ولا تورطوا أنفسكم فى معان فاسدة فتهلكوا ، فمن قال فى القرآن برأيه هلك ، كما روى عن الرسول المعصوم ، اتركوه للعلماء ليقدموا للأمة معانيه السامية بعيدة عن الخرافات ، وهذا ما أخذ به الأزهر نفسه ، وعاهد ربه ونبيه على تحقيقه فى التفسير الوسيط ، الذى تعرفون خبره ودقته وأمانته ، فيما نشر منه .

وليعلم السادة الكاتبون ، أن الخطأ فى تفسير كتاب الله ، بسوء تأويله ، أو بالاستناد الى روايات موضوعة أو واهنة ، يستغله أعداء الاسلام ضده ، فأعطوا القوس باريها ، واكتبوا فيما شئتم من بيان أمجاد الاسلام وما أكثرها ، والله يعيننا ويعينكم .

* كيف تؤول المتشابهات فى القرآن *

يوجد فى النصوص القرآنية آيات متشابهات

وعنايتــه بقدسـية القـرآن .. وتيسـير تفسـيره .

فمن أراد تفسيرها فليكن حذرا ، حتى لايخرج بتأويلها عن محكمات القرآن وما علم من الدين بالضرورة العقليـة والشرعيـة ، فيسيء الى الاسلام باعطاء أعدائه سلاحا يحاربونه به ، وقد علمنا من كتاب الله أن المحكمات هى مرجع المتشابهات وأم الكتاب وأساس تأويله ، وذلك لقوله سبحانه « **هُـوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَـاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَـابِ وَأُخَـرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**» (١) .

ومن تلك المتشابهات قوله تعالى فى سـورة يونس « **فَإِن كُنتَ فِى شَـكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَـا إِلَيْكَ فَاسْـأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَـدْ جَـاءَكَ الْحَـقُّ مِن رَّبِّكَ فَـلَا تَكُـونَنَّ مِـنَ الْمُمْتَرِينَ** » (٩٤) .

وقد أخطأ من قبلنا فى تفسير هــذه الآية ، وأعطوا أعداء الاسلام ما يشـغبون به عليه ، ويفتاتون على رسوله ، حيث زعم الأعداء أن الرسول كان شاكا فى رسالته ، ولهذا كلفه الله أن يسأل أهل الكتاب ليثبتوه وقد افتروا بذلك على الحق ، وكان لمن قبلنا قسط فى تشجيعهم على ما يزعمون ، بسـوء تأويلهم للآية ، وهم لا يدرون أنهم بمـا قالوا أسـاءوا الى دينهم وهم لا يشـعرون .

فقد قالوا : ان الخطاب فيها للرسـول صلى الله عليه وسـلم ، لغـرض تهييجه واثارته ، ليزداد ثباتا على دينه ، من غير احتمال وقوع شـك منـه .

ونحن نقول ان هذا التأويل لا يصح قبـوله بحال من الاحـوال ، فان فرض الشك فى الرسول لأى غرض من الأغراض ، وبأىتأويل مما قالوه ، مخالف للنقـل مرفوض من جهـة العقل ، اذ كيف يصح عقلا أن يفرض الشـك فى الرسول لغرض اثارته وزيادة تثبيته ، فهل كان محتـاجا الى مزيـد التثبيت ، ليـزداد استمساكا بتبليغدعوة ربه ، وكلا وألفمرة كلا، فقد قال تعالى « **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى . مَا كَـذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَـارُونَهُ عَـلَى مَايَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِندَ سِـدْرَةِ الْمُنتَهَى . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** » (٢) .

وكيف يحتاج الى التثبيت وهـو الذى كان يقول : (والله لو وضـعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى عـلى أن أترك هـذا الدين ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) .

وكيف يحتاج الى التثبيت والى سؤال أهـل الكتاب ليزداد طمأنينة ، وهو الذى تحمل من

(١) سورة آل عمران من الآية رقم : ٧ .

(٢) سورة النجم : الآيات ١٠ ــ ١٨ .

ايذاء قومه ثلاثة عشر عاما ما لا تحتمله الشم الرواسى،وشاركه فى ذلك من معه من المؤمنين، حتى مات بعضهم من شـدة التعـذيب ، ألم يقاطعهم المشركون لايؤاكلونهم ولايزاوجونهم ولا يبيعونهم الطعام ، حتى اضـطروهم الى الاقامة فى شعب أبى طالب ثلاث سنين ، ووصل بهم الجوع الى أن يأكلوا أوراق الشجر وهم صابرون ، وكيف يستطيع أن يحمل عبء هذه الدعـوة من هو بحاجـة الى التثبيت ، وكيف يعمل لها بصدق وعزيمة لا تعـرف الكلل حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا ، فوالله لولا أنه ثابت الجنان عظيم الاطمئنان لـما استطاع أن يفلت من حصـار أهل الشرك له بمكة ، بل كان يستجيب لعروضهم المالية والشرفية .

واذ عرفت هذا تبين أن الخطاب فى قولـه تعالى «فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ» ليس للرسول بل لمن يشك فيما جاء به صـلى اللـه وسلم ، واليك فيما يلى بعض ما قلناه فى تفسير الآيـة :

تفسير الآية على الوجه الرشيد

بعـد أن تحدثت سـورة يونس عن قصص بعض المرسـلين مع أممهم ، وآخرها قصـة موسى مع فرعون وقومه جـاءت هـذه الآية تطالب من يشك فى صدق هـذه القصص التى ساقها الله للعبرة والدلالة على صدق محمد فى نبوته ــ جاءت هذه الآية تطالب من يشك من أهل الدعوة ــ أن يسأل الذين يقرءون الكتاب من علماء اليهود والنصارى ، ليتأكد من وجود هـذه القصص فى كتبهم ، وليحمله ذلك عـلى الايمان بنبينا محمد ــ صـلى الله عليه وسلم ــ .

واعلم أن القرآن كما أنزل الى الرسول وحيا وتبليغا ، أنزل الى أمته أفرادا وجماعات عملا وتكليفا ، فمن الأول قوله تعـالى فى سـورة النساء «إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَاكَ ٱللَّهُ» ومن الثانى قولـه تعالىخطابا للأمة : «لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(١)» واجتمـع الخطـاب للرسول وأمته بهذا الأسلوب فى قوله تعـالى «وَأَنزَلْنَـآ إِلَيْـكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّـاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ»(٢) .

والمعنى : فان كنت أيها المكلف من أمة الدعوة المحمدية ، فى شك من صدق ما أنزلناه من هذه القصص على رسولنا اليك لتعرف به صـحة نبوته ورسالته ــ صـلى الله عليـه وسلم ــ فاسأل علماء اليهود والنصارى الذين يقرءون كتبهم ويعرفون أن هذه القصص قـد وردت بها منقولة من جيل الى جيل قبل وجـودك ، حتى تعلم من وجـودها قـديما فى كتبهم أن

---

(١) سورة الانبياء : الآية ١٠ .
(٢) سورة النحل : الآية ٤٤ .

الأزهر

وعنايته بقدسية القرآن .. وتيسير تفسيره .

محمدا – صلى الله عليه وسلم – صادق فى نبوته ، وثقة فى رسالته فانه أمى لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يجالس من قرأ كتبهم ، فقد نشأ بين قريش عبدة الأوثان ، فهذا دليل على أن الله تعالى هو الذى أعلمه بها وأوحاها اليه ، وأنه صادق فيما أبلغكم عن الله وأن الايمان بنبوته فيه النجاة ، وأن الكفر بها يستتبع الهلاك لقد جاءك الحق من ربك أيها المكلف فلا تكونن من الممترين الشاكين .

والدليل القاطع على أن الخطاب فى قوله تعالى : « **فان كنت فى شك** » لكل من يعتريه الشك من أهل الدعوة وليس للرسول ، أنه تعالى قال بعد تلك الآية فى هذه السورة ، يسلى نبيه صلى الله عليه وسلم عن كفر من كفر من قومه وشك من شك منهم « **إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ** »(١) ثم قال: « **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** »(٢) ثم قال : « **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** » (٣) .

أيها السادة : هذا بعض ما كتبناه فى تفسير هذه الآية رجوعا فيه الى المحكم من آيات الله ضاربين صفحا عما كتبه من قبلنا وأخطأوا فيه ، ويسروا لأعداء الاسلام استغلاله ضده ولكنا لخصوم الحق بالمرصاد والله من ورائهم محيط .

*** عهد وميثاق ***

وبعد : فاننا باسم لجنة بحوث القرآن ؛ ولجنة التفسير الوسيط ، نعاهدكم – أيها السادة – على التزام ما التزمناه من الدفاع عن القرآن العظيم ، ورد العدوان على تفسيره ، ممن يسيئون الى معانيه السامية ، كما نعاهدكم على التزام ما التزمناه من البعد عن الاسرائيليات والمعانى الهابطة فى تفسيره . وعلى بذل الوسع فى ابرازه بصورة مشرقة تبعث على فهم كتاب الله والانتفاع بهديه ، وختاما أسأل الله لى ولكم التوفيق والسداد ،،

والسلام عليكم ورحمة الله

مصطفى محمد الحديدى الطير

عضو مجمع البحوث الاسلامية

---

(١) سورة يونس : الآيتان ٩٦ ، ٩٧

(٢) سورة يونس : الآية ٩٩ .

(٣) سورة يونس : الآية ١٠٤ .

التلقيح الصناعى لتوالد الانسان والأجهاض

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية

أولا :

١ ــ هل يجوز تلقيح الزوجة بنطفة زوجها الذى تعيش معه ؟ ٠

٢ ــ أو يجوز تلقيح امرأة بمنى رجل غير زوجها ؟ ٠

٣ ــ إذا لقحت بويضة امرأة بمنى رجل غير زوجها ثم نقلت بعد التلقيح الى رحم امرأة هى زوجة صاحب المنى ٠ فما الحكم شرعاً ؟ ٠

٤ ــ اذا أخذت بويضة امرأة ولقحت خارج الرحم بمنى زوجها (أنابيب) ثم بعد الاخصاب تعاد البويضة الملقحة الى رحم هذه المرأة ٠ فما الحكم ؟ ٠

٥ ــ إذا كان مكان الأنابيب فى الغرض السابق حيوانات تصلح لاحتضان هذه البويضة الملقحة أى تحل محل رحم المرأة لحين أو لفترة يعاد بعدها الجنين الى رحم المرأة٠ فما الحكم ؟ ٠

٦ ــ ما حكم الزوج الذى يوافق على هذا العمل أو ينسب أطفالا ولدوا بواحد من تلك الطرق الى نفسه ، أو يستمر فى حياته الزوجية مع زوجته التى لقحت بنطفة رجل آخر ؟ ٠

٧ ــ ما حكم الطفل الذى يولــد بهذه الطرق ؟ •
٨ ــ ما حكــم الطبيب الذى يجرى مثل تلك الاعمال ؟ •

قال الله سبحانه وتعالى (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) فى هذه الآية امتن الله سبحانه على عباده بالنسب والصهر وعلق الاحكام فى الحل والحرمة عليهما ورفع قدرهما ومن أجل هذه المنة كانت المحافظة على النسل من المقاصد الضرورية التى استهدفتها أحكام الشريعة الاسلامية وفى هذا قال حجة الاسلام الامام الغزالى :

(ان جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الحق وصلاح الخلق فى تحصيل مقاصدهم ، لكننا نعنى بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ، ومقصود الشرع من الخلق خمسة : وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم ، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة) (٢) •

ومن أجل ضرورة المحافظة على النسل شرع الله النكاح وحرم السفاح (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) • (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) ذلك لأن الولد ثمرة الزواج الصحيح ينشأ بين أبويه يبذلان فى سبيل تربيته والنهوض به والمحافظة عليه النفس والنفيس ، أما ولد الزنا فانه لأمه ولقومها اذ لا يعرف له أب بذلك ينشأ فاسدا مفسدا مهملا ويصبح آفة فى مجتمعه •

وان كان فقهاء الشريعة قد عرضوا لهذا النوع من الأولاد وحثوا على تربيته والعناية به واصلوا أحكامه فى كتب الفقه تحت عنوان « باب اللقيط » ذلك لأنه انسان لا يسوغ اهماله وتحرم اماتته ويجب احياؤه •

(وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)

وذلك ارتقابا لخيره واتقاء لشره •

ومن هنا كان حرص الاسلام على سلامة الأنساب بالدعوة الى الزواج وتشريع أحكامه وكل ما يضمن استقرار الاسرة منذ ولادة الانسان وحتى مماته وبالجملة فقد نظم حياة الناس أحسن نظام وأقومه بالحكمة والعدل مع الاحسان ومراعاة المصلحة •

واذ كان النسب فى الاسلام بهذه المثابة فقد أحاطه ــ كغيره من أمور الناس ــ بما

---

(١) الآية ٥٤ من سورة الفرقان .

(٢) كتاب المستصفى للغزالى جـ ١ ص ٤٢٨٧.

يضمن نقاءه ويرفع الشك فيه فجاء قول الرسول صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري ومسلم عن عائشة : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) والمراد بالفراش أن تحمل الزوجة من زوجها الذى اقترن بها برباط الزواج الصحيح فيكون ولدها ابنا لهذا الزوج والمراد بالعاهر الزانى ، وبهذا قرر هذا الحديث الشريف قاعدة أساسية فى النسب تحفظ حرمة عقد الزواج الصحيح وثبوت النسب أو نفيه تبعا لذلك ومن ثم فمتى حملت امرأة ذات زوج من الزنا مع رجل آخر أو من غصب ، فان حملها ينسب لزوجها لا الى من زنا معها أو اغتصبها لأن فراش الزوجية الصحيحة قائم فعلا •

ومن وسائل حماية الأنساب ــ فوق تحريم الزنا ــ تشريع الاعتداد للمرأة المطلقة بعد دخول الزوج المطلق بها أو حتى بعد خلوته معها خلوة صحيحة شرعا •

كما حرم الاسلام بنص القرآن الكريم الصريح التبنى بمعنى أن ينسب الانسان الى نفسه انسانا آخر نسبة الابن الصحيح لأبيه أو أمه مع أنه يعلم يقينا أنه ولد غيره وذلك صونا للأنساب ولحفظ حقوق الاسرة التى رتبتها الشريعة الاسلامية على جهات القرابة وفى هذا قال الله سبحانه :

(•• وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ • ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) (١) • وبهذا لم يعترف الاسلام بمن لانسب له ولم يدخله قهرا فى نسب قوم يأبونه •

ولما كانت عناية الاسلام بالأنساب والتحوط لها على هذا الوجه بدءا بتنظيم صلة الرجل بالمرأة واختلاطهما ووجوب أن يكون هذا فى ظل عقد زواج صحيح تكريما لنطفة الانسان التى منها يتخلق الولد (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ • خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ • يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) (٢) (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) (٣) ولا يتخلق نطفة الرجل الا اذا وصلت الى رحم المرأة المستعد لقبولها ، وقد يكون هذا الوصول عن طريق الاختلاط الجسدى الجنسى وعندئذ يكون نسب الوليد من هذا الاتصال موصولا بأبيه متى كان قد تم فى ظل عقد الزواج الصحيح (الولد للفراش) وقد يكون ادخال نطفة الرجل فى رحم المرأة بغير الاتصال الجسدى •

ففى شرح المنهاج لابن حجر الشافعى وحواشيه ٤ (وانما تجب عدة النكاح •• بعد وطء • أو بعد استدخال منيه « أى الزوج » المحترم وقت انزاله واستدخاله •• ومن ثم لحق النسب •• أما غير المحترم عند انزاله بأن أنزله من زنا فاستدخلته زوجته وهل يلحق به ما استنزله بيده لحرمته أولا للاختلاف فى اباحته كل محتمل والأقرب الاول

(١) من الآيتين ٤ ، ٥ من سورة الاحزاب .
(٢) الآيات ٥ ، ٦ ، ٧ من سورة الطارق
(٣) من الآية ٢ من سورة الدهر .
(٤) جـ ٨ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ فى كتاب العدد .

التلقيح الصناعي ..
.. والإجهاض

فلا عبرة فيه ولا نسب يلحقه واستدخالها من نطفة زوجها فيه عدة ونسب كوطء الشبهة ٠٠) وعلق فى حاشية الشنوانى فى هذا الموضع على قول الشارح (وقت انزاله واستدخاله ٠٠) بقوله (٠٠ بل الشرط الا يكون من زنا ٠٠) وفى فروع الدر المختار للحصكفى وحاشية رد المحتار عليه لابن عابدين : (أدخلت منيه فى فرجها هل تعتد ؟ فى البحر بحثا نعم لاحتياجها لتعرف براءة الرحم وفى النهر بحثا ان ظهر حملها نعم والا لا ٠٠) وعلق ابن عابدين بقوله : أى منى زوجها من غير خلوة ولادخول ٠٠ ولم أرحكم ما اذا وطئها فى دبرها أو أدخلت منيه فى فرجها ثم طلقها من غير ايلاج فى قبلها وفى تحرير الشافعية وجوبها فيهما ولابد أن يحكم على أهل المذهب به فى الثانى لأن ادخال المنى يحتاج الى تعرف براءة الرحم أكثر من مجرد الايلاج ٠٠ ثم نقل : عن البحر عن المحيط ما نصه : اذا عالج الرجل جاريته فيما دون الفرج فأنزل فأخذت الجارية ماءه فى شىء فاستدخلته فرجها فى حدثان ذلك فعلقت الجارية وولدت فالولد ولده والجارية أم ولد له • فهذا الفرع يؤيد بحث صاحب البحر ويؤيده أيضا اثباتهم العدة بخلوة المجبوب وما ذلك الا لتوهم العلوق منه بسحقه ٠٠) •

وفى التعليق على عدة الموطوءة بشبهة قال ابن عابدين (ومنه ما فى كتب الشافعية اذا أدخلت منيا فرجها ظنته منى زوج أو سيد عليها العدة كالموطوءة بشبهة قال فى البحر ولم أره لأصحابنا والقواعد لاتأباه لأن وجوبها لتعرف براءة الرحم ٠٠) •

هذه الاقوال لفقهائنا تصريح بأن شغل رحم المرأة بنطفة الرجل وحدوث الحمل قد يحدث بغير الاتصال العضوى بينهما وتترتب عليه الآثار الشرعية من عدة ونسب •

واذا كان ذلك وكان الفقهاء قد رتبوا على ادخال الزوجة منى زوجها فى موضع التناسل منها وكذلك الجارية اذا أدخلت منى سيدها

وحملت ثبت النسب من الزوج أو من السيد ووجبت العدة تعين النظر فيما جاء من تساؤلات على هدى ما تقدم •

عن السؤال الأول :

لما كان الهدف الأسمى من العلاقة الزوجية هو التوالد حفظا للنوع الانسانى وكانت الصلة العضوية بين الزوجين ذات دوافع غريزية فى جسد كل منهما أضحى هذا التواصل والاختلاط هو الوسيلة الاساسية والوحيدة لافضاء كل منهما بما استكن فى جسده [illegible] واعتمل فى نفسه حتى تستقر النطفة فى مكمن نشوئها كما أراد الله وبالوسيلة التى خلقها فى كل منهما لا يعدل عنها الا اذا دعت داعية كأن يكون بواحد منهما ما يمنع حدوث الحمل بهذا الطريق الجسدى المعتاد مرضا أو فطرة وخلقا من الخالق سبحانه •

فاذا كان شىء من ذلك وكان تلقيح الزوجة بذات منى زوجها دون شك فى استبداله أو اختلاطه بمنى غيره من انسان أو مطلق حيوان جاز شرعا اجراء هذا التلقيح فاذا ثبت ثبت النسب تخريجا على ما قرره الفقهاء فى النقول المتقدمة من وجوب العدة وثبوت النسب على

من استدخلت منى زوجها فى محل التناسل منها ٠

عن السؤال الثانى :

تلقيح الزوجة بمنى رجل آخر غير زوجها سواء لأن الزوج ليس به منى أو كان به ولكنه غير صالح محرم شرعا لما يترتب عليه من الاختلاط فى الأنساب ، بل ونسبة ولد الى أب لم يخلق من مائه وفوق هذا ففى هذه الطريقة من التلقيح اذا حدث بها الحمل معنى الزنا ونتائجه ، والزنا محرم قطعا بنصوص القرآن والسنة ٠

عن السؤال الثالث :

وصورته تلقيح بويضة امرأة بمنى رجل ليس زوجها ثم نقل هذه البويضة الملقحة الى رحم زوجة الرجل صاحب هذا المنى ، هذه الصورة كسابقتها تدخل فى معنى الزنا والولد الذى يتخلق ويولد من هذا الصنيع حرام بيقين لالتقائه مع الزنا المباشر فى اتجاه واحد اذ أنه يؤدى مثله الى اختلاط الأنساب ، وذلك ما تمنعه الشريعة الاسلامية التى تحرص على سلامة أنساب بنى الانسان والابتعاد بها عن الزنا وما فى معناه ومؤداه ٠

ذلك لأنه وان كان المنى هو للزوج ــ ولكنه كما هو معروف ــ لا يتخلق الا باذن الله وحين التقائه ببويضة الزوجة ، وهذه الصورة افتقدت فيها بويضة الزوجة وجىء ببويضة امرأة أخرى ، ومن ثم لم تكن الزوجة حرثا فى هذه الحال لزوجها مع أن الله سمى الزوجة حرثا له فقال : **(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ٠٠)** فكل ما تحمل به المرأة لابد أن يكون نتيجة الصلة المشروعة بين الزوجين سواء باختلاط أعضاء التناسل فيهما كالمعتاد أو بطريق استدخال منيه الى ذات رحمها ويتخلق وينشأ كما قال سبحانه : **(٠٠ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ٠٠)** ٠

واذ كانت البويضة فى هذه الصورة ليست لزوجة صاحب المنى وانما لامرأة أخرى لم يكن نتاجها جزءا من هذين الزوجين ، بل من الزوج وامرأة محرمة عليه فلا حرث فعلا أو اعتبارا بين الزوجين يثبت به الولد فصارت هذه الصورة فى معنى الزنا المحرم قطعا كسابقتها ٠

عن السؤال الرابع :

وصورته أن تؤخذ بويضة الزوجة التى لا تحمل وتلقح بمنى زوجها خارج رحمها (أنابيب) وبعد الاخصاب والتفاعل بينهما تعاد البويضة الملقحة الى رحم هذه الزوجة مرة أخرى ٠

فى هذه الصورة اذا ثبت قطعا أن البويضة من الزوجة والمنى من زوجها وتم تفاعلهما واخصابهما خارج رحم هذه الزوجة (أنابيب) وأعيدت البويضة ملقحة الى رحم تلك الزوجة دون استبدال أو خلط بمنى انسان آخر أو حيوان وكان هناك ضرورة طبية داعية لهذا الاجراء كمرض بالزوجة يمنع الاتصال العضوى مع زوجها أو به هو قام المانع ونصح طبيب حاذق مجرب بأن الزوجة لا تحمل الا بهذا الطريق ولم تستبدل الأنبوبة التى تحضن فيها بويضة ومنى الزوجين بعد تلقيحهما كان الاجراء المسئول عنه فى هذه الصورة جائزا شرعا ، لأن الاولاد نعمة وزينة وعدم الحمل لعائق وامكان علاجه أمر جائز شرعا ، بل قد يصير واجبا فى بعض المواطن فقد جاء

التلقيح الصناعي ..
.. والإجهاض

أعرابى (١) فقال يارسول الله أنتداوى • ؟ قال : نعم • فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله رواه أحمد ، فهذه الصورة والصورة فى السؤال الأول من باب التداوى مما يمنع الحمل والتداوى بغير المحرم جائزة شرعا ، بل قد يكون التداوى واجبا اذا ترتب عليه حفظ النفس أو علاج العقم فى واحد من الزوجين •

(ب) وصورته :

هل يجوز أن تحل مكان (الأنابيب) حيوانات تصلح لاحتضان هذه البويضة أى تحل محل رحم هذه الزوجة لحين أو لفترة معينة يعاد الجنين بعدها الى رحم ذات الزوجة ؟ •

أنه لما كان التلقيح على هذه الصورة بين بويضة الزوجة ونطفة زوجها يجمع بينهما فى رحم أنثى غير الانسان من الحيوانات فاذا مرت البويضة الملقحة بمراحل النمو التى قال عنها القرآن الكريم : **(ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ • ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)** (٢) • سيكتسب هذا المخلوق صفات هذه الانثى التى اغتذى بدمها فى رحمها والتف معها حتى صار جزءا منها ، فإذا تم خلقه وآن خروجه يدب على الأرض كان مخلوقا آخر • ألا ترى حين ينزو الحمار على الفرس وتحمل ، هل تكون ثمرتهما لواحد منهما ؟ • أنه يكون خلقا آخر صورة وطبيعة • هذا ان بقيت البويضة بأنثى غير الانسان الى حين فصالها ، أما ان انتزعت بعد التخلق وانبعاث الحياة فيها وأعيدت الى رحم الزوجة فلامراء كذلك فى أنها تكون قد اكتسبت الكثير من صفات أنثى الحيوان التى احتواها رحمها،فانه كان غذاؤها وكساؤها ومأواها ولامرية فى أن هذا المخلوق يخرج على غير طباع الانسان ، بل على غرار تلك التى احتضنه رحمها لأن وراثة الصفات والطباع أمر ثابت بين السلالات حيوانية ونباتية تنتقل مع الوليد والى الحفيد ذلك أمر قطع فيه العلم ومن قبله الاسلام **(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ..)** (٣) •

يدلنا على هذا نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته فى اختيار الزوجة فقد قال : **« تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء »**(٤) قال : ٥ **« اياكم وخضراء الدمن ـ وهى المراة الحسناء ـ فى المنبت السوء »** هذه التوجيهات النبوية تشير الى علم الوراثة وان ارث الفضائل أو الرذائل ينتقل فى السلالة ، ولعل الحديث الشريف الاخير واضح الدلالة فى هذا المعنى لأن لفظ (الدمن) تفسره معاجم اللغة بأنه ما تجمع وتجمد من السرجين وهو روث الماشية فكل مانبت فى هذا الروث وان بدت خضرته ونضرته الا أنه يكون سريع الفساد .

---

(١) منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكانى جـ ٢ ص ٢٠٠ فى أبواب الطب .
(٢) سورة المؤمنون ١٣ ، ١٤ .
(٣) من الآية ١٤ سورة الملك .
(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ ٩ ص ١٠٢ باب اى النساء خير .
(٥) رواه الدار قطنى من حديث ابى سعيد الخدرى ـ احياء علوم الدين جـ ٤ ص ٧٢٤ .

وكذلك المرأة الحسناء فى المنبت السوء تنطبع على ما طبعت عليه لحمتها وغذيت به ، ولعل نظرة الاسلام الى علم الوراثة تتضح جليا من هذا الحوار الذى دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمضم بن قتادة اذ قال : يارسول الله ان امرأتى ولدت غلاما أسود • قال : (هل لك من ابل ؟ •) قال : نعم • قال : فما ألوانها ؟ • قال : حمرة قال : هل فيها من أورق — فى لونه سواد — قال : نعم • قال : فأنى ذلك ؟ • قال : لعله نزعة عرق • قال : فلعل ابنك هذا نزعة عرق رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة (١) •

وبهذا نرى أن تلك البويضة الملقحة التى نقلت الى رحم أنثى غير الانسان تأخذ منه مالا فكاك لها منه ان قدرت لها الحياة والدبيب على الأرض ، وبذلك ان تم فصاله ودرج هذا المخلوق على صورة الانسان لا يكون انسانا بالطبع والواقع ومن يفعل هذا يكون قد أفسد خليفة الله فى أرضه ومن القواعد التى أصلها فقهاء الاسلام أخذا من مقاصد الشريعة أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح لأن اعتناء الشرع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات ، يدل على هذا قول الله سبحانه : **(•• فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)** وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(اذا أمرتكم بشىء فاتوا منه مااستطعتم واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه)(٢)**

(١) بلوغ المرام لابن حجر العسقلانى وشرحه سبل السلام للصنعانى جـ ٣ ص ٢٤٦ فى باب اللعان .

(٢) الاشباه والنظائر لابن نجيم الحنفى فى القاعدة الرابعة .

واذ كان فى التلقيح بهذه الصورة مفسدة أى مفسدة فإنه يحرم فعله

عن السؤال الخامس :

تقدم القول بجواز التلقيح بالطريقة المبينة فى السؤال الاول وبالطريقة المبينة كذلك فى الفقرة الاولى من السؤال الرابع بشرط التحقق قطعا من تلقيح بويضة الزوجة بمنى زوجها دون غيره ودون اختلاطه بمنى رجل آخر أو منى أى حيوان وبشرط وجود داع وضرورة لسلوك واحد من هذين الطريقين كأن يكون بأحد الزوجين مانع يعوق الحمل عند اختلاطهما عضويا •

وتقدم القول كذلك بأن باقى طرق التلقيح المطروحة فى هذه التساؤلات محرمة ، أما لأنها فى معنى الزنا واما درءا للمفاسد التى تحملها •

لما كان ذلك فان الزوج الذى يتبنى أى طفل انفصل وكان الحمل به باحدى الطرق المحرمة لا يكون ابنا له شرعا لأنه مشكوك فى أبوته له ، بل يكون مقطوعا بنفيه حين تكون النطفة من رجل آخر أو حيوان وبهذا يكون أشد نكرا من التبنى بمعنى أن ينسب الانسان الى نفسه ولدا يعرف قطعا أنه ابن غيره ، لأنه مع هذا المعنى قد التقى مع الزنا والزوج الذى يقبل أن تحمل زوجته نطفة غيره سواء بالزنا الفعلى أو بما فى معناه كهذاالتلقيح رجل فقد كرامة الرجال ومن ثم فقد سماه الاسلام ديوثا وهذا هو شأن الرجل الذى يستبقى زوجة لقحت من غيره بواحد من هذه الطرق المحرمة التى لا تقرها الشريعة لأنها تبتغى فى أحكامها كمال بنى الانسان ونقاءهم • هذاوالتبنى على

التلقيح الصناعي .. والإجهاض

أى صورة قد حرمه القرآن فى محكم آياته كما تقدم القول فى ذلك .

عن السؤال السادس :

لما كان ماتقدم كان كل طفل ناشىء بالطرق المحرمة قطعا من التلقيح الصناعى حسبما تقدم بيانه لقيطا لا ينسب الى أب جبرا وانما ينسب لمن حملت به ووضعته باعتباره حالة ولادة طبيعية كولد الزنا الفعلى تماما إذ ينسب لأمه فقط .

وإننا نضع أمام الأزواج حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية المتلاعنين (١).

(أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولم يدخلها الله جنته. وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه — أى يعلم أنه ولده — احتجب الله عنه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين) .

هذا قضاء الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (.. **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (٢)) .

عن السؤال السابع :

ما هو وضع الطبيب الذى يجرى التلقيح بهذه الصورة ؟ .

إن الاسلام أباح التداوى من العلل والأمراض ففى الحديث الشريف الذى رواه ابن ماجه والترمذى وصححه عن أسامه ابن شريك قالت الأعراب يا رسول الله ألا نتداوى ؟ . قال : نعم . عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء إلا وضع لهشفاء أو دواء إلا داء واحدا قالوا يا رسول الله وما هو ؟ قال : الهرم ، وفى صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكل داء دواء فاذا أصيب دواء الداء برىء باذن الله (٣) .

لما كان ذلك وكان التداوى بالمباح أمرا جائزا فى الاسلام ، بل قد يصير واجبا حفظا لنفس الانسان من الهلاك، فإن الطبيب هو الوسيلة الى التداوى بتشخيص الداء ووصف الدواء تبعا لخبرته وتجربته وعلمه ومن ثم كانت مسئوليته إذا قصر أو أهمل أو سلك طريقا محرما فى الاسلام .

واذا كان الطبيب هو الخبير الفنى فى اجراء التلقيح الصناعى أيا كانت صورته تعين أن ينظر الى كل صورة يجريها حتى يتحدد وضعه ومسئوليته شرعا ، فان كانت الصورة مما تبين تحريمه قطعا على الوجه المبين فى الأجوبة عن الاسئلة الثانى والثالث والفقرة (ب) من السؤال الرابع كان الطبيب آثما وفعله محرما، لأن الاسلام اذا حرم شيئا حرم الوسائل المفضية اليه حتى لا يكون ذريعة للتلبس بالمحرم ولقد أشار القرآن الكريم والسنة

---

(١) بلوغ المرام وشرحه سبل السلام ص ٢٤٦ ج ٣ فى باب اللعان .
(٢) من الآية رقم ٦٣ من سورة النور .

(٣) منتقى الاخبار وشرحه نيل الاوطار للشوكانى فى باب اباحة التداوى ج ٨ ص ٢٠٠

النبوية الشريفة الى أساس قاعدة سد الذرائع بتحريم الوسائل المؤدية الى المحرم فهذا قول الله تعالى : ١ (٠٠ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ٠٠) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى رواه أربعة من صحابته (**لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعهاوعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه**) (٢) ٠

ففى الآية الكريمة تأصيل لقاعدة سد الذرائع فقد نهت عن سب آلهة المشركين حتى ليعتدوا ويتخذوا هذا ذريعة لسب الله ورسوله وفى الحديث الشريف دليل على أن من أعان على محرم كان آثما إثم مرتكبه ولقد حرم الاسلام النظر الى محاسن المرأة الاجنبية أو الخلوة بها لأن الخلوة والنظرة من وسائل الوقوع فى المحرم وهو الزنا ، كما حرم على المسلم المشى الى مكان ترتكب فيه الكبائر كحانة الخمر أو بيت القمار حتى لا يقع فيه ومن هذا القبيل جاء الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ ٠ قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه)** ٠

واذ كان ذلك وكانت هذه النصوص وغيرها من القرآن الكريم والسنة الشريفة قد وضعت أصلا قويما فى سد الذرائع ، فمتى أدى العمل أو الوسيلة الى محرم صار محرما كذلك ٠

لما كان ذلك فاذا أعلن الطبيب بعلمه وعمله فى التلقيح الصناعى على حصوله بالصور غير المشروعة بل والمحرمة بالبيان السالف يكون آثما اذ ــ كما تقدم ــ ما كان وسيلة للمحرم يكون محرما شرعا ويكون كسبه فى هذه الحال كسبا محرما غير مشروع وعليه أن يقف عند الحد المباح وهو منحصر فى تلقيح بويضة زوجة بنطفة زوجها بادخالها رحمها ، أو باستبقائها بعد التلقيح فى (أنبوبة) الى حين ثم تستدخل فى رحم ذات الزوجة ، كما هو مبين فى الجواب عن السؤال الاول والفقرة الاولى (أ) من السؤال الرابع وبالشروط المبينة فيهما ٠

اذا تم ذلك كان العمل مشروعا لا اثم فيه ولا حرج ولاحذر من اختلاط الأنساب أووقوعه فى دائرة الزنا لأن التحقيق تام من أن المنى والبويضة الملقحين للزوجين فقط لم يختلطا بمنى انسان آخر أو منى حيوان ، وبهذا يقع فى دائرة اباحة التداوى التى قد تكون سبيلا للرزق بولد شرعى تمتد به ذكرى والديه بعد مماتهما ومن بعد أن تكتمل به سعادتهما النفسية والاجتماعية فى هذه الحياة ، وقد تدوم وتتأكد بينهما المودة والرحمة بهذا المولود الشرعى ٠ هذا ولايغيب عن البال أن الاسلام فى تكريمه للانسان والحفاظ على نوعه واستمرار نسله يعمر الارض الى أن يشاء الله حريصا على أن يعيش فى أسرة متوادة متحابة متعارفة لا جماعات تقطعت أوصالها وانحلت عصباتها وغاضت أرحامها ، فهو يأمر بتكوين الأسرة ويتحمل الوالدين عبء أولادهما صغارا من

---

(١) من الآية ١٠٨ من سورة الانعام ٠

(٢) رواه أبو داود ــ المنتخب من السنة المجلد التاسع من مطبوعات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٠

التلقيح الصناعى ..
.. والإجهاض ..

التعليم والتربية الجسدية والنفسية والعلمية وطرق اكتساب المال الحلال ويضع على عاتق الأب ولاية النظر الدائم فى مصلحة أولاده وان ارتفعت ولاية الجبر عليهم ومن هذه الولاية أن يكسبهم خبرته فى الحياة ويتولى النصح والإرشاد .

ومن هنا لايجوز فى نطاق الإسلام الانطلاق فى عمل التلقيح الصناعى بمعنى نقل منى الرجل أى رجل وتلقيحه ببويضة امرأة أى امرأة ، لأن تلك تجارب تصلح لتحسن السلالات ومحلها بين أنواع مختلفة من الحيوان لاتعرف لها أبا ومن النبات تسبق سيقانه حاملة وفير الثمرات وذلك أمر مشروع ومن هنا كان القول الحكيم القديم :

« اليتيم من ابن آدم من مات أبوه ، ومن الحيوان من ماتت أمه » .

فإذا نحن انطلقنا فى مجال التلقيح الصناعى فى الانسان وانشأنا مستودعا (بنكا) تستحلب فيه نطف الرجال الأذكياء أو ذوى الأجسام الأقوياء لتلقح بها أنثى رشيقة القوام سريعة الفهم لاثراء الصفات فى الجنس البشرى ، كان

هذا شرا مستطيرا على نظام الأسرة ونذير انتهاء الحياة الأسرية كما أرادها الله فمن باب سد الذرائع وحفظا لروابط الأسرة وصونا للأنساب يحرم الإسلام الانطلاق فى التلقيح الصناعى لتوالد الأنساب ولا يجيزه ــ كما سبق ــ إلا بين الزوجين بالشروط المتقدم بيانها .

وبديلا لهذه البنوك وجه الاسلام الانسان الى المحافظة على قوة نسله وسلامة نفسه وجسده وذلك باحسان اختيار كل من الزوجين للآخر والى الاغراب فى الزواج بمعنى ترك الزواج بين ذوى القربى القريبة حتى لايضوى النسل ويضعف كما قال عمر بن الخطاب ناصحا احدى القبائل (قد أضويتم فانكحوا الغرائب) وقيل قديما (بنات العم أصبر والغرائب أنجب) هذه هى المعايير المشروعة التى يقرها الاسلام للحفاظ على النسل ــ نسل الانسان . سليما قويا لاتلك التى يتنادى بها بعض الناس مقلدين أقواما أغوتهم المادية وانغمسوا فيها وتحللوا من كل قيم الدين ، فحسبوا الانسان ونسله مزرعة تجارب كأى مزرعة للنبات أو الحيوان مع أن الله قد كرم الانسان وأعلى قدره وسخر له مافى السموات والأرض .

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (١) .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) الآيتان ٢٤ ، ٢٥ من سورة الانفال .

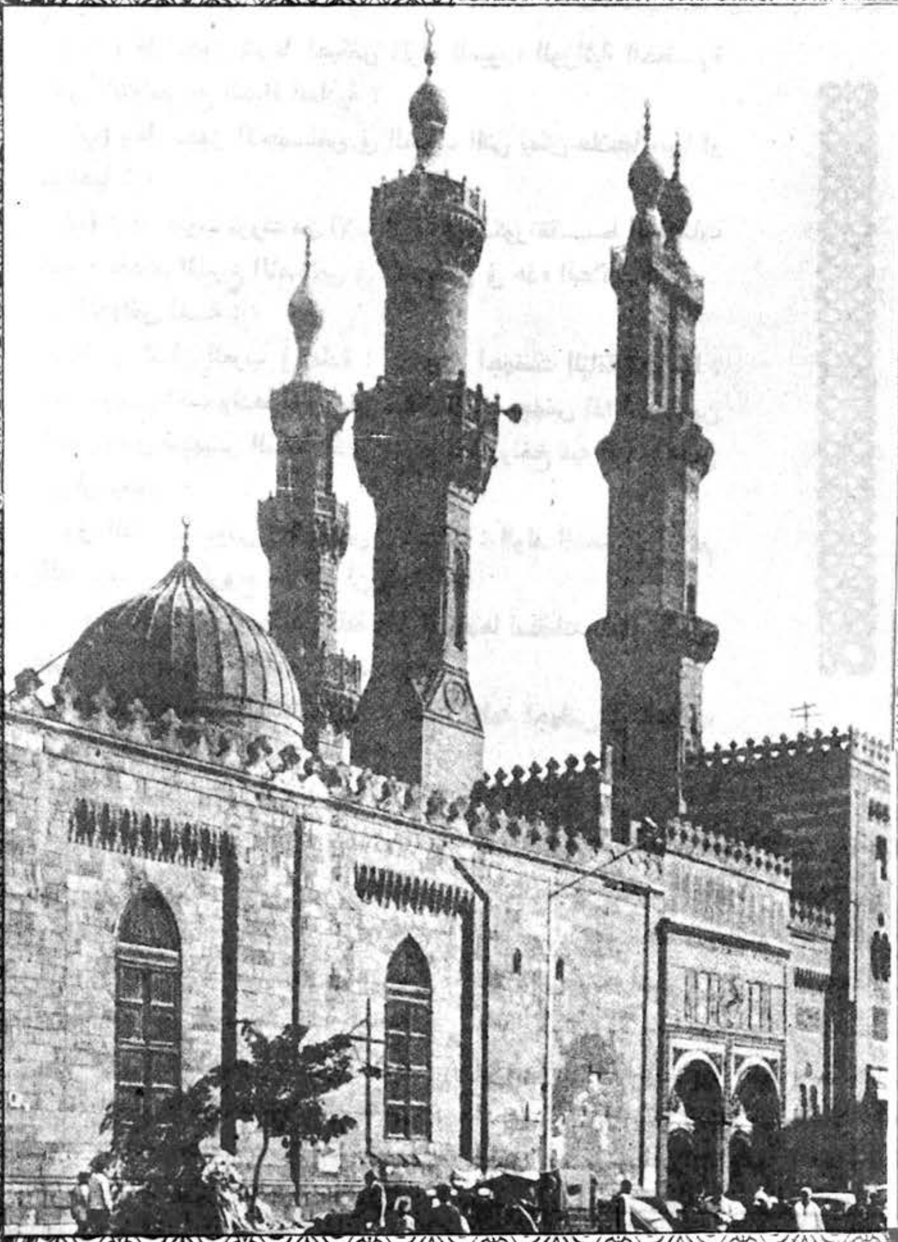

ثانيًا: الإجـــهاض

(١) هل يجوز شرعا اجهاض المرأة للعيوب الوراثية الخطـيرة التى لاتتلاءم مع الحياة العادية ؟

(ب) وهل يجوز الاجهــاض فى العيوب التى يمكن علاجها طبيا أو جراحيا ؟ •

(ج) توجد عيوب تورث من الاب أو الام للذكور فقــط أو الاناث فقط • ماحكم الشرع الاسلامى فى الاجهاض فى هذه الحالات ؟

الاجهاض لغــة :

جاء فى لسان العرب فى مادة : جهض / أجهضت الناقة اجهاضا ، وهى مجهض ألقت ولدها لغير تمام ويقال للولد مجهض اذا لم يستبن خلقه ، وقيل الجهيض السقط الذى قد تم خلقه ونفخ فيه الروح مــن غير أن يعيش •

وفى القامــــوس : الجهيض والمجهض : الولد السقط أو ما تم خلقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش •

وفى المصباح : أجهضت الناقة والمرأة ولدها أسقطته ناقص الخلق فهى جهيض وجهضه بالهاء وقـــد تحذف •

وعبارة المصباح تشير الى جـــواز استعمال كلمة اجهاض فى الناقــة والمرأة على السواء •

الاجهاض عند الفقهاء :

جرت عبارة فقهاء المذاهب عدا الشافعية والشيعة الجعفرية على استعمال كلمة اسقاط فى المعنى اللغوى لكلمة اجهاض ، وبهذا يكون الاسقاط عند الفقهاء الذين درجوا عــــلى استعمال هذا اللفظ معناه القاء المرأة جنينها قبل أن يستكمل مدة الحمل ميتا أو حيا دون أن يعيش وقد استبان بعض خلقه بفعل منهــا كاستعمال دواء أو غيره أو بفعل من غيرها •

حكم الاجهاض دينا وهل يأثم من يفعله ؟ •

قال فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة (١) :

يباح اسقاط الحمل ، ولو بلا اذن الزوج ، قبل مضى أربعة أشهر ، والمراد قبل نفخ الروح وهذا لايكون الا بعد هذه المدة ، وفى بـــاب الكراهة من الخانية : ولا أقول بالحــل ، اذ المحرم لو كسر بيض الصيد ضمنه ، لأنه أصل الصيد ، فلما كان مؤاخذ بالجزاء فلا أقل من

(١) حاشية رد المحتار لابن عــابدين جـ ٢ ص ٤١١ وفتح القدير للكمال بن الهمــام جـ ٢ ص ٤٩٥ .

أن يلحق المرأة اثم هنا اذا أسقطت من غير عذر ، كأن ينقطع لبنها بعد ظهور الحمل وليس لأبى الصبى مايستأجر به المرضع ويخاف هلاكه (١) .

وهل يباح الاسقاط بعد الحبل ؟ .

يباح مالم يتخلق منه شىء وقد قالوا فى غير موضع : ولايكون ذلك الا بعد مائة وعشرين يوما ، وهذا يقتضى أنهم أرادوا بالتخلق نفخ الروح ، وفى قول لبعض فقهاء المذهب أنه يكره وان لم يتخلق لأن الماء بعد ما وقع فى الرحم مآله الحياة ، فيكون له حكم الحياة كما فى بيضة صيد الحرم ونحوه . قال ابن وهبان: اباحة الاسقاط محمولة على حالة العذر أو أنها لا تأثم اثم القتل .

وفى فقه مذهبى الامام مالك (٢) :

لايجوز اخراج المنى المتكون فى الرحم ولو قبل الاربعين يوما ، واذا نفخ فيه الروح حرم اجماعا ، هذا هو المعتمد وقيل يكره اخراجه قبل الأربعين ، وهذا يفيد أن المراد فى القول الأول بعدم الجواز التحريم ، كما يفيد النقل جميعه : أنه ليس عند المالكية قول بإبَاحَةِ اخراج الجنين قبل نفخ الروح فيه ، فبعده بالأولى ، ونص ابن رشد : على أن مالكا استحسن فى اسقاط الجنين الكفارة ولم يوجبها لتردده بين العمد وَالخطأ واستحسان الكفارة يرتبط بتحقق الاثم .

وفى فقه مذهب الامام الشافعى (٣) :

اختلف علماء المذهب فى التسبب فى اسقاط الحمل الذى لم تنفخ فيه الروح ، وهو ما كان عمره الرحمى مائة وعشرون يوما ، والذى يتجه الحرمة ، ولا يشكل عليه العزل لوضوح الفرق بينها ، بأن المنى حال نزوله لم يتهيأ للحياة بوجه بخلافه بعد الاستقرار فى الرحم وأخذه فى مبادىء التخلق وعندهم أيضا : اختلف فى النطفة قبل تمام الاربعين على قولين : قيل لايثبت لها حكم السقط والوأد وقيل لها حرمة ولا يباح افسادها ولا التسبب فى اخراجها بعد الاستقرار ، وفى تعليق لبعض الفقهاء : قال الكرابيسى : سألت أبا بكر بن أبى سعيد الفراتى عن رجل سقى جاريته شرابا لتسقط ولدها فقال مادامت نطفة أو علقة فواسع له ذلك ان شاء الله وفى احياء علوم الدين للغزالى فى التفرقة بين الاجهاض والعزل أن ماقبل نفخ الروح يبعد الحكم بعدم تحرمه أما فى حالة نفخ الروح فما بعده الى الوضع فلا شك فى التحريم وأما ماقبله فلايقال أنه خلاف الأولى .

بل يحتمل للتنزيه والتحريم ويقوى التحريم فيما قرب من زمن النفخ لأنه جريمة .

(١) من الاعذار المبيحة للاجهاض شعور الحامل بالهزال والضعف عن تحمل اعباء الحمل لا سيما اذا كانت ممن يضعن بغير طريقه الطبيعى (الشق الجانى) المعروف الآن بالعملية القيصرية ، فهذا وامثاله يعتبر عذرا شرعا مبيحا لاسقاط الحمل قبل نفخ الروح دون اثم أو جزاء جنائى شرعى .

(٢) حاشية الدسوقى على شرح الدردير جـ٢ ص ٢٦٦ وبداية المجتهد جـ ٢ ص ٣٤٨ .

(٣) حاشية البيجرمى على الاقناع جـ ٤ ص ٤٠ وحاشية الشبراملى على نهاية المحتاج،

التلقيح الصناعي.. والإجهاض

وفى فقه مذهب الامام أحمد بن حنبل (١) :

أنه : يباح للمرأة القاء النطفة قبل أربعين يوما بدواء مباح • ويؤخذ من هذا أن الاجهاض بشرب الدواء مباح فى هذه الفترة حكمه الاباحة ونقل ابن قدامة فى المغنى:أن من ضرب بطن امرأة فألقت جنينا فعليه كفارة وغرة واذا شربت الحامل دواء فألقت به جنينا فعليها غرة وكفارة ، ومقتضى وجوب الكفارة أن المرأة آثمة فيما فعلت ويؤخذ من النصوص التى ساقها ابن قدامة أن الضمان لايكون الا بالنسبة للجنين الذى ظهرت فيه الروح على الصحيح•

وفى فقه المذهب الظاهرى (٢) :

أن من ضرب حاملا فأسقطت جنينا فان كان قبل الأربعة الأشهر وقبل تمامها فلا كفارة فى ذلك لكن الغرة واجبة فقط لأن رسول الله حكم بذلك ، لأنه لم يقتل أحد لكنه أسقط جنينا فقط واذا لم يقتل أحدا فلا كفارة فى ذلك ، ولايقتل الا ذو الروح وهذا لم ينفخ فيه الروح بعد ، ومقتضى ذلك حدوث الاثم على مذهبهم فى الاجهاض بعد تمام الأربعة الأشهر ،اذ أوجبوا الكفارة التى لاتكون الا مع تحقق الاثم ولم يوجبوها فى الاجهاض قبل ذلك •

(١) الروض المربع باب العدد ص ٤٤٧ والمغنى لابن قدامة جـ ٨ فى كتاب الديات •

(٢) المحلى لابن حزم جـ ١١ ص ٣٥ — ص ٤٠ •

وفى فقه الزيدية (٣) :

لاشىء فيما لم يستبن فيه التخلق كالمضغة والدم ، ولا كفارة فى جنين ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالغرة ولم يذكر كفارة ، ثم ان ما خرج ميتا لم يوصف بالايمان واذا خرج حيا ثم مات ففيه الكفارة ، ومقتضاه وجود الاثم فى هذه الجزئية •

وفى فقه الشيعة الامامية (٤) :

أنه تجب الكفارة بقتل الجنين حين تلجه الروح كالمولود ، وقيل مطلقا سواء ولجت فيه الروح أم لم تلج فيه الروح •

وفى فقه الأباضية (٥) :

أنه ليس للحامل أن تعمل مايضر بحملها من أكل أو شرب ، كبارد وحار ورفع ثقيل فان تعمدت مع علمها بالحمل لزمها الضمان والاثم والا فلا اثم •

ونخلص من أقوال فقهاء تلك المذاهب فى هذا الموضع الى أن فى مسألة الاجهاض قبل نفخ الروح فى الجنين أربعة أقوال :

الاول : الاباحة مطلقا من غير توقف على وجود عذر وهو قول فقهاء الزيدية ويقرب منه قول فريق من فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة وان قيده فريق آخر منهم بأن الاباحة مشروطة لوجود عذر ، وهو مانقل أيضا عن بعض فقهاء الشافعية •

الثانى : الاباحة لعذر أو الكراهة عندانعدام العذر وهو ماتفيده أقوال فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة وفريق من فقهاء مذهب الامام

(٣) البحر الزخار جـ ٥ ص ٢٦٠ و ٤٥٧ •
(٤) الروضة البهية جـ ٢ ص ٤٤٥ •
(٥) شرح النيل جـ ٨ ص ١١٩ ، ١٢١ •

الشافعى .

الثالث : الكراهة مطلقا وهو رأى بعض فقهاء مذهب الامام مالك .

الرابع : الحرمة وهو المعتمد عند المالكية والمتفق مع مذهب الظاهرية فى تحريم العزل

حكم الاجهاض بعد نفخ الروح وعقوبته الجنائية شرعا :

تدل أقوال فقهاء المذاهب (١) جميعا على أن اسقاط الجنين ، دون عذر ، بعد نفخ الروح فيه أى بعد الشهر الرابع الرحمى ، محظور . وقد نصوا على أنه تجب فيه عقوبة جنائية ، فاذا – أسقطت المرأة جنينها وخرج منها ميتا بعد أن كانت الروح قد سرت فيه ، وجب عليها ما أطلق عليه الفقهاء اصطلاح (٢) الغرة وكذلك الحكم اذا أسقطه غيرها وانفصل عنها ميتا ولو كان أبوه هو الذى أسقطه ، وجبت عليه الغرة أيضا ، وبعض الفقهاء أوجب مع ذلك كفارة .

ومقتضى هذا أن هناك اثما وجريمة فى اسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه ، وهذا حق ، لأنه قتل انسان وجدت فيه الروح الانسانية ، فكان هذا الجزاء الدينى بالاثم وفيه الكفارة ، والجزاء الجنائى بالتغريم وهو الغرة .

اما اذا قامت ضرورة تحتم الاجهاض كما اذا كانت المرأة عسرة الولادة ورأى الأطباء المختصون أن بقاء الحمل فى بطنها ضار بها ، فعندئذ يجوز الاجهاض ، بل يجب اذا كان يتوقف عليه حياة الأم عملا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين وأهون الشرين ولامراء فى أنه اذا دار الامر بين موت الجنين وموت أمه كان بقاؤها أولى لأنها أصله ، وقد استقرت حياتها ولها حظ مستقل فى الحياة .

كما أن لها وعليها حقوقا ، فلا يضحى بالأم فى سبيل جنين لم تستقل حياته ولم تتأكد .

وهناك تفصيلات فى فقه المذاهب فى اسقاط الجنين ونزوله حيا ثم موته وفى التسبب فى الاسقاط وفى موت الأم بسبب الاسقاط ومتى تجب الدية أو الغرة والكفارة فى بعض الصور ، ولمن أراد الاستزادة فى هذه الاحكام أن يطالعها فى كتاب الديات فى فقه المذاهب .

واذ قد تبينا من هذا العرض الوجيز : أقوال الفقهاء فى شأن اباحة الاجهاض أو عدم اباحته فيما قبل تمام الأربعة الأشهر الرحمية ، وفيما بعدها والجزاء الدينى والجنائى الدنيوى شرعا فى كل حال كما تبينا جواز الاجهاض اذا كان هناك عذر سواء قبل نفخ الروح أو بعدها .

فهل يدخل فى الأعذار المبيحة للاجهاض

---

١ – فى الفقة الحنفى – حاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار جـ ٥ ص ٤١٠ و٤١٣ وفتح القدير للكمال بن الهمام على الهداية جـ ٤ ص ١٥٣ – وفى الفقه المالكى حاشية الدسوقى وشرح الدردير جـ ٤ ص ٢٦٨ وبداية المجتهد جـ ٢ ص ٣٤٧ وفى الفقه الشافعى نهاية المحتاج جـ ٧ ص ٣٦٠ و ٣٦٤ – وفى الفقه الحنبلى – المغنى لابن قدامة فى كتاب الديات جـ ٨ وفى الفقه الظاهرى المحلى لابن حزم جـ ١١ص ٣٧ – ٤٦ – وفى الفقه الزيدى – البحر الزخار جـ ٧ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ وفى فقه الامامية – الروضة البهية جـ ٢ ص ٤٤٤ و ٤٤٥ وفى الفقه الاباضي – شرح النيل جـ ٨ ص ١١٩ وص ١٢١ .

٢ – الغرة تساوى نصف عشر الدية الكاملة اى ما يقابل ٥٪ من الدية التى قدرها جمهور الفقهاء بألف دينار أو عشرة آلاف درهم سواء فى ذلك ما اذا ما كان السقط ذكرا أو انثى ، والدينار من الذهب يساوى وزنا الآن ٤/٢٥٠ جراما والدرهم من الفضة يساوى وزنا الآن ٢/٩٧٥ جراما . ثم يحتسب السعر وقت الحادث موضوع التغريم بالغرة .

التلقيح الصناعي .. والإجهاض .

ما يكشفه العلم بالأجنة من عيوب خلقية أو مرضية وراثية تعالج بالجراحة أولا تعالج على نحو ما جاء بالصور المطروحة بالسؤال ؟ •

قبل الاجابة على هذا ينبغى أن نقف على الحكم الشرعى فى وراثة الأمراض وغيرها •

حكم الاسلام فى وراثة الأمراض والصفات والطباع وغيرها :

إن وراثة الصفات والطباع والأمراض وتناقلها بين السلالات ـ حيوانية ونباتية ـ وانتقالها مع الوليد والى الحفيد أمر قطع به الاسلام (٠٠ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ** ٠٠) (١)؟ وكشف العلم عنه • يدلنا على هذه الحقيقة نصائح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوجيهاته فى اختيار الزوجة فقد قال : **(تخيروا لنطفكم ٠٠) (٢) وقال : (اياكم وخضراء الدمن وهى المرأة الحسناء فى منبت السوء) (٣) •**

وتفسر معاجم اللغة لفظ (الدمن) بأنه ما تجمع وتجمد من روث الماشية وفضلاتها ، فكل ما نبت فى هذا الروث وان بدت خضرته ونضرته الا أنه يكون سريع الفساد ، وكذلك المرأة الحسناء فى المنبت السوء تنطبع على ما طبعت عليه لحمتها وغذيت به •

ومن هذا القبيل تحريم أكل لحم السباع وغيرها من الحيوانات سيئة الطباع والمتوحشة منعا لانتقال طباعها وصفاتها الى الانسان •

ولعل نظرة الاسلام الى علم الوراثة تتضح جليا من هذا الحوار الذى دار بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين رجل من بنى فزارة اسمه ضمضم بنقتادة حين قال(٤) هذا الرجل : ان امرأتى ولدت غلاما أسود وهو بهذه العبارة يعرض بأن ينفى نسب هذا الولد اليه ـ فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (هل لك من ابل) ؟ • قال : نعم ، قال ما ألوانها ؟ • قال : حمر • قال : (فهل فيها من أورق) ؟ • (أى لونه لون الرماد) قال : نعم • قال : أنى ترى ذلك ؟ • قال : أراه نزعة عرق • قال : فلعل هذا نزعة عرق) •

قال الشوكانى فى نيل الأوطار (٥) فى شرح هذه العبارة الأخيرة : المراد بالعرق الأصل من النسب تشبيها بعرق الشجر ومنه قولهم فلان عريق فى الأصالة أى أن أصله متناسب •

وهذا عمر بن الخطاب الخليفة الثانى فى الاسلام يقول (٦) لبنى السائب وقد اعتادوا التزوج بقريباتهم قد أضويتم (٧) فانكحوا الغرائب ومعناه تزوجوا الغرائب ، ويقال أغربوا ولا تضووا ، وهذا دليل على أن الزواج

---

(١) من الآية ١٤ من سورة الملك •

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٩ ص ١٠٢ فى باب اى نساء خير •

(٣) رواه الدار قطنى من حديث ابى سعيد الخدرى احياء علوم الدين للغزالى ج ٤ ص ٧٢٤ •

(٤) هذا الحديث متفق عليه ـ شرح السنة للبغوى باب الشك فى الولد برقم ٢٣٧٧ ج ٩ ص ٢٧٣ وبلوغ المرام لابن حجر العسقلانى وشرحه سبل الاسلام للصنعانى ج ٣ ص ٢٤٦ فى باب اللعان .

(٥) ج ٦ ص ٢٧٨ باب النهى عن أن يقذف زوجته لانها ولدت ما يخالف لونهما .

(٦) المغنى عن حمل الاسفار فى تخريج ما فى الأحياء من الاخبار للحفاظ العراقى المطبوع على هامش احياء علوم الدين للغزالى ص ٧٢٤ فى كتاب آداب النكاح .

(٧) فى المصباح المنير : ضوى الولد من باب تعب اذا صغر جسمه وهزل واضويته اضعفته

بين ذوى القربى مؤد الى الضمور والضعف ؛ ومن أجل هذا كان توجيه عمر بالزواج من غير القريبات حتى لا تتكاثر الصفات أو الأمراض الموروثة المتداولة فى سلالة واحدة ، فتضعف الذرية بوراثة الأمراض ٠

ولم يفت علم الوراثة أئمة الفقه الاسلامى، فان الامام الشافعى رضوان الله عليه لما قال بجواز فسخ الزواج بسبب الجذام والبرص، كان مما أورده تعليلا لهذا : أن الولد الذى يأتى من مريض بأحد هذين الدائين قلما يسلم ، وان سلم أدرك نسله ٠

قال العلامة ابن حجر الهيثمى فى تحفة (١) المحتاج بشرح المنهاج فى نقل تعليل الامام الشافعى : والجذام والبرص يعديان المعاشر والولد أو نسله كثيرا كما جزم به فى الأم وحكاه عن الأطباء المجربين فى موضع آخر ٠

واذا كان ذلك هو ما جرى به فقه الاسلام إما صراحة كهذا النقل عن الامام الشافعى أو ضمنا واقتضاء لنصوص الفقهاء فى مواضع متعددة وكان سنده ماجاء فى نصوص القرآن والسنة الشريفة من تحريم أكل بعض الحيوانات وما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العديد من أحاديثه الشريفة عن هذه الوراثة حسبما مضى من القول كان انتقال بعض الآفات الجسدية والنفسية والعقلية من الأصول الى الفروع حقيقة واقعة لامراء فيها ٠

وقد أثبت العلم بوسائله الحديثة أن أنواعا من الأمراض تنتقل من المصاب بها الى سلالته وأنها اذا تخطت الولد ظهرت فى ولد الولد أو فى الذرية من بعده ، فالوراثة بانتقال بعض الأمراض والطباع والصفات من الأصول الى الفروع والأحفاد صارت واقعا مقطوعا به ، أو على الأقل ظنا راجحا بالاستقرار والتجارب واذا كان انتقال بعض الأمراض والعيوب الجسدية وراثة من الأصول للفروع على هذا الوجه من الثبوت الشرعى والعلمى ، فهل يجوز التعقيم نهائيا بمعنى منع الصلاحية للانجاب لمن يثبت اصابته من الزوجين أو كليهما بمرض لابرء منه ، وكان من خصائصه وسماته الانتقال بالوراثة ؟ ٠ وهل يجوز الاجهاض ، بمعنى اسقاط الجنين ، اذا اكتشفت عيوبه الخطيرة التى لا تتلاءم مع الحياة العادية ٠

وهل يجوز الاجهاض اذا كانت هذه العيوب يمكن أن يعيش بها الجنين بعد ولادته حياة عادية ؟

وهل يجوز الاجهاض اذا كانت العيوب من الممكن علاجها طبيا أو جراحيا ؟ أولا يمكن علاجها حاليا ؟ ثم العيوب التى تورث من الأب أو الأم للأجنة الذكور فقط أو للاناث فقط ، هل يجوز الابقاء على السليم واجهاض المعيب ؟ ٠

للاجابة على هذه التساؤلات نعود الى القرآن الكريم والى السنة الشريفة فلا نجد فى أى منهما نصا خاصا صريحا يحرم التعقيم، بمعنى جعل الانسان ذكرا كان أو أنثى – غير صالح للانجاب نهائيا وبصفة مستمرة بجراحة أو بدواء أو بأية وسيلة أخرى لكن النصوص العامة فيهما تأباه وتحرمه بهذا المعنى واعمالا لهذه النصوص قال جمهور الفقهاء ان تعقيم الانسان محرم شرعا اذا لم تدع اليه الضرورة، وذلك لما فيه من تعطيل الانسال المؤدى الى اهدار ضرورة المحافظة على النسل وهى احدى

(١) حواشى تحفة المحتاج بشرح المنهاج جـ ٧ ص ٣٤٧ فى باب الخيار فى النكاح .

التلقيح الصناعي .. والإجهاض

الضرورات الخمس التى جعلها الاسلام من مقاصده الأساسية فى تشريع أحاكمه (١) •

أما اذا وجدت ضرورة داعية لتعقيم انسان، كما اذا كان به مرض عقلى أو جسدى أو نفسى مزمن عصى على العلاج والدواء ، وهو فى الوقت نفسه ينتقل الى الذرية عن طريق الوراثة ، جاز لمن تأكدت حالته المرضية بالطرق العلمية والتجريبية أن يلجأ الى التعقيم الموقوت ، لدفع الضرر القائم فعلا ، المتيقن حدوثه اذا لم يتم التعقيم ، وذلك باتخاذ دواء أو أى طريق من طرق العلاج لافساد مادة اللقاح أو باذهاب خاصيتها ، سواء فى هذا الذكر والأنثى ونعنى باباحة التعقيم الموقوت أن يمكن رفع هذا التعقيم واستمرار الصلاحية للانجاب متى زال المرض •

والى مثل هذا المعنى أشار الفقهاء فى كتبهم فقد نقل ابن عابدين (٢) فى حاشيته رد المحتار على الدر المختار فى الفقه الحنفى عن صاحب النهر أنه يجوز للمرأة أن تسد فم الرحم منعا من وصول ماء الرجل اليه لأجل منع الحمل ، واشترط صاحب البحر لذلك اذن زوجها • ونقل البيجرمى (٣) من فقهاء الشافعية ، أنه : يحرم استعمال ما يقطع الحمل من أصله ، أما ما يبطىء الحمل مدة ولا يقطعه فلا يحرم ،بل ان كان لعذر كتربية ولده لم يكره والا كره •

وقد فرق الشيراملسى الشافعى (٤) بين ما يمنع الحمل نهائيا وبين ما يمنعه مؤقتا وقال : بتحريم الأول وأجاز الثانى باعتباره شبيها بالعزل فى الاباحة •

وصرح الرملى الشافعى نقلا عن الزركشى بأن استعمال ما يمنع الحمل قبل انزال المنى حالة الجماع مثلا لا مانع منه (٥) •

وقال القرطبى المالكى فى كتابه الجامع لأحكام القرآن : ان النطفة لا يتعلق بها حكم اذا ألقتها المرأة قبل أن تستقر فى الرحم•

هذه النصوص تشير بلا شك الى تحريم التعقيم النهائى المانع للانجاب حالا ومستقبلا أما التعقيم المؤقت بمعنى وقف الحمل فتجيزه تلك النصوص وغيرها •

ذلك لأن التطور العلمى والتجريبى دل على أن هناك أمراضا قد تبدو فى وقت ما مستعصية على العلاج ، ثم يشفى منها المريض فى الغد القريب أو البعيد ، اما لعوامل ذاتية واما بتقدم وسائل العلاج من الأدوية والجراحة وغيرهما وعندئذ يمكن رفع التعقيم المؤقت عملا بقاعدة : ما جاز بعذر بطل بزواله •

هذا بالاضافة الى أن التعقيم بمعنى وقف الانجاب مؤقتا بوضع الموانع أو العوامل المفسدة لمادة اللقاح لدى الزوج أو الزوجة أو كليهما بصفة وقتية ، ريثما يتم العلاج أو انتظارا للشفاء من المرض أمر من الأمور التى تدخل فى باب التداوى المأمور به شرعا فى

(١) الموافقات للشاطبى جـ ٢ ص ٨ وما بعدها فى مقاصد الشريعة .

(٢) جـ ٢ ص ٤١٢ .

(٣) حاشية الخطيب على الاقناع جـ ٤ ص ٤٠ .

(٤) نهاية المحتاج وحواشيه جـ ٨ ص ٤١٦ .

(٥) ج ١٢ ص ٨ .

أحاديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومنها قوله للأعــرابى الذى ســأله : أنتداوى يا رسول الله ؟ • قال : نعم ، فان الله لم ينزل داء الا أنزل له شفاء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله ١ • رواه أحمد •

أما عن التساؤلات المطروحة عن الاجهاض فى تلــك الصــور المبينــة فى الســؤال فقــد تقدم بيان أقوال فقهاء المذاهب فى مراحــــل الحمل ، ويؤخذ من تلك الأقوال أن الحمل متى استقر رحميا لمدة مائة وعشرين يوما أو أربعة أشهر فقد ثبت بالقرآن والسنة الشريفـــة نفخ الروح فيه بعد اكتمال هذه السن الرحمية، وبذلك يصير انسانا له حقوق الانســـــان الضرورية ، حتى جازت الوصـــية له والوقف عليه ويستحق الميراث ممن يموت من مورثيه ، ويكتسب النسب لأبويه ومن يتصل بهما بشروط مبينة فى موضعها وتكاد كلمة فقهاء المذاهب تتفق على أهلية الحمل لهذه الحقوق الأربعة فله أهلية وجوب ناقصة تجعله قابلا للالزام دون الالتزام •

واذا كان الحمل قـــد نفخت فيه الروح وصارت له ذاتية الانسان وحقوقه الضرورية ، صار من النفس التى حرم قتلهـــا فى صريح القرآن الكريم فى آيات كثيرة منها قوله تعالى: (•• **وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّـــهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ** •• (٢) •

وبهذا الاعتبار ومتى أخذ الجنين خصائص الانسان وصار نفسا من الأنفس التى حرم الله قتلها ، حرم قتله بالاجهاض بأية وسيلة من الوسائل المؤدية الى نزوله من بطن أمه ، قبل تمام دورته الرحمية ، الا اذا دعت ضرورة لهذا الاجهاض ، كما اذا كانت المرأة الحامــل عسرة الولادة وقرر الأطباء المتخصصون أن بقاء الحمل ضار بها ، فعندئذ يباح الاجهاض بل أنه يصير واجبا حتما اذا كان يتوقف عليه حياة الأم عملا بقاعدة (٣) يزال الضرر الأشد بالضرر الأخف وبعبارة أخرى : إذا تعارض مفسدتان روعى أعظمهمـــا ضررا بارتكاب أخفهما • ولهذه القاعدة أمثلة كثيرة أوردهــا الفقهاء • ولاشك أنه اذا دار الأمر بين موت الأم الحامل بسبب الحمل وبين موت هــذا الحمل واسقاطه كان الأولى بقاء الأم لأنهـــا الأصل ، ولا يضحى بها فى سبيل انقاذ الجنين، لاسيما وحياة الأم مستقرة ولها وعليها حقوق وهو بعد لم تستقل حياته ، بل هو فى الجملة كعضو من أعضائها ، وقد أباح الفقهاء قطع العضو المتآكل أو المريض بمرض لا شفاء منه حماية لباقى الجسم وبهـــــذا المعيار الذى استنبطه الفقهاء من مصادر الشريعة ، هــل تصلح العيوب التى تكتشف بالجنين ، أيا كانت هذه العيوبمبررا لاسقاطه بطريق الاجهاض؟ بعد أن نفخت فيه الروح باستكماله مـــائة وعشرين يوما رحمية • لاشك أنه متى استعدنا الأحكام الشرعية التى أجملناها فيما ســبق نقلا عن فقهاء المذاهب الفقهية جميعا ، نرى أنها قد اتفقت فى جملتها على تحريم الاجهاض

---

(١) منتقى الاخبار وشرحه نيل الاوطـــــار للشوكانى فى باب اباحة التداوى جـ ٢ ص ٢٠٠

(٢) من الآية ١٥١ من سورة الانعام .

(٣) الاشباه والنظائر لابن نجيم الحنفى المصرى فى القاعدة الخامسة واتحاف الابصار والبصـــائر بترتيب الاشتباه والنظائر فى الحظر والاباحة .

التلقيح الصناعي .. والإجهاض

بعد نفخ الروح ، حتى أن مذهب الظاهرية قد أوجب القود أى القصاص فى الاجهاض العمد ، وحتى أن قولا فى بعض المذاهب يمنع اسقاطه حتى فى حال اضراره بأمه مساواة بين حياتيهما .

واذ كان ذلك وكان الاجهاض بعد نفخ الروح قتلا للنفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ، لم تكن العيوب التى تكتشف بالجنين مبررا شرعا لاجهاضه أيا كانت درجة هذه العيوب من حيث امكان علاجها طبيا أو جراحيا ، أو عدم امكان ذلك لأى سبب كان اذ قد تقدم القول بأن التطور العلمى والتجريبى دال على أن بعض الأمراض والعيوب قد تبدو فى وقت مستعصية على العلاج ثم يجد لها العلم العلاج والاصلاح وسبحان الله الذى علم الانسان ما لم يعلم ، بل يعلمه بقدر حسب تقدم استعداده ووسائله **(وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)** (١) .

واذا كانت العيوب وراثية أمكن لمنع انتشارها فى الذرية الالتجاء الى وقف الحمل مؤقتا حسبما تقدم بيانه . أما اكتشاف العيوب المسئول عنها فى الصور المطروحة بالسؤال بالجنين قبل نفخ الروح فيه ، فانه قد تقدم بيان أقوال الفقهاء فى الاجهاض فى هذه المرحلة وأنه يجوز دون حرج عند فقهاء الزيدية وبعض فقهاء المذهب الحنفى وبعض الشافعية الاجهاض لأى سبب ، بل وبدون سبب ظاهر ، لان الجنين عند هؤلاء ــ قبل نفخ الروح فيه لم يأخذ صفة الانسان وخاصية النفس التى حرم الله قتلها .

والذى أختاره وأميل اليه فى الاجهاض قبل استكمال الجنين مائة وعشرين يوما رحميا أنه يجوز عند الضرورة التى عبر عنها الفقهاء بالعذر .

وفى كتب الفقه الحنفى (٢) أن من الأعذار التى تبيح الاجهاض من قبل نفخ الروح انقطاع لبن الأم بسبب الحمل ، وهى ترضع طفلها الآخر وليس لزوجها والد هذا الطفل ما يستأجر به المرضع له ويخاف هلاكه وفى نطاق هذا المثال الفقهى ، واذا لم يمكن ابتداء وقف الحمل بين زوجين ظهر بهما أو بأحدهما مرض أو عيب خطير وراثى يسرى الى الذرية، ثم ظهر الحمل ، وثبت ثبوتا قطعيا دون ريب بالوسائل العلمية والتجريبية أن بالجنين عيوبا وراثية خطيرة لاتتلاءم مع الحياة العادية ، وأنها تسرى بالوراثة فى سلالة أسرته جاز اسقاطه بالاجهاض مادام لم تبلغ أيامه الرحمية مائة وعشرين يوما .

---

(١) من الآية ٨٥ من سورة الاسراء .

(٢) حاشية رد المحتار على الدر المختار جـ ٢ ص ٤١١ .

أما الأجنة المعيبة بعيوب يمكن علاجها طبيا أو جراحيا ، أو يمكن علاجها حاليا ، والعيوب التى من الممكن أن تتلاءم مع الحياة العادية هذه الحالات لا تعتبر العيوب فيها عذرا شرعيا مبيحا للاجهاض لأنه واضح من فرض هذه الصور أنه لا خطورة منها على الجنين وحياته العادية فضلا عن احتمال ظهور علاج لها تبعا للتطور العلمى •

أما الأجنة التى ترث عيوبا من الأب أو من الأم ، للذكور فقط أو للاناث فقط فيجوز اسقاطها اذا ثبت أنها عيوب وراثية خطيرة مؤثرة على الحياة مادام الجنين لم يكتمل فى الرحم مدة مائة وعشرين يوما •

ومن هذا يتضح أن المعيار فى جواز الاجهاض قبل استكمال الجنين مائة وعشرين يوما رحميا هو أن يثبت علميا وواقعيا خطورة ما به من عيوب وراثية ، وأن هذه العيوب تدخل فى النطاق المرضى الذى لا شفاء منه وأنها تنتقل منه الى الذرية ، أما العيوب الجسدية كالعمى أو نقص احدى اليدين أو غير هذا ، فانها لا تعتبر ذريعة مقبولة للاجهاض ، لاسيما مع التقدم العلمى فى الوسائل التعويضية للمعوقين •

وأن المعيار فى جواز الاجهاض للحمل الذى تجاوزت أيامه الرحمية مائة وعشرين يوما وصار بذلك نفسا حرم الله قتلها ، هو خطورة بقائه حملا فى بطن أمه على حياتها سواء فى الحال أو فى المآل عند الولادة كما اذا ظهر هزالها وضعفها عن احتمال تبعات الحمل حتى اكتمال وضعه وكما اذا كانت عسرة الولادة ، أو تكررت ولادتها بما يسمى الآن بالعملية القيصرية ، وقرر الأطباء المختصون أن حياتها معرضة للخطر اذا ولدت هذا الحمل بهذه الطريقة واستمر الحمل فى بطنها الى حين اكتماله •

ويحرم بالنصوص العامة فى القرآن والسنة ــ الاجهاض بعد نفخ الروح فى الجنين بسبب عيوب خلقية أو وراثية اكتشفها الأطباء فيه بوسائلهم العلمية ، لأنه صار انسانا محصنا من القتل كأى انسان يدب على الارض لا يباح قتله بسبب مرضه أو عيوبه الخلقية وسبحان الله الذى كرم الانسان وجعله خليفته ، وصانه عن الامتهان ورسول الاسلام ــ صلى الله عليه وسلم ــ وان ابتغى فى المسلم القوةبقوله:

(المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير) (١) الا أنه لم يأمر بقتل الضعيف ، بل أمر بالرحمة به وهذا الجنين المعيب داخل فيمن طلب الرسول صلى الله عليه وسلم شمولهم بالرحمة فى كثير من أحاديثه الشريفة •

---

(١) سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٤١ فى باب القدر عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

التلقيح الصناعى لتوالد الإنسان.. والإجهاض

ما موقف الطبيب من الاجهاض شرعا ؟ ٠

لقد قال سبحانه تعليما وتوجيها لخلقه (١)
(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ٠

والطبيب فى عمله وتخصصه من أهل الذكر ، والعلم أمانة ومن ثم كان على الطبيب شرعا أن ينصح لله ولرسوله وللمؤمنين واذا كانت الأعذار المبيحة للاجهاض فى مراحل الحمل المختلفة منوطة برأى الطبيب حسبما تقدم بيانه كان العبء عليه كبيرا ، ووجب عليه ألا يعجل بالرأى قبل أن يستوثق بكل الطرق العلمية الممكنة وأن يستوثق بمشورة غيره فى الحالات التى تحتاج للتأنى وتحتمله ٠

وقد بين الفقهاء جزاء المتسبب فى اسقاط الحمل جنائيا دنيويا بالغرة أوالدية فى بعض الأحوال وبالاثم دينا على الوجه السابق اجماله ٠

هذا وقد حرم القانون الجنائى المصرى الاجهاض وعاقب عليه فى جميع مراحل الحمل (٢) ٠ فالقانون يعاقب المرأة الحامل وكل من تدخل فى إجهاضها إذا رضيت به ، كما يعاقب من يدلها عليه، أو يجريه لها أو يعاونها فيه حتى لو كان ذلك برضائها وسواء كان طبيبا أو غير طبيب وذلك مالم يكن الإجهاض قد أجراه الطبيب لغرض العلاج إنقاذا للأم من خطر محقق أو وقاية للأم من حالة تهدد حياتها إذا استمر الحمل وهذه الحالات يقرها الفقه الاسلامى كما تفيده النصوص سالفة الاشارة ٠

والله سبحانه وتعالى أعلم ٠
جاد الحق على جاد الحق

---

(١) من الآية ٧ من سورة الانبياء ٠
(٢) المواد ـــ من ٢٦٠ الى ٢٦٤ عقوبات ٠

منهج الإسلام في علاج المشاكل الإجتماعية

لفضيلة الشيخ عطية صقر
عضو مجمع البحوث الاسلامية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد : فان المنهجية فى عصرنا الحديث قد احتلت مكانا بارزا فى كل نشاط ثقافى أو اجتماعى أو اقتصادى أو سياسى ، وفى سائر أنواع الانشطة البشرية ، وكثر الحديث عن أهميتها كأنها شىء من مبتدعات العصر ، واكتشافات رواد الفكر ، لم يقل به انسان سبق ، ولم يأت به تشريع تقدم .

ان المنهج هو الاسلوب الذى تمارس به الاعمال ، وهو الطريق الذى يضمن الوصول الى الغاية بسلام ، وتشتد الحاجة اليه فى المشاكل المعقدة والقضايا الهامة ، حيث تتبادل الآراء فيختار أدقها وأحسنا ، وتطرح الحلول فيختار أوفقها وأيسرها ويراقب التنفيذ ليكون متساوقا مع التخطيط الموضوع ، وذلك ليؤمن العثار ويختصر الزمن ويوفر الجهد .

ان المنهج يحمل فى طياته معنى النظام وللنظام أهميته الكبرى فى الوجود كله ، فهو الصورة التى أقام الله عليها الكون كله ، علويه وسفليه ، ماديه ومعنويه ، دنيويه وأخرويه ، وهو السياسة الحكيمة التى ساس عليها البشر وسائر من خلق .

قال تعالى : **« إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ »** القمر ٤٩ ، وقال : **« وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ »** الرعد ٨ .

ومن الأشياء التى ظهر فيها هذا التقدير المحكم ولفت الله نظرنا اليه ما جاء فى قوله سبحانه : **« وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ »** الانبياء ٣٣ وما جاء موضحا أكثر فى قوله تعالى: **« وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم**

منهج الإسلام

فى علاج المشاكل الاجتماعية

مُّظْلِمُونَ • وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ• لَا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » يس ٣٧ — ١٠ •

وسياسة الله للبشر قائمة على النظام الدقيق الذى لا يتأثر بهوى شخص ولا باقتراح انسان ولا بتوجيه أية قوة خارجة عن سلطان الله وحده • فكم اقترح الكفار على الانبياء آيات فلم يستجب الله لهم ، لان كل شىء له أجله المعلوم • قال تعالى :

« وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ• لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ » الرعد ٣٨ وقال : « وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَٰوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ » المؤمنون ٧١ وقال :

« وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » العنكبوت ٥٣ •

واذا كان الله سبحانه قد خلق الكون وسيره حسب نظام دقيق محكم ، فهو يحب لنا أن نكون فى حياتنا ملتزمين قانون النظام ، ومهتدين بهديه فى علاج مشاكلنا بالذات ، ذلك أن العقل البشرى، على الرغم منقوته الجبارة مشدود بعوامل كثيرة قد تحيد به عن الجادة فيتنكب الطريق المستقيم• وقد رأينا الفلاسفة الذين تحدث عنهم التاريخ واتخذهم الناس قدوة فى فكرهم وسلوكهم كانت لهم هنات وقعوا فيها تحت تأثير عقيدة مسيطرة أو عرف غالب ، أو هوى متحكم ، أو قصور نظر لم يحط بكل الظروف علما ، حتى ان بعضهم كان يقول : الحق ما أراه أنا ، والخير هو ما حقق مصلحة لى ، ومنهم من حاول اصلاح المجتمع بنظريات مثالية ، تجاهل فيها ظروف الواقع ففشل ، كأفلاطون الذى أخفق فى اقامة جمهوريته المثالية على الرغم من اتاحة الفرصة عدة مرات •

ان مشاكل المجتمعات لا تقف عند حد ، ذلك أن طبيعة الحياة هى التغير والتطور ، والمشاكل بالتالى تتكاثر وتتعقد •

والملاحظ أنه كلما جدت فى مجتمع اسلامى مشكلة انعقدت المؤتمرات وتبودلت الآراء وطرحت الحلول ، ثم كانت الحصيلة مجرد توصيات أو قرارات ، وكثيرا ما يكون هذا النشاط المكثف لحل المشكلة قائما على أساس النظريات الفلسفية والاجتماعية التى قال بها مفكرو الغرب ، الذين يختلفون عن عالمنا الاسلامى الذى تبحث مشكلته ، يختلفون عنه فى عقيدته وعرفه وظروفه ورسالته وسائر أوضاعه • وقل أن يطرح فيها حل قال به الدين وما أدرى أذلك لجهل بالدين أم لتجاهل

له ، ولم هذا التجاهل ؟ هل هو لشعور بأنه نظام قديم لا يصلح للحياة فى هذا العصر ، أو بأنه ناقص لم يستوعب مشاكل البشر ، وكيف وقد قال الله سبحانه : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » المائدة ٣ وقال : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ » النحل ٨٩ وقال : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » الاحزاب ٣٦ وقال : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » النساء ٦٥

ومن هنا جاءت الرسالات متتابعة بما يساعد على تقويم الفكر والسلوك ووضع الحل الأمثل لمشاكل الناس ، وكان أول بلاغ من الله لآدم أبى البشر عندما أهبطه الى الأرض « فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ » طه ١٢٣ فاتباع هدى الله والاسترشاد بنظامه يحمى الانسان من ضلال الفكر وسط الآراء البشرية المتشعبة والحلول المختلفة ، ويحميه من الارهاق النفسى والجسمى ، وما ينتج عن ذلك من استحكام العلة وضنك المعيشة •

والقرآن الكريم وهو خاتمة هدايات الله للبشر قرر هذه الحقيقة فقال : « إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ » الاسراء ٩ ودعا الى اتباع منهج الله فقال : « قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ • يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » المائدة ١٥ ، ١٦ •

بعد بيان أهمية المنهج الدينى لعلاج المشاكل الاجتماعية نقول : ان من أهم خطوط هذا المنهج دراسة المشكلة دراسة وافية تستقصى فيها الاسباب على المستوى الأفقى والعمودى معا ، ذلك أن المشكلة كالمرض ، بل هى فى حقيقتها مرض اجتماعى قد تكون من سبب واحد وقد تكون من أسباب متعددة تعاونت على خلقها أو سرعة انتشارها أو طول مقامها فاذا عرفت الاسباب كلها وضع العلاج المناسب لكل سبب ، مع مراعاة أن العوامل حين تكون منفصلة متباعدة تحتفظ بخواصها المميزة لها فاذا التقت وتلاحمت تغيرت الخصائص واكتسبت مميزات أخرى وبالتالى تغير نتائجها وآثارها، والحكيم اذا عالج المشكلة لاحظ هذه الظاهرة ملاحظة دقيقة ، ليكون علاجه ناجحا ، فاذا عالج سببا وترك آخر ، أو عالج علاجا ظاهريا دون الغوص الى أعماق المشكلة كان العلاج مبتورا لا يرجى منه الشفاء التام ، واذا كان له بعض الأثر فهو مؤقت تختفى معه العلة زمنا لتبرز فى زمن آخر ويخشى أن تكون بعده نكسة للمرض يكون فيها أشد وقعا وألما ، وقد يستعصى معه العلاج •

منهج الإسلام

فى علاج المشاكل الاجتماعية

فلو نظرنا مثلا الى علاج الاسلام لمرض انتهاك الأعراض بالزنى نجد أنه علاج لكل الأسباب المؤدية اليه ، فحرم على المرأة كشف عورتها واظهار مفاتنها للأجنبى عنها • فالقط لا يهجم على اللحم الا اذا كان مكشوفا • وحرم فى الوقت نفسه على الرجل أن يمد نظره الى محاسن من لا تحل له ، وأمره أن يقنع بما عنده من حلال أو يتعفف حتى يجد الله له مخرجا • كما حرم على الطرفين كل اتصال مريب على أى نحو من الأنحاء ، كالخلوة التى يكون فيها الشيطان ثالثهما ، وكالكلام اللين الذى يطمع من فى قلبه مرض ، وسد جميع الثغرات التى يقترب فيها عود الثقاب من المادة الملتهبة ، كالصور الفاضحة والأفلام المثيرة •

هذه مشكلة رأينا كيف أن الاسلام استقصى كل أسبابها على الامتداد الافقى ووضع العلاج لكل سبب، وبالمثل على الامتداد الرأسى والعمودى فى استقصاء الأسباب الخفية المؤدية الى كل سبب ظاهر ، فالسبب الظاهر قد تكون له أسباب خلقته وتتابعت سلسلتها ماضية فى أغوار بعيدة لجذور قديمة، والعلاج الصحيح لابد فيه من دراسة كل هذه الأسباب ليمس أعماق المشكلة ، والا كان دهانا على الوبر •

فمشكلة انحراف الأحداث مثلا لابد فيها من تقصى أسبابها على المستوى الأفقى لمعرفة كل المؤثرات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والأوضاع القائمة وغيرها ، ثم يكون البحث فى كل عامل من العوامل الأساسية البعيدة التى خلقته ، فيقوم المعالج ببحث أحد الأسباب للانحراف وهو كثرة الشقاق بين الزوجين مثلا ، فيرى من أسبابه غيرة الزوج على زوجته التى تكثر الخروج فى سفور وفتنة ، فيبحث عن سبب هذا السلوك فيراه فى سوء اختيار الزوج لزوجته عند الخطبة ، حيث أعجب بجمالها أو مالها متغاضيا عن دينها وخلقها ، فكان لهذه الغلطة الأولى أثرها فى كثرة الشقاق الذى هو أحد أسباب انحراف الأحداث •

ان الطبيب الماهر يفحص المريض أولا فحصا شاملا ، ويدقق فى الفحص حتى يصل الى جذور العلة ، ثم يشخص المرض ويصف له الدواء المناسب • واذا كانت الأسباب متعددة كان الدواء متعددا أو مركبا ، وكان على المريض بدوره أن يتناول كل هذه الأدوية مراعيا تعليمات الطبيب فى كيفية الاستعمال ، ولو أن المريض خالف ما وصف له كان العلاج ضعيفا أو عقيما •

واذا علمنا أن المشكلة قد تكون لها عدة أسباب ولكل سبب منها أسباب أخر كان العلاج محتاجا الى خبرات متعددة وتخصصات متنوعة تتعاون على حسم الداء أو تخفيفه ، ولا يمكن لفرد واحد أو جماعة معينة أن تقوم بهذه المهمة الضخمة بعيدا عن الآخرين ومن

أجل هذا كان توزيع المسئولية مبدأ من أهم المبادىء فى الاصلاح ، وكان التعاون بين المسئولين أمرا ضروريا لنجاح أى مشروع ، يقول الله تعالى : « **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** » المائدة ٢ ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » رواه البخارى ومسلم .

ان علاج المشكلة كالحرب لابد أن يشترك فيها المجاهد بسلاحه والغنى بماله والمفكر برأيه والصانع بصنعته والزارع بانتاجه وتموينه ولو قصر أحد هؤلاء فى واجبه لا يكون النصر ولو لم تتوحد الجهود وتتضامن الأنشطة بعد الهدف واستعصى الحل .

وقصور النظر عند بعض الكاتبين والناقدين عند بحث مشكلة من المشاكل يجعله يلقى التبعة على فرد معين أو طائفة خاصة ويركز نقده عليها كأنها هى وحدها التى خلقت المشكلة أو هى وحدها التى بيدها حلها ، مغفلا الأسباب الأخرى ومتغاضيا عمدا أو عن غير عمد عن جهات أخرى قد يفوق دورها فى المشكلة وجودا وعلاجا دور من ركز النقد عليه أو استحثه .

ان مسمارا بسيطا فى آلة قد يخلق مشكلة كبرى ، وقد يكون الحل على يد فنى بسيط لا يأبه له كثير من الناس ، ومن هنا يخطىء من يتملصون من التبعة ، أو يؤثرون العزلة ويضنون بالجهد كأن الأمر لا يعنيهم ، وليس من المسلمين ، كما جاء فى المأثور من لا يهتم بهم ، ويخطىء أكثر وأكثر من يتعمدون وضع العراقيل فى طريق الاصلاح ، أو يسيرون فى اتجاه مضاد لاتجاه الركب ولسان حالهم يقول:

اذا أنت لم تنفع فضر فانما
يرجى الفتى كيما يضر وينفع

ان الاسلام يحذر القاعدين ، وينذرهم بأن السيل سيجرفهم لا محالة ان لم يتعاون الجميع على صده أو وقف تدفقه ، قال تعالى : « **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً** » الأنفال ٢٥ ، ووضح النبى صلى الله عليه وسلم هذه النتيجة بقوله : « **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا نستقى منه ولا نؤذى من فوقنا ، فلو تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا ، ولو أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا** » رواه البخارى .

ومن الخطوط الأساسية لمنهج الاسلام فى علاج المشاكل التدرج ، وبخاصة اذا كانت للمشكلة جذور غائرة فى الأعماق كأثر لعقيدة سائدة أو غريزة متسلطة أو طول عهد بالممارسة من العسير انتزاع المألوف البعيد العهد والمصبوغ بصبغة تكيفت بها الأعصاب والأحاسيس ومن الحكمة أن يكون العلاج على التدرج شيئا فشيئا وقليلا قليلا .

والاسلام فى دعوته العامة لاصلاح العقائد وتقويم السلوك راعى هذه الناحية مراعاة دقيقة ، والدارس للدين الاسلامى دراسة عميقة واعية يستطيع أن يلمس ذلك بوضوح

منهج الإسلام

في علاج المشاكل الاجتماعية

في الفرق مثلا بين التشريع في العهد المكي والعهد المدني ، وفي الاهتمام أولا بالعقائد والأصول العامة لأنها هي التي تحكم السلوك ثم الانتقال الى الشريعة والجزئيات ، والبدء بتعليم الفرائض الأساسية أولا للمبتدئين الداخلين في الاسلام ، بل قبول بعض التكاليف وارجاء بعضها الآخر حتى يستقر الايمان في قلوبهم وتنير أشعته جوانب نفوسهم ، وتطرد منها ظلام الشك والنفور من الدين الجديد كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد ثقيف في الابقاء على الالتزام بالصلاة مع ارجاء الزكاة والجهاد الى حين ، رواه أحمد ، وكما فعل مع فضالة الذي اكتفى منه بفرضين من الصلوات الخمس حتى يتعودها ، رواه أبو داودد .

ومن أصدق الأمثلة على سنة التدرج في علاج المشاكل ، تحريم الخمر ، فقد كان العرب يشربونها بكثرة ويحرصون عليها في مناسبات متعددة وكم قالوا فيها من أشعار ذهب فيها خيالهم الى حد بعيد ، فكان من الحكمة في العلاج أن يكون بأسلوب تؤمن معه النكسة ، التي أفسدت على بعض الدول الحديثة خطتها في معالجة المخدرات .

كان أول قرآن نزل بشأنها في مكة ، وما كان تحريما بل لفتا للأنظار الى ما فيها من متعة كان حقها أن تشكر ، قال تعالى : **« وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ »** النحل ٦٧ . ثم ترك أمرها على هذه اللفتة حتى انتقل المسلمون الى المدينة والخمر تشرب فيها كما تشرب في مكة فنزل فيها قوله سبحانه : **« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا »** البقرة ٢١٩ ، وليس في هذه الآية نص على تحريمها بل فيها ايماء واشارة الى أن ما كثر ضرره وقل نفعه ينبغي للعاقل أن يبتعد عنه وبهذا الضوء من الحكمة اختار جماعة من العقلاء البعد عنها .

وبعد مدة كانت صلاة جماعة قرأ فيها الامام فغلط تحت وطأة السكر فقال :

« قل يأيها الكافرون . أعبد ما تعبدون » فنزل قوله تعالى : **« يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ »** النساء ٤٣ . وكانت هذه أول آية صرحت بتحريمها ولكنه تحريم جزئي . وفي حفل شرب فيه القوم حتى قامت مشادة بينهم خشيت معها فتنة كبيرة دعا عمر وجماعة معه ربهم قائلين : اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر ، فنزل قوله تعالى :

« يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » المائدة ٩٠ وكان تحريمها النهائى سنة أربع من الهجرة وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة ، وذلك بعد نحو عشرين سنة من بدء الدعوة الاسلامية — تهيأت فيها النفوس للاقلاع عنها فاستجاب المسلمون لتحريمهاطوعا وسارعوا الى التنفيذ فأراقوا قدور الخمر وطهروا دنانها ، وكانت مقاطعة اجماعية أو شبه اجماعية نتيجة لهذا التدرج الحكيم فى العلاج • ان جرعة الدواء اذا كانت كبيرة وقوية ربما كان فيها القضاء على المريض بدل القضاء على المرض ، فالطفرة فى مثل هذه الأمور الخطيرة قل أو ندر أن تنجح يقول عمر بن عبد العزيز ، عندما لامه ولده على ارجاء تنفيذ ما يراه حقا : يابنى أخشى أن أحمل الناس على الحق جملة فيرفضوه جملة •

ان من أهم ما يراعى فى علاج المشاكل الاجتماعية الدراية التامة بطبائع النفوس وأحوالها ، ومعرفة مدى التأثير عليها بالأسلوب الموضوع لعلاجها ، ومن الخطأ اهمال نوازع النفس أو التفكير فى القضاء عليها ، فذلك مضادة للطبع يستحيل معها العلاج .

وكم من المصلحين فى التاريخ وضعوا مناهج خيالية ، انتحوا فيها ناحية المثل العليا ، مهملين واقع الحياة ، أو متناسين حقيقة الطبع البشرى ، ففشلت تلك المناهج لأنها سارت — كما يقال — فى طريق مسدود • وجمهورية أفلاطون أكبر شاهد على ذلك •

ان الواقعية فى التخطيط لابد فيها أولا من تقوية الوعى وتعميق الفهم لأخطار المشكلة ، بعرض مفاسدها وآثارها وحشد كل من ينفر عنها ، والترغيب فيما يقابلها بالأسلوب القوى الذى ينفر من الشر ويرغب فى الخير • ولاشك أن ادراك سر التكليف من أهم الأسباب فى سرعة الاستجابة • ومن أمثلة الواقعية فى الدعوة الى تغيير المنكر وعلاج المشكلة تصويران للمغتابين حين ينهى عن الغيبة بمن يأكلون لحوم أمواتهم ، فهى أولا لحوم آدمية تنفر منها الطباع السليمة ، وهى ثانيا ميتة منتنة قذرة تعافها النفوس حتى لو كانت لحوم حيوانات تؤكل •

وكذلك حين حارب الانعزالية ودعا الى قوة الروح الاجتماعية ، جعل من أطعم جائعا أو سقاه فكأنما أطعم الله وسقاه ، ومن زار مريضا وجد الله عنده ، وذلك فى حديث مسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : **« يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى » ، قال : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده ، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى • قال : يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى •• الخ الحديث •**

والاسلام حين يعالج فى الناس مشكلة التكالب على الدنيا والنهم عند الأكل والحرص والطمع ، يزهد فى الدنيا ويرغب فى الجوع وعدم الشبع ، وينعى على ذوى البطنة بصورة تدخل الرعب فى القلوب المقبلة على الدنيا وتحسب أنها هالكة لا محالة ، وحكمة هذا

الأسلوب المبنى على العلم التام بطبائع النفوس يبينها الامام الغزالى عند كلامه على فضل الجوع وذم الشبع فيقول : وما أوردناه من فضائل الجوع بما يومىء الى أن الافراط فيه مطلوب ، وهيهات ، ولكن من أسرار حكمة الشرع أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة فى المنع منه على وجه يومىء عند الجاهل الى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان ، والعالم يدرك أن المقصود الوسط ، لأن الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغى أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا ، فيتقاومان ويصلح الاعتدال . فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد .

تلك صورة من صور الواقعية فى أسلوب الدعوة الى الاصلاح تكون معها واقعية التخطيط ، ورسم الطريق للتنفيذ ، ومن صور ذلك ربط التكليف بالاستطاعة . قال تعالى : « **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** » البقرة ٢٨٦ . وقال : « **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** » الحج ٧٨ . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « **ان لربك عليك حقا ، وان لنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه** » رواه البخارى من اقرار النبى لسلمان فيما قاله لأبى الدرداء .

ومن صور الواقعية أيضا ايجاد البديل لما يراد القضاء عليه ومعالجته ، فحين حرم الله الجشع وحب الدنيا عن طريق الربا جعل له بديلا حلالا وهو التجارة بالبيع والشراء ، قال تعالى : « **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** » البقرة ٢٧٥ ، وأباح السلم والقراض وسائر وجوه النشاط الاقتصادى البعيدة عن الاستغلال .

ومن الخطوط الأساسية لعلاج المشاكل أن تكون هناك قوة تراقب التنفيذ وتتابع العلاج، وتمنح المحسن جزاء احسانه وتوقع على المسىء عقاب اساءته ، وهذه القوة اما باطنية أساسها الضمير المهذب بأدب الدين ، واما خارجية عن طريق الرأى العام والسلطة الحاكمة ، فالرأى العام الممثل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يستطيع أن يفعل الشىء الكثير ، والقوة الحاكمة لها أثرها الذى لا ينكر فى هذا السبيل ، والسلطان ظل الله فى أرضه ، ويزع به ما لا يزع بالقرآن .

ومن الخطوط أيضا أن يكون الطبيب المعالج أول من يلتزم وأسرع من يقبل ويطبق وأحرص على أن يكون قدوة ، وذلك حتى يحس الناس صدق التشريع ويؤمنوا بفائدة العلاج ، وهنا تكون سرعة الانقياد والمبادرة بالاستجابة ، وكلنا يعلم ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم من سلوك كان دعاية قوية الى الاستجابة ، وموقفه معروف فى اقامة الحدود دون تدخل لاعتبارات الا تنفيذ أوامر

الله «والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» رواه البخارى ومسلم .

ان علاج المشاكل أمر ليس بالسهل ، فقد توضع فى طريقه عقبات وعقبـــات ، ولن يتم العلاج فى يوم وليلة ، فان عوامل النجـــاح متعددة قد يتحقق بعضها ويتخلف بعضـــها الآخـــــر ، والنفس من طبيعتها حب العاجل والشوق الى جنى ثمار الغرس فى أقصر وقت، لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ، ومن هنا تلزم المتابعة والمثابرة وقوة التحمل والأمل . والآيات التى تحث الرسول على الصـــبر والأمل فى النصر كثير ، منها « **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** » الحجر ٩٧ ــ ٩٩ . « **فَاصْبِرْ كَمَـــا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ** » الأحقاف ٣٥ .

والرسول عليه الصلاة والسلام يلفت نظر المؤمنين الى ذلك فيقول لخباب بن الأرت حين شكا اليه قسوة معاملة قريش للمستضعفين وسأله الدعاء أن يخفف الله عنهم « **واللــه ليتمن الله هذا الأمر حتى يســير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون** » رواه البخارى .

وبعد ، فهـــذه هى أهم الخطوط الرئيسية فى منهج الاســـلام لعلاج المشاكل الاجتماعية يجب أن تحتذى فى علاج كل مشكلة ، فهى صنع الله الذى أتقن كل شىء ، مســـتنكرين أبدا أن

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

الاستعانة بالله مع صدق النية من أهم عوامل النجاح « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّـــهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » البقرة ١٥٣ .

عطية صـــقر

عضو مجمع البحوث الاسلامية

● ألقى البحث صباح الاربعـاء ١٥ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ٣٠/٣/١٩٨٣ .

قرارات وتوصيات المؤتمر التاسع

الفترة الثانية

المنعقدة من ١٢ ــ الى ــ ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ
٢٧ ــ الى ــ ١٩٨٣/٣/٣١ م

بتوفيق من الله وفضله ، وفى رحاب الأزهر الشريف ، وفى ظل الاحتفال بعيده الألفى ، أتم المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الاسلامية الفترة الثانية من انعقاده ، برئاسة فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ٠

وبحضور أعضاء مجمع البحوث الاسلامية ٠٠

فى المدة من ١٢ جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٧ من مارس ١٩٨٣ م الى ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ الموافق ٣١ من مارس ١٩٨٣ م ٠

وكان المؤتمر قد اهتم فى فترته الأولى بدراسات تتصل بالأزهر ورسالته ، وتاريخه وتطوره ، ومكانته فى العالم ، وما ينتظر منه بمناسبة الاحتفال بعيده الألفى ٠

كما تناول حالة الأمة العربية والاسلامية فى العصر الحاضر ، وما يجب أن يكون ــ عليه ، وأصدر بذلك توصياته ٠٠

وفى فترته الثانية عرضت عليه مجموعة من الدراسات تتصل بعناية الأزهر بقدسية القرآن الكريم وتيسير تفسيره ، ومنهج الاسلام فى علاج المشكلات الاجتماعية ، ونظرة الفقه الاسلامى الى بعض طرق العلاج الحديثة مثل : نقل الأعضاء من انسان لآخر والتلقيح الصناعى لتوليد الانسان ، والاجهاض ، ومسئولية الطبيب فى الشريعة والقانون

وبحوث علماء المسلمين فى الطب ..

وانتهى المؤتمر الى اصدار القرارات والتوصيات الآتية : —

١ — التأكيد على العناية بالقرآن الكريم حفظا ودراسة ونشرا .

٢ — اقرار المنهج الذى سارت عليه اللجنة المكلفة بوضع التفسير الوسيط مع — العناية بالتنبيه على الدخيل فى كتب التفسير القديمة ، مما يتنافى مع المقررات الدينية ، والحقائق العلمية ..

٣ — العناية بربط الحياة بالاسلام فكرا و سلوكا فى كل المجالات ، لابراز مقوماته الأصيلة وصلاحيته للتطبيق فى كل زمان ومكان .

٤ — المبادرة بابداء الرأى فى القضايا المعاصرة على ضوء أحكام الدين وقواعده .

٥ — الاهتمام بدراسة أفكار علماء المسلمين فى الاقتصاد والعلوم الاجتماعية والفلكية والطبية ، وبيان مدى ارتباط الحقائق العلمية بالمقررات الاسلامية .

٦ — دعوة الحكومات والجامعات والهيئات العلمية والناشرين وأغنياء المسلمين الى احياء كتب التراث الاسلامى ونشره .

٧ — احالة البحوث التى قدمت فى الفترة الثانية على اللجان المختصة بالمجمع ..

هذا وبالله التوفيق ..

صدر بالقاهرة بتاريخ ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٣ هـ

الموافق ٣١ من مارس سنة ١٤٠٣ هـ .

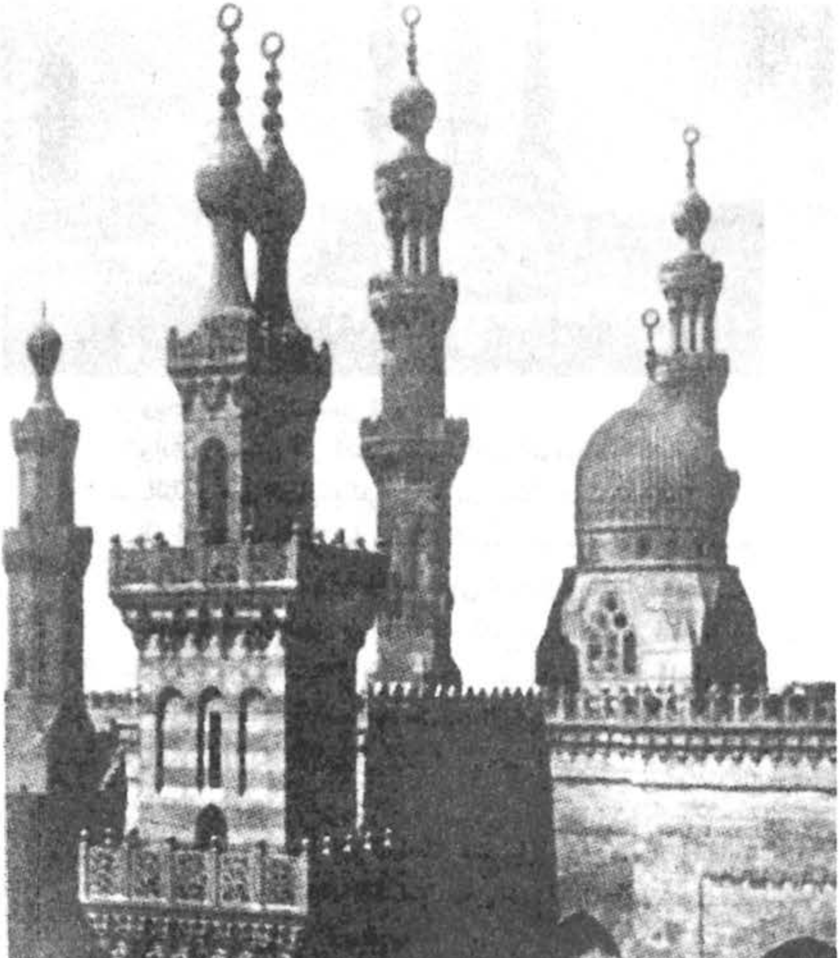

مع القرآن والسنة والتشريع

- مع آيات الله في كتاب الله

- ثبات النبي صلى الله عليه وسلم

- عقد الزواج

مع آيات الله في كتاب الله

قال تعالى : وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّاتَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَاأَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) البقرة ١٤٥ .

فى الاية قسم محذوف تقديره : أو الله لئن أتيت ألخ وجواب القسم المحذوف هو : ماتبعوا قبلتك ، وقد سد جواب القسم مسد جواب الشرط (ولئن) والمراد بكلمة الآية فى هذه الآية : البرهان القاطع والدليل الحاسم .

والمعنى والله لئن أتيت الكتابين من اليهود والنصارى بكل دليل وبرهان على ان التوجه الى الكعبة هو الحق ، لانها اول بيت وضع للناس : بناه ابراهيم ورفع قواعده معه اسماعيل ، وقد ولد فى جواره خير خلق الله محمد ودرج فى رحابه طفلا ، وملا قلبه من قدسيته صبيا وشابا .

وقد راه الله يقلب وجهه فى السماء ينتظر أمر تحويل القبلة الى الكعبة فولاه الله نحو القبلة التى يرضاها قبلة جده ابراهيم ، وان الكتابيين بعد ذلك التحويل مهما أتيتهم ببينة فهم لم يتبعوا قبلتك الجديدة على الرغم من كل محاولات الاقناع التى يمكن بذلها ، لأن موقفهم منك ليس عن شبهة يمكن أن تدفعها الحجة وانما هو العناد والمكابرة والجموح عن الحق . وما انت بتابع قبلتهم ، بعد ان امرك الله بتولى وجهك شطر المسجد الحرام انقاذا لك من الحيرة التى كانت تثيرك الى تقليب وجهك فى السماء (وما بعضهم بتابع قبلة بعض

فاليهود يولون وجوههم نحو بيت المقدس ، والنصارى نحو الشرق ، فهؤلاء وأولئك وان اتفقوا على مخالفتك فهم مختلفون مع بعضهم فى شان القبلة ، فلكل وجهة وقد حسم الله اطماعهم جميعا فى استقبال قبلة كل من اليهود النصارى بقوله « وما انت بتابع قبلتهم » فى تعبير يؤكد عدم اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأى من قبلة هؤلاء واولئك .

وقد قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذى ننتظره ، والله يعلم انهم لكاذبون فقد صلى الى قبلتهم ستة عشر

للدكتور محمد محمد خليفة

شهرا بل يزيد ومع ذلك فقد كابروا ، ولم يتبعوه فيما جاءهم به من الاسلام .

(ولئن اتبعت اهواءهم وملت الى الزائف من طباعهم (ومن بعد ما جاءك من العلم ببطلان أهوائهم وحقية ما انت عليه عن طريق الدلائل والايات (انك اذا لمن الظالمين وفى ذلك تحذير عن متابعة الهوى واستعظام لصدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ؟ لان وقوع الذنب منهم اقبح من وقوعه من غيرهم .

وقد يكون المراد بقوله تعالى : « ولئن اتبعت اهواءهم » اى فى كل الامور (انك اذا لمن الظالمين فكنت بمنزلة الذين ظلموا انفسهم . والغرض من ذلك الزجر ، ولعله صلى الله عليه وسلم كان يتبع اهواءهم فى بعض الامور : مثل ترك المخاشنة فى القول والغلظة فى الكلام لاستمالتهم اليه فنهاه الله عن ذلك الاتباع [illegible] وقد قال تعالى فى غير هذا الموضع مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم (وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً الاسراء ٧٤

وقال تعالى : كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ البقرة ١٥١

الكاف فى قوله تعالى : كما ارسلنا : اما ان يتعلق بما قبله ، والمعنى : ولاتم نعمتى عليكم فى الاخرة بالثواب كما أتممتها عليكم فى الدنيا بارسال رسول منكم ، أو بما بعده . والتقدير : كما ذكرتكم بارسال رسول فاذكرونى ، ومرجع الضمير فى قوله تعالى : فيكم ، ومنكم : الى العرب ، أى كما أرسلنا فيكم أيها العرب رسولا منكم (أى من العرب

وقوله تعالى : (يتلو عليكم اياتنا أى ايات القران لانه معجزة خالدة تؤدى به العبادات فيحصل من تلاوته خير الدنيا باستفادة العلوم التى تستنبط منه ، ويحصل منه خير الاخرة بالثواب (ويزكيكم) بالثناء والمدح ، أو التزكية بمعنى التكثير والتنمية (ويعلمكم الكتاب) أى يعلمكم ما فيه وما يحمله من المعانى (والحكمة) ويراد بها العلم بسائر الشريعة التى يشتمل القران على تفصيلها (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون مما تحتاجون اليه فى دينكم .

●●●

وقال تعالى : إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ البقرة ١٦٤

قيل فى سبب نزول هذه الاية : ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نزل عليه قوله تعالى (والهكم اله واحد فقال كفار قريش : كيف يسع الناس اله واحد ؟ فنزلت الاية : ان فى خلق السموات والأرض الخ

وقد ذكرت الاية ثمانية دلائل تدل على وجوده سبحانه . وتحمل براهين قدرته :

الدليل الاول : أحوال السموات : من

مع آيات الله في كتاب الله

حيث خلقها ورفع بنائها وجعلها سبعا شدادا ومن حيث تدبير حركة الأفلاك ومقادير تلك الأفلاك ، وحركات بعضها من المشرق الى المغرب وبعضها من المغرب الى المشرق ومن حيث تركيبها وائتلاف حركاتها ، واختلاف ألوانها بين الصفرة والبياض والحمرة وكل ذلك يشير الى اثبات الصانع القادر المدبر .

الدليل الثانى : احوال الارض من حيث العرض واختلاف أطوال جوانبها ومن حيث اختلاف ساحاتها برا وبحرا وسهلا وجبلا ومن حيث سطحها ترابا أو رملا أو غورا أو نجدا وجدبا أو خصبا وكل ذلك الاختلاف يشير الى وجود التدبير الذى له مدبر حكيم .

الدليل الثالث : اختلاف الليل والنهار : من حيث الطول والقصر والنور والظلمة واختلاف ذلك باختلاف الأماكن وسير الأفلاك .

الدليل الرابع : الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس : والبحر : الشق فى الأرض أو من الاستبحار وهو السعة والانبساط ، وقد سخره الله على الرغم من عظمه لتجرى الفلك فيه بأمره ، وجريان الفلك فيه بواسطة الريح المسخرة لتحريكها أو الآلات التى صنعتها العقول لتسيير الفلك فوق مياه البحر الرقيقة لينتفع الناس بها فى الأسفار أو حمل التجارات .

الدليل الخامس : ما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها : ان فيما خلق الله من ماء أنزله من السماء وما اشتمل عليه ذلك الماء من صفات الرقة والرطوبة والعذوبة وغير ذلك من الخواص دليل على الخالق الذى لا يقدر أحد على مثل خلقه وقد جعل الله الماء سببا فى الحياة وهو أحد العنصرين اللذين صنع الله منهما الانسان الأول : ادم : الماء والتراب وفى حمل السحاب وهو بخار للماء على عظمه وثقله دليل على أن الله سخره لذلك الحمل .

وقد أحيا الله بذلك الماء النازل من السماء والأرض بعد موتها ، وحياة الأرض ظهور النبات فيها والكلأ والشجر وكأنها حين تنبت ذلك وغيره قد دبت فيها الحياة ، وذلك يدل على الصانع الذى أخرج النبات من الأرض وأطلع الزهر المختلف الألوان والثمر المختلف الطعوم والروائح والألوان .

الدليل السادس : وبث فيها من كل دابة . والدابة كل ما يدب على الأرض من انسان أو حيوان ، ومعنى البث : النشر والتفريق ، وتوالد الانسان والحيوان يدل على وجود القادر الخالق ، وان تشريح الانسان والحيوان والوقوف على تأليف الأجزاء والأعضاء والتركيب وما خلق الله فيهما من أجهزة تحتاجها حياتهما ليحمل الدليل على عظم تدبير الصانع الحكيم .

وان حياة الأجنة فى الأرحام وغذاءها مما تمتص من دماء الأمهات وربط الأجنة بروابط الأرحام فى كل ذلك الدليل الناطق بقدرة الله وحكمته ، وان فى اختلاف طبائع الانسان والحيوان واختلاف غرائزهما وأمزجتهما وقواهما العقلية وادراكهما فى كل ذلك ، كذلك الدليل على ابداع صنعة الصانع سبحانه .

الدليل السابع : تصريف الرياح أو خلقها على وجه يقبل التصريف من حيث الرقة واللطف وأنها تحمل ما يحتاج اليه الانسان والحيون والنبات من (أوكسيجين في ذلك التصريف دليل قدرة الله .

الدليل الثامن : السحاب المسخر بين السماء والأرض : وقد سمى السحاب سحابا لانسحابه في الهواء ، ومعنى التسخير : التذليل ، وتسخيره في أن جعل الله الماء ثقيلا ، وثقله يقتضى نزوله فبقاؤه محمولا في الجو خلاف الطبع فلذلك سماه بالمسخر والسحاب لا يقف في موضع ، بل يسوقه الله بواسطة الرياح الى حيث يريد الى بلد ميت فيحيى به الزرع والضرع والأنفس والثمرات وفي تحريكه بين السماء والأرض مايدل على تسخيره للغاية التى يريدها الله .

وكل هذه الأدلة التى ذكرها في هذه الاية تحمل للعقول البراهين الساطعة على وجود الصانع الخالق القادر المدبر فهى نعم دينية تهدى من شاء الله الهدى وهى كذلك نعم دنيوية أنعم الله بها على عباده لعلهم يعقلون مافيها من الأدلة والايات ولعلها تقود الجاحدين منهم الى الايمان بخالق كل ذلك ومسخر كل ذلك لمصلحة خلقه .

وقال تعالى : « ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِى الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ » البقرة ١٨٧

تشير الاية الى أن صوم الليل غايته واتمامه انما يكون بدخول الليل ، ويكون دخول الليل بغروب شمس النهار وراء الأفق ، ومغيبها يختلف باختلاف الأقطار ولذلك ارتبط بدء الافطار بالغروب .

ونهت الاية عن مباشرة النساء فى حالة الاعتكاف نهارا وليلا لأن المعتكف حبس نفسه فى طاعة الله فلا ينبغى أن تستعبده الشهوات حيث يعيش فى معتكفه مع ربه ، والمراد بالمباشرة : الجماع ليلا أو نهارا ، والاعتكاف فى اللغة : حبس الانسان نفسه عن الشىء ، وشرعا : المكث فى بيت الله تقربا اليه ، ولا يكون الاعتكاف الا فى المسجد ، وقد حرم الله على المعتكف الجماع أو الملامسة بشهوة ليلا ونهارا طول مدة الاعتكاف .

واختلف الفقهاء فى الاعتكاف مع الصوم ، فقال بعضهم : يجوز الاعتكاف بغير صوم ، وقال البعض ألا يجوز الا بالصوم ثم أشار الى الحدود التى بينها من أول أيات الصوم ونهى عن قرب تلك الحدود ، والحد : هو الحاجزبين الحق والباطل ، فعلى الانسان أن يبعد عن الاقـتراب من الحدود فضلا عن تجاوزها وتخطيها ، وقد قال عليه الصلاة والسلام .

(... ألا وان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه فمن وقع حول الحمى يوشك أن يقع فيه ..

ومعنى : لا تقربوها : لا تتعرضوا لها

والمراد بالايات فى قوله تعالى : كذلك يبين الله أياته للناس : الفرائض (لعلهم يتقون رجاء أن يتقى الناس الحدود فلا يقعوا فيها ..

وقال تعالى « سَلْ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » البقرة ٢١١ .

أمر الله رسوله أن يسأل بنى اسرائيل . وليس المراد : أن يسأل ليخبروه عن شىء يجهله . وانما أريد بالسؤال : التبكيت

مع آيات الله في كتاب الله

والزجر والتقريع والمعنى فلتسال يامحمد المعاصرين لك من بنى اسرائيل عن ايات الله البينات التى عرفها السلف منهم ـ وما أكثرها ـ ولكنهم أنكروها فاستحقوا عقاب الله . وفى ذلك تنبيه للمعاصرين من بنى اسرائيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم كذلك لو أنكروا بعثة محمد صلى الله عليه وسلم والايات التى أيده الله بها سيقعون فى العذاب الذى وقع فيه أسلافهم والمراد بالاية التى نكرها للتكثير فى قوله تعالى : من اية : المعجزات التى أيد الله بها رسوله موسى عليه السلام وغيره من انبيائهم وكم من اية ايد الله بها موسى من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونتق الجبل فوقهم وتكليم الله لموسى وانزال التوراة عليه وغير ذلك وكلها ايات بينات على صدق رسالته .

أو كم من اية فى التوراة تدل على صحة ديـن الاسلام وأنه خاتم الأديان للبشرية» .

وقد يكون المراد بالاية : الحجة البينة والمعنى . سل بنى اسرائيل كم اتيناهم من حجة بينة على صحة نبوتك مما جاءهم من ذلك فى التوراة والانجيل وانك بسؤالهم عن تلك الايات تلزمهم الحجة فان ابوا الا العناد فلهم خزى الدنيا وعذاب الاخرة .

(ومن يبدل نعمة الله أى اياته وهى أجل نعمة لأنها أسباب الهدى وتبديلهم اياها معناه أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم أو المراد أنهم حرفوا ايات الكتب الدالة على صحة دين محمد عليه الصلاة والسلام ومن يبدل تلك النعم من بعد ما جاءته وتمكن من معرفتها (فان الله شديد العقاب ، ولأمثاله ممن بدلوا نعمة الله أو حرفوا اياته أو كتموها عن أتباعهم .

وقال تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ البقرة ٢١٩ .

كثيرا ما سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتونه فى أمر من أمور دينهم أو دنياهم أو أحوالهم أو أحوال نسائهم ونزل القرآن يحكى أسئلتهم ويسوق الجواب عن كل منها الا الروح والساعة حين سأله اليهود عنهما فكان الجواب عن الروح : « الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا وكان الجواب عن الساعة : « علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو » .

وفى هذه الاية سؤالان أولهما : عن الخمر والميسر . وثانيهما ماذا ينفقون ؟!

أما عن الخمر والميسر فقد نزل فى شأنهما القرآن أربع مرات .

الأولى قوله تعالى : « وَمِن ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا » بين أن من تلك الثمرات يتخذ الناس الخمر والرزق الحسن .

والثانية : حين سأل معاذ وعمر وبعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفتنا فى الخمر فانها مذهبة للعقل سالبة للمال . فكان الجواب الذى نزل به الوحى : قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس (فى التجارة والكسب واثمهما أكبر من نفعهما

فشربها بعد نزول هذه الاية البعض وتركها البعض .

الثالثة : حين دعا عبد الرحمن بن عوف بعض الصحابة الى شراب فشربوا حتى سكروا وقام ابن عوف فصلى بهم فقرا :

قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ » فما كانوا يؤدون الصلاة وهم سكارى .

الرابعة : حين دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن أبى وقاص فلما شربوا وسكروا راح سعد يفتخر وأنشد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصارى بلحى بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

اما السؤال الثانى فى هذه الاية فكان عن ماذا ينفقون من أموالهم . وكان الجواب قل : العفو . والعفو : نقيض الجهد ومعنى ذلك : أن ينفق الانسان من ماله مالا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ المال .

ومثل ذلك البيان الذى بينه وفصله فى الجوابين يبين الله لكم الايات التى توضح الأحكام الشرعية فيما سألتم عنه لعلكم تتفكرون وتقفون على مقاصدها وتعملون بما فيها بعد التفكر السليم الذى يقودكم الى الاقتناع بان الله يهدى الى ما فيه خير الدنيا والاخرة .

وقال تعالى : « وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » البقرة ٢٢١ .

نهى الله عن نكاح المشركات حتى يؤمن فى اول الاية ثم نهى المسلمين عن انكاح بناتهم للمشركين حتى يؤمنوا . ثم بين أن العبد المؤمن على الرغم من ذل المملوكية خير من المشرك الذى يتمتع بالحرية وبما يملك ولو أعجبكم ما هو فيه من أسباب الرغبة وبين أن أولئك المشار اليهم من المشركين والمشركات يدعون من يصاهرهم ويقترن بهم الى النار أى الى ما يؤدى اليها من الفسق والفجور والله بواسطة عباده المؤمنين يدعو الى الجنة والمغفرة اى الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح وما يؤدى الى المغفرة باذنه وتوفيقه . وبهذا يبين الله اياته المشتملة على الاحكام العظيمة للناس لعلهم يتفكرون . اى ليتذكروا ويعملوا وليفوزوا بما دعا اليه الله وأولياؤه من الجنة والمغفرة وعبر بالتذكر فى قوله تعالى : « لعلهم يتذكرون » للاشعار بأنه واضح لا يحتاج الى التفكر » .

وقال تعالى : « وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » البقرة ٢٣١ .

يبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الاية :

مع آيات الله في كتاب الله

أنه اذا وقع الطلاق منكم على زوجاتكم (فبلغن أجلهن) اى قاربن نهاية العدة وهذا هو معنى بلوغهن أجلهن : لأنه اذا انتهى أجل العدة فلا سبيل للزوج عليها أما اذ قاربنه فهذا ما تنص عليه الآية وقد أمر الله الأزواج عندئذ بأحد أمرين : اما أن يمسكوهن بمعروف بمعنى أن يراجعها دون ان يبغى بالمراجعة ضررا واما ان يسرحهن بمعروف أى يخلى المرأة حتى تنقضى عدتها وتبين من غير ضرار ، وقد نهى الله الأزواج أن يمسكوا الزوجات ضرارا ، وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها لا عن حاجة ولكنه يريد اطالة عدتها بتلك المراجعة فحسب ، وهذا هو الامساك ضرارا (لتعتدوا) وتظلموهن أو تلجئوهن الى الافتداء ، ومن يفعل ذلك الامساك للاضرار فقد ظلم نفسه حين عرضها لعقاب الله (ولاتتخذوا ايات الله هزوا) أى الايات المنطوية على الأحكام والتكاليف كالعدة والمراجعة وترك المضارة ، والمعنى : ارعوا ايات الله حق رعايتها واعملوا بها ، وانكم ان لم تعملوا بها فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ، وقد قيل : ان الرجل كان يطلق ويعتق ويتزوج ، ويقول : كنت لاعبا ، وقد بين الرسول الموقف في هذا فقال عليه الصلاة والسلام : ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : النكاح والطلاق والرجعة

ثم قال تعالى : واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءكم في شريعته من أحكام وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به لتعملوا بما فى الكتاب وما تقتضيه الحكمة (واتقوا الله) في أوامره ولا تخالفوا نواهيه واعلموا أن الله بكل شىء عليم فلا يخفى عليه شىء وهو محاسبتكم على أعمالهم فتزودوا من دنياكم بما يرضيه » .

وقال تعالى : « وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ . كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » البقرة ٢٤١ ـ ٢٤٢

والمعنى : وللمطلقات سواء كن مدخولات بهن أولا (متاع) اى مطلق المتعة وظاهر الاية يقتضى وجوب هذه المتعة لكل المطلقات ولهذا تمسك بعض الفقهاء بظاهرها فأوجب المتعة لجميع المطلقات . وهذا هو قول سعيد بن جبير

وابى العالية والزهرى . وقال الشافعى : لكل المطلقات الا المطلقة التى فرض لها مهر .

وقيل المراد بالمتعة : النفقة والنفقة قد تسمى متاعا .

ومثل ذلك البيان الواضح (يبين الله لكم آياته) الدالة على الأحكام التى شرعها الله لعباده (لعلكم تعقلون) .

رجاء أن تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها ان شاء الله يتبع .

د . محمد محمد خليفة

ثبات النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين

لفضيلة الدكتور محمد محمود شعبان

عن البراء ابن عازب ـ رضى الله عنه ـ انه قال له رجل : أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟!

قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لم يفر . ان هوازن كانوا قوما رماة . وانا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا . فأقبل المسلمون على الغنائم . واستقبلونا بالسهام . فأما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يفر . فلقد رأيته وانه لعلى بغلته البيضاء وان أبا سفيان آخذ بلجامها . والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « أنا النبى لاكذب . أنا ابن عبد المطلب » متفق عليه . واللفظ للبخارى .

لما فتح الله تبارك وتعالى مكة على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى رمضان من السنة الثامنة من الهجرة ودانت له قريش ، وحطمت الأصنام وانتهى عهد الشرك بالبلد الحرام ، وطهر البيت العتيق الذى جعل للناس مثابة وأمنا وهدى للعالمين .

هذا الفتح الذى أعز الله تعالى به رسوله والمؤمنين ونصر به جنده وحزبه الأمين واستبشر به أهل السماء . وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا . وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا .

كان هناك فى الطائف قبيلة ثقيف التى

لم تقبل الاسلام عندما ذهب اليها الرسول الامين يدعوها اليه بل اعزت به سفهاءها وسلطت عليه صبيانها .

وكذلك كانت هناك قبيلة هوازن فيما بين مكة والطائف فخشيتا ان يغزوهما ويدخلهما فى طاعته . فاجتمع قادة القبيلتين وتشاوروا فى الامر واتفقوا على قتاله واجتمع معهم بعض القبائل المجاورة حتى بلغ عددهم ثلاثين الفا . ثم أعطوا القيادة لمالك بن عوف وكانت سنه ٣٠ سنة على شريطة أن يستشير دريد بن الصمة وكان أكبرهم سنا قيل كانت سنه ١٢٠ سنة وكان أعلاهم رأيا وأعرفهم بالحرب وأكثرهم تجربة فيها لكثرة خوضه لها .

وقد امر مالك بن عوف القوم : بجمع أموالهم ونسائهم وأبنائهم وأن يسوقوها خلفهم فلما سمع دريد بن الصمة بذلك أرسل الى مالك فلما حضر بين يديه قال يامالك : مالى أسمع هذه الضوضاء ؟

فقال : مالك . سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ليكون خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنهم . فقال له دريد : أنت راعى غنم والله . ياهذا هل يرد المنهزم شيء ؟ انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه . وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك . فأبى مالك أن يطيعه . عندئذ غضب دريد وقال : انك تقاتل رجلا قد أخضع العرب ، وخافته العجم ، وأجلى اليهود . ثم اعتزل دريد الحرب .

ولما علم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخروج هذه الجموع اليه وكان قد مكث فى مكة بعد الفتح نصف شهر ، خرج اليهم فى يوم السبت السادس من شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة فى جيش عدته اثنا عشر ألفا ، منهم عشرة الاف الذين حضروا معه لفتح مكة وألفان من أهل مكة ممن دخلوا فى الاسلام بعد الفتح . وكان بينهم كثير من ضعاف الايمان وممن لا يبغون سوى الغنائم .

خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذا الجيش وهو لابس درعين وبيضه « خوذه من حديد تلبس على الرأس » وكان قد استعار من صفوان بن أمية وهو حينئذ مشرك دروعا ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح . وسار الجيش حتى وصلوا الى وادى حنين وهو بعد عرفات بين مكة والطائف .

وقد قام مالك فى قومه فقال لهم : اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد عليهم ، وقد بعث عيونا من رجاله لينظروا امر المسلمين فأتوه وقد تفرقت أوصالهم فقال لهم : ويلكم ما شانكم ؟ فقالوا : رأينا رجالا بيضا على خيل بلق والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى وقد أرسل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الله بن أبى حدرد وأمره أن يدخل فيهم ليعلم أخبارهم فدخل فى القوم حتى علم ما جاءوا من أجله ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبرهم .

فلما سار الجيش الاسلامى ورأى المسلمون كثرتهم داخلهم شيء من الزهو حتى قال بعضهم : لن نغلب اليوم عن قلة « هذه المقالة التى أغضبت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم » !!

ولما تمت تعبئة الجيش انحدر النبى - صلى الله عليه وسلم ـ بجنوده فى الوادى

عند غبش الصبح . وكان رجال من هوازن قد كمنوا فى بعض شعاب الوادى ومضايقه . فلما حمل المسلمون على جيش العدو لم يلبث جيش العدد ان انهزم .

وقال البراء ـ رضى الله عنه : فأكببنا على الغنائم فخرج علينا من كانوا كامنين فى الشعاب والمضايق واستقبلونا بالسهام فولينا مدبرين لا يلوى احد منا على أحد وقد بلغ بعض المنهزمين مكة .

وقد انهزم جيش المسلمين ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم واركان حربه وكان عددهم عشرة وقيل ثمانون لم ينهزموا . وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء يدفعها نحو جموع الاعداء والعباس ماسك بلجامها وابو سفيان ابن الحارث ماسك بركابها .

وفى ذلك روى مسلم عن العباس رضى الله عنه قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فلزمت انا وابو سفيان بن الحارث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم نفارقه ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفاثة الجذامى ، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين . فطفق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يركض بغلته قِبَل الكفار .

قال : عباس وانا وابو سفيان اخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . «اى عباس ناد اصحاب السمرة » فقال عباس : وان رجلا صيتا : فقلت بأعلى صوتى : أين أصحاب السمرة قال : فقالوا : يالبيك يالبيك : قال : فاقتتلوا والكفار .

والدعوة فى الانصار يقولون : يامعشر الانصار يامعشر الانصار . قال : ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج . فقالوا : يابنى الحارث بن الخزرج . يابنى الحارث بن الخزرج . فنظر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا حين حمى الوطيس » .

قال : ثم اخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال : « انهزموا ورب محمد » . قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما ارى . فوالله ما هو الا أن رماهم بحصياته . فمازلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا :

وفى رواية للبراء بن عازب : فنزل ودعا واستنصر وهو يقول : « انا النبى لاكذب . انا ابن عبد المطلب » . اللهم نزل نصرك .

قال البراء : كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع للذى يحاذى به يعنى النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

وفى رواية لمسلم ايضا عن سلمة ابن الاكوع قال : فلما غشوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نزل عن البغلة ثم قبض قبضته من تراب من الارض ثم استقبل به وجوههم فقال : « شاهت الوجوه » فما خلق الله منهم انسانا الا ملا عينه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل وقسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غنائمهم بين المسلمين وتبعهم المسلمون يقتلون وياسرون . فما امسى المساء حتى طار الخبر الى مكة بان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انتصر على أعدائه ففرح بذلك المسلمون وحزن المشركون ثم أمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجمع النساء

والأطفال والاستيلاء على ما تركه العدو من مال وسائمة وقد أحصيت فبلغت ٢٤ الف بعير و ٤٠ ألف شاة و ٤ آلاف أوقية من الفضة و ٦ الاف نفس وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بجمعها وحفظها عند الجعرانة حتى يرى رأيه فيها بعد عودته من حصار الطائف .

ولما رجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حصار الطائف قسم الغنائم وأعطى المؤلفة قلوبهم أكثر من غيرهم حتى انه أعطى أبا سفيان بن حرب مائة من الابل وكذلك ابنه يزيد وابنه معاوية وأربعين أوقية من الفضة ولكن ترك الأنصار حتى ان بعضهم تأثر من ذلك وتكلم بعضهم مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجمعهم فى خيمة ومدحهم ورضاهم حتى أنه أبكاهم وكان فيما قال لهم : « ألا ترضون أن يرجع الناس بالمال وترجعون أنتم برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم » فقالوا : رضينا .

ثم اقبل وفد من هوازن فأسلموا وبايعوا وطلبوا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يرد اليهم نساءهم وأطفالهم لأن اسرهم عار لا يحتمل فأجاب طلبهم ورد اليهم نساءهم وأطفالهم ولكنه أمسك الاموال وفى ذلك نزل قوله تعالى :

« لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » . (١)

ولما كان الفرار من أشنع العار عند العرب وقد توعد القران صاحبه بالغضب سأل رجل البراء ـ رضى الله عنه ـ سؤال انكار بقوله : أفررتم .. وكانه يقول انى لفى حيرة من هذا الأمر اجبنتم واتبعتم الشيطان ففررتم يوم حنين فكيف يصدر منكم هذا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيكم فبادر البراء رضى الله عنه بدفع شبهة الفرار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بل أثبت عكسه ثم حاول الاعتذار عما فرط من الفرار وذلك بان القوم كانوا رماة واقبال المسلمين على الغنائم فكانت هزيمتهم فجأة لانصباب العدو عليهم دفعة واحدة ولاختلاط أهل مكة معهم .

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر » تضمن جواب البراء اثبات الفرار لهم لكن لا على طريق التعميم كما يتبادر من اطلاق السائل حتى يشمل الجميع حتى النبى صلى الله عليه وسلم . ثم اوضح سبب ذلك وختم الحديث بانه لم يكن احد اثبت منه ولذلك قال : كنا والله اذا حمى الوطيس أو البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم . وانما لم يعترف البراء صراحة بالفرار لان العرب تنفر منه بطبعها . فكما تكره وقوعه تكره الاعتراف به لبشاعته وقبحه وهذا الجواب من بديع الأدب .

ويحتمل ان السائل فهم العموم من قوله تعالى : « ثم وليتم مدبرين : فاراد البراء أن يبين له بانه من العام الذى اريد به الخصوص . ولذلك قال : لم يفر .. اى فاما نحن فقد فررنا واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر وفرار من كان قد فر لم

---

(١) التوبة من ٢٥ ـ ٢٧

ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه

بلكن على نية الاستمرار وانما انكشفوا من دفع السهام . واما الفرار المتوعد عليه هو ان بنوى عدم العود اذا أمكنه ذلك .

وقوله عليه السلام : « انا النبى لا كذب . أنا ابن عبد المطلب » ى لا كذب فى نبوتى فانا الصادق الأمين الذى وعدنى ربى بالنصر « ونصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر » فلا أنهزم لأن الله تعالى وعد بذلك ووعد الله حق لا يتخلف .

وأما قوله : « انا ابن عبد المطلب » : اى أنا ابن سيد قومه المعروف بالشجاعة والكياسة والسيادة . والشهير بين الناس بما رزق من نبالة الذكر وطول العمر وحسن الخلق . وانما لم يذكر أباه عبد اللاه لأنه مات شابا ولم يكن له ذكر بين القوم كما كان لابيه عبد المطلب .

وقد كان كثير من العرب،يدعون محمدا صلى الله عليه وسلم بابن عبد المطلب وانما أراد النبى صلى الله عليه وسلم تذكيرهم بذلك وتنبيههم بأنه لابد من ظهوره على الاعداء وأن العاقبة له لتقوى نفوسهم .

فان قال قائل : كيف افتخر النبى صلى الله عليه وسلم بالاباء وقد نهى عن ذلك ؟ فالجواب : ان الافتخار المنهى عنه انما هو الدى يكون فى غير الحرب اما فى الحرب فجائز لما فيه من ارهاب العدو والفتّ فى عضده وذلك اذا كان صادرا ممن عرف بالقوة والعزيمة الصارمة والنية الصادقة وهاتان الجملتان الصادرتان عنه صلى الله عليه وسلم ليستا من الشعر ولا من قبيل الشعر لان الشعر لابد أن يكون مقصورا وموزونا ومقفى وهاتان الجملتان بذكرهما فى هذا الموقف يدلان دلالة قاطعة على أن يقينه بصدق رسالته متغلغل فى أعماق قلبه لأنه لو كان غير ذلك « حاشاه » لنسى فى وقت الشدة ما كان يدعيه فى وقت الرخاء . لأن الباطل قليل من الصدمات يذيبه . فضلا عن مثل هذا الموقف الحرج . ولما كان صلى الله عليه وسلم واثقا بصدق دعواه فان الحوادث مهما اشتدت حلقاتها فانها تجلو هذا اليقين وتبرز اثاره . فانظر الى حسن بصره صلى الله عليه وسلم ودقة فكره حتى فى وقت الشدة حيث قدم الحافز على الثبات الناشىء عن الدين على الحافز الناشىء عن النسب واذا ضممنا الى هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان فى هذا اليوم لم ير المسلمون خصما أكثر منه عددا وقوة راكبا بغلة وهى من الدواب التى لا تسعف راكبها بالسرعة علمت أنها النبوة المؤيدة بالقوة الالهية المنبثة بالسكينة الربانية المردفة بالملائكة ومصداق ذلك قوله تعالى « فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها » ..

وان لنا فى هذا الحديث وغيره التى سيقت فى هذه الغزوة لعبرا شتى وعظات بالغة لا تحد ولا تحصى ومن ذلك :

١ ـ ان النصر لا يكون الا من عند الله

من نفحات السنة المباركة

العزيز الحكيم : مهما كانت العدة والعدد ومهما بلغ الجيش من قوة وليس النصر بفلان او علان .

٢ ـ ان هزيمة المسلمين مع كثرتهم كانت بسبب الدخيل فيهم من ضعفاء الايمان والذين كانت نيتهم الاستيلاء على الغنائم . وغرور بعضهم بكثرة عددهم حتى قالوا لن نغلب اليوم عن قلة » .

ولكن ما أن وَعَوْا ما هم فيه وانكسرت له قلوبهم حتى أرسل الله تعالى اليهم خلع الجبر مع بريد النصر . وقد اقتضت حكمته تعالى أن خلع النصر وجوائزه انما تفيض على أهل الانكسار .

٣ ـ ومن بديع ما فى هذه الغزوة . أن الله تعالى افتتح غزو العرب بغزوة بدر واختتم غزوهم بحنين وهما مشتركتان فى خصائص كثيرة من نزول الملائكة للتثبيت للمؤمنين وتضرع الرسول عليه الصلاة والسلام الى ربه ودعائه له بنصر عباده . ورمى الاعداء بالحصى وأن كلا منهما أطفأت جمرة كفار العرب . فالأولى خوفتهم وكسرت من شوكتهم والثانية استفرغت قواهم .فرفعت الغشاوة عن اعينهم فلم يجدوا بدا من الدخول فى دين الله أفواجا .

٤ ـ معجزات ظاهرة للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ معجزة فعلية عندما قبض قبضة من التراب ورمى بها فى وجوه الأعداء فلم يبق واحد منهم الا دخل التراب فى عينيه وفمه .

ومعجزة قولية وهى أنه عليه الصلاة والسلام أخبر بأن الأعداء هزموا وأقسم برب محمد أو برب الكعبة وقد حدثت بالفعل هزيمة الأعداء .

وكذلك أخبر شيبة بن عثمان الحجبى بما أضمر فى نفسه حيث قال شيبة لما كان عام الفتح دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأثأر منه فأكون أنا الذى قمت بثأر قريش كلها ولو لم يبق من العرب أحد الا اتبع محمدا ما اتبعته أبدا وكنت مرصدا لما خرجت له لا يزداد الأمر فى نفسى الا قوة . فلما اختلط الناس أقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بغلته فأصلت السيف فدنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفى حتى كدت أشعره اياه . فرفع لى شواظ من نار كالبرق كاد يمحشنى فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه فالتفت الىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادانى

ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

يا شيب ادن منى فدنوت منه فمسح صدرى ثم قال : « اللهم أعذه من الشيطان » قال فوالله لهو كان ساعتئذ أحب الى من سمعى وبصرى ونفسى وأذهب الله ما كان فى نفسى . ثم قال : فتقدمت أمامه أضرب بسيفى الله أعلم انى أحب أن أقيه بنفسى كل شىء الى ان قال : فدخل خباءه فدخلت عليه فقال : يا شيب الذى أراد الله بك خير مما أردت لنفسك ثم حدثنى بكل ما أضمرت فى نفسى ما لم أكن أذكره لأحد قط فقلت فانى أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثم قلت : استغفر لى فقال : « غفر الله لك »

د - ولقد اكرم الله عز وجل اهل مكة وجبر كسرهم وفرحهم بما نالوه من النصر والمغنم وكانت كالدواء لما نالهم وعرفهم تمام نعمته عليهم بما صرف عنهم من شر هوازن فانه لم يكن لهم بهم طاقة وانما نصروا عليهم بالمسلمين .

وأما الأحكام الفقهية فمنها ما يأتى : موجزا

١ - أن الامام ينبغى له ان يبعث العيون لتاتى له بخبر الأعداء .

٢ - أنه اذا سمع بقصد عدوه له وفى جيشه قوة ومنعة لا يقعد ينتظرهم بل يسير اليهم .

٣ - وله أيضا أن يستعير سلاح المشركين وعدته لقتال عدوه .

٤ - جواز عقر الحيوان الذى يحارب عليه العدو واتلاف عدته اذا كان ذلك عونا على قتله كما فعل على رضى الله عنه بعقر جمل العدو .

٥ - جواز انتظار الامام بقسم الغنائم اسلام الكفار ودخولهم فى الطاعة فيرد عليهم غنائمهم وسبيهم .

٦ - وان من قتل قتيلا فله سلبه اذا قام البينة على ذلك .

٧ - جواز قبول هدية أهل الكتاب لان الرسول عليه السلام قبل هدية المقوقس عظيم القبط وهدية فروة بن نفاثه . وأما هدية المشركين فلا ينبغى قبولها وعليه ردها لمهديها والا وضعت فى أموال المسلمين .

٨ - جواز الفخر بالقول والفعل أثناء الحرب مع العدو كما قال عليه السلام « أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب » وكما قال : سلمة بن الأكوع خذها وأنا ابن الأكوع . وكما قال على رضى الله عنه : أنا الذى سمتنى أمى حيدرة وكما فعل أبو دجانة عندما تعصب بعصابته ثم هز سيفه وأخذ يختال فى مشيته أمام العدو ليريهم من نفسه وغير ذلك من الاحكام التى يطول ذكرها ومن أراد ذلك فعليه بكتب الفقة والسيرة .

والله نسال ان يثبت المسلمين فى عقيدتهم وفى كل أمورهم وأن يجمع شملهم وينصرهم على أعدائهم انه نعم المولى ونعم النصير . أمين

وبالله التوفيق

كتبه

د . محمد محمود شعبان
المدير العام للتعليم الثانوى الأزهرى

عقد الزواج

أشراطه الشرعية والقانونية

الزواج فى اللغة العربية هو الاقتران والازدواج يقال زوج الرجل ابله اذا قرن بعضها ببعض (١) ومنه قوله تعالى (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) سورة الصافات ٢٢ ، ٢٣ أى وقرناءهم ٠

أما الزواج فى الشريعة الاسلامية فهو عقد يفيد حل استمتاع كل واحد من الزوجين بالآخر على الوجه المشروع ويجعل لكل منهما حقوقا قبل صاحبه وواجبات عليه ٠

فهو من عقود التمليك والملك فيه وارد قصدا على متعة كل واحد من الزوجين بالآخر ولذا عرفه بعض الفقهاء بقوله **(هو عقد يرد على ملك المتعة قصدا)** ٠

وهو من عقود التمليك التى يترتب عليها أثرها فى الحال غير محدود بزمن ولذا لاتقبل اضافته الى زمن مستقبل ولا توقيفه بوقت ما طويل أو قصير ٠

فمتى تحققت أركان العقد وتوافرت شرائطه الشرعية حل استمتاع كل واحد من الزوجين بالآخر بعد ما كان حراما عليهما ٠

واستحقت الزوجة على زوجها المهر والنفقة والعدل بينها وبين ضرائرها اذا تعددت الزوجات .

واستحق الزوج على زوجته الطاعة وعدم خروجها عن أذنه والقوامة عليها وذلك فى قوله تعالى (**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**(سورة النساء ٣٤) ٠

واستحق كل منهما على الآخر حسن المعاشرة وحرمة المصاهرة والتوارث (٢) ٠

الحكمة فى تشريعات الزواج :

ولقد شرع الله الزواج تكريما للنوع الانسانى ولبقائه على أكمل وجوه البقاء الى

---

(١) كتاب المفردات فى غريب القرآن تأليف ابى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى ٠

(٢) كتاب أحكام الاحوال الشخصية فى الشريعة الاسلامية تأليف المرحوم الاستاذ عبد الوهاب خلاف ٠

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

الأجل الذى قدر الله أن ينتهى بقاء الانسان اليـه بدلا من توالده بمجرد الاختلاط بين ذكورة وأنوثة كما تفعل أنواع الحيوانات •

ولأن موجب الزواج الشرعى الاختصـاص وأن تكون الزوجة حلالا لزوجها وحده لايملك غيره حق الاستمتاع بهـا كان فى هـذا الاختصاص بقاء النوع الانسانى على أكمل وجوه البقاء من نواح عدة •

احداهـا : أن يحول دون تزاحم عدد من الرجال على امرأة واحدة فيأمن الناس التظالم والتقاتل اللذين يودى اليهما ذلك التزاحم •

والثانية : أنه يحفظ الأنساب ويجعل لأولاد كل زوجة أبا معروفا يتكفل برعايتهم والمحافظة عليهم فى طفولتهم وبعدها حتى يبلغوا أشدهم فيأمنوا الضياع والفناء •

والثالثة : تحصن النفس وقضاء حاجاتهـا الجنسية من الطريق التى أحلهـا الله والبعد عن انتهاك الحرمـات وفى ذلك حفظ الأخـلاق والأعراض ووقاية من الشحناء والبغضاء يقول رسول الله صلى الله عليه وسـلم (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) (١) والباءة تعنى مؤنة الزواج — والوجاء تعنى الوقاية •

كما يقول عليه الصلاة والسـلام (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة) (٢) ومادام اجتماع الذكور بالاناث من الضروريات التى اقتضتها الفطرة الجنسية كان لابد من تشريع نظام يقوم على أساسه هذا الاجتماع حتى يأمن احداهما عدوان صاحبه ويثمر الاجتماع ثمرته المقصـودة من تعاون الزوجين وقيـام الزوج بأعباء الحياة الخارجية وقيام الزوجـة بالشئون المنزلية وسكون أحدهما الى الآخـر وأنسه به واطمئنانه اليـه وتبادلهما المـودة والرحمة التى أشار الله سبحانه وتعالى اليها بقوله **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** سورة الروم ٢١ •

أركان عقد الزواج :

هى العاقدان والمعقود عليه وصيغة العقد

" الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ . "

صدق الله العظيم

(١) رواه البخارى ومسلم •

(٢) رواه مسلم والنسائى •

عقد الزواج

المكونة من الايجاب والقبول لما كان وجود الصيغة يستلزم وجود العاقدين والمعقود عليه اقتصر أكثر الفقهاء فى بيان أركان الزواج على قولهم (أركان الزواج الايجاب والقبول) •

فالايجاب هو ما صدر أولا من أحد العاقدين تعبيرا عن ارادته وايجاد الارتباط وانشائه • والقبول هوما صدرثانيا من الآخر للدلالة على موافقته ورضاه بما أوجبه الأول •

ولا بد فى الايجاب والقبول من تحقق أمرين :

أحدهما : من حيث صورتهما اللفظية •

والثانى : من حيث مادتهما واشتقاقهما •

فأما من حيث صورتهما اللفظية فلابد أن يكونا على صورة الفعل الماضى مثل زوجتك موكلتى ، قبلت — أو وهبت لك نفسى ، قبلت لأن الغرض من الصيغة التعبير عن حصول رضا من الطرفين وتوافق بين ارادتيهما والذى يدل على حصول هذا فعلا وقت التعاقد هو ما كان على صيغة الماضى •

وأما من حيث مادتهما واشتقاقهما فالقبول لا يشترط اشتقاق لفظه من مادة خاصة بل بأى لفظ يدل على الموافقة والرضا من أى مادة كانت مثل قبلت رضيت وأما الايجاب فلابد أن يكون بلفظ مشتق من الزواج أو النكاح أو مشتق مما يدل على تمليك العين فى الحال مثل الهبة والتمليك والبيع وما يرادف ذلك من أى لغة (١) •

شروط عقد الزواج :

عقد الزواج له شروط كثيرة ومتنوعة اشترطها المشرع الاسلامى وتسمى بالشروط الشرعية وله شروط وضعية أو قانونية اشترطها المشرع الوضعى بمصر وذلك لسماع دعوى الزواج عند انكاره أمام المحاكم فى دوائر الأحوال الشخصية فى جمهوريتنا المصرية العربية ، ولاتوجد مثل هذه الشروط القانونية فى بلاد أخرى مثل جمهورية السودان والمملكة العربية السعودية وغيرها (٢) •

أولا : الشروط الشرعية لعقد الزواج :

هذه الشروط هى شروط الانعقاد وهى التى تلزم مراعاتها فى أركان العقد ولو تخلف شرط منها صار وجود الأركان بمنزلة العدم وبالتالى انعدم العقد ولا يترتب عليه حكم من الأحكام ويسمى العقد فى هذه الحالة بالعقد الباطل وهذه الشروط نوجزها فى الآتى ومن آراد التوسع والتفصيل فيها فعليه بما حبب فقهاء الاسلام وأئمه المذاهب الاسلامية فى كتب الفقه الاسلامى المختلفة •

١ — شروط خاصة بالعاقدين وما يجب أن يتحقق لهما من أهلية وتمييز وأن يسمع كل منهما كلام الآخر ويفهم أن المقصود من كلامه هو انشاء الزواج •

---

(١) كتاب احكام الاحوال الشخصية فى الشريعة الاسلامية تاليف المرحوم الاستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف .

(٢) كتاب نظام الاسرة فى الشريعة الاسلامية للدكتور محمد على محجوب الاستاذ بكلية الحقوق جامعة عين شمس .

" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "

صدق الله العظيم

٢ ــ شروط المعقود عليه وهى المـــرأة فيشترط لكى ينعقد الزواج بهـــا ألا تكون محرمة على الرجل تحريما قطعيا كالأم والبنت والأخت وغيرهن مما كانت حرمتهن مؤبدة ٠

٣ ــ شروط خاصة بصيغة العقــد وهى (الايجاب والقبول) فيتحد مجلس الايجاب والقبول ، وأن يكون القبول موافقا للايجاب ومطابقا له فى موضوع العقد وفى مقدار المهر، وأن تكون صيغة العقد منجزة غــير معلقة ولا مضافة ٠

٤ ــ شروط صحة الزواج وهى التى يلزم توافرها فى العقد بعد اســتيفائه شروط الانعقاد ولو تخلف شرط منها صار العقــد فاسدا وهى الشهادة على الزواج مع شروط فى الشهود وهى التعدد والبلوغ والاســلام وألا تكون المرأة محرمة على الرجل حرمــة مؤقته أو محرمة عليه تحريما مؤبدا ٠

٥ ــ شروط نفاذ الزواج بأن يكون كل من الزوجين كامل الأهلية (أى بالغا عاقلا حرا) وأن يكون الزوج رشــيدا أى غــير سفيه وألا يكون العاقد وكيلا خالف موكله وألا يكون فضوليا ٠

٦ ــ شروط اللزوم وهى التى يترتب عــلى وجودها أن يكون العقد لازمــا بمعنى أنه لا يجوز فسخه من أحــد العاقدين أو من غيرهما كأن يكون الزوج كفؤا للزوجــة وأن يكون المهر هو مهر مثلها وأن يكون العقــد خاليا من التغرير ، والـــزوج خاليا من العيوب (١) ٠

ثانيا : الشروط القانونية لعقد الزواج :

أصــدر المشرع المصرى القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ قرر فيه الآتى :

١ ــ ألا تقل سن الزوجة عن ست عشرة سنة ، وسن الزوج عن ثمانى عشرة ســنة هلالية وقت الدعوى فاذا كانت سن أحدهمــا تقل عن ذلك فلا تسمع دعوى الزوجية (٢) ٠

٢ ــ الزواج المدعى وقوعه فى المدة من أول أغسطس سنــة ١٩٣١ الى الآن لا تســمع الدعــوى به عند الانكار الا اذا كان ثابتا فى وثيقة زواج رسمية صادرة من الموظف المختص بتوثيق عقــود الزواج كالقاضى فى المحكمة والمأذون فى القرية والقنصل خارج البلاد (٣) ٠

وكما ذكرنا سابقا أن هذه الشروط القانونية لاتوجــد فى بلاد أخــرى حيث يكتفون فقط بالشروط الشرعية لعقد الزواج وهو ما اشتهر

---

(١) المرجع السابق .
(٢) نصت على ذلك الفقرة الخامسة من المادة ٩٩ من القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ .
(٣) نصت على ذلك الفقرة الرابعة من المادة ٩٩ من القانون سالف الذكر .

عقد الزواج

بين النـاس فى مصـر باسـم • ـ الزواج العرفى (٤)

فالزواج العرفى :

هو الزواج الذى لايكتب فى الوثيقة الرسمية التى قررها القانون المصرى وهـو عقـد ان أستكمل الأركان والشروط المعتبرة شرعا كان صحيحا وبه تثبيت جميع الحقوق من حـل الاتصال بين الزوجين ومن وجوب النفقة على الرجل ووجوب الطاعـة عـلى المرأة ونسب الأولاد من الرجل وهو العقد الشرعى الـذى كان معهودا عند المصريين المسلمين الى عهـد قـريب اذ كان الضمير الايمانى كافيا عند الطرفين فى الاعتراف به وفى القيام بحـقوقه الشرعية على الوجه الذى يقضى به الشـرع الاسلامى ويتطلبه الوازع الايمانى •

فاذا كان المدعى عليه مقرا بدعوى الزوجية عومل باقراره فى أية مدة أدعى حصول الزواج فيها فلاحاجه لاشتراط المسوغ الكتابى لسماع دعوى الزواج الا عند انكار الزوجية •

كيف دعت الحـاجة المشرع المصرى الـى تقرير الشروط القانونية فى عقد الزواج •

لمـا رأى أولياء الأمور فى مصر أن ميزان الايمان قد خفف فى كثـير من القلوب ، وأن الضمير الايمانى فى بعض الناس قد ذبل فوجد من يدعى الزوجية زورا ويعتمد فى اثباتها على شهادة شهود لايتقون الله ولا يرعون الحق فما تشعر المرأة الا وهى زوجة لمزور أخرجها الى بيته اشباعا لشهوته أو كيدا لها ولأسرتهـا ، كما وجد من أنكر الزواج تخلصا من حقـوق الزوجة أو التماسا للحرية فى التزوج بمن يشاء ويعجز الطرف الآخر اثباته أمـام القضـاء وبذلك لا تصل الزوجة الى حقها فى النفقة أو لايصل الزوج الى حقه فى الطاعة ، وقد يضع نسب الأولاد ويلتصق بهم وبأمهم العار الأبدى فوق حرمانهم حقوقهم فيما تركه والدهما من ميراث (٢) •

لذلك قرر المشرع الوضـعى المصرى حفظا للأسر وصونا للحياة الزوجية وقطعا لهذا العبث شروطا قانونية لاجراء عقـد الزواج وبذلك التشريع صـار الذين يقدمون عـلى الزواج دون التزام تلك الشروط هم وحدهم الذين يتحملـون تبعات ما يتعرضون له من آثار سيئة كما يتحملون اثم ضياع الأنسـاب للأولاد وحرمانهم الميراث عنـد الانكار وهم وحدهم المسئولون عن تصرفاتهم أمـام الله وأمام الناس •

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

---

(٤) كتاب نظام الاسرة فى الشريعة الاسلامية للدكتور محمد على محجوب .

(٢) كتاب الفتاوى لفضيلة المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت .

الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم

مع الفكر الغربي

من مزاعم المستشرقين

الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم

(٤)

... وكالشارح ألقى نظرة في الكتاب الأصلى فوجده عظيم المحتوى، ونظرة أخرى في وجوه الدارسين فوجدها صفراء من التعب، فأدرك واجبه على الفور ـ دخل N.J. Dawood **ميدان ترجمة القرآن الكريم، وظهرت الطبعة الأولى من كتابه في ١٩٥٦ م**

فمن داود هذا وان اسمه ـ بالحروف اللاتينية ـ ليزعق بعربيته، وان اليسر الذى تجرى به مقدمته لينفى أجنبيته عن موضوعه ؟!

لا أحد يدرى !!

وقد حدست الدكتورة بنت الشاطىء أنه يهودى عراقى ..

وفي كتابه جمع بين المترجم الملتزم والمؤلف الحر في نثر أدبى سهل، جامعا الايات ـ في أغلب الأحوال ـ في فقرات يراها متوائمة ..

ولم تخل مقدمته، ولاترجمته من تلك الايحاءات الممجوجة التى يريد بها الغرب اثبات أى تهافت على الاسلام، ورمى العيب لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكتابه العزيز، أو حصر هذا الكتاب الكريم في حيز « الأثر الكلاسيكى العربى » ..

كان عنوان الترجمة الاولى لداود « القران ـ ترجمة جديدة » .

The Koran a New Translation

وصار اسمها في طبعاتها التالية « القران » فحسب مع أنه غير فيها ترتيب السور تغييرا لايهدف الى تعلقها بأوقات النزول، وانما « بأثرها الأدبى في نفس القارىء الأجنبى » حسب رأيه ..

ونقدم مقتبسات من هذه الترجمة تكشف عن تعمد داود بث فيها من ايحاءات تهدف الى أن القران الكريم ليس من عند الله، وأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم قد تأثر بالتعاليم اليهودية والمسيحية وبالحنفاء من قومه ـ صلى الله عليه وسلم ..

هذا الى تعمد داود تجاوز الواقع من الأسباب الى طرح بعض فصولها في غموض يوحى بانقطاع التسلسل فيما كتبه عن الوحى وتدوين القران كذلك يعتبر داود وجود هذه القراءات نتيجة لكتابة القران الكريم بالخط الكوفى، والصحيح الثابت أن القراءات المتواترة تليت في عهده صلى الله

للأستاذ سليمان بـــركات

عليه وسلم ، بل بين يديه عليه الصلاة والسلام ..

ويحيل ترتيب السور الى عمل الكتبة لا الى الوحى ..

وبدهى أن الرجل لايقدم ترجمته لمسلم عربى على علم بتاريخ القرآن وأسباب النزول وانما يقدم نتاجه هذا الذى يصر فيه على أن القرآن رائعة أدبية لقارىء الانجليزية على أى مستوى كان لتكون حصيلة هذا القارىء هذه المضامين التى يريدها داود ..

نقول ذلك ـ للقارىء ـ بين يدى هذه المقتبسات حتى يكون على وعى حاذر لما يرمى له الرجل

يقول ـ في مقدمة كتابه :

« القران أول وأفصح أدب نثرى كلاسيكى ، وهو ـ بالنسبة للمسلمين ـ كلام الله المعصوم ، استنسخ من لوح محفوظ في السماء ، وأوحى الى محمد (١) (صلى الله عليه وسلم) بواسطة جبريل (عليه الصلاة والسلام(٢) وباستثناء الفاتحة وبضعة آيات أخر يتكلم فيها النبى أو الملك ، فالمتكلم عبر القرآن كله هو الله بضمير المفرد وضمير الجمع »

ومما يقول عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم :

« وفي سن الخامسة والعشرين تزوج خديجة بنت خويلد ، وهى ارملة غنية تكبره بخمس عشرة سنة . وكان قد صار له سمعة طيبة لامانته وحكمته . كما كان قد تأثر بالتعاليم اليهودية والمسيحية .

وعن الوثنية الجاهلية يقول :

« كانت العرب تعبد في الكعبة مع الله الاهات اناث هن : اللات والعزة ومناة ، يمثلن بالترتيب الشمس والزهرة والسعد ..

« قبل دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم) بزمن طويل تبدت على الوثنية العربية أعراض الانهيار ..

« فبتأثير من التوحيد اليهودى والمسيحى كان عدد من العرب يعرفون بالحنيفيين قد نبذوا الوثنية الى ديانة

(١) يسميه Mohammed
وصحة الاسم Muhammad صلى الله عليه وسلم

(٢) هذه الصلاة ليست الأصل

فيه آيات بينات مقام ابراهيم

الترجمات الانجليزية لمعانى القرآن الكريم

متقشفة خاصة بهم ..

« ويظهر أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) قد تأثر بهم ، فقد اعتاد الاعتكاف بغار في الجبل ليخلو الى التحنث والتفكر »

وعن أول الوحى يقول :

« ويروى في الخبر أنه بينما كان محمد نائما او في غشية ذات ليلة من رمضان حوالى ٦١٠ م جاءه الملك جبريل وقال له « اقرا » فتساءل محمد « فما أقرأ » (١) وتكرر الامر ثلاثا وبعدها تلا جبريل « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ..

« وحينما استيقظ محمد كانت هذه الكلمات كما يحكى عنه ، كأنما نقشت في قلبه » ..

وفي نبوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم يقول ..

« وكان محمد الذى ينكر قدرته على الاتيان بمعجزات ، يؤمن ايمانا جازما انه رسول الله مبعوث لتاكيد الكتب السابقة ..»

« فقد اوحى الله مشيئته الى اليهود والمسيحيين عن طريق رسل مختارين ولكنهم (٢) خرجوا على أمر الله وتفرقوا شيعا منشقة على بعضها ..

« ويتهم القران اليهود بتحريف الكتب المقدسة والمسيحيين بعبادة المسيح كابن لله ، مع أنهم لم يؤمروا الا بافراد الله (وحده) بالعبادة »

« ولانهم ـ بذلك ـ قد ضلوا ، فقد وجبت اعادتهم الى طريق الدين الحق الذى دعا اليه ابراهيم ، والذى هو الاسلام ، أى الاذعان التام والتسليم المطلق لمشيئة الله »

وعن دعوة القران يقول :

« ينادى القران بوحدانية الله ويؤكد على رحمته ومغفرته ..»

« والله عزيز ، عليم ، ومع رحمته بعباده فهو شديد العقاب .. »

« وهو يامر بالعدل والاحسان ، والشفقة على اليتامى والأرامل والتصدق على الفقراء »

« وأهم الفروض على المسلم : الايمان بالله ورسوله ، والصلاة والزكاة ، والصوم ، وحج البيت المقدس في مكة الذى بناه ابراهيم بعبادة الله الواحد »

وعن الوحى وتدوين القران يقول :

« وكان الوحى القرانى يتوالى على فترات قصيرة ، وكان يقوم على استظهاره بادىء الأمر حفاظ محترفون »

« وفي حياة محمد كانت الايات تكتب على سعف النخيل والحجارة وأى مادة مناسبة متيسرة »

« وتم تجميع هذه الأيات ابان خلافة عمر ، الخليفة الثانى »

« ثم تحددت نسخة معتمدة في خلافة عثمان »

« والى يومنا أصبحت هذه النسخة هى كلام الله المعتد به »

« ولما كان الخط الكوفى الذى دون به القران أول الأمر خاليا من النقط والضبط ،

---

(١) الخبر المتواتر : « « ما أنا بقارىء » كرره ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرتين يريد به النفى وفي الثالثة تساءل : « ماذا أقرأ ؟ »

(٢) أى اليهود والنصارى

قال الله سبحانه وتعالى

قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين

فان للقرآن قراءات مختلفة بها على قدم المساواة لدى المسلمين »

« ومن سوء الحظ أن ناسخى القرآن في تجميعهم لآياته لم يلتزموا تسلسلها الزمنى ، بل رتبوا السور بصفة عامة حسب أطوالها مبتدئين بالسور الطويلة ..

« وقد حاول نولدكه Noldeke وجريم - Grimme ورودويل Rodwell وبل Bell ترتيب هده السور زمنيا ولكن العلماء متفقون على استحالة الترتيب الزمنى الدقيق للقران بدون تقسيم بعض السور ايات متفرقة ، لورود ايات مدنية في سور مكية سبقتها في النزول »

ويتحدث داود عن ترجمته فيقول :

« وفي اعدادي لهذه الترجمة كان هدفي أن أقدم للقاريء الحديث نصا مفهوما للقران بالانجليزية المعاصرة .

« وفي يقيني أن القران ليس فقط واحدا من أعظم كتب الأدب الديني وانما هو كذلك رائعة أدبية باهرة .

« وقد فشلت في رأيي ترجمات سابقة له عجزت عن نقل معانيه وجلال فصاحته وبلاغته بسبب التزامها المتزمت بالترجمة الحرفية » .

وعن المتشابه والغيبيات في القران يقول :

« ويجدر بالذكر أن القرآن يضم العديد من المعطيات والأخبار التي ان لم يسلم القاريء بغموضها وعويص مقصدها فسيكون لها أكثر من تأويل .

« وقد بذلت جهدا عظيما في صياغة هذه الغوامض حيثما عرضت ، وقدمت تذييلات تفسيرية حتي لاتخرج الترجمة الي التأويل .

« ولبعض السور فواتح شفرية من حروف مقطعة .

« ومع أن هناك نظريات مختلفة لعلماء المسلمين ، والغرب لتفسيرها الا أن نظرية شافية منها لاتوجد .

« وقد درج المفسرون المحافظون علي صرف نظرهم عنها بقولهم :

« الله أعلم بمراده » .

وعن مراجعه التي اعتمد عليها في صياغة المتشابهات يقول :

« وقد التزمت في هذه الصياغة بتفاسير الزمخشري والبيضاوي والجلالين ، وهي من التفاسير القيمة » .

ويقول داود انه تخلي في طباعته الجديدة (١) لترجمته عن ترتيب سور القرآن الترتيب التقليدي ويبرر ذلك بسببين :

« أولهما : أن هذا الترتيب لايستند الي تفويض النبي » صلي الله عليه وسلم ، وهذا خطأ كما سبق أن أوضحنا .

« وثانيهما : افتقار القرآن الكريم ـ حاش

---

١) اعتبارا من طبعة ١٩٥٩ التي أعيدت في ١٩٦١ ، ١٩٦٤ ثم عاود المراجعة في ١٩٦٦ .

التـرجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم

لله ـ الي تسلسل السيناريو » لمعطياته وللمرحوم الشيخ دراز كتاب « النبأ العظيم » في الرد علي هذه الفرية .

كذلك أسمي المترجم « الفاتحة » The Exordium ومعناها الافتتاحية !

ولذلك ـ حسب رواية داود ـ فقد بدا كتابه بالسور ذات الطبيعة الشاعرية (١) واخر السور ذات الطول والموضوعات المتعددة .

ففي رأيه أن القاريء المبرأ من تلقين سابق كثيرا ماتصده أمثال سورة البقرة وسورة النساء بموضوعاتها الدنيوية وهما أوائل الترتيب المتوارث للقران ، وهو يعزو هذا الصد الي أسباب لم يذكرها وانما وصفها بأنها مفهومة ! وعلي اي حال فقد نبه في الفهرس الي الرقم المتواتر ، أو التقليدي لكل المصحف في سورة .

كما أكد أنه لم يتعرض للمسائل الخلافية ، ومنها مثلا ، ما يتعلق بطبيعة نبوة محمد ، صلي الله عليه وسلم ، ومصادره العقائدية ، وانما لكل قاريء أن يكون اراه بفكر حر غير متحيز . (كذا . ومقصده من هذه العبارة لايخفي علي قاريء .

وأعقب (داود مقدمته بجدول زمني لأهم الأحداث في حياة النبي صلي الله عليه وسلم ، فيذكر العام ، والي جواره « عنوان » الحدث الذي وقع فيه .

ويهمنا أن نلفت النظر هنا الي أنه جعل لما يتعلق من هذه الأحداث باليهود ظلالا مضللة وهي كما يلي :

عام ٦٢٦ م ـ أخضاع يهود النضير وطردهم .

عام ٦٢٧ م ـ محمد يغير علي يهود قريظة ، ويعدم ثمانمائة (يهودي واحد تخلي عن دينه لينجو ، ويبيع كل النساء والأطفال عبيدا .

عام ٦٢٩ م ـ اخضاع يهود خيبر .

وكذلك ترجم داود سورة الروم الي سورة الأغريق وجعل « ص ٧ Sad و (س) في فواتح بعض السور Sin .

مثلما فعل آربري .

وكان يجدر بهما وضع نقطة تحت « «S» » للتعبير عن « ص » العربية ، وتحت « «d» » للتعبير عن « ض » وتحت « «t» » للتعبير عن « ط » وتحت «dh» للتعبير عن « ظ » ووضع شرطة قصيرة فوق « ا » في «sin» حتي تعبر عن « س » في فواتح السور .

١) كذا قال المترجم .

إن الله عنده علم الساعة

ولاتعطي معني الاثم او الذنب .

وعوضا عن مقارنة محدودة لبعض النصوص عن اربري بنظائرها في المصحف الشريف . ومثل ذلك عند داود . نرجو بعون الله أن نقوم بدراسة تحليلية لهذه الترجمات الأربع : مكتول . وعبد الله يوسف . واربري . وداود .

وانما نعاود التنبية علي الخصائص الفذة للغة العربية . وعلي أن الله سبحانه وتعالي كما أدب نبيه عليه الصلاة والسلام فأحسن تأديبه . قد أعد اللغة العربية للرسالة فأحسن اعدادها .

ونقتصر علي أمثلة من الصلاحيات النحوية والبلاغية لبعض الحروف الأبجدية المفردة . كمثال علي التفرد المعجز للغة العربية حتي في اقل الاشياء .

فاين من لغة . اي لغة . اداء كالهمزة في « قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين (٩ فصلت

أو الباء في : « وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر » (٩٦ البقرة أو الفاء في : « فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقي » (٤٨ الحج .

أو اللام والنون في : « لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين » (٦ . ٧ التكاثر .

فالترجمة الي العربية ليست كالترجمة عنها .

وأخشي مانخشاه ان يكون كثرة الترجمات الاجنبية للقران نوع من الخوض في محرم باحتمالات الاحلال والابدال التي هي من جنس التحريف .

ولنتصور الامر وقد اصبح ذلك متاحا او متواترا . وكل امريء يسمي ترجمته تنزيلا ومايترتب علي ذلك ..!

ان التحريف الذي لم يدخل القران الكريم في نصه العربي بحال يمكن بسهولة أن تسلل الي ترجمة معانيه حتف أنف مترجميه .

ونحن نعلم أن الأزهر الشريف اعتمد ترجمة Piethall لكن هذا الاعتماد لم يحبس ناشري الغرب عن اخراج غيرها . لذلك نري ـ تماما ـ أن علي الأزهر وكافة الجامعات الاسلامية مسئولية متابعة الترجمات التي تصدر بالتصحيح والتعليق والزام الناشرين بأخذ توصيات هذه الهيئات الاسلامية الكبري ماخذ الامتثال والتنفيذ الفوري .

---

(١) أنظر : هجرة الأحجار الكريمة
بمنبر الاسلام
شوال ١٤٠٣

سليمان بركات

من
مزاعم المستشرقين
حول ..
الفكر الإسلامي

لابيه LABIET

لا بييه من المستشرقين الذين بذلوا جهدا كبيرا فى التقليل من شأن العربى المسلم واضفاء وصف التبعية على العقلية الاسلامية .

والرجل فى هذا الزعم يسلك مسلكا يصطبغ من الناحية الشكلية بالصبغة العلمية .

فقد عمد الرجل الى أسلوب الدراسة المقارنة بين الروح الاسلامية والروح اليهودية والروح الاوربية وقد عبر عن ذلك فى كتابه « المدنيات التونسية » .

وقد حاول الرجل من خلال هذه الدراسة المقارنة . الوصول الى نتيجة مؤداها . قصور العقل الاسلامى خاصة والعقل السامى عامة عن أى ابداع فلسفى .

ونحن نصحب الرجل فى دعاواه . ونناقش دلائله . ومبناه . وسوف نرى قيمة ما يذهب اليه . من الناحية المنهجية والناحية الموضوعية معا .

يقول فى كتابه المذكور :

ان النفس اليهودية متجردة بفطرتها صوب المستقبل ، بينما النفس العربية متجردة صوب الماضى .

والنفس الأوربية تختلف عنهما .

ثم يقول :

المستقبل . هذا هو مركز الدائرة الذى تنجذب اليه نزعات الاسرائيلى فى تونس .

كما أن الماضى بالنسبة لروح العربى هو مركز الدائرة الأوحد » .

أما عن الأوربى فيقول لا بييه :

الأوربى — بلا شك — يفكر فى رفاهية المستقبل كما لا يهمل التمتع بالحاضر .

وهنا يقترب عنده العنصر اليهودى السامى من العنصر الأوربى ثم يقول :

ان المدنية الأوربية تجبرنا على التبصر وتشاركها فى ذلك المدنية اليهودية .

أما فيما يتعلق بالعربى . فان حب الماضى وعدم الاحتفال بالمستقبل يؤديان الى عدم مقدرته على التبصر . والعربى فى نظر لابييه لا يشغل الا بالماضى . ولم يعد يأبه بأى تفسير عقلى أو فلسفى مما يحيط به وأن ما

للدكتور محمود عبد المعطى بـــركات

يشغله هو البكاء على الآثار والزمن .

وقد بنى الرجل هذا الرأى — فى زعمه — على دراسة اجتماعية ميدانية لهـذه الأجناس حسبما عبرت عنها مدينة تونس التى هى الحقل الذى أجرى فيه دراسته هذه . على اعتبار أنها حقل اجتمعت فيه كل هـــذه العناصر الثلاثة .

وبالرغم من أن مدينة تونس قد يجتمع أو قد اجتمع فيها فعلا كل هذه العناصر . الا أن نتائج هذه الدراسة يجب أن تبقى محلية بحيث لا يصح بحال من الأحوال تعميمها على هـذه الأجناس الثلاثة فى امتدادها الواسع والمنتشر فى أرجاء المعمورة بعيدا عن مدينة تونس .

اذ قد تكون هناك عوامل محلية أو قومية أدت الى مالاحظه الرجل من شـــواهد على فرض سلامة منهجه .

ونحن نرى أن حكم لابييه — على فــرض صحته — لا يصح تعميمه على هذه الأجناس فى أوطانها الواسعة وامتدادها العريض ، لأنه ينبغى أن يكون خاصا بالعناصر المـوجودة فى تونس وحدها كبقعة محدودة من العالم .

ومن وجهة نظر علم الاجتماع فيما يتعلق بدراسة الظواهر عقلية كانت أو مادية . لجماعة من الجماعات أو مجتمع من المجتمعات . لابد من تمثل ٱلْعَيِّنَةُ . التى هى محل الدراسة . الجماعة التى يراد الحكم عليهـــا بنتـــائج الدراسة . تمثيلا صادقا — أعنى أن تكـــون العينة مصنفة من جميع الطبقـــات ومختلف الأنواع والبيئات التى ينتمى اليها عنصر مـا من هذه العناصر . المراد الحكم عليها .

والعنصر الســامى . كالعنصرين كالآخرين — كما نعرف ويعرف لابييه — يمتـــد وطنه امتدادا كبيرا . فلا ينحصر فى مـدينة تونس وحدها بل انه من الجائز جدا أن تنفرد هـذه المدينة بخصائص جغرافية أو ســـياسية أو غيرها . فلا تكون هذه الخصائص موجودة فى الاطار العام الذى يحتوى العنصر الكلى المراد الحكم عليه . والذى من المفروض أن تمثلـه هذه العينة .

هذه الخصائص التى يمكن أن تكون سياسية أو طبيعية أو اقتصادية أو ثقافية . وكل هذه العوامل ذات تأثير على العنصر الى حد ليس بالامكان تجاهله . وأظننا فى غنى عن الحديث عن بعض ما تمتاز به مدينة تونس من خصائص على رأسها الموقع الجغرافى . والوضع السياسى وقت الدراسة .

ولا أظن أن الرجل قد صـــنف عينته — موضوع الدراسة — حسبما تقتضيه قواعد علم الاجتماع ومناهجه فى هذا الصدد ودراسة مثل هذه الظواهر ، ذلك لأن هناك فى علم الاجتماع ما يسمى بتصميم الاطار وهو أن يحصـــل الباحث على مجموع واقعى من الحـــالات

من مزاعم المستشرقين
حول الفكر الاسلامي

لاستخدامه كاطار لعينة تمثل المجموع تمثيلا صادقا • ثم بعد ذلك يختار الباحث من هذا الاطار عينة تحقق درجة عالية من التشابه بين العينةالمختارة والاطار الكلى المختارة منه(١)•

هذا هو بعض ما يقوله علم الاجتماع من الناحية المنهجية فى مثل هذه الدراسات ولا أظن أن لابيبه قد راعى ذلك • فمدينة تونس قد يجتمع فيها فعلا الأجناس الثلاثة • الا أن درجة تمثيل العينة للاطار تمثيلا صادقا • قد تكون غير دقيقة أو قل هى كذلك • ومن ثم يصبح التمثيل غير صادق والنتيجة غير دقيقة•

وذلك أن الاطار العام الذى يجب أن تصدق العينة فى تمثيله اطار واسع عريض لدرجة كبيرة حتى ليكاد ينتشر فى معظم بقاع العالم هذا علاوة على أنه اطار مركب من ثلاثة اطارات فرعية واستعراض الاطارات يتعذر معه اختيار العينة ممثلة لها تمثيلا صادقا • ويكفى مثلا أن نعلم أن أحد هذه الاطارات ــ المحكوم عليها وهو الاطار اليهودى اطار واسع جدا حتى انه قد يشمل معظم بقاع الأرض وذلك لأنهم متفرقون فى شتى أنحاء العالم • فلم تكن قد قامت له دولة بعد •

وواضح أن لابيبه لم يتخذ ميدان دراسته هذا الامتداد الكبير ولو أن ذلك لم يكن ليغير من النتيجة كثيرا • لأن أساس نظرية لابيبه ليس علميا بمقدار ما هو تعصبى واذا كان هذا شأن الاطار اليهودى فان الاطارين الآخرين أيضا يصعب حصرهما حصرا دقيقا •

وبذلك تكون دراسة الرجل مختلة منهجيا فاقدة للأسس العلمية فى ميدانها • هذا بعض ما سمح به المقام من ملاحظات على دراسة لابيبه من الناحية المنهجية ، فالمنهج مختل وقواعده هشة وبالتالى فان نتائجه مهتزة ، أما من الناحية الموضوعية :

فمن ناحية التمسك بالماضى كظاهرة فى سلوك العربى المسلم وكطابع للعقلية العربية • وعدم الاحتفال بالمستقبل وعدم التبصر ، وما يراه من البكاء على الزمن •

فلا شك ان هذا الاتهام لا يقوم على أساس صحيح • وذلك أن العربى باعتباره مسلما بصفة عامة يحتل المستقبل عنده منزلة رفيعة فهو يعمل له ويبنى من أجله بل من أجله يحيا حاضره ومستقبله ذلك لأن الاسلام يعتبر الحياة الدنيا بماضيها وحاضرها طريقا لمستقبل واسع هو الآخرة الأبدية التى تؤمن بها الأديان الثلاثة •

وقد أمر المسلمون على لسان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالجد فى العمل حتى لو دهمتهم الكوارث ، حدث هشام بن زيد قال : سمعت أنس بن مالك قال قال : رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : ان قامت الساعة ، وبيد أحدكم فسيلة ، فان استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل (١) •

---

(١) راجع ميادين علم الاجتماع د . محمد محمود الجوهرى وآخرون طبع دار المعارف .

(١) الفسيلة بزنة الشعيرة : النخلة الصغيرة تقطع من الام او تقلع من الارض فتغرس ، وجزء من النبات يفصل عنه ثم يغرس .

والالتفات الى الماضى انما يكون بمقـــدار ما فيه من عظة وعبرة ودروس حتى يأخذ المسلم من دفعات ماضية وثبات الى المستقبل علـى نور هذا الماضى وهداه •

والمسلم فى ذات الوقت لا يهيم بالحاضر الى درجة كبيرة بل يتعامل معه فى حدود الوسط بين الافراط والتفريط • وهو فى الحالتين يـدعم المستقبل • وعمارة الدنيا بماضيها وحاضرهـا بل ومستقبلها تعتبر معبرا لمستقبل عريض هو الخلود والدوام اللذان لا ينقطعان • هـــذا الخلود الذى يمثل الايمان به عقيدة أصيلة من عقائد الدين الاسلامى وهو جـــزء فى بنية الايمان الكامل الحقيقى •

ووقوف المسلم عند الماضى ورجوعه اليـه محاولا تمثله ، يمثل قمة التبصر وهـو فى ذلك لا يتقهقر وانما هو يحاول العودة الى تسنم قمة كان يحتلها فى يوم ما • قمة مجده التى كان يحتلها والعالم ينظر اليه من أسفل وقـــد انحدر عنها بفعل التهاون فى مسئوليتها أو بفعل عوادى الزمان ونوائبه •

وفى هذه الحالة • وان بدا المسلم لغير المدقق أنه يختلف أو يتقهقر فهو فى صحيح النظر • عائد الى الماضى المشرق الـذى استنارت بـه الدنيا يوما ما •

فالمسلم حينما ينظر الى الماضى • فانه ينظر الى مثل أعلى ونموذج أمثل مما يحيط بحاضره• بل وبمستقبله الدنيوى •

وبناء على هذه النظرة • فان النظـر الى الماضى هو قمة التبصر الواعى خـــلافا لزعم الرجل •

وقد يكون لابييه صادقا فى نظرته هذه فى اطار عينته المحدودة بمكانها المعين « تونس »•

لأن هذا الميدان موضوع الدراســة ربمـا لا يتمثل فيه المسلم الحر الصـــحيح بالمعنى الكامل لهذه العبارة •فالمسلم فى ميدان الدراسة مسلم مغلوب على أمره فهو مستعمر لا يكاد يتنفس بحرية — ومن هنا فهو يتطلـــع الى ماضيه العزيز الحر ويحن اليه وكان عـــلى لابييه وهو بصدد تحديد الســـمات للروح الاسلامية أن يلجأ الى الاسلام ذاته يستوضح منه الصورة التى يرسمها للمســـلم الحقيقى ليرى أى الطرفين قـــــد جنى على الآخر ؟ الاسلام أم المسلمون ؟ !!

أما فيما يتعلق بالحكم بالبكاء على الأطلال والزمن فأحسب أن لابييه قد استوحى ذلك من قصص الأدب العربى العاطفى القديم كقصة قيس وليلى مثلا • وبكائه على أطلالها • فيما يحكى عنه من قوله :

أمر عـــلى الديار ديار ليلى
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى
ولكن حب من سـكن الديارا

ولا شك ان هذه النوعية من العرب وهى نوعية هازلة فارغة لا يصح أن تؤخذ أنموذجا للعربى الذى تتمثل فيه صفات أخرى ممتازة يضيق عنها الحصر ليست هذه الصفة المـذكورة من أهمها وان كانت منها •

أما فيما يتعلق بالأوربيين واليهود وعـدم تعلقهم بالماضى فربما صدق فى ذلك من جهــة معينة •

وتعليله فيما أرى ليس التبصر وانما لأنه ليس لأى منهما من الماضى ما قـد يسـتحق الالتفات اليه • والاستفادة منه • والاستضاءة بهداه بل ربما كان من المصلحة أن يصرف النظر

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى

عنه وينحى عن محل الاهتمام فليس فيه ما يبهج الحاضر أو يرسم الطريق الى المستقبل .

فماضى الأوربيين باعترافهم جهل وظلام ووحشية ولم يخرجوا من غياهب ذلك الا على نور مصابيح علوم العرب الاسلامية وثقافتهم المتنوعة باعتراف بنى وطنه أنفسهم .

ومن شاء التثبت من ذلك فعليه أن يقرأ كتاب أثر الثقافة الاسلامية فى بناء الانسانية لبريفولت ، أو كتاب حضارة العرب لجوستاف لويون ، أو كتاب تاريخ الفكر الأندلسى لجنثالث باليثنيا .

وكلها تدل على مدى الاستفادة التى استفادها الغرب من الاسلام والمسلمين وخرج بها الى نور الحضارة .

هذا هو ماضى المسلمين . وهذا هو أثره الايجابى فى تعديل مسار ماضى الأوربيين ترى .

أيهما أعظم وأعرق ؟ !!

أما ماضى اليهود :

فهو التشتت والضلال وقراءة تاريخهم كفيلة ببث الرعب فى أعماق نفوسهم من هذا الماضى البغيض . فقد تشتتوا فى البلدان وتفرقوا فى الأقطار وداهمتهم الويلات بعد الويلات .

أما ماضى المسلمين فغنى عن البيان :

انه ماض مشرق مبهج ولا سبيل الى النهوض بالحاضر والمستقبل للمسلمين الا بتمثل هذا الماضى والعودة اليه كواقع عملى .

والمسلمون وان بعدوا عن مقتضى الاسلام كدين ودنيا معا الا أن الاسلام باق كما هو بنصاعته وبساطته وعبقريته . ولا ينبغى الرجوع الى غيره كمقياس للحكم له أو عليه .

وقد أدرك بعض المستشرقين أحقية ما ندعيه من أنه لا نهوض للمسلمين الا بالعودة الى ماضيهم المجيد بل كان أكثر تفاؤلا حينما قرر أن ما بالمسلمين من تأخر انما هو مرض مصيره الى الشفاء وقد بدأ هذا الشفاء فعلا .

تقول المستشرقة الألمانية لوزافا جليرى فى كتابها تفسير الاسلام ص ٧٠ وما بعدها « انه الى الكتاب المقدس الذى لم يصبه تحريف أبدا .. تعنى القرآن الكريم — ذلك الكتاب الذى لا يبلى بل يبقى كما أنزله الله على نبيه البدوى البسيط آخر الأنبياء والمرسلين . انه الى ذلك النبع النقى سيعود المسلمون فعندما ينهلون مباشرة من هذا الكتاب المقدس لن يفشلوا فى العودة الى نشاطهم القديم .

والشواهد قوية على أن هذه العملية قد بدأت فعلا هذا هو الماضى . وهذا هو طريق العودة الى سابق مجد المسلمين ونحن نهدى هذا النص الى مثل لابييه ومن سار على دربه .

والله أعلم .

دكتور
محمود عبد المعطى بركات

الشعر

المكفوف

مَنْ لسار فى الليل طال سُرَاهُ   ضل فى دربه وتاهت خُطَاهُ
كل ليل يمضى فياليت شعرى   لَيْلَهُ السرمدى ما منتهاهُ !
الضحى والأصيل والصبح والليل   تساوت فكلها أشباهُ
وضروب الألوان متفقات   فى سواد تحسه مقلتاهُ
لا يرى جلوة الربيع اذا اختال   ولا البدر حين يبدو سناه
لا ولا يجتلى سنا الشمس رقراقا   اذا فضَّضَ الوجود ضحاه
وإذا ذهب الأصيل روابيه عدا   طرفه اجتلاء رباه
واذا الطير ردد اللحن في الدوح   مضى لا يحس الاصداه
كل ما فى الوجود من فتن الدنيا   لوته عن سحره دنياه
أبدا يحتويه سجن لياليه   وما فيه من سجين سواه
حين يمشى يسير مرتعش الخطو   وئيدا تخشى الأذى قدماه
وإذا لم يجد رفيقا وفيًّا   أرشدته إلى الطريق عصاه
أودع اللهُ نفسه دقة الحِسّ   ففى حِسِّهِ الدقيق هُدَاه
وجلا سمعه فلا يخطىء الهمس   ونجرى النسيم فى مسراه
يرهف الأذن حين لاتسعف العين   خداه فعينه أذناه
واذا ضل راح يفغر فاه   مستغيثا ولوحت كفاه
لو تراه محملقا مصغى الجيد   رأيت العجيب فيما تراه
لهفة للرؤى تثير مناه   فتروم اجتلاءها عيناه
ثم يرتد شوقه حسراتٍ   بالشوق الأعمى وبالمناه
ليس أشقى من فاقدٍ نور عينيه   وأغلى مافى الفتى ناظراه
أيّ طعم للعيش ان لم ير الدنيا   وما حظه وما جدواه
ماله في حياته من عزاء   أو رجاء يسليه الا الله

للدكتور حسن جاد

هون الخطب يا أخى ان هذا ... زمن لم تعد تسر رؤاه
حسبك العزلة التى أنت فيها ... حين شاهت دنيا بنيه وشاهوا
ان فى نفسك الجميلة دنيا ... من جمال يغنيك عما عداه
لك يارب في النوازل سر ... عى فهم العباد عن معناه
كل خطب قدرته لك فيه ... يا الهى لطف يدق خفاه
قد سلبت الأعمى وأعطيت حتى ... صح عدل القضاء فيما قضاه
ان تكن قد حرمته نور عينيه ... ففى قلبه يشع ضياه
ليس بالعين مبصر أو كفيف ... بصر المرء قلبه أو عماه
رب أعمى منحته منك نورا ... ورفعت الحجاب حتى رآه
وسكبت الذكاء في حسه المرهف ... حتى أنسيته مادهاه
يدرك الخاطر الخفى بحس ... يسمع النمل في دبيب خطاه
وأديب ماضى اليراع براه ... خالق النابغين حين براه
وفريد فى شعره عبقرى ... ينفث السحر أو يفض رقاه
وصناع تجيل أنمله النول ... على لحمة الكسا أو سداه
وشجى الألحان ان رتل الذكر ... أتى الله تائبا من عصاه
وفتاة غطى الجمال عماها ... وكساها من سحره وحلاه
نعم هانت المصائب فيها ... وعزاء ينسى المصاب أساه
أيها الناعمون بالحدق النُجْل ... وما فاتهم غنى أو جاه
اذكروا نعمة الاله عليكم ... وأعينوا الأعمى على بلواه
أطلعوا صبح ليله بالأمانى ... وأصيخوا الى مرير نداه
وأنشلوه من بحره الهادر الموج ... ومن لجّه الذى قد طواه
واكفلوه فربما صار يوما ... علما يهتدى الحمى بهداه
شر مايقتل المواهب اغفال ... وداء النبوغ أن تنساه
لايضيع الاله حسن ضيع ... فأغنموا شكره وحوزوا رضاه

من التراث

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

وهو اسماعيل بن محمد بن الفضل بن على القرشي الطليحي التيمى الأصبهانى أبو القاسم، الملقب بقوام السنة : من أعلام الحفاظ . كان اماما فى التفسير والحديث واللغة وهو من شيوخ السمعانى فى الحديث . من كتبه : « الجامع » فى التفسير، « الايضاح » فى التفسير، « وتفسير بالفارسية »، « دلائل النبوة »، و « التذكرة » و « سير السلف فى تراجم الصحابة والتابعين » ولد سنة ٤٥٧ هـ (سنة ١٠٦٥ م) وتوفى سنة ٥٣٥ هـ (سنة ١١٤١ م) .. (٢)

قال ابن العماد عنه فى شذرات الذهب : ذكره أبو موسى المديني فقال : أبو القاسم امام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره، وقدوة أهل السنة فى زمانه، وقال ابن السمعانى : هو أستاذى فى الحديث وعنه أحدث هذا القدر وهو امام فى التفسير والحديث واللغة والأدب عارف بالمتون والأسانيد، أملى بجامع أصبهان قريبا من ثلاثة آلاف مجلس . وقال أبو عامر الغندرى ما رأيت شابا ولا شيخا قط مثل اسماعيل التيمى، ذاكرته فرأيته حافظا للحديث عارفا بكل علم متفننا، وقال ابن منده فى الطبقات ليس فى وقتنا مثله، وكان أئمة بغداد يقولون ما رحل الى بغداد بعد أحمد بن حنبل أفضل ولا أحفظ منه ولم ينكر أحد شيئا من فتاويه قط ..

والكتاب الذى نعرضه ونعرفه هو « سير السلف » ضمنه المصنف سير السلف الصالحين، وبدأ بذكر جماعة من مشاهير الصحابة، بعد ذكر العشرة ، ثم بجماعة من التابعين المعروفين بالزهد والورع ثم بجماعة من أتباع التابعين، ورتبه على حروف الهجاء ..

وقال فى أول الكتاب : « الحمد لله محيي الأموات، وسامع الأصوات، ومقدر الأقوات وفاطر الأرض والسموات، عالم السر وكاشف الضر والبلوى، مدبر الأمور بقدرته، ومنزل

سير السلف الصالحين والأئمة المهديين ⊙

للأصفهاني

القطر برحمته ، ومنشىء الخلق بحكمته ، وابتعث محمدا صلى الله عليه وسلم بنبوته والهيمنة على رسالته ، وجعله مهيمنا على رسله على حين فترة من الرسل ، فصدع بأمر ربه وبلغ ما تحمل رسالته حتى أتاه اليقين ، وظهر أمر الله وهم له كارهون – صلى الله عليه وسلم – وعلى أصحابه صلاة دائمة طيبة زاكية .

والحمد لله الذى عمر كل حين وزمان بعلماء وحفاظ وأولياء وزهاد وجعل كونهم فى حياتهم سبب نجاة الخلق والأمان وجعل ذكرهم بعد مماتهم سبب الرحمة والغفران ، فقد ورد فى الأثر عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة : وروى عن أحمد بن مهران قال . كنت أماشى أبا مسعود الرازى فى سوق أصبهان . فتذاكرنا فضل سفيان الثورى فقال أبو مسعود أرجو أن الله يغفر لنا بذكر فضائل سفيان ، وأنا أقول ونحن نرجو أن يغفر الله لنا بذكر من ذكرنا هم فى هذا الكتاب من السادة الأخيار والعباد الأبرار » .

قال الشيخ رحمه الله بعد الديباجة : « قد اقترح على جماعة من أهل العلم أن أملى عليهم فى ذكر سير السلف وأحوالهم كتابا مختصرا ، أحذف منه أكثر أسانيده طلبا للتخفيف ، وكان من قبلنا من العلماء صنفوا فى هذا المعنى ، فصنف بعضهم (تاريخ المحدثين وبعضهم تاريخ العارفين وبعضهم تاريخ طبقات أهل العلم ، فصنفت أنا هذا الكتاب وسميته « كتاب سير السلف » .

وبدأت بذكر جماعة من مشاهير الصحابة – رضوان الله عليهم – على حروف المعجم بعد ذكر العشرة ، ثم بجماعة من التابعين المعروفين بالزهد والورع ، ثم بجماعة من أتباع التابعين ثم بتتبع الأتباع . وتركت جماعة لم أذكرهم ايثارا للتخفيف ، أو غفلة عنهم ، وحين أردت أن أختم الكتاب تأملت فى أحوال القوم فرأيت أن أجعل آخره ذكر الشيخ الامام « أبى عبدالله بن منده » ثم نظرت الى أحوال العارفين فأردت أن أختمه

⊙ (١) الكتاب بمكتبة الأزهر رقم خاص ٣٣٤ ورقم عام ٦٦٣٤ مكتبة سليمان باشا أباظة .

(٢) الاعلام للزركلى جـ ١ ص ٣٢٢

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

بالشيخ « أبى منصور معمر رحمه الله » ..

وقال الشيخ الامام رحمه الله نبدأ بذكر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومن الصحابة بذكر العشرة فأولهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه بدأ بذكر نسبه وصفته ومولده ووفاته ، ورتب ترجمته فى عدة فصول ، ثم قال فى اسلامه : « انه كان أول الناس اسلاما وروى عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه قال (لما رأى أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ تناقل الناس قال : ألست أول من أسلم) ، وعن الشعبى قال : سألت عبدالله بن عباس (من أول من أسلم ؟ فقال : أبو بكر الصديق) ثم قال أما سمعت قول حسان بن ثابت :

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة
فأذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها
بعد النبى وأوفاها بما حملا
الثانى التالى المحمود مشهده
وأول الناس منهم صدق الرسلا

وقال فى ورعه روى عن زيد بن أرقم قال : كان لأبى بكر رضى الله عنه مملوك يغل عليه فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة ، فقال له المملوك : مالك كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة ، قال : حملنى على ذلك الجوع من أين جئت بهذا قال مررت بقوم فى الجاهلية فرقيت لهم ، فوعدونى فلما كان اليوم مررت بهم فاذا عرس لهم فأعطونى ، قال أف لك كدت أن تهلكنى فأدخل يده فى حلقه فجعل يتقيأ ، وجعلت لا تخرج ، فقيل ان هذه لا تخرج الا بالماء فدعا بعس من ماء وجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها ، فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة قال لو لم تخرج الا مع نفسى لأخرجتها ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » فخشيت أن ينبت شىء من جسدى بهذه اللقمة ..

واستطرد فى كونه بالغار مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووقايته اياه بنفسه ودعاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ له ، روى عن أنس رضى الله عنه قال : لما كان ليلة الغار قال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ دعن يا رسول الله لأدخل قبلك فان كانت رجبة أو شىء كانت بى قبلك ، قال : « أدخل » فدخل أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ فجعل يلتمس بيديه فكلما رأى جحرا مال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع ، فبقي حجر فوضع عقبه عليه ثم دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما أصبح قال له النبى عليه الصلاة والسلام ـ « أين ثوبك يا أبا بكر » ؟ فأخبره بالذى صنع فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يده ـ وقال : « اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى يوم القيامة » فأوحى الله تعالى اليه أن الله قد استجاب لك .

وأورد بعض فضائل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة » وعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن حفصة بنت عمر بن الخطاب أنها قالت لأبيها ، يا أمير المؤمنين ما عليك

لو لبست ألين من ثوبك هذا . وأكلت طعاما غير هذا . قد فتح الله عليك الأرض وأوسع الرزق .

فقال : أخاصمك الى نفسك ، اما تعلمين ما كان يلقي النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أنكاها ، قال قد قلت لك انه كان لى صاحبان سلكا طريقا وانى ان سلكت غير طريقهما سلك بى غير طريقهما فانى والله لأشركنهما فى مثل عيشهما الشديد لعلى أدرك معهما عيشهما الرخى يعنى لصاحبيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبا بكر وعن سعيد بن المسيب أن عمر رضى الله عنه لما نفر من منى أناخ بالأبطح فكوم كومة من بطحا فالقي عليها طرف ثوبه ثم استلقي عليه ورفع يديه الى السماء وقال : « اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقتضى غير مضيع ولا مفرط » ثم قدم المدينة وخطب الناس فقال : « أيها الناس فرضت لكم الفرائض وسنت لكم السنة وتركتم على الواضحة الا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن فمات وقال معاوية توفي عمر رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وقال عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « روى عن أبى الطفيل قال كنت عند على رضى الله عنه فأتاه (ابن ملجم فأمر له بعطاء ثم قال ما يحبس أشقاها أيخضبها من أعلاها يخضب هذه من هذه . وأوما الى لحيته ثم قال :

أشدد حيازيك للموت
فان الموت يأتيك
ولا تجزع من الموت
اذا حل بواديك

قال الواقدى قتل على ـ رضى الله عنه ـ ليلة سبع عشرة من رمضان ليلة جمعة سنة ٤٠ هـ ودفن بالكوفة »

وختم كتابه بذكر الامام عبدالله بن منده رضى الله عنه وقال فضائل هذا الامام كثيرة كان مقدم أهل عصره فى الحفظ والديانة ونصرة السنة واماتة البدعة طاف الدنيا فى طلب الحديث عرفت منزلته فى العلم فى شبيبته ، كتب اليه أبو أحمد الغسال وهو بنيسابور يسأله عن حديث أشكل عليه فأجابه عن ذلك وبينه له . قال أبو اسحق بن حمزة : ما رأيت مثل أبى عبدالله بن منده سمعت عمر السمسار غير مرة يقول جرى ذكر أبى عبدالله ابن منده عند ابى نعيم فقال كان جبلا من الجبال حكى عن أبى عبدالله أنه قال كتبت صحيح مسلم بقلم واحد فلم أصلحه .

والنسخة فى مجلد بقلم معتاد قديم بمكتبة الأزهر كتبت سنة ٧٣٢ هـ ، بها أكل ارضة وترميم فى ٢٣١ ورقة وسطرتها ٢٥ سطرا .

هذه نماذج لعقول العلماء الأوائل جادت بها أذهانهم الصافية تقدمها للقراء عرفانا بفضلهم وتقديرا لجهودهم المتواصلة لينيروا الطريق أمام أجيال المسلمين .

مدير
مكتبة الأزهر
محمد عبيد على

الغيرة على الحقائق والمصالح

للشيخ محمد الخضر حسين

الغيرة على الحق والمصالح يكون صاحبها رافضا للتوسع فى الشهوات والملذات وداعيا للزهد فيها ، عازفا عن المال الجم ، غير راغب فى حب الرياسة والجاه صابرا على ما يناله فى حال ضنكه وفاقته ، ولا يكون فى غيرته أمام من يناوئه قاصدا ازالة نعيمه ، ولا انتهاب قينته ، بل يود من صميم قلبه هدايته .

ولا شك أن من يكون كذلك لا يكون منه قساوة ، بل يكون مأثرة ورحمة . قدوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ـ رضى الله عنهم ـ وتابعوهم باحسان ـ فى ما نالهم من عنت المعاندين ، وجهل المتكبرين ، الذين انهمكوا فى أبواب العبث والفساد ، وقصدوا ازهاق الحق ـ وكل من درس سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة والتابعين يزداد ايمانا لأن كل من سعد بصلاح العواقب فقد اغتفر له سوالف المكاره . وأن الداعى الى الحق متى أصاب نجح العاقبة صارت المكاره عنده غير محفول بها .

وليس فى وسع الحق قهر الأنفس على الاقرار به ، وتسخيرها للاعتراف به ، واستعمال السيف والسوط قد يقع على صورة الجهاد ، فيصير محمدة لصاحبه ورحمة للعالمين .

وقد يقع على صورة الفتنة فيصير مذمة لصاحبه ، ومحنة على العالمين .

والاختلاف فى الدين ـ تبعا للهوى ـ داعية للمماراة ـ والمماراة فاتحة للتعادى .

والتعادى سلم الى العصبية . والعصبية هى الداء العضال فهى تستخف الأحلام الراجحة . وتستأصل النعم المتأثلة ..

وافات المبتدع المتبع هواه ـ وان نسب الى التدين ـ اربع :

أحدها ان يعجب بعقله ، ويغتر بذكائه ، فيركب نوعا من المقاييس الفاسدة قبل احكام المعرفة بمقدماته ، فينتج نتيجة

عرض وتقديم

الأستاذ أحمد حسن جابر رجب

كاذبة وهو يـــــــخالــــــــها صادقة فيعتقدها دنيا، ويدعو الناس اليه جهلا، فتعم البلوى به وتغوى بمكانه الخليقة.

والثانية: ان يولع الانسان من نفسه بالاغراب والتعمق باستثارة معنى بديع لم تتجه له خواطر الناس، وقلما يبالى تنكب الجادة شغفا بان يسلك طريقة يصير فيها قدوة، أو يثير نادرة يحكم له باصابتها على بعد الغور ولطف الرؤية فيوطن به لنفسه لذكر والسمعة.

والثالثة: ان يكون قصد الانسان عناد جميع ما يسمع من الأقوال الصادقة والمذاهب الحقيقية، وأن يتبع أبدا الاراء المسترذلة التى ينخدع بها طبقات العامة، اذ ليس شىء عند الدهماء أروج من المذهب المستضعف والراى المدخول..

والرابعة: ان يتعمد تزييف الدين، وتوهين اساسه: اما لتعصب سياسي، او لتعصب نسبى، او لسوس الخلاعة، او لايثار طرق المجانة، فهو يجتهد فى الصاق المعايب بمن لا يسير فى طريقه ـ باخبار مزورة وينسبها الى أئمة الحديث أو الى احد رؤساء العامة. فيوهم الضعفة من أهله انها أساس الملة، احتيالا منه للنكاية فيما ابغضه واحب الانتقام منه.

فهذه هى الطرق للافات المتواترة على الاديان والملل..

واما حيل هؤلاء المبتدعين للمذاهب المنحرفة المتعصبين لهواهم ـ بزعم التدين ـ لترويج ما يحاولونه من أوجه الضلال والاضلال ـ فهى ثلاث:

احدها: ان يبذل له الاقرار أولا بالاصل، ليستدرجه بذلك الى مكان الاغتيال ثم يأخذ معه فى تمويهات يبهرج بها ما استند اليه، فيستنزله بمكانها عما استمسك بعراه من قواعد دينه..

والثانية: ان ياخذ فى شرح ما احب ترويجه عليه بعبارات انيقة وألفاظ شهية واشباع فى الوصف، واقناع بجودة الرصف، والتلفيق للمعانى، والتجويد للأداء صنع صاحب السلعة المغشوشة عند عرضه اياها على من لا بصر له فيها.. ليحسنها فى عينه، ويحببها الى نفسه.. ولا كذلك صاحب الدين الصادق، والمذهب الحق الا احد من صحح نيته فى ابتغائه المثوبة وطلبه الاجر.

والثالثة: ان يعزو المذهب الذى يدعوه اليه الى رجل جليل القدر مثل علماء الرسول صلى الله عليه وسلم ـ من الصحابة والتابعين وتابعيهم ـ وحكماء الفلاسفة أو عقلاء اهل زمانه: من وزير وملك، ورئيس، او اديب مبرز، فيسمع هذا المغفل المريض قوله اياه فيحسن به الظن، ويرضاه اماما لنفسه ذهابا منه الى انه ـ مع جودة فطنته ـ ما كان ليختاره لولا انه هو الاصوب فى ذاته. ثم لكل من هذه الابواب الزائفة الزائغة عن الحجة اهل يناسبونه. وقوم

<

يلتقطونه ـ فتراهم يتسارعون بغرائزهم المختلفة الى قبوله، فيزاد على الايام عددهم ويتضاعف عليها مددهم فيصير بعد المدة اليسير نحلةٍ يحامى دونها بالسيف.

وهذه افات يبتلى بها اهل كل ملة، وليس لاحد من اربابها ان يثلب الاسلام نسبتها فاما الاحاطة بما تضمنه القران من خاص فوائده على الحقيقة فهى مما لن يكمل العقل البشرى له الا بتقدمه فى شرائط التفسير. واذا استبد الانسان برايه عميت عليه المراشد. فهذه لمحة ترشد الى ما فصله الامام الاكبر الشيخ محمد الخضر حسين ـ رحمه الله تعالى ـ فى كلمته بعنوانها المتقدم..

قال رحمة الله عليه: متى نظر الانسان

او تدبر أمرا ووثق بأنه حقيقة، أو مصلحة وجد في نفسه ارتياحا عندما يلاقى شخصا يشاركه في الشعور به، ويكون ارتياحه اشد حيث يراه يعمل على مقتضى هذا الشعور، كما أنه يتالم حينما يشاهد امرءا ينكر تلك الحقيقة أو المصلحة. ويكون تالمه اشد حيث يراه مجدا في مناواتها سالكا غير سبيلها، وهذا التالم الذى يشتد فيدفعك الى أن تسهب في ايضاح وجه الحقيقة او المصلحة، او تعمل على أن تكف يد من يبغى عليها ما أمكنك هو مانعنيه بالغيرة..

فاذا حدثك الرجل في امر واراك انه مطمئن الى انه حق ثم لاتلبث أن تراه متحيزا الى من يكيد له ويدعو الى من ينقضه، فاعلم أنه خالى القلب من الاطمئنان اليه وانما اراك ظاهرا يخالف مايكنه صدره، وتطمئن اليه نفسه. والعقل السليم لا يستطيع ان يفهم كيف يجتمع الايمان بالحق موالاة من يحاربه في السر او العلانية فالغيرة على الحق من مقتضيات الايمان به تقوى بقوته، وتضعف بضعفه وتفقد حيث لايكون القلب مؤمنا.

وفى الناس من يلهج بكلمة «التسامح» يملأ بها فمه حتى لا تنكر عليه حين تراه قد اتخذ من المضلين أو المفسدين فى الأرض ـ أولياء ـ يطيل التردد على أعتابهم، ويغمس لسانه أفيما جلس فى اطرائهم، ويجهد نفسه فى تمويه باطلهم، والتسامح المعقول ألا تؤذى من خالفك فى العقيدة فتنسب اليه زورا، أو تنفي عنه مكرمة أو تهضم له حقا، أو تنكث له عهدا، او تخلف له وعدا..

ومن التسامح المقبول أن تبره وتقسط اليه وتمد اليه يد التعاون على المصالح المشتركة، وقد حرمت الشريعة الاسلامية الاساءة الى المخالفين الذين لم يخرجونا من ديارنا، ولم يطعنوا فى ديننا ولم يوقدوا نارا لحربنا، ووردت أحاديث تنهى عن مس الناس بشىء من الاذى، فحمل الفقهاء النهى فيها على وجه يعم المخالفين المقيمين فى ظل الاسلام، كما قالوا فى حديث: لا يبع بعضكم على بيع أخيه. ان النهى شامل لبيع المسلم على بيع غير المسلم، لما ينشأ عن صرف المشترى عنه من تقاطع وشحناء، وأذنت فى أن نبرهم ونقسط اليه اليهم قال تعالى: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» الممتحنة: ٨

وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نداری من ينتمون الى الاسلام ، ونعاشرهم بالمعروف وان عرفنا فى لحن أقوالهم ، أو غيره من الدلائل الخفية أنهم من طائفة المنافقين ..

أما الرجل يملك قلما ، أو لسانا ، أو حساما ، أو جاها فيصرفه فى نقض أساس ما هو دين حق أو شريعة صالحة ، فذلك ما لا يتولاه الا غبى لا يفرق بين الأعمى والبصير ، أو زائغ عن سبيل الرشد فماله من نور ، وقد أنكر الله على من يتزلف لأشياع الغبى فقال : (ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا النساء : ١٣٩ وفى الاية شاهد صدق على أن العزة بيد الله يخلعها على من يغار على الحقائق غير مكترث بمن يناوئونها وان كانوا أولى جاه أو سلطان .

فمن الغيرة على الحق : أن تقاوم المبطلين أو المفسدين قاطعا النظر عن كل صلة وعاطفة .

ومن التسامح المقبول : أن تدفعهم بالتى هى أحسن حتى كأنك لا تعرف شيئا من شئونهم غير ما تصديت لمناقشتهم فيه ، وذلك ما يستبين به التالى أنك لا تقصد الا أن تكف بأسهم وتحمى النفوس من وباء دعايتهم .

تتفاضل الحقائق والمصالح من ناحية ما يتصل بها من خير ، فوجود الخالق ، أو صدق محمد صلى الله عليه وسلم فى رسالته مثلا ـ يقوم على الايمان به من سعادة الأفراد والأقوام أكثر مما يقوم على الايمان بعدل أبى بكر وعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة يترتب عليها الفلاح فوق ما يترتب على زيارة أخ أو عيادة مريض .

وكذلك الغيرة على الحقائق والمصالح تكون على قدر تفاضلها فيما يترتب عليها من العواقب .

فالغيرة الصادقة : أن يتألم الرجل من الجهل على مقام الألهية أو الرسالة العظمى أشد مما يتالم للطعن فى نفسه أو فى أخ له أو صديق ، ويتألم لهدم مسجد ، أو الغاء مدرسة أشد مما يتألم لهدم بيت أو اهمال حديقة .

بعيد من الغيرة على الحقائق ذلك الذى يسمع سوء القول فى الله أو فى رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يجد فى نفسه لسماع هذا السعة أثرا ، واذا مس جانب من يتصل به نسبا أو يمد له من متاع هذه الحياة سببا ، هاج غضبه وارتعدت فرائصه .

بعيد من الغيرة على المصالح ذلك الذى يكون تحت يده مال فيبخل به على بناء مدرسة يستنير فيها الناشئون ، أو اقامة ملجأ يأوى اليه البائسون ، ويبسط به يده فى انشاء مرقص أو ملهى يتخذ فيه الفتيان والفتيات أنصابا يسفكون عليها دم الفضيلة .

ضعف الغيرة على الحق او فقدها نقيصة تنزل بصاحبها الى الحضيض .

وكذلك ينبغى للانسان أن يملك الغيرة عند ثورتها فلا يخرج فى معاملة المنتهك لحرمة الحق عن حدود العدل ، فالذى يغار على أمر جعل الشارع لمنتهكه حدا مفروضا لا يحل له أن يتجاوز ما حده الشارع استرسالا مع طغيانها ، فان كان الجزاء موكولا لاجتهاد القاضى اجتزأ القاضى

بالمقدار الذى يكفى للردع ، وليس من الغيرة المحمودة أن يتعدى فى جزاء السيئة ما يكفى للزجر عن اقترافها ، والغيرة الصادقة هى التى تنهض بصاحبها الى مكافحة المبطل او المفسد وتقويم عوجه فى تثبت وحزم .

الغيرة تبعث الرجل على الجهاد فى الحق باى وسيلة استطاعها ، فالرئيس الغيور يذود عن الحق بما فى يده من قوة متى كان الهاجم عليه فى غشاوة تمنعه من أن يفقه الحجة ، والعالم الغيور لا يفتا يذب عن الحق بلسانه أو قلمه ، ولا يسوقه طمع أو رهبة الى الخمول أو الصمت ، وما خمول العالم وصمته سوى قلة الثقة بما وعد الله به أنصار الحق من فوز وحياة طيبة ، والموسر الغيور ينفق فى سبيل الاصلاح باليمين واليسار ، ومن كان صافى البصيرة يرتاح لظهور الحق وقيام المصلحة العامة أكثر مما يرتاح لأن يكنز ذهبا أو تكون له قصور فيحاء وحدائق غناء .

وإذا أردت أن تميز فاقد الغيرة على المصالح ممن يغارون عليها فهو الذى يجرى وراء منافعه الخاصة أينما راها أو تخيلها ، يراها بجانب مصلحه عامة فيظهر فى زى الداعى الى هذه المصلحة ويملأ الجو نداء للتعاون عليها ، حتى اذا تراءت له منفعة لا يصل اليها الا أن يقضى على ما ينفع الناس جميعا داسه بكلتا قدميه ، وذهب الى منفعته توا لا يلوى على شىء .

قد يسلك الرجل طريق العدل محافظة على المنصب او رغبة فى حسن الأحدوثة ، ولكن الغيرة على الحق هى التى تجعل الحاكم عادلا فى كل قضية ، فالغيرة على الحق هى التى تقف بالقاضى فى حدود الانصاف حين ترفع اليه خصومة بين ذى سلطان واشعث أغبر ذى طمرين فلا يبالى أن ينصف ذا الطمرين (١) ويقضى على ذى السلطان ، وكذلك يفعل القضاة العادلون .

دعى العلامة محمد بن بشير الى قضاء قرطبة فاستشار صديقا له فى قبول الولاية فقال له : كيف حبك لمدح الناس لك وثنائهم عليك ؟ وكيف حبك للولاية وكراهيتك للعزل ؟ قال : والله ما أبالى من مدحنى أو ذمنى ، وما اسر للولاية ولا استوحش للعزل ، فقال : اقبل الولاية ولا باس عليك .

وفى سيرة ابن بشير هذا ما يشهد بصدق غيرته على الحق ويحقق ما وصف به نفسه من انه لا يسر للولاية ولا يستوحش من العزل .

ومن الحظر على الحقوق والمصالح أن يتولى أمرها محروم من الغيرة عليها ، وكم من حق أهمل ومصلحة اميتت والسبب فى اهمال ذاك واماتة هذه أن ألقى أمرهما الى من لم يذق للغيرة عليهما طعما .

ماذا يكون العمل فى قضية الاعتداء على

(١) الطمر : الثوب الخلق

هتك عرض الفتاة اذا اسندت الى من تقلب فى بيئة لا تعرف للعفاف سبيلا ؟

وماذا يكون العمل فى قضية الاعتداء على الدين اذا وضعت بين يدى من لا يرى له حرمة ولا يرعى للامة التى تعتصم به ذمة ؟

وكيف تدار مدرسة ترجع نظم التعليم فيها الى من يؤثر اللهو على الجد ويفتنه زخرف الحياة عن طرق الرشد التى تخرج رجالا يعملون صالحا ويبتكرون عظيما ؟

ونحن نرى فى الشعوب من حيل بينها وبين واجبات دينها واكرهت على التعامل بغير ما تأذن به شريعتها ، واستبد عليها فى طريق تعليم ابنائها ، ذلك لانها وقعت تحت ذى قوة استضعفها ولم يكن له نصيب من الغيرة على شريعتها . ان امة لها دين قيم وشرع حكيم ومجد لم يصف التاريخ له من نظير ، لا يستقيم امرها الا لمن يغار على شرعها او يتودد لها باحترامه والمحافظة على اصوله .

واذا حكى لنا التاريخ ان ذا سلطان اذى امة اسلامية فى دينها او قهرها بالسيف او بوسيلة التعليم على ان تنسلخ من هداية ربها ، فلانه انما وضع سلطانه على رءوس جماعات متفرقة غافلة . اما الامم المتيقظة التى تقدر الحق قدره فليس من السهل على ذى القوة ان يؤذيها فى دينها ، ويستخف بالحقوق التى قررها شرعها الا ان يكون جهولا بالعواقب . او غير راغب في ان يكون سلطانه ثابت القواعد .

الغيرة على الحق تتمثل فى من ينظر الى الدليل ويصدع بما أراه الله وان كره السائلون .

حضر لدى ابن هبيرة الحسن البصرى فاستفتاه ابن هبيرة فى كتب تأتيه من عند يزيد بن عبد الملك وفيها من الأمر ما لم يأذن به الله ، وقال : « ان انقذتها وافقت سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمى » فقال الحسن : « يا ابن هبيرة خف الله فى يزيد ولا تخف يزيد فى الله ، يا ابن هبيرة ان الله مانعك من يزيد ، وان يزيد لا يمنعك من الله .

يا ابن هبيرة لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله تعالى فانفذه وما خالف كتاب الله فلا تنفذه ، فان الله أولى بك من يزيد ، وكتاب الله أولى بك من كتابه » فضرب ابن هبيرة على كتف الحسن وقال : « هذا الشيخ صدقنى ورب الكعبة » .

وتتمثل الغيرة على الحق فيمن يفسح له بعض الوجهاء فى الاكرام مكانة ولا يمنعه ذلك من أن ينظر الى ما أكرمه الله به من عقل ورفعه به من علم فلا يسكت لذلك الوجيه عما يأتى من منكر ويذهب فى تقويمه كل مذهب ممكن ، وأضرب المثل لهذا بابراهيم بن محمد بن طلحة اذ قربه الحجاج

مجلة الأزهر من خمسين عاما

وعظم منزلته وقدم به على عبد الملك ابن مروان وقال له : قدمت عليك برجل الحجاز لم أدع له بها نظيرا فى الفضل والأدب والمروءة وهو ابراهيم بن محمد طلحة .

ولكن ابراهيم بن طلحة قال لعبد الملك : عندى نصيحة لا أجد بدا من ذكرها ولا أقدر على ذلك الا وأنا خال ، فصرف عبد الملك الحجاج من المجلس وقال لابن طلحة : قل نصيحتك ، فقال : « تالله يا امير المؤمنين لقد عمدت الى الحجاج فى تغطرسه وتعجرفه وبعده عن الحق وقربه من الباطل فوليته الحرمين وهما ماهما ، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار والموالى والأخيار ، يسومهم الخسف ويحكم فيهم بغير السنة بعد الذى كان من سفك دمائهم وما انتهك من حرمهم ، ولم يخبر عبد الملك الحجاج بما قال طلحة ولكنه عزله عن الحرمين وولاه العراقين واعتذر لابن طلحة عن توليته العراقين بان فيها من الامور مالا يدحضها الأمثله .

وفصل القول فى هذا ان الغيرة على الحق والمصلحة ما غلبت على نفوس الا استقامت سيرتها وعلت فى الأمم سمعتها ، وحسنت فى كلتا الحياتين عاقبتها ولاحق أجلى مما يدعو اليه الخلاق العليم ولا مصلحة أعظم مما تهدى اليه أصول شرعه الحكيم ، فاذا لم نرسم فى نفوس نشئنا الغيرة على حقائق الدين وما أرشد اليه من مصالح ، وما سنه من اداب ، ضلوا عن أسمى الحقائق واضاعوا أكبر المصالح ، وتجردوا من اسنى الاداب ، وهل غير هذه هذه العاقبة من خسران مبين .

فمن أهم واجباتنا أن نربى نشانا على الشعور بعظمة الله ثم لا نفتا نذكر لهم ايات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حتى يطمئنوا الى صحتها ، ولا ندع أن نقرر لهم أصول الشريعة على وجه يجعلهم على بصيرة من حكمتها ، وهذا ما يربى فيهم الغيرة المهذبة وبعدهم لان يكونوا للحقائق والمصالح انصارا .(١)

---

(١) مجلة نور الاسلام العدد السابع المجلد الأول رجب ١٣٤٩ « مجلة الأزهر »

مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم

١٣٨٥

فضيلة الشيخ
محمد حسنين مخلوف العدوى

من
اعلام
الأزهر

رحم الله
الدكتور محمد سعاد جلال

الإمام الحجة الشيخ

محمد حسنين مخلوف العدوى

بقلم أحد تلامذته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

أستاذنا العلامة الجليل الامام الحجة فى المنقول والمعقول تعلما وتعليما ، وفى الدعوة القوية لدراسة العلوم الاسلامية والعربية وتدريسها الشيخ الامام (محمد بن حسنين بن محمد بن على مخلوف العدوى المالكى الأزهرى) من بلدة (بنى عدى) أشهر بلدان الصعيد الأوسط بالقطر المصرى تابعة لمركز منفلوط بمديرية أسيوط بالوجه القبلى ، وهى بلدة قديمة عربية مشهورة ينسب أهلها الى (عدى بن كعب) أبى قبيلة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله ، ولايزالون الى الآن محتفظين بكثير من العادات العربية الكريمة واللهجة الفصيحة وبمحبة العلم ودراسته وحفظ القرآن الكريم وتلاوته وبالسنن النبوية ومسانيدها الصحيحة تعلما وتعليما ودراسة وتدوينا مع الاحتفاظ دواما بكثير من العادات العربية المأثورة واللهجة الفصيحة الموروثة .

وكانت فى القرنين الثانى عشر والثالثعشر الهجرى بلفيما قبلهما أيضامصدر اشعاع علمى اسلامى لعناية أهلها بحفظ القرآن الكريم وتجويد تلاوته ودراسة علومه فى كثير من المكاتب والمساجد الجامعة كمسجد الشيخ العياط ببنى عدى البحرية ومسجد العارف بالله الشيخ أبى صالح ببنى عدى القبلية وغيرهما ولا تزال محتفظة بمكانتها العلمية ، وفيها (معهد دينى أزهرى) يضم العديد من الطلاب والعلماء من أهل البلدة والبلاد المصرية الأخرى .

وقد خرجت خلال هذه الأزمان كثيرا من العلماء الاعلام الذين انتشر ذكرهم وامتد صيتهم الى بلاد الاسلام وأسهموا بأوفر نصيب فى اذكاء الروح العلمية فى العالم الاسلامى بأسره .

ومن أشهرهم شيخ شيوخ الاسلام بالأزهر العلامة الشيخ على الصعيدى العدوى المالكى) وتلميذه الأكبر العلم الأشهر (القطب أبو البركات أحمد بن حامد بن أحمد الشهير بالدردير العدوى الأزهرى الخلوتى المالكى) المتوفى بالقاهرة سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) رضى الله عنهما .

ولهما من الآثار العلمية وخاصة فى الفقه المالكى ماسارت به الركبان فى سائر أقطار الاسلام وخاصة فى البلاد المغربية .

ومنها الشيخ محمد عبادة المالكى صاحب حاشية الشذور فى علم النحو والشيخ البيلى

وكثيرون يضيق المقام عن استيعابهم (١) .

وفى هذه البلدة العريقة والبيئة الصالحة ولد الفقيه الحجة العالم الأصولى المحقق الشيخ (محمد حسنين مخلوف) العدوى المالكى الأزهرى الخلوتى فى ٥ من شهر رمضان سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦٠ م) وترعرع فى كنف والده وأسرته العريقة فى المجد والحسب والعلم والعرفان (٢) والتى منها علماء أجلاء ومنهم والده العلامة الشيخ (حسنين محمد على مخلوف) العدوى المالكى الأزهرى الذى درس بالأزهر الشريف بعد دراسته فى بلدته (بنى عدى) على شيوخ أجلاء ثم عاد بعد

(١) راجع الخطط التوفيقية الجديدة جـ ٩ ص ٩٣ لعلى باشا مبارك .

(٢) راجع الكنز الثمين لعظماء المصريين جـ ١ ص ١٧٩ لفرج سليمان .

مدة غير قليلة الى مسقط رأسه فاشتغل بالتدريس والتعليم والافتاء والارشاد فأفاد وأجاد وأنجب تلاميذ أوفياء صلحاء متفقهين فى الدين ناشرين للعلوم على تنوعها ، وله من المؤلفات (الكلمات الحسان فى فضائل ليلة النصف من شعبان) .

ومن علماء بنى عدى المشهورين جد المترجم لأمه العلامة الشيخ خضارى العدوى المالكى الأزهرى وله كتاب فى النحو مخطوط بالمكتبة الأزهرية .

وقد حفظ شيخنا الفقيه الحجة صاحب الترجمة القرآن الكريم ببلدته (بنى عدى) ثم جوده على الأستاذ الشيخ حسن رفاعى الهوارى العدوى الشهير فى العصر الأخير .

ودرس بها مبادىء العلوم عليه وعلى آخرين منها ثم قصد بعد ذلك الى الأزهر الشريف لينهل من علومه ، وظل به طالبا مجدا فى دراسته حاد الذهن متوقد الذكاء متطلعا الى احراز المكانة العلمية التى تجمل بأسرته وبلدته وتتلمذ على شيوخ أئمة أعلام فى تلك الحقبة من الزمن كالعلامة الشيخ محمد خاطر العدوى المالكى ، والعلامة الشيخ حسن داود العدوى المالكى شيخ رواق الصعايدة بالأزهر وأحد كبار العلماء ، والشيخ كابوه الكبير العدوى المالكى

الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى

والشيخ أحمد الرفاعى الفيومى شيخ مشايخ الأزهر والشيخ محمد راضى الكبير البحراوى والشيخ محمد الروبى الفيومى والشيخ أحمد أبى خطوة المنوفى والشيـــخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى المشهور والشيخ الفيلسوف المنطقى حسن الطويل وشيخ شيوخ الأزهر الشيخ محمـد الامبـابى صـاحب التآليف الشهيرة فى مختلف العلوم والشـيخ عرفه المالكى وغيرهم من الاعلام الأزهريين .

وقد امتدت دراسته بالأزهر على هذا النحو اثنى عشر عاما ظهر فيها نبوغه وتفوقه عـلى أقرانه فاختاره شيخ الازهر (الشيخ محمد الامبابى) ثانى اثنين من المالكية لنيل شهادة العالمية فى ذلك الحين وكلفه بوضع رسالة ضافية فى مبادىء العلوم وعين له موضوعا فى علم أصول الفقه ليناقش مع الرسالة ويؤدى درسا فى هذا الموضوع أمام لجنة برئاسته من كبار الشيوخ بالأزهر وكان من أعضائها العالمان الجليلان الشيخ أحمد الرفاعى والشيخ سليم البشرى .

فألف الرسالة وتوفر على تحضـير الدرس المعين ومثل أمام تلك اللجنة فى منزل شـيخ الازهر الشيخ الامبابى فى اليوم المحدد ونوقش فى الرسالة والدرس ساعات عـديدة انتهت بنيله شهادة العالمية من الدرجة الاولى الممتازة فى شعبان سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) .

وأذن بالتدريس بالازهر فى مختلف العلوم دون تحديد بعلم أو كتاب كما هو المتبـع فيمن حصل على درجة الامتياز العلمى .

وكان ذلك نظام الامتحان والتدريس للنابهين من علماء الازهر الشريف اذ ذاك .

ومن هذا الوقت تألق نجمه وأخذ فى تدريس العلوم على اختلافها للطلاب بالازهر .

* * *

ذلك ما حدثنى به نجله صاحب الفضـيلة العالم الفقيه الشيخ (حسنين محمد مخلوف) العدوى الازهرى مفتى الديار المصرية الاسبق وعضو جماعة كبار العلماء بالازهر حينمـا قصدت زيارته بمنزله العـامر بالقـاهرة أستوضحه بعض معلومات فى ترجمة والـده الامام رحمه الله وأثابه .

ومما حدثنى به أيضا أن والده بعد أن تخرج فى الازهر اشتغل بتدريس العلوم الازهرية فيه دراسة بحث وتحقيق وتحليل على ما كان متبعا فى ذلك العهد فى التدريس الذى يربى ملكـات العلوم ويغـذى النفوس بحفظ المعلومات وتحقيقها فى كل فن .

وقد عنى أستاذنا المترجم بدراسـة (علم الفلسفة الممزوج بعلم الكلام) فى كتبـه ، المعروفة كاشارات ابن سينا « والمـواقف » لعضد الملة والدين « والمقاصد والتهـذيب » لسعد الدين التفتازانى «والطوالع» للبيضاوى « والهداية » لأثير الدين الأبهرى .

كما عنى بفن المنطق ودراسة كتبه كالقطب عـلى الشمسية والطوالع وشرح (الخبيصى) على تهذيب التفتازانى وغير ذلك .

وقد عنى مع ذلك بعلم الهيئة فطالع كتـاب (الجغمينى) المعـروف واختصره ، وبعلم

الحساب والجبر والمقابلة فدرس رسالة بهاء الدين العاملى ثم شرحها وطبع الشرح ودرسه لكثير من الطلاب .

وكان ذلك نواة عد علم الحساب والجبر من العلوم الازهرية الاساسية فى النظم الحديثة بالازهر اذ ذاك .

وقد تخرج على يديه فى هذه العلوم نخبة من طلاب الازهر فى ذلك العهد وتولوا تدريسها بالازهر حينما قررها قانونه فيما قرر من النظم الحديثة وكان الامام المترجم نفسه من مدرسى الحساب والجبر فى هذا العهد فى الازهر الشريف .

وكانت له سمعة واسعة فى مختلف العلوم لم يزاحمه فيها كثير من علماء الازهر فى عهده .

* * *

وفى أثناء تدريسه بالازهر اجتمع بالامام القدوة عمدة السالكين ومربى المريدين العلامة المحقق الصوفى أبى المعارف الشيخ (أحمد ابن شرقاوى) العلم الشهير بمصر والصعيد فتلقى عليه وتتلمذ له وأخذ منه العهد بيده فكان من أخلص مريديه وأحبهم اليه وآثرهم لديه .

ومن ذلك الحين كان يذهب العطلة الصيفية بالازهر الى أستاذه ببلده (دير السعادة) التابعة لفرشوط بالصعيد ويمكث فى رحابه فترة من الزمن فيها غذاء الروح وصفاء النفس والزلفى الى الله تعالى بالاستغفار بالأسحار والعبادة فى أكثر النهار ومذاكرة العلوم وخاصة التصوف ، وكان لذلك أعظم الأثر فى نفسه وفى دراسته وتآليفه كما يتبين ذلك بعد .

ولقد نبه شأن الامام المترجم بالازهر وعرف عنه الجد والاجتهاد فى كل أمر يتولاه

والميل الكثير الى الاصلاح والنظام فحينما اتجه الاصلاح فى الازهر الى انشاء مكتبة جامعة خاصة به على النظام الحديث والترتيب المعروف فى المكتبات العامة اختير الاستاذ المترجم (أمينا لها) وكان ذلك فى عهد مشيخة (شيخ الازهر الشيخ حسونة النواوى) فتوفر على جمع شتات الكتب من مكتبات أروقة الازهر وشراء ما تمس اليه الحاجة من الكتب المطبوعة والمخطوطة وعين معاونيه والعمال بالمكتبة فظهرت فى أقرب وقت بالازهر مكتبة عامة علمية هامة حديثة النظام والتنسيق حافلة بالمطبوعات والمخطوطات فى العلوم القديمة والحديثة .

وبدأ فى انشاء فهرس حديث لها أتمه من تولى أمر المكتبة بعده وهو الآن بين يدى العلماء الباحثين .

وكان مع ذلك دائبا علي التدريس فى الصباح والمساء بالازهر ومسجد محمد بك أبى الدهب قبالة الازهر واحدى قاعات المكتبة الازهرية ــ فدرس فيها علم الحساب والجبر والمقولات الحكمية لطلابه .

* * *

ثم عين (مفتشا أول للازهر والمعاهد الدينية) ولم يشغل هذه الوظيفة أحد قبله .

ثم عين (عضوا بمجلس ادارة الازهر) الذى

الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى

كان يضم أعلام الازهر منهم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فكانت له فيه جولات اصلاحية هامة •

ثم عين (شيخا للجامع الأحمدى بطنطا) فاهتم بأمره اهتماما بالغا كان من آثاره :

١ ــ تصفية الطلاب من الدخـــلاء الذين يقيدون أسماءهم فى ســـــجلات المعهد ولا يدرسون ، ويحسبون من أبنائه وهم عنـــه غرباء •

٢ ــ وتخصيص كل عالم بدراسة ما يحسنه من العلوم ويقدر عليه من الكتب ، فوضـــع الأمور فى نصابها ورفـــع مرتبات العلماء الى ما يليق بهم ، وسار المعهد فى طريقه من هـــذا العهد كأعظم المعاهـــــد العالية بعد الازهر الشريف •

وبنى للمعهد بناء فخما على أحدث الأبنية الدراسية قريبا من محطة طنطا لتكون الدراسة فيه على النظم الجديدة بدل الجلوس عـــلى الارض فى الحلقات أمام المدرسين •

وفى هذه الآونة عهد اليه بالاشراف عـــلى (معهد دسوق ، ومعهد دمياط الدينيين) فسار فيهما سيرته فى المعهد الاحمدى وحمد السرى وعز فيهما العلم وأقبل فيهما العلماء • والطلاب على الدراسة بانشراح وآمال •

ثم عين (مديرا للازهر والمعاهد الدينية) ولم يكن لهذه الوظيفة اسم ولا شأن فى ميزانية الازهر ولا فى وظائفه وعهد اليه بترسيخ أقدام النظام فى الازهر ومواصلة خطته الاصلاحية التى بدأها وهو مفتش أول للازهر والمعاهــد الدينية ، وجرى عليها بجد وثبات فى مشيخته للجامع الأحمدى فسار فيها سيرته المحكمــة وتغلب على العقبات الكأداء والدسائس الوضيعة التى يكيد له بها أعداء الاصلاح وأنصـــار الفوضى والهمجية ، مستعينا بالله تعالى واثقا من أن الزبد سيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تحويلا •

وقد حرص على تقويم الدراسة بالمدرس الصالح والطالب الصالح وحمايتها من العناصر الضارة ، وعلى تثبيت قواعد النظام وارساء أسسه على صخر لا يتأثر بالزوابع والتيارات•

وأنصف العلماء المهضـــومين وأرضى ربه ودينه وضميره فى الجامعة الاسلامية الكبرى التى يعدها المسلمون قلعة الاسلام الحصينة فى العالم الاسلامى أجمع •

ومن ذلك مارآه من اعداد طائفة من نابهى الطلاب للمساهمة فى الحياة الادبية المعاصرة كتابة وخطابة ومحاضرة ولتكون عنوانا مشرفا للازهر فى العصر الحديث •

وكان يرى أنه لا يتم للعالم فضله واحسانه الا باللسان والقلم فاذا افتقدهما لم يكن لعلمه أثر ولا فائدة فوضع مشروعـــه وأقره مجلس الادارة وألف لجنة علمية قيمـــة من الادباء الازهريين النابهين وتقدم اليها بعض نبهـــاء الطلاب فتولت برياسته التوجيه والارشـــاد وتعالت الاصوات بالخطب والبيانات وسرت بين الطلاب روح أدبية عالية اسلامية متحمسة باســـتقبال باهر ينتظرهم فى عدة مجالات شريفة •

وكان الاجتماع بقبة مســـجد محمد بك

أبى الدهب فى أوقات غير أوقات الدراسة أسبوعيا بل يوميا فى بعض الاشهر •

وكان هؤلاء الطلاب الذين ساهموا فى تحقيق هذه الفكرة بالازهر نواة التحرير والخطابة والارشاد والتوجيه والزعامة الازهرية فى الحركة الوطنية المباركة فى سنة ١٩١٩ حيث كانوا قد بلغوا فى هذه السنة مبلغ الاساتذة المدرسين والدعاة المصلحين •

والنتائج وليدة المقدمات (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا) عشرا أو قليلا لا خير فيه •

* * *

وقد كان فى عهد ادراته الازهرية محط أنظار القادة المصلحين وموضع تقديرهم العظيم •

وفى أثناء هذه الحقبة أنعم عليه من الدولة العلية بالنشان المجيدى الثالث ثم بالنشان العثمانى الثانى ، وممن يلى الامر بمصر بكسوة التشريف العلمية من الدرجة الاولى •

وسافر الى الآستانة وأزمير وقولة ثم سافر بعد ذلك الى الحجاز للحج والزيارة النبوية • والتقى فى الكل بكثير من العلماء الامجاد •

وعين (عضوا بجماعة كبار العلماء بالازهر) أول ما سنها القانون وكان عددها ثلاثين عضوا من المذاهب الاربعة •

ومن نظامها اذ ذاك بقاء العضوية مدى الحياة مادام العضو صالحا للبحث العلمى أو التدريس أو التأليف وكان أعضاؤها كبار الشيوخ وأعلامهم الذين يدين لهم كل العلماء بالسبق والفضل •

وعين كذلك (عضوا بمجلس الازهر الاعلى) وهو اذ ذاك مجلس مستحدث حافل بأعضاء أجلاء فنيين مجربين •

واستمر فى وظائفه الادارية جادا عادلا شجاعا فى الحق حريصا على سمعة الازهر والمعاهد الدينية وحسن انتاجها •

وقد ضمت اليه وظيفة وكالة مشيخة الازهر فجمع بين الوظيفتين فى عهد مشيخة الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الازهر وكان جهده فى هذه الآونة موزعا بين جلب المصالح ودرء المفاسد وهو جهد كبير ينوء بحمله العصبة أولو القوة •

* * *

وفى سنة ١٩١٥ م اختلف مع السلطان حسين كامل فى بعض الشئون الازهرية وأصر على رأيه فيها فعز ذلك على السلطة الحاكمة التى ألفت الخنوع والطاعة لها فأقصى عن وظائفه الادارية فسرى عنه كثيرا وألقى عن عاتقه ذلك العبء المضنى وأقبل على التدريس للعلماء وكبار الطلاب فى مختلف العلوم كالتوحيد والمنطق والفلسفة والاصول والتفسير فكانت دروسه كل يوم بمسجد محمد بك أبى الذهب حافلة جامعة عظيمة يحضرها العلماء وكبار الطلاب من الازهر وغيره •

وكان يقرؤها مساء بين المغرب والعشاء قراءة متواصلة فى شيخوخته كأنشط مدرس شاب قوى • وكانت قراءته فى الكتب العالية فى الفنون كما يريد طلابه بحثا وتحقيقا وبيانا وتقريرا •

الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى

وقد تخرج على يديه نخبة من العلمـاء فى تدريسه قبل تولى الوظائف الادارية وبعـد انصرافه عنها أعنى من سنة ١٣٠٥ هـ الى ما بعد سنة ١٣٣٣ م ـ نذكر منهم .

العلامة الشيخ عبدالله دراز والعلامة الشيخ عبد المجيد الشاذلى والعلامة الشيخ عبد الفتاح المكاوى والعلامة الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الازهر فيما بعد والعلامة السيد محمد عاشور الصدفى عضو المحكمة العليـا الشرعية والعلامة الشيخ عبد الهادى مخلوف والعلامة الشيخ على ادريس العدوى والعلامة الشيخ ابراهيم الجبالى والعلامة الشـيخ محمود الدينارى والعلامة الشيخ محمد شريت والعلامة الشيخ فرغلى التيجى والعلامة الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية ثم شيخ الجامع الازهر فيما بعد والعلامة الشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة العليـا الشرعية ونجله الشيخ حسنين محمـد مخلوف مفتى الديار المصرية الاسبق وعضو جماعة كبـار العلماء وغيرهم من العلماء الاعلام الذى تولوا مناصب عليا فى الازهر والمعاهد الدينية والقضاء والافتـاء .

وممن تلقى عنه بالازهر فى عهده السالف السيدان الجليلان أبو الحجاج يوسف الحجاجى الاقصرى وأخوه الحسين يوسـف الحجاجى الاقصرى وكثير ممن لهم آثار خالدة بالصعيد والوجه البحرى والاقطار الاسلامية الشقيقة .

* * *

وبالجملة فقد قضى أستاذنا الامام المترجم حياته كلها فى خدمة العلم والدين والازهـر الشريف ونشر الثقافة الاسلامية وفى الدعوة الى الحق والقيم الروحية والاخلاقية فى دروسه وأحاديثه ومؤلفاته واجتماعاته فى الازهـر وغير الازهر فى كل مجال وحال .

وكان مع ذلك كله مواظبـا على أوراده وعباداته وتبتله على نهج أستاذه الامام القدوة سيدى أبى المعارف الشيخ أحمد بن شرقاوى الخلفى رضى الله عنه .

وقد كان عف اللسان مهابا فى مجلسه موقرا محترما من جميع عارفيه ، شديد الصلابة فى الحق لا تلين قناته فيما يعتقده ويراه حقـا صريح المقال يكره المداورة والمصـانعة عـالى الهمة لا يرد قاصد خير ولا ينهر سائل رفـد جوادا كريما يبذل غاية الجهد فى اغاثة الملهوف ومعونة الضعيف .

وكان فصيح اللسان قوى البيان فى دروسه محققا مدققا فى العلوم وفى تآليفـه الكثيرة واستمر يدرس ليلا بعد المغرب فى مسجد محمد بك أبى الدهب للعلماء وكبار الطلاب جمـع الجوامع (فى علم أصول الفقه) أكثر من عشر سنوات وأعظم الكتب فى التوحيد والفلسفة الى أن توفى رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته .

* * *

وكان خديوى مصر عباس باشا حلمى الثانى يجله ويحبه كثيرا ويعمل بما يشـير به فى الشئون الازهرية ويحترمه كثيرا .

وكان أصـدقاء كثيرون من علية القوم وعظمائهم يجلونه ويحترمونه ويقدرونه حق

قدره ومنهم الامام الشيخ محمد عبده وكان عضوا بمجلس ادارة الازهر حينما كان الاستاذ المترجم أمينا للمكتبة الازهرية وكان ساعده الايمن ، ومنهم الزعيم الخالد (سعد زغلول) وكان به حفيا وله مجلا: والاستاذ حسن صبرى رئيس مجلس الوزراء والاستاذ الهلباوى كبير المحامين بمصر والأستاذ أحمد شفيق باشا رجل السياسة فى عصره وغيرهم من الاعلام فى مصر فى ذلك العهد •

ثم قرأ لطلابه تفسير البيضاوى للقران الكريم وهو آخر كتاب درسه بالازهر وبينما هو يقرؤه طرأ عليه مرض لم يلبث يعالجه سوى شهر ثم توفى فى شهر المحرم سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) ودفن فى قرافة الخفير قرب العباسية بالقاهرة رحمه الله وأثابه عداد حسناته •

وقد ترك من الأولاد الذكور فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الاسبق وعضو جماعة كبار العلماء بالازهر أمد الله فى عمره ، واللواء أحمد الظاهر مدير البوليس سابقا • ومحمد كامل •

آثاره العلمية

لقد ترك أستاذنا صاحب الترجمة الكثير من المؤلفات فى العلوم العقلية والنقلية التى تدل دلالة واضحة على مبلغ ثقافاته من جانب وعلى رسوخ قدمه وعلو منزلته وباعه الطويل فى

الكتابة والتأليف من جانب آخر • وهذه المؤلفات بعضها مطبوع وبعضها مازال مخطوطا ومنها •

١ — انحاف الوراد بأشعة الاوراد للسادة الخلوتية ألفه بأمر أستاذه الامام أبى المعارف رضى الله عنه •

* * *

٢ — الافاضة القدسية فى بيان بعض الاصطلاحات الحكمية •

٣ — التبيان فى حكم زكاة الأثمان •

٤ — التصورات الأولية فى المطالب الحكمية •

٥ — تعليقات على الافاضة القدسية فى الحكمة •

٦ — تعليقات على رسالة العاملى فى علمى الجبر والحساب •

٧ — التعليق على نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر •

٨ — الحاشية الأولى على شرح المقولات الحكمية فى الفلسفة •

٩ — الحاشية الكبرى على المقولات الحكمية فى الفلسفة •

١٠ — حكم ترجمة القرآن وقراءته وكتابته بغير اللغة العربية •

١١ — حكم التوسل بالأنبياء والأولياء •

الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى

١٢ ــ دليل الحاج على المذاهب الاربعة ألفه بعد عودته من الحج والزيارة ٠

١٣ ــ الرحلة المهمة فى ازالة الرين عن قلوب الأمــــة ٠

١٤ ــ رسالة فى اخراج الزكاة طعاما وثبوت رؤية هلال رمضان بالتلغراف ٠

١٥ ــ الاستصباح فى المساجد بالشموع ٠

١٦ ــ رسالة فى حكم زكاة الاوراق المالية ٠

١٧ ــ رسالة فى أن الصلاة الفتحية ليست من الأحاديث القدسية ٠

١٨ ــ رسالة فى سكر النهر الاعظم ٠

١٩ ــ رسالة فى شرح الصلاة الكمالية ٠

٢٠ ــ رسالة فى فضائل ليلة النصــــف من شعبان ٠

٢١ ــ رسالة فى مبادىء الفنون ٠

٢٢ ــ شرح لحديثين شريفين ٠

٢٣ ــ شرح المورد الرحمانى فى التــوحيد والتصوف لشيخه الامام الشــيخ أحمد بــن شرقاوى ٠

٢٤ ــ شرح نصيحة الذاكرين لشيخه الشيخ أحمد بن شرقاوى أيضا ٠

٢٥ ــ عنوان البيان فى علوم التبيان :

٢٦ ــ الفصول الوافيات فى أحكام المعاملات وفيها تحدث عن حكم الربا بأنواعه ٠

٢٧ ــ الفوائد الحسان فى الكلام حال جلوس الامام على المنبر والترقية والأذان ٠

٢٨ ــ القول الجامع فى الكشف عن مقدمة جمع الجوامع فى أصول الفقه تحت الطبع ٠

٢٩ ــ القول المبين فى حكم المعاملة بيــن الأجانب والمسلمين ٠

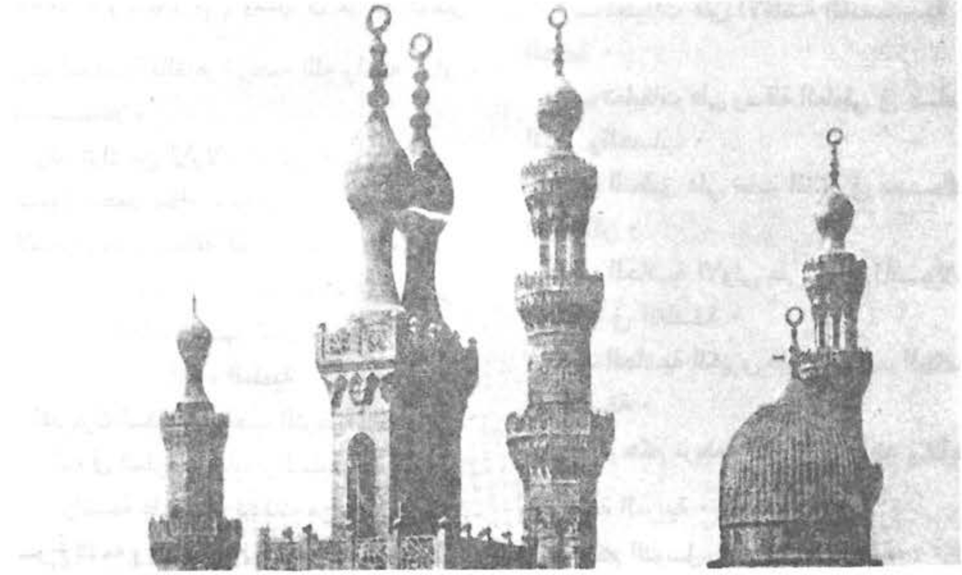

٣٠ ـ القول الوثيق فى الرد على أدعياء الطريق .

٣١ ـ كشف الغطاء عما ورد على ألسنة الأدعياء من كلام الاصفياء .

٣٢ ـ لباب الصبوح فى سر تحريم الدم المسفوح .

٢٣ ـ بلوغ السول فى مدخل علم الاصول .

٣٤ ـ المدخل المنير فى مقدمة علم التفسير .

٣٥ ـ المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية .

٣٦ ـ المقالة الفيحاء فى أولية خلق النور والهباء .

٣٧ ـ منهج اليقين فى بيان أن الوقف الأهلى من الدين ويليه كلمة حول ترجمة القرآن (١) .

---

(١) زكى مجاهد ، الاعلام الشرقية ، جـ ٢ ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

المراجع

١ ـ خير الدين الزركلى (الاعلام) جـ ٦ ص ٣٢٦ القاهرة ، مطبعة كوستا ١٩٥٥ .

٢ ـ زكى مجاهد (الاعلام الشرقية) . جـ ٢ ص ١٦٠ ـ ص ١٦١ التضامن الحديثة ، ١٩٤٥ .

٣ ـ عمر رضا كحالة (معجم المؤلفين .. جـ ٩ دمشق ، مطبعة الترقى ١٩٦٠) .

٤ ـ فرج سليمان فؤاد (الكنز الثمين لعظماء المصريين) .

٥ ـ فهرس المكتبة الأزهرية ، جـ ٤ ص ١٥٢ جـ ٦ ص ١٤٣ .

٦ ـ حديث خاص مع نجله الشيخ حسنين محمد مخلوف المفتى الاسبق للديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر .

٧ ـ على باشا مبارك (الخطط التوفيقية جـ ٩ ص ١٧٩) .

رحمه الله

الدكتور محمد سعاد جلال

عالم جليل من علماء الأزهر الخالدين ، ترك أثره في حياة مصر الثقافية والدينية ودوي صوته شرقا وغربا ، وذاعت كلماته ومقالاته في كل مكان .

كان العمود الذي يكتبه في جريدة الجمهورية بعنوان « قرآن وسنة » حبيبا الي نفوس القراء وقلوبهم يحمل آثارا من علمه وثقافته وروحه وفكره .

وكان صدي لمطالب الحاضر ولصوت الماضي ، ولنداء المستقبل .

ولد الشيخ من أبوين كريمين ، وكان أبوه من العلماء ، وذلك في قرية (تلة) من أعماق المنيا عام ١٩١٠ .

وحفظ القران الكريم ، ودخل الأزهر الشريف ، وتدرج في معاهده حتي دخل كلية الشريعة عام ١٩٤١ وتخرج منها عام ١٩٤٧ ، وعمل مدرسا في معاهد الأزهر الشريف عدة سنوات ، ثم عين مدرسا في كلية الشريعة الاسلامية عام ١٩٤٧ .

وتدرج في سلك وظائفها العلمية ، حتي صار رئيسا لقسم الأصول ، ثم أحيل الي المعاش ، وعندئذ انطلق صوته خارج الأزهر بالدفاع عن الاسلام ، وبابداء الرأي في مشاكلنا العامة والخاصة ويشرح وجهة نظر الاسلام في كل مشكلة وكل مناسبة .

كان بليغ العبارة ، فصيح الاسلوب شديد التأثير في نفوس قرائه ؛ يمتاز

أسلوبه بالموضوعية التامة، وبالعمق وسعة الاطلاع والتضلع في مسائل الدين والدنيا.

وكان الي ذلك خطيبا مفوها واديبا مجودا، وطالما شارك بخطبه المدوية في كل أمور الأزهر العامة والخاصة طيلة حياته، وكنا زملاء نجتمع لنفترق، ونفترق لنجتمع، فاذا اجتمعنا كان الحب الصافي، والود المكين والاخاء الكامل، والوفاء الشديد.

واذا افترقنا كان الثناء والتقدير والذكر الطيب، والتنويه الحميد بماثره وشجاعته فى الحق. وبطولته فى تحمل الأعباء

وكان مدرسا يملك قلوب خلابة ومريديه، يؤثرونه ويؤثرون محاضر ته علي كل شيء ولايكاد تلاميذه يفارقونه.

وكان في مؤلفاته مقنع الرأي، مقنع الحجة، مقنع الدليل والحوار والحجاج.

صديق من أصدقاء العمر، كان يدرس في قسم الفقه والأصول في الدراسات العليا بجامعة الأزهر، ويتبع هذا القسم كلية الشريعة الاسلامية.

وكنت أنا أدرس في قسم البلاغة والأدب والنقد في قسم الأستاذية - العالمية - من درجة أستاذ ويتبع هذا القسم كلية اللغة العربية.. ومع ذلك كان المكان واحدا، وهو مكان الكليتين في شارع البراموني، وكان الاخاء والصفاء والوفاء هي خلالنا العامة، وكان الحب المكين يجمعنا ويكللنا، رحمه الله.

ولم أكن أتصور في يوم من الأيام أن أنعي الصديق الدكتور محمد سعاد جلال.

ولكن هكذا كانت مشيئة الله، وارادته الغالبة القاهرة.

أخى الدكتور محمد سعاد جلال لست ابكيك ولا أرثيك فأنت حاضر في القلب أبدا، وأنت حي بيننا لأنك شهيد العلم والأزهر والاسلام.

ولكنها الذكري، واللوعة والحزن العميق. تهتصر نفوسنا، وتعتصر أرواحنا. فالي رحمة الله، وفي جنات الخلد، وعليك من الله وملائكته ومن الناس اجمعين صلوات ورحمة.

د. محمد عبد المنعم خفاجي

الفتاو

• الإفطار خطأ

س : من السيد / ..... بشركة كلوريد

بمناسبة حلول شهر رمضان واعلانه متاخرا ، فان بعض العاملين بالمنطقة الصناعية قد تناولوا الافطار صباح اول رمضان الموافق ١١ / ٦ / ١٩٨٣ بعد شروق الشمس وبعدها علموا بدخول الشهر فما الحكم ؟!

ج : الافطار مع عدم العلم بحلول شهر رمضان يعد من باب الخطا ، فيجب على من افطر ان يمسك عن الطعام وعليه ان يقضى يوما بدله بعد رمضان .

• حق الشفعة

س : من السيد ا . ا عبد العزيز

ما هى ارجح الاقوال في انتقال حق الشفعة بالارث الى الورثة ؟

ج : راى الائمة : مالك . والشافعى . والليث . واحمد . ان حق الشفعة يورث كما تورث الاموال . خلافا لابى حنيفة الذى يقول انما تورث الاموال دون الحقوق .

وقد رد عليه بانه يقول بارث حق الرد بالعيب .

• التعجيل بالقران

س : من السيد ع . د . ب

اراد شاب خطبة فتاة والعقد عليها . ولكن والده وافق على الخطبة ولم يوافق على التعجيل بعقد القران .

فمن الذى يتحمل ذنوب النظر وغيره الى المخطوبة ؟ وهل يكون الشاب عاق اذا رفض راى والده وتم عقد القران ؟

ج : الافضل التعجيل في عقد القران بعدا عن الشبهات وما قد يجر الى المعصية . وعلى الوالد ان يوافق على هذا .

وترك راى الوالد في تاخير العقد ليس عقوقا . حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

• فى الزكاة

س : من السيد عبد الباقى على سابق .

امتلك مزرعة دواجن تم انشاؤها بقرض لم يسدد منه شىء . فما قيمة الزكاة المفروضة على هذا المشروع ؟ علما بانه يتم انتاج خمس دورات في العام . وهل يتم اخراج الزكاة عن كل دورة ام كل عام ؟

وهل يتم اخراجها نقدا ام عينا ؟

إعداد عبد الحميد السيد شاهين

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

ج : الزكاة تجب كل عام على كل الايرادات التى تجمعت لديه بعد مصاريفه ومصاريف المزرعة اذا بلغ ذلك نصابا ، وبعد خصم الديون ، فان الصدقة لاتجب الا عن ظهر غنى .

والزكاة المطلوبة ربع العشر " ٢ر٥٪ ويصح اخراج الزكاة عينا كما تصح نقدا .

● فى الميراث

س : من السيد / م . هـ . م

توفى رجل عن : زوجة . خمس بنات ، اخت لاب ، اولاد عم شقيق ذكور واناث . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة : الثمن فرضا لوجود الفرع الوراث .

وللبنات الخمس : الثلثان فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى . والباقى للاخت لاب تعصيبا .

ولا شىء للذكور من اولاد العم الشقيق . لحجبهم بالاخت لاب لانها صارت عصبة مع البنات .

كما لاشىء للاناث من اولاد العم لانهن من ذوات الارحام المؤخرات في الميراث عن اصحاب الفروض والعصبات .

● وفاة الزوجة

س : من السيد م . س . يحيى

شاب عقد قرانه على ابنتى ، واثناء العقد دفع لى الزوج مقدم المهر وهو الف جنيه وكتب في وثيقة الزواج مؤخر صداق لها قدره سبعمائة جنيه كما قدم لى شبكة قيمتها خمسمائة جنيه ، ذهب وادوات منزلية كما انه دفع اجرة خياطة الملابس وثمن قطن التنجيد .. ثم توفيت الزوجة قبل الدخول بها وتركت : اما اب ، زوجا ، اخوة اشقاء .

ج : الشبكة جزء من المهر ، والمهر تستحقه المراة بالعقد عليها ، وحيث انه عقد عليها فقد اصبح المهر والشبكة ملكا خالصا لها ، ويضاف اليهما مؤخر مهرها وما قدمه من مال لشراء القطن وخياطة الملابس . وبموتها يصير الجميع تركة توزع على الورثة وفقا للشريعة الاسلامية فيكون للزوج من ذلك كله النصف فرضا . لعدم وجود الفرع الوارث وللام السدس فرضا . لوجود عدد من الاخوة والاخوات .

وللاب الباقى تعصيب .. ولاشىء للأخت لحجبهم بالاب .

والله أعلم

في اللغة والأدب والنقد

بين التهذيب واللسان

مدارسنا الأدبية مدرسة البعث

ديوان عامر

محمود سامي البارودي والشعر الحديث

بين التهذيب واللسان

للدكتور محمد عبد الحفيظ العريان

تساءلنا في ختام مقالنا الأول عن منهج الجوهرى وخصائصه ، ونجيب فنقول :

منهج الجوهرى : يبدو أن الجوهرى قد عدل عن منهج الخليل لصعوبته فاتبع ـ كما نرى ـ نظام البند نيجى في معجمه « التقفية في اللغة » وهذا النظام يقوم على ترتيب الكلمات حسب أواخرها ، وقد حدد الجوهرى منهجه في مقدمة صحاحه قائلا « وانى قد أودعت هذا الكتاب ماصح عندى من هذه اللغة التى شرف الله تعالى منزلتها وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها على ترتيب لم أسبق اليه وتهذيب لم أغلب عليه في ثمانية وعشرين بابا ، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلا على عدد حروف لمعجم وترتيبها » (١) ..

فالجوهرى كما يبدو من النص يعتبر نفسه اول من استعمل نظام القافية في ترتيب الكلمات في كتابه لأسباب لاداعى للتعرض اليها هنا . وهذا الرأى لانطمئن اليه ولاناخذ به حيث يوجد من هو اسبق منه وهو البندنيجى كما اشرنا خلال هذا البحث ..

وابن منظور قد قلده في المنهج واتبع في تاليفه للسان طريقة الصحاح . فخالف بذلك الطريقة التى سار عليها الازهرى ، فابن منظور وان لم يبتكر المنهج العام الا انه رجح القافية على منهج التقليبات بشقيها : الصوتى والهجائى سعيا للتيسير وجعل المعجم في متناول الطالب والدارس على السواء . كما لاحظ هو ذلك في مقدمة اللسان ..

(٣) ا ـ منهجهما الجزئى : يختلف العالمان ـ ايضا ـ في منهجهما الجزئى وفي طريقة جمع المادة ال.. ، فما هذه الطريقة ؟

أ ـ طريقة الأزهرى

لقد حدد الازهرى في مقدمة التهذيب طريقته وحصرهـا في قواعد ثلاث وسنتولى تحليلها وبسطها انطلاقا من كلام الازهرى .

---

(١) الصحاح : ١ : ٣٣ للجوهرى . تحقيق الاستاذ احمد عبد لغفور عطار مطبعة دار الكتاب العربى بمصر ١٣٧٥ هـ . ١٩٥٦ م .

بين التهذيب واللسان

أما القاعدة الأولى : فهى تتمثل فيما سمعه الأزهرى مشافهة من كلام الأعراب عندما وقع في أسر القرامطة « وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربا .... نشأوا في البادية .. يتكلون بطبائعهم البدوية .. ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش ، فبقيت في اسارهم دهرا طويلا . » (٢) ..

ويظهر من هذا الكلام ان الأزهرى قد استفاد من اختلاطه بالأعراب ، ولذلك نجده في التهذيب يستعمل عبارة (قالت العرب) عندما يريد النقل عن هؤلاء الأعراب ـ الا أن الدكتور عبد الله درويش يذهب الى أن « الأزهرى لم ينقل عن هؤلاء الأعراب الا نادرا » (٣) ودليله على ذلك أن تعبير (قالت العرب) موجود بكثرة في كتب اللغة المتأخرة مما لايدل دلالة واضحة قاطعة على أن المقصود هو مشافهة الأعراب لا النقل عنهم ، بيد أن هذا الرأى يبدو غير مدعم بأدلة مقنعة لاحتمال أن يكون المتأخرون قد اقتبسوا هذا التعبير (قالت العرب) عن الأزهرى نفسه والدليل على أنه قد أخذ عن الأعراب مباشرة هو نقله في معجمه ماليس شائعا ولا يمكن اعتباره صحيحا لدى البعض من أصحاب المعاجم وأمثلة ذلك كثيرة في التهذيب . على أنه من المؤكد أن الأزهرى لم ينقل كل ماسمعه من الأعراب بدليل تسميته لمعجمه بالتهذيب ، أى أنه قام ـ كما ذكرنا آنفا ـ بغربلة الألفاظ اللغوية التى سمعها وانتقى منها ما اعتبره هو صحيحا شائعا ..

أما القاعدة الثانية : التى اعتمدها في نقله فهى ماوراه عن النقاد من اللغويين فيقول مثلا « وأخبرنى المنذرى عن أبى العباس أنه قال : ثم يروى الشرح » ..

أما القاعدة الثالثة : فهى مانقله عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت اليها معرفته فيقول مثلا : « ثعلب عن ابن الأعرابى أو قال الأصمعى عن أبى تراب » ..

على أنه لم يقف موقفا سلبيا من إرواته ، فقد كان شديد النقد والتحرى ملتزما طريقة علمية دقيقة عمادها التثبت والدرس ، فقد قسم الرواة واللغويين الى قسمين : ثقاة وغير ثقاة ووضع في القسم الأول من تثبت لديه نزاهته كالأصمعى وأبى عبيدة ، وفي القسم الثانى من لم تثبت لديه معرفة ثاقبة كالخازنجى صاحب (تكملة العين) وأبى الأزهر البخارى صاحب (الحصائل) ..

ومهما تكن وجاهة نقد الأزهرى لرواته أو عدم وجاهته فان هذا العالم كان صاحب شخصية متميزة جريئة في ابداء الرأى وان اتهمه البعض بالحيف والكبرياء وازدراء جهود السابقين لابراز قيمة معجمه ..

وموجز القول فان الأزهرى في طريقة نقله لم يكن مقلدا بل كان ناقدا مبتكرا قد سلط العقل على مروياته فكان مجتهدا لغويا وكل مجتهد عرضة للاصابة والخطا .

طريقة ابن منظور

ولعل هذا الاجتهاد الذى اتسمت به شخصية الأزهرى ، هو الذى جعل ابن منظور

---

(٢) التهذيب : ١ : ٧ .

(٣) المعاجم العربية : ٩٩ د . عبد الله درويش ط الأنجلو المصرية .

يفضل عليه في بعض الأحيان ، «ابن سيده في محكمه ذلك لأن ابن منظور بحكم تاخره الزمنى ـ قد اتبع طريقة النقل المباشر عن مصادره الخمسة دون أن يبدى رأيا شخصيا او اجتهادا في الترجيح أو التفسير وقد صرح هو بذلك « ولم ابدل منه شيئا .. بل أديت الامانة في نقل الاصول بالنص ، وماتصرفت فيه بكلام غير مافيها من النص فليعتد من ينقل عن كتابى هذا انه ينقل عن هذه الاصول الخمسة » (١) على انه بامكاننا ـ من خلال مواد اللسان ان نستشف طريقته في النقل وهى تتلخص في :

(١) حذف الاسانيد التى اعتمدها الازهرى او غيره والاستغناء عنها بذكر المصدر المنقول عنه فيقول مثلا « حَكى الأزهرى ـ وتراه أحيانا أخرى ينقل سلسلة الرواة نقلا عن الازهرى » على انه من الصعب أن نعرف سر الابقاء والحذف لهذه الاسانيد سوى أن ابن منظور كان همه النقل والجمع للمادة ..

(٢) المزج بين منقولاته عن الازهرى ومنقولاته عن بقية مصادره بطريقة مشوشة لم نهتد للغاية منها ، فهو ينشر في كلام الازهرى كلام غيره ويقحم كلام الأزهرى في كلام غيره ، واذا كان قد اخذ على الأزهرى وابن سيده وقوعهما في الخلط والاضطراب وتكديس المادة فانه هو نفسه قد وقع في نفس ذلك العيب ، اذ أصبح معجم لسان العرب متخما بمادة مشوشة صعبة المنال .

(٣) عدم ابداء الراى في كل ماينقل ، وهو بذلك يختلف عن الأزهرى الذى كان

---

(١) لسان العرب / ١ / ١٢

قوى الشخصية ..

ب ـ ترتيب مشتقات المادة في المعجمين :

لايجرى ترتيب مشتقات المادة في المعجمين على نظام معين دقيق يساعد الطالب على اخذ بغيته بيسر وسهولة ، كما هو الامر بالنسبة للمعاجم الحديثة التى التزمت طريقة معروفة وقد لخصت اللجنة التى وضعت المعجم الوسيط هذه الطريقة في مقدمة هذا المعجم وهى تقوم على أساس :

(١) تقديم الأفعال على الأسماء .

(٢) تقديم المجرد على المزيد من الأفعال .

(٣) تقديم المعنى الحسى على المعنى العقلى والحقيقى على المجازى .

(٤) تقديم الفعل اللازم على المتعدى الى آخره ..

غير انى ـ بالرغم من صعوبه هذا العمل ـ حاولت البحث عن طريق الترتيب في المعجمين بالاعتماد على المواد الثلاث الاتية (جعب ـ عرب ـ نوا) قصد استخلاص سمات عامة لهذه الطريقة .

وقد ركزت عملى ـ بصورة ادق ـ على مادة (عرب) فوجدت ان الازهرى قد خصص في معجمه لهذه المادة (عرب) من طبعة التهذيب المحققة (١٤ نهرا) اى من صفحة (٣٦٠ الى ٣٦٧) من الجزء الثانى وقد استغرقت هذه الصفحات سبعا وعشرين كلمة مرتبة على النحو التالى :

(١) عرب عاربة (٢) الاعاريب (٣) عربى (٤) معرب (٥) اعرابى (٦) أعرب (٧) تعرب (٨) استعرب (٩) عرب (١٠) عربانى (١١) عرب مستعربة (١٢) العرابة

(١٣ عروب (١٤ عربة (١٥ العرب
(١٦ عرب (١٧ العبرب (١٨ العروبة
(١٩ العراب (٢٠ عربونة (٢٢ عريب
(٢٣ العربون (٢٤ العربات (٢٥ عربة
(٢٦ العراب (٢٧ العريبة .

والذى يمكن استنتاجه من ترتيب هذه المادة أن الأزهرى لا يسير وفق خطة محددة مضبوطة وانما هو ينقل مارواه دون احكام في التنظيم والتنسيق الا انه بدا لى ان الأزهرى من خلال هذه المادة ومن غيرها من المواد التى امكن لى الاطلاع عليها كان يقدم في الأغلب الأسماء على الافعال والمستعمل قبل النادر، كما كان يمزج بين اسماء الأشخاص والقبائل وبين معانى الافعال دون خطة متدرجة تتيح للمطالع الاستفادة من المادة بسهولة ..

أما ابن منظور فقد رتب مادة (عرب على النحو الاتى : (١

فهى تحتوى على (٥٢ كلمة (١ عرب
(٢ عرب (٣ عريب (٤ عاربة
٥ عرباء (٦ متعربة (٧ مستعربة
(٨ عربى (٩ أعرابى (١٠ اعراب
(١١ اعاريب (١٢ عروبة (١٣ عروبية
(١٤ تعرب (١٥ التعرب (١٦ العربة
(١٧ عربة (١٨ العربات (١٩ عربانى
(٢٠ أعرب (٢١ عرب (٢٢ الأعراب
(٢٣ التعريب (٢٤ تعرب (٢٥ استعرب
(٢٦ استعرابا (٢٧ معرب (٢٨ عرب
(٢٩ عروب (٣٠ عرابة (٣١ عرب
(٣٢ عريب (٣٣ عراب (٣٤ اعرب
(٣٥ الاعرابة (٣٦ العرابة (٣٧ معاربة
(٣٨ العرب (٣٩ العروب (٤٠ العربة
(٤١ العرب (٤٢ العراب (٤٣ العربان
(٤٤ العربون (٤٥ العربون (٤٦ عربن
(٤٧ عروبة (٤٨ العبرب (٤٩ عبربية
(٥٠ العراب (٥١ يعرب (٥٢ العارب ..

والذى نستخلصه من هذه المادة ان ابن منظور كالازهرى لم يلتزم نظاما دقيقا فقد بدأ هنا باسم ثم اتبعه باسماء وأفعال الا أنه في بعض المواد الأخرى قد يبدأ بالفعل مثل مادة (ناء فهو يستهلها هكذا « ناء بحمله ينوء نوء وتنواء : نهض بجهد ومشقة » (٢ ثم يتعرض بعد ذلك لاسماء أخرى مكررا حينا الصيغة ليعطى معنى جديدا واحيانا يكررها والمعنى واحد .

وخلاصة القول فان ابن منظور والازهرى في منهجهما الداخلى لا يسيران على نهج معين مضبوط الا انهما :

(١ يبدان في الأغلب باسم .

(٢ أنهما يمزجان بين الاسماء والافعال بصورة متقطعة مشوشة .

(٣ أن ابن منظور قد ينهل المادة بذكر الاعلام سواء كانت أعلام أشخاص كقوله « ابن العروبة رجل معروف » أم قبائل (عريب حى من اليمن أم بلدان (العربات طريق في جبل بطريق مصر » وقد يفسر خلال ذلك بعض الالفاظ اللغوية او العكس على حين ان الازهرى قد ينهى المادة بذكر نوادر اللغة (عرب الرجل : اذا غرق في الدنيا وعرب اذا أفصح بعد لكنة في لسانه » (٣ .

(٤ وسائل التفسير في المعجمين : من

(١ لسان العرب / ٤ / ٢٨٦٣ ـ ٢٨٦٨ (عرب .

(٢ نفسه / ٦ / ٤٥٦٦ (نوا .

(٣ التهذيب : ٢ : ٣٦٧ .

الوسائل الهامة التى تعتمدها المعاجم الحديثة لتوضيح معانى الألفاظ وتقريبها من الدارس والمطالع ، التفسير بالسياق اللغوى أو الاجتماعى أو التعليلى والأزهرى وابن منظور كثيرا مايستعملان هذه الوسائل فكيف كان ذلك ؟

أ ـ السياق اللغوى : ان مايميز معجمى : « التهذيب واللسان » هو عدم اقتصارهما في الشرح على شرح كلمة بكلمة أخرى مرادفة أو مضادة على اعتبار أن الكلمة ليست مستقلة بذاتها بل هى عنصر أساسى في بناء الجمل والتراكيب ولايمكن تصور معنى لهذا العنصر الجزئى الا في كنف المعنى العام الذى توحى به الجملة ولذلك نجد هذين المعجمين يدعمان شرحهما اللغوى بنصوص من القران والحديث النبوى أو من أمثال العرب وأشعارهم ، ولاداعى الى ذكر الامثلة نظرا لكثرتها فلاتخلو مادة من مواد المعجمين من اية أو حديث أو بيت شعرى ..

ب ـ السياق الاجتماعى : لقد ذهب كثير من الباحثين المعاصرين الى أن اللغة ليست فقط اداة تعبير عن الفكر ، بل هى الى جانب ذلك تعبر عن الواقع الاجتماعى الذى يحيط بالانسان ، وقد انتبه الأزهرى ومن بعده ابن منظور الى هذه النظرة فانهما يوردان في معجميهماكثيرا من المعانى الاجتماعية التى تصور لنا عقائد العرب ومفاهيم الاجتماعية واذا أردنا أمثلة فهى كثيرة من ذلك في مادة (عرب) « رجل أعرابى اذا كان بدويا صاحب نجعة وانتواء وارتياد للكلا وتتبع لمساقط الغيث ، وسواء كان من العرب أو مواليهم .. والأعرابى اذا قيل له ياعربى فرح بذلك وهش له والعربى اذا قيل له يا أعرابى غضب له » (١) ..

هكذا نلاحظ من خلال هذا المثال تفسيرا اجتماعيا لكلمة الأعراب والعرب تستشف فيه ميل الأعرابى الى التحضر ، ولذلك فهو يفرح عندما يدعى ياعربى على حين ان العربى ساكن المدن يتقزز من نعته بنعوت الاعراب ، كما يعطينا المثال صورة عن حياة الأعرابى المعاشية في تتبعة لمساقط الغيث وفي البحث عن الكلا لماشيته التى هى سبب رزقه ومعاشه ..

كذلك نجد في مادة (نوأ) مايؤيد هذا المعنى الذى كنا بصدد توضيحه .

وبالجملة فان اغلب المواد في « التهذيب واللسان » تحتوى على الكثير من المعانى الاجتماعية مما يجعل للمعجمين قيمة حضارية وتاريخية تساعد الباحثين المعاصرين على دراسة بيئة العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ..

جـ ـ السياق التعليلى : بالاضافة الى الوسيلتين السابقتين ـ التفسير اللغوى والاجتماعى ـ نجد في المعجمين وسيلة ثالثة هامة وهى تعليل بعض الصيغ ، وبيان سبب استعمالها ، وقد نجد هذه الوسيلة ـ بصورة خاصة لدى الازهرى الذى كان كلفا بالتعليل وابداء الراى مثال ذلك « وجعل الله عز وجل القران المنزل على النبى المرسل محمد صلى الله عليه وسلم عربيا لانه نسب الى العرب الذين انزله بلسانهم » (١) .

كذلك نجد الأزهرى يعلل سبب تسمية العرب عربا فينقل أولا رأى غيره ثم يدلى

---

(١) لسان العرب : ٤ : ٢٨٦٤

(١) التهذيب : ٢ : ٣٦١

برأيه الشخصى مستعملا صيغة (قلت) ولعل هذه الفقرة تكشف لنا مدى تفلسف الازهرى في تعليل الالفاظ وتدقيق مدلولاتها وهى قوله « واختلف الناس في العرب أنهم لم سموا عربا ؟

فقال بعضهم ـ اول من انطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان وهو ابو اليمن ، وهم العرب العاربة ونشا اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما معهم فتكلم بلسانهم فهو واولاده العرب المستعربة وقال اخرون نشأ أولاد اسماعيل بعربة وهى من تهامة .. (قلت) والاقرب عندى أنهم سموا عربا باسم بلدهم العربات » (١) هكذا نلاحظ ان الأزهرى يتوسع في التعليل والمناقشة وقد نقل عنه ابن منظور ذلك نقلا حرفيا ـ كعادته ـ دون أن يبدى رأيه .. او وجهة نظره ..

والخلاصة ـ في هذا الصدد ـ أن معجمى التهذيب واللسان اعتمدا في تفسيرهما للمفردات وسائل تكاد تكون عصرية ، فقد أعطيا للمفردات معانى دقيقة في نطاق ما اكتسبته في الجمل والتراكيب من ضبط وتحديد ..

« يتبـع »

(١) نفسه : ٢ : ٣٦٥ ، ٣٦٦

مدارسنا الأدبية

١

شهد الأدب العربى قبل العصر الحديث أحداثا جساما . وعاش فى ظلال دول لم توجه اهتمامها الى الأدب والشعر . وسكن الى الراحة والنوم العميق . لم يعبر عن صخب الحياة وضجيجها من حوله . ولم يصور المحن والآلام التى كانت تعيش فيها شعوب العرب . وباعد بينه وبين الحياة والناس والطبيعة من حوله ..

فكان الشعر أيام الأتراك العثمانيين على ما عرف من ركاكة الأسلوب وضعف المعنى والولوع بالمحسنات البديعية . والنظم فى تافه الاغراض وسقيم المعانى . ووجدنا العامى والدخيل يملأ الفاظه بالعى والعجز والحصر . وعاش الشعراء بعيدا عن الامراء واشياعهم . اذ لم يجدوا فيهم اذانا صاغية أو قلوبا واعية ولم يجدوا فيهم نفوسا تطمح الى نهضة ادبية مزدهرة . فلم يجد الشعر من اسباب النهوض ما يرفع شانه او يقوى فى الوجود سلطانه . وكان لسوء الحالة الاجتماعية من فقر ومرض وجهل أثره الشديد فى ركود الشعر وضعفه البديعيات والالغاز والتاريخ الشعرى تملا صفحة الشعر بالوهن الى الخيال السقيم والصور الشعرية الباهتة .

ومضى على ذلك الحال عصر « محمد على » ومن بعده الى « اسماعيل » وكانت حركة الاصلاح السريعة مادية عسكرية ولم تكن ادبية او فكرية فلم ينتفع بها الشعراء

مدرسة البعث

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

الا قليلا . بيد ان بعض الولاة عرفوا للشعراء مكانتهم فقربوهم وادنوا منهم مجالسهم واختصوهم بقصورهم . فكان السيد على الدرويش شاعر عباس الاول . وعلى الليثى شاعر اسماعيل . واتصل الشعراء بالامراء وسجلوا محامدهم . وكانت هذه ظاهرة اجتماعية جديدة فى الشعر . كما انهم ولعوا بالتاريخ الشعرى ولعا شديدا يسجلون به اعمال الامراء ومنشاتهم ووفياتهم وكان من بين شعراء هذا العصر :

- السيد اسماعيل الخشاب المصرى المتوفى عام ١٨١٥ م
- الشيخ محمد المصرى المتوفى عام ١٨١٥ م
- السيد احمد البيروتى المتوفى سنة ١٨١١ م

وفى عهد اسماعيل اخذ الشعر ينهض من كبوته . ويفيق من رقدته . وتظاهرت على رقى الشعر أسباب كثيرة . فالمطابع أخرجت كثيرا من كتب الأدب العامة ودواوين الشعر فتمرس الادباء والشعراء باساليبها . وتعمقوا عباراتها ووعوا معانيها . واستظهروا بلاغتها . وهجرة ادباء الشام الى القاهرة حيث عاشوا فيها بالقرب من قصر اسماعيل . ينالون بره ورعايته ويرفعون من شأن الشعر ويشيدون بذكر القصر . ثم الصحف والمجلات ودار الكتب المصرية والبعثات العلمية التى سافرت الى أوربا وعادت الى وطنها . حيث أفاد أعضاؤها من معارف الغرب وادبه وفنه . الى ما نقل من اداب الغرب الى اللغة العربية . مما هذب ذلك كله من اذواق الادباء والشعراء ونظم من افكارهم واخيلتهم .

وكان لاسماعيل شاعران من خاصة . هما : الشيخ على اللينى . والشيخ على أبو النصر المنفلوطى . فنهض الشعر وقوى نسجه واستحكم معناه ورق لفظه .

ونبغ من الشعراء فى هذا العهد

- السيد صالح مجدى
- الساعاتى المصرى المتوفى عام ١٨٨٠ م
- على أبو النصر المنفلوطى المتوفى عام ١٨٨٠ م
- محمود قيادو التونسى من أدباء تونس (١٨٦٨ م) وسواهم

٢

وظهر البارودى وصار علما فى الشعر العربى وأصبحت نماذجه صورا للبلاغة الجديدة وعلامة من علامات البعث الأدبى الجديد . وصار الشعر العربى الحديث الذى نقرؤه ونتذاوقه ونحفظ روائعه التى أبدعها الشعراء العرب فى كل مكان مدينا لمحمود سامى البارودى رائد شعراء النهضة الأدبية الحديثة بدين كبير .

ظهر البارودى فى سماء الشعر العربى . نجما ساطعا ليجدد للشعر شبابه ويحيى له

دارس عروبته . وقد كان منذ حداثته يميل الى الادب . ويتذوق روائع الشعر . ويستمع الى ما يلقى فى انديته ومجالسه من منثور ومنظوم ثم صار يقرا على الادباء والشعراء النماذج المختارة ويشاطرهم فقه ما يقرا ثم استقل وحده بقراءة الدواوين الشعرية لاعلام الشعر القديم . وبخاصة الشعراء الجاهلون والاسلاميون والمحدثون حتى وصل فى قليل من الزمن الى ما لا يدرك فى متطاول الايام . فنظم الشعر وهو دون العشرين وصار يحذو فيه حذو القدامى . فلا يقصر عنهم ولا يقع دونهم .

والبارودى مع انه لم يدرس فى مطلع حياته قواعد العروض والقافية . ولا قرا النحو والصرف ولا طاف بمفاهيم اللغة الا انه اتخذ الادب هوايته والشعر حرفته تذوقا وطبعا لا اثر للصناعة فى شىء من ذلك كله . ووصل الى ما وصل اليه عن طريق محاكاته لبلاغات القدماء حتى لا نجد له لفظا نابيا ولا اسلوبا ضعيفا وكانما هو من الاعراب الناشئين فى البلاغة والادب فطرة سليمة ونفس صافية وذوق رفيع والهام صادق .

وكان شعره في مطلع شبابه يمثل طموحه الادبى ، وامنيته في الوقوف بجانب فحول الشعراء الاقدمين ، وبخاصة شعراء العصر العباسى ، جزالة لفظ ، وفحولة نظم ، ورصانة قافية ، واشراق ديباجة وصفاء عبارة وجمال اسلوب .

وكان الامام محمد عبده يقوم في النثر بما يقوم به البارودى في الشعر ، احياء للقديم ، وبعثا له ، ليقوم عليه جديدنا في الادب والشعر وبلاغة القول .

وعن البارودى يقول استاذه المرصفى صاحب كتاب « الوسيلة » الادبية .

اولع البارودى ، وهو غض الحداثة ، بحفظ الشعر ، واخذ نفسه بدراسة دواوين الفحول من الشعراء المتقدمين حتى شب فصيح اللسان ، مطبوعا على البيان ، دون ان يتعلم النحو ، فانطلق يقول الشعر في اغراضه المختلفة ، ونهض به نهضة عظيمة ، فاعاد اليه حلته العربية حتى شاكل شعر الشريف الرضى والمتنبى ، فى جزالة اللفظ ومتانة النسج ، وقوة الاسلوب ، وروعة الديباجة ، ولم يتخلف عن متقدمى الشعراء في شىء ، على انه ربما اربى عليهم ، بما جال به في فنون المعانى ، التى تجلت بها الحضارة الجديدة ، وما وصف من مخترعات كشف عنها العلم الحديث .

وبذلك كان البارودى اول شعراء النهضة الحديثة ، وهو الذى رد الديباجة الشعرية الى بهائها وصفائها القديمين . ووضع البارودى فى لقوالب الفنية الماثورة تفكير عصره ، واحلام حق معاصريه .

وصار يطلق على شعره وشعر معاصريه ممن تاثروا به شعر مدرسة البعث والاحياء والتجديد .

كان يعاصره في العراق : عبد الغفار الاخرس ، ومحمد سعد الحبوبى النجفى ، وحيدر الحلى ، وعبد الحميد الشاوى ، وكان اشهرهم هو الحبوبى الذى اشتهر بموشحاته الغنائية ، وبشعر الوجدانى : كما اشتهر الشاوى بوطنياته وكان الموجه للشعر والشعراء فى العراق محمود شكرى الالوسى وفى السعودية كان من معاصريه : ابن

عثيمين واحمد ابراهيم الغزاوى . وابن بليهد .

وفى تونس : صالح السويسى وحسين الجزيرى . ومحمد الشاذلى خزانة دار وسعيد ابو بكر . وسواهم .

وفي المغرب : محمد المختار السوسى . والمكى الناصرى . ومحمد بن ابراهيم . وعبد الرحمن حجى حمد العثمانى . وغيرهم .

ولكن البارودى من بينهم كان اكبر تأثيرا في النهضة الادبية والشعرية الحديثة وكان اكثر اصالة وتجديدا للشعر من كل معاصريه . وكان رائد حركة البعث وزعيم مدرسة الاحياء في الشعر الجديث

٣

وورث البارودى في مصر شاعران كبيران . هما : ـ امير الشعراء احمـــد شوقى (١٨٦٩ ـ ١٩٣٢)

ـ حافظ ابراهيم شاعر النيل ١٨٧٢ ـ ١٩٣٢ .

وبجوار هذين الرائدين الكبيرين عاش اعلام من كبار الشعراء من مثل : اسماعيل صبرى . واحمد محرم . ومصطفى صادق الرافعى . وحفنى ناصف وسواهم ممن تابعوا خطا البارودى وساروا في ميدانه . وجالوا في حلبته . رافعين اعلام البلاغة العربية . والذوق الادبى الرفيع وتاثر بالبارودى امثال : الزهاوى . والرصافى والشبيبى والصافى النجفى في العراق . وفؤاد الخطيب وشكيب ارسلان وخليل مردم وبشارة الخورى وفخرى البارودى في الشام . وهذه الطبقات من الشعراء . اثروا الشعر العربى .

وجعلوه تعبيرا صادقا عن كل ما يتعلق بالمجتمع العربى في مختلف شئونه والامه واماله وكان امير هؤلاء هو احمد شوقى الذى كان شعره كما يقول هو نفسه :

كان شعرى الغناء في فرح الشر
ق . وكان البكاء في أحزانه .

واذا كان البارودى هو الرائد الاول لمدرسة البعث . فان شوقى هو الرائد الثانى لها . ومدرسة البارودى وشوقى . وهى مدرسة الاحياء والمعمودية . ومدرسة البلاغة العربية ومدرسة الاصالة والتجديد في الشعر الحديث . لاتزال مؤثرة في ميدان الشعر . ولاتزال اعلامها مرفوعة .

في العراق وجدنا : محمد على اليعقوبى . وحافظ جميل . ومحمد بهجة الاثرى . والسيد بحر العلوم ومحمود الحبوبى . ومحمد على الحومانى .

وفى مصر وجدنا حفنى ناصف . ومحمد عبد المطلب . والسيد محمد توفيق البكرى . وعلى الجارم كما وجدنا محمد الاسمر (١٩٠٠ ـ ١٩٥٦) وعلى الجندى (٤ يونيو ١٩٧٣) ومحمود غنيم (١٩٠٢ ـ ٢٤ سبتمبر ١٩٧٣) وعزيز اباظة (١٨٩٥ ـ ١٩٧٣) ومحمد عبد الغنى حسن . ومحمد مصطفى الماحى . والشاعر على الفقى . وسواهم . من شعراء (الكلاسيكية كما يطلق عليهم او شعراء العمودية والاصالة والتجديد كما اسميهم .

ويقول العقاد عن رائد مدرسة البعث محمود سامى البارودى وذلك في كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضى »

ان له ميزة واضحة لانظير لها في تاريخ الادب المصرى الحديث . وتلك انه وثب

مدرسة البعث

بالعبارة الشعرية وثبة واحدة . من طريق الضعف والركاكة ، الى طريق الصحة والمتانة ، كأنه القمة الشاهقة وهذه وثبة قديرة في تاريخ الأدب ترفع الرجل بحق الى مقام الطليعة .

وكان من أعظم المظاهر في تطور الشعر على أيدى مدرسة البعث هو النزوع به الى أساليب البلاغة العربية ، والى مستوى ثقافة العصر وأفكاره ومعانيه وأخيلته وصوره الشعرية وموضوعاته التى يتحدث عنها .. مع ترك الافراط والمبالغة وعدم الاكتراث باللفظ ومحسناته البديعية . ما دام اللفظ سليما وصحيحا وعربيا فصيحا .

والتجديد عند البارودى يتمثل في حركة البعث والاحياء . وعند شوقى يتمثل في الارتفاع بالشعر الى مستوى الشعر العالمى من حيث الأفكار والمعانى والاغراض والاخيلة . وثقافة العصر . ومن حيث اثراء حركة الشعر العربى بالشعر القصصى والملحمى والمسرحى . وبنظمه في السياسة والاجتماع والتامل . والوصف للطبيعة ولمشاهد الحضارة . ومن حيث الحرص فيه على وحدة القصيدة . وعمق تجربة الشاعر . والارتفاع بموسيقى الشعر الى مستوى موسيقى البحترى وابن زيدون والشريف الرضى وأمثالهم .

وقد جعل شوقى من الشعر فنا جديرا بخطره وتاريخه العريق . والبسه حلة يخطر فيها في مواكب الحياة كلهاوكان شوقى صداحة العروبـــة والاسلام في العصر الحديث .

ومن البارودى وأترابه في القرن التاسع عشر امثال : امين الجندى ، وبطرس كرامة . وناصف اليازجى وعبد الغفار الأخرس . ونجيب الحداد ، وابراهيم الأحدب ، وعلى الليثى وخليل الخورى اللبنانى .. الى شوقى وانداده في القرن العشرين ظلت مسيرة الشعر متصلة ومواكبة مرفوعة اللواء . في طريق البعث والاحياء . مشبعة بروح الاصالة والتجديد والعمودية الرفيعة البليغة .

ومن عجب أن يعيش البارودى حياة المنفى والاغتراب وان يعيش شوقى كذلك هذه الحياة نفسها ، منفيا غريبا . فالبارودى عاش في سيلان نحو تسعة عشر عاما ، وشوقى عاش في الاندلس نحو الست السنوات وكلا الشاعرين اثرى الشعر بما نظم في منفاه من جديد وعبقرى .

وقال حافظ في مبايعة شوقى بامارة الشعر :

أمير القوافى قد اتيت مبايعا
وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

وموسيقى شوقى الشعرية تبلغ غاية جمالها وتاثيرها وروعتها ، حتى ليقال فيه ما قد قيل في البحترى من قبل : اراد ان يشعر فغنى وبها تأثر كل الشعراء في عصرنا .

ولا ريب ان شوقى في شعره آثار مرحلة

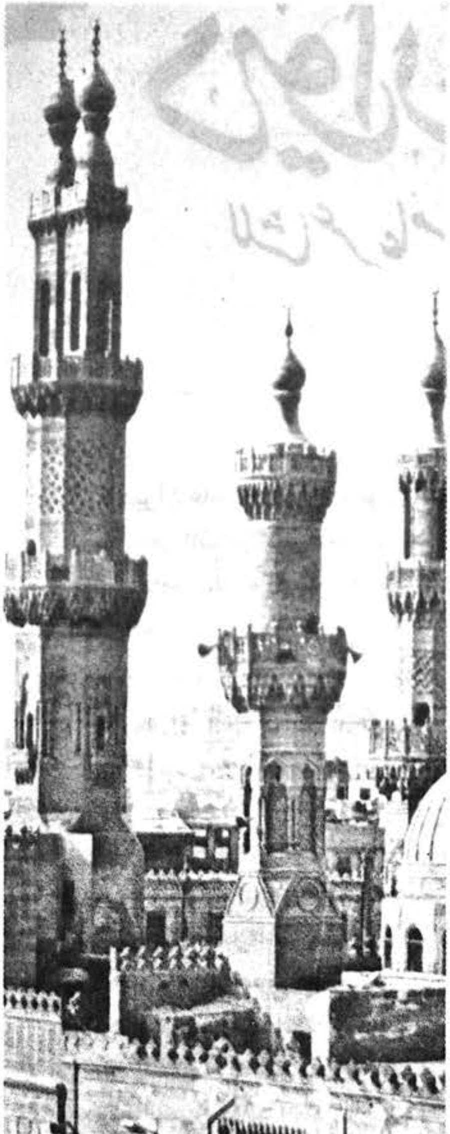

تقدمية في الشعر العربى الحديث كما يقول الدكتور أحمد زكى أبو شادى .

وكان اعجاب حافظ بالبارودى كثيرا ورأى له فضل التقدم ، وكان شعر البارودى جسرا عبر عليه شعرنا الى العصر الحديث ، وكان تجديد حافظ في الموضوعات والأغراض ، فنظم شعره في الأغراض الجديدة ، التى جعلها محور شعره ، وهى الشعر الوطنى والاجتماعى والسياسى .

وبعد فتلك مدرسة البعث والاحياء ، او مدرسة العمودية والعموديين » التى تحافظ على عمود الشعر محافظة أصيلة ، او مدرسة الأصالة والتجديد وهى مدرسة ما اعز مكانها في الشعر الحديث ، على انها لاتزال مرفوعة اللواء ، مسموعة النداء قوية الاصداء ، وفيها تمثلت البلاغة العربية قوية اخاذة ، وعليها وقفت مواكب الشعراء ، تتامل معجزة البيان ، وجمال اعجاز الفرقان وعبقرية الشاعر وحكمة الانسان .

محمد عبد المنعم خفاجى

ديوان عامر

للشاعر عامر محمد بحيري

— ١ —

« ديوان عامر » عنوان للديوان الذى يضم شعر الشاعر عامر محمد بحيرى والذى قامت بنشره الهيئة المصرية العامة للكتاب •

وفى صدر الديوان مقدمة بقلم الشاعر ، وضح فيها أن هذا الديوان المنشور يضم خلاصة منتخبة من خمسة عشر ديوانا ، تمثل مراحل حياة الشاعر مع الشعر على مدى أربعة وخمسين عاما ، هى الفترة من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٨١ • وهذه الدواوين المشار اليها منها ما صدر مطبوعا من قبل ومنها ما ظل مخطوطا حتى صدور هذه الخلاصة •

ومع أن الديوان يضم خلاصة تلك الدواوين، الا أن هذه الخلاصة ليست ضيقة الحجم ، ولا محدودة الكم ، كما قد يتبادر الى الذهن من هذه الكلمة ، فالديوان يقع فى أربعمائة وأربع وسبعين صفحة من القطع الكبير ، واذا كان هذا هو حجم الخلاصة فكيف يكون حجم الأصل ؟ وكم فى ذلك من دلالة على غزارة المنبع الذى فاض بكل هذا النتاج ؟ •

وعنوان الخلاصة « ديوان عامر » هو العنوان الذى أطلقه الشاعر على أول ديوان سجل فيه شعره سنة ١٩٢٧ ، أما بقية الدواوين فانها تحمل عناوين أخرى هى على التوالى مرتبة ترتيبا زمنيا :

على شاطىء الحياة ــ اليخت الذهبى ــ فى عالم الملائكة ــ عطر وبارود ــ على ربى الالهام ــ ثورة الشعر ــ تحت لواء العروبة ــ قصائد أفريقية ــ أزهار السلام ــ الأزهار الجديدة ــ فى طريق العودة ــ مع مبادرة السلام ــ شاطىء النهاية ــ فى رياض النبوة » وقد سارت الخلاصة المنتخبة فى الديوان الذى بين أيدينا على ترتيب هذه الدواوين •

واذا كان مما يحمد للشاعر هذا الترتيب الزمنى ، فانه يحمد له أيضا أنه قدم كثيرا من قصائده ومقطوعاته مصحوبة بالتعريف والتأريخ لها ، وهذا أمر له قيمة كبرى فى فهم بواعث الشعر وغاياته •

— ٢ —

وكل ديوان من هذه الدواوين يحمل سمة عامة له ، تشير الى طبيعة الفترة التى صيغ فيها الشعر ، فالديوان الأول « ديوان عامر » الذى يحمل تاريخ ١٩٢٧ نرى فيه المحاولات الأولى للشاعر فى عالم القريض وهى

محاولات تنبىء عن الاستعداد المبكر ، وعن مدى تجاوب الشاعر مع أصداء هذا الوقت ، وقد كان أبرز هذه الأصداء ما يتصل بالسياسة والحالة التى كانت عليها البلاد من صراع مرير مع المستعمر .

فمما ينبىء عن قوة الشاعرية المبكرة قول الشاعر عن الدنيا (١٩) :

هى الدنيا تُريق ولا تَروق
فليس من الرجال لها صديق
لها غدر وعذر بعد غدر
وغدر بعد عذر لا يليق
تقلب كل آونة بشكل
وتغرب شمسها ولها شروق

ومن تجاوب الشاعر مع الأحداث التى تحيط بالبلاد فى وقته قوله مشيرا الى الشر المدسوس فيما يعرضه المحتل من حلول مع زعماء السياسة (١٤) :

كشفوا لنا عن قصدهم فاذا به
سم زعاف سال عن أكوابه
حَسَنًا بدا للناظرين وسَيِّئًا
لو فكروا فيه وفى أسبابه
يبغون شَرًّا بالضعيف وطالما
ظلموا وظلم المرء رأس خرابه
أنا عقدنا العزم منذ نهوضنا
لا نستكين لغاصب وعذابه
فليحذر الجبناء أن يتعرضوا
يوما لغضبة شعبنا وعقابه

وتتسع نظرة الشاعر ، فتجاوز حدود بلاده الى الشرق كله ، ويسجل شجونه لتأخر الشرقى عن نظيره الغربى ، مشيرا الى الأسباب التى أدته الى ذلك فيقول (١٨) :

ألا انما الشرقى فى النوم غارق
تراه على ما ناله غير جَازِع
يسير رجوعا للوراء وغيره
يقطع أعناق النجوم الطوالع
وما فُوِّق الشرقىُّ إلا بخمسة
قيام المعاصى واندثار الشرائع
وتضييع ما قد خلفته جدوده
وتقليده الغربى فى غير نافع
وموت شعور فيه قد كان حاميا
كألسنة النيران أو كالقواطع

وديوان « على شاطىء الحياة » الذى يضم شعر الفترة (١٩٣٠ — ١٩٣٣) نرى فيه ما نراه على الشاطىء من تعدد المرئيات ، ونرى فيه أحاسيس الشاعر ومشاعره وهو قابع على الشاطىء يسجل ما يحس وما يرى .

يفتتن الشاعر بالربيع فيشدو به مغردا بجمال الطبيعة التى ازدانت بأبهى حللها (٢٠):

إن الربيع هو الحيا
ة اذا أصاب فتى سعوده
إن الربيع هو الجما
ل لشادنٍ قدماس عوده
يحيى القلوب وصالُه
ويكاد يقتلها صدوده

وعلى الشاطىء يتأمل الشاعر ذاته واختلاف حظوظ الحياة بها ، فتظلل نفسه سحابة عابسة واجمة وتكون هذه اللمحات الخاطفة (٢٥) :

نظمت الشعر رقّاف الحواشى
لنفسى لا لمكتسب النضار
قعدت به غريبا لا أبالى
بما فى الأرض من دار وجار
ولى صدر السماء فحين أبكى
على حظى أرصعها نجوما
ولى دنيا علىَ أوجَ المعالى
أعلّم أهلها النطق الحكيما

وديوان « اليخت الذهبى » يضم مجموعة من الشعر نشرت ١٩٣٦ ، وهى أول ما نشر مطبوعا من شعر الشاعر ، وفى هذه المجموعة قصيدة بنفس العنوان الذى صدر به الديوان ، وفيها يوضح الشاعر المقصود من هذا العنوان الرمزى ، مشيرا الى أحلام الشباب التى تحلق بهم فى أجواز الفضاء حاملة آمالهم وطموحهم وما يستمسكون به من مثل عليا (٣٤) .

وَثَبَ الشباب يجدد العصرا
وجماعة قد جددوا الشعرا
يبنون دنيا غير خاملة
لا تخفض الدنيا لها ذكرى
وطفت بحار الليل تملأهم
رعبا وتدفع جمعهم قسرا
فأتوا بيخت صيغ من ذهب
سرعان ما صعدوا به البدرا
قبلُ الهزيع رَسَوْا بشاطئه
ورأوا مدينة عاجه الكبرى

أما الغاية التى يرسو عندها اليخت الذهبى فهى أحداث التغيير فى الأيام وتجديد الآراء الحرة :

ويطوف من بلد الى بلد
ويغير الأيام والدهرا
لابد للانسان من مثل
متطلع يسمو به قدرا
والمرء لا يحيا بلا أمل
حتى يجدد رأيه الحرا
والمرء ينكر نفسه علنا
ان أنكر التجديد والعصرا
أيعيش فى يخت يطوف به
وحنينه للوحش والصحرا

والحنين الى الحرية يردده الشاعر فى قصيدة ثانية نرى فيها أيضا مثل هذا التطواف والتحليق (٤٥) :

حرِّرُونى كما تحرَّرَ شعرى
فلقد ضاق بالتقيد صدرى
واتركونى كما أشاء قليلا
فكفانى أنى أعيش لغيرى
أنا طير من جنة النور والأز
هار والنهر ذى الحصى الذهبىّ
أنا لَحْنٌ من الهوى والأمانى
بددته أوتار عود خفىّ
فاذا كان ذاك حالى فخلّو
نِى أَعِشْ فى الحياة كيف أشاءُ
أنا حر والموت حر ويبقى
الشِّعْرُ وتَهدى بنوره الأحياء

وديوان « فى عالم الملائكة » يحمل تاريخ ١٩٣٩ ، وفيه قصيدة تحت هـذا العنـوان ، يسجل فيها أن روح الشعر من هذا العـالم ، أو هو الأنشـودة التى يستوحيها الشـاعر من عالم روحى فيه النور والحـق والايمـان (٦٥) :

يقولون هذا الشعر من أى عالم ؟
فقلت لهم هـذا نشـيد الملائك
من الملأ الأعلى ومن شرفة السـما
ومن غرفة الأنـوار ذات الأرائك
يوقعه ناى من الخلـد سـاحر
قريب الى الأرواح دانى المسـالك
وينشـده فى سـاحة الحق شاعر
بنشـوة صـوفى وأيمـان ناسك
وليس من الدنيـا ولا من معينهـا
وإن يك لحنا عسـجدى السبائك

ويتطلع الشاعر الى صـاحبة يرضـاها وترضـاه ، فيتمنى أن يكـون لها من طهـر الأرواح ، وحنـان القلوب ، ما يجعلها على مثال الحوريات فى جنان الخلد (٧٣) :

وكل ما أتمنى اليـوم صـاحبة
كريمـة الروح أرضـاها وترضانى
اذا أراد زمانى أن يسـاورنى
تحنـو علىّ وتأسـو جرح أزمانى
يمر بى كـل يـوم طـائف غـرد
من وحيهـا فأناجيـه بألحـانى
أرى لهـا صـورة فى القلب خالدة
كالشمس تزهو بأضـواء وألوان
فمن تكـون ؟ أحقـا صنع عالمنا
أم تلك حـورية من عـالم ثانى ؟

وديوان « عطر وبارود » (١٩٤٣) يأتى جزء من عنوانه مشيرا الى فتـرة الحـرب العالميّة الثانية ، وقد سجل الشاعر خواطره نحو بعض مراحل هذه الحرب ، فقال مصورا الخسائر التى نزلت بالقـوى المتحاربة عند مشارف البلاد فى العلمين (١١٣) .

يا يـوم مطـروح جـزا
ك الخصم من فلـق مبين
غـادرت جنـد عدونـا
صرعى الفـلاة مطرحين
وكتـائب آريـة
لا تسـتفيق من الفتـون
وفيـالق روميـة
شتى هزائمهـا فنـون
سـبق الريـاح فـرارها
مـن وجـه طـالبها اللعين
فكـذاك أعـداء الحمـى
والحـرب مشـعلة الأتون
يتـرقب الـوادى وهـم
يتصـارعون ويُصرعـون

وديوان « على ربى الالهـام » (١٩٤٨) يحوى كثيرا من القصائد التى صاغها الشـاعر وسجل فيها خواطره نحو موضوعات تتصـل بالأماكن المقدسة فى مكة المكرمة وفى المدينـة المنورة ، وفى قصيدة بعنوان « حمام الحرم » مثال من هذه الخواطر التى امتـلأ بهـا قلب الشاعر فى رقة وخشـوع (١٣٧) .

أشـعاعٌ مجنح منشـور
ما أرى أم زبرجـد منثـور؟

أم جمـــوع من الملائك تترى
فيض إلهامها قـوى غـزير
أم طيوف الأحلام صيغت خيالا
لا ورب السماء هذى الطيور
ويح عينى .. لما أراه بعينى
إننى بالذى أرى لقرير
أحمام غدا يطوف بالبيت ؟
فلله حجه المبرور
آية الله فيه دين وتقوى
ومن الطير مؤمن وكفور

ويقف الشاعر أمام الغار الذى لجأ اليه النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته فيبعث فى نفسه هذه المشاعر التى تسترجع الماضى وأحداث السيرة العطرة (١٣٩) .

رأيت فى الصحراء فردًا مشى
لمطلَبٍ فى نفسه مفرد
لم يصطحب من أحد يهتدى
به اذا ضل بلا مرشد
يسرٍ من واد الى مثله
وفدْ فَدٍ يفضى الى فد فد
وقد تبدى جبل شاهق
فى الأفق خلف الوُهْدِ والأنجدُ
وكلما قرب منه نأى
لا ينتهى السير ولا يبتدى
حتى إذا أوفى على سفحه
روع من منظره الأرْبد
ومن ثبات الصخر فى أصله
على توالى عمره السرمدى

وفى الحرم النبوى تكون الرشفات الروحية التى تسعد القلب والروح (١٤٣) .

صليتَ فى حرم النبى
وسعيتَ فى العطر الشذى
ومشيتَ ميمون الخطا
فوق البساط الأحمدى
وهبطتَ فى نور اليقين
مدينة النور السنى
نتلو الكتاب وتعمر
المحراب بالقلب التقى
فإذا وقفت ببابه
فأطلتَ إيواء المطى
وإذا نزلت بروضه
ونعمت بالنفح الزكى
فانهض بشكر زيارة
هى منحة الحق الطى

وديوان « ثورة الشعر » (١٩٦٠) يضم قصائد سابقة على هذا التاريخ ، فيها ثورة على المحتل ، ودعوة الى اخراجه من البلاد ، ومن قصيدة بعنوان « اخرجوا من بلادنا » (١٦١) يقول الشاعر فى ثورة عارمة :

أخرجوا من بلادنا ودعونا
طفح الكيل أيها المعتدونا
كم شقينا بعهدكم فشكينا
وبكينا وأنتم تضحكونا
كم سمعنا من الوعود صنوفا
وبلونا من الخداع فنونا
لا تقولوا محررون كفانا
أنكم للبلاد مستعمرونا
لا تقولوا سننشر العدل فيكم
أى عدل وأنتم الظالمونا

ويتــابع الشاعر بيـــان المآسى التى حدثت بسبب الاحتـــلال ، ثم يطـــالب بالاسراع فى الجلاء عن البلاد حتى يخلص خيرها لأهلها :

الجــلاءَ الجــلاءَ إنجـــاز وعــد
شيبتنا أعـــوامُه الســـبعونا
أمــن النيــل دونننـــا تشربونـــا
ولخــيرات أرضـــنا تنهبـــونا
منــزل الحـــرِّ كم يعــز عليـــه
أن يـــراه بغـــيره مســـكُونا

وينزل الشاعر قضية السودان الشقيق منزلة قضية مصر ويطالب له بمثل ما يطالب به لها ، ومن قصيدة بعنوان « يوم السودان » ١٦٤ : يقول مؤكدا على المعانى التى تجمع القطرين :

لا فــرق بين مصرى وســودانى
همـــا وإن كــره العـــادى شقيقان
تســـقيهمـــا بنمير الحب مترعة
من خمــرة النيل تروى كل ظمآن
فرعـــان للنيـــل من بحر ومن جبل
من جنـــة الكوثر الأعلى يفيضـــان
يا أمة النيل لا أرضى الهــوان لكم
إن الهـــوان سبيـــل العاجز الوانى

وديوان « تحت لواء العروبة » (١٩٦٠) يضم قصـــائد من الشعر الوطنى والقـــومى الذى ألهمت به الأحداث التى مر بها الـــوطن العربى خاصة حرب فلسطين التى يقول عنها ١٧٧ — :

بكينـــا فى فلســـطين الشـــهيدا
وحين استنجدت تشــكو اليهودا
أســـلنا فى بواديهـــا الجنـــودا
لـــواءً مـــرَّ فى إثـــر اللـــواء
مضـــت فرســـاننا تغزو الأعـــادى
وتنـــزل بالحـــواضر والبـــوادى
وأصـــبح خافقـــا قلب البـــلاد
لموكبهم تجـــاوب بالدعـــاء

ومن قصيدة بعنوان العروبة (١٨٥) يسجل الشـــاعر مآثر الشرق العربى ، وما حظيت به أرضه من كونها مهبط الرســـالات :

الشرق ميـــلاد العقـــائد حـــافل
بهدى الســـماء ووحيها الفيـــداق
موسى برأس الطـــور يحمل لوحـــه
والليـــل فى الإرعـــاد والإبراق
ونـــداء عيسى رحمـــة ومحبـــة
هذا نبى الحـــب والإشـــفاق
ومحمد بحـــراء يعجـــز قـــوله
إلهـــام مســـتوَّج ورقيـــة راق
يسقى الورى بعد الضلالة بالهدى
ويفضُّ فعـــل الســـم بالتريـــاق
عـــالٍ يؤم الأنبيـــاء جبينـــه
بهـــر الوجـــود بنـــوره الألآق

وديوان « قصائد أفريقيـــة » — ١٩٦٢ — يضم قصـــائد يدور معظمها حول موضوعات أفريقية ، ومن هذه القصائد قصيدة بعنـــوان « طبول الحرب ٢٣٣ » يسجل فيها ثورة القارة على الغزاة المستعمرين مشيدا بهذه اليقظـــة التى سرت فى جســـد أبنائها :

لا تســـألى لحنـــا ولا موسيقى
دقت طبـــول الحـــرب فى أفريقا
فتجـــاويت أمم على بعـــد المدى
لتشـــق فى ركب الحيـــاة طريقا

فجْـرُ التحرر لاح منها فانظرى
لا تـذكرى الرومـان والإغريقا
لا تذكرى القرصـان فى رحـلاته
ليخـوض ضحلا أو يجـوز عميقا
اللص أبصره حمـاة ديـارهم
فتحلقـوا من حـوله تحليقـا
أخـذوه وهـو على موائد سـكره
فأفاق منــه ولم يكن ليفيقـا

وفى قصيدة بعنوان « الدار البيضاء ٢٣٦ » يسجل الشاعر أيضـا هذا البعث التحررى :

شـعوب أفريقيـا بالبعث تنتشر
والقـادة الأسـد الا أنهم بشر ؟
نداؤهم غضـبة التاريخ أم سَمَرٌ
وخاطر يبعث الأمجـاد أم خطر ؟

وديوان « أزهار السـلام » ١٩٦٨ يضـم قسمين : أولهما قصائد عاطفيـة ووجـدانية وثانيهما قصـائد إجتماعية ـ ومن الجـانب العاطفى يقول الشاعر من قصـيدة بعنـوان « ابتهال ٢٧٨ » :

يـارب حبك فى قلبى لـه سَـكَنٌ
رَطْبٌ مـددت عليه خُضْرَ أفيـاء
يارب وحيك أغلى حين أسـمعه
من كل أنشودة تسرى بأعضـائى
يارب هـديك يهدينى وإن خبطت
فى ظلمة الشك روحى خبط عشواء
يارب هب لى سرورا منك يبهجنـى
فى روضـة بزهور الحب غنـاء

وفى الجانب الاجتمـاعى يرثى الشـاعر الأستاذ العقاد فى حفل تأبينه فيقول من قصيدة بعنـوان « العقاد ٣٠٨ » :

نـزح العقـاد من بلـدته
وهـو من أيـامه فى المُقْتَبَـلْ
جـاء من أسـوان حـرا ثائرا
يطلب العلم شريفـا والعمـلْ
نـازح الأمس غـدا من يومـه
رائد الفـكر وعمـلاق الجَـدَلْ
السـياسى فـكم من مـوقف
صرع الخصـم وبالرأى قتل
والأديب الحـر كم من آيـة
من سـماء الفكر كالوحى نزل
عجبـًا عبـاسُ يطـويه الردى
مَنْ إذاً يبقى إذا الطود انتقل ؟

وديوان « الأزهار الجديدة ١٩٧١ » يضـم بعض القصـائد التى قيلت بعد حرب ١٩٦٧ ، وفيها نرى الدعوة الى الأخذ بالثأر والاتجاه الى الاعداد لهذا اليوم ، ومن قصـيدة بعنوان « الشعر والنضال ٣٢٣ » يقول الشاعر داعيـا الى العمل والاقلال من الكلام :

ليس بالشـعر وحـده نسـتقل
يارفاق فأكثـروا أو أقلـوا
أتظنـون أن للشـعر جيشا
سيزيل العـدوان والحربُ هَوْل
صـدقونى فقد صـدقت مقالى
ليس بالشـعر وحده نسـتقل

والى جانب ذلك نرى بعض حديث الشـاعر عن نفسـه وشعره من خلال قصيدة بعنـوان « قصتى مع الزمن » (٣٥) :

حيــاتى مع الأشعار تحكى حكايتى
ونكرى مع الأخبار يروى روايتى
ومــا أنا بالفذ الــذى فاق عصره
بعــلم ولا فى الشـــعر جاء بآية
حياتى وشــعرى جانبــان لفكرة
إذااجتمعا كانا إطــارا لصــورتى
وإنك لو حققت رســـمى لحظــة
رأيت همومى فى ابتسامى وضحكتى
يقل حديثى وهو قيــد لخــاطرى
ويكثر صمتى وهــو قدح لفكرتى

وديوان « فى طريق العودة ١٩٧٣ » يسجل الشاعر فيه خواطره بعد حرب العـــاشر من رمضــان ، مشيدا بالنصر الــذى تحقق على الأعداء وفى قصيدة بعنوان « هـــذه مصر » « ٣٥٦ » يقول الشاعر :

هذه مصر وهــى تبنى طــريف
العــز بعــد عزها المتقــادمُ
هــذه مصر فليســجل لها التا
ريخ ولتشهد القرى والعواصم
هذه مصر لم تحارب لنشر الظلم
لكنهــا تــرد المظــــالم
هــذه مصر دافعت عن فلسطين
صنوفا من العـــداة الأغاشم

وفى أول ذكرى تمر لهذه الحــرب يقــول الشاعر من قصيدة بعنــوان « صانع القرار ٣٥٨ » :

وكان اليوم من رمضــان صَحْوًا
ووجــه البــدر ما عــرف السِّرارا
وقــد صام العبــاد عن الدنايــا
وصــلّوا فرضهم ودعــوا جهــارا
وكــان الجيش يربض عن قــريب
ليعبــر نحــو غايتــه البحــــارا
هنــاك تلفّت التـــاريخ يُصــغى
الى الأنبـــاء تنتشر انتشـــارا
رأوا مصر الابيــه وهـــى تمضى
مُضِيَّ السـهم تنتصر انتصـــارا

وديوان « مع مبادرة السلام ١٩٧٧ » يسجل الشاعر فيه خواطره نحو الحرب والســلام ، ويشيد بعودة الأرض التى احتلها المعتــدون ومن قصيدة بعنوان « أفراح العريش ٤١٧ » يقول الشاعر مســجلا ابتهاجه وفرحته بعودة الأرض لأصحابها :

خــرج الشــعب رافعــا أعلامه
بالغنـــا من يــد الزمــان مرامه
هــاتفا للســـلام فى موكب النصر
معيــدا فى مجـــده أيـــامه
فرحــة بالعــريش عــادت لمصر
وجــلا الليــل عن رباها قتــامه
خرجت مصر يوم عــودة ســينا
ء فبــات الفســيح يشكو زحامه
لـــيُرَوِّى خضراء تنبت بالــدهن
وتجلــو عن الطــريق ظـــلامه

وديوان « شاطىء النهاية ١٩٧٩ نرى فيــه مجموعة من قصـــائد الرثاء الى جانب قصائد أخرى تمثل بعض ذكريات الشاعر الماضــية ، وعن ذكرياته فى جماعة أبولو يقول فى قصــيدة بعنوان « مفاجأة أبولو ٤٣٩ » داعيـــا الى اعادة تكوين الجماعة والمجلة :

جـــددى نضر إهـــابى
واقــرئى ســطر كتــابى

وابعثى ما فيه من ذكرى
لصـــبر وعــــذاب
وابــدئى مــن أول الرحلــة
ســـرْدًا للمـــآب
يا شـــباب الشعر هاتوا
انمــا الشـــعر الحيـــاةُ
عــاطر الأنفـــاس فيـــه
لمحـــات مشرقـــات

أما الديوان الأخير فهو بعنوان « فى رياض النبوة ١٩٨١ » وواضـح من العنـوان نوع ما يضمه من قصـائد ، وللشاعر فيه قصـيدة بعنوان « نهـج البردة ٤٦٧ » وهى قصـيدة وجدانية فيها روحانية ظاهرة ومما قاله :

لاحت لك القبة الخضراء فـاقترب
وَجُــدْ بدمـعٍ على الخدين منسربِ
واذكر عهودًا بهذا الحى قد سـلفت
بلغت فيهن مــا أملت مــن رغب
محمـد صفوة الدنيـا وبهجتهـا
وأشرف الخلـق فى علم وفى نسب
أخـــلاقه المثـل العليا لأمته
لما احتذوه فكـانوا أنجب النجب
هــذا نبى الهـدى أدى رسـالته
إلى العبـــاد وألقى أبلغ الخطب
ما بين منبـره الأسـنى وحجرته
روض من الخلد أو من ظله الرطب

وهى قصيدة طويلة ربما كانت أطول مـافى الديوان من القصـائد .

— ٣ —

وبعد . فهذه خلاصة من الخلاصة ، وثبنـا فيها وثبـا على صفحات الديوان ، وطوينـا أوراقــه طيا متتابعـا ونحــن نقف عند بعض الشواهد .

وقد وضح من خلال العرض أن الشــاعر صاغ الشعر فى مختلف الفنون والأغـراض ، وكان شعره متابعا أمينا لأحداث عصره عبـر نصف قرن من الزمان ، ظـل فيــه متــوهج العطاء ، عالى النغمة ، حاد العاطفة والوجدان .

والشاعر من جيل الشعراء المحافظين الذين يعنون ببنـاء العبارة بناء تختار فيه الكلمـة وتنسق فيه الجملة ، وينظمها البحـر المأثور الذى يؤلف بين هذا الشعر وبين نظـيره من شعر التراث خلال عمر الشعر العربى المتمثل فى فحول الشعراء قديما وحديثا .

نقرأ شعر الشاعر فنحس فيه قرب المعانى ودقتها ، كما نرى فيه عمق الثقافة وتنوعهـا التى تعكس عقلا قارئا فاهما وثيـق الصـلة بالتراث وبالثقافة الجديدة وغـير خـاف أن الشاعر حريص على الانتمـاء لماضيه وأنه لم تخدعه الدعوات الزائفة التى دارت حول الشعر وكان صموده فى الصياغة على النحـو الـذى جاء عليه ديوانه أبلغ رد على هـؤلاء الـذين لم يستطيعوا اقتحام ميدان الشعر العمودى فحاولوا أن يحطموا بناءه الشـامخ بمعـاول العجز والقصـور .

ثم يبقى بعد هذا العرض أن نشـير الى أن الديوان جدير بدراسة موضوعية فنية أشمل وأوسع من خــلال نظـرة فاحصة متأنية .

ولتيسير البحث نأمل أن يقوم الذين أشرفوا على النشر بصنع فهرس شامل لقصائد الديوان فى طبعتـه القـادمة — إن شـاء الله .

د. طه مصطفى أبو كريشة

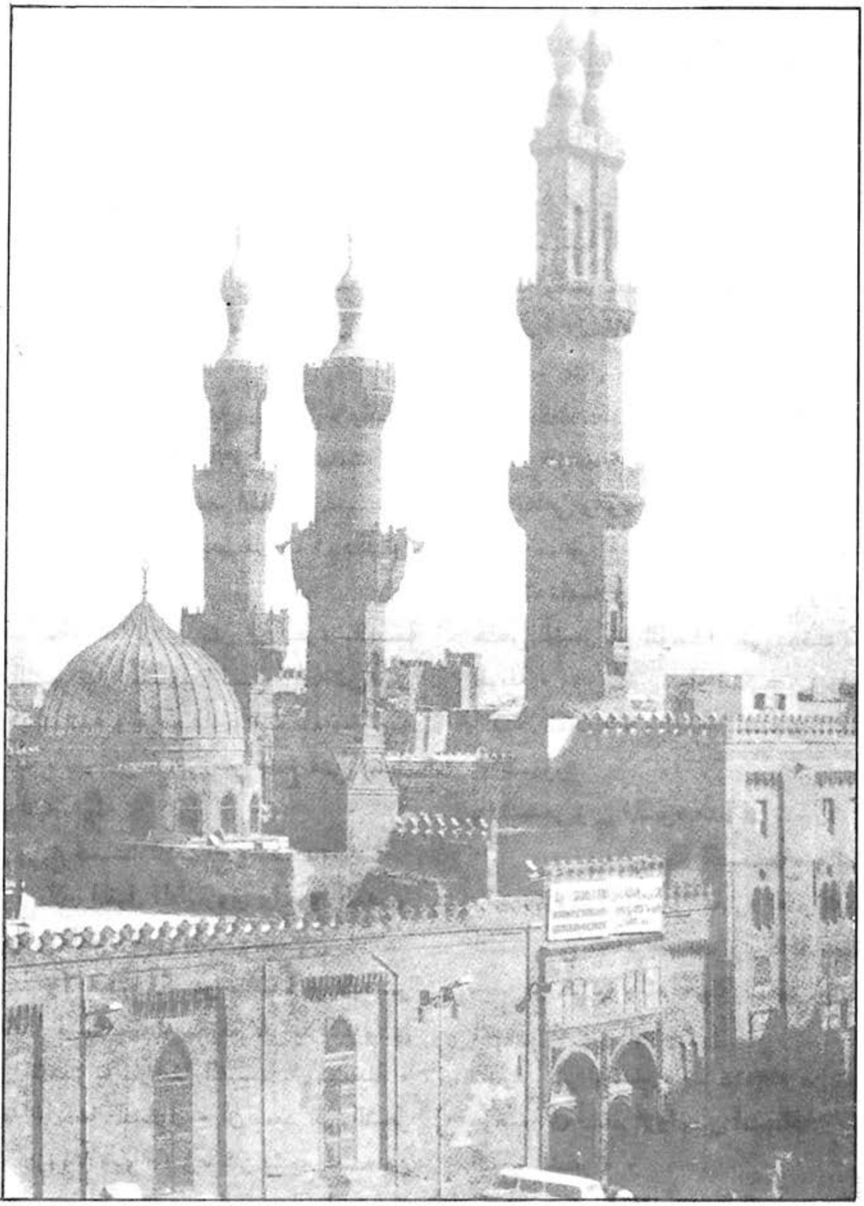

محمود سامي البارودي

يكاد يجمع النقاد على أن البارودى يعتبر علامة بارزة فى حركة البعث والتطور فى الشعر العربى الحديث . ذلك لأن الشعر قبل البارودى كان يتهالك ضعفا .

ركاكة فى اللفظ . وتفاهة فى المعنى . وضعف فى العبارة . وضيق فى الأفق . وتهافت على الزخرف والصنعة . وانصراف عن المعانى الشعرية الرائعة . واضطراب فى دائرة الأغراض الموروثة .

فلما جاء البارودى كان شعره بالنسبة لهذا الشعر تيارا جديدا ليس فيه شىء من جهد الصنعة . أو معاناة البديع وضروبه وألوانه . بل كان صادرا عن طبع فنى أصيل أشار اليه بقوله :

أقول بطبع لست أحتاج بعده
الى المنهل المطروق والمنهج الوعر
اذا جاش طبعى فاض بالدر منطقى
ولا عجب فالدر ينشأ فى البحر

ويبدأ الشعر مرحلة جديدة على يد البارودى الذى أتاحت له موهبته الفنية الأصيلة . وذوقه المهذب المصقول . أن يعيد الى الشعر العربى رونقه وبهاءه. وما كان يشيع فيه من نضرة وحياة . فارتفع به الى منزلة الفحول من الشعراء العباسيين . وأعاد اليه ديباجته القويةوفصاحة عبارته . ومتانة قوافيه . وخلصه من تلك القيود والأغلال التى كان يرسف فيها ابان عصور الضعف من حلى لفظية ومعنوية يختفى وراءهما المعنى الغث . والفكرة المبتذلة . وجدد فى كثير من أغراضه على غير مثال من سبقه من معاصريه . واستحدث نماذج لمن أتى بعده من الشعراء فى أبواب الوصف والشعر السياسى . والهجاء الاجتماعى والرثاء والمديح . وأظهر أن للشاعر رسالة سامية . وهى أن يعبر باخلاص عن خلجات نفسه وتجاربه فى وضوح وقوة . كما خلص الشعر من الوصمة التى لحقت به أمادا طويلة . وهو أنه وسيلة للتكسب . فترفع عن المديح الكاذب . والهجاء الشخصى وقال بيته المشهور :

والشعر زين المرء ما لم يكن
وسيلة للمدح والذام

والبارودى بمقياس عصره الذى تردى فيه الشعر الى حمأة الضعف والركاكة هو دون ريب أو خلاف رائد حركة التطور والبعث فى الشعر العربى الحديث .

وقد أقر له عصره بما قدم له من تجديد . فوضعه فى المقام الأول بين أدبائه . وجعله أشعر الشعراء .

وهذه المكانة المرموقة التى وصل اليها البارودى تدعونا الى التعرف على الظروف التى هيأته لهذا الدور العظيم الذى أداه بنجاح

وحركة التطور فى الشعر الحديث

للدكتور طه عبد الرحيم عبد البر

باهر منقطع النظير فى النهوض بالشعر والارتقاء به .

وقد ولد شاعرنا بمصر سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة وألف أفرنكية لأسرة جركسية تنتمى الى حكام مصر المماليك . وكان البارودى يعرف هذا النسب ويعتز به :

أنا من معشر كرام على الدهر
أفادوه عزة وصلاحا
عمروا الأرض مدة ثم زالوا
مثلما زالت القرون اجتياحا

وتيتم البارودى صغيرا وهو فى السابعة من عمره فحرم بذلك حنان الأبوة ورعايتها . وقد أشار الى ذلك بقوله :

لا فارس اليوم يحمى السرح بالوادى
طاح الردى بشهاب الحرب والنادى
مات الذى ترهب الأقران صولته
ويتقى بأسه الضرغامة العادى
مضى وخلفنى فى سن سابعة
لا يرهب الخصم ابراقى وأرعادى

وكفلته أمه . فقامت على تربيته خير قيام . وأحضرت له شان لداته وأترابه من ذوى النعمة واليسار المعلمين كى يؤدبوه ويلقنوه القرآن الكريم وشيئا من الفقه والتاريخ والحساب والشعر وحين بلغ الثانية عشرة من عمره التحق بالمدرسة الحربية مع أمثاله من الجراكسة والترك وأبناء الطبقة الحاكمة .

وتخرج البارودى فى المدرسة الحربية وهو فى السادسة عشرة من عمره فى عهد عباس الأول . وكان عباس من المعوقين للنهضة . فسرح معظم الجيش وأقفرت ميادين القتال من ألوية مصر . فلم يجد البارودى عملا وأبت عليه نفسه الطموح أن يركن الى الدعة . وأن يخلد للراحة فعكف على كتب الأقدمين يقرؤها بشغف ونهم . وكانت ملكة الشعر كامنة فى نفسه . فراعه من التراث الأدبى شعر الحماسة والفخر . ورأى فى هذا الأدب تصويرا للحياة كلها . حلوها ومرها . فازداد شغفه به وحرصه على حفظه وتدوينه . وتحركت نفسه لقول الشعر . فقلد فحول الشعراء فى أروع قصائدهم ونسج على منوالهم بعد أن ملك أداته اللغوية المعبرة وفى ذلك يقول :

تكلمت كالماضين قبلى بما جرت
به عادة الانسان أن يتكلما

فلا يعتمدنى بالاساءة غافل
فلابد لابن الأيك أن يترنما

محمود سامي البارودي

وقد أفادت عليه قراءته للشعر العربى • وحفظه الكثير منه تنمية لموهبته الموروثة • ورعاية لها • فتفجر ينبوع الشعر على لسانه • ومضى يشدو بأنغام تفيض قوة وحماسه وطموحا الى مجد لا حد له •

هو ما قلت فاحذرنها صباحا
غارة تملأ الفضاء رماحا
لا ترى بينها سوى عبقرى
يألف الطعن نجده وأرتياحا
لهج بالحروب لا يألف الخفض
ولا يصحب الفتاة الرداحا
مسعر للوغى أخو غدوات
تجعل الأرض مأتما وصياحا
لا يرى عاتبا على شيم الدهر
ولا عابثا ولا مزاحا
يفعل الفعلة التى تبهر الناس
وترنو لها العيون الطماحا

وظلت نغمة المجد تتردد على أسلة لسانه أنشودة حلوة فاذا هو يترنم فى مطلع حياته يمثل قوله :

سواى بتحنان الاغاريد يطرب
وغيرى باللذات يلهو ويعجب
وما أنا ممن تأسر الخمر لبه
ويملك سمعيه اليراع المثقب
ولكن أخوهم اذا ما ترجحت
به سورة نحو العلا راح يدأب
نفى النوم عن عينيه نفس أبية
لها بين أطراف الأسنة مطلب
ومن تكن العلياء همة نفسه
فكل الذى يلقاه فيها محبب
اذا أنا لم أعط المكارم حقها
فلا عزنى خال ولا ضمنى أب
خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة
على يدا أغضى لها حين يغضب

وكان من الطبيعى أن تضيق به مصر حيث لا عمل له •• فسافر الى الاستانة مقر الخلافة والتحق بوزارة الخارجية • وهناك تعلم التركية والفارسية وحفظ الكثير من أشعارهما • وكان مقامه بالاستانة نعمة على شاعريته الفذة •• فقد زادها خصبا على خصب •

وتمضى به الايام • ويفد الخديوى اسماعيل الى مقر الخلافة ليرفع الى السلطان العثمانى شكره على تنصيبه واليا على مصر •• ويتعرف الخديوى على البارودى ويلحقه بحاشيته •• ثم يعود معه الى مصر •• ليعين فى الحرس الخاص •• وفتحت أمامه أبواب الامل فى مستقبل باهر •• كى يحقق لنفسه ما يريد من أمجاد حربية وغير حربية •

ويرقى البارودى سريعا فى مناصب الجيش ثم تتاح الفرصة لابراز فروسيته وشجاعته حين يرسل اسماعيل حملة خاصة لمساعدة دولة الخلافة فى حربها مع ثوار جزيرة كريت عام ١٨٦٥ •• وكان البارودى أحد ضباطها العظام •

وتنشب ذات ليلة معركة عنيفة تدور فيها على أهل كريت الدوائر •• فيتغنى البارودى نشوة وطربا بالنصر •• ويصف وقائع المعركة وصفا جديدا على الشعر العربى الحديث فى ذلك الوقت •• وذلك فى قصيدته النونية التى يقول فيها :

أخـــذ الكرى بمعـاقد الأجفـــان
وهفا السرى بأعنـــة الفرســـان

والليل منشــور الذوائب ضـــارب
فوق المتـــالع والربى بجـــران
قوم أبى الشـــيطان الا خسرهم
فتســـللوا من طاعـــة السلطان
وضعوا السلاح الى الصباح وأقبلوا
يتكلمـــون بألســـن النـــيران
حتى اذا ما الصبح أسـفر وارتمت
عينـــاى بين ربى وبين مجـــان
فاذا الجبـال أسـنة واذا الوهاد
أعنـــة والمـاء أحمـر قـــانى

ويعود البارودى الى مصر يحمل وساما من الدولة العثمانية اعترافا بما أبداه من شـجاعة وفروسية •• ويلحقه اسماعيل ياورا بمعيته • ومكث نحو اثنتى عشرة سنة يعمل فى القصر • معتدا بنفسه •• معتزا بكرامته ويســتشعر بالقرب من اسماعيل مظالمه •• فعافت نفســه حياة القصر واتخذ من الوسائل ماجعله يردالى الجيش •

ولم يمض غير قليل حتى أعلنت روسيـــا الحرب على تركيا عام ١٨٧٨ ويرسل اسماعيل جيشا ليعاون الخليفة فى حربه مع عدوه ••• وسافر البارودى مع الحملة المصرية •• وأبلى فى المعارك بلاء حسنا •• فأنعم عليه برتبةاللواء وكان فى ميدان القتال والحرب التى خاضهـــا ولفحه هجيرها ما ألهب شاعريته •• فصـــور الحرب وعناءها فى قصيدته التى يقول فيها :

هو البين حتى لا ســـلام ولا رد
ولا نظـرة يقضى بها حقـــه الوجد
أدور بعينى لا أرى غـــير أمـــة
من الـــروس بالبلقـــان يخطئها العد

ويعود البارودى الى وطنه مرفوع الرأس • فيعين مديرا للشرقية فمحافظا للعاصمة •• ثم وزيرا للاوقاف فى وزارة شريف •• فـــوزيرا للحربية فى وزارة رياض •

ولما راى رياض نزعاته الشعبية • وصـلته بالوطنيين • دس عليه لدى توفيق فعـــزله • ودفعه ذلك الى اعتزال السياسة فتـــرة من الوقت فترك القاهرة وجوها القلـــق • وولى وجهه شطر ضيعة له فى المنصورة حيث آثـــر العزلة فى الريف وفى هذا يقول :

صبح مطـــير ونسمة عطـــرة
وأنفس للصـــبوح منتظـــرة
قدر بعينيك حيث شـــئت تجد
ملكا كبـــيرا وجنـــة خضرة
وخلنـــا من سياســـة درجت
بيـــن أناس قلـــوبهم وغـــرة
يقضـــون أيامهم عـــلى خطر
فبئس عقبى السياســـة الخطرة

وكان يرى فى رياض معولا هداما للحـــركة الوطنية • ولم يغفر له وشايته به لدى توفيق• فعرض به • وسخر منه • وهجاه هجاء مفذعا• وسقطت وزارة رياض تحت ضغط الوطنيين • وعاد البارودى وزيرا للحربية فى وزارة شريف بعد أن ترضاه « توفيق » ثم مالبث أن تولى رياسة الوزارة • وعين أحمد عرابى وزيـــرا للحربية فى وزارة البارودى •

وسارت وزارة البارودى فى طريق الاصلاح بخطى واسعة • ولكن انجلترا كانت تتربص بمصر الدوائر • فأخذت فى الدس والايقـــاع بين توفيق وحكومته حتى اتسعت هوة الخلاف

محمود سامى البارودى وحركة التطور فى الشعر الحديث

بينهما • وتنادى كثـيرون بوجوب خلـع الخـديوى •

وتحتدم الثورة فى نفس البـارودى • ومايلبث أن يصيح بتوفيق فى جرأة وشـجاعة لا نعهدها فى شاعر من شعراء عصره :

عدادك فى سـلك البـرية خـزية
ودعواك حـق الملك أدهى وأعظم

لقد هانت الدنيا على الناس عندما
رأوك بها فى ملك يوسـف تحكم
فان تك أولئـك المقـادير حكمها
فقد حـازها من قبـل عبد مزنم
وشتان عبد بالمحجـة ناطـق
وحر اذا ناقشته القـول أغتم

وتوثقت صلة البارودى بالشعب • ولـم يعد خالصا لنفسه • فقد أصبح لسان أمتـه المعبر عن آلامها وآمالها •

وكان هذا تطورا هاما فى الشعر العـربى الحديث • اذ تحول به البارودى من المشاعر الذاتية الفردية الى مشاعر الشعب الوطنيـة والسياسية والاجتماعية •

وبذلك كان أول من فتح أمام الشـعراء المعاصرين أبواب الشعر الاجتماعى والسياسى والوطنى • وتلك يد للبارودى على من سـواه من شعرائنا المحدثين •

وثار الجيش على العرش • ووهب البارودى الثورة حبات قلبه وروحه وماله • ينشـد الأشعار يلهب بها المشاعر ويقوى العـزائم ويثير النفوس الخائرة • ويدفعها الى الاقدام والتضحية •

فياقـوم هبـوا انما العمر فرصة
وفى الدهر طرق جمـة ومنافـع
أصبرا على مس الهـوان وأنتم
عـديد الحصى انى الى الله راجع
وكيف ترون الذل دار اقامـة
وذلك فضل الله فى الأرض واسع
أرى أرؤسـا قد أينعت لحصادها
فأين ولا أين السـيوف القواطع
فكونوا حصيدا خامدين أو ادفعوا
الى الحرب حتى يدفع الضيم دافع

ويصور بشعره فساد الحكم فى مصر وعبثهم بمصالح الأمة ومقدراتها وذلك فى قوله :

قامت به من رجـال السـوء طائفـة
أو هى على النفس من بؤس على شكل
من كل وغـد يكاد الدسـت يدفعـه
بغضـا ويلفظه الديـوان من ملل
ذلت بهم مصر بعد العـز واضطربت
قواعـد الملك حتى ظـل فى خلـل
وأصبحت دولـة الفسـطاط خاضـعة
بعـد الابـاء وكانت زهـرة الـدول

وتنتكس الثورة نتيجة للخيانة والغـدر • ويقبض على زعمائها ومن بينهم البارودى • ويحكم عليه بالنفى المؤبد • ومصادرة أملاكه وتجريده من رتبه وألقابه • وينتـزع من أحضان أمته وأسرته • فلا تهن نفسه ولاتضعف بل يظل صامدا للمحنة •

وفى طريقه الى منفاه بسرنديب • لاتفارقه عظمته • ويردد شعرا خالدا يصور فيه ارتفاعه عما أصابه من ضيم وما أناخ به من ظلم •

أنا إن عشت لست أعدم قــــوتا
واذا مت لســت أعــدم قبــرا
همتى همـــــة الملـــــوك ونفسى
نفس حــر تــرى المــذلة كفــرا

وفى المنفى أخذ يرسل قصائد ملتهبة ينـــدد فيها بظلم الحكام فى مصر وعلى رأسهم توفيق • ويدعو الشعب الى ثورة تعصـــف بحــكامه المستبدين به •

ولنستمع الى هذه الكلمات التى كان يخشى بأسها على البعد حكام مصر :

أبى الدهــر الا أن يســـود وضيعه
ويملك أعنـــاق المطــالب وغــــده
تــداعت لدرك الثـــأر فينا سـعالة
ونامت عــلى طــول الوتيرة أســده

فحتام تسرى فى دياجــير محنـــة
يضيق بها عــن صحبة السيف غمده
إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت
عليه فلا يأســف اذا ضــاع مجــده
وأقتــل داء رؤية العيـــن ظــالما
يسىء ويتلى فى المحافــل حمـــده
عــلام يعيش المــرء فى الدهر خاملا
أيفــرح فى الدنيــا بيــوم يعــــده
يرى الضيم يغشــــاه فيلتذ وقعه
كذى جــرب يلتــذ بالحك جلـــده
عفاء عــلى الدنيــا اذا المرء لم يعش
بهــا بطــلا يحمى الحقيقة شـــده

وبقى له اعتداده بنفسه • واعتزازه بكرامته واحساسه ببعد همته ومن ثم تتابعت قصائده يتغنى فيها بأمجاده العسكرية • ومواقفـــه السياسية • ويمتدح صراحته وشجاعته •

أنا لا أقــر عــلى القبيح مهابة
ان القــرار على القبيح نفـــاق
قلبى عــلى ثقة ونفسى حـــرة
تأبى الــدنى وصــــارمى ذلاق
فعلام يخشى المــرء فرقة روحــه
أو ليس عاقبــة الحيــاة فــراق
لا خير فى عيش الجبــان يحوطه
من جانبيه الــــذل والامــــلاق
عابــوا عــــلى حميتى ونكايتى
والنـــار ليس يعيبها الإحــراق

ويأسى لقلة الاصــــدقاء • وندرة الوفاء • وعنت الزمان فيقول :

أنا فى زمـــان غــادر ومعــاشر
يتلونــون تلـــون الحــــرباء
أعــداء غيب ليس يســلم صاحب
منهم وإخــوة محضر ورخـــاء
أقبــح بهم قوما بلــوت إخاءهم
فبــــلوت أقبح ذمــــة وإخــاء

وأشــد مايلقى الفتى فى دهـــره
فقــــد الكــرام وصحبة اللؤماء

وزاده النفى حبا لوطنه • وتعلقـــا به • وترديدا لمحاسنه • يتمثله على البعد جنة دانية القطوف • عبقة الشذى • متأرجة العبـــير • ويحن الى مراتع لهوه • وملاعب صباه •

لبيك يا داعى الأشــواق من داعى
أسمعت قلبى وان أخطأت أسماعى
مرنى بما شئت أبلغ كل ماوصــلت
يــدى اليه فانى ســامع واعى

محمود سامي البارودي وحركة التطور في الشعر الحديث

ياحبذا جـــرعة من مـــاء محنية
وضجعة فــوق برد الرمل بالقاع
ونسمة كشميم الخلد قــد حملت
ريا الأزاهــير من ميث وأجــراع

وانبجس فى نفسه حنين لاينضب معينه الى وطنه وأهله . ويشعر بمرارة البعد . وقسوة الغربة . وعذاب الوحدة . ومحنة الضياع . فينشد قائلا :

هـــل من طبيب لداء الحب أوراقى
يشفى عليــلا أخا حـــزن وايراق
قد كان أبقى الهـوى من مهجتى رمقا
حتى جرى البين فاستولى على الباقى
حزن برانى وأشــواق رعت كبــدى
ياويح نفسى من حــزن وأشــواقى
أكلــف النفس صــبرا وهى جازعــة
والصبر فى الحب أعيا كــل مشــتاق

وتعاوده الذكرى . ذكرى أيام الصفاء التى كان يرشف رحيقها قبل اضطرام الثـــورة العرابية . وقبل النفى والتشريد . ويهفو بـــه الحنين الى الوطن . وتضطرم فى قلبه نـــيران شوق لا تنطفىء .

فيهتف قائلا :

ياروضة النيــل لامســـتك بائقة
ولا عدتك ســماء ذات اغـــداق
ولا برحت من الأوراق فى حلـــل
من سندس عبقــرى الوشى براق
يا حبــذا نسم من جـــوها عهـــو
يسرى على جدول بالمــاء دفـــاق
بل حبــذا دوحة تدعو الهديل بها
عند الصـــباح قمـــارى باطواق

أين أيــام لذتى وشــــــبابى
أتراها تعــود بعـــد الذهــاب
ذاك عهـــد مضى وأبعــد شىء
أن يــرد الزمــان عهــد التصابى
لم تـــدع صـــولة الحوادث منى
غير أشلاء همـــة فى ثيـــــاب
فجعتنى بوالــــــدى وأهـــلى
ثـــم أنحت تكـــــر فى أترابى
كل يـــــوم يــزول عنى حبيب
ياالقــلبى من فــرقة الأحبــاب
أين منى حســـين بــــــل أين
عبد الله رب الكمــــال والآداب

مرعى جيادى ومأوى جيرتى وحمى
قومى ومنبت آدابى وأعـــراقى

وما من شك فى أن البارودى يروعنا بهـــذا التنويع الواسع فى تصوير حنينه الى وطنه . وانه ليرفعه الى الذروة من شعراء العربيـــــة قدامى ومحدثين .

وتمضى به السنون متباطئة ثقيلة . ويحمل اليه البريد فيمــا يحمــل نعى بعض أهــله وأصحابه . فيجزع جزعا شديدا . ويصـــور أساه ولوعته فى مراث حزينة باكية .

ومن ذلك قصيدته التى يرثى فيها صـــديقيه الشيخ حسين المرصفى وعبد الله فكرى .

ثم يفجؤه على حين غـــرة نعى زوجتـــه . فيعتصره الألم . ويعصف به الحزن . فان التى كانت تنشر أجنحتها على فلذات كبـــده قـــد صوح عودها . وينظم فى رثائها قصـــيدة .

يعدها نقاد الأدب من عيون قصائد الرثاء فى أدبنا العربى الحديث • وفيها يقول :

يادهر فيـــم فجعتنى بحليلـة
كانت خلاصـة عـدتى وعتادى
ان كنت لـم ترحم ضناى لبعدها
أفــلا رحمت من الأسى أولادى
أفردتهن فــلم ينمن توجعـا
قرحى العيـون رواجف الأكباد
ألقين در عقـــودهن وصغن من
در الدمـــوع قـلائد الأجيـاد
يبكين من ولــه فـراق حفيـة
كانت لهـن كثـيرة الاسـعاد
ولهن عليـــك مصـاحب لمسيرتى
والدمع فيــك ملازم لوسـادى

وتتكاثر عليه الخطوب والمحن • فيتجه الى ربه • ويلجأ اليه داعيا مبتهلا يسأله أن يحل وثاقه • ويفك أسره • ويعيده الى وطنه :

سل مالك الملك فهو الآمـر النـاهى
ولا تخـــف عـاديا فالحـــكم لله
يارب قد طـال بى شوقى الى وطنى
فاحلل وثاقى وألحقنى بأشـــباهى
وامنن عـلى بفضـل منك يعصمنى
من كل سـوء فإننى عاجـــز واهى

ويردد البارودى هذه النغمة كثيرا فى شعره وقد أضاف اليها نغمات شجية فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم • لعل أروعها تلك التى يقول فيها :

هو النبى الـذى لـولا هـــدايته
لكان أعـلم من فى الارض كالهمج
هاجت بذكراه نفسى فاكتسـت ولها
وأى صـــب بذكر الشوق لم يهج
يارب بالمصطفى هب لى وان عظمت
جـرائمى رحمـة تغنى عـن الحجج
ولا تكلنى الى نفسى فـــان يـدى
مغـلولة وصـباحى غـير منبلـج
مالى سـواك وأنت المسـتعان اذا
ضاق ازحــام غداة الموقف الحرج

وتكثر الحكمة فى شعره • وتبدو واضـحة فى ثنايا قصيده • وهى تأتى طبعية دون تكلف أو تعمل •

ومما لاشك فيه أن أحداث حياته التى مرت به • وما تقلب فيه من أعطاف النعيم • وماذاقه من آلام النفى • وما اختلف عليه من عـوامل النجاح والفشل • كل ذلك جعل حيـاته غنية بالتجارب • ومن ثم أتاح لشعره أن يزخر بهاء وتلك آية التجديد فى شعره • فقد جعل حياته وفنه شيئا واحدا وكان شعره تعبـيرا عــن شخصيته •

وتمتد به الاقامة فى منفاه حتى بلغت سبعة عشر عاما • وأورثه طول النفى السقام والعلل حتى كف بصره • وضعف سمعه • ووهن جسمه وصار كما عبر عن نفسه :

كيــف لا أنـدب الشـباب وقـد
أصـبحت كهلا فى محنة واغتـراب
أخـلق الشـيب جـدتى وكسـانى
خلعـة منـــه رثة الجلبـــاب
ولـوى شـعر حاجبى عـلى عينىّ
حتـــى أطـــل كالهـــداب

محمود سامي البارودي

لا أرى الشيء حين يسنح
إلا كخيال كأنني في ضباب
واذا مادعيت حرت كأني
أسمع الصوت من وراء حجاب
كلما رمت نهضة أقعدتني
ونية لا تقلها أعصابي
لم تدع صولة الحوادث مني
غير أشلاءهمة في ثياب

وابتدأ الفناء يدب اليه • وحين آمنوا جانبه أصدروا أمرا بالعفو عنه • وعاد البلبل الى روضته الغناء في مايو عام ١٩٠٠ • وما كادت قدماه تلامسان أرض الوطن • حتى غلبه حنينه وانسكبت دموعه • وانطلقت شاعريته بأنغام عذبة :

أبابل مرأى العين أم هذه مصر
فإني أرى فيها عيونا هي السحر
رضيت من الدنيا بحبك عالما
بأن جنوني في هواك هو الفخر
وكيف أسوم القلب صبرا على الهوى
ولم يبق لي في الحب قلب ولا صبر

وتستقبل مصر شاعرها الكبير بالحفاوة والترحاب • وتضم ابنها البار الى صدرها حانية عليه • وتصبح داره ندوة أدبية يرتادها الادباء والشعراء فيأنسون به • ويأنس بهم• ويعكف خلال هذه الفترة على مراجعة ديوانه وتدوين مختاراته •

وأحس بالموت يقترب منه • فلم يشأ أن يخلف دنياه دون أن يؤرخ ذات نفسه :

أنا مصدر الكلم الفوادي
بين الحواضر والبوادي
أنا فارس أنا شاعر
في كل ملحمة ونادي
فاذا ركبت فانني
زيد الفوارس في الجلاد
واذا نطقت فانني
قس بن ساعدة الايادي

وفي الثالث عشر من ديسمبر عام ١٩٠٤ كانت خاتمة المطاف • فسكت البلبل عن الشدو وانطفأت هذه الشعلة المتأججة • وخبا ذلك السراج الوهاج • وخرجت مصر تشيع شاعرها المغوار الى مقره الاخير • وفي النفس حزن وأسى • وفي القلب حسرة والتياع • وكان الشرق يطوي صدره على جرح غائر عميق وهو يودع عبقرية فذة عاشت من أجله • وأحس العالم العربي يومئذ بالفراغ الذي خلفه البارودي في عالم الشعر والأدب •

وحسبه مفخرة أنه أعاد لنا بشعره صورة أمجادنا الشعرية التي كادت تندثر فبعثها في واقعنا • ووصل بها حاضرنا بماضينا • وهو من أجل ذلك جدير بأن يتسنم ذروة المجد الأدبي • وأن يذكر في تاريخ الأدب العربي بين الخالدين ••

دكتور : طه عبد الرحيم عبد البر

جولة بالمتحف الإسلامي

كانت زيارة متحف الفن الاسلامى جزءا من برنامج علماء المسلمين الذين شاركوا في احتفالات الأزهر الشريف بعيده الألفى . لذا كان لابد أن نعرف أشياء مجهولة عن هذا المتحف ودوره والغرض من انشائه ، وعن محتويات المتحف من النفائس وكيف تم تجميعها ؟

عديد من التساؤلات تبحث عن اجابة ، وكان الأستاذ عبد الرءوف على يوسف مدير عام متحف الفنون الاسلامية خير من يجيبنا ويزود القراء بخطوط المعرفة لهذا المتحف ، فكان بيننا هذا الحوار :

تحقيق محمد فتحى محمد

نود من سيادتك ان تعطينا نبذة تاريخية عن المتحف والغرض من انشائه ؟

انشيء هذا المتحف بمقتضي مرسوم من الخديوي توفيق باشا صدر عام ١٨٨١ م وينص علي ضرورة جمع الاثار المتخلفة من

جـــولة بالمتحـــف الإســـلامى

عبد الرءوف علي يوسف
مدير المتحف الاسلامي

المباني الأثرية الاسلامية وحفظها في رواق القبلة بجامع الحاكم بامر الله المجاور لباب الفتوح شمال القاهرة الفاطمية ، وبدأ المتحف بذلك عمله تحت اسم « دار الاثار العربية » ثم حفظت القطع الصغيرة في مبنى خاص في صحن جامع الحاكم بامر الله ، ومع تزايد قطع الاثار الاسلامية التي جمعت بدأت تظهر الفكرة في اقامة مبنى خاص كبير للمتحف وكان هذا المبنى الحالي . وخصص الطابق الأسفل « لدار الاثار العربية » والدور العلوي « لدار الكتب الخديوية » كما كان يسمى في ذلك العصر وقد افتتح المتحف في ٢٨ ديسمبر عام ١٩٠٣ في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني .

لكن كيف تم تجميع التحف والنفائس التي توجد بالمتحف .. وماهو العدد التقريبي لها . نريد بعض المعلومات في هذا الصدد ؟

ـ كان اهم مصدر لجمع التحف غير الاثار القائمة التي سبقت الاشارة اليها هو اجراء حفائر اثرية في أماكن العواصم العربية التاريخية في مصر : فتمت مثلا الحفائر في الفسطاط . والعسكر . والقطائع . وقام بهذه الحفائر علي بك بهجت ـ وهو أول مدير مصري للمتحف ـ وقد زودت هذه الحفائر المتحف بالاف القطع الاثرية من مختلف المواد . ويعتبر متحف الفن الاسلامي الذي يحمل هذا الاسم منذ عام ١٩٥١ بدلا من دار الاثار العربية من اكبر متاحف الآثار الاسلامية في العالم قاطبة ويمتاز بما يضمه من مجموعات فريدة ليست من مصر فقط بل من بلاد عديدة من انحاء العالم الاسلامي .

وقد كان المتحف عند افتتاحه يضم نحو سبعة الاف قطعة اثرية بينما يضم الان أكثر من ٨٣ الف قطعة اثرية من الخزف والفخار

والعاج والاحجار والرخام والمخطوطات والعملات والاوزان والمكاييل وغيرها .. ومن ثم قامت الحاجة منذ فترة طويلة للحصول علي المبني باكمله .

هل مازال البحث عن الاثار الاسلامية مستمر . وما الجديد من التحف والنفائس التي تم تزويد المتحف بها ؟

ـ بالفعل مازال البحث جاريا عن الاثار الاسلامية ولست ابالغ اذا ماقلت أن مايوجد بالمتحف قليل جدا ازاء ما نتوقعه ، لأن الحضارة الاسلامية غنية جدا بأمجادها .. ومما لاشك فيه أن هناك الكثير من التحف مازالت مطمورة سواء في مصر أو العالم الاسلامي . وأحدث ماوصل الينا منها قدر كبيرة لها بمقبضان من الخزف من نوع القدور المسماة بالقدور الحمراء من غرناطة بالاندلس ، ويوجد تاريخها الي القرن الثامن الهجري ، ووصل الينا من المعادن ابريق من البرونز ينتسب لعهد الخليفة مروان اخر خلفاء بني أمية ، ومنضدة من النحاس المطلي بالفضة باسم الناصر محمد ابن قلاون ، ومن الخزف مجموعة من أطباق العهد الفاطمي ذات بريق معدني عليها رسوم ادمية منها صياد الباز ـ التحطيب ـ السيدة وتابعاتها ـ عازف العود ، وكلها تصور الحياة الاجتماعية في ذلك العصر ، ومن الزجاج ١٧ مشكاة من جامع السلطان حسن وهي من الزجاج المزخرف بالألوان والتذهيب .

الي مجموعة من النسيج الفاطمي من الحرير والكتان باسم الخلفاء الفاطميين : المعز . والمعتز ، والحاكم بأمر الله ، والمنتصر بالله ، ويوجد أيضا مجموعة من النسيج ترجع الي لعصر المماليك ، وهي بأسماء سلاطين منهم الأشرف خليل بن قلاوون فاتح عكا ـ اخر معقل للصليبيين في الشام ـ والناصر محمد بن قلاوون .

جـولة بالمتحـف الإسـلامى

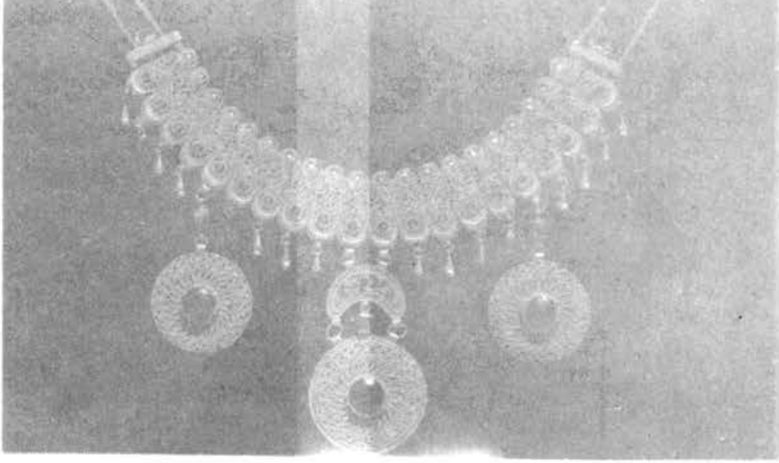

ومن المخطوطات مصحف كريم مكتوب بالخط الكوفي علي الرق (جلد الغزال ويرجع للقرن الثاني الهجري .

ومن العملات أول دينار اسلامي يعود تاريخ اصداره الي عام ٧٧ هجرية في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مراون .

ما التطوير الذي ترجوه سيادتك للمتحف في المرحلة القادمة ؟

ـ توجد بالفعل عملية كبيرة تشمل المبنى باكمله وذلك بعد انتقال المكتبة المركزية لمبنى هيئة الكتاب الكائن بـ « كورنيش النيل » ولقد أنشأت حديقة أثرية بجوار مبني المتحف بها عناصر معمارية لأنواع الأعمدة لاسلامية ، وتحتوي أيضا على باب يرجع الي العصر المملوكي وباب اخر من ايران يرجع للعصر الصفوى في القرن الثامن عشر الميلادي ، وأزيار رخام علي حاملات للازهار وتتوسط الحديقة نافورة من الفسيفساء الرخامية من العصر التركي وأربعة ألواح من الرخام عليها رسوم طواويس وأسود وكلب صغير يمسك غزالا ورسوم لأشجار مورقة ، واسماك ، وترجع للعصر الفاطمي .

وأستطيع أن أقول : أن المتحف بدأ يمارس الان نشاطه في الاشعاع الثقافي للفن الاسلامي لخدمة زواره والمترددين عليه علي مختلف مستوياتهم : من الطلاب والمتخصصين والدارسين والزوار العاديين ايضا .

كذلك يعرض المتحف برنامجا « بالفيديو » ثلاث مرات في اليوم لمدة ٥٠ دقيقة عن مجموعات المتحف مع ربطها بالعمائر الاسلامية بالقاهرة وغيرها من العواصم الاسلامية فى اسلوب سهل مبسط للتعريف بالفن الاسلامى .

ونأمل في استمرار وتطوير العمل العلمى بالمتحف للوصول به الي المستوي العالمي للدول المتقدمة .

محمد فتحي أحمد

أنباء العالم الاسلامى

معهد إسلامى فى اليابان

افتتحت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية فرعا لها باليابان أطلق عليه اسم « المعهد العربى الاسلامى »

وقد أنشىء هذا المعهد ليلبى الاحتياجات الدينية والثقافية للمسلمين المقيمين فى طوكيو .. وليتيح لعامة اليابانيين معرفة الاسلام ويمدهم بالتوجيه عن طريق تعيين الدعاة بالمراكز والجمعيات الاسلامية .

مركز إسلامى بطوكيو

افتتح مؤخرا بطوكيو المركز الاسلامى اليابانى وهو عبارة عن هيئة مستقلة للدعوة الاسلامية ذات شخصية اعتبارية ، والهدف منه : نشر الدين الاسلامى باليابان بكافة الوسائل المتاحة . وقد تمكن المركز من نشر عدد من الكتب الاسلامية الهامة .

والمركزالاسلامى بطوكيو يصدر مجلة باسم « مجلة السلام » ربع سنوية وتعتبر لسان المركز تصدر بانتظام وتوزع مجانا ويهتم المركز بتنظيم ندوات ، وعقد مؤتمرات في فروع العلوم الاسلامية المختلفة .

إفتتاح أول مسجد فى أثينا

• تم افتتاح اول مسجد في اثينا عاصمة اليونان والمسجد يعتبر تحفة فنية رائعة صممه المهندس المصرى صلاح جوهر .

أدى صلاة الجمعة بالمسجد اعضاء الجالية الاسلامية وعدد كبير من المسلمين .

ويبلغ عدد المسلمين فى أثينا عشرين الف مسلم ويتركزون فى المناطق الشمالية .

راهب يعتنق الاسلام فى تنزانيا .

أعلن الراهب النصرانى « كامبو كالونى » أحد المبشرين بالكنيسة الرومانية في تنزانيا اعتناقه للدين الاسلامى . أطلق على نفسه اسم : « عباس كامبو » وأصدر كتابا باللغة السواحلية عنوانه : « لماذا اعتنقت الاسلام » حيث قدم الاسلام الى النصرانية في صورته الأصلية ، وأشار في كتابه الى مواضع الضعف في معتقدات الرهبان والمبشرين .

أنباء العالم الإسلامي

تحصيل العشور في باكستان

بدأت الحكومة الباكستانية بجمع العشور من المزارعين في اطار خطة الحكومة لتطبيق الشريعة الاسلامية . وكانت لجان الزكاة المنتشرة في كافة البلاد قد بدأت في وضع التقديرات الخاصة بالعشور على كل مزارع وتتوقع الدوائر المسئولة أن تكون حصيلة العشور ٤٨٠ مليون دولار توزع على المستحقين حسب مصارف الزكاة .

قلق السوفييت لانتشار الإسلام

حذرت صحيفة « كومسمو لبسكابا برافدا » الناطقة باسم منظمة الشباب السوفيتية من انتشار الايمان بالدين الاسلامى بين شباب الجمهوريات السوفييتية الاسلامية في جنوب الاتحاد السوفييتى . وقالت الصحيفة ان اتجاه الشباب في هذه الجمهوريات الى الدين الاسلامى بدأ يثير قلق المسئولين الشيوعيين هناك .

وقال تقرير للصحيفة كتبه البروفيسور أبابا سوليمبابيف استاذ الفلسفة الماركسية ان المنظمات الاسلامية في جمهوريات الجنوب اكتسبت خبرة كبيرة وبدأت تجتذب أعدادا كبيرة من الشباب المتعلم تعليما عاليا بالاضافة الى المؤمنين التقليديين .

منهج لنوابغ العلماء المسلمين

قررت المؤسسة الاسلامية للعلوم « والتقنية » بجدة تخصيص منح لنوابغ المسلمين في العلوم والتقنية ، وسوف تعطى هذه المنح للعلماء المسلمين الذين قاموا ببحوث علمية على مستوى رفيع في هذه الشئون

التعاون العلمى والتكنولوجى الإسلامى

ناقشت اللجنة الدائمة للتعاون العلمى والتقنى لتابعة لمنظمة المؤتمر بباكستان حاجة الدول الاسلامية الى العلوم الحديثة ، والاعتماد في ذلك على أبناء المسلمين لتحقيق الامال في ابراز ملامح الشخصية الاسلامية .. ولتتحقق الجهود المرتقبة لتنمية التعاون الطبى « والتقنى » بين الدول الاسلامية لاعبادة الأمة الاسلامية الى موضع الصدارة والاشعاع .

مجلة كلية أصول الدين بالمنوفية

أصدرت كلية اصول الدين فرع جامعة الازهر بالمنوفية مجلتها السنوية « حولية كلية اصول الدين » وتضم الابحاث والدراسات التى تعالج قضايا الفكر الاسلامى والعقيدة والفلسفة والتفسير والحديث . يشرف على المجلة الدكتور مصلح بيومى عميد الكلية ، ويراس التحرير احمد عبد الرحيم السايح المدرس بكلية أصول الدين .

إعداد : أحمد عبدالرحيم السايح

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

● **الافتتاحية**
للدكتور / على الخطيب ١٣٧١

بحـوث المؤتمر التاسـع

● **أعمال الفترة الثانية**
للاستاذ محمد امين البدرى ١٣٧٤
● **نقل الأعضاء من انسان لآخر**
لفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق ١٣٧٥
● **الطب الاسلامى**
للأستاذ الدكتور على مطاوع ١٢٨٥
● **الازهر وعنايته بقدسية القرآن وتيسير تفسيره**
لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير ١٤١٠
● **التلقيح الصناعى لتوالد الانسان والاجهاض**
لفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق ١٤٢٩
● **منهج الاسلام فى علاج المشاكل الاجتماعية**
لفضيلة الشيخ عطية صقر ١٤٥١
قرارات وتوصيات الفترة الثانية ١٤٦٠

مـع القرآن والتشريع والسنة

● **مع آيات الله فى كتاب الله**
للدكتور محمد محمد خليفة ١٤٦٤
● **من نفحات السنة المباركة**
للدكتور محمد محمود شعبان ١٤٧١
● **عقد الزواج**
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ١٤٧٨

مـع الفكـر الغربى

● **الترجمة الانجليزية للقرآن الكريم**
للاستاذ سليمان بركات ١٤٨٤
● **من مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى**
للدكتور محمود عبد المعطى بركات ١٤٩٠

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

الشـــعر

● المكفوف
للدكتــور حســـن جـــاد ١٤٩٦

من التـــراث

● من نوادر مخطوطات مكتبة الآزهر
للاستاذ / محمد عميره عـلى ١٤٩٩
● مجلة الآزهر من خمسين عاما
عرض وتقديم احمد حسن جـابر رجب ١٥٠١

من أعـــلام الأزهر

● من أعلام الآزهر الامام الحجة الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى ١٥١٠
● رحم الله الدكتور محمد سعاد جلال
للدكتور محمـد عبد المنعم خفاجى ١٥٢٠
● الفتاوى
للاســـتاذ عبد الحميـد شـاهين ١٥٢٢

فى اللغـــة والأدب والنقـــد

● بين التهذيب واللسان
للدكتور محمـد عبد الحفيظ العريان ١٥٢٥

مدارســـنا الأدبية

● مدرسةالبعث
للدكتور محمـد عبد المنعم خفاجى ١٥٣٢
● ديوان عـــامر
عرض ونقـد أ٠د طـه مصـطفى أبو كريشة ١٥٣٦
● محمود سامى البارودى
للدكتور طـه عبد الرحيم عبد البر ١٥٤٦
● جولة بالمتحف الاسلامى
تحقيق محمد فتحى احمـد ١٥٥٥
● انباء العالم الاسلامى
اعداد أحمـد عبد الرحيم السـايح ١٥٥٩

طبع بمطابع روزاليوسف

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

يا إلهي

الهى

يارب مكة ، والكعبة ، والبيت الحرام .

يامن جعلت البيت فلذة أكباد المؤمنين ، ورجاءهم ، وَمَدْمَعَ الشوق من آمالهم .. شُعاعًا لنور الابد .. وَمُطْهَرَ التَّوابين ، وَمَجْمَعَ المؤمنين .

الهى بيتك عفة الرجاء .. وخير الارض وَقِبْلَتُها .. ورحمة السماء .

دفعت اليه الحجيج. من كل فج عميق ..

الى المطاف والمقام .

الى منى .. وعرفة .. والمشعر الحرام

اليك ربى .. جاءوا توابين .. املين .. راكعين ساجدين .

الهى .. حنانيك يارحمن

اللهم صِلْنا ـ في رحمتك ـ بمن دعوتهم الى بيتك الحرام واكرمنا بهُدَاك حتى ترضى لنا خير المقام .

الخطيب

الجزء الحادى عشر
السنة الخامسة والخمسون

ذى القعدة ١٤٠٣ هـ
اغسطس ١٩٨٣ م

نص الحوار الدائر بين :

فضيلة الدكتور

والدكتور ليونارد بايندر

أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فقد اتصل بى الدكتور (ليونارد بايندر) أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو ، وزميل مركز البحوث الأمريكى بمصر - إتصل بى (تليفونيا) يوم الثلاثاء الرابع من مايو سنة ١٩٨٣ طالبا تحديد موعد ومكان نلتقى فيهما ، لكى أجيبه عن أسئلة معينة في الدين الاسلامى ، فحددت له الساعة العاشرة من صباح السبت الثامن من شهر مايو سنة ١٩٨٣ ، بمقر لجنة التفسير الوسيط بمجمع البحوث الاسلامية بمدينة نصر ، وهناك التقينا في الموعد تماما ، وبعد تبادل التحية والتعارف سألته : هل أنت مسلم ؟ فأجاب بالنفى ، وقال : انه يريد التعرف على نظام الحكم في الاسلام ، وعلى أسلوب معالجته للأمور السياسية والمشاكل الاجتماعية وغير ذلك .

وكان يتحدث معى بلغة عربية ضعيفه

وأول سؤال وجهه الى : هل الاسلام دين ودولة ، أو هو دين فحسب ، وطلب منى أن تكون الاجابة مقرونة بالدليل ،

فاجبته بانه دين ودولة ، وذكرت له الدليل اجمالا ، ورايته يلخص الاجابة في ورقة صغيرة بغير اللغة العربية ، فخشيت ان لا يحسن اختصار ماأقول وترجمته لأن ادراكه للتخاطب الشفوى سوف يكون دون المستوى المطلوب في التحقيق العلمى ، كما رأيت أن تكون الاجابة شاملة وافية تبين حقائق الاسلام في الدين والدولة ، لأن سائلى رجل سياسى ، وفي مركز علمى وسياسى مرموق الى جانب أنه مسيحى ، فلهذا طلبت اليه أن يملى أسئلته لأكتبها ثم أجيب عنها في وقت لاحق ، فامــلاها واتفقنــا على ان يتسلم الاجابة يوم السبت الرابع من يونية سنة ١٩٨٣ ، نظرا لأنه مسافر الى أمريكا يوم الخميس ١٣ من مايو ، وسوف يعود قبيل التاريخ الذى سوف يتسلم فيه الاجابة بمشيئة الله تعالى ،

سيادة الدكتور (ليونارد بايندر)

سألتنى عن الاسلام : أهو دين ودولة ، أم هو دين فقط ، وطلبت منى الدليل على ما أجيب به واليك فيما يلى الاجابة عن هذا السؤال ، مع بيان

مصطفى محمد الحديدى الطير

عضو مجمع البحوث الإسلامية

عن الموضوعات التالية

(١) هل الاسلام دين ودولة أم هو دين فحسب ؟

(٢) اذا كان الاسلام دولة مع الدين فما الدليل على ذلك ؟

(٣) هل كان الاسلام دولة لها نظام سياسى كامل ، أو دولة بدائية ؟

(٤) هل من الممكن تطبيق نظام الدولة في العصر الحديث ؟

(٥) هل يجب على المسلمين أن يفعلوا في السياسة وغيرها مافعله الرسول ؟

(٦) هل يتفق الفكر الاسلامى مع الديموقراطية ؟

(٧) هل أتى الاسلام بالقواعد الكلية العامة في معالجة جميع المشكلات أو أتى بالتفصيلات ؟

واف عن حقيقة الدين فيه ، فقد أساء المغرضون في الحديث عنه تعصبا ، وأنصفه المحققون وان كان بعضهم لايدين به .

جـ ١ (الاسلام دين ودولة)

فأما الدين فيه فهو قائم على توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشريك

والمعنى أن الله واحد لاشريك له في الوهيته ، ولايصح أن يعبد سواه ، هو الحى الذى لايموت ، القائم بامور العالم خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا ، لايغلبه نوم خفيف ولا ثقيل ، ولا قليل ولا كثير ، له وحده ما فى السموات وما فى الأرض من أجزائهما وما استقر فيهما ، لا أحد يشفع عنده يوم القيامة الا أن يأذن له بالشفاعة ، يعلم أمور خلقه جميعا ، ماتقدم منها وما تأخر ، ولايستطيع أحد ان يعلم شيئا من الغيبيات والعلوم المختلفة ، الا بقدر يسير منها أراده الله له .

أما ما وراء ذلك من العلوم الخطيرة ، والغيبيات القريبة والبعيدة التى لا تناسب علم الخلائق ، فقد استأثر الله وحده بعلمها ، ومع سلطانه السموات والأرض ، فكل شىء فيهما خاضع لقدرته وتدبيره وحفظه ، ولا يثقله حفظ السموات والأرض من النقص أو الضعف أو الفساد ، وهو العلى فوق كل شىء العظيم الذى لامنتهى لعظمته .

ويقيم الله الدليل على وحدانيته بقوله « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا »

وكما أنه تعالى منزه عن الشريك فهو منزه

نص الحوار...

عن الزوجة والولد، فان الولد يحتاج اليه أبوه لكى يعينه في أموره ويرثه بعد موته، والله سبحانه خلق الخلق وحده دون شريك أو ولد يعينه كما أجمعت عليه الديانات، وبما أنه دائم القدرة ولا تعتريه شيخوخة ولاضعف، وهو حى لا يموت أبدا، فلا يحتاج الى ولد يعينه أو يرثه بعد موته، ولا يحتاج الى زوجة يستولدها، قال تعالى في سورة آل عمران: « وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (١) وقال في سورة هود « إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ »(٢) وقال في سورة مريم « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٣) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ● أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ● وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ● إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ● لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ● وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا » (٤).

وقد جمع الله تعالى كل ذلك في سورة قصيرة فقال سبحانه: « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ● اللَّهُ الصَّمَدُ ● لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ● وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ».

ومعناها: قل أيها المسلم: الله واحد لاشريك له، صمد يصمد اليه الخلق ويقصدونه في قضاء حوائجهم ورفع الضر عنهم، لم يتخذ ولدا ولم يكن له والد، لعدم حاجة الاله الى ذرية، ولم يكن له أحد يكافئه ويماثله كما قال تعالى « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (٥).

وبالجملة فعقيدة المسلمين تتمثل في أن الاله واحد أزلى أبدى، فلا أول لوجوده ولا آخر، وأنه منزه عن عالم المادة، وأنه خلق كل شىء بقدر، وأن العقول تؤمن بوجوده بدلالة اياته، وان لم تدرك الحواس ذاته، فكما أن العقل والروح في الانسان، والكهرباء في المصانع والبيوت تعرف بآثارها، وان لم تدرك الحواس حقيقتها وذاتها، فكذلك المولى سبحانه، تؤمن به العقول بآثار قدرته وتدبيره وحكمته، وان لم تقع ذاته تحت حواسنا، فالعقل يدرك الغيوب بآثارها، والحواس تدرك الظواهر حسب طاقتها.

أما العقيدة عند غيرنا فهى مخالفة لذلك، فهى عند البوذيين أن الله له ولد من العذراء (مايا) وأنه نزل من مقعد الأرواح الى جسد مايا فنشأ عن ذلك ابنه « بوذا » وأنه هو الابن الوحيد له، وأنه تجسد في الناسوت، وقدم نفسه لمن صلبوه ليكفر عن ذنوب البشر، ويسمونه المسيح والمخلص، مع أنه يستطيع أن يغفر لهم ذنوبهم من غير أن يعرض نفسه للمهانة والمذلة ودون ان يجعل البشر يرتكبون فيه أبشع جريمة ويحملهم تبعتها وعارها، كان يستطيع أن يقول لهم غفرت لكم ذنوبكم وهو في مجد الحياة والعزة والكرامة.

---

١ ـ من الاية رقم ٦٢
٢ ـ الاية رقم ٦٦
٣ ـ أى قلتم قولا فظيعا خطيرا لا يصح أبدا.
٤ ـ الايات ٨٨ ـ ٩٥
٥ ـ سورة الشورى الاية رقم ١١

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَئٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

صدق الله العظيم

ولا يمنعه من ذلك مانع ، فكيف خفى هذا على أصحاب تلك العقيدة ، ومن عجب أن يقول بمثل هذه العقيدة البراهمة في (كريشنا وأن يقول بمثلها النصارى في نبى الله عيسى عليه الصلاة والسلام ، بعد أن كانوا موحدين ، فقد كانت لهم أناجيل ناطقة بالتوحيد ، فأهدرها مؤتمر المجمع المسكونى . وهم يحاولون أن يجعلوا من ثالوثهم إلها واحدا ، ويتحملون جهدا جهيدا في تذليل هذا المستحيل .

وعقائد اليهود مبنية على أن الله يتجسد ويندم على مايصنع بعد أن يتضح له خطؤه ، ويصارع البشر ولايقدر عليهم ، وفيهم من جعل لله ولدا ، وفيهم فرقة أنكرت قيام الأموات وحسابهم ، الى غير ذلك من العقائد المدونة في سفرى التحويل وصمويل الأول .

ومن الدين الاسلامى الايمان بالرسل جميعا ، وأنهم صفوة الله من خلقه من البشر ، اختارهم من أممهم لارشادهم وهدايتهم الى الحق ، لقصور العقول عن ادراك دقائق العقائد والعبادات والمعاملات على ما ينبغى وهؤلاء الرسل جميعا عباد الله تعالى ، قال سبحانه حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام « **قَالَ إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتَانِىَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ، وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِى بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيًّا** » (١) .

وقال عن محمد صلى الله عليه وسلم **سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**»(٢) وقال في شان جميع الرسل : « **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ● وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**»(٣) وقال في شأن الانس والجن « **وَمَاخَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ● مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ● إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** » (٤) .

ومن الدين الاسلامى الايمان بما أنزله الله من الكتب على رسله ، ليبلغوا عباده طريقة عباداتهم ومعاملاتهم ومبدأهم ومعادهم . قال تعالى : « **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**»(٥) فالمسلمون

---

١ ـ سورة مريم : ٣٠ ـ ٣١
٢ ـ أول الاسراء .
٣ ـ سورة الصافات ١٧١ ـ ١٧٣
٤ ـ سورة الذاريات ٥٦ ـ ٥٨
٥ ـ سورة البقرة : ٢٨٥

نص الحوار...

يؤمنون بجميع الرسل وبالكتب التى أنزلها الله عليهم ، ويجب على جميع ارباب الملل والنحل ان يؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد بعثه الله الى الناس اجمعين ، لاحياء شرائعه الدارسة ، التى ذهبت أصولها المنزلة ، وأصبح لكل دين كتاب استحدث بعد مئات السنين ، واختلفوا في نصوصه .

يقول الاستاذ (موريس فورن ناظر مدرسة العلوم العليا في باريس ، ومدرس القسم الدينى بها ، لو سألنا عن التوراة في أى وقت جمع كل كتاب منها ، وفي اى حال وظروف وبأقلام من كتب ؟ لانجد احدا يجيبنا عن تلك الاسئلة وما شابهها الا بأجوبة متباينة مختلفة جدا ، وان كل ماكتب مشكوك فى كاتبه ، وان كل مافى التوراة هو عبارة عن خليط من كتابات عديدة ، جمعت في أجيال متباينة ، وان المذاهب العلمية ، ترفض اغلب اقوال علماء النقل التى هى أساس اعتقاد اليهود والنصارى ، وتُقَوِّض بنياته إدِّعَاء السابقين ، وتبرىء الأنبياء من تلك الكتب ، ثم قال :

وان أقدم نسخة من الاناجيل الاربعة الرسمية الحالية ، كتبت في القرن الخامس بعد المسيح ، أما الزمان الممتد بين الحواريين والقرن الخامس ، فلم يخلف لنا نسخة من هذه الاناجيل الأربعة ، وفضلا عن حداثتها وقرب عهد وجودها ، فقد حرفت هى نفسها تحريفا ذا بال ، وقد صدق على شهادة الاستاذ موريس فورن خمسمائة عالم في جمعية دار المعارف الكبرى (١)

على أن التوراه جميعها فقدت بعد وفاة موسى وارتداد بنى اسرائيل الى عبادة الأصنام ، فسلط الله عليهم ملوك الوثنيين فحاربوهم وهزموهم وأخذوا منهم تابوت العهد الذى كانت فيه التوراة ، وهى النسخة الوحيدة ، واستمروا بعد ذلك ٤٥٠ أربعمائة وخمسين سنة الى عهد سليمان بدونها ، ولما فرغ سليمان من بناء الهيكل استحضر التابوت من مغتصبيه ليضعه في المحراب ، فلم يجد فيه التوراة ، وانما وجد فيه لوحا كتبت عليه الوصايا فقط ، وهذه الأحداث مذكورة في سفر القضاة وسفر الملوك ، اصحاح ٨ فقرة (١ ـ ١١) وسفر الأيام اصحاح ٥ فقرة ١٠ (٢) .

ويقول القسيس (ميل ان الاختلاف بين نسخ العهد القديم والجديد تصل عند امعان النظر الى مائة وخمسين الفا (٣) وهذا قليل من كثير مما كتبه علماء أهل الكتاب عن كتبهم .

أما القران الكريم فقد كتبت اياته عقب نزول الوحى بها ، فكان كلما نزل منها شىء أمر النبى صلى الله عليه وسلم كتاب الوحى ، أن يكتبوه أولا بأول ، ويحدد لهم مواضع الايات ، وكذلك كان يفعل الصحابة ، اذ كان الذين يحسنون الكتابة منهم يكتبون مايسمعونه من الايات في مواضعها التى امرهم النبى صلى الله عليه وسلم بها ، وكان الأميون منهم يحفظونه على هذا النمط حفظا جيدا ، فقد كان للعرب ميزة الحفظ الممتاز لأمجادهم وأحسابهم وأشعارهم ، ولهم

---

١ ـ كتاب محمد نبى الاسلام فى التوراة والانجيل والقرآن للمستشار محمد عز الطهطاوى ص ٩٥ ـ ٩٦

٢ـ المصدر السابق ص ٩٣
٣ـ المصدر السابق ص ٨٣

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا

صدق الله العظيم

شهرة تاريخية في ذلك .

وكان جبريل سفير الوحى ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ويدارسه القرآن تثبيتا لحفظه وتوكيدا لما كتب منه في مصحفه ولما توفى صلى الله عليه وسلم جمع أبو بكر رضى الله عنه القرآن في مصحف ، وقد كان مكتوبا عند الرسول في رقاع مرتبة وفق النزول ، ولما آلت الخلافة الى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، كتب منه أربع نسخ وزعها على العواصم الاسلامية ، وقام بكتابة المصحف لأبى بكر وعثمان كتابا الوحى الدين كانوا يكتبون في عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه النسخ الأربع كتب المسلمون مصاحفهم ، ولهذا لاتجد مصحفا يخالف الآخر في جميع البلاد الاسلامية ، وكل ذلك كان وفاء بعهد الله لنبيه « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » . (الحجر ـ ٩) .

ومن الدين الاسلامى الايمان بالملائكة ، وانهم عباد مكرمون لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » وهم أجسام نورانية قادرة على التشكل .

ومن الدين الاسلامى الايمان بان كل شىء بتقدير الله تعالى والايمان باليوم الآخر ، حيث يحاسب الله عباده ويجزيهم على ايمانهم وكفرهم وطاعتهم ومعصيتهم ، ويجمع ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم جوابا لسائله عن حقيقة الايمان « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره » أخرجه الامام البخارى وغيره .

والله تعالى يقول في ثواب المؤمنين : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا . خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا » (١) .

ويقول في عقاب الكافرين وثواب المؤمنين : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ● أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ● وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (٢) .

---

(١) سورة الكهف : ١٠٧ ـ ١٠٨

٢ ـ سورة النساء : ١٥٠ ـ ١٥٢

ويقول في عقاب الكافرين « وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا »(١) .

جـ ٢ (والاسلام دولة أيضا)

تقدم الكلام على أن الاسلام دين والآن أتكلم على أن الاسلام دولة ، وأقيم الدليل على ذلك استجابة لسؤالكم الثاني ونصه :

« اذا كان الاسلام دولة فما الدليل على ذلك من النصوص الدينية ؟ فأقول وبالله التوفيق :

تتكون الدولة من أمة ذات جهاز اداري على رأسه حاكم ، يحكم أمته وفقا لقانون ينظم علاقة أفرادها بعضهم ببعض ، وعلاقتهم بوطنهم وجيرانهم ، وبسائر الأمم .

والاسلام قد أعطى الدولة حقها من العناية ، فشرع لها القوانين المنظمة لها في ادارتها وقضائها ومعاملاتها ، وما على الفرد من واجبات لوطنه ولنفسه وغيره ، وماله من حقوق عند سواه ، سواء كان هذا الفرد مسلما أم غير مسلم ، فكلاهما له حقوق وعليه واجبات .

وقد شرع الاسلام للأمة أميرا يحكم بين أفرادها بالعدل وفقا لشريعة الله ، وأوجب عليهم طاعته في ذلك ، قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ** » (٢) وقال سبحانه : « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** » (٣) .

وأخرج الامام مسلم بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد اطاعنى ، ومن عصى أميرى فقد عصانى » .

وأخرج الامام مسلم أيضا عن يحيى بن حصين قال : (سمعت جدتى تحدث أنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو يقول : « لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » .

وأخرج أيضا بسنده عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « على المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، الا أن يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة .

وأخرج بسنده أيضا عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية(٤) يغضب لعصبة أو يدعو الى عصبة ، فقتل فقتلة جاهلية ، ومن خرج من أمتى على أمتى ، يضرب برها وفاجرها ، ولايتحاشى من مؤمنها ، ولا يفى لذى عهد عهده فليس منى ولست منه » .

« وأوجب قتال من يقاتل أمير الأمة وحاكمها أو يخرج عليه »

أخرج مسلم بسنده عن عرفجة قال

١ ـ سورة النساء ١٣٦

٢ ـ سورة النساء ٥٩

٣ ـ سورة النساء ٥٨

٤ ـ العمية الامر الأعمى الذى لايستبين وجهه لمن يريده

(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » .

وحرصا على وحدة الامة امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر على الامام الجائر ، فقد أخرج الامام مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كره من اميره شيئا فليصبر عليه ، فانه ليس احد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه ، الا مات ميتة جاهلية » .

وجاء في حديث أخرجه مسلم « اسمعوا وأطيعوا فانما عليهم ماحملوا وعليكم ما حملتم » . وقد حث النبي الحكام على الرفق بالأمة ، ودعا على من يجور عليهم فقال : « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به » .

وتوعّد من يغش الامة ولا يهديها سواء السبيل بالحرمان من الجنة ، قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، الا حرم الله عليه الجنة » .

وأوجب على الحكام أن يجتهدوا في مصلحة أمتهم ، فعن معقل بن يسار قال : (سمعت رسول الله يقول : مامن أمير يلى أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح الا لم يدخل معهم الجنة » أخرج هذه الاحاديث الامام مسلم في صحيحه .

وحرم الاسلام على الأمراء والحكام ان يأخذوا لانفسهم هدايا من الأمة أثناء ولايتهم ، حتى يمضى حكمهم في الناس على مستوى واحد ، فلايحابى أحدهم صديقا اهداه على حساب أخيه المسلم ، فعن أبى حميد الساعدى قال « استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد ، على صدقات بنى سليم ، يدعى ابن اللتبية ، فلما جاء حاسبه قال : هذا مالكم وهذا هدية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلا جلست في بيت أبيك وامك تأتيك هديتك ان كنت صادقا ، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عله ثم قال : أما بعد فانى استعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله ، فيأتى فيقول :هذا مالكم وهذا هدية أهديت لى ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ان كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئا بغير حقه الا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة » من حديث اخرجه الامام مسلم .

الامارة لمن يستحقها لا لمن يطلبها

وقد حرص الاسلام على أن يجعل ولاية الحكم بين الناس لمن هو أهل لها ، لا لمن يطلبها ، أخرج الامام مسلم عن أبى موسى الأشعرى قال (دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بنى عمى ، فقال أحد الرجلين : يارسول الله امرنا على بعض ماولاك الله عز وجل ، وقال الاخر متل ذلك ، فقال : « انا والله لانولى هذا العمل أحدا سأله ، ولا أحدا يحرص عليه » .

وأخرج بسنده عن أبى ذر قال (قلت يارسول الله : الا تستعملنى قال فضرب بيده على منكبى ، ثم قال« يا أباذر انك ضعيف وانها أمانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة ، الا من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها » .

نص الحوار...

الشورى في الاسلام

جعل الله الحكم في الاسلام شورى في كل عصر، ابتداء من العصر النبوى حتى تقوم الساعة. قال الله تعالى لنبيه: « **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** » وقال في شان قضايا المسلمين على امتداد الحياة الدنيا « **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** » ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم بحاجة الى استشارة اصحابه، لانه نبى يوحى اليه، ولكن الله تعالى امره بالشورى توكيدا لامر المسلمين بها، قال الحسن رضى الله عنه: قد علم الله انه مابه اليهم حاجة، ولكنه اراد ان يستن به من بعده.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم حريصا على الارشاد الى الشورى قولا وعملا، فأما قولا ففى نحو قوله: « ماتشاور قوم قط الا هدوا لأرشد امرهم ».

وأما عملا فلانه كان يستشير أصحابه في غزواته قبل الخروج اليها، كما كان يستشيرهم في أسارى الحرب وفي غير ذلك من الشئون العامة.

وفي غزوة الأحزاب، علم النبى صلى الله عليه وسلم بقدوم قريش وحلفائها لغزو المدينة، فاستشار اصحابه: أيمكث بالمدينة للدفاع عنها، أم يخرج للقاء هذا الجيش الجرار. فأشار عليه سلمان الفارسى بحفر خندق حول المدينة، ولم يكن مثل هذا تعرفه العرب في حروبهم، وبهذا وبمعونة الله وثبات المؤمنين فشلت قريش في اقتحام الخندق وغزو المدينة وابادة المسلمين ـ كما كانوا يحلمون ـ وارتدوا على ادبارهم خاسرين، برغم خيانة بنى قريظة من اليهود الذين كانوا مساكنونهم بالمدينة، ونقضوا عهدهم مع النبى، وحالفوا قريشا ضده « **لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ** ».

مصدر القوانين في الدولة الاسلامية

تقدم الكلام على الامارة ورياسة الحكم في الدولة، وأنها تكون للأكفاء الذين يستحقونها، لالمن يحرصون عليها أو يطلبونها، وأن على الحاكم أن يلتزم بالشورى في الأمور التى يحتاج فيها الى رأى أصحاب الكفايات، والآن نتكلم عن مصادر القوانين في الدولة الاسلامية فنقول:

ان قوانين الدولة في الاسلام ترجع الى القران العظيم، وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم أى سنته القولية والعملية، قال تعالى: « **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ** (١) » وقال: « **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** (٢) » وقال سبحانه « **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** (٣) ».

كما ترجع الى الاجماع الذى يستند الى اصل من الكتاب أو السنة، والى القياس على

١ ـ سورة النساء من الاية ١٠٥
٢ ـ سورة النحل من الاية ٤٤
٣ ـ سورة الحشر الاية ٧

حكم منصوص ان لم يوجد نص . فالخمر مثلا حرمها الله تعالى بقوله : « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . وحرم النبيذ وكل شراب مسكر قياسا على الخمر المنصوصة لعلة الاسكار المشتركة بين الخمر المتخذة من عصير العنب ، وبين سائر المسكرات سواها .. ويأخذ بعض الائمة بعمل الصحابة ، لأنهم عاصروا الوحى وكانو يقتدون بالرسول ، كما يأخذون بالمصالح المرسله وبالاستحسان ، فيما لم يرد فيه نص أو لم يوجد مايقاس عليه .

والفقه الاسلامى الذى نشأ عن هذه المصادر يعتبر مفخرة من مفاخر الاسلام ، وثروة قانونية عديمة النظير ، وقد اعترف المنصفون الغربيون بفضل الفقه الاسلامى في التشريع والتقنين ، واعتبروه من مصادره .

والواقع أن الفقه الاسلامى لم يترك مشكلة أو امرا من امور الحياة ، دون أن يقدم له الحكم اللائق به ، ولذا تتضمنه موسوعات ضخام ، واليك بعض النماذج العجيبة .

لقد كتب الامام الماوردى موسوعة في الفتاوى في عشرين مجلدا ، وسماها (الحادى في الفتاوى وكتب الامام السيوطى موسوعة أخرى في عشرين مجلدا ، وسماها بنفس الاسم ، وكل مجلد في أكثر من أربعمائة صفحة ، وكتب القزوينى موسوعة ثالثة في ستة مجلدات وسماها بنفس الاسم ، وكلها على مذهب الامام الشافعى ، ولو فرغت هذه الموسوعات في قوانين لأفادت البشرية في حل مشكلاتها ، ولقد كان بعض الأئمة يؤلف كتبا مستقلة في بعض أبواب الفقه . فأبو يوسف الف في الخراج ، وغيره الف فى الحسبة وحديثنا في هذا المقام على سبيل الاجمال ، لاحتياج التفصيل الى وقت طويل وموسوعات عديدة ، واليكم موجزا لبعض الابواب الفقهية .

كتاب الزكاة

باب زكاة الماشية
باب زكاة الزروع والثمار
باب زكاة النقد
باب زكاة المعدن والركاز
باب زكاة التجارة
كتاب البيع
باب الربا
مانهى عنه من البيوع
باب الخيار في البيع
خيار المجلس ـ خيار الشرط
خيار العيب
بيع الأصول والثمار
بيع الثمر والزرع
كيفية التعاقد على البيع
كتاب السلم
القرض والقراض
الرهن
التفليس
مايفعل بمال المحجور عليه بالفلس
باب الحجر
فصل فيمن يتولى أمر الصبى
باب الصلح
فصل في التزاحم على الحقوق
باب الحوالة
باب الضمان
كتاب الشركة
كتاب الوكالة

نص الحـوار...

مايجب على الوكيل
كتاب الاقرار
أنواع الاقرار
متى يصح الاستثناء
الاقرار بالنسب
كتاب العارية
كتاب الغصب
حكم الغصب وضمانه
اختلاف المالك والغاصب
مايطرأ على المغصوب
من زيادة
كتاب الشفعة
كتاب القراض
كتاب المساقاة
كتاب الاجارة
كتاب احياء الموات
كتاب احياء الموات
حكم المنافع المشتركة
حكم الأعيان المشتركة
كتاب الوقف
كتاب الهبة
كتاب اللقطة
كتاب اللقيط
كتاب الفرائض
وبيان كيفية التوريث
كتاب الوصية
كتاب الوديعة
قسم الزكاة
كتاب الزواج
كتاب الصداق
وليمة العرس
القسم والنشوز
حكم الشقاق

كتاب الخلع
كتاب الطلاق
كتاب الرجعة
كتاب الكفارات
كتاب العدد ـ عدة الطلاق والوفاة
نفقة المعتدة وسكناها
كتاب الرضاع
كتاب النفقات
أحكام الجنايات
كتاب الزنى ـ حد القذف .
كتاب السرقة ـ قطع الطريق
كتاب الأشربة ـ كتاب الجهاد
كتاب الهدنة
كتاب القضاء ـ مايقتضى عزل القاضى
اداب القضاء ـ التسوية بين الخصمين
القضاء على الغائب
كتاب الشهادات ـ كتاب الدعوى
والبينات كيفية الحلف
تعارض الشهود
الى غير ذلك مما لايحصى من اصول
الأحكام وفروعها

الاسلام دولة لها نظام سياسى كامل

وسألتم يادكتور ليونارد عن الاسلام ، أهو دولة لها نظام سياسى كامل ، أم هو دولة بدائية .

والجواب انه دولة لها نظام سياسى كامل نموذجى ينبغى أن يحتذى وليس دولة بدائية فالدولة فيه تقوم على نظام المسئولية التامة ، فكل فرد فيها مسئول امام القانون

الذى شرعه الله لعباده ، حاكمين ومحكومين ، وهم جميعا امام القانون سواء .

وهذا هو ماعرفه أبو بكر رضى الله عنه، حينما انتخبه المؤمنون أميرا لهم عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فقد قال :

أيها الناس انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فاعينونى وان أسأت فقومونى ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى ضعيف حتى 'اخذ منه الحق ـ ان شاء الله ـ ثم قال : أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قبل وفاته قد جهز بعثا الى الشام ، وجعل قيادته لأسامة بن زيد ، فلما ولى أبو بكر الخلافة بعد وفاته ، أمر بسير أسامة وجيشه الى الشام ، برغم الأحداث التى حدثت باليمن عقب وفاته ، وقد فعل ذلك تنفيذا لأمر الرسول ، وقياما بحق الاسلام ، حتى لايظن الناس أن دولة الاسلام قد انتهت أو كادت بوفاة الرسول ، فيتألبوا عليها .

وأوصى أبو بكر أسامة قبل مسيره بقوله : لاتخونوا ولاتغدروا ولاتغلوا ولاتمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ولاشيخا كبيرا ولا امراة ولاتعقروا نخلا وتحرقوه ولاتقطعوا شجرة مثمرة ولاتذبحو شاة ولابقرة ولابعيرا الا للاكل . وسوف تمرون بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم ومافرغوا انفسهم له ثم قال للجيش : اندفعوا باسم الله وأوصى اسامة ان يفعل ما أمره به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

فانت ترى أبابكر يوصى أسامة بما أوصى به الله ، من عدم الخيانة والغدر ، والابقاء على الشيوخ والأطفال من أعدائهم ، وعدم الافساد في أرض العدو بالاحراق وقطع الشجرة وذبح الانعام ، كما أوصاه بترك العابدين في صوامعهم دون ازعاج ، وعدم التعرض الا لمن يناجزونهم من أهل الشر والعدوان ، فقارن بين هذا وبين مايصنعه الغزاة قديما وحديثا من استعمال كل أسباب التدمير والاهلاك بين المدنيين الذين لاحول لهم ولا قوة .

ان للفرد من الرعية حق مقاضاة الأمير لدى القضاء عن الحقوق التى له عنده ، كما يقاضى أى فرد من الرعية ، وعلى الأمير أن يقف صاغرا امام القضاء كخصمه ، حتى يحكم له أو عليه ، والانصاف شرعة الاسلام في الناس جميعا ، مسلمين أو غير مسلمين ، ومن الأمثلة الرائعة في ذلك ماحدث من عمر ابن الخطاب لمواطن مصرى ، حيث أنصفه من ابن أميره الذى يحكم مصر يومئذ ، وهو عمرو بن العاص .

روى أنس قال : بينما أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب قاعدا ، اذ جاءه رجل من أهل مصر ، فقال : يا أمير المؤمنين . هذا مقام العائذ بك ، فقال : لقد عذت بمجيب فما شأنك ؟ قال : سابقت على فرس ابنا لعمرو بن العاص ، فجعل يقمعنى بسوطه ويقول : انا ابن الأكرمين فبلغ ذلك عمرا اباه فخشى ان اتيك فحبسنى ، فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص : اذا اتاك كتابى هذا فاشهد الموسم (١) أنت وولدك فلان ، وقال

---

١ ـ المراد من الموسم : موسم الحج الى البيت الحرام بمكة

نص الحوار ...

للمصرى : أقم حتى يأتيك ، فقدم عمرو فشهد الحج ، فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس ، وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه ، قام المصرى وتقدم بشكواه ، فاعترف ابن عمرو بما اتهمه به ، فرمى اليه عمرو رضى الله عنه بالدرة(٢) قال أنس : ولقد ضربه ونحن نشتهى ان يضربه ، فلم ينزع (٣ حتى احببنا أن ينزع من كثرة ماضربه ، وعمر يقول له : اضرب ابن الأكرمين ، قال يا أمير المؤمنين : قد استوفيت واشتفيت ، قال : ضعها في صلعة عمرو ، فقال يا أمير المؤمنين ضربت من ضربنى ، قال : أما والله لو فعلت لما منعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع ، ثم قال : ياعمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، فجعل يعتذر ويقول : انى لم أشعر بهذا .

ومن نظام الدولة في الاسلام تعيين الولاه والقضاة في الأقاليم ، وكان نظامها المالى يقوم على الزكاة والأوقاف الخيرية والخراج والتبرعات ، والضرائب العادلة عند الاقتضاء .

وتاريخ الدولة الاسلامية ، منذ عهد الرسول حتى العهدين الأموى والعباسى ، شاهد بقيامها على اسس نظامية قوية وعلى العلوم والمعارف بشتى فروعها وأنواعها .

وبالجملة فقد نشأت الدولة الاسلامية عقب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، بكل ما تحتمله الدولة من معنى — كما يعرفه الفقه المعاصر ، وظل اقليم الدولة يتسع شيئا فشيئا في حياة الرسول وفي عهود الخلفاء والامراء بعده ، حتى احتلت الدولة الاسلامية المكانة الاولى في الشرق الاوسط .

وكتاب الخراج لابى يوسف وكتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيبانى ، يمتاز كلاهما بتخصصه في شرح القواعد التى تنظم العلاقات الدولية في الاسلام في زمن الحرب ، ويقع كتاب الشيبانى في ستين (دفترا بعث به الشيبانى الى الرشيد ، وهو يتضمن كل أصول الحرب واحكامها ، وقد سبق به الشيبانى جهابذة القانون الدولى الغربيين مثل جروسيوس وفيتوريا .

وقواعد القانون الدولى في الاسلام لاتخضع لهوى المشرع ، فهى نابعة من الكتاب والسنة ، وراجعة اليهما .

(الاسلام يمكن تطبيقه في العصر الحديث)

وسألتنى : هل من الممكن تطبيق نظام الدولة الاسلامى في العصر الحديث .

والجواب أن ذلك ممكن ، فهو يعطى كل ذى حق حقه ، ويقتص من المظلوم للظالم ، ويمنع طغيان الحكام على الشعوب ، وينظم الحرب والسلام ، فلا حرب الاعند الضرورة ، لأنه دين سلام كما يدل عليه اسمه ، فالحرب فيه اما للدفاع عن النفس ، أو التأمين من عدو متربص لا يريد المسالمة وحسن الجوار .

ولقد فشل ميثاق عصبة الامم وميثاق باريس في منع الحرب ، كما فشلت الامم المتحدة ومجلس الامن في ذلك ، وأصبحت الدول القوية تفرى الدول الضعيفة بالحرب فيما بينها ، وتمدها بالأسلحة والخبرات

٢ ــ الدرة عصا يضرب بها
٣ ــ أى لم يرجع

الفنية ، لتستفيد ببسط نفوذها وسلطانها عليها ، والحصول على مواقع (استراتيجية ضد من تنافسها ، ولو كانت شريعة الاسلام هى التى تحكم بين الدول برغبة قلبية من أهلها ، وحبه لشريعة الحق وتبادل المعونة لمصلحة البشر ، لعاش الناس في سلام ، ولامن بعضهم شر بعض .

يقول الأستاذ (هاك في كتيب نشر في لاهور بالهند سنة ١٩٣٢ : ان الأمم تبذل الكثير من الجهد وتعقد المؤتمرات لمنع التسليح ومنع الحرب ، أو للتقليل من فرص اعلانها ، ولكن جهودها باءت بالفشل ، لان الدول اذ تتعهد لاتقيد نفسها بالمعاهدة ، الا حين تنعدم عندها الوسيلة لنقضها حتى اذا توفرت عندها القوة الكافية لذلك ، اعلنت أن المعاهدة التى ارتبطت بها أصبحت حبرا على ورق ـ ثم قال : ولو طبقت أحكام الاسلام فيما يتعلق بالحروب والجهاد تطبيقا كاملا ، لوجد العالم فيها جنته التى يبحث عنها ، بدلا من الجحيم التى هو مسوق اليها ليطبع كل منا دعوة الله تعالى التى يقول فيها : « **كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَاتَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** » (١) .

ولو عاش المستر هاك الى يومنا هذا ، لرأى الخراب الذى عم كثيرا من الأمم ، بسبب مؤامرات الدول القوية ، حتى اضطر المستضعفون الى اللجوء الى سلاح الجريمة والاغتيال وحرب العصابات الخفية في كل دول الأرض ، ولا حول ولاقوة الا بالله ، فمتى يعود الناس الى شرعة العدل والمساواة

١ ـ سورة النساء ٦٠

وحب الخير للناس ، وغير ذلك من المبادىء الشريفة التى ينادى بها الاسلام : « لافضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » .

س ٥ ـ وسألتنى : هل يجب على المسلمين أن يفعلوا في السياسة وغيرها مافعله الرسول ؟

جـ ٥ والجواب :

نعم يجب عليهم ذلك ، فقد كانت سياسته اما بوحى من الله تعالى ، واما باجتهاد منه أقره الله عليه ، وكلاهما واجب الاتباع لقوله تعالى : « **مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**(٢) » أى أن من أعرض عن طاعة الرسول : فليس الرسول مكلفا بحفظه ومنعه من الاعراض ، فما على الرسول الا البلاغ ، والله يتولى حسابه وعقابه على اعراضه ، ولقوله سبحانه : « **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا**(٣) » ولان السياسة التى كان يتبعها هى السياسة الرشيدة التى أنقذت الرعايا المعذبين من عدوان الأقوياء ، ولأنها مبنية على قوله تعالى : « **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** »(٤) **وقوله** : « **وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَاتَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** » (٥)

٢ ـ سورة النساء ٨٠
٣ ـ سورة المائدة ٩٢
٤ ـ سورة الانفال ٦١
٥ ـ سورة البقرة ١٩٠

ولأن القوانين التى يعامل بها الناس على اختلاف طبقاتهم عادلة ومنصفة ، فالقران يقول في شأن اللاجىء من المشركين « **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ** » (١) .

فقد أوجب على المسلمين أن يجيروا من استجار بهم من المشركين ولا يغدروا بهم ، وأن يعرضوا عليهم الاسلام ، فان لم يقبلوه فلانكرههم عليه ، بل نبلغهم مكانا يامنون فيه على أنفسهم ، ويقول في الوالدين المشركين : « **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** » (٢) .

ومع أن قريشا اذت النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخرجته من مكة مع المؤمنين ، فانه لما حدثت المجاعة في قريش بعد هجرته ، بعث الى أبى سفيان بخمسمائة دينار ، ليفرقها على فقراء المشركين الجائعين ، ليشتروا بها طعاما ، وقد كان للدينار في ذلك الوقت قيمة شرائية عظيمة .

ولما فتح مكة عفا عن أهلها وقال لهم : « من دخل المسجد الحرام فهو امن ، ومن دخل داره فأغلق بابه فهو أمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو امن ثم قال : « اذهبوا فانتم الطلقاء » .

ويقول الرسول في حق أهل الكتاب : « من آذى ذميا فقد اذانى » ويقول : « لهم مالنا وعليهم ماعلينا » واذا جاءونا للتحاكم بشرعنا وجب العدل بينهم ، قال تعالى : « **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ** » (٣) ولنا الحق في ان نردهم الى قضائهم في كنائسهم . قال تعالى : « **فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ** » (٤) .

ويقول القرآن في حريتهم الدينية : « **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** » (٥) **ويقول في الجدال معهم :** « **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** » (٦) .

ومن الحقائق التاريخية أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى وفد نجران المسيحى نصف مسجده ليقيموا فيه شعائر دينهم حسب عقيدتهم ، وذلك حين قدموا المدينة ، وهذا أمر لايحدث مثله طواعية من زعيم دينى في وقت السلم ، فما لم يكن مقهورا فانه لا يسمح بذلك .

وقد مر بك مافعله عمر بن الخطاب ، من انصاف مصرى من ابن واليه على مصر عمرو أبن العاص ، والسماح له بان يضربه كما ضربه على مشهد من المسلمين .

ولما هاجر الى المدينة عقد معاهدات مع اليهود الذين حولها ـ وسمح للمسلمين ان يتعاملوا معهم تجاريا ، ولما خانوا العهد وتامروا عليه وأذوا المسلمين ، اضطر لإجلاء الناقضين للعهد منهم ، حيث اصبحوا خطرا يهدد الدوله الاسلامية من داخلها وحولها ، ولكنه ابقى المسالمين منهم كاهل تيماء

١ـ سورة التوبة ٦
٢ـ سورة لقمان ١٥
٣ـ سورة المائدة ٤٩
٤ـ سورة المائدة ٤٢
٥ـ سورة البقرة ٢٥٦
٦ـ سورة العنكبوت ٤٦

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ .

صدق الله العظيم

واهل فدك . وعقد معاهدة صلح معهم .

وقد كتب عمرو بن العاص عهدا لمسيحى مصر ، يعتبر مثلا للسياسة الاسلامية المثلى مع من يخالفنا في الدين وفيما يلى نصه .

(بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر ، من الأمان على أنفسهم وملتهم واموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم ، ثم قال : وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف الف ـ ثم قال : وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى ، رفع عنهم بقدر ذلك الى اخر ما في العهد من التفاصيل وقد شهد على هذا الزبير بن العوام وولداه ، ويلاحظ أن الجزية على أهل الكتاب ضريبة للدولة ، يقابلها في المسلمين الزكاة ، والغرض من كلتيهما الانفاق على أمن الدولة ومصالحها .

وقد أوصانا الاسلام بحفظ العهد مع غيرنا واعتبره عهدا مع الله فقال « **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ** »(١) وقال : « **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** (٢ وجعل نقض العهد من النفاق ، قال صلى الله عليه وسلم : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها . اذا ائتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد عدر ، واذا خاصم فجر ، أخرجه البخارى وتلك نماذج يسيرة من التشريع الاسلامى الذى لايدانيه تشريع في العالمين .

١ ـ سورة النحل ٩١

٢ ـ سورة الاسراء ٣٤

س ٦٨ ـ هل يتفق الفكر الاسلامى مع الفكر الديمقراطى ؟

جـ ٨ : نعم يتفق الفكر الاسلامى مع الديموقراطية لأنه في الأمور السياسية والادارية والحربية قائم على التشاور ـ كما سبق بيانه ـ اما في التشريعات فان مصادرها فيه الكتاب والسنة . واجماع أهل الرأى ـ ويعبر عنهم بأهل الحل والعقد شرعا ـ والقياس والمصالح المرسلة فيما لانص فيه ، على أن يرجع ذلك الى أصل عام من أصول الشريعة ، فالتشريع الاسلامى تشريع الهى كتب له الدوام فلا تغيير فيه ولا تبديل .

أما اختلاف المجتهدين فنابع لاختلاف فهمهم في نص . أو لمرجحات أخرى لدى المخالف ، كالاستدلال بنص لم ينتبه اليه المجتهد الاخر ، ولايرجع التشريع الى هوى المقننين والمشرعين ورغباتهم أو رغبات المجتمع ، بل لابد من أن تكون له صلة بنص من الكتاب أو السنة ، حسب الضوابط المعروفة في علم أصول الفقه . والاجتهاد بابه مفتوح للعلماء ذوى الدراية العلمية المتبحرة في علوم الشريعة .

مع الأمانة والعدالة ، على أن يكون في

نطاق الشريعة وأصولها ، وفي الأمور الظنية فقط ، دون القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ، وانما كان أمر التشريع الاسلامى على هذا النمط من الدقة ، لأنه تعالى هو الذى يعلم مصلحة المجتمع ، فلا يشرع للناس الا ما يصلحهم .

أما التشريع الذى لايرجع الى شريعة الحق تبارك وتعالى ، فأنه لايضبط مصلحة البشر على وجهها السديد ، ولذا نراه يعدل من آن لاخر ، وقد يجنح التشريع الوضعى الذى يضعه المشرعون،الى ما يعبث بالقيم العليا أو يفسد الاخلاق ، كاباحة الشذوذ الجنسى في بعض الدول .

س ٧ ـ هل أتى الاسلام بالقواعدالعامة في معالجة المشكلات أو أتى التفصيلات ؟

جـ ٧ جاء الاسلام بقواعد عامة ، وبأحكام مفصلة ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « **وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً** » (١) ويقول « **وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً** » (٢) والأمثلة كثيرة تحتاج الى مجلد كبير ، وسنذكر بعض النماذج فنقول :

أوجب الله تعالى كتابة الديون والاشهاد عليها ، منعا للخلاف على الحق ، قال سبحانه : « **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ** » ثم قال « **وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ** » (٣) وأحل الله البيع وحرم الربا بقوله : « **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** » (٤) وحرم الخمر والميسر محافظة على عقول الناس وأجسامهم وأموالهم ، وحرم عبادة الأوثان واستعمال السهام في معرفة الحظ والنصيب ، فقال في سورة المائدة «**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** » .

وكانوا في الجاهلية يتخذون قطعا من الخشب يتعرفون بها سهمهم وحظهم من الغيب ، مكتوب على أحدها : أمرنى ربى ، وعلى الثانى نهانى ربى ، أما الثالث فلا كتابة عليه ، وكانت هذه السهام توضع في كيس وتحرك ، ويضع الكاهن يده فيه ، فيأخذ منه السهم الذى يسترشد به السائل .

وعند المعاهدات شرع الاسلام كتابة بنودها والاشهاد عليها كما حصل في صلح الحديبية وفي عهد عمرو بن العاص لأهل مصر وبين احكام المواريث في قوله تعالى : « **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ**

١ ـ سورة الاسراء ١٢
٢ ـ سورة الانعام ١١٤
٣ ـ سورة البقرة ٢٨٢
٤ ـ سورة البقرة ٢٧٥

يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَاتَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ، وَلَكُمْ نِصْفُ مَاتَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ . الى اخر الايتين الحادية عشرة والثانية عشرة من سورة النساء وقوله تعالى في اخر سورة النساء « يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَاتَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ، فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ .. » (٤)

وبين المحرمات في الزواج بقوله « وَلَاتَنكِحُوا مَانَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ .. » وبقوله : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ .. » ثم قال «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ»(١) واوجب حسن الجوار بقوله : « وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ» (٢)وأوجب اعطاء الصدقة عن النفس في رمضان ، وعن الذهب والفضة وعروض التجارة والزروع والثمار وغير ذلك قال تعالى« واتوا الزكاة » (٣ وبينت الأحاديث الأصناف التى تزكى والمقادير التىيزكى عنها ومقدار الزكاة منها ، وبين القرآن الكريم الأصناف التى تصرف لها الزكاة ، قال تعالى : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»(٤)»

وعند اختلاف المسلمين حرم عليهم القتال وأوجب رجوعهم الى حكم الله ورضاهم بالصلح وفقا لشرعه ، فان رفضت طائفة الصلح وبغت على الأخرى قاتلها المسلمون حتى ترجع الى حكم الله ، قال تعالى : «وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ

١ ـ سورة النساء الايات ٢٢ ـ ٢٤

٢ ـ سورة النساء من الاية ٣٦

٣ ـ سورة البقرة من الاية ٤٢

٤ ـ سورة التوبة من الاية ٦٠

نص الحوار ...

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » (١) .

وما من عام في القران الا وله تفصيلات في السنة ، فالبيع الذى أحله الله له في السنة فيها أنواعه وشروطه والخيار فيه ، وكذا الاجارة - والزراعة والقرض والقراض وغير ذلك من أنواع المعاملات الاسلامية التى مر ذكر جدول صغير منها ، وما من مشكلة في الحياة الا أوجد الله لها حلا ، والفقه الاسلامى غنى بالحلول التى لاتخطر على بال .

وبالجملة فالاسلام هو أنشودة الانسانية ، وبخاصة في هذا الزمان ، ليعيش الناس في سلام .

ولقد شهد بذلك المنصفون من الاجانب ، قال الكونت هنرى الفرنسى : ان العقيدة الاسلامية لاتقف عقبة في سبيل التفكير ، وكما أن الاسلام صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس ، فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات ، وهو كما يهيج من نفس الرجل العملى في أسواق لندن ، حيث الوقت من ذهب ، اذ هو يأخذ بلب الفيلسوف الروحانى ، وكما يتقبله الرجل الشرقى ذو التأملات يأخذ بمجامع الغربى الذى أفناه الفن .

ويقول الكونت دى كاسترى – وهو مسيحى متعصب – ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى ليس فيه مرتدون عن دينهم ، ولايقام وزن لمن كانوا يرتدون تحت تاثير العذاب الذى كانت تقوم به محاكم التفتيش الاسبانية في الأندلس ، ولا لاولئك الذين تركوه لاغراض مادية دنيئة كما أنه ليس من فخار المسيحية أن تضم في تعدادها أولئك الذين يباعون لها من أولاد العبيد واليتامى الذين ينشئون في مهدهم نشأة دينية مسيحية ، أما الذين يعتنقون الاسلام فى وقتنا هذا – القرن العشرين – من المسيحيين وغيرهم فانما هم من الخاصة ، سواء أكانوا من الهيئات الاجتماعية الاوروبية أم الأمريكية ، كما أن اخلاصهم في ذلك لاشك فيه ، لانهم أبعد ما يكونون عن الاغراض المادية .

وبعد فانى أختم حديثى معك يادكتور ليوناردبايندر بهذه الوصية التى أوصانا بها القرآن العظيم « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلاَتَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » وبقوله تعالى « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا » وأسأل الله لك وقتا سعيدا وحظا كريما .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

١ – سورة الحجرات الاية ٩

دراسات قرآنية

الله في كتاب الله

قال تعالى : « وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ » البقرة ٢٤٨

طلب بنو اسرائيل من نبيهم اية تدل على أن الله اصطفى طالوت ملكا عليهم . وقال لهم نبيهم : ان الاية والمعجزة الخارقة التى تدل على اصطفاء طالوت ملكا (أن يأتيكم التابوت) الصندوق ولابد أن يكون ذلك على وجه خارق للعادة حتى يصلح أن يكون اية . وقد جاءهم التابوت والملائكة يحفظونه حتى نزل عند طالوت ووجدوه فى داره (وهذا قول ابن عباس) وقوله « فيه سكينة من ربكم » اى فى اتيانه سكون لكم واطمئنان . أو فى التابوت ما تسكنون اليه وتقرون لطالوت بالملك وهو التوراة التى كانت مودعة فيه (وبقية مما ترك ال موسى وال هارون) قد يراد نفس ال موسى وأل هارون وقد يراد العلماء من أتباع موسى وهارون وهى رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وبعض من التوراة (تحمله الملائكة) اى يجىء التابوت محمولا للملائكة (ان فى ذلك لاية) عظيمة ومعجزة خارقة تدل على ملك طالوت (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بدلالة تلك المعجزة على صدق المدعى .

وقال تعالى : « تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ » البقرة ٢٥٢ .

تلك اشارة الى القصص التى قصها الله على نبيه عليه الصلاة والسلام من حديث الألوف الذين أماتهم الله ثم أحياهم وتمليك طالوت والمعجزة التى تدل على ملكه وهى التابوت . كل ذلك أيات الله ومعجزاته التى أيد بها أنبياءه وما ساق خلال ذلك من قصص يتلوها الله على نبيه عليه الصلاة والسلام بواسطة جبريل وهى ملتبسة بالحق واليقين الذى لا ريب فيه . وانك يا محمد لمن جملة المرسلين الذين أرسلوا الى الأمم لتبليغ رسالة الله وأوامره وأحكام شريعته . وقد أخبرت بتلك القصص عن طريق الوحى وما كنت تعرف القراءة والكتابة حتى ترمى بأنك اطلعت على تاريخ هؤلاء أو ما كتبت عنهم أممهم من الكتب وما كنت كذلك على معرفة سابقة بأخبار تلك الأمم مع أنبيائهم حتى تقصها على قومك . لم يكن هذا أو ذاك ولكنها الرسالة التى وافاك بها ربك . وفى قران ربك اليك اخبار بأحوال الأمم من

للدكتور محمد محمد خليفه

قبلكم وذلك يعد من معجزات القران الذى انزله عليك ربك بالحق .

وقال تعالى : « أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْىِ هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » البقرة ٢٥٩

قدم فى الاية السابقة قصة الذى حاج ابراهيم فى ربه ثم عطف عليها قصة الذى مر على القرية الخاوية على عروشها وكان المار كافرا بالبعث يدل على ذلك تعجبه الذى حكاه القران : انى يحيى هذه الله بعد موتها . ومعنى ذلك استبعاد احياء هذه القرية بعد تهدمها . و . ان المار : هو عزيز . وقيل الحضر قاله قتادة والربيع والضحاك .

وقد أراد الله أن يريه كيف يحيى الموتى ليزداد يقينا كما طلب ابراهيم فى الاية التى بعد هذه : رب أرنى كيف تحيى الموتى ؟! ليطمئن قلبه . أما القرية . فقد قيل : انها بيت المقدس بعد تخريب بختنصر لها . وقيل هى التى خرج منها الالوف التى قصها القران فى قوله : « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ألخ » (وهى خاوية على عروشها اى ساقطة على سقوفها اى سقطت العروش ثم الحيطان أو المعنى أنها تهدمت وقوله تعالى : « أنى يحيى هذه الله بعد موتها » يراد به استبعاد عمارتها بالبناء والسكان (بعد موتها) فهو يستبعد وقوع الاحياء بعد الاماتة .

وقد أراه الله الدليل فى نفسه (فأماته الله وأمكثه فى الموت (مائة عام) وقد روى أنه ربط حماره وطاف بالقرية الخاوية فلم يجد أحدا فقال ما قال : « انى يحيى هذه الله » ؟ ثم جمع من فاكهة القرية ما جمع وأكل وترك بقية طعامه الى جانبه فأماته الله مائة عام . وكان شابا . وصرف الله عنه عيون الناس فلم يره أحد . ثم بعثه الله بعد مائة سنة وهو على هيئته يوم موته . وهذا سر التعبير بقوله (ثم بعثه) قال كم لبثت ؟ وقد أجمعوا على أن الله هو القائل لأن الخطاب اقترن بما كان معجزا وذلك قوله تعالى : « فانظر الى طعامك » وانظر الى حمارك . وقد سأله الله : كم لبثت ؟ فأجاب : لبثت يوما أو بعض يوم ورد الله عليه قوله : « بل لبثت مائة عام » ثم وجهه الى النظر فى الطعام والشراب وهو لم يتغير . ثم وجهه الى النظر الى حماره وقد تفرقت أجزاؤه ليقدم له بذلك الدليل على طول المكث وأن الله فعل به ما فعل من الاماتة والاحياء ليجعله آية للناس تحمل

الدليل على البعث ثم وجهه الى النظر فى العظام كيف ننشزها وتركب بعضها فوق بعض ثم نكسوها لحما فلما تبين له ماتبين من قدرة الله على البعث (قال أعلم أن الله على كل شىء قدير

والمراد بالاية هنا : المعجزة الخارقة والدليل الذى لا ينكر على حقيقة البعث .

وقال تعالى : « أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » البقرة ٢٦٦

هذا مثل يصور الله به حال من يتبع الانفاق بالمن والاذى .

والهمزة فى قوله تعالى : « أيود » للاستفهام الانكارى وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يريد بها وجه الله بل يتبع عمله وانفاقه بالمن والاذى لمن يعطى . فاذا جاء يوم القيامة لم يجد غير الحسرة والندامة . وهو يشبه فى هذه الصورة صورة رجل كانت له جنة من اعظم الجنات فيها النخيل والأعناب وغيرهما من كل الثمرات وبين تلك الجنات تجرى الانهار فترويها وتزيد من اعطائها . ثم واتته الشيخوخة وهو أحوج ما يكون الى الانتفاع بتلك الجنات وما تعطيه فى شيخوخته حين عجز عن الكسب . وله الى جانب ذلك ذرية ضعفاء عاجزون عن الكسب وهم احوج ما يكونون فى طفولتهم الى الانتفاع بثمر الجنات . ثم شاء الله أن ينزل بتلك الجنات اعصار فيه نار فأتى على الجنة وعلى امال الرجل وامال بنيه . وهكذا تكون صورة المنفق الذى أضاع جزاء انفاقه ـ وهو أحوج ما يكون الى ذلك الجزاء ـ بالمن والاذى وكان المن والاذى كان الاعصار الذى حمل النار فأحرق الثمار والامال ولم يخلف غير الندم حيث لا ينفع الندم وكما بين الله لكم اياته ودلائله وعظاته للترغيب والترهيب يبين لكم اياته ودلائل قدرته لعلكم تتفكرون فى كل شئونكم الدنيوية والاخروية ليقودكم تفكيركم الى ما فيه خير الدنيا والاخرة لكم وتقديم ما يرضى الله من العمل ومن الانفاق الخالص لوجهه بحيث لا يشوب الانفاق شىء من المن والاذى .

وبهذه الصورة المحسوسة ضرب الله المثل ليقدم الصورة المفزعة أمام عيون من يعملون ثم يضيعون على أنفسهم جزاء اعمالهم .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ » آل عمران ٤

بعد ان بين الله فى الايات السابقة من اول ال عمران ما يتعلق بمعرفة الاله وتقرير النبوة أتبع ذلك بزجر المعرضين عن تلك الدلائل العظيمة وبين ما ينتظرهم من العقاب على كفرهم بايات الله ودلائلة الدالة عليه وعلى قدرته فأوضح أن عذابهم سيكون شديدا ثم ذيل الاية ببيان عزته وأنه ذو انتقام شديد لمن أعرض عن الايمان باياته فالذين كفروا بالايات الناطقة بالحق

هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ

صدق الله العظيم

ولا سيما التوحيد فكذبوا بالقران وبما جاء به وبالكتب الالهية الناطقة بتوحيده وتنزيهه لهم العذاب الشديد الذى لا يقدر قدره بسبب كفرهم وان الله لا يغلبه غالب . وهو منتقم له سطوته وجبروته واختلف فى المراد بالكافرين فى الاية الى قولين :

الاول : أنها نزلت فى اليهود وهو قول مقاتل .

الثانى : أن من أول سورة ال عمران الى اية المباهلة : نزلت فى النصارى وهو قول محمد بن اسحاق . وقد أنزل الله تلك الايات على اثر قدوم وفد نجران من النصارى على الرسول عليه الصلاة والسلام وما دار بينه وبينهم من حوار ذكره بعض المفسرين عند تفسيرهم لاول سورة ال عمران وذكروا أن سبب نزول الايات هو قدوم وفد نجران وما دار من الجدل بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حول خلق عيسى وغيره من المسائل التى أثارها ذلك الوفد .

وقال تعالى : « هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ » آل عمران ٧

قسمت الاية ايات القران المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم الى قسمين : محكم ومتشابه .

فالمحكمات من الايات هى قطعية الدلالة على المعنى المراد محفوظة من الاحتمال والاشتباه وهذه الايات المحكمات هى ام الكتاب واصله .

والمتشابهات : هى المحتملة لمعان لا يمتاز بعضها عن بعض . ولا يتضح الأمر فيها الا بالنظر الدقيق والتأمل ولما كان من شأن الأمور المتشابهة أن يعجز عن التمييز بينها سمى كل ما لا يهتدى اليه العقل متشابها وقد ورد فى القران ما يدل على انه محكم كله كقوله تعالى : « كتاب أحكمت اياته » ومعنى الاحكام هنا : أنها حفظت من الخلل أو من النسخ أو أيدت بالبراهين الدالة على حقيقتها . أو جعلت حكيمة لانطوائها على الحكم البالغة كما ورد ما يدل على أنه متشابه كله كقوله تعالى : « كتابا متشابها مثانى » ومعنى ذلك التشابه هذا أن أجزاءه يشبه بعضها بعض فى صحة المعنى وجزالة اللفظ وعظم المدلول .

والاية التى معنا تشير الى أن بعض ايات الكتاب محكم وبعضه متشابه . وقد بينا الكلام على القسمين فى أول الشرح .

وقال تعالى : « كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ » آل عمران ١١

اما أن يكون التقدير : « دأب هؤلاء

الكفرة كدأب آل فرعون والذين من قبلهم أو لن تغنى عنهم اموالهم مثل ما لم تغن آل فرعون والذين من قبلهم أموالهم .

ومعنى الدأب : الكدح والتعب وغلب استعماله فى الشأن والحال .

وعلى التقدير الأول يكون المعنى : أن دأب هؤلاء الكفرة وحالهم فى الكفر وعدم النجاة من عذاب الله كدأب آل فرعون ومن قبل آل فرعون من الأمم السابقة . ثم ساق التفسير لهذا الدأب والحال بقوله تعالى : « كذبوا بآياتنا » فعاقبهم الله على ذلك التكذيب بأن أخذهم بسبب ذنوبهم أو أخذهم متلبسين بذنوبهم ثم ذيل الآية بأنه شديد العقاب . وهذا التذييل مقرر لمضمون الجملة التى قبل ذلك من حيث الأخذ .

والمراد بالآيات فى قوله تعالى : كذبوا بآياتنا : المعجزات . واذا كذبوا بالمعجزات فقد كذبوا الأنبياء الذين أيدوا بتلك المعجزات .

ومفهوم الآية تنبيه الكفار وهم يعرفون ما حل بفرعون وغيره ممن سبقوا نتيجة تكذيبهم رسل الله وأنبيائه وكذبوا بالمعجزات . والخليق بالكفار بعد أن عرفوا ذلك الا يكون شأنهم كشأن آل فرعون من حيث التكذيب فينزل بهم عذاب الله ويأخذهم بذنوبهم وهو شديد العقاب للمكذبين بآياته ورسله . وفى ذلك من التهديد ما فيه بعد أن شاهدوا استئصال من قبلهم وقد عبر بالأخذ لأن من ينزل به العقاب يصير كالاسير الماخوذ حيث لا فكاك له من العذاب الذى قدر له .

وعلى التقدير الثانى : لن تغنى عنهم أموالهم مثل أنه لم تغن آل فرعون ومن قبله أموالهم حين كذبوا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ولم تغن عنهم أموالهم من الله شيئا .

وقال تعالى : « قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ » آل عمران ١٣

لقد ذكر الله فى الآية السابقة على هذه ان الكفار سيغلبون ويحشرون الى جهنم وقد نزلت فى شأن اليهود حين دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فتمردوا وقالوا : لسنا كقريش فى الضعف وقلة المعرفة بضروب القتال . وانما معنا القوة والمعرفة فقيل لهم : وان كنتم أقوياء وأصحاب عدد . ولكنكم ستغلبون . ثم ساق هذه الآية كدليل وهى قوله تعالى : « قد كان لكم آية فى فئتين » أى لقد وجدت الآية والمعجزة فى مجموعتين (التقتا ويشير بذلك الى وقعة بدر حيث كانت الكثرة والعدة فى جانب الكفار . وقلة العَدَدِ وَالْعُدَد كانت فى جانب المسلمين . ومع ذلك نصر الله المسلمين فليس النصر بالكثرة والسلاح ولكنه بتأييد الله وقد كان المشركون يرون المسلمين مثلى عدد المشركين وفى تلك الرؤية على هذه الصورة آية . وقد أمدهم الله بخمسة الاف من الملائكة وفى ذلك آية . وفى كل ذلك دليل على أنه صلى الله عليه سيهزم اليهود كما هزم من قبل كفار مكة والفئة التى قاتلت فى سبيل الله هم المسلمون . والأخرى الكافرة هم مشركو مكة .

وقد ذكرت كتب السيرة ان عدد المشركين كان تسع مائة وخمسين رجلا حملوا على سبعمائة بعير ومعهم مائة فرس وكانوا كاملى العدة والدروع أما المسلمون فكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا يتعاقب كل أربعة منهم على بعير ومعهم ستة دروع وفرسان . وكانت غلبة القلة المسلمة على الكثرة المسلحة الكافرة معجزة وكان اخبار النبى بنصر المسلمين قبل بدء المعركة وبيان مصارع المشركين اية ثانية وامداد المسلمين بالملائكة اية ثالثة ورؤية الكفار للمسلمين أنهم كمثليهم اية رابعة وكلل الله المعركة بنصر القلة المؤمنة (والله يؤيد بنصره من يشاء (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » آل عمران ٢١

ذكر الله فى الايات السابقة أن اهل الكتاب قد أصروا على الكفر على الرغم مما جاءهم من الآيات ثم قال الله لرسوله : « فان حاجوك فكل أسلمت وجهى لله » الى قوله « فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ » ثم قدم فى هذه الاية صفات المتولين المعرضين من الاسرائيليين وعقب على ذلك ببيان جزائهم : :

الصفة الأولى : أنهم يكفرون بايات الله . ويراد بالايات هنا : القران ومحمد . ويعنى بالكافرين بالايات : المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ممن أنكروا القران وأنكروا ما فى كتابهم من نعت الرسول الخاتم فكأنهم أنكروا النبى ومعجزته .

الصفة الثانية : أنهم يقتلون النبيين بغير حق : ويعنى : الاسرائيليين السابقين الذين قتلوا الكثير من أنبيائهم ومن بينهم يحيى ابن زكريا وقد زعموا أنهم قتلوا عيسى ابن مريم (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وأى جريمة أشد من قتل أنبياء الله .

الصفة الثالثة : أنهم يقتلون الذين يأمرون بالقسط وقد قيل : أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا فقام لهم مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر وقتل أولئك الأنبياء فقتلوا أولئك العباد جميعا .

والاية تدل على أن الأمر بالمعروف الناهى عن المنكر منزلته تلى منزلة الأنبياء وقد قال عليه الصلاة والسلام : أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر (١)

أولئك الذين اتسموا بتلك الصفات او بعضها بشرهم بعذاب أليم فى الاخرة حيث حبطت أعمال من كفروا بايات الله ومن قتلوا الأنبياء والدعاة الى الخير الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وليس لهؤلاء وهؤلاء ناصر من عذاب الله الذى وعدهم به .

وقال تعالى فى قصة زكريا عليه السلام : حين بشره بالولد :

« قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّى آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا)
ال عمران ٤١ .

لقد بشر الله زكريا عليه السلام بوليد بعد أن بلغ من الكبر عتيا . ولشدة سروره بتلك البشرى سأل ربه أن يجعل له اية وعلامة

(١) الترمذى فتن ١٣ ، النسائى بيعة ٣٧ ، ابن ماجه فتن ٢٠

على تحقيق هذه البشرى فاوحى الله اليه : اتيك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا ؛ وقد حبس لسانه ثلاثة أيام فلم يستطع الكلام أو التخاطب الا عن طريق الرمز والاشارة وقيل حبس لسانه عن أمور الدنيا . أما التسبيح وذكر الله فكان لسانه منطلقا فيه . وأخبر أنه متى حصل ذلك الصمت حصل الولد . وجاءه الولد فكان معجزة فى هذه الشيخوخة ويراد بالآية هنا : العلامة وكان عدم القدرة على الكلام العلامة وخلص لسانه لشىء واحد هو ذكر الله .

وقال تعالى فى شان عيسى عليه السلام : « وَرَسُولاً إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ » آل عمران ٤٩ ، ٥٠

قوله « ورسولا » منصوب بفعل مضمر تقديره ويجعله رسولا ليعطف الفعل على قوله فى الآية السابقة : ويعلمه الكتاب والحكمة ؛ وقيل : أول أنبياء بنى اسرائيل يوسف وآخرهم عيسى . وقيل : أولهم موسى وآخرهم عيسى . وقوله : وأنى قد جئتكم معمول لرسول لأنه يدل على معنى النطق أى رسولا ناطقا بأنى قد جئتكم بآية من ربكم . والمراد بالآية هنا : المعجزة أى جنس المعجزة . لأنه عدد بعد ذلك أنواعا من الايات هى خمس معجزات :

الأولى : أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله . ومعنى أخلق : أصور وأقدر وأسوى وتلك هى مهمة عيسى بالاضافة الى مهمة أخرى وهى النفخ فى ذلك الذى صوره وسواه . أما خالق الحياة فى ذلك الطير فهو الله وحده ولكنه أظهر المعجزة على يد عيسى وليس عيسى خالق الحياة ولذلك قال : باذن الله للاشارة الى أن الخلق كان باذن الله وأمره : كن فكان الثانية والثالثة : (وأبرىء الأكمه والابرص ، : والأكمه : الذى ولد اعمى أو الممسوح العين . والبرص . البياض الذى يظهر فى الأطراف ويسميه الناس : الوضح . وهذان المرضان عجز عن ابراء أصحابهما الأطباء المعاصرون لعيسى فكان من المعجزات التى أيد الله بها عيسى قدرته على إبراء المرضى من هذين المرضين بالدعاء لهم .

الرابعة : واحيى الموتى باذن الله : وقوله : باذن الله ليدفع توهم اللاهوتية فيه . وقد أحيا عازر وكان صديقا له كما قام بإحياء غيره . وقد اتهموه بانه يحيى من كان قريب عهد بالحياة وأنهم ربما يكونون أصيبوا بسكتة ثم يتقظوا ولكنه أحيا بإذن الله ميتا قديما .

الخامسة : الإخبار بالغيب فى قوله تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى

قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا

صدق الله العظيم

بيوتكم » واراد بذلك ما غاب عنه من أحوالهم التى لم يشكوا فيها فراح يخبرهم بما أكلوا وما ادخروا فى بيوتهم من الطعام والمتاع .

وفى ذلك كله اية وعلامة واضحة على صدق رسالته ان كانوا موسنين أو يتأتى منهم الايمان على صحة رسالته بعد تلك الايات وبعد أن بين ما بين أعلن أنه رسول من عند الله وبين رسالته وما أرسل به فيما يأتى :

أولا : أنه مصدق لما بين يديه من التوراة : فعيسى مصدق لموسى ومصدق بالتوراة . وكانه بعث ليقرر ما جاء فى التوراة ويبعد عنها تحريف الجاهلين والمنتفعين .

ثانيا : أنه يحل لبنى اسرائيل بعض ما كان محرما عليهم : وقد كان الأحبار قد وضعوا شرائع من أنفسهم ونسبوها الى موسى فأبطلها عيسى ليعيد الشريعة الى ما كانت عليه مما جاء به موسى بالاضافة الى أن الله قد عاقب اليهود على بعض ما صدر منهم وذلك ماحكاه القران فى قوله تعالى : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » فحرم الله على اليهود فى زمن موسى الشحوم ولحوم الابل والسمك وكل ذى ظفر . وقد أحل لهم عيسى بعض ذلك قيل : أحل لهم بعض السمك والطيور . ثم بين عيسى أنه جاءهم باية من ربهم . وقد يراد بالاية جنسها أى المعجزات التى تقدمت أو المراد : الاية الدالة على صحة نبوته (فاتقوا الله فى عدم قبولها (وأطيعون فيما أمركم به وما أنهاكم عنه .

وقيل : الاية التى جاءهم بها قوله تعالى : « ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » .

وقد يكون الاية : تكرير لما سبق : أى جئتكم باية بعد اية فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات : من الكلام فى المهد وخلق الطير وإبراء الأكمه والابرص وإحياء الموتى بإذن الله وإنبائكم بما غيب من الأخبار مما تاكلون وتدخرون فى بيوتكم .

يتبع

د . محمد محمد خليفة

■ بيعة
الرضوان

دراسات في الحديث

■ النقد الحديث
في صحيح البخاري

■ الحج
في الإسلام

بيعة الرضوان المباركة سبب في الفتح المبين

للدكتور محمد محمود شعبان

عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية . كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة . والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا نحن وركابنا » رواه البخارى ..

الحديبية بئر سمى المكان بها . وقيل شجرة حدباء صغرت سمى المكان بها ،

وقال الطبرى : الحديبية قرية قريبة من مكة .. وهى تسمى الآن الشميس يحرم على غير المسلمين الدخول اليها . بينها وبين مكة مايقرب من عشرين كيلومترا ..

والبيعة : العقد والميثاق ..

والرضوان : الرضا والقبول ..

والشفير : الحافة ..

أصدرتنا : أى أرجعتنا وقد روينا .. ركابنا : أى مانركبه من ابل وخيل ..

لقد استبشر المسلمون وفرحوا عندما سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يخبرهم بأنه رأى في منامه أنه هو وأصحابه دخلوا المسجد الحرام امنين ، خصوصا وقد تاقت نفوسهم الى وطنهم الأول مكة أم القرى . ومشاهدة البيت العتيق والطواف حوله ، والجلوس في الأماكن التى ولدوا فيها والتربة التى نشأوا عليها ، وهى أحب بلاد الله الى الله والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فاستعد جمع كبير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عددهم ألفا

بيعة الرضوان المباركة

وأربعمائة للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في أول ذى القعدة من سنة ست للهجرة : فعن المسور بن مخرمة رضى الله عنه قال : « لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره ، وأحرم منها بعمرة ، وبعث عينا له من خزاعة وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه . قال : ان قريشا جمعوا لك جموعا . وقد جمعوا لك الأحابيس وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك . فقال : أشيروا أيها الناس على ؟ أترون أن أميل الى عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فان يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين . والا تركناهم مجردين . قال : ابوبكر : يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لاتريد قتل أحد ولاحرب أحد فتوجه له : فمن صدنا عنه قاتلناه . قال : امضوا على اسم الله ..

فسار بهم صلى الله عليه وسلم حتى وصلوا الى الحديبية فبركت الناقة . فقال بعضهم . انها خلات : أى حرنت : فقال صلى الله عليه وسلم : والله ماخلات ولكن حبسها حابس الفيل .

وكانت قريش قد سمعت بمسيره عليه السلام الى مكة فتاهبوا للذود عنها وصده عن دخولها وفي أثناء ذلك جاءه رجال من مكة يسألون عن سبب قدومه فكان يخبرهم بأنه ماجاء الا زائرا لهذا البيت ومعظما له فلم يرض هذا قريشا فأرسل اليهم عثمان ابن عفان ليبلغ قريشا ماجاء لاجله فاحتبست قريش عثمان وقد قال بعض المسلمين : ان عثمان قد طاف بالبيت ولكن الرسول عليه السلام قال لهم : ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون ، ثم شاع بين المسلمين بأن عثمان قد قتل عندئذ صمم الرسول صلى الله عليه وسلم على الحرب فبايعه أصحابه تحت الشجرة بيعة الرضوان على ألا يفروا . أو على الموت . فعن يزيد بن ابى عبيد قال : قلت لسلمة بن الأكوع : على اى شىء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ؟ قال : على الموت ..

وروى عن جابر رضى الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لانفر !!

وكان أول من بايع أبوسنان الأسدى . واول من نكث عن البيعة الجد بن قيس وكان منافقا : وكان معقل بن يسار اخذا بغصن الشجرة يرفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن عفان . وانكشف الأمر بعد ذلك بأن عثمان لم يقتل عندما حضر الى الحديبية ..

وفي هذا الوقت الشديد بشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : أنتم خير أهل الارض : فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : أنتم خير أهل الأرض . وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة ..

وأخبر الله تعالى عنهم بأنهم ببيعتهم هذه انما يبايعون الله لان بيعة رسوله بيعة له : وتفضل عليهم بالرضا والسكينة والفتح

المبين فقال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ» (١) الاية وقال تعالى «لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» (٢). وهو فتح خيبر أو فتح مكة أو فتح بلاد المشرق والمغرب وانتصار الاسلام واقبال الوفود الى المدينة للدخول في الاسلام ..

كما أن الله تعالى من عليهم بالرى بعد العطش والظمأ الشديد كما قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم؟ قالوا: يارسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولانشرب الامافي ركوتك قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قال: فشربنا وتوضأنا فقلت لجابر كم كنتم يومئذ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا. كنا خمس عشرة مائة.

ولما رأت قريش تصميم رسول الله صلى الله عليه وسلم على دخول مكة أرسلت اليه رسلا وكان اخرهم سهيل بن عمرو ليصالحه على أن يرجع عامه هذا لئلا يقال دخل قريش عنوة. وتم بينه وبين سهيل بن عمرو الصلح على الشروط الاتية منها

١ ـ وضع الحرب بين الفريقين عشر سنين.

٢ ـ ان المسلمين يرجعون هذا العام ولهم في العام القادم أن يدخلوها ويقيموا بها ثلاثة ايام فقط وسلاحهم يكون في قرابهم. وأن تخليها لهم قريش هذه المدة.

٣ ـ من أتى محمدا من قريش مسلما رده اليهم. ومن أتى قريشا من المسلمين لا يردونه اليهم ..

٤ ـ من دخل في عقد محمد دخل فيه ومن دخل في عقد قريش دخل فيه.

وكتب على رضى الله عنه كتاب الصلح بعد مناقشة طويلة جرت في أمر الكتاب. ولما انتهى الصلح على هذا الوجه ظهر على المسلمين كآبة وغم لما رأوه من رجوعهم دون أن يطوفوا بالبيت وقد كانوا لا يشكون في ذلك ولا يتسرب اليهم الشك في صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ولما رأوه من هذه الشروط التى ظنوا انها لاتليق بالمسلمين حتى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال لأبى بكر رضى الله عنه: أليس هذا نبى الله حقا. قال: بلى. قال ألسنا على الحق وعدو على الباطل؟ قال: بلى. قال: فلم نعطى الدنية في ديننا اذن؟ قال أبوبكر: أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره فوالله انه على الحق. قال عمر: اليس كان يحدثنا انا سنطوف بالبيت قال: بلى. أفأخبرك أنك تأتيه هذا العام؟ قال: لا.. قال أبوبكر فانك آتيه ومطوف به. ولقد صدق الله تعالى رسوله عليه السلام بقوله: «لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا» (٣) ..

---

(١) سورة الفتح اية رقم ١٠

(٢) سورة الفتح اية رقم ١٨

(٣) سورة الفتح اية رقم ٢٧

بيعة الرضوان المبـــاركـة

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب قال لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » قال مروان بن الحكم : فوالله ماقام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد اشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة رضى الله عنها فقالت : هلك المسلمون وأمرتهم فلم يفعلوا فقالت : يارسول الله اخرج فانحر واحلق أمامهم فخرج ففعل فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما :

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وبينما هم في الطريق اليها أنزل الله تعالى سورة الفتح بأسرها وسميت هذه البيعة ببيعة الرضوان والفتح المبين . كما قال البراء في هذا الحديث وكما روى البخارى عن عمر رضى الله عنه . قال : انه كان يسير مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلا فسأله عمر عن شىء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : ثكلتك امك ياعمر نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لايجيبك قال عمر : فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فى قرأن فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بى فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن وجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد أنزلت على الليلة سورة لهى أحب الى مما طلعت عليه الشمس مثلها . ثم قرأ : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » ..

وبذلك أمن الرسول عليه السلام والمسلمون شر قريش وحلفائهم وتفرغ لمكاتبة الملوك والرؤساء . وأمن الناس في حلهم وترحالهم وتمكن من كان يخشى الدخول في الاسلام والوصول الى المدينة من الوصول الى غرضه كما حدث لخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص وغيرهما .

ودخل في هاتين السنتين بين الحديبية وفتح مكة مثل ماكان دخل في الاسلام قبل ذلك أو أكثر لأنه دخل مكة فاتحا وفتح مكة مثل ماكان دخل في الاسلام قبل ذلك أو أكثر لأنه دخل مكة فاتحا ومعه عشرة الاف بعد أن كانوا في الحديبية ألفا وأربعمائة وصدق البراء رضى الله عنه في قوله : تعدون أنتم فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية

وقد تضمنت هذه الهدنة المباركة حكما عظيمة وأحكاما جليلة وعظات بالغة تهدى المسلمين الى الطريق المستقيم وتنير قلوب المتقين فمن هذه الحكم والأحكام :

١ ـ أن رؤيا الانبياء حق لابد من تحققها لأنها عن طريق الوحى ..

٢ ـ أن للنبى صلى الله عليه وسلم معجزات حسية كثيرة شاهدها أصحابه ورأوها رأى العين ..

٣ ـ ثقة الرسول عليه السلام بربه ثقة لاحدود لها ..

٤ ـ ايمان أبى بكر رضى الله عنه هو الايمان الراسخ الذى لاتزحزحه النوائب ولاتنقصه الشدائد بل تزيده ايمانا على ايمانه وتصديقا على تصديقه بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥ ـ أن العمر التى اعتمرها النبى صلى الله عليه وسلم كانت في ذى القعدة فى كل

مرة كما ورد في صحيح البخارى .

٦ ـ أن الاحرام من الميقات بالحج او العمرة أفضل ..

٧ ـ يسن سوق الهدى في العمرة المفردة .

٨ ـ اشعار الهدى سنة وليس بمثله منهى عنها ..

٩ ـ ان الحلق في العمرة او الحج أفضل . وان الحلق نسك في العمرة كما في الحج . وانه نسك في عمرة المحصور .. وأن المحصر ينحر هديه حيث أحصر من الحل والحرم ..

١٠ ـ أن المحصر لا يجب علية القضاء لأنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالحلق والنحر ولم يامر احدا بالقضاء بديل ان العمرة في العام القادم لم تكن واجبة ولاقضاء عن عمرة الاحصار لانهم كانوا في عمرة القضية افل من عمرة الاحصار .

١١ ـ مشاورة الامام للرعية والجيش استخراجا لوجه الراى واستطابة للنفوس وتعرفا للمصلحة التى يعلمها البعض دون البعض .

١٢ ـ رد الكلام الباطل ببيان الحقيقة والصواب .

١٣ ـ جواز الحلف على الخبر الدينى الذى يريد تاكيده وقد حفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم الحلف في أكثر من ثمانين موضعا .

١٤ ـ جواز التفاؤل وانه ليس من الطيرة المكروهة لقوله عليه السلام لما جاء سهيل ابن عمرو « سهل أمركم » .

١٥ ـ جواز ابتداء الامام بطلب الصلح مع العدو اذا رأى المصلحة للمسلمين فيه .

١٦ ـ جواز قيام الحرس على رأس الامام للحفظ عند قدوم رسل العدو .

١٧ ـ جواز مصالحة المشركين ببعض مافيه ضيم على المسلمين للمصلحة الراجحة ودفع ماهو شر فيه .

١٨ ـ جواز الصلح مع الكفار على رد من جاء منهم الى المسلمين وأن لا يرد من ذهب اليهم من المسلمين وهذا في غير النساء ..

١٩ ـ اظهار فضل من بايع تحت الشجرة بانهم أفضل الخلق ..

٢٠ ـ اخذ العهود والمواثيق على فعل الامور الجليلة والوفاء بها .

٢١ ـ نقض العهد مع الامام يسبب لعنة الله اذا لم يكن في معصية .

٢٢ ـ وجوب اقتداء الرعية بالامام في فعل الأحكام الشرعية ..

٢٣ ـ طهارة فضل وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الصحابة كانوا يشربونه ويتدلكون به .

٢٤ ـ بيان منزلة المبايعين تحت الشجرة عند الله تعالى في الدنيا والاخرة ..

٢٥ ـ الصدق في النيات يسبب النصر لمبين لقوله تعالى : « فعلم مافي قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا » .

فاللهم بصرنا بأمور ديننا وثبت لايمان في قلوبنا وأدبنا بادب القران وخلقنا بأخلاق النبى الكريم . امين .

د . محمد محمود شعبان
المدير العام للتعليم الثانوى

النقد الحديث في
صحيح البخاري

لقد كانت الحرب الصليبيَّة الأوربيَّة في بلاد الشام نابعة بدافعين أساسيين

الدافع الاول : العصبيَّة العمياء من رجال الكنيسة محرضين على تخليص مهد المسيح من أيدى المسلمين مفترين بالتَّشويش على عقائد الاسلام ومقاييسه .

الدافع الثانى : وهو استغلال ثروات المسلمين ، وكانت النتيجة أن هزمت الجيوش الصليبية ، وأخفقت عسكريا فرأوا أن يتجهوا الى دراسة عقائد المسلمين لغزوهم ثقافيا وَأُلِّفَتْ الجمعيات المسيحيَّة واليهودية لهذا الغرض ، وهؤلاء هم المبشرون من رجال الدين الذين عنوا بدراستهم لأصوال الاسلام وقواعده ، لِبَلْبَلَةِ هذه الثقافة الحيوية الاسلامية ، وكان منهم من يتسم في الظاهر بِإِنْصَافِ الاسلام والاشادة به ، لا لشىء الا ليطمئن الباحث الى أفكاره ، ثم يأتى بجزئية صغيرة في حروفها ،خطرة في سمومها بالنسبة الى الاسلام وأصوله ، وسواء أكان ذلك عن جهل بطبيعة الاسلام أم عن سوء النية ، فقد كان خطرا على قواعد الاسلام ، والتهوين من شأن مصادره الصافية ، ورجاله المعنيين به ، وكان لهم مدرسة فتن بها بعض الباحثين الاسلاميين الذين يطربون لكل جديد شعورا ساذجا منهم الى ان ذلك يعلى قدرهم عن صفوف رجال آلدين ، وكان من أشد هؤلاء المستشرقين خطرا المستشرق اليهودى المجرى (١ جولد تسيهر ، وحسبك أن ترى افتراء هذا المستشرق في ارائه .

في كتابه « مذاهب التفسير الاسلامى » ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار وفي كتابه « العقيدة والشريعة في الاسلام » الذى ترجمه الأساتذة الدكتور : محمد يوسف موسى ، والدكتور على حسن عبد القادر ، والاستاذ عبد العزيز عبد الحق ، وكان من قواعد هذا المستشرق ما هو هدم لكيان السُّنة بصفة عامة .

مثال ذلك دعواه ان الحديث نتيجة لتطور المسلمين ، يقول «جلد تسيهر » ان القسم الأكبر من الحديث ، ليس الا نتيجة للتطور الدينى والسياسة والاجتماع للاسلام في القرنين الأول والثانى ، وهذه دعوة خطيرة للغاية ، ومنهارة امام المقاييس الثابتة من الكتاب والسنة فمن اواخر ما نزل على النبى (صلى الله عليه وسلم (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا ولـــم يتوف الرسول الا وقد أكمل الشرائع ، وترك فينا سبيل الهداية ممثلا في الكتاب والسنة (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما .. كتاب الله وسنتى .

(١) أنظر السنة ومكانتها في التشريع الاسلامى للسباعى ..

للدكتور الحسيني هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

وأما من السنة فقد روى البخارى ، قال الرسول « صلى الله عليه وسلم »: « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » والعناية بالسنة ، ووضع المقاييس الثابتة لحفظها ، والمنهج المستقيم الذى لم يتوفر لأى ثقافة كان شغل المسلمين يتلقاها خير خلف عن خير سلف الى أن أوصلوها الينا صحيحة ثابتة ، كما قالها الرسول ، ويعلم ذلك من درس منهجهم القويم في كتب المصطلح وما كان هجوم « ابو ريه » وأمثاله من التشكيك بالسنة الا ترديدا لقضايا هذا المستشرق وامثاله (حبرنجر دوائر المعارف الاسلامية البريطانية وما ماثلهم .

آراء المستشرقين

وقد وضع (جولد تسيهر أيضا قاعدة خطيرة رددها من بعده ، المفتونون بكل جديد ، المغرورون بعقولهم ، أو تبريزهم في ميادين أخرى غير ميدان الحديث . وهذه القاعدة هى (أن الاعتراف بصحة الحديث أمر شكلى ، قال « جولد تسيهر » : .. وقد شعر المسلمون في القرن الثانى بأن الاعتراف بصحة الأحاديث يجب أن يرجع الى آ الشكلى فقط لانه يوجد بين الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث الموضوعة وساعدهم على هذا ما ورد من الحديث(سيكثر التحديث عنى ، فمن حدثكم بحديث ، فَطَبِّقُوه على كتاب الله ، فما وافق فهو منى قلته ، أو لم أقله هذا هو المبدأ الذى حدث بعد قليل عند انتشار الوضع .

الرد على المستشرقين

وقد رد الدكتور السباعى في كتابه « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامى » على هذه الفرية فقال :

(افترى المستشرقون هنا على علماء الاسلام في موضوعين :

- الاول - زعمه بأن الاعتراف لصحة الحديث شكلى فقط ، وأنه يوجد بين الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث الموضوعة ، وهذا افتراء منه عليهم ، وهم لم يقولوا بذلك قطعا ، وكيف يقرون بان هنالك كثيــــرا من الأحاديث الموضوعة هى جيدة الاسناد ؟ وانما الذى قاله العلماء حين بحثوا مسالة العمل بخبر الواحد ، هل يفيد القطع إو الظن ؟ فذهب بعضهم الى أنه يفيد القطع ، وذهب الجمهور الى أن يفيد الظن لأنه وان

النقد الحديث

في صحيح البخاري

كان صحيحا بحسب الشروط والقواعد العامة الا انه يحتمل ألا يكون صحيحا « في الواقع » وهذا منهم مجردا احتمال عقلى دعاهم اليه الاحتياط في دين الله ، والتشبُّث في الأحكام فأين هذا مما ينقله عنهم ؟ هذا المستشرق ؟
٢ ـ الثانى ـ زعمه أن المبدأ الذى حدث بعد قليل هو حديث (سيكثر التحديث عنى ...) الخ وهذا افتراء محض اذ أن هذا الحديث ، نقده الائمة ، وحكموا بوضعه كما قال الشافعى وابن حزم ويحيى بن معين وعبد الرحمن بن مهدى فكيف يكون هذا الحديث الذى حكموا بوضعه هو القاعدة التى ساروا عليها ، والمبدأ الذى قالوا به ؟

وهذا شأن المستشرقين واتباعهم ، يشككون في الأدلة الصحيحة .

ومن الغريب أنهم يتشبثون لتقويض الصحيح بكل ضعيف وأى مكذوب ، فيأخذونه قاعدة مسلمة وهم بذلك يناقضون انفسهم ، اذ الوضع لوصح في الحديث الصحيح كما يدعون على مذهبهم لالزمهم مذهبهم بالوضع من باب أولى فيما يستدلون به من الضعيف الواهى ، أو على الأقل يتطرق الاحتمال اليه ، فلا يستدل به . وكانهم ما علموا أن الاعتناء بالسند انما هو من أجل العناية بالمتن ، وأن المحدثين يقولون : السند للخبر كالنسب للمرء ، يقول محمد بن سيرين عن ذلك :

لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا : سموا لنا رجالكم . فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم « وهم الذين لا يكذبون ، وأصحاب المقاييس الصحيحة وينظر الى أهل البدع » « فمن يظن فيهم الكذب أو الضعف » فلا يؤخذ حديثهم (١)
وقال سفيان : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » (٢)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ٤٨
(٢) الكامل لابن عدى ج ٣ ص ٤

د . الحسينى هاشم

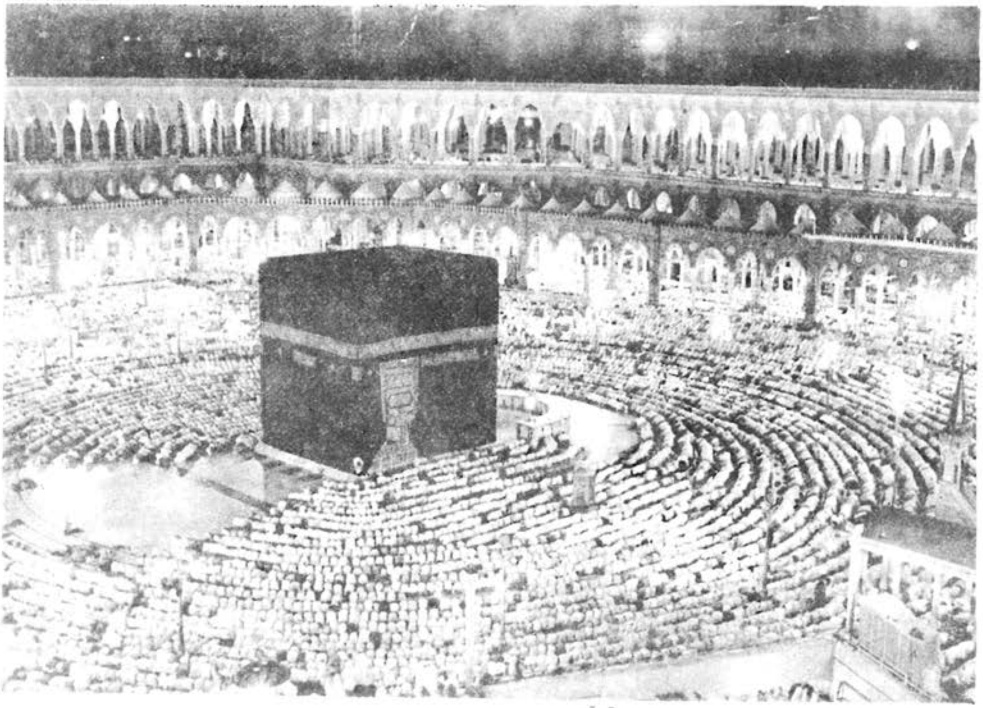

الحج في الإسلام

للشيخ محمد صابر البرديسي

عن أبي هريرة قال : خَطَبَنَا رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : (أَيُّهَا النَّاسُ قد فرضَ اللهُ عليكم الحجَّ فَحُجُّوا ، فقال رجلٌ : أَكُلَّ عامٍ يَارسولَ اللهِ ، فسكت ، حَتَّى قالها ثَلَاثاً ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لَوْ قُلْتُ نَعَم ، لَوَجَبَتْ ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُم ، ثُمَّ قال : ذَرُونِى مَاتَرَكتكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قبلكم بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِم ، واختلافهم على أَنْبِيَائِهِم ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَىْءٍ فَأْتُوا منه مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَن شَىْءٍ فَدَعُوهُ) رواه مسلم

الحج
في الإسلام

أولا ـ اللغة : ١ ـ الحج = معناه لغة القصد - وشرعا = قصد بيت الله الحرام لاداء النسك ..

٢ ـ لوجبت = أى لأصبح ذلك واجبا وفرضا .

٣ ـ ذرونى = اتركونى

٤ ـ فدعوه = أى فاتركوه .

ثانيا : مايشتمل عليه الحديث :

١ ـ تعريف بالحج . ٢ ـ الحج المبرور . ٣ ـ الحج في العمر مرة للمستطيع ٤ ـ وقت الحج ٥ ـ هل الحج واجب على الفور أو على التراخى . ٦ ـ في الحج تتجلى وحدة المسلمين ٧ ـ واجب المسلم اذا أمره المشرع بأمر فانه يأت بالمستطاع منه ، واذا نهاه عن أمر فليتركه .

البيان

١ ـ تعريف الحج : ـ الحج هو قصد بيت الله الحرام للزيارة والنسك على وجه التعظيم بأفعال مخصوصة ، في أشهر معلومة ، هى شوال ، وذو القعدة الى انقضاء أعماله من ذى الحجة استجابة لأمر الله تعالى ، وابتغاء مرضاته ، وطمعا في مغفرته ، وحسن مثوبته .

٢ ـ الحج المبرور : ـ الحج عبادة تنتظم من الانسان قلبه وبدنه وماله ، وتعود عليه بخيرى الدنيا والاخرة . قال تعالى : **(وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ)** (١)

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الحج المبرور ، ليس له جزاء الا الجنة ، قيل : ومابِرُّه ؟ قال : إطعام الطعام ، وطيب الكلام (٢) ..

الحج المبرور جزاؤه الجنة ، والجنة بمافيها من نعيم مقيم ومقام كريم هى أمل الطائعين ، وجزاء المتقين ، المهاجرين الى ربهم ، الحاجين بيت الله الحرام ، وَبِرُّ حجهم أن تصفو نفوسهم ، وتخشع قلوبهم فتكون ينابيع بِرٍّ وخير ، يطعمون الطعام ، وينفقون في سبيل الله ، مما آتاهم الله على الفقراء والمساكين مواساة لهم ورحمة بهم ، وتآلفا وتعاونا على الخير ، والبر ، « والاحسانُ دَلِيلٌ على صدق الايمان » ..

ومن بِرّ حَجّهم « طِيبُ الْكَلَامِ » ..

وطيب الكلام كلمة جامعة تشمل كل كلام مقبول عند الله ، من علم نافع يدعو اليه الحاج العالم ، يوجه الناس ،ويفقههم في دينهم ويشرح لهم مناسكهم ، وَمِنْ نُصح للمسلمين لتجميع كلمتهم ، وتوحيد صفوفهم ، والسلام على من نعرف ومن لانعرف ، وهداية الحجيج التائهين ، والسائلين الى مقاصدهم بالرفق واللين والأسلوب الحسن ، فاذا ساد الكلم الطيب حجاج بيت الله الوافدين على البلد الحرام ، وشملهم البيان الواضح والمشاركة بالرأى فيما يَجِدُّ لهم من قضايا ، واجتمعت قلوبهم على محبة الله فان مقاصدهم تتحقق ، ويعيشون أيام حجهم في سعادة ، يجتمعون

---

(١) سورة الحج ـ آية ٢٧ ، ٢٨

(٢) رواه أحمد وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال : صحيح الاسناد

على الكلم الطيب ويذهبون مع الأمل الباسم، ويرجعون مع الرضى السعيد، يلبون الله ويسألونه فيجيب دعواتهم، ويحقق أمالهم، انهم دعاة الله وجنوده وهم في ضيافته وضيافة بيته، فاستحقوا التكريم والأجر العظيم.

٣ ـ الحج في العمر مرة للمستطيع: والحج فريضة في العمر مرة عندما تتوافر الاستطاعة من الصحة، وامكان السفر، وأمن الطريق، قال تعالى: (**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**)(١).

وقد تقررت هده الفريضه بهذا النص القاطع الذى يجعل لله حق حج البيت على الناس من استطاع منهم اليه سبيلا.

وسبب الحج هو قصد بيت الله الحرام. وقد أضيف الى البيت في قوله تعالى «حج البيت» ولهذا لايجب في العمر الا مرة واحدة لعدم تكرار السبب، الا اذا نذر المرء فيجب عليه الوفاء بما نذره، ومازاد فهو تطوع.

والحديث الذى معنا يقول فيه الأقرع بن حابس لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أفى كل عام يارسول الله؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لو قلت نعم، لوجبت ولما استطعتم».

وروى الدارقطنى عن انس بن مالك (رضى الله عنه) قال: «قالوا: يارسول الله ألحج كل عام؟ قال: لا بل حجة، قيل: فما السبيل؟ قال: الزاد والراحلة».

٤ ـ وقت الحج: ووقت الحج يكون في شوال وذى القعدة وعشر من ذى الحجة استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته، فمن فرض الحج فعليه ان يلتزم بادابه، فلا رفث ولافسوق ولاجدال فى الحج.

قال تعالى: « **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** » (٢).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» (٣)..

وظاهر الاية ان للحج وقتا معلوما وان وقته الأشهر المعلومات التى أوضحناها، وعلى هذا فلايصح الاحرام بالحج الا في هذه الأشهر المعلومات، فمن فرض الحج في هذه الأشهر المعلومات أى أوجب على نفسه اتمامه بالاحرام فلارفث ولافسوق ولاجدال في الحج، والرفث: ذكر الجماع ودواعيه، والجدال: المناقشة الحادة والمشادة حتى يُغْضِبَ الرجلُ صَاحِبَه، والفسوق: إتْيَان المعاصى كَبُرَت أم صَغُرَت والنهى عنها ينتهى الى ترك كلماينافى التجرد لله، والارتفاع عن دواعى الخبيث، وفي ذلك رياضة روحية وتعلق بالله دون سواه، والتادب في بيت الله الحرام.

٥ ـ هل الحج واجب على الفور او على التراخى: القادر على الحج والمستطيع لادائه قال بعض العلماء ـ ومنهم أبو حنيفة والمالكية وبعض أصحاب الشافعى يجب عليه الحج فورا بلاتراخ ويأثم لتأخيره لحديث عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (من أراد الحج فَلْيُعَجِّل، فانه يَمْرَضُ الْمَرِيض، وتَضِلُّ الراحلةُ وتكُونُ الحَاجَةُ) (٤)..

---

(١) سوره ال عمران اية ٩٧

(٢) سورة البقرة آية ١٩٧

(٣) رواه البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ثم ذكر الحديث.

(٤) رواه ابن ماجه وأحمد والبيهقى

وعن ابن عباس « رضى الله عنهما » أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : تعجلوا الى الحج « يعنى الفريضة » فان أحدكم لايدرى مايعرض له » ، « أى مايحدث له من مرض أو حَاجَةٍ » (١).

وقال بعض العلماء منهم الشافعى والثورى وبعض المالكية أنه يجب على التراخى وعليه فيؤدى في أى وقت من العمر ، ولايأثم من وجب عليه تأخيره متى أداه قبل مماته ، وان كان يستحب تعجيله ، والمبادرة اليه متى توفرت لدى الانسان القدرة والاستطاعة لأدائه ، عملا بقوله تعالى : (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) (٢) وقد ثبت أن النبى (صلى الله عليه وسلم) لم يحج سوى حجة واحدة هى (حجة الوداع) وكانت في السنة العاشرة من الهجرة ، وكان معه أزواجه (صلى الله عليه وسلم) وكثير من أصحابه ، مع أن الحج فرض سنة ست أو تسع ولأن العلماء أجمعوا على عدم تفسيق القادر على الحج اذا أخره ، وأنه متى حج بعد مضى أعوام من وقت استطاعته ، فقد سقط عنه الفرض وأدى الحج الواجب عليه في حينه .

٦ ـ في الحج تتجلى وحدة المسلمين : الأمة الاسلامية أمة واحدة قال تعالى : (إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (٣) وتتجلى وحدة المسلمين في كثير من عباداتهم ومن مظاهر هذه الوحدة المباركة ، مؤتمرهم الأكبر « الحج » فهم في وحدة المكان يجتمعون بعرفة من كل جنس ولون يتعارفون ويتشاورون ويتعاونون ووحدة في الزمان الذى تؤدى فيه الفريضة (الحج أشهر معلومات ووحدة في أقوالهم في التلبية والتكبير والذكر ، ووحدة في العمل المفروض في مناسك الحج وواجباته وأركانه وسننه ومستحباته ووحدة في مظهرهم ولباسهم الواجب على كل الحجاج والعمار وهو لباس الاحرام .

فالحج يجمع المسلمين في اسمى رابطة هى رابطة الدين ، فتوحد بين صفوفهم وتجعلهم قوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

واجب المسلم ان يمتثـــل لامر الله .

واجب المسلم ان يستجيب لامر الله اذا دعاه وان يبتعد عما نهاه وان يطيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة لله .. (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (٤) واذا أمرنا الله او رسوله بامر فانا ناتى منه مانستطيعه . وقدر طاقتنا ، وهذا معنى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم في الحديث .. (فاذا امرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم .

وهذا الحكم الذى ورد في الحديث من قواعد الاسلام المهمة ، ومن جوامع الكلم التى أعطيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم ويدخل فيها مالا يحصى من الاحكام . ولنأخذ لذلك مثلا (الصلاة بانواعها ، فاذا عجز المرء عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقى قدر استطاعته ولم يامر الله سبحانه الا بالمستطاع . قال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (٥) . وقال

(١) رواه أحمد والبيهقى والأصبهانى
(٢) المائدة ٤٨
(٣) سورة الانبياء آية ٩٢

(٤) النساء ـ ٨٠
(٥) سورة البقرة ـ اية ٢٨٦

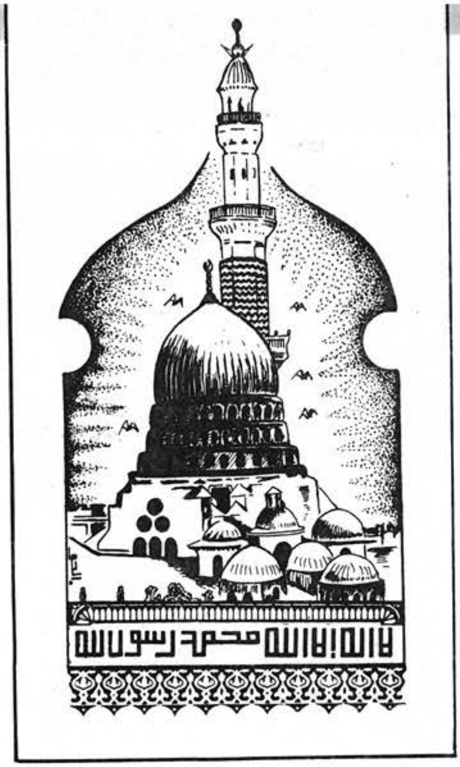

تعالى : (وَمَاجَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (١) .

وفي قوله (صلى الله عليه وسلم) : (ذرونى ماتركتكم) دليل على أن الأصل عدم الوجوب وأنه لاحكم قبل ورود الشرع) .

وفي قوله (صلى الله عليه وسلم) : (واذا نهيتكم عن شيء فدعوه صريح في أن نجتنب مانهى عنه ، وواجبنا أن نستجيب لأمر الله ورسوله ونهيهما ، لأن في ذلك حياة لنفوسنا وتهذيبا لأرواحنا وسعادة لنا في الدارين قال تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**) (٢) .

فاذا ما اضطر المرء لفعل المنهي، وارتكاب المحظور لعذر قهرى ، وضرورة لامفر منها ، ووجد عذر يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة أو اكراه على تناول محرم ونحو ذلك فذلك ليس منهيا عنه في هذه الأحوال ..

وبعد ـ فالحج من أفضل الأعمال وهو طريق الى الخير في الدنيا ، والى الجنة في الاخرة ، والحاج في تلبيته ودعائه وتجرده من الزينة وأداء نسكه وخضوعه ، يكون قد عاهد الله على أن يكون برا تقيا مخلصا ، صادقا في شعوره القوى الذى صاحبه في حجه ، وعلى أن يستمر ويبقى معه هذا الشعور طيلة حياته ، شاكرا لأنعم الله حامدا الله على ماهداه ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

محمد صابر البرديسى

---

(١) سورة الحج ـ آية ٧٨

(٢) سورة الأنفال آية ٢٤

■ قادة النبي
صلى الله عليه وسلم

■ أثر الإسلام
في الأولين

في السيرة النبوية والقضاء

■ من المواقف الخالدة
لرجال القضاء

قادة النبى صلى الله عليه وسلم

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

٣٦ ـ ابن أبى حَدْرَدْ الأسلمى رضى الله عنه ..

هو عبد الله بن أبى حدرد وابوه هو سلامة بن عمير بن سلامه من قبيلة أسلم

أسلم وله صحبة وأول مشاهده الحديبية وخيبر .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية الى بطن إِضَم (١) فى نفر من المسلمين منهم أبو قَتَادةَ الحارث بن رِبْعىّ ومُحَلِّم بن جَثَّامة بن قيس . وبينما هم فى بطن وادى اضم مر عليهم عامر بن الأضبط الأشجعى . وألقى عليهم السلام فأمسكوا عنه (٢) ولكن مُحَلِّم ابن جَثَّامة رماه فقتله . لشىء كان بينهما فى الجاهلية واستولى على متاعه . فنزل فى محلم قول الله سبحانه وتعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٣)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم لمُحَلِّم : (أَمَّنْتَه بالله ثم قتلته .. اللهم لا تغفر لمحلم ابن جثامة) ومـــات محلـم بعدها بسبعة أيام ودفن ولكن الأرض لفظته مرتين رضموا (٤) عليه الحجارة حتى وَارَوْهُ .

وطلب ابن ابى حدرد رضى الله عنه مساعدة الرسول صلى الله عليه وسلم فى صَدَاقِهِ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : (والله ما عندى ما أعينك به

وما أن أفاء الله سبحانه على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أعان ابن أبى حدرد بثلاثة عشر بعيرا فى صداقه ـ رضى الله عنه ويجمع رفاعة بن قيس من بنى

١ ـ واد من أودية قبيلة أشجع وهى من غطفان
٢ ـ لم يهاجموه

٣ ـ النساء : ٩٤
(٤) ألقوا

جُشَم لحرب الرسول صلى الله عليه وسلم . وينزل رفاعة بجمعه الكثيف الغابة (١) فيرسل الرسول صلى الله عليه وسلم ابن ابى حدرد الى رفاعة ويكمن الصحابى وليس معه غير اثنين صاحبين . حتى اذا تمكن من رفاعة ابن قيس رماه بسهم وقطع رأسه وكَبَّر وصاحباه وهاجم الصحابة الثلاثة ـ فقط ـ ذلك الجمع الكثيف الذى جاء يريد بالاسلام شرا . ففر المعتدون بنسائهم وأبنائهم وما خف من أموالهم واستولى ابن أبى حدرد على غنيمة هائلة من الابل والغنم جاء بها أصحابها معتدين ثم فروا عنها منخذلين ..

٣٧ ـ عمرو بن العاص رضى الله عنه :

هو عمرو بن العاص بن وائل قرشى من بنى سهم . داهية من دهاة العرب . وفصيح من فصحائهم وشجاع من شجعانهم .

كان رسول قريش الى النجاشى ليسترد مهاجرى الحبشة ـ انتقاما من المسلمين . ولكن النجاشى لم يسلمه المهاجرين . ويقال ان النجاشى قال له : « ياعمرو ، وكيف يَعْزُب عنك أمر ابن عمك . فوالله انه لرسول الله حقا ..

ويقال أنه أسلم عند النجاشى وهاجر الى النبى صلى الله عليه وسلم . والأرجح أن اسلامه كان فى صفر سنة ٨ هـ قبل الفتح بستة أشهر . ذهب الى المدينة هو وخالد بن الوليد رضى الله عنهما وقال الرسول صلى الله عليه وسلم عندما رآهما قادمين (لقد رمتكم مكة بفلذات أكبادها . وتقدم عمرو

(١) قرب المدينة

بعد خالد رضى الله عنهما فأسلم وبايع على أن يُغْفَر له ما كان قبل الاسلام . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (الاسلام يجب (٢) ما قبله) . أو كما قال ـ عليه الصلاة والسلام أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم أميرا على سرية الى أخوال ابيه الى قضاعة (٣) يستميلهم الى الاسلام ويستنفرهم الى الجهاد . وكان أصحابه ثلاثمائة (٤) . وعندما وصل الى ماء يقال له السلاسل فى ارض جذام (٥) خاف وطلب المدد من الرسول صلى الله عليه وسلم فأمده بجيش يقوده أبو عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه . وفى الجيش أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى عبيدة رضى الله عنه (لا تختلفا فقال عمرو ـ لأبى عبيدة رضى الله عنهما : « أنت مدد لى فأنا الأمير » ولأن أبو عبيده فصلى عمرو بالناس .

وأرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية الى هذيل (٦) فكسر صنمهما سواع ..

واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على عمان فظل عليها حتى توفى عليه الصلاة والسلام .

وفى زمن أبى بكر اشترك فى حروب الردة . وتولى قيادة أحد جيوش الشام . واشترك فى فتحها . وفتح وحده مصر والنوبة وبرقة . وأنشأ مدينة الفسطاط وجامعه بها مشهور حتى الان فى مصر القديمة . واستمر أميرا على مصر طوال

٢ ـ يقطع ويمحو
٣ ـ قبيلة عربية تسكن شمال المدينة
٤ ـ سرية ذات السلاسل .
٥ ـ قبيلة عربية
٦ ـ قبيلة عربية

خلافة عمر رضى الله عنه . وبعض خلافة عثمان رضى الله عنه . وبعض خلافة معاوية رضى الله عنه

٢٨ـ الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه ..

هو الطفيل بن عمرو بن طريف ـ أزدى دوسى ـ ويلقب « ذا النور » كان شريفا شاعرا لبيبا مقدما فى قومه .

أسلم والاسلام فى مدارجه الأولى ما زال غريبا فى مكة . قدم مكة فقابلته رجالات قريش يخوفونه من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذى فرق بينهم ويحدثونه أن كلامه كالسحر . فقرر الطفيل الا يسمع لمحمد حتى انه وضع قطنا فى أذنيه فلا يستمع (سحر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى زعمهم .

ويغدو الطفيل الى الكعبة . وشاء الله سبحانه وتعالى أن يستمع للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فيشعر بأن محمدا عليه الصلاة والسلام ليس بساحر . وأن قوله ما هو بقول بشر . فيتبعه حتى يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم بيته . ويدخل عليه . ويطلب منه ان يعرض عليه الاسلام ثم شهد شهادة الحق .

ويقول رضى الله عنه للرسول صلى الله عليه وسلم « انى امرؤ مطاع فى دوس وسارجع ادعوهم الى الاسلام . فادعو الله أن يجعل لى اية تكون لى عونا عليهم فيما ادعوهم اليه » .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (اللهم اجعل له اية ـ

وعاد الطفيل رضى الله عنه الى قومه . ولما اقترب من ديار قومه جعل الله له نورا بين عينيه مثل المصباح فقال الطفيل رضى الله عنه « اللهم فى غير وجهى » فكان النور (١) فى طرف سوطه كالقنديل المعلق .

وأخذ يدعو دوسا الى الاسلام فأبطأوا عليه فطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو على قومه . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا لهم (اللهم اهد دوسا . ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم) .

وفى عام خيبر لحق الطفيل رضى الله عنه بالرسول صلى الله عليه وسلم ومعه من أسلم من قومه فأعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم من غنائم خيبر .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية الى صنم ذى الكفين (٢) فاحرق الصنم الذى كان من خشب وهو يقول

يا ذا الكفين لستُ من عِبَادِكا
ميلادُنَا أقدم من ميلادكا
إنى حشوت النار فى فؤادك

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . اشترك الطفيل رضى الله عنه مع المسلمين فى حروب المرتدين واستشهد رضى الله عنه فى اليمامة فى قتال مسيلمة الكذاب .

٢٩ ـ قطبة بن عامر رضى الله عنه

هو قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو ابن غنم بن سواد . خزرجى من بنى سلمة . من أوائل أهل المدينة اسلاما . فهو أحد الستة الذين هداهم الله الى الاسلام حضر بيعة العقبة الأولى والثانية وحضر المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بدرى . وفى أحد جرح تسع جراحات .

---

١ ـ وكان هذا سبب لقبه (ذا النور)

٢ ـ صنم فى طريق الطائف

وفى فتح مكة كانت معه راية بنى سلمة
أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية ليهدم صنما قرب تربة بجوار مكة . وكان قطبة رضى الله عنه فى عشرين من أصحابه ونصرهم الله . وحطموا صنم تربة وقتلوا واسروا وغنموا وعادوا الى المدينة .
توفى قطبة فى خلافة عثمان رضى الله عنهما .

٣٠ ـ الضحاك بن سفيان الكلابى

هو الضحاك بن سفيان بن عوف عامرى كلابى يكنى أبا سعيد أسلم وكانت له صحبة . وكان ينزل بادية المدينة . وجعله الرسول صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه . كتب له الرسول صلى الله عليه وسلم ان يُوَرِّث امرأةَ أشيم الضبابى من دية زوجها الذى قتل خطأ وأخذ عمر بن الخطاب بقول الضحاك فى هذا الأمر ..
كان يقف على راس الرسول صلى الله عليه وسلم متوشحا سيفه حارسا له .
وكان من شجعان العرب . يعد وحده بمائة فارس . جعله الرسول صلى الله عليه وسلم اميرا على بنى سليم فى فتح مكة لأنهم كانوا تسعمائة فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم : هل لكم فى رجل يعدل مائة يوفيكم الفا . فوفاهم بالضحاك رضى الله عنه .
وذكره العباس بن مرداس السلمى فى شعره

ان الذين وفوا بما عاهدتهم
جيش بعثت عليهم الضحاكا

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية الى بنى كلاب بالْقُرَطَاءِ فدعاهم الى الاسلام فلما ابوا قاتلهم وهزمهم وغنم منهم .
رحم الله ذلك الصحابى الذى يعدل مائة فارس .

٣١ ـ علقمة بن مُجَزِّز المدلجى رضى الله عنه

هو علقمة بن مجزز بن الاعور بن جعدة مدلجى كنانى . أسلم وحضر غزوة بنى قريظة . وقيل الخندق أيضا وما بعدهما فى سنة ٦ هـ أغار عيينة بن حصن الفزارى الغطفانى على المدينة وطارد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة المعتدين (١) وقتل فى الغزوة وقاص بن مجزز المدلجى رضى الله عنه .
فطلب علقمة بن مجزز رضى الله عنه من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يرسله فى سرية طلبا للقوم لعله أن يدرك ثأره
وخرج علقمة رضى الله عنه فى أصحابه مطاردا القوم ولكنه عاد ولم يلق كيدا

٣٢ ـ قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه

هو قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى الأنصارى من بنى ساعدة . كان من فضلاء الصحابة وأحد كرماء العرب ودهاتهم ; ومن ذوى الرأى الصائب والمكيدة فى الحرب مع النجدة والشجاعة . وكان ـ رضى الله عنه ـ الى ذلك جميلا .
دفعه ابوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ليخدمه وكان بمنزلة قائد الشرطة للرسول صلى الله عليه وسلم .
وفى غزوة فتح مكة كان هو صاحب راية الانصار وراية الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) غزوة ذى قرد

خرج وهو شاب فى سرية كان فيها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . وكانت السرية فى جهد وقلة مال وطعام . فاستدان قيس رضى الله عنه على تمر ابيه وأطعم الناس اكثر من مرة . حتى خاف أبو بكر وعمر رضى الله عنهما على مال سعد بن عبادة أن يهلكه قيس رضى الله عنه . ولكن عند عودة السرية الى المدينة اقر سعد بن عبادة رضى الله عنه فعل ابنه ومنحه بستانا يتصرف فيه ويدفع من تمره ما عليه من دين .

ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم قيسا فى سرية عددها أربعمائة الى قبيلة صُداء فى اليمن ولكن زياد بن حارث الصدائى قدم المدينة والتزم أمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالاتيان بقومه فأتى بهم بعد خمسة عشر يوما وأسلموا على يدى الرسول صلى الله عليه وسلم فمنع القوم من المسير اليهم .

تولى قيس رضى الله عنه امرة مصر لعلى ـ كرم الله وجهه ـ وشهد معه حروبه . وقال قيس رضى الله عنه أيام الفتنة : لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (المكر والخديعة فى النار) لكنت من امكر هذه الأمة .

٣٣ ـ سعد بن زيد الأشهلى الأنصارى رضى الله عنه .

هو سعد بن زيد بن مالك بن عبد الانصارى الأوسى الاشهلى شهد بدرا ـ على الارجح ـ وشهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد غزوة بنى قريظة بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم بسبايا من قريظة الى نجد فابتاع لهم بها

خيلا وسلاحا[1]

ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية من عشرين فارسا لهدم الصنم[2] الذى كان للأوس والخزرج بالْمُشَلَّل شمال المدينة . فخرجت سادنته سوداء ثائرة الرأس عريانة . تدعو بالويل والثبور وتضرب صدرها تخوف من يقترب من معبودها فقتلها سعد رضى الله عنه وهدم الصنم واستولى على ما كان له من أموال . وتخلصت الأرض من أصنام كانت تعبد فيها

---

١ ـ و وكان هذا بداية اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بسلاح الفرسان لما له من أهمية .
٢ ـ قيل مناة وقيل منار .

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الفيط

من المواقف الخالدة

لرجال القضاء في دولة الإسلام

الاسلام هو الدين العام على وجه الأرض جمع بين الدين والدنيا لذلك اهتم بجميع النواحى البشرية والانسانية ومنها القضاء ووضع له الأساس السليم الذى يحقق الخير والنفع ويضمن سلامة الحقوق وهو العدل فقال الله سبحانه وتعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ) سورة النساء ٥٨ ..

كما وضع أساس المساواة بين الناس فهم جميعا أمام الله سواء وفي هذا يقول سبحانه وتعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ سورة الحجرات ١٣ ..

ولقد كان لسيرة أئمة الاسلام أثره الكبير في استقامة ولاية القضاء حتى استقر في نظام دولة الاسلام أن القاضى مستقل في قضائه ليس لأحد عليه من سبيل وهو مايعبر عنه في زماننا المعاصر باستقلال القضاء أو السلطة القضائية ..

ولقد كان قضاء النبى صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لصيانة الحقوق والتسوية بين الخصوم والحرص على اقامة الحدود بين الناس مهما كانت منزلتهم في الهيئة الاجتماعية (١)

فعن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقالوا ومن يجترىء عليه الا أسامة ابن زيد رضى الله عنهما حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة رضى الله عنه فقال : « أتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟ » ثم خطب فاختطب ، ثم قال : « انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم

---

(١) كتاب « القضاء في الاسلام تاريخه ونظامه » تاليف الاستاذ / ابراهيم نجيب محمد عوض من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ..

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

الضعيف أقاموا عليه الحد . وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها (١ »

ومما لاجدال فيه ان القضاء كان ولايزال وسيظل مقياسا للشعوب في تقدمها ورقيها أو تأخرها وانحطاطها فعدل القاضى يؤمن المجتمع كما يؤمن الفرد الى التفرغ لعمله امنا على ماله وعرضه ودمه لاينال من ذلك كله الا بحقه .

عزة الدولة في عزة قضاتها :

والدولة الاسلامية منذ نشأتها ومع اختلاف عصورها انما عزت بعدل قضاتها وسمو قضائها وسنسوق على ذلك من الامثلة على ماقام به أولئك الأعلام فيما يصدرون من أحكام لايبغون الا وجه الله« عز وجل » مهما كان من وراء ذلك من تبعات وأثقال . حيث أجبروا الولاة والحكام مع ماهم عليه من جبروت على النزول على تصرفات قضاتهم والخضوع لأحكامهم ..

أولا : موقف محمد بن عمران الطلحى في خلافة أبى جعفر المنصور العباسى :

قال نمير المدنى : قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد ابن عمران الطلحى في منصب القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجمالين واستعدوه على امير المؤمنين المنصور في شىء ذكروه فامرنى أن اكتب كتابا الى المنصور بالحضور معهم أو انصافهم فقلت له : تعفينى من ذلك فانه يعرف خطى .

فقال : اكتب فكتبت وختم الكتاب ثم قال : والله مايمضى به غيرك فمضيت به الى الربيع حاجب الخليفة وجعلت اعتذر اليه فقال : لابأس عليك ودخل بالكتاب على الخليفة ثم خرج الربيع ـ وقد حضر وجوه أهل المدينة وأشرافها وغيرهم لتحيته والسلام عليه ..

فقال : لهم الربيع ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : (أنى قد دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولايبدأنى بالسلام) .

قال : ثم خرج وبين يديه المسيب والربيع وأنا خلفه وهو في ازار ورداء فسلم على الناس فما قام اليه أحد ثم مضى حتى بدأ بقبر النبى صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ثم التفت فلما رآه ابن عمران الطلحى القاضى أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتبى به ودعا بالخصوم والجمالين ثم دعا بالمنصور فادعى عليه القوم وقضى لهم ثم انصرف فلما عاد المنصور الى داره قال للربيع اذهب فاذا قام القاضى من مجلسه فادعه فلما دعاه ودخل على المنصور وسلم عليه فرد عليه

(١) أخرجه الخمسة وهكذا ورد بكتاب « تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم » تأليف المحدث عبد الرحمن بن على المعروف بابن الربيع الشيبانى الزبيدى الشافعى . الجزء الأول .

السلام قال له : (جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء قد أمرت لك بعشرة الاف ، صلة لك فاقبضها فكانت عامة أموال محمد بن عمران الطلحى القاضى من تلك الصلة ..

ويعلق نمير المدنى على موقف القاضى المذكور بقوله (فما ابرك سلوك السنن القويم القويم واتباع الصراط المستقيم) (١) .

ثانيا : شجاعة شريك بن عبد الله قاضى الكوفة :

روى عمر بن هياج بن سعيد قال اتت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضى الكوفة وهو في مجلس الحكم فقالت أنا بالله ثم بالقاضى ، قال : من ظلمك قالت الأمير موسى بن عيسى بن عم أمير المؤمنين .

ثم حكت قضيتها للقاضى فقالت : (كان لى بستان على شاطىء الفرات فيه نخل ورثته عن أبى وقاسمت اخوتى وبنيت بينى وبينهم حائطا وجعلت فيه رجلا فارسيا يحفظ النخل ويقوم به فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع اخوتى وساومنى ورغبتى فلم أبعه فلما كان هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلى شيئا واختلط بنخل اخوتى .

فقال القاضى ياغلام أحضر رسالة ثم ختمها وقال : لها امضى الى بابه بالختم حتى يحضر معك فجاءت المرأة الشاكية بالرسالة المختومة فاخذها الحاجب ودخل على الامير موسى فقال : قد اعدى القاضى عليك وهذا ختمه فكلفه الامير باستدعاء صاحب الشرطة فلما حضر اليه أمره بالرجوع الى شريك القاضى وان يقول له (ياسبحان الله مارأيت اعجب من امرك امراة ادعت دعوى لم تصح أعديتها على ..

فقال : صاحب الشرطة : أن رأى الأمير ان يعفينى من ذلك فقال : امض ويلك فخرج صاحب الشرطة وفي طريقه الى شريك القاضى طلب من أهله وغلمانه أن يحملوا الى حبس القاضى بساطا وفراشا له وكل ماتدعو الحاجة اليه ..

ثم مضى الى شريك بن عبد الله القاضى فلما وقف بين يديه أدى رسالة الأمير وعندئذ أمر القاضى حاجب مجلس القضاء بأن ياخذ بيده ويضعه في الحبس فقال : صاحب الشرطة : والله قد علمت أنك تحبسنى فقدمت ما أحتاج اليه في الحبس . وبلغ الأمير موسى بن عيسى الخبر فوجه حاجبه الى القاضى يقول له رسول الله أدى رسالة أى شىء عليه ؟ فلما وصل الى القاضى شريك أمر بأن يذهبوا به الى رفيقه في الحبس فحبس ..

فلما صلى الامير موسى العصر بعث الى اسحق بن الصباح الأشعثى والى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضى شريك وقال لهم : امضوا الى القاضى وأبلغوه السلام وأعلموه أنه استخف بى وأنى لست كالعامة فمضوا اليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر وأبلغوه الرسالة فلما انقضى كلامهم

---

(١) كتاب « العقد الفريد » للملك السعيد تأليف أبى سالم محمد بن طلحة القرش الوزير .

قال لهم : مالى أراكم جئتمونى في غثرة من الناس فكلمتمونى ثم استدعى جماعة من فتيان الحى وامرهم أن يأخذ كل واحد منهم بيد رجل من هؤلاء الأصدقاء ووجوه الكوفة فـذهب به الى الحبس وقال لهم ما أنتم الا فتنة وجزاؤكم الحبس فسالوه ان كان جادا فى قراره فقال حقا حتى لاتعودوا برسالة ظالم فحبسهم ..

وعندئذ ركب الأمير موسى بن عيسى في الليل الى باب السجن وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان الغد وجلس شريك بن عبد الله للقضاء جاءه السجان فأخبره بما فعل الأمير فماذا عساه القاضى الحريص أن يفعل حفاظا لحرمة القضاء واحتراما لقدسية العدالة ؟

لقد دعا بقمطر القضايا فختمه ووجه به الى منزله وهناك كلف حاجب جلسة القضاء لينقله معه الى دار الخلافة في بغداد وأخذ يردد قولـه (والله ماطلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا عليه ولقد ضمنوا لنا فيه الأعزاز اذ تقلدناه لهم ومضى نحو الكوفة في طريقه الى بغداد وبلغ الخبر الى الأمير موسى بن عيسى فركب في موكبه ولحقه وجعل يناشده الله ويقول : يا أبا عبد الله تثبت انظر اخوانك تحبسهم فرد عليه القاضى شريك (نعم لأنهم مشوا لك في أمر لم يجز لهم المشى فيه ولست ببارح أو يردوا جميعا الى الحبس والا مضيت الى أمير المؤمنين المهدى فاستعفيته . مما قلدنى فاضطر الأمير موسى بن عيسى أن يردهم جميعا الى الحبس وهو واقف والله مكانه حتى جاءه السجان فقال قد رجعوا جميعا الى الحبس فقال لأعوانه خذوا بلجام دابة الأمير بين يدى الى مجلس الحكم فمروا به بين يديه حتى أدخل المسجد (١) وجلس في مجلس القضاء فجاءت المرأة المتظلمة فقال القاضى شريك هذا خصمك قد حضر فطلب الأمير وهو مع المرأة بين يديه أن يخرج اعوانه المحبوسين فقال القاضى شريك أما الآن فنعم اخرجوهم من الحبس ثم التفت الى الأمير وقال ماتقول فيما تدعيه هذه المرأة ؟ فأجاب صدقت قال القاضى : ترد ما أخذت منها ، وتبنى حائطها سريعا كما كان . قال الأمير : أفعل ذلك كله ..

ثم نظر القاضى الى المرأة المتظلمة وقال لها أبقى لك عليه دعوى قالت : بيت الرجل الفارسى ومتاعه . قال الأمير موسى بن عيسى : ويرد ذلك كله فسألها القاضى أيضا : أبقى عليه دعوى بعد ذلك . قالت المرأة : لا وبارك الله عليك وجزاك خيرا فأذن لها بالانصراف وقامت من مجلسه .

فلما فرغ القاضى من مجلس القضاء قام وأخذ بيد الأمير موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه وقال السلام عليك أيها الأمير أتأمر

(١) كان من ضمن وظائف المسجد في ذلك الزمان أن تعقد فيه مجالس القضاء .

من المواقف الخالدة لرجال القضاء

بشيء ؟ فقال : اى شيء امر فقال له شريك القاضى : أيها الامير ذاك الفعل حق الشرع وهذا القول الان حق الادب فقام الامير موسى وانصرف الى منزله وهو يقول .من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه (١ .

ثالثا : عدل عبيد بن ظبيان قاضى الرشيد بالرقة :

روي الزبير بن بكار عن عمه مصعب قال كان بن ظبيان قاضى الرشيد بالرقة وكان الرشيد اذ ذاك بها فجاء رجل الى القاضى فاستعدى اليه على الامير عيسى ابن جعفر فكتب اليه القاضى ابن ظبيان اما بعد ابقى الله الامير وحفظه واتم نعمته

اتانى رجل فذكر انه فلان بن فلان وان له على الامير خمسمائة الف درهم فان راى الامير ان يحضر مجلس الحكم او يوكل وكيلا يناظر خصمه او يرضيه فعل ودفع الكتاب الى حاجبه فاتى باب الامير ابن جعفر فدفع الكتاب الى حارسه فقال له : قل للقاضى (كل هذا الكتاب فرجع الحاجب الى القاضى فاخبره فكتب اليه (ابقاك الله وامتع بك حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر ان له عليك حقا فسر معه الى مجلس الحكم او وكيلك ان شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عونين من اعوانه فحضرا باب الامير عيسى ابن جعفر ودفعا الكتاب اليه

فغضب ورمى به فانطلقا فاخبرا القاضى عبيد بن ظبيان فكتب اليه للمرة الثالثة (حفظك الله وامتع بك لابد ان تصير انت أو وكيلك الى مجلس الحكم فان ابيت أنهيت امرك الى امير المؤمنين ان شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من اعوانه فقعدوا على باب الامير عيسى بن جعفر حتى طلع فقاما اليه ودفعا اليه كتاب القاضى فلم يقرأه ورمى به فعادا فابلغا قاضى الرقة بذلك ..

وعندئذ قام القاضى عبيد بن ظبيان فختم قمطر القضايا واغلق بابه وقعد فى بيته فبلغ الخبر الى الخليفة هارون الرشيد فدعاه وساله عن امره فطلب اعفاءه من القضاء وقال : يا امير المؤمنين اعفنى من هذه الولاية فوالله لا افلح قاض لايقيم الحق على القوى والضعيف فقال له الرشيد : من يمنعك من اقامة الحق . فقال : هذا عيسى بن جعفر فامر الخليفة بان تغلق ابوابه وتختم ولا يخرج منها احد ولايدخل اليها احد حتى يخرج الى الرجل عن حقه او يسير معه الى مجلس الحكم ..

فلما اغلقت ابواب البيت على الامير عيسى بن جعفر توهم ان الخليفة حدث عنده راى في قتله وارتفع صراخ أهله داخل البيت ثم ارسل في طلب احد اعوانه ليأتيه

(١ كتاب « العقد الفريد » للملك السعيد تاليف ابى سالم محمد بن طلحة القرشى الوزير .

وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ

صدق الله العظيم

بسبب حصاره فأخبره بامر مقابلة القاضى عبيد بن ظبيان للخليفة وعندئذ أمر الأمير عيسى باحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فأحضرت ثم أرسلها الى الرجل الشاكى فلما قبضها وتحقق الخليفة من ذلك رفع عنه حصاره وأمر بفتح أبواب بيته وعرفه (ان القاضى من عمل حكمه فيك مارايت فاياك ومعصيته ..

وبعـــد ..

فتلك كانت حال دولة الاسلام في رعاية القضاء ورجاله وصيانة استقلاله فلما تولى أمورها نفر من الدخلاء والمرتزقة سلبوا قضاتها استقلالهم وأولوا قانونها حسب أهوائهم وشهواتهم فضعفت وذلت وتمكن منها أعداؤها حتى عاد اليها في زماننا المعاصر استقلال بعض شعوبها فأخذ الأمل يراودنا بأن غصر النهضة الحديثة لأمة الاسلام قد بدأت تباشيره ولاحت أنواره ..

ومما اكد لنا قرب اشراقة هذا الامل وبزوغ فجر هدا اليوم ان القضاة المصريين ظلوا يرفعون رايات العدالة ويردون لضحايا الطغيان حقوقهم دون أن تلين لهم قناة أو تتزعزع لهم حصاة مع تحليهم بعفه النفس وتدرعهم بشعار النزاهة وتزينهم برداء الوقار رائدهم قول الله سبحانه وتعالى : (وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) سورة الشورى ١٥ ..

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

أثر الاسلام في الأولين

التحليل العلمى شىء والاحتيال الذهنى شىء آخر، فالتحليل العلمى الصحيح يسير على نهج بيّن من الوضوح تخلص فيه المقدمات الى النتائج (وتسلم فيه الألف الى الباء الى التاء) حتى تنتهى السلسلة متسقة الحلقات منسجمة المظهر والمخبر ، وأما الاحتيال الذهنى فتلفيق تتكلف له العلل وتتحمل له الشواهد ، .

ويعتسف صاحبه اعتسافا يضرب بخطواته حتى ما يستقيم . وصاحب الاحتيال الذهنى يستطيع ان يجادل في البديهات بما يحتمل من شبه ، وما يتكلف من تخريج ، وقد يدل على البسطاء بغرابة منحاه ، وقوة تخريجه ولكنه مكشوف الثوب عارى الحقيقة أمام من يعرفون الحق من الباطل ويميزون بين الخبيث والطيب .

لقد قدر للتاريخ العربى في هذا الزمن أن يكتبه غير أهله ، بل قدر له أن يكتبه أشد الناس عداوة له وتجنيا عليه ، ثم قدر لهؤلاء العداة أن يكون لهم نفوذ سياسى وادبى يمكن لدراساتهم الملتوية من الذيوع ، ويوجد لهم من التلاميذ والأتباع من يهيمون بحبهم في كل واد ، فيجعلون

• كتاباتهم المشبوهة مثلا للدراسة لفاحصة والتمحيص المنصف والتأنى البصير ، حتى أن من لا يعرف غير العربية من هؤلاء المخدوعين ، يتظاهر بالنقل عنهم فيما ترجم وعرّب ، وله عند ذاك مباهاة مريضة يدفعها مركب النقص المتغلغل في أعماقهم منذ جهلوا تاريخهم الصحيح ، أما الذين رزقوا نفاذ الرأى وخلوص النية وسلامة الاستشفاف فقد احتقروا كل مموّه كريه .

لقد كتب المغرضون عن مجتمع ما قبل الاسلام في الجاهلية ، وعن أثر الاسلام في رقى هذا المجتمع بخاصة وفي رقى المجتمع الانسانى بعامة ، فدفعتهم أحقادهم المريضة الى الاعتساف الظالم ، ولئن اختلفوا في توجيه الرأى وتعليل الدليل ، لقد اجتمعوا على هدف واحد هو محاولة الحط من العروبة والاسلام معا ، وسبيلهم في ذلك خاف الا على البصير ، فأحدهم يتظاهر بتقدير الاسلام ليرمى العروبة بالافتراء والتجنى ، وأحدهم يتظاهر بتقدير العروبة ليجعل الاسلام ضئيل الأثر فيما أحدث من اصلاح وكلا الفريقين أثم بغيض ، يعرف كلمة الحق صريحة سافرة في أعماقه ، ولكنه يحاول اخفائها بأعظم ما يملك من أساليب الخداع وقد كشفهم الله

للدكتور محمد رجب البيومى

حين قال في أمثالهم من السابقين : « وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ »(١)

يقول فريق هؤلاء ان العرب في جاهليتهم رعاع أو شاب ، يتقاتلون ويتناصرون ، وقد ألفوا الفوضى في جهالتهم الأمية ، وخشونتهم البدوية يخضع الرجل منهم لسيد القبيلة . فيسوق الجماعة سوقا الى الهجوم على القبائل واشاعة الذعر والاضطراب ليخرج بغنيمة لاتتجاوز عددا من الابل والغنم والسبايا من الفتيات ، كأن الأسر لايلحق الا الاناث » فلما جاء الاسلام ورأى هذه الفوضى المنكرة جاء بتشريع صارم قاس لايصلح الا لهؤلاء البداة فشرع الرجم ليمنع الزنى المنتشر بين القبائل على وجه ضاعت فيه الأنساب ، وأوجب قطع يد السارق ليقف أمام زعازع الفوضى القائمة فى النهب والاغتصاب ، والسطو ، فالاسلام في رأيه تشريع وقتى كان علاجا لواقع بدائى متقهقر ،

وقد أدى دوره الطبيعى في زمنه وبيئته ، فكان دورا اصلاحيا تقيد بزمان ومكان ! .

ويقول فريق ثان من هؤلاء : ان الاصلاح الاجتماعى والدينى لا يظهر في أمة من الامم ولا يلوح في بيئة من البيئات الا اذا وجد المناخ الملائم للدعوة الاصلاحية وقد كان العرب على أبواب نهضة تقدمية اذ كانت مكة مركزا للاتصال التجارى بين الشرق والغرب وقد عرفت من أساليب الحضارة والتقدم ، ووسائل الترف والنعيم ما هياها لحركة اصلاحية مثمرة ووقف بها على طريق يرجى منه التقدم ، وقد انتقلت الحبشة الى اليمن ، وتمكن الروم من الشام والفرس من العراق ، وامتدت الرحلات بين الجزيرة وما حولها حتى نشأت بمكة وهى قلب الجزيرة حينئذ يقظة تدعو الى الاصلاح وجاء محمد رسول الاسلام ليرى أسباب النصر مواتية فهتف بدعوته الاصلاحية في أمة تهيأت للاصلاح ، وتم له النصر من أقرب طريق ! .

وقبل أن نذكر على ما في هذين القولين من الانحراف نعلن انهما معا يتضاربان تضاربا يجعل أحدهما باطلا لا محالة : فقد اتجه الرأى الأول : الى ضعة العرب والتهوين من شأنهم ، ولم يصل الى نتيجته اللئيمة وهى : « بدوية الشريعة الاسلامية » الا على أساس من ازدراء المجتمع العربى قبل الاسلام ، على حين قد اتجه الرأى الثانى الى اعلاء شأن هذا المجتمع العربى ، والاشادة ببوادر يقظته ، والهتاف بانتفاعه بما حوله من الممالك والشعوب ليصل الى أن رسول الله مصلح اجتماعى رأى الطريق ممهدا لا صعوبة فيه فقام بدعوة اصلاحية لا تعتمد على تأييد سماوى من الله ، فهو اذن مصلح لا رسول !

ساء ما يأفكون .

(١) النمل ـ ١٤

أثر الإسلام في الأولين

وأنا ـ والله ـ في كتابة هذا المقال أنشد الحق لوجه الحق دون اعتساف ، وقد نظرت الى الفريق الاول ، فوجدته يشتط كل الشطط في الحط من المجتمع العربى الذى خرج من بينه خاتم الانبياء وقد اختاره الله من اعرق الاسر فى أعرق البيوتات فى اعرق القبائل فهو خيار من خيار من خيار ، لقد كان هذا المجتمع مضرب المثل في البطولة والفروسية ، يحمل كل فرد فيه من عناصر الرجولة ما يمنعه ان يقر على الضيم أو يقبل الهوان ، ولكن هذه البطولة كانت في حاجة الى توجيه مثالى يرفع الحق ويهوى بالباطل ، فجاء الاسلام ليستغل هذه البطولة في أداء رسالة سامية هى اخراج العالم من الظلمات الى النور والدعوة الى الصراط المستقيم ، وكان هذا المجتمع مضرب المثل في الفتوةوالأريحية اللتين تدفعان الى اطعام الجائع واكرام الضيف وحماية المستجير ، فجاء الاسلام لينمى هذه الفضائل ويذود عنها ما يعلق بزهورها من الاشواك ، فيجعل هذه الفتوة ذات امتداد الى حماية الفضائل النزيهة والدعوة الى المكارم السامية ، واذا اضطرتهم هذه الفتوة الى الاغارة والسلب ليجدوا ما ينفقون فقد وضع الاسلام حدودا صريحة بين الواجب والحق ، كما بسط من ظل هذه المروءة فجعلها تشمل كل انسان وتمتد الى الحيوان وتساعد على انعاش سبل الراحة والاطمئنان ، وكان هذا المجتمع يخضع لبعض النزوات المتعالية من مباهاة بالأصل والأحساب ومفاخرة بالجاه والأنساب وتكاثر بالأموال والاولاد فجاء الاسلام ليجعل التقوى وحدها سبيل المباهاة ، وباب المفاخرة وصرح بذلك تصريحا لا لبس فيه حين قال الله عز وجل في كتابه العزيز : « يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » الحجرات ١٣ فماذا بقى من الحجة لهؤلاء الذين يعتسفون الراى فيريدون النيل من العرب لينالوا تبعا لذلك من دعوة الاسلام حين يحاولون حاقدين أن يحصروا نورها الساطع في أضيق نطاق ! .

اما الفريق الثانى فقد أنكر البدائة الملموسة في حياة الرسول الأعظم وسيرته الطاهرة المطهرة صلى الله عليه وسلم ، اذ صوّر الرسالة الاسلامية وكأنها ثمرة مشتهاة سقطت تلقائيا من اغصان شجرة ناضجة هب عليها النسيم ! فالمجتمع كان يتوق الى الاصلاح بفعل الرحلات ، وتأثير القوافل الرائحة الغادية من الجزيرة واليها ، فلما جهر الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته وجد الاستجابة التى يجدها كل مصلح يجد من البيئة انفعالا صادقا ، وتجاوبا حارا ، وكأنه بذلك قد سار في طريق مملوء بالورد والرياحين .

واقل مسلم يعلم كم تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم من افانين الايذاء في سبيل دعوته ، لقد قدم اقرب اقربائه ابو لهب بسبّه حين دعا الى الله ، فثابر مجاهدا دون يأس ، وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة ووضع الأذى في طريقه ، وسقط عليه الدنس وهو ساجد بين يدى ربه حتى اماطته عنه ابنته وهى تبكى من أجله ! اما اصحابه فقد لقوا من صنوف العذاب ما جعل بعضهم

إن الدين عند الله الإسلام والله يريد أن يتوب عليكم

صدق الله العظيم

يموت شهيدا وبعضهم الاخر يشرف على التلف حتى تنفده اموال الكرماء فيشترى ويعتق احتسابا لوجه الله ، وماجعلهم يضطرون الى الهجرة مرتين فرارا بدينهم من عذاب الطغاة ، وماجعلهم يتعرضون لأقسى المحاصرة الاقتصادية حين ينحصرون في شعب بنى هاشم اذ يحرم عليهم الطعام عن طريق البيع والشراء حتى يضطروا الى أكل أوراق الشجر دون رأفة من هؤلاء العتاة الطغاة وحتى ييأس الرسول من مكة فيخرج ساعيا على قدميه الى الطائف مجاهدا بدعوته فلايجد غير الشر والوبال اذ تتساقط عليه الحجارة من بلهاء المشركين ، ويصعب الموقف عليه فيصيح من أعماقه « اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى أو الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والاخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولاحول ولاقوة الا بك » ..

فاذا واصل جهاده دون يأس ، وأذن الله فهاجر مع اصحابه الى المدينة بعد مؤامرة جماعية لاستئصال حياته الشريفة ، اذ تضافرت قريش على قتله في مكيدة جماعية لم يسلم من شرها بيت ! أقول اذا واصل جهاده وارتحل الى المدينة وجد الكيد ينتظره من اليهود والمنافقين ، فيقع بين مجموعة من الاعداء تتضافر على هزيمته وتسعى لذلك مع المشركين . فيقع المسلمون بين المطرقة والسندان اذ جاءوهم من فوقهم ومن أسفل منهم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وهنا لك ابتلى المسلمون وزلزلوا زلزالا شديدا ، ثم يجزى الله الصادقين بصدقهم ويرد الأعداء بغيظهم لم ينالوا خيرا ، بعد كرب ضائق وعذاب شديد ! .

ليت شعرى ! اين الثمرة الدانية التى سقطت تلقائيا . واقل فرد من بنى الاسلام يعلم ما كابد الرسول صلى الله عليه وسلم من سوء المكاره ، وما عانى من ظلام المحن حتى تم النصر على يده وصارت كلمة الاسلام هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ! لقد كان على الذين يجعلون من رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلحا اجتماعيا لم يتأيد برسالة سماوية أن يبحثوا عن أسباب معقولة تجعل لباطلهم بعض البريق اما أن يصادموا الحق السافر بباطل زائف ، فخبل مأفون

أثر الاسلام في الأولين

وشذوذ كريه .

ـ ان وجه الحق في قضية المجتمع العربى ودعوة الاسلام واضح سافر لا يحتاج الى تمويه ، فكما يعمد العاقل الى أرض جيدة ذات تربة سخية وحيوية خصيبة فيشقها ويحرثها ويضع فيها أطيب البذور ليجنى احسن الثمر ، فكذلك ـ ولله المثل الاعلى في السموات والارض ـ قد اختار الله الأمة العربية لتكون مشرقا لرسالته فكانت الأرض الطيبة التى مهدها الاسلام اكمل تمهيد فشق تربتها واجرى ينابيعها ، وغرس بذورها ووالى سقيها وتشذيبها حتى اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج فاذا رأيت متعسفا يقول لا فضل للارض في الثمرة ! فيرد عليه متعسف اخر يقول لا فضل للثمرة مع جودة الارض فاعلم ان كلا الفريقين في ضلال مبين وان الحق كالنهار لا يحتاج الى دليل .

على ان من اغيظ مواقف الغيظ أن تجد بعض المنتسبين الى العرب والمسلمين يتحدثون عن مجتمع أجنبى في فرنسا أو انجلترا فلا يتركون فضيلة تتخيل الا حاولوا نسبتها الى هذا المجتمع الأجنبى .

ثم يلمسون بحديث عن المجتمع العربى فيتجاهلون محاسنه تجاهلا يدل على الداء العياء والسل المريض . ويحسبون أنهم على شىء ، وهم مزدرون حتى من أفراد المجتمع الذى يتباهون بفضائله ، لأنهم أدرى بنقائصه ومثالبه ويعدون هؤلاء الذين يبالغون في تمجيده اغرارا يخدعهم السطح عن العمق ، او جهلة يتعسفون السبيل .

د . محمد رجب البيومى

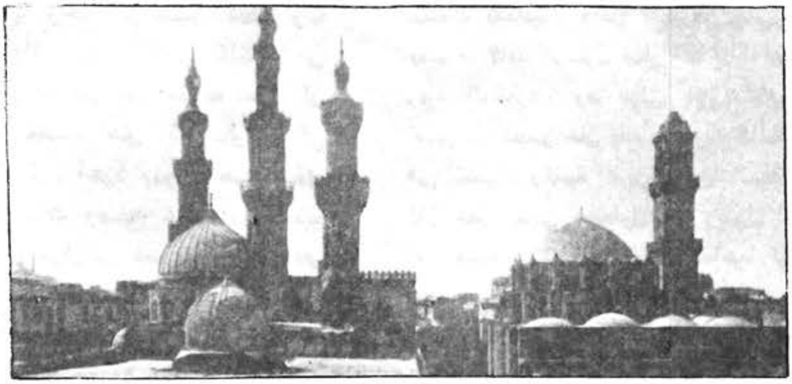

دراسة
تاريخية
موثقة

هيئة كبار العلماء
صفحات مطوية من تاريخ الأزهر

للدكتور مجاهد توفيق الجندى

خرج الجامع الأزهر ومازال يخرج علماء أجلاء هم ملء السمع والبصر، مالئوا الدنيا علما وحضارة ونورا وزعامة وطنية شعبية ووقفوا ضد الظلم والطغيان دفاعا عن الحق المهضوم ..

كانوا القدوة الطيبة، والأسوة الحسنة والأمثلة الكريمة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، سواء كانت هذه القدوة روحية، أم ثقافة اسلامية، أم زعامة سياسية، أم فضائل سلوكية، مع القول السديد والتوجيه الرشيد.

وتاريخ أعلام الأزهر قديما وحديثا يلقى أضواء ساطعة على تاريخ العالم الاسلامى بصفة عامة وعلى تاريخ المصريين بصفة خاصة، وهو امتداد لتاريخ الأزهر الذى استمر لأكثر من ألف عام يحافظ على اسلام مصر وعروبة مصر وذوق مصر.

ونحن المسلمين في أشد الحاجة اليوم الى الأسوة الحسنة والقدوة المثالية بل ان حاجتنا الى هذه القدوة الان تفوق حاجتنا الى العلم، فان العلم حاليا اصبحت وسائله ميسرة، بعد أن تعددت وكثرت مصادر العلم من معاهد وجامعات ودور نشر وصحافة واذاعة، وأضحت مناهل العلم في متناول الدارسين والباحثين.

وسنتحدث في بحثنا هذا عن مجموعة من

هيئة كبار العلماء

أعلام العلماء هم سادة السادات الذين وقفوا في الملمات يلاطمون التيارات الجارفة التى كادت تقضى على الأزهر في حقبة من أحلك الحقب التى مرت بها مصر في تاريخها المعاصر، وهى الحقبة التى جثم فيها الاستعمار الانجليزى على صدر مصر وقلبها، وكان من مهمة الانجليز في مصر القضاء على الأزهر ولم تكن القوة بقاضية عليه، فلجأوا الى الدهاء والمكر لترك الأزهر يموت موتا بطيئا.

لهذا فكر المسئولون بالأزهر والغيورون عليه في محاربة الانجليز بنفس سلاحهم

هيئة كبار العلماء

كان لابد من تطوير الأزهر بادخال العلوم الحديثة اليه حتى يستطيع مواكبة العصر ويصمد أمام تلك الصعوبات التى تعتوره من كل مكان .. فكان القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م وهو من أهم القوانين التى صدرت في ذلك الوقت في عهد الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر.

ومن بين ماتضمنه هذا القانون انشاء «هيئة كبار العلماء» وهى هيئة وكل اليها اعادة الحياة الجديدة الى الجامع الأزهر، وتتكون من علماء المذاهب الأربعة.

وقد وقع الاختيار بالانتخاب على السادة العلماء الثلاثين الآتية أسماؤهم :

أ ـ فمن السادة المالكية :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / سليم البشرى.

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد أبو الفضل الجيزاوى.

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد حسنين العدوى.

٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / هارون عبد الرازق.

٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد راشد

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الروبى.

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / دسوقى العربى.

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / أحمد نصر.

٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد طموم.

ب ـ ومن السادة الحنفية :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / حسونة النواوى.

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / بكرى الصدفى.

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد بخيت.

٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد شاكر.

٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / مصطفى أحمد حميدة.

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / أحمد ادريس.

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمود

الجزيرى .

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد أحمد الطوخى .

٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / ابراهيم الحديدى .

١٠ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد بخاتى .

١١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد راضى .

جـ ومن السادة الشافعية :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / سليمان العبد .

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الرفاعى المحلاوى .

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد ابراهيم القاياتى .

٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد نجدى .

٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد الحميد زايد .

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / سعيد الموجى .

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد المعطى الشرشيمى .

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / يونس موسى العطافى .

٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد قنديل الهلالى .

د ـ ومن السادة الحنابلة :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / أحمد البسيونى (١) .

اللائحة الداخلية لهيئة كبار العلماء

كان لابد لهذه الهيئة الكبيرة من قواعد ترجع اليها في نظامها وسيرها وسائر مايتعلق بها وبخاصة أن أعضاءها وكل اليهم تدريس العلوم المختلفة بالجامع الأزهر ولهذا كان اختيارهم دقيقا وبعد امتحان شاق ، وقد تكونت لجنة من داخل هيئة كبار العلماء لوضع اللائحة الداخلية للهيئة وللاشراف على التدريس وتطبيق مواد اللائحة بكل الدقة الممكنة .

تنص المادة الأولى من اللائحة على :

● أن الغرض من تدريس هيئة كبار العلماء تربية الملكات ، ومعرفة كيفية استنباط الأحكام من أدلتها ، فيجب على كل واحد من الهيئة المذكورة أن يكون قبل القاء الدرس محيطا بكل مايتعلق بالموضوع الذى يلقيه احاطة تامة .

يلى ذلك المواد :

٢ ـ توزع لجنة هيئة كبار العلماء أول كل سنة دراسية العلوم المنوه عنها في قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية على أعضاء هيئة كبار العلماء ، وتختار الكتب والأوقات التى تلاءم حال الأشخاص ، ودراسة كل علم من العلوم المذكورة ..

٣ ـ يراعى في توزيع العلوم والكتب اختصاص كل واحد من الأعضاء وامتيازه فيما يعهد اليه تدريسه ..

---

(١) رجعنا في هيئة كبار العلماء الى دفاتر « الكوبيا » والى مجلس الأزهر الأعلى سنة ١٣٢٩ هـ . ١٩١١ م ص ٤٠ ، ٤١ طبع مطبعة الاصلاح . ورجعنا كذلك الى بعض العلماء أو أبنائهم ـ الذين كانوا ضمن هيئة كبار العلماء ومازالوا على قيد الحياة كالشيخ صالح شرف وغيره .

٤ ـ يراعى في طريقة التدريس مع ما أشير اليه في المادة الأولى الاعتناء بتربية ملكة المناقشة والبحث وتعويد الطلبة على تمام الاستقلال بالفهم ، وأن يؤخذ بهم في طريق تربية القوى الجدلية على وجه يقدرهم على دفع مايرد عليهم من الشبه النظرية ويمكنهم من تمييز الأدلة اليقينية .

٥ ـ للجنة أن تنتدب من أعضاء الهيئة واحدا أو أكثر للمرور على الدروس التى يلقيها هيئة كبار العلماء ، وتقديم مايراه من الملاحظات الى اللجنة للنظر فيه ، وتقرير مايلزم بشأنه .

٦ ـ اذا طرأ لواحد من هيئة كبار العلماء عذر يمنعه من أداء الدرس المكلف به فعليه ان يخطر شيخ الجامع الأزهر بالعذر المانع له من أداء دروسه والمدة التى تلزم لانقضائه .

ولشيخ الجامع الأزهر بصفته رئيس اللجنة أن يمنحه أجازة لاتتجاوز شهرا وفيما زاد على ذلك يجب رفعه الى اللجنة للنظر فيه ، وكذلك اذا تأخر أى واحد من هيئة كبار العلماء بدون اذن ولم يبد عذرا مقبولا فيرفع امره الى اللجنة لتقرير ماتراه بشأنه ..

٧ ـ تختص اللجنة بالنظر في كافة الشكاوى التى تتعلق بأى واحد من هيئة كبار العلماء وكذلك تنظر اللجنة في طلبات هيئة كبار العلماء المتعلقة باستحقاق المرتب المنصوص عليه بالمادة التاسعة بعد المائة من القانون ، وترفع ماتقرره في هذا الى المجلس الاعلى للأزهر ليقرر فيه مايراه ..

٨ ـ اذا اشتغل أحد هيئة كبار العلماء ممن يتناولون المرتب المقرر للهيئه بما يمنعه عن القيام بالقاء الدرس المكلف به على الوجه المطلوب ، قطعت اللجنة مرتبه ورفعت قرارها الى المجلس الأعلى ليقرر مايراه ..

٩ ـ اذا رفع لرئيس اللجنة اقتراح من احد أعضاء الهيئة بشأن الغاء أو تعديل أو زيادة أى مادة من مواد هذا النظام ، رفعه الرئيس اليها لتنظر فيه وتقرر ماتراه .

١٠ ـ تنعقد اللجنة في كل شهر مرة على الأقل ، ولرئيس اللجنة عقدها اكثر من ذلك ان دعا الحال .

١١ ـ تعتبر قرارات اللجنة نافذة . اذا اجتمع من أعضائها خمسة منهم الرئيس ، واذا غاب الرئيس أو حصل له مانع قام مقامه اكبر الاعضاء سنا .

١٢ ـ كل ماتقرره اللجنة يعرض على المجلس الأعلى للأزهر ليتحقق من مطابقته لآخر المادة (١١٢) من القانون .

١٣ ـ يخصص لأعمال اللجنة أحد كتاب المشيخة ، ويكون لديه دفتر لقيد القرارات الخاصة بها .

١٤ ـ اذا لم يبلغ من يتناولون الراتب من هيئة كبار العلماء العدد الكافي لتنفيذ نص المادة السادسة بعد المائة من القانون جاز ندب من يكمل العدد الكافي من الموظفين الذين هم من هيئة كبار العلماء ..

● هذه هى مواد اللائحة الداخلية التى سارت عليها هيئة كبار العلماء طيلة عمرها الى أن سميت « جماعة كبار العلماء » ـ كما سيأتى .

وقد جاء في مشروع قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية الذى وضعته اللجنة المؤلفة بقرار مجلس الوزراء في ١٨ اكتوبر سنة

١٩٢٨ م تعديلا للقانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م وكانت هذه اللجنة برئاسة الشيخ الامام محمد مصطفى المراغى شيخ الازهر .

جاء فيـــه ..

مادة ١١ : تشكل برياسة شيخ الجامع الازهر هيئة من ثلاثين عالما اختصاصيا تسمى (هيئة كبار العلماء ويعتبر ضمن اعضائها هيئة كبار العلماء الذين تتالف منهم هيئة كبار العلماء عند صدور هذا القانون ..

مادة ١٢ : يشترط فيمن ينتخب ضمن هيئة كبار العلماء :

اولا : ان تكون سنه خمسا واربعين سنة ميلادية على الاقل .

ثانيا : أن يكون حائزا لشهادة العالمية مع لقب أستاذ من مدة لاتقل عن خمس سنين .

ثالثا : أن يكون مشتغلا بالتدريس في احدى الكليات او أن يكون شاغلا لاحدى وظائف القضاء الشرعى او الافتاء او التدريس في المعاهد ، أو شاغلا لمنصب من المناصب الدينية السامية التى يكون التعيين فيها بامر ملكى ..

رابعا : أن يكون معروفا بالورع والتقوى وليس له ماض يشينه .

خامسا : ان تقرر هيئة كبار العلماء قبول ترشيحه باغلبية ستة عشر عضوا على الاقل .

سادسا : ان يكون قد الف كتابا قيما في مادة من المواد المقررة في احدى الكليات الثلاث .. واقرته لجنة مشكلة من عشرة اعضاء على الاقل تنتدبها هيئة كبار العلماء لمناقشة المرشح في مؤلفه ..

مادة ١٣ : الى ان يحين الوقت لتطبيق الشرط الثانى من المادة السابقة يجوز انتخاب اعضاء هيئة كبار العلماء من بين الحائزين لشهادة العالمية بشرط ان يكون قد مضى على المرشح خمس عشرة سنة من تاريخ نيله هذه الشهادة . وأن يكون قد اشتغل بالتدريس في القسم العالى مدة خمس سنوات على الأقل ، أو أن يكون شاغلا لوظيفة في القضاء الشرعى او الافتاء أو الوظائف العلمية بادارة الجامع الأزهر والمعاهد الدينية ، بحيث يكون وصل مرتبه الى تسعمائة جنيه سنويا . وكذلك يجوز ترشيح العالم لعضوية هيئة كبار العلماء اذا نال منصبا من المناصب الدينية السامية بحيث يكون مضى عليه خمس عشرة سنة من تاريخ نيله شهادة العالمية .

مادة ١٤ : يضع مجلس الازهر الاعلى لائحة داخلية لهيئة كبار العلماء ، ويوزع الكراسى على المواد المختلفة .

مادة ١٥ : يعين كبار العلماء بامر ملكى ..

مادة ١٦ : أعضاء هيئة كبار العلماء الذين لهم امتياز مالى بصفتهم هذه عند صدور هذا القانون يبقى لهم حق التمتع بهذا الامتياز ..

مادة ١٧ : تجتمع هيئة كبار العلماء بدعوة من شيخ الجامع الأزهر ، ويكون اجتماعها صحيحا متى حضره اكثر من نصف الاعضاء . وتصدر قراراتها بالأغلبية المطلقة للاعضاء الموجودين فيما عدا الاحوال المنصوص عليها في القانون ..

مادة ١٨ : اذا وقع من احد من العلماء أيا كانت وظيفته او مهمته مالايناسب وصف العالمية . بان طعن في الدين الاسلامى ، أو انكر ماعلم ضرورة من الدين او سلك سلوكا شائنا يحكم عليه بناء على طلب شيخ

هيئة كبار العلماء

الجامع الأزهر وباجماع تسعة عشر عالما معه من هيئة كبار العلماء باخراجه من زمرة العلماء . ويكون حكم هذه الهيئة بالأغلبية المذكورة غير قابلة للطعن فيه .

ويترتب على هذا الحكم محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الدينية ، وطرده من كل وظيفة وقطع مرتباته في اية جهة كانت وعدم أهليته للقيام باية وظيفة عمومية دينية كانت او غير دينية ..

مادة ١٩ : يجوز لمن صدر الحكم عليه بمقتضى المادة السابقة أن يطلب بعد مضى خمس سنوات من تاريخ هذا الحكم اعادة النظر في أمره ومتى أثبت أنه سلك سلوكا يتفق وكرامة رجال الدين وعدل عما صدر الحكم لأجله . جاز اعادته لزمرة العلماء .

لائحة هيئة كبار العلماء الداخلية في المرسوم الصادر بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ م

لم تختلف قواعد هيئة كبار العلماء في قانون سنة ١٩٣٠ م عنها في مرسوم قانون سنة ١٩٢٨ م الا في تعديلات طفيفة حينما تولى الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى مشيخة الجامع الأزهر فكان الاختلاف فقط في اللائحة الداخلية لهذا القانون .

فقد قرر مجلس الأزهر الأعلى بجلسته بتاريخ ٨ من ذى الحجة ، ٢٦ من ابريل سنة ١٣٤٦ هـ ، ١٩٣١ م اللائحة الداخلية الجديدة لهيئة كبار العلماء التى تنص على المواد الآتية

مادة ١ ـ يدعو شيخ الجامع الازهر هيئة كبار العلماء للاجتماع كلما رأى لزوما لذلك ويجب دعوتها فى أواخر كل سنة دراسية لتقرير خطة الأعمال العلمية التى يقوم بها كل واحد من أعضائها فى السنة الدراسية التالية . وتوزيعها عليهم حسب اختصاصهم مع تحديد نوع العمل ومقداره .

مادة ٢ ـ لا يجوز للهيئة أثناء انعقادها أن تنظر فيما عدا ما يعرضه عليها الرئيس ولا يعتبر اجتماعا صحيحا الا اذا حضره شيخ الجامع الأزهر . فان منعه مانع عن الحضور قام مقامه فى رياسة الجلسة شيخ السادة الحنفية .

مادة ٣ ـ اذا لم يحضر العضو احدى جلسات الهيئة بغير عذر مقبول يعتبر مخلا بواجبات مركزه . ويثبت ذلك فى محضر الجلسة . ويبلغ الى العضو فاذا بلغت مرات الغياب بدون عذر أربع مرات متواليات اعتبر العضو مستقيلا من مركزه ويصبح كرسيه خاليا .

مادة ٤ ـ الأعمال العلمية التى تقوم بها هيئة كبار العلماء يجب أن تكون فى حدود المواد المقررة للكليات الثلاث بالجا[illegible] الأزهر . وتكون على نوعين : ـ

النوع الأول : تدريس يعنى فيه بترب[illegible] الملكات ومعرفة طرق استنباط الأحكام من أدلتها وبتحقيق المسائل العلمية .

النوع الثانى : عمل أبحاث علمية فى المواضيع الهامة من المواد المذكورة تنشر فى شكل رسائل .

مادة ٥ ـ تختار الهيئة الكتب والأوقات التى تلائم حال الأعضاء فيما يتعلق بالنوع الأول . ولها أن تعين موضوعات الأبحاث فيما يتعلق بالنوع الثانى

مادة ٦ ـ لتوزيع الكراسى تقسم مواد الدراسة فى الكليات الثلاث الى المجموعات الأربع الآتية :

(أ) الفقة واصول الفقة مع حكمة التشريع وتاريخ التشريع الاسلامى .

(ب) التفسير والحديث متنا ورجالا ومصطلحا .

(ج) التوحيد والمنطق والمناظرة والفلسفة (مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها) والتوحيد والسيرة النبوية والأخلاق الدينية وعلم النفس .

(د) علوم اللغة العربية .

ويجب أن تمثل كل مجموعة من هذه المجموعات فى هيئة كبار العلماء بحيث لا يقل عدد كراسى المجموعة الأولى عن ثمانية كراسى (ثلاثة للحنفية ، واثنان للشافعية ، واثنان للمالكية وواحد للحنابلة) ولا يجوز أن يزيد عدد كراسى اى مذهب من المذاهب الثلاثة ـ الاولى ـ عن كراسى مذهب اخر منها الا مذهب الحنفية . فان كراسيه تزيد كرسيا واحدا . كما لا يجوز للحنابلة الا كرسى واحد فى هذه المجموعة ؛ ولا يقل عدد كراسى المجموعة الثانية عن اثنين . وكراسى كل من المجموعتين الثالثة والرابعة عن ثلاثة .

مادة ٧ ـ اذا لم يقم العضو بما تفرضه عليه الهيئة من الأعمال العلمية بغير عذر مقبول عرض أمره على الهيئة ويجوز لها أن تحرمه من راتبه عن المدة التى لم يقم فيها بما فرضته عليه .

مادة ٨ ـ يجوز لشيخ الجامع الازهر أن يعطى عضو الهيئة فى مدة الدراسة من كل سنة أجازة اعتيادية لمدة لا تزيد عن شهر . وأن يعطيه كذلك أجازة مرضية لمدة لا تزيد على شهرين . فان زادات الأجازة على ذلك رفع الامر الى المجلس الاعلى

مادة ٩ ـ اذا أصبح أحد أعضاء الهيئة غير قادر بصفة مستديمة على اداء عمله تقرر الهيئة احالته الى التقاعد .

مادة ١٠ ـ تختص هيئة كبار العلماء بالنظر فى جميع المسائل التى تتعلق بأعضائها أو بنظام العمل فيها مما لا يخالف نصوص قانون الجامع الازهر والمعاهد الدينية أو نصوص هذه اللائحة .

مادة ١١ ـ يخصص لأعمال الهيئة أحد كتاب المشيخة ويكون لديه دفتر لقيد القرارات الخاصة بها .

مادة ١٢ ـ على وزير الأوقاف تنفيذ هذا المرسوم ابتداء من تاريخ نشره فى الجريدة الرسمية (١)

هيئة كبّار العلماء وتدريسهم بقسم التخصص والقسم العام للأزهر !!

كان هناك صلة قوية وعرى وثيقة لا تنفصم بين هيئة كبار العلماء وقسم التخصص فقد انعقدت لجنة هيئة كبار العلماء التى أشرنا اليها سابقا ـ بادارة مشيخة الجامع الازهر فى يوم الأربعاء ٩ من جمادى الاولى سنة ١٣٤٩ هـ (أول أكتوبر سنة ١٩٣٠ م) برياسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الاحمدى الظواهرى شيخ الجامع الأزهر . وبحضور كل من اعضاء اللجنة :

١ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / عبد الرحمن قراعة .

١ ـ صدر هذا المرسوم بسراى القبة فى ١٨ ذى الحجة سنة ١٣٤٩ هـ ٦ مايو سنة ١٩٣١ م وكان وزير الأوقاف فى ذلك الوقت « محمد حلمى عيسى باشا » ورئيس الوزراء اسماعيل صدقى باشا

٢ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد حسنين العدوى

٣ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / دسوقى العربى(١)

٤ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / عبد المعطى الشرشيمى(٢)

٥ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الحلبى

ولم يحضر صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت لسفره ..

وقد نظرت اللجنة مسائل شتى ضمن جدول اعمالها ومنها توزيع جدول الدروس على حضرات اصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م الدراسية وقررت :

أولا : الفقة وأصول الفقة

ويقوم بتدريس هاتين المادتين :

للحنفية : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد بخيت فى علم الفقه ..

: حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / أحمد الدلبشانى فى علم الفقه ..

: حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / عبد الرحمن عليش فى علم أصول الفقه ..

للشافعية : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد النجدى فى علم الفقة

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / عبد المعطى الشرشيمى فى علم الفقة بقسم التخصص

للمالكية حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد حسنين العدوى فى علم « أصول الفقة »

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / دسوقى العربى فى علم أصول الفقة

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / أحمد نصر فى علم الفقة بقسم التخصص

للحنابلة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد سبيع الذهبى فى علم الفقة

ثانيا : الحديث

ويقوم بتدريسه كل من :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الحلبى .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد السمالوطى .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ

---

١ ـ ولد الشيخ دسوقى العربى بقرية « منشأة عبد الله » احدى قرى مركز السنطة غربية وتعلم بالأزهر على كبار الشيوخ وتخرج بهم وكان من العلماء البارزين بالأزهر . وكان رئيسا للجان امتحان شهادة العالمية بالأزهر وله نوادر مع الطالب طه حسين وغيره من الذين لم يوفقوا فى الحصول على شهادة العالمية .

٢ ـ نسبة الى « شرشيمه » احدى قرى محافظة الشرقية وكانت تتبع الى سنة ١٩٢٩ م مركز بلبيس (راجع جدول وزارة الداخلية باسماء البلاد المصرية ص ٣٤)

الشيخ / عبد الرحمن قراعة .

ثالثا : التفسير

ويقوم بتدريسه :

حضرة صاحب فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد شاكر .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / يوسف أحمد نصر الدجوى .

رابعا : علوم اللغة العربية

ويقوم بتدريسها :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / مصطفى الههياوى . فى علم النحو .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / سيد على المرصفى . فى علم أدب اللغة .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / حسين والى . فى علم البلاغة بقسم التخصص .

خامسا : التاريخ والسيرة النبوية والأخلاق الدينية

ويدرسها :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد أحمد الطوخى فى علم السيرة .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمود حمودة فى علم الأخلاق الدينية

التوحيد والمنطق

ويقوم بتدريسهما :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم بصيلة فى علم التوحيد

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الشافعى الظواهرى فى علمى التوحيد والمنطق بقسم التخصص

وكانت اللجنة المذكورة قد نظرت مذكرة صادرة فى فبراير سنة ١٩٣٠ بأن يكون بينها وبين قسم التخصص بالازهر اتصال عند انعقادها فى كل عام لتوزيع الدروس[1] على حضرات أعضاء الهيئة للاتفاق على من يقوم منهم بالتدريس فى هذا القسم والعلوم التى يسند اليهم تدريسها فيه . وتنفيذا لقرار لجنة الهيئة هذا كتب الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ رئيس قسم التخصص فى هذا الصدد بتاريخ ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٠ م فجاء رد فضيلته بتاريخ ١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٠ انه يرى الاحتفاظ بحضرات اصحاب الفضيلة الاساتذة / أحمد نصر / والشيخ عبد المعطى الشرشيمى والشيخ / حسين والى والشيخ / دسوقى العربى / والشيخ محمد السمالوطى « ١ » والشيخ محمد الشافعى الظواهرى(٢

واما فضيلة الاستاذ الشيخ / محمود حموده فيرى انه يعفى من التدريس نظرا لنقل القسم الى شبرا وبعد المسافة عليه .

---

١ – نسبة الى « سمالوط » احدى قرى محافظة المنيا قديما والان مركز مشهور من مراكزها (راجع جدول وزارة الداخلية باسماء محافظات ومديريات وبلاد مصر سنة ١٩٢٩ (ط المطبعة الاميرية سنة ١٩٢٩ م) ص ٢١٤ .

٢ – نسبة الى قرية الضواهرية احدى قرى مركز فاقوس شرقية (جدول وزارة الداخلية ص ٤١ عـ ٢١) لكننا عثرنا فى مركز ههيا على كفر الشيخ الظواهرى (عبارة عن تسع عزب كانت تابعة لناحية المجفف ومباشر) راجع الجدول المذكور ص ٢٥ نمرة ٥٤ وكان الشيخ محمد الشافعى الظواهرى شقيقا للشيخ محمد الاحمدى الظواهرى ، والدهما الشيخ ابراهيم الظواهرى شيخ المعهد الاحمدى بطنطا وهو مدفون بزاويته بشارع السباعى بطنطا (الباحث)

وبعد المداولة فى ذلك وفيما بسطه كل من حضرتى صاحبى الفضيلة الشيخ دسوقى العربى والشيخ محمد السمالوطى عضوى اللجنة من انهما يعتذران عن التدريس بقسم التخصص لبعد مكانه ومشقة الانتقال اليه عليهما :

قررت اللجنة الموافقة على ما راته رياسة القسم من استمرار حضرات أصحاب الفضيلة اعضاء الهيئة المشار اليهم فى التدريس بقسم التخصص ما عدا حضرات أصحاب الفضيلة الاساتذة الشيخ دسوقى العربى والشيخ محمد السمالوطى والشيخ محمود حموده فقد قررت اعفاءهم من التدريس بهذا القسم اجابة لطلباتهم .

وقررت اللجنة ان يلتمس من حضرات اصحاب الفضيلة اعضاء الهيئة الذين تقررت دراستهم بقسم التخصص ان يقراوا خمس حصص فى العلوم التى اسندت اليهم بهذا القسم فى كل اسبوع مراعاة لمصلحة الدراسة فيه .

كما نظرت اللجنة مذكرة تتضمن تقريرين قدمهما الشيخ ابراهيم بصيلة مراقب الدراسة للهيئة عن سير الدراسة لحضرات اصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة فى سنة ١٣٤٨ هـ الماضية يفيد انه وجد حضراتهم قائمين بتدريس العلوم والكتب المقررة عليهم على الوجه المرغوب فيه .

وقد طلب بهذه المذكرة النظر فى ذلك وفيمن ترى اللجنة ندبه للمرور على الدروس التى يلقيها حضرات اصحاب الفضيلة اعضاء هيئة كبار العلماء فى سنة ١٣٤٩ الدراسية وفقا للمادة الخاصة من القواعد التى تسير عليها الهيئة .

فقررت اللجنة الموافقة على التقريرين المشار اليهما وأن يندب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم بصيلة مراقبا لدراسة الهيئة فى سنة ١٣٤٩ الدراسية .

مرتبات هيئة كبار العلماء فى ميزانية الأزهر سنة ١٩٢٠ م

لم نعثر فى الوثائق المعاصرة ـ على مبلغ علمنا وبحثنا ـ على المرتبات الأولى لاعضاء هيئة كبار العلماء وقت انشائها فى ميزانية الأزهر فى ذلك الوقت . لكننا عثرنا فقط على كشف رقم ٣ ، رقم ٤

تعيين هيئة كبار العلماء الجدد كان بأمر ملكى بناء على ترشيح أعضاء الهيئة القدامى

عندما كان يستقيل أحد أعضاء هيئة كبار العلماء أو يحال للمعاش أو يتوفى كان لابد من تعيين عالم جديد بدله ليكتمل باستمرار النصاب القانونى للهيئة وهو ثلاثون عضوا وكان يتم اختيار العضو الجديد بناء على ترشيح واختيار أغلبية هيئة كبار العلماء .

وقد عثرنا على بعض الوثائق الهامة التى تؤكد ان عضو الهيئة الجديد يرشح اولا من اعضاء الهيئة القدامى . ثم ترسل باسمه الى القصر الملكى (١) فيوافق على العضو

١ ـ صدر الامر الملكى رقم ٥٤ هذا بسراى المنتزه بالاسكندرية فى ٨ ربيع الأول سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م فى عهد الملك فؤاد وكان رئيس الوزراء هو اسماعيل صدقى وكان شيخ الازهر ورئيس مجلسه الأعلى هو الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى وقد حصل كل من الثلاثة الجدد على كسا التشريف العلمية من الدرجة الاولى ..

عدد	الاسم	المنصب	الترتيب الحالي: الأصلي مليم	الأصلي جنيه	بزيادة ٢٪ مليم	بزيادة ٢٪ جنيه	الترتيب الجديد مليم	الترتيب الجديد جنيه	مقدار العلاوة مليم	مقدار العلاوة جنيه	ملاحظات
١	فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد ابو الفضل الجيزاوى	شيخ المالكية		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
٢	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد راشد	مالكى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
٣	فضيلة الاستاذ الشيخ دسوقى العربى	مالكى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
٤	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد حسنين العدوى	مالكى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
٥	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد ابراهيم السمالوطى	مالكى		١٣	٦٠٠	١٥		٣٠	٤٠٠	١٤	اعتبارا من ٦ اغسطس سنة ١٩٢٠
٦	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف نصر الدجوى	مالكى		١٣	٦٠٠	١٥		٣٠	٤٠٠	١٤	اعتبارا من ٦ اغسطس سنة ١٩٢٠
٧	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد النجدى	شيخ الشافعية		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
٨	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الرفاعى المحلاوى	شافعى		٢٠		٢٤	/	٣٠		٦	
٩	فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد زايد	شافعى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٠	فضيلة الاستاذ الشيخ عبد المعطى الشرشيمى	شافعى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
	فضيلة الاستاذ الشيخ يونس موسى العطار	شافعى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٢	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد قنديل الهلالى	شافعى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٣	فضيلة الاستاذ الشيخ مصطفى الهيهاوى	شافعى		١١	٢٠٠	١٣		٣٠	٨٠٠	١٦	اعتبارا من ٦ اغسطس سنة ١٩٢٠ م
١٤	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف شلبى الشبرابخومى	شافعى	٧٥٠	١١		١٣		٣٠	٩٠٠	١٥	اعتبارا من ٦ اغسطس سنة ١٩٢٠ م
١٥	فضيلة الاستاذ الشيخ حسونة النواوى	حنفى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٦	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد شاكر	حنفى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٧	فضيلة الاستاذ الشيخ محمود الجزيرى	حنفى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٨	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد حمد [illegible]	حنفى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٩	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الحديدى	حنفى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
٢٠	فضيلة الاستاذ الشيخ [illegible] بخيت	حنفى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	اعتبارا من ٢ يوليو ١٩٢٠ م
٢١	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم بصيلة	مالكى		١٣	٦٠٠	١٥		٣٠	٤٠٠	١٤	اعتبارا من ٦ اغسطس سنة ١٩٢٠ م
٢٢	فضيلة الاستاذ الشيخ احمد المنشاوى	حنفى	٢٥٠	١٢	٧٠٠	١٤		٣٠	٣٠٠	١٥	اعتبارا من ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٠ م
٢٣	فضيلة الاستاذ الشيخ محمود حمدى	حنفى		١١	٢٠٠	١٣		٣٠	٨٠٠	١٦	اعتبارا من ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٠ م
٢٤	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد سبيع الذهبى	شيخ الحنابلة	..	٨	٦٠٠			٣٠	٤٠٠	٢٠	اعتبارا من ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٠ م
٢٥	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيتى	حنفى						٣٠			اعتبارا من اول اكتوبر سنة ١٩٢٠ م قرار المجلس فى ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٠

الجديد ويصدر به أمر ملكى دون تدخل من القصر فى تعيين العضو الجديد .

(١ ففى سنة ١٣٤٨هـ-١٩٣٠م وبناء على ما قررته هيئة كبار العلماء فى ٢ من شعبان ٢٠ يناير عين فى هيئة كبار العلماء ثلاثة من العلماء هم :

١ - الشيخ / عبد المجيد اللبان الشافعى المذهب وشيخ معهد الاسكندرية

٢ - الشيخ / عبد الحكم عطا المالكى المذهب وشيخ معهد الزقازيق

٣ - الشيخ / محمد الشافعى الظواهرى الشافعى المذهب ومن علماء الأزهر

(٢) فى سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣١م - ١٥ يونية - في ٢٨ محرم - عين الشيخ / محمد عبد اللطيف الفحام شيخ المعهد الأزهرى بالقاهرة ووكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية ضمن هيئة كبار العلماء بناء على ما عرضه وزير الأوقاف فى ذلك الوقت (١)

(٣) وفى سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م - ٢٨ صفر ١٠ يونية - عين ضمن هيئة كبار العلماء (بناء على ما عرضه وزير الأوقاف[٢] ثلاثة هم :

١ - الشيخ / محمد مأمون الشناوى شيخ كلية الشريعة

٢ - الشيخ / ابراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية

٣ - الشيخ / محمود الدينارى شيخ معهد طنطا .

هذا بعض ما عثرنا عليه من وثائق تؤيد ما ذهبنا اليه من أن القصر الملكى كان لا يتدخل فى تعيين أعضاء هيئة كبار العلماء انما كان يوافق على ترشيح أعضاء الهيئة القدامى .

شيخ الأزهر كان ينتخب من هيئة كبار العلماء

شيخ الجامع الأزهر هو الامام الأكبر لجميع رجال الدين . والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين بالنسبة الى اهل العلم وحملة القران الشريف سواء كانوا منتمين الى الأزهر أو غير منتمين اليه وهو المنفذ الفعلى العام لجميع القوانين والمراسم والاوامر الملكية واللوائح والقرارات المختصة بالجامع الأزهر . والموظفون تابعون له بهذه الصفة وخاضعون لاوامره .

وهو الذى يعين مشايخ الأروقة والحارات ويفصلهم مع مراعاة شروط الواقفين وطبقا لأحكام اللائحة الداخلية .

ويختار شيخ الجامع الأزهر من بين هيئة كبار العلماء ثم يرسل باسمه الى القصر

١ - صدر الأمر الملكى هذا برقم ٤٩ لسنة ١٩٣١ م بسراى القبة بالقاهرة فى عهد الملك فؤاد وكان وزير الأوقاف هو على جمال الدين

٢ - صدر الأمر الملكى هذا رقم ٣٥ لسنة ١٩٣٤ م بسراى القبة بالقاهرة فى عهد الملك فؤاد وكان وزير الأوقاف هو محمد نجيب الغرابلى .

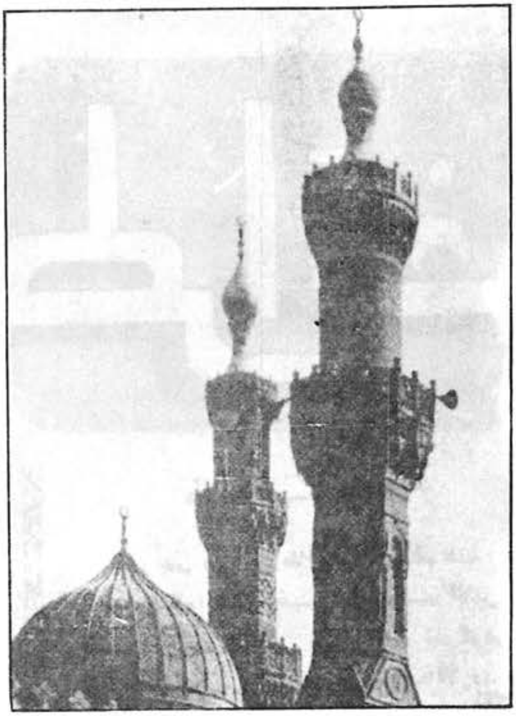

فيصدر بتعيينه بأمر ملكى (١)

ففى سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨م - ٧ ذى الحجة ٢٧ من مايو - عين الشيخ محمد مصطفى المراغى من هيئة كبار العلماء ورئيس المحكمة العليا الشرعية شيخا للجامع . الأزهر (٢)

جماعة كبار العلماء

راى بعض المسئولين فى الأزهر تغيير اسم « هيئة كبار العلماء » الى « جماعة كبار العلماء » ولم تختلف عن سابقتها الا بالقدر الذى سمحت به الظروف ويرأسها شيخ الجامع الازهر ايضا وتتكون من ثلاثين عالما ويكون لكل منهم كرسى للتدريس ولا تقل سن العضو عن ٤٥ سنة وأن يكون معروفا بالزهد والورع والتقوى وليس له ماض يشينه وأن يكون حائزا لشهادة العالمية من درجة استاذ وان يكون قد ألف كتابا قيما فى مادة من المواد المقررة فى احدى الكليات وأقرته لجنة مشكلة من عشرة أعضاء على الأقل ... الخ (٣)

مجمع البحوث الاسلامية

بقيت جماعة كبار العلماء تؤدى دورها فى خدمة الاسلام والمسلمين

متضلعة بمصالحهم الى ان صدر قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١ م فحل مجمع البحوث الاسلامية محل هيئة كبار العلماء متضلعا بواجباتها وصان للمجمع تكوين أوسع رقعة وأعمالا اكثر شمولا .

د / مجاهد توفيق

---

١ - راجع المواد رقم ٦ ، ٧ ، ٨ من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ م للمعاهد الدينية سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م ص ٤

٢ - صدر الأمر الملكى رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٨ م بسراى عابدين فى عهد الملك فؤاد وكان رئيس الوزراء هو مصطفى النحاس .

٣ - راجع المواد ٦ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ . لقانون ٢٦ لسنة ١٩٣٦ م السابق ذكره

طرائف

إياك والعجلة

فإن العرب كانت تكنيها ام الندامة لأن فيها عيوبا ستة :
يقول صاحبها قبل ان يعلم ·
ويجيب قبل ان يفهم ·
ويعزم قبل أن يفكر ·
ويقطع قبل ان يقدر ·
ويحمد قبل ان يجرب ·
ويذم قبل ان يختبر ·

العفو والعقوبة

ليس الافراط في شيء اجود منه في العفو ، ولاهو في شيء اقبح منه في العقوبة ..
قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه :
« إن أُخْطِىءْ في العفو خير من أن اخطىء في العقوبة » ..
ذلك أن الخطأ في العقوبة لا يستدرك فمن عوقب ظلما ، كيف يستدرك ماوقع عليه ·

قيمة مصيبة

ذكر أعرابى مصيبة نالته ، فقال : انها والله مصيبة جعلت سود الرءوس بيضا ، وبيض الوجوه سودا ، وهونت المصائب ، وشيبت الذوائب ·

نصيحة

قال على بن ابى طالب رضى الله عنه :
« احفظوا عنى خمسا ، لو ركبتم الابل في طلبهن لأنصبتموهن قبل أن تدركوهن : لَا يَرْجُوَنَّ عَبْدٌ إِلَّا ربه ، ولا يخاف الا ذنبه ، ولا يستحى جاهل ان يسال عما لا يعلم ، ولا يستحى عالم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول : الله اعلم ، والصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ، ولا ايمان لمن لاصبر له » ·

من توجيهات عمر بن الخطاب إلى ولاته

- **اجعلوا الناس عندكم في الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم ·**
- **اياكم والرشا ، والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب ·**
- **قوموا بالحق ولو ساعة من نهار ·**

ومواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حــقاً

اذا نال الشريف رتبة تواضع فيها ، واذا نال الوضيع رتبة تكبر فيها .

علم وعمل

ما أحسن الايمان يوفيه العلم ، وما أحسن العلم يوفيه العمل وما أحسن العمل يوفيه الرفق .

فتبارك الله أحسن الخالقين

القى الامام الشافعى عظة فقال :
« هذا ورق التوت لونه واحد وطعمه واحد ياكله الدود فيخرج منه الحرير ..
وياكله النحل فيخرج منه العسل ..
وتاكله الشاة والبقر فتلقيه بعرا او روثا ..
وتاكله الظباء فيخرج منه المسك .. »
فتبارك الله احسن الخالقين .

من علامات الجاهل

إن مزح أسخط ، وإن اعتذر أفرط ، وإن حدَّث أسقط ، وإن قدر تسلط ، وإن عزم على أمر تورط ، وإن جلس مجلس الوقار تبسط .

من جيد المناجاة

قال سفيان بن عيينة : سمعت أعرابيا يقول عشية عرفة : اللهم لاتحرمنى خير ماعندك لشر ماعندى ، وإن لم تتقبل تعبى ونصبى فلاتحرمنى أجر المصاب على مصيبته .

دعــاء

اللهم إنى أعوذ بك أن أفتقر في غناك ، أو أضل في هواك ، أو أذل في عزك ، أو أضام في سلطانك ، أو أضطهد والأمر اليك .

من أعلام الأزهر

■ الشيخ الزنكلوني

من أعلام الإسلام

الشيخ الزنكلوني

بقلم محمد الطاهر الزنكلوني

علم من أعلام النهضة الحديثة ، وامام من أئمة الفكر ، ومفكر من مفكرى الاسلام ، ذلك هو العالم الجليل المرحوم الشيخ على ابن عبد الفتاح بن سرور الزنكلونى .

نشأته

ولد فقيدنا العظيم في قرية الزنكلون من أعماق ، محافظة الشرقية بتاريخ ٨ / ٦ / ١٩٧٨ م من أبوين كريمين . وعرف والده رحمة الله تعالى عليه بالتصوف وكان ينتسب الى العارف بالله سيدى أحمد الرفاعى رضوان الله عليه الذى يوجد ضريحا جدين له بجوار منزل الشيخ بالزنكلون : ضريح العارف بالله « الشيخ عثمان الرفاعى وضريح ابنه العارف بالله الشيخ أحمد الرفاعى رضى الله عنهما » ..

وكان لوالده الشيخ على كرامات وبركات عرفت في أيامه وتداولها الناس .

في هذا البيت الصوفي وبين أحضان هذا الرجل التقى الورع نشأ شيخنا الفاضل وحفظ القران الكريم وجوده ثم أرسله والده الى طنطا ليتلقى العلم بالجامع الأحمدى مع نفر من أبناء الشرقية منهم « الشيخ لاحمدى الظواهرى والشيخ الشافعى الظواهرى » رحمهما الله وبعد أن نال الشيخ ـ رحمه الله قسطا وافرا من العلوم الشرعية والعربية على يد العلماء الأجلاء في طنطا .. انتقل الى الأزهر ليرتشف من معينه ويتلقى العلم من منبعه وهناك التقى بالعلماء العاملين وتركزت معلوماته وتبلورت أفكاره ورأى في الأزهر أفقا أ، حب وعلما أغزر وتيارات متباينة .

وتاقت نفسه للاستماع الى الشيخ الامام محمد عبده وخاصة بعد أن علا صخب معارضيه ومناوئيه بسبب ارائه الاصلاحية ومناداته بادخال العلوم الحديثة في الأزهر

الشـــيخ الزنكلـــونى

الشريف ليساير ركب الزمن والتطور .. ولم يطل تردده فقد اصطحبه زميل لسماع درس الشيخ الامام وأنصت الشاب الى درسه والى حديثه وارائه الاصلاحية بكل جوارحه وأعجب بالامام أيما اعجاب لعرضه الشيق وتعجب ان يكون هناك من يناوىء هذا المصلح العظيم وصار بعد ذلك من تلامذة الامام ومؤيديه ومحبيه والداعين لمنهجه المدافعين عنه وعن ارائه والسائرين على دربه ..

وقد تحدث الامام محمد عبده مع شخصيتنا الكريمة طالبا منه أن يترك مذهب الشافعى الى المذهب الحنفى ، اذ رأى الامام في تلميذه النجابة والفطانة وحسن الرأى وقوة الحجة وطمع في أن يرشحه يوما لمنصب القضاء والافتاء ..

ورد شيخنا على أستاذه الامام قائلا ان هذه رغبة والدى وأنا لا أخالف له أمرا ، فابدى الامام رغبته في مقابلة والده وتم اللقاء في سراى سليمان باشا اباظة .. بالشرقية وكان الامام ينزل عنده يوم الخميس من كل اسبوع وأخذ الشيخ والده لمقابلة الامام في منزل « الباشا » وهناك تحدث الامام الى الشيخ برغبته في أن يدرس ولده مذهب الحنفية ؟ فرد عليه الشيخ رد الواثق بالله قائلا :

سيدى الشيخ لقد حججت بيت الله وتعلقت بأستار لكعبه وطلبت من الله أن يكون ابنى عليا من كبار علماء الشافعية . فان كان الله قد قبل دعوتى فسيكون عليا كما دعوت ، وان لم يقبل دعوتى فسيغير علىّ ولدى مذهبه وأمرى وأمره الى الله .

فَسُرَّ الامام من ثقة الرجل في ربه واخذ يردد : من كبار الشافعية ان شاء الله .

ويواصل صاحب الشخصية دراسته حتى يحصل على الشهادة العالمية من الازهر الشريف سنة ١٩٠٤ وكان ترتيبه الاول ..

ويصدر القرار بتعيين الشيخ مدرسا بالقسم الثانوى بالازهر حتى سنة ١٩١٩ ثم انتقل للتدريس بالقسم العالى وصار فى تدريسه على منهج استاذه محمد عبده فالتف حوله طلاب العلم لينهلوا من ارائه وعلمه ويستفيدوا من خبرته .

الشيخ الزنكلونى وثورة سنة ١٩١٩

وفي نوفمبر ١٩١٨ عقدت الهدنة بين دول الوسط (المحور والحلفاء وبدا الناس يتحدثون عما يجب ان يقوم به المصريون للحصول على استقلالهم طبقا للمبادىء التى أعلنها الرئيس « ولسن » رئيس جمهورية أمريكا تلك المبادىء الخاصة بتحرير الشعوب على ان يكون كل شعب حرافى تقرير مصيره واختيار نظام الحكم الذى يرضيه ، وتعددت الاجتماعات في قصور الزعماء السياسيين بغية ارسال وفد مصرى الى مؤتمر باريس وكانوا فريقين : فريقا من بقية رجال الحزب الوطنى المقيمين في مصر يريدون أن يتالف منهم الوفد المصرى لحضور المؤتمر ، وفريقا احر بزعامة سعد زغلول وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ومعه محمد محمود وعلى شعراوى وحمد الباسل واسماعيل صدقى وغيرهم .

وبعد المناقشات التى دارت بين الزعيم سعد زغلول والمستر برونيت مستشار وزارة الحقانية وبعد زيارة ثلاثة من الباشوات هم : سعد زغلول وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى للمندوب السامى السير ونجت ألقت السلطة الانجليزية القبض على سعد ، وصدقى ، ومحمد محمود وحمد الباسل .

عندئذ تحولت عواطف المصريين الى سعد ورفاقه فاندلعت المظاهرات وخرجت أولاها باسم الأزهر بعد صلاة العصر من مسجد الفاكهى(١) الذى كان الشيخ على الزنكلونى يدرس فيه .

وفي صبيحة يوم الاثنين عمت المظاهرات القاهرة واشترك فيها أبناء الازهر وعلمائه وطلاب المدارس والشعب ..

وفي يوم الجمعة ١٤ مارس سنة ١٩١٩ اجتمع فريق من العلماء في الجامع الأزهر ليتفقوا على :

أولا : تحديد موقفهم من الثورة .

ثانيا : تنظيم جمع التبرعات لأبنائهم الطلبة الذين انقطعت عنهم الموارد بعد تعطيل السكك الحديدية والبريد وكافة المواصلات بين القاهرة وسائر البلاد .

وبعد صلاة الجمعة حضر عدد من الطلبة وثيابهم ملوثة بالدماء يصيحون أنتم هنا ونحن نقتل في ميدان الحسين . فقد حدث أن فريقا من الجنود الانجليز ، المسلحين أطلقوا الرصاص على الخارجين بعد صلاة الجمعة من مسجد الامام الحسين رضى الله عنه وقتل كثير من افراد الشعب ومن الطلاب . وهنا اتجه الأستاذ الزنكلونى الى منبر الأزهر وألقى خطابا هادئا فيما يجب أن يقوم به العلماء وهو أول خطاب لعالم في ثورة ١٩١٩ م وتبعه الشيخ مصطفى القاياتى فالشيخ أبو العيون في أسلوب حماسى .

وفي يوم السبت ١٥ مارس تجمهر بالأزهر صباحا عدد لايحصى من فئات الشعب والأزهريين وكان فريق من العلماء مجتمعين في الرواق العباسى مشغولين بانتخاب لجنة منهم تشرف على الحركة وتكمل العمل في تنظيم جمع التبرعات للطلاب الذين انقطعت عنهم الموارد بسبب تعطيل المواصلات ..

وفي الوقت نفسه كان المتظاهرون يندفعون الى الخروج من الأزهر ليقوموا بمظاهرة كبيرة وكان الجند يسدون الطرق الموصلة الى الأزهر ، وهم مدججون بالسلاح وقد بلغ الحماس بشاب أزهرى يندفع الى الميدان وحده ثم اختطف مدفعا من أيدى الانجليز وأقبل على اخوانه يحمله ولكن الرصاص أخذ يتدفق عليه من كل جانب فقتل لساعته رحمه الله .

(١) تسمية العامة (الفاكهانى)

وفي يوم الاحد ١٦ من مارس تحرج الموقف وطلب حكمدار المحافظ الانجليزى التدخل لمساعدته لمنع المظاهرات فأفهموه أن منع الآلاف المتظاهرة من تحقيق مايريدون أمر متعذر وطلبوا اليه أن يمكن الشعب من السير في المظاهرة التى يرغبون فيها حتى تنتهى بسلام . ولم يتمكن أفراد الشعب في هذا اليوم أن يجتازوا ميدان الأزهر بعد أن أصر الانجليز على عدم السماح لهم بالمرور .

جاء في مذكرات الشيخ الزنكلونى ـ رحمه الله قوله :

« وقد رأينا أنه من المستحسن أن نزور بعض الزعماء من زعماء الأحزاب لنعرف رأيهم في تنظيم هذه الحركة وعلاقتهم بها فذهبت مع بعض اخوانى الى مكتب الدكتور (١) اسماعيل صدقى بميدان الأوبرا وكان يتكلم باسم الحزب الوطنى وحدثناه في الأمر ، وبعد أن أطلعنا على بعض المذكرات السياسية في القضية المصرية وما اتخذه الحزب من الاحتجاجات على « اعتقال الباشوات الأربعة » وجه الينا بعض النصائح وكان أخصها أن نبعد الأزهريين عن الظهور في المظاهرات والاشتراك فيها حتى لانعتبر في نظر الأجانب متعصبين تعصبا دينيا وقد أفهمناه خطر هذا الرأى لأن الأزهريين اذا لم يشتركوا في هذه الحركة بكل صورها بدافع من ايمانهم وحماستهم وتحملهم المشاق فلن تكون هناك حركة ثم انصرفنا متجهين الى بيت الأمة وقابلنا هناك سكرتير الوفد الأول الأستاذ محمد بك بدر .. قابلنا مضطربا وملتاعا يطلب منا أن لانتردد كثيرا على أعضاء الوفد لأن سلطات الاحتلال تحملهم كل مسئولية . فقلنا له :

ذلك شأن الزعماء وأذا لم يتحمل الزعماء مسئولياتهم كلها وابتعدوا عن الحركات الشعبية فمامعنى هذه الزعامة ؟ » ا هـ .. .

واستمرت المظاهرات اليومية والاجتماعات بالأزهر بعد صلاة المغرب من كل ليلة وفي هذا الوقت كان أكثر الخطباء في المساء من شبان الحزب الوطنى الذين كانوا على اتصال دائم بعبد اللطيف بك الصوفانى بمنزله رقم ٧ بشارع المدارس بالحلمية ..

وكان يتناول الخطابة من الشبان ابراهيم عبد الهادى الطالب بالحقوق وكان من أكفأ الخطباء والشيخ عبد الرحمن الجديلى الطالب بمدرسة القضاء الشرعى . وهما من الطلاب الوفديين ومحمد أفندى شكرى كرشاه الطالب بمدرسة الظاهر الثانوية الابتدائية ، والشيخ أحمد يوسف الطالب الأزهرى والشيخ مصطفى عبية ، والشيخ عبد العظيم حجاب الأزهرى وعدد كبير من الطلاب الأزهريين ومن العلماء جدى المرحوم الشيخ الزنكلونى والشيخ مصطفى القاياتى والشيخ أبو العينين والشيخ محمد عبد اللطيف دراز رحمهم الله وغيرهم كثير ..

وكان الشيخ الزنكلونى يواصل الخطابة بين منبر الأزهر وكنيسة الروم بالحمزاوى وينتقل معه القمص سرجيوس الى الأزهر

(١) كذا بالمذكرات .

ممثلا بذلك الوحدة الوطنية في أكمل معانيها وأقوى مبادئها .

الزنكلونى وفصل العلماء

ابان تولى المغفور له الشيخ الظواهرى مشيخة الأزهر ، كانت البلاد ترزح تحت أعباء ثقيلة ، تنوء بها ، وكان يتردد على الألسنة اسم الخلافة الاسلامية كذلك يتردد اتجاه النية الى جعلها في الملك الأسبق أحمد فؤاد ، فخرج الشيخ ومعه بعض زملائه العلماء ممتعضا واعتلى منبر الأزهر ، وخطب خطبته المشهورة يعارض فيها الرأى في هذه الخلافة ، في اطار الحديث الشريف : اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظروا الساعة .. أو كما قال سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وثار المسئولون وغضبوا على الزنكلونى وزملائه فنالهم من عنت الملك مانالهم ، وحتى جاء اليوم السابع عشر من سبتمبر سنة ١٩٣١ فصدر قرار بفصل سبعين عالما ، على رأسهم الشيخ الزنكلونى والشيخ دراز والشيخ شلتوت والشيخ الغمراوى والشيخ نوار وغيرهم رحمهم الله وأطال في عمر الأحياء منهم وكان هؤلاء هم النواة الأولى لحزب الزنكلونى الذين لم يتخلوا عن مبدئهم وعقيدتهم ورضوا بالعيش بعيدا عن الأزهر ست سنين الى أن قيض الله له العودة اليه عندما أعيد الامام المراغى الى المشيخة وفي الحفل التكريمى له ولهم وقف الشيخ الزنكلونى الخطيب الثائر المصلح ليقول :

« اذا تنكب الأزهر الطريق يوما فليس ذلك من طبيعة الدين الذى يقوم على حفظه ، وانما منشأ هذا التنكب هو القوى التى تتسلط عليه ، وتوجهه الى طريقها ، واذا فلاتلوموا الأزهر مادام غير قائم على قدميه بنفسه ، وانما اللوم على من يمتلكون أمره ، ويوجهونه حيث تأبى الطبيعة أن توجهه » .. واسترسل الشيخ في نقده حتى رقت أعصابه فبكى وأبكى الحاضرين ..

شجاعتــــــه

كان الشيخ - رحمه الله - يرى أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - قد مات ، ويحدث بذلك في تفسيره لتلاميذه بالرواق العباسى ، وأغضب ذلك الرأى بعض الطلبة حتى هموا بالثورة عليه ..

وحدث في اليوم التالى لتفسيره أن زار الأزهر المستشرق (زويمر) ووقف على درس الشيخ يستمع اليه ، وأثناء ذلك اكتشف الشيخ أن (زويمر) يوزع منشورات ضد الاسلام وترغيبا في النصرانية ، فهاج الشيخ ، وطرده من الأزهر وهنا هتف بحياته الطلبة الذين أغضبهم تفسيره بالأمس وأسرعت الحكومة بطرد المستشرق عقب ذلك . وتناقلت الصحافة الحادث ورددته ..

منهجه في الدعوة

من مؤلفات الشيخ - رحمه الله - كتابه « الدعوة والدعاة .... » وفي هذا الكتاب بسط الشيخ منهجه في اصلاح الدعوة وتوجيه الداعية من رجال الأزهر .. الكتاب يعبر تعبيرا واضحا عن شخصية مؤلفه ، ويبرز مقدرة الشيخ في ريادة الدعوة ..

الشيخ الزنكلوني

ويبدو في هذا المؤلف تأثره بالامام محمد عبده ـ رحمه الله ـ سواء في فكره الاسلامى أم منهجه الاصلاحى للأزهر وأبنائه من العلماء والطلبة ..

وهذا الكتاب وضع معالم الطريق للافادة من الكتاب العزيز والحرص على هدايته، فتناول القران الكريم في صلته بواقع الحياة، وفي اعجازه، وتناول التفسير فبين مدى تعبيره عن كتاب الله ـ عز وجل، وقيمة عمل القائمين به ..

وصد الطعن على السنة، وزاد عنها، وتناول الفقه، ودعا الى الاجتهاد فيه ... الخ ..

● والفكر في الكتاب يتصل بالحركة التى أسسها أحمد بن تيمية الحرانى، وتبعه فيها، في القرن التاسع عشر، جمال الدين الأفغانى ثم محمد عبده ..

ولم يقتصر الكتاب على هذا الاطار فقط بل واجه في تفكيره :

ماسيطر على العالم المعاصر منذ القرن التاسع عشر من المادية واتجاه الماديين، كما واجه جمال الدين الاستعمار في كل وطن اسلامى. وأدرك خطر المادية في خداعها وفتنتها على الروحية الاسلامية ..

« وكل مانراه في المادية من قضايا الحق، والعدل والآثار الصالحة التى أثبتتها التجارب وأيدتها العقول، لايعمل بها الماديون الا في دائرة شهواتهم، ومن ظن بالماديين خيرا، وتطلب السعادة الصحيحة من جانبهم، فقد ظن الخطأ، وضل الطريق .. ولا يبهرنا ماتفيض به عقول الماديين من اثار الابداع والاختراع فليس ذلك من حب الخير في شىء، وانما هى النفوس البشرية تختال على ابراز أسباب القوة اذا اشتد بها الجشع والطمع » ..

وبعد : فالكتاب يعيش بتفكيره اليوم بيننا، وفي اطار مشاكلنا الاسلامية كما عاش بالأمس، ويعيش غدا كذلك لأنه ارتبط بالقران وحده : في الايمان به وفي النصح بالعمل بمبادئه، وفي دفع الانحراف عنها، وتوضيح أسباب الانحراف وهى أسباب تتعدد ولكنها في جوهرها واحدة.

شخصيتــــه

نستطيع ان نلتمس ـ مما تقدم بسهولة ـ حدود شخصية الشيخ الزنكلونى ـ رحمه الله ـ وطابعها تلك الشخصية المفعمة حماسا وحيوية، عاش بهما الشيخ لعلمه ووطنه، وترك اثار ذلك في تاريخ مصر، وريادة الأزهر، وعرفت له الوطنية جهاده المشرق ضد المحتلين واتباعهم من المستشرقين وترك ـ رحمه الله ـ مذكرات سجلت الكثير من الأحداث. وكنت بصدد استملا شيخنا الفاضل عبد الجليل عيسى ـ رحمه الله ـ الكثير عن جهاد الشيخ، وأملانى، فعلا، عدة نقاط ثم دهمه المرض الثقيل فالوفاة. ففقدت ـ برحيله ـ مصدرا حيا لأحداث هذه الفترة من جهاد الشيخ الزنكلونى ..

وقد تميز الزنكلونى ـ رحمه الله ـ بوفاء نادر لدينه ولبلده ولأساتذته وزملائه واصدقائه وتلاميذه ومحبيه عارفى فضله،

وما اكثرهم ، وبخاصة ال عبد الرازق فقد كان زميلا واخا لفضيلة الامام الراحل الشيخ مصطفى عبد الرازق واخيه الشيخ على عبد الرازق ..

وكان كثير الاستفسار عن زملائه وعن احوالهم .

وبادله اخوانه وفاء بوفاء ، فقد شفى - ذات مرة من مرض الم به ، فكتب له الشيخ محمد الاسمر ابياتا عدة يداعبه فيها قال :

لما شفاك الله سبحانه
شفا كثيرا من شئون الهدى
فالبس من الصحة أثوابها
وعش بها العمر الطويلا المدى
فأنت في مصر التقى الذى
يَشْرُفُ من قبَّل منه اليدا
وكم يد في مصر ممدودة
يلثمها الناس وفيها الردى
لينة الملمس لكنها
أخشن من كف هزبرٍ عدى
جئنا الى الشيخ بأشعارنا
لارهبة أو رغبة في الندى
أهديت ماغنَّى به خاطرى
شوقا وماقلبى به غرّدا
لو اننى أستطعت لسطرته
في ورق الورد بقطر الندى !!
تحمله في الفجر ريح الصبا
لسيد أَكْرِمْ به سيدا
يغضب الله ويرضى له
ليس كبعض الناس مستعبدا

وفاته

بعد مرض طال بالشيخ الزنكلونى شهورا عدة ، وفاه القدر الرحيم في اليوم الحادى والعشرين من رمضان عام ١٣٥٩ هـ الموافق للعاشر من شهر اكتوبر ١٩٤٠

وفي هذه الفترة من مرضه كان بيته مزارا لاعلام الدين والوطنية من أمثال : الشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ مصطفى المراغى ، والشيخ عبد المجيد سليم والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ عبد اللطيف دراز وغيرهم ..

كذلك زاره مصطفى النحاس ، وحنفى محمود ، ومحمد حسين هيكل ، وطه حسين ..

وشيعته الجموع الغفيرة الى مثواه بمقبرته بالغفير في القاهرة ..

واعترافا بفضله اطلقت وزارة التربية والتعليم اسمه على احدى مدارسها وفاء له وتخليدا لذكراه ..

رحم الله العالم الجليل ، والمجاهد النبيل ..

سيدى الشيخ على عبد الفتاح سرور الزنكلونى ..

ولدك
محمد الطاهر الزنكلونى
مدير الشئون الادارية لمجمع البحوث الاسلامية .

من وحي الريف

محراب شاعر

للدكتور حسن جاد

خميلةَ الشعر كم حرَّكتِ أَوتارى ... للشدو فيك وكم ألهمتِ أفكارى
يامبعث الروح في الأبدان هامدةً ... ومَهْبِطَ الوحى من آيات أشعارى
حَيَّيتُ فيك مكانا كم نظمت به ... لآلىءَ الشعر فوق الجدول الجارِى
من كل عصماء من نجواك رائعةٍ ... عذراءَ تختال في وَشْى وأنْوار
ساجلت. طيركِ فيها شاكيا غردا ... كأننى طائر مابين أطْيَارِ
بَكَتْ أليفا عن الوكر الجميل نَأى ... فرحتُ أبكى أليفاً نائِىَ الدارِ
والبدر يشرق أحيانا فيؤنِسُنى ... وتارة يتوارى خلْفَ أستارِ
والأرض مجلوَّة الآفاق وادعةٌ ... تجلو المزارعُ فيها قدرةَ البارى
والكون حولك قد ساد السكونُ به ... عداد نسيمٍ رقيق النفح معطار
والكون معبد روحى، في محاربه ... أُسبِّح الله في صمتٍ وإسرار

●●●

خميلة الشعر كم من أنعمٍ عَظُمَتْ ... أصونها لك في حُبٍّ وَإكْبارِ
كم عشت في جوّك النشوان منفردا ... مُطَهَّر النفس من حِقْدٍ وأوضارِ
سئمت من معشر بيض ظواهرهم ... لكن بواطنهم سوداء كالقارِ
وجدت فيك - غَنَاء عن صداقتهم - ... خِلاًّ وَفِيًّا، ومحرابا لأفكارِى

الإسلام والفكر الغربي

جاذبية الإسلام

تصويب وتعقيب على مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

جاذبية الإسلام

للمستشرق مكسيم رودنسون

Maxime Rodinson La Fascination de l'Islam

« جاذبية الاسلام » عنوان لكتاب من تأليف المستشرق مكسيم رودنسون وقامت بنشر ترجمته الى العربية عن أصل فرنسى دار التنوير ببيروت .. وربما يعنى العنوان للوهلة الأولى أن المؤلف سوف يعرض فيه شيئا من مزايا الاسلام ، التى ينبغى أن تكون موضع جذب للذين يريدون الدخول فيه ، ولكن هذا الفهم سرعان مايتبدد ، حين تتخطى العينان الغلاف الى صفحات الكتاب ، وحينئذ سوف نرى أن المؤلف يكتب في موضوع مخالف تماما لما تبادر الى الذهن من وراء هذا العنوان الخادع ..

فالمؤلف يعر- ي [illegible] الكتاب بالتسجيل للعلاقة التى نشأت بين الغرب وبين الاسلام منذ الفتوحات الاسلامية حتى الان ، ومعنى ذلك أن الجاذبية هنا تعنى الجاذبية التى نشأت عنها الدراسات التى حاولت أن تقتحم أسوار هذا الحصن ، الذى غير أبناؤه وجه التاريخ . في سنوات معدودات ، ووصلوا في سبيل التبليغ بدينهم الى أعماق هذا العالم الغربى الذى لم يجد بدا من الدراسة والتعرف ، مهما كان هناك من نفور أو اغراض ، على نحو يذكرنا بما كان يصنعه كفار قريش ، حين كانوا يصدرون عن سبيل الله ، وفي الوقت نفسه يسترقون السمع الى صوت القران الكريم ، لأن هناك جذبا خفيا يدعو الى الانصات والاستماع .

والكتاب في حقيقته يضم محاضرتين للمؤلف ، الأولى قائمة على بحث مراحل النظر الغربى على العالم الاسلامى ، والثانية تلقى الضوء على الدراسات العربية والاسلامية في أوربا ..

والمؤلف يقدم معلوماته من خلال هاتين المحاضرتين في تركيز شديد ، يصل في بعض الأحيان الى الاشارات الخاطفة ، التى لايقف عليها الا المتخصصون في ميدان الاستشراق ، وقد أداه هذا التركيز الى الاحالة على مصادر كثيرة ومتنوعة ، تدل من ناحية على القيمة العلمية لما يسجله وتدل من ناحية أخرى على الدراسات الوفيرة التى قامت حول الاسلام ، هادفة الى الحق ، أو قاصدة الى الباطل لغايات يتغياها الدارسون .

ولقد كان المؤلف موضوعيا وهو يعرض بالنظر لمراحل الرؤية الغربية للعالم

عرض وتعليق
د. طه مصطفى أبوكريشة

الاسلامى فلم يشأ أن يخفى النظرات الخاطئة القائمة على التعصب، خاصة في المراحل الأولى التى حملت من التعصب المقيت أوزارا ثقالا، أعمت العيون عن رؤية الحق الواضح، وغطتها بغشاء كثيف من الحقد والبغضاء.

ونظن أن الكتاب في أصله الفرنسى المترجم عنه، أوضح بكثير من الترجمة العربية التى بين أيدينا، فهذه الترجمة شابتها العجمة في اللغة، ومن ثم ألقت عليها ظلالا كثيفة من الغموض والتعقيد وخلخلة البناء الأسلوبى، بالاضافة الى كثرة الألفاظ الأجنبية، التى لم تشفع بما يوضح معانيها..

ومثل هذا الجنوح في الترجمة أمر شائع في الترجمات اللبنانية التى تكشف عن مدى بعد أصحابها عن بلاغة اللغة العربية بعدا أشاع في أساليبهم شيئا من التعتيم والاغراب والتعقيد، وهو أمر بالغ الخطورة حين ينشر على الناس مثل هذا الاسلوب في التأليف أو الترجمة، فتذوى شجرة اللغة، وتصاب أوراقها اليانعة بالجفاف..

ولو أتيح لهذا الكتاب مترجم على قدم راسخة في اللغتين العربية والفرنسية لكان للكتاب شأن أكبر وأحظى من هذا اللون الذى قدم من خلاله الى قراء العربية، ونأمل أن يتاح ذلك..

- ٢ -

أما المحاضرة الاولى التى تبحث مراحل تطور النظر الغربى على العالم الاسلامى فان المؤلف يقسم هذه المراحل الى مايلى:

أ - مرحلة الصراع المحتدم بين الغرب وبين الاسلام خلال القرون الوسطى، وهى مرحلة حافلة بكل نظر خاطىء، وبكل معرفة زائفة، وكل من الخطأ والزيف متعمد من قبل القائمين به. والمؤلف يسجل للغربيين نظرتهم الى الاسلام في هذه المرحلة حين

جاذبية الإسلام

كانوا يصورون المسلمين بأنهم غزاة بربريون مخربون ، اجتاحوا العالم الاسلامى في شمال افريقيا وفي جنوب اوربا وغربها حتى أسبانيا ..

ويدخل في هذا المرحلة سنوات الحروب الصليبية ، وسنوات الصراع في الاندلس ، خاصة في تلك السنوات الاخيرة التى شهدت نهاية المسلمين في هذه البلاد .. ويرى المؤلف أن العالم الاسلامى بقى في هذه الفترة العدو الاول للعالم المسيحى ، ولم تعد المعارك التى تخاض ضده في أسبانيا وايطاليا الجنوبية وصقلية مجرد معارك صمود ومقاومة . وانما اصبحت تهدف الى القضاء على الاسلام والاعداد لغزوه في عقر داره ..

وقد تكونت خلال هذه الفترة صورة شائهة عن الاسلام ، صنعها أولئك الذين ارادوا أن يقدموا لجمهورهم صورة كريهة عن الاسلام ، وفي هذا المجال يذكر المؤلف أن المؤلفين اللاتين في القرن الحادى عشر أخذوا يكتبون عن الاسلام . وفي سبيل تلبية الحاجة عند الجمهور الكبير من شعوبهم ركزوا جهودهم على حياة النبى (صلى الله عليه وسلم دون ان يتحروا الدقة والصواب في كتاباتهم ، مطلقين العنان لسبحات الخيال الذى يذهب في الشطط والتزيد والتحريف الى مدى بعيد ..

ولقد كان لهذا النشاط المشوه اثره فى الأجيال اللاحقة ، التى تلقت هذه المعلومات وكأنها الحقائق المسلمات ، التى لاتقبل نقدا ولانقضا .

ويذكر المؤلف على سبيل المثال ان بعض هذه المعلومات كان يصور المسلمين على أنهم عبدة اصنام ، وأنهم كذلك يعبدون نبيهم !!

ويؤكد المؤلف أن هذه المواقف ليست موضوعية بطبيعة الحال لانها تهدف الى تأصيل الحقد والعداء في نفوس جمهورهم ضد الاسلام ..

لكن اذا كانت الموضوعية بعيدة كل البعد عن كل مايتصل بالدين فان هذه الموضوعية يعثر عليها ـ كما يرى المؤلف ـ في جانب اخر ليست له صلة بالعقيدة الدينية الا من طريق بعيد وغير مباشر .. هذا الجانب هو ميدان العلوم منذ مطلع القرن العاشر .. وهنا يسجل المؤلف أن العرب كانوا يملكون تراجم مؤلفات العالم القديم الأساسية ، التى لم يكن يعرفها الغرب ، ولم يعرفها الا عن طريق الترجمات العربية ..

ويذكر المؤلف حسنة لهذا الجانب ، اذ أن الوقوف على هذا الجهد العربى المبذول أدى الى تكوين نظرة معتدلة ، عند بعض المستشرقين الذين أرادوا أن ينصفوا الاسلام والمسلمين ، وأن يكتبوا في هذا المجال كتابة موضوعية منصفة بعيدة عن أسلوب أدب التسلية والترويج الذى حشدت فيه خرافات كثيرة عن الاسلام ..

وهنا بدأ الاعداد لنقل التفاهات العربية الاصيلة والمترجمة الى لغات الغرب ، لكن لم يكن هذا النقل من أجل خدمة الاسلام بداهة . وانما كان من أجل خدمة العالم الغربى ، وتعزيز مكانته العلمية ، التى بدت

متاخرة كثيرا عن نشاط العلماء المسلمين ..

ومنذ ذلك الوقت أخذوا يقفون على جهود العلماء المسلمين في ميادين الطبيعة والفلسفة والطب . وبرزت أمامهم في شموخ اسماء الفارابى . وابن سينا وابن رشد وابن خلدون ..

ويذكر المؤلف ان اللاتين اكتشفوا حينئذ صورة عن الاسلام ، مضادة بعنف لتلك الصورة التى صنعوها بايديهم في الاطار الدينى ..

ويبرز المؤلف اثر ترجمة الكتب الفلسفية الى اللغات الغربية ، ويذكر أن هذه الكتب احدثت تأثيرا هائلا في اوربا ، وأبرز هذا التاثير مافيه من دعوة لاعادة النظر في الدراسات الخاصة بالألوهية والعالم والانسان على نحو أصيل .

وقد أخذ هذا التاثير يصنع صنعه في العقلية الغربية حين بدأت في انشاء مدارس مؤسسة على اراء ونظرات الفلاسفة المسلمين ، وقد قامت هذه المدارس بدور فعال في تقديم معلومات أقرب الى الصحة عن جغرافية العالم الاسلامى وعن عاداته وتقاليده ، وعن حضارته ونظم حياته ، وان كان قد تسرب في هذا المجال كثير من المعلومات الخاطئة التى ألصقت الصاقا على انها من تعاليم الأسلام ، دون تفرقة بين عادات الجهلاء والعامة ، وبين مظاهر الدين الصحيح ..

واذ كانت هناك أسباب سياسية وعسكرية وعلمية ، جعلت الغرب يتجه الى معرفة كثير من احوال العالم الاسلامى ، فان هناك عاملا اخر ، وهو عامل الاقتصاد والسعى وراء الربح التجارى فقد كان العالم الاسلامى ميدانا اقتصاديا مغريا لعدد كبير من التجار الأوربيين . ويذكر المؤلف أن هؤلاء التجار مهما كان تعلقهم بايمانهم المسيحى ، فانه لم يكن بامكانهم الأخذ بالأحكام المتسرعة ، التى اطلقت على العالم الاسلامى في أوربا ، ومن ثم تكون لديهم نوع من الاحترام المتبادل ..

ولايغفل المؤلف في ختام عرض هذه المرحلة الكبيرة الاشارة الى ماحظى به السلطان صلاح الدين الأيوبى من اعجاب كبير لدى الغربيين ، الذين لمسوا فيه عن قرب كثيرا من الأمور التى تستحق الاعجاب والاكبار .

وقد أشار المؤلف الى أن بعض هذه الأمور يعود الى أنه خاض الحرب مع أعدائه بانسانية وفروسية ، لكن المؤلف ينسى أو يتناسى أن هذه الانسانية التى أعجبتهم ناشئة أساسا من اتباع صلاح الدين لتعاليم دينه فيما يتصل بشئون الحرب ، وهى تعاليم لايراها هؤلاء المعجبون لافيما يدينون به ، ولافيما يسلكونه عمليا في حروبهم مع المسلمين ..

وقد عز على بعض هؤلاء المعجبين ـ من منطق العصبية ـ أن يجعلوا صلاح الدين منحدرا من أصول اسلامية خالصة ، فأباحوا لأنفسهم أن يجعلوا بعض هذه الأصول متصلا بعروق مسيحية ، كما صنعوا هذا الصنيع بالنسبة لكثير من العلماء المسلمين الكبار !! (١٥ ـ ٢٩) ..

(ب) مرحلة النمو وتخفيف حدة الصراع : يصور المؤلف مقدمات هذه المرحلة بقوله : « ان تراكم معارف صحيحة عن الاسلام وأصوله وعن الشعوب الاسلامية والعلاقات العملية الكثيرة في الميدان السياسى وميدان التجارة على حد سواء ،

والاحترام المتبادل الذى كان ينشأ من جرائها في بعض الأحوال ، والتقدير الكبير لمذاهب علمية أو فلسفية كان مصدرها مغروسا في أرض الاسلام ، هذا كله مضافا اليه التطور الداخلى البطىء للذهنية الغربية ، كان يقود شيئا فشيئا الى تغير الزاوية التى منها كان يرى هذا العالم الغريب »

فكيف تغيرت هذه الزاوية ومامظاهرها ؟ لقد تغيرت الرؤية الشرسة الشيطانية التى كان ينظر بها الى العالم الإسلامى الى رؤية أخرى أهدأ وأكثر وضوحا واشراقا في بعض المواقع ، وليس فيها كلها ، لان الصورة المغروسة في الاذهان في العصور الوسطى مازالت تؤثر في عقول الجماهير البسيطة .

ويضرب المؤلف مثلا على هذه الرؤية المتسامحة بما كان يصنعه « فريدريك الثانى » الذى كان يتناقش بالعربية مع المسلمين في الفلسفة والمنطق وفي الطب والرياضيات ، وكان ينقل الى حياته الخاصة بعض العادات الاسلامية ، بالاضافة الى العلاقات الشخصية الحميمة التى كان يقيمها مع الأمراء المسلمين في ذلك الوقت في النصف الأول من القرن الثالث عشر ..

وفي سبيل البحث عن سر قوى هذا التحول يرى المؤلف أن التطور في هذا الاتجاه قواه الخطر المغولى الذى أخذ يهدد ويهاجم البلاد الاسلامية في القرن الثالث عشر ، ذلك لأن الغربيين رأوا أن الخطر سيجتاحهم حتما اذا ماتغلب التتار على المسلمين واذن فمن المصلحة عدم شغل المسلمين بمعارك جانبية تحول بينهم وبين التفرغ لهذا العدو القادم من الشرق ..

ويتابع المؤلف بيان الاسباب القوية فيذكر أنه من وجهة النظر الفكرية كان كبار المؤلفين المسلمين عنصر تجديد للحياة الفكرية في الغرب ، ولذلك اصبحوا محل دراسة واستيعاب في الثقافة العامة المشتركة ، واصبحت كتبهم دائرة بين النسخ والشرح والمدارسة .

هذا الى جانب التاثر بالثقافة الاسلامية والادب الاسلامى بفضل العلاقات التجارية التى كانت اكثر نظاما واشد توثيقا (٢٩ ـ ٣٥) .

(جـ مرحلة التقارب والمشاركة ، وهى المرحلة التى تم فيها نمو الامبراطورية العثمانية بدءا من القرن الرابع عشر .

ويرى المؤلف ان نمو هذه الامبراطورية ايقظ الى حين الاهتمام بالدين الاسلامى في دوائر البحث الدينى بعيدا عن دائرة البحث العسكرى والصراع الدموى .

ويحاول المؤلف ان يرد سبب هذا التقارب الى ان الغرب لم يكن يخشى الدولة العثمانية من الناحية الدينية ، وانما كان يخشاها من الناحية السياسية والثقافية ، ومن ثم بدا السعى الى التعايش والمهانة ، وخلق جو من الاحترام ، تقام في ظله علاقات سياسية وطيدة . ويضيف المؤلف الى هذه الاسباب سببا اخر ربما كان موضع نظر وذلك حين يسوق رأى القائلين بان الاتراك كانوا في حقيقة الامر قوة اوروبية ، فليس من الحتم اذن مبادرتهم بالعداء ، لكن هذا لم يصدق على مرور الأيام .

ويوجز المؤلف الانطباع العام لهذه المرحلة فيقول « بقى الأتراك المسلمون مع ذلك أقوى

امبراطورية في اوربا .. وكانت أبهة الباب العالى تثير انطباعا قويا لدى الاوربيين وقوته تفرض نفسها على اذهانهم » (٣٥ ـ ٣٩ ٠

(د مرحلة النظرة الموضوعية خلال القرن الخامس عشر والسادس عشر : في هذه المرحلة تزداد الدراسة الموضوعية للعالم الاسلامى ، ويرى المؤلف ان الذى سهل ذلك هو قرب المسافة ، والعلاقات السياسية الوثيقة ، والعلاقات الاقتصادية النامية ، وكثرة عدد الرحالة الذين يجوبون الشرق ، مع ضعف وحدة الكنيسة في اوربا ٠

ويرى المؤلف ان الدراسة الموضوعية في هذه المرحلة التالية لمرحلة التعايش والتقارب السابقة ، اصبحت أمرا ضروريا عما كان من قبل فرجال السياسة ورجال التجارة في هذه الاونة محتاجون معا الى اعمال مفصلة ، وأوصاف محددة ومقنعة ، ومن ثم بدأت دراسة النظم الاسلامية ، ودراسة العادات والاخلاق من وجهة نظر محايدة بعيدة عن التاثر بالخلفية التى صنعتها مرحلة الصراع المحتدم ٠ (٣٩ ـ ٤١ ٠

(هـ مرحلة الاستشراق : في القرن السابع عشر : في هذا الصدد يتناول المؤلف الاسباب التى ادت الى بدء الاستشراق فيذكر منها خدمة العمل التبشيرى منذ العصور الوسطى ، والاهتمام بوحدة الكنائس الشرقية ، والمصالح السياسية والتجارية ، ونمو المذهب الانسانى الباحث عن ثقافة كونية شاملة ٠

وقد ادت هذه الاسباب الى نمو الدراسات العربية الخاصة باللغات واللهجات والشعوب ، مع جمع المخطوطات ، ووضع المطبعة في خدمة طباعته .. فبدأ بذلك مولد شبكة استشراق وثيقة انتشرت فيها كراسى اللغة العربية في معاهد الاستشراق التى أخذت تعمل في نشر الاعمال العلمية تباعا من خلال تمويل ومساندة علمية متخصصة ٠ (٤١ ـ ٤٤ ٠

(و مرحلة عصر الانوار في القرن الثامن عشر : وهو العصر الذى مضى فيه الجيل التالى من الموضوعية الى الاعجاب بالدارسات العربية والاسلامية ٠

ويرى المؤلف ان سبب ذلك هو ماشهده الغرب من تسامح الامبراطورية العثمانية مع شتى انواع الاقليات الدينية ، وكذلك فان تركيا اصبحت ماوى المضطهدين الذين كانوا يديرون بصرهم نحو الباب العالى هربا من الاضطهادات الدينية الكاثولوكية والارثوذكسية ٠

ومن الاسباب الاقتناع بان الاسلام دين العقل الذى يدعو الى حياة أخلاقية مع احترام مقبول لمتطلبات الجسد والحواس والحياة الاجتماعية ٠

ومنها الاعتراف بالحضارة التى نقلها العرب الى اوربا والتى انعكست على حياتهم بشكل ملموس لم يعد في وسعهم انكاره ٠

وفي هذا المجال ـ مجال الاعجاب ـ يشير المؤلف الى حشد من المستشرقين الذين الفوا ونشروا مؤلفاتهم دفاعا عن الاسلام واعجابا به ، من خلال نظرة متفهمة فيها كثير من الحيدة ، وفيها كثير من النقد للافكار

السابقة التى تكونت خطا عن العالم الاسلامى . (٤٤ ـ ٤٨) .

(ز) مرحلة التخصص العلمى في القرن التاسع عشر : في هذه المرحلة ازدادت الحاجة الى العمل العلمى المتخصص ، المبنى على الدراسات المسبقة ، والمؤسسة على النصوص الاصلية وبالتالى على معرفة متعمقة للغات سكان البلاد .

ويكشف المؤلف عن دور الارساليات التبشيرية في هذه المرحلة التى ازدادت فيها الحاجة الى التخصص ، ويرى أن رجال هذه الارساليات استغلوا حالة الضغط في العالم الإسلامى للقيام بهجماتهم التبشيرية مركزين في دعوتهم على أن نجاح الأمم الأوربية انما كان بسبب اتباع الدين المسيحى ، وأن ضعف العالم الاسلامى كان بسبب اتباع الاسلام ، بغية الوصول الى أن المسيحية بطبيعتها محبذة للتقدم ، وأن الاسلام داع للركود والتأخر الثقافيين .

ولذلك فان أبرز مظاهر هذه المرحلة هو اشتداد الهجوم على الاسلام في عدوان شرس ظاهر ، مع التنبيه الى خطر قيام اية دعوة اسلامية تدعو الى توحيد المسلمين .. ويضرب المؤلف مثلا لذلك الدعوة الى الجامعة الاسلامية التى كانت تؤرق وتفزع من يحاولون مهاجمة الاسلام (٤٩ ـ ٦٠) .

(ح) مرحلة القرن العشرين المعاصرة : في هذه المرحلة يشير المؤلف الى مجموعة من الحروب والثورات في مطلع هذا القرن بدءا من الحرب العالمية الاولى ، ويرى المؤلف أن هذه الحرب زعزعت ثقة الحضارة الأوربية في ذاتها ، كما ان الثورات المتعددة في كثير من البلاد الاسلامية ، اكدت انه ليس من السهل ان يروج المبشرون بضاعتهم الزائفة عن الاسلام ، هذا الى جانب نمو الوعى الثقافى والفكرى لدى ابناء الشرق الاسلامى .

ولا يخفى المؤلف ان الغرب قد حاول ان يستغل الاسلام لخدمته ضد الشيوعية الملحدة ، وهذا مايفسر محاولة التقريب بين الاسلام والمسيحية التى سعى ونادى اليها رجال الفاتيكان في السنوات القريبة الماضية ، وكذلك يفسر التريث الدقيق في اصدار الاحكام على الاسلام وبنى الاسلام على نحو يبعد عن تلك الاحكام التى كانت تذيع في العصور الوسطى ولا يعنى ذلك ان هذا الشعور امر عام بين جميع ذوى الراى بل ان هناك من هؤلاء من لا يزال مصمما على الدفاع عن الحضارة المسيحية والاوربية ضد الموج الاسلامى الصاعد .

ويشير المؤلف الى تزايد الاهتمام بالدراسات الشرقية الاسلامية في شتى الميادين ، ولكن في شىء كثير من الصعوبة ، حيث تعقدت المشكلات مع تقدم العلوم الانسانية .. وتلك خاتمة المطاف في هذه المراحل (٦١ ـ ٦٧)

ـ ٣ ـ

اما المحاضرة الثانية فهى التى خصصها المؤلف لبيان الدراسات العربية والاسلامية في أوربا ، وفيها يعدد الجهود المختلفة التى بذلت فى هذا الميدان ، والتى منها على سبيل الايجاز (٦٩ ـ ١٠٠) .

أ ـ تطور البحث العلمى في ميدان العلوم الانسانية .

ب ـ نشر المخطوطات الشرقية الأكثر أهمية ، مع فهرستها وفك رموزها ، وترجمتها وشرحها .

جـ محاولة تفصيل الفهارس القديمة بشكل أدق وأخص .

د ـ تقدم البحوث في علم الآثار وتاريخ الفن الاسلامى .

هـ ـ العناية بتاريخ العلوم وتاريخ الشريعة الاسلامية .

و ـ تحسن دراسة اللغات بفضل المناهج الحديثة .

ز ـ دراسة تاريخ الأدب عل ضوء المناهج الجديدة .

ح ـ دراسة العقيدة الاسلامية في شىء من التعاطف الناتج عن شعور بالذنب على الاساءة القديمة للمسلمين .

ط ـ افساح المجال لدراسة التصوف الاسلامى .

وفي نهاية المطاف يطرح المؤلف تساؤلا : كيف يمكن النظر الى مستقبل الدراسات عن العالم الاسلامى ؟ ويجيب من خلال رؤية شخصية بأنه في المقام الأول يجب عدم ترك الرصيد العلمى الثمين الذى تم في القرنين الماضيين ، ثم يجب على الباحث أن يبذل كل جهوده للوصول الى رؤية موضوعية ، حتى وان كان من المؤكد تماما أن الموضوعية الكاملة ليست في متناول الانسان ، وان عليه ان لا يهمل الأوضاع الراهنة في حقل الدراسات المعنية ان مسيرة البحث سوف تستمر ، لأن العلم موجود ، وسيوجدطالما البشرية باقية ، ان تقدما ما سيظهر الى النور حتى ولو كاز جمعا للمعارف العلمية فحسب .

ـ ٤ ـ

وبعد : فان القيمة العلمية لهذا الكتاب انما تبرز في القسم الأول منه ، وهو القسم الذى حدد فيه المؤلف مراحل الاحتكاك الغربى بالعالم الاسلامى على النحو السابق ، **وتأتى القيمة العلمية لهذا الجزء من كونه صادرا من مستشرق ، قدم الأبيض والأسود والمقبول والمرفوض في مراحل هذا الاحتكاك ، فهى شهادة لها قيمتها ، حين يخاطب المؤلف أبناء جلدته ، مبينا ماكانوا عليه من خطأ أو صواب ، وما شاع بينهم من حقائق أو خرافات عن الاسلام والمسلمين ، فلعل هذه الشهادة تردهم يوما ما الى صواب ينتهى بهم الى الرشاد الذى يرون فيه الحق حقا والباطل باطلا دون أن يلتبس هذا بذاك عن تعمد مقصود ، أو عن قصور في الفهم والادراك .**

د . طه مصطفى أبو كريشة

تصويب وتعقيب على

مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى

في حديثنا في مقالاتنا الست السابقة عن مزاعم المستشرقين فيما يتعلق بقضية الفكر الاسلامى . قدمنا بعض مفترياتهم وحاولنا ردها بما فتح به الفتاح العليم لايدفعنا الا التماس الحقيقة من طريقها الطبيعى وهو طريق البحث الموضوعى في القضايا موضوع المناقشة . فأتينا بشبهاتهم محققة قدر الامكان ثم أتيناها من القواعد فمادت القواعد وانهار البنيان ..

لا انه كان هناك سؤال يلح على خاطرى دائما اثناء معالجة قضاياهم فحواه .

اذا كانت الحقيقة بهذه الدرجة من الوضوح فما الذى اغفل عقول هؤلاء تشرقين عنها سيما وانهم علماء ؟

وما الذى اصم اذانهم عن سماع صوتها المدوى ؟

وبادىء ذى بدء اريد ان انبه الى ان هذه المزاعم ـ وان خرجت من أفواه بعض المستشرقين ـ الا انه لامناص لنا من الاعتراف بان بعض المنصفين من المستشرقين قد القى السمع الى الحقيقة فاسفرت بحوثهم عن نتائج علمية تنصف الاسلام والمسلمين .

وهذا الصنف من المستشرقين لم نتحدث عنه الا قليلا في ثنايا هذه المقالات من منطلق اهتمامنا بما يثيره البعض الاخر من الشبهات حول الاسلام والمسلمين ولم نعتمد عليهم كثيرا في الرد من منطلق ان صاحب الحق هو احق الناس بالدفاع عنه وهو في ذات الوقت اقدر من غيره على التعبير عن لحنية وابرازها لانه معنى بالدفاع عن حما والزود عن حياض دينه .

ونعود الى السؤال المطروح فنقول :

ان الدافع عند اصحاب هذه المزاعم ليس دافعا علميا وانما هو دافع تعصبى ضد الاسلام والمسلمين ..

والتعصب من شانه ان يعمى عن الحقيقة . او يعمل على تشويهها اذا استطاع المتعصب ادراك بعض جوانبها

والتعصب ضد الاسلام والمسلمين ظاهرة غالبة على تفكير بعض المستشرقين يدفعهم الى التماس بعض المطاعين الموهومة .

وهذا التعصب في نفس الوقت تعصب مزدوج او مركب . فهو تعصب دينى اساسه

للدكتور محمود عبد المعطي بركات

الحقد على الاسلام دين الله الخالد . بغية التشكيك في صلاحيته لتسيير حياة من يدينون به الى التقدم والرقى . بل يعزون مظاهر التخلف في حياة المسلمين الى تمسكهم باهداب هذا الدين !

ويعلم الله ويعلم كل منصف متامل ان المسلمين لو مارسوا اوامر هذا الدين حقا وصدقا وتجنبوا مانهى عنه عفة وزهدًا .. لما ال امرهم الى ما ال اليه من حالتهم الراهنة .

ولا صعوبة في ان يحكم كل منصف للحقيقة بان مايوجد في حياة المسلمين من مظاهر التخلف لايرجع الى التمسك بالدين ، بل يرجع الى البعد عنه والتحلل منه كمنهج معصوم يقود حركة المسلم في الحياة دينا ودنيا .

والاسلام الان ـ كمبادىء وعقائد ـ هو نفسه الاسلام الذى نهض به المسلمون الاوائل وأنتجوا حضارة باهرة بهرت الدنيا حيث مدنوا العالم بعلمهم وشعّت ثقافتهم نورا في ظلام العرب الدامس ومن المعروف تاريخيا انه كان لعلوم المسلمين وثقافتهم دور لاينكر في حضارة اوربا الحديثة . وقد لهج بذلك قدماء الاوربيين ومحدثيهم . وقد استمعت قريبا الى حديث « هيلموت كول » مستشار المانيا الغربية اثناء زيارته للقاهرة حيث قرر الرجل في صراحة : ان معرفة المانيا بالعرب قديمة فقد اخذ الالمان عن العرب الطب والعلوم .

وهناك شق اخر من التعصب هو هذا التعصب ضد المسلمين كجنس وعقليات والهدف منه طبعا هو تشكيك المسلمين في انفسهم بعد تشكيكهم في الاسلام .. وهذا هو مايعرف بالتعصب الجنسى . وقد حاولوا ان يلبسوا دعاواهم في هذا الميدان ثوب العلم وهى ابعد ماتكون عن العلمية والموضوعية وقد فعلوا ذلك ليوهموا المسلمين ان نتائج دراساتهم في تقسيمهم البشر الى منتج وعقيم دراسات علمية لاسبيل الى الشك فيها وقد بينا ماتنطوى عليه هذه الدراسات من اوهام في حديثنا عن المستشرق « رينان » .

ويعجبنى في هذا المقام قول العقاد رحمه الله في كتابه مطلع النور :

« ان كثيرا من هؤلاء المستشرقين يقرنون سوء الفهم بسوء النية » .

والحق ان سوء الفهم تترتب عليه نتائج مختلة نتيجة لمشكلة اللغة ومايتبعها وقد ينتج عن سوء الفهم التعميم في الاحكام وعدم الدقة في الحكم وقد مرت بنا نماذج من ذلك كما قال « تنمان » في حب العرب لارسطو وكما كان التعميم الشائن في مسالة القضاء والقدر في مقالنا عن « ميلر » .

وقد يؤدى سوء النية الى سوء الفهم فيلتقطون ظاهرة من هنا او هناك وينفثون من خلال فهمهم المغرض لها بعض سمومهم الناقعة .

ومهمًا كان من امر هذه التشخيصات . ومهما كان من امر هذه المزاعم فانهم يرمون

مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامى

من ورائها الى نتيجة مؤداها . أنه لاتوجد فلسفة اسلامية اصيلة . وأن هذه الفلسفة عالة على فلسفة اليونان او هى فلسفة يونانية مكتوبة بالعربية وقد لاتاخذ هذه النتيجة من الاهمية ـ رغم خطورتها ـ بمقدار ماياخذ ما اقيمت عليه هذه النتيجة من أسس ومقدمات . فالاخطر من هذه النتائج في الحقيقة هو الاساس الذى يستندون اليه في انكار اصالة الفكر الاسلامى والفلسفة الاسلامية . فهذا الاساس . كما تقدم في خلال المقالات كثيرا مايقوم على حساب المسأس بالقران والاسلام . وهذا من وجهة نظرى اخطر مافي القضية وهذا مادعانى الى التركيز على الشبهات التى يستندون اليها . سواء ماتعلق منها بالاسلام او بعقلية المسلمين وسحقها واذا ما انهار الاساس انهار بالتالى ما اقيم عليه من بناء .

ولاشك ان الاعتقاد بالتقليد المطلق في الفلسفة الاسلامية لفلسفة اليونان ينطوى على جهل بمطبق بعدة حقائق من اهمها :

أولا : ان الفكر الاسلامى ليس وليد عصر الترجمة لتراث اليونان الى العربية وانما ماج العالم الاسلامى بحركات فكرية قبل عصر الترجمة . فكانت مسائل علم الكلام قد نشأت وعالجت مشاكل عقلية تتعلق بالجانب الالهى والجانب الانسانى قبل الترجمة بكثير . فبحث علماء الكلام في الصفات الالهية كذلك بحثوا في الحرية الانسانية والمسئولية والجزاء .

وكانت هذه البحوث على درجة من العمق الفكرى لايمكن انكاره الا من جاحد مكابر وقد تقدم لنا شىء من ذلك في حديثنا عن مدرسة الجهم بن صفوان وفلسفة مذهب الجبر وموازنة بينه وبين مذهب المعلم الاول في الاله وعلاقته بالكون والتاثير فيه .

بل لانغالى اذا قلنا : ان جزيرة العرب نفسها قبل الاسلام قد ماجت فيها تيارات فكرية . عند الحنفاء وغيرهم .

ثانيا : حركة معارضة الفكر اليونانى من قبل بعض المفكرين المسلمين وهذه المعارضة واقع تاريخى يعرفه العدو والصديق . واهم مافي هذه المعارضة أنها كانت تنطلق دائما من وجود بديل لهذا الفكر الوافد ويمكن ان ناخذ مثالا على ذلك من الناحية المنهجية ـ المنهج الاصولى الذى وضع اصوله الاولى الامام الشافعى رضى الله عنه .

فالحركات المعادية لفكر اليونان الوافد لم تنطلق من الواقع من فراغ وانما انطلقت من البديل من الناحية المنهجية والموضوعية .

ولامناص لنا من الاعتراف بإسلامية هذا الفكر البديل فقد كان الاسلام كدين وعقلية المسلمين كاناس رباهم الاسلام تربية فكرية بالحث المتواصل على الفكر والنظر اقول كان هذا كله هو المنبع الاصيل لهذه الحركة الفكرية .

ثالثا : مسالة التوفيق بين الدين والفلسفة في الوسط الاسلامى .

فهذا التوفيق يفترض سلفا أن هناك ميدانا لالتماس وجوه من التقارب . وهذا يعنى أن هناك مسائل عقلية طرحها

الدين الاسلامى وتناولتها عقول المسلمين على نحو من الأنحاء .

ولو أن مسألة التوفيق هذه مبنية على بعض التسامح وكانت تتم في غالب الأحوال لحساب الفلسفة على حساب الدين من جانب الموفقين .. علما بأنها لاتخلو من خلل ان في المنهج أو في الموضوع .

فمن الناحية الموضوعية ينطوى التوفيق على اجحاف بحق الدين من وجهة نظرنا ـ وذلك لأن الدين الاسلامى معصوم المصدر . والفلسفة مهما كانت عبقرية فهى غير معصومة لأن مصدرها بشرى . أما مصدر الدين فهو إلهى .

ومن هنا كان ظلم التوفيق بين الدين والفلسفة .

ويزداد تصورنا لشناعة هذا الظلم اذا عرفنا أن هذا التوفيق كان يتم دون مساس يذكرنا بالفلسفة بل كان التاويل ينصب غالبا على نصوص الدين كيما توافق هذا الرأى أو ذاك من هذه الفلسفة أو تلك .

أما من الناحية المنهجية :

ففى تجربة التوفيق من القصور ما لا يخفي . وقد تسبب في هذا القصور سمة لازمة للفلسفة اليونانية الالهية .. وهذه السمة هى التناقض والاختلاف وذلك لأن هذه الفلسفة لاتمثل اراؤها واجهة معينة متفقة حول موضوع معين . ولامناص لنا من الاعتراف بأن كل مذهب فيها يقوم غالبا على أشلاء سابقة . ومن ثم كان هذا الحصاد الفكرى المتنافر عند اليونان في المجال الميتافيزيقى .

والسؤال الذى يرد هنا هو :
بين من مِنَ الفلاسفة نوفق وبين الدين ؟

ولماذا يكون التوفيق بين هذا الفيلسوف بالذات وبين الدين .

وقد جَرَّ الفلاسفة المسلمين الى عملية التوفيق اعتقاد خاطىء هو أن الفلسفة حق . والدين حق والحق لايضاد الحق .

وهذه فكرة خاطئة . فلاشك أن الحق لايناقض الحق .. فكيف بهذا التناقض المريع بين الفلاسفة بعضهم والبعض الاخر في الفسلفة اليونانية نفسها وكان ينبغى أن تلويهم هذه السمة عن هذا الاعتقاد الخاطىء بعصمة الفلسفة اليونانية .

وَسِمَةُ الاختلاف في الفكر اليونانى هذه ترتب عليها خطأ اخر عند بعض هؤلاء الذين تناولوا فلسفة فلاسفة الاسلام بالدراسة من حيث الأصالة والتقليد والذين حكموا على هذه الفلسفة . حيث نتج عن ذلك تمزيق فلسفة هذا الفيلسوف أو ذاك من فلاسفة الاسلام الى شرائح ورد كل شريحة الى ما يناظرها من رأى لهذا الفيلسوف أو ذاك من فلاسفة اليونان .

وهو عمل ينطوى على كثير من التعسف والتكلف عادة

رابعا : لامناص من الاعتراف بأن في تراث فلاسفة الاسلام التقليديين كالكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد وغيرهم . عناصر أصالة وابتكار في المجال الفلسفي وكانت لهم اراؤهم الخاصة بهم وقد تقدم لنا شىء من ذلك في مناقشاتنا للمستشرقين على وجه الالزام ..

ويكفينا هنا أن نشير مرة أخرى الى

مسألة أو مشكلة العلم الالهى لدى فلاسفة الاسلام . ومعقد الأصالة الفلسفية لفلاسفة الاسلام في هذه المسأله هو :

أن فلاسفة الاسلام انطلقوا الى ماقرروه في هذه المسألة من منطلق أرسطى . أو قل من مبدأ أرسطى . هو أن العلم بالمتغير يؤدى الى التغير في العالم .

وهذا الأساس عند أرسطو أدى به الى انكار العلم الالهى بالكون انكارا تاما فهو قد نفى العلم بالغير عن الله مطلقا من هذا المنطلق ولكن فلاسفة الاسلام - بعد اعتماد مبدأ أرسطو - لم يذهبوا الى نفى العلم الالهى بل قرروا علم الله بغيره على وجه لايؤدى الى التغير في الذات في نظرهم وهو مايعرف بالعلم الكلى .

وبصرف النظر عن عدم ملاءمة رأى فلاسفة الاسلام في هذه المسألة لمعطيات الاسلام الصريحة .

الا أن هذا الرأى من زاوية التجديد الفكرى البحت يحسب حقا لفلاسفة الاسلام .

وغير هذه المسألة كثير في باب التجديد في مجال الالهيات والانسانيات على حد سواء .

وهكذا فلم يكن فلاسفة الاسلام مجرد مرددين لنتاج عبقرية اليونان وانما كان موقفهم منها موقفا نقديا مبنيا على الفهم الواعى والاختيار الجيد من هذا التراث اليونانى . فهم كانوا يأخذون ويرفضون وكان استقبالهم لهذا التراث استقبالا واعيا مبنيا على منهج سليم في النقد .

ومن المناسب هنا أن نسوق أقوالا لبعضهم تبين موقفهم من هذا التراث .

يقول الكندى :

« فحسن بنا اذا كنا حراصا على تتميم نوعنا اذ الحق أن نلزم في كتابنا هذا عاداتنا في جميع موضوعاتنا . من احضار ماقال القدماء في ذلك قولا تاما على أقصد سبله وأسهلها سلوكا على ابناء هذا السبيل وتتميم مالم يقولوا فيه قولا تاما على مجرى عادة اللسان وسنة الزمان وبقدر طاقاتنا » (١) .

التتميم لما لم يقل فيه هؤلاء القدماء قولا تاما . هو مايشير اليه الكندى ألا يعنى ذلك وجهة نظر نقدية يمكنها ادراك التام من غير التام وتتميم مالم يتم . وهو الإكمال أو التكميل .

وابن رشد كذلك يقول كلاما واضح الدلالة على التلقى الواعى والنقد المتبصر .

قال ابن رشد في كتابه فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ص ٧٨ « فقد يجب علينا ... أن ننظر في الذى قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم فما كان منه موافقا للحق قبلناه منهم وشكرناهم عليه وماكان غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم » .

(١) كتاب الكندى الى المعتصم بالله فى الفلسفة الأولى ص ٨٩ .

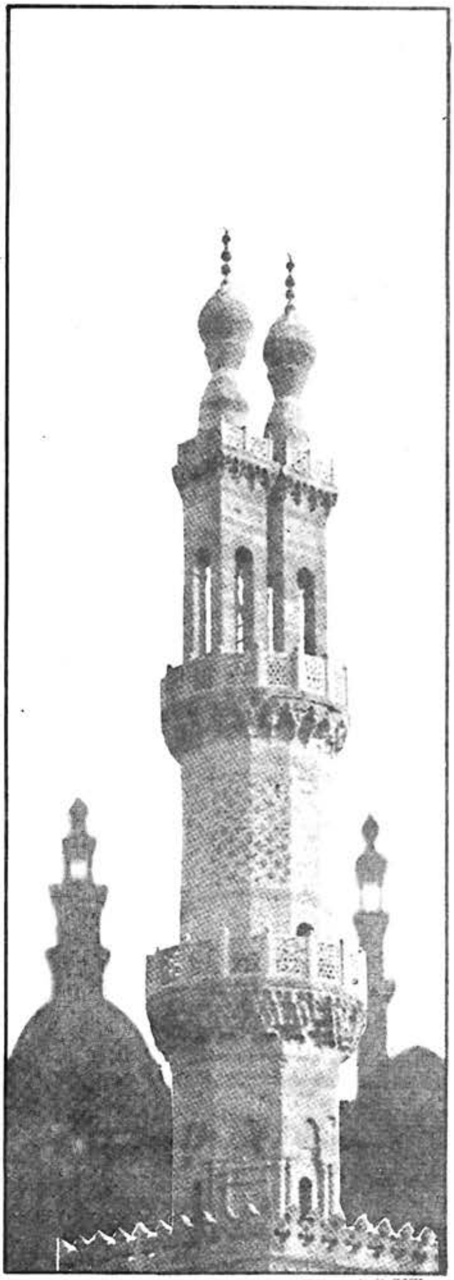

وكلام ابن رشد هنا أغنى مايكون عن التعليق في دلالته على التلقى بوعى وعلم ونقد وتبصر .

ويقول في ذلك ايضا ابوبكر الرازى في رسائله الفلسفية :

« اعلم أن كل متاخر من الفلاسفة اذا صرف همه الى النظر في الفلسفة وواظب على ذلك واجتهد فيه وبحث عن الذى اختلفوا فيه لدقته وصعوبته عَلِمَ عِلْمَ من تقدمه منهم وحفظه واستدرك عليه بفطنته وكثرة بحثه اشياء أُخر لانه مهر بعلم من تقدمه وفطن لفوائد اخرى واستفضلها إذ كان البحث والنظر والاجتهاد يوجب الزيادة والفضل »

هذا مايقوله الرازى .

وهو يلقى الضوء على سنة فكرية وهى استفادة اللاحق من السابق واستدراكه . الناتج عن البحث والنظر والاجتهاد ولاشك ان فلاسفة الاسلام خضعوا لهذه السنة ، شانهم في ذلك شان فلاسفة الارض قاطبة .

ونعنى بهذه السنة « التاثير والتاثر » وهو العنصر التالى ـ في مقالنا القادم ـ بمشيئة الله ـ هذا العنصر الذى تجاهله المتهمون للفكر الاسلامى من المستشرقين .

تابع البقية في العدد القادم

د / محمود عبد المعطى بركات
الباحث بلجنة العقيدة والفلسفة
بمجمع البحوث الاسلامية

مجلة الأزهر
من خمسين عامًا

مع التراث

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

كِبَرُ الهِمَّة في العِلْم

للشيخ محمد الخضر حسين

عرض وتقديم : الأستاذ أحمد حسن جابر رجب

إعلم أن العلم أشرف مارغب فيه الراغب ، وأفضل ماطلب وجد فيه الطالب ، وأنفع ماكسبه واقتناه الكاسب .

وأعلم أن للمتعلم في زمان تعلمه ملقا وتذللا أن استعملهما غنم ، وان تركهما حرم ، لأن التملق للعالم لم يظهر مكنون علمه ، والتذلل له سبب لادامة صبره . وباظهار مكنونه تكون الفائدة ، وباستدامة صبره يكون الاكثار .

وقد روي البيهقي في شعب الايمان عن معاذ عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال :

« ليس من أخلاق المؤمن الملق ولا الحسد الا في طلب العلم » .

ومن لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا .

واذا قرب منك العلم فلا تطلب مابَعُد ، واذا سهل من وجه فلا تطلب ماصعب ، واذا حمدت من خبرته فلا تطلب من لم تخبره ، فان العدول عن القريب الي البعيد عناء ، وترك الأسهل بالأصعب بلاء ـ والانتقال من المخيور الي غيره خطر ، والقصد أسهل من التعسف ، والكف أودع من التكلف وربما يتبع الانسان من بَعُد عنه استهانة بمن قرب منه ، وطلب ماصعب احتقارا لما سهل عليه ، وانتقل الي من لم يخبره مللا خبره فلا يدرك محبوبا ولايظفر بطائل وفي الأمثال العربية ، العالم كالكعبة يأتيها البعداء ، ويزهد فيها القرباء .

وانما يري العلماء علي أبواب الاغنياء ، ولايكاد يري الأغنياء علي أبواب العلماء ،

كبر الهمة في العلم

لأن منفعة المال لاتخفي ، ولجهل الأغنياء بفضل العلم .

ويلزم العلماء من الأخلاق التواضع ومجانبة العجب ، لأن التواضع عطوف والعجب منفر ، وهو بكل أحد قبيح وبالعلماء أقبح ، لأن الناس بهم يقتدون . وكثيرا مايداخلهم الاعجاب ، لتوحدهم بفضيلة العلم ، ولكون العجب نقص ينافي الفضل فلا يفي ما ادركوه من فضيلة العلم بما لحقهم من نقص العجب . وعلة اعجاب العلماء : انصراف نظرهم الي كثرة مَنْ دونهم مِنَ الجهال . وانصراف نظرهم عمن فوقهم من العلماء ، فانه ليس متناه في العلم الا وسيجد من هو أعلم منه . اذا العلم أكثر من أن يحيط به بشر .

قال الله تعالى :

« نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ »

من الاية رقم ٧٦ من سورة يوسف .

قال أهل التأويل : يعني فوق كل ذي علم من هو أعلم منه حتي ينتهي ذلك الي الله تعالي .

وقلما تجد بالعلم معجبا ، وبما أدركه منه مفتخرا الا من كان فيه مقلا ومقصرا . وقد قسم الخليل بن أحمد أحوال الناس فيما علموه أو جهلوه أربعة أقسام لايخلو حال الانسان منها فقال : الرجال أربعة : رجل يدري ويدري أنه يدري . فذلك عالم فاسألوه . ورجل يدري ولا يدري أنه يدري . فذلك ناس فذكروه.ورجل لايدري ويدري أنه لايدري . فذلك مسترشد فعلموه . ورجل لايدري ولايدري أنه لايدري فذلك جاهل فارفضوه .

ومنشأ التحاسد بين العلماء : حب الدنيا فان علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون والفارق بينهما : أن علماء الدنيا ينظرون الي الرياسة فيها ويحبون كثرة الجمع والثناء . وعلماء الآخرة بمعزل من ايثار ذلك وقد كانوا يتخوفونه ويرحمون من يلجأ به وبقدر صعود الانسان في الدنيا تنزل رتبته في الآخرة ، لأن الزمان أشرف من أن يضيع في طلب الدنيا .

وأما الصعود الذي سببه مخالطة السلاطين فبعيد أن يسلم معه الدين ، فان وقعت سلامته ظاهرا فالعاقبة خطرة ، لأنهم طلبوا الراحة فأخطأوا طريقها .

واذا تم علم الانسان لم ير لنفسه عملا ، وانما يري انعام الله الموفق لذلك العمل ويجب علي العاقل ألا يري لنفسه عملا أو يعجب به وذلك بأشياء منها :

أنه وفق لذلك العمل . « حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم » . الحجرات من الآية رقم ٠٧ . ومنها أنه اذا قيس بالنعم لم يف بمعشار عشرها .

ومنها أنه اذا لوحظت عظمة المخدوم أحتقر كل عمل وتعبد .

وأكمل الناس أغزرهم عرفانا للحق ، وأقدرهم علي العمل بما يوافق الحق .

وأرذل الناس أنزرهم(١) معرفة بالحق ، وأعجزهم عن العمل بما يوافق الحق .

وأنفع الأشياء للانسان في الأبقاء علي نفسه : أن يعلم أنه متي أرتكب المساويء لم

١ ـ من النزر اليسير

نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ صدق الله العظيم

يمكنه سد أفواه الناس عن ذكرها فلا يلتمس اسكاتهم بالغلظة علي من يعيبه بها بل يلتمسه باصلاح أخلاقه.

ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه، لأن من أهمل صيانة نفسه ثقة بما منحه العلم من فضيلته، وتوكلا علي مايلزم من صيانته. سلبوه فضيلة علمه ووسموه تصبيح تبذله فلم يف ما أعطاه العلم بما سلبه التبذل، لأن القبيح أنم من الجميل والرذيلة أشهر من الفضيلة.

والناس لما في طبائعهم من البغضة والحسد ونزاع المنافسة. تنصرف عيونهم عن المحاسن الي المساويء، فلا ينصفون محسنا ولايحابون مسيئا لاسيما من كان بالعلم موسوما منسوبا، فان زلته لاتقال، وهفوته لاتعذر.

اما لقبح أثرها، واغترار كثير من الناس بها. واما لان الجهال بذمة اغرى وعلى تنقيصه اجرا، ليسلبوه فضيلة التقدم ويمنعوه مباينة التخصص عنادا لما جهلوه ومقتا لما باينوه، لأن الجاهل يري العلم تكلفا ولؤما، كما أن العالم يري الجهل تخلفا وذما.

والعالم اذا زل كالسفينة تغرق ويغرق معها خلق كثير.

واذا صان ذو العلم نفسه حق صيانتها ولازم فعل مايلزمها من الفضائل أمن تعيير الموالى (١ وتنقيص المعادي، وجمع الي فضيلة العلم جميل الصيانة، وعزة النزاهة فصار بالمنزلة التي يستحقها بفضائله. ومن لم يعمل بما علم فقد استكثر من حجة الله عليه. ومن رزق همة عالية يعذب بمقدار علوها. كما قيل:

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الأجسام

وقيل:

ولكل جسم فى التحول بلية
وبلاء جسمي من تفاوت همتي

ومن علت وكبرت همته طلب العلوم كلها ولم تقتصر همته علي بعضها، وطلب كل علم نهايته وهذا لايحتمله البدن. ثم يري أن المراد العمل فيجتهد في قيام الليل، وصيام النهار والجمع بين ذلك وبين العلم صعب. ثم يري ترك الدنيا ويحتاج الي مالابد منه.

ويحب الايثار ولايقدر علي البخل ويتقاضاه الكرم البذل، وتمنعه عزة النفس من الكسب من وجوه التبذل. فان هو جري علي طبعه من الكرم احتاج وافتقر وتأثر بدنه وعائلته. وان أمسك فطبعه يأبي ذلك.

وفي الجملة كبير الهمة في العلم يحتاج الي معاناة وجمع بين أحتداد فهو أيدا في نصب لاينقضي وتعب لايفرغ.

ثم اذا حقق الأخلاص في الأعمال زاد تعبه وقوي وصبه فأين هو من دنت همته ؟

ان كان فقهافسئل عن حديث قال: ما أعرفه. وان كان محدثا فسئل عن مسئلة

---

١ ـ المناصرين المحبين

كبر الهمة في العلم

فقهية قال : ما أدري ولايبالي أن قيل عنه مقصر .

أما العالي الهمة وكبيرها فانه يري التقصير في بعض العلوم فضيحة قد كشفت عيبه وقد رأت الناس عورته .

والقصير الهمة لايبالي بمعن الناس ولايستقبح سؤالهم ، ولا يأنف من رد .

والعالى الهمة لايحمل ذلك . لكن تعب العالى الهمة راحة في المعنى ، وراحة القصير الهمة تعب وشين ان كان ثمة فهم .

والدنيا دار سباق الي أعالي المعالي فينبغي لذي الهمة ألا يقصر في شوطه فان سبق فهو المقصود وان كبا جواره لم يلم . وهذا جمال ماعناه الشيخ في كلمته بعنوانها المتقدم فالي رحمة الله تعالي :

الحديث عن فضل العلم ، ومايناله طالبه من مجد وكرامة حديث لايكشف عن غامض ولا يطرق السمع بجديد ، فأقصد الي شيء غير هذا ، هو لفت أنظار نشئنا الي ناحية تجعل المعارف لدينا غزيرة والمباحث محررة ، والآراء مبتكرة ، وهي الوسيلة التي صعدت بعلمائنا الذين خدموا الدين والعلم ، والمدنية فكانت لهم المكانة التي يصفها التاريخ باجلال واعجاب ، وتعني بهذه الوسيلة كبر الهمة في العلم .

لكبر الهمة في العلم مظاهر هى :

أن تقضي الوقت في درس او مطالعة أو تحرير .

وأن تقتحم في سبيل الله ذلك المصاعب وتدافع مايعترضك من العوائق .

وأن تبسط النظر في كل مسألة تصديت لبحثها حتي تنفذ الي لبابها .

وأن تضع يدك في كل علم استطعت اليه طريقا .

ثم تحط رحلك في علم تكون فيه النجم الذي يهتدي به المدلجون ، والغيث الذي ينتجعه الظامئون . وكبر همتك في العلم يأبي ألا يكون للعلم مظهر هو العمل به والسير علي مايرسمه من الخطط الصالحة في هذه الحياة .

اما صرف الوقت في ابتغاء العلم فان للعمر اجلا اذا جاء لا يستأخر ، وللعلم بحرا طافحا ليس له من اخر فكل ساعة قابلة لان تضع فيها حجرا يزداد به صرح مجدك ارتفاعا ويقطع به قومك في السعادة باعا او ذراعا فان كنت حريصا على ان يكون لك المجد الاسمى ، ولقومك السعادة العظمى فدع الراحة جانبا ، واجعل بينك وبين اللهو حاجبا ، واذا رجعنا البصر في تاريخ النوابغ الذين رفعوا للحكمة لواء ، وجدناهم يبخلون بأوقاتهم أن يصرفوا شيئا منها في غير درس او بحث او تحرير .

قدم الحافظ ابن ابي حاتم صاحب كتاب « علل الحديث » الي القاهرة ليتلقي عن شيوخها مالم يكن يعلم فقضي في مصر سبعة أشهر لم يجد هو وأصحابه من الوقت مايهيئون فيه لطعامهم مرقا ، وكانوا بالنهار يطوفون علي الشيوخ ، وبالليل ينسخون ويقابلون . ونقرا في حياة الفيلسوف ابي علي بن سينا أنه لم ينم مدة اشتغاله بالعلم ليلة كاملة او لم يشتغل في النهار بسوي المطالعة ، ونجد في التاريخ ان الفيلسوف ابن رشد لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الي ليلة وفاة ابيه وليلة بنائه علي أهله .

لم يقض حق العلم ، بل لم يدر ما شرف العلم ذلك الذي يطلبه لينال به رزقا أو يناقش فيه قرينا حتى اذا ادرك وظيفة او انس من نفسه الفوز علي القرين أمسك عنانه ثانيا ، وتنحي عن الطلب جانبا ، وانما ترفع الأوطان رأسها ، وتبرز في مظاهر عزتها بهمم أولئك الذين يقبلون علي العلم بجد وثبات ، ولا ينقطعون عنه الا أن ينقطعوا عن الحياة .

وأما اقتحام المصاعب في الطلب فان معالي الأمور وعرة المسالك محفوفة بالمكاره والعلم أرفع مقام تطمح اليه الهمم ، واشرف غاية تتسابق اليها الأمم ، فلا يخلص اليه الطالب دون أن يقاسي شدائد ويحتمل متاعب ، ولا يستهين بالشدائد الا كبير الهمة ماضي العزيمة .

كان سعيد بن المسيب يسير الليالي في طلب الحديث الواحد ، ورحل أبو أيوب الأنصاري من المدينة الي عقبة بن نافع وهو في مصر ليروي عنه حديثا فقدم مصر ونزل عن راحلته ولم يحل رحلها فسمع منه الحديث وركب راحلته وقفل الي المدينة راجعا ، ولم ينتشر العلم في بلاد المغرب أو الأندلس الا برجال رحلوا الي الشرق ولاقوا في رحلاتهم عناء ونصبا ، مثل أسد بن الفرات وأبي الوليد الباجي وأبي بكر ابن العربي .

يتجرع كبير الهمة مرارة حين تقف بينه وبين جانب من العلم عقبة ، فاذا وجد مرعي العلم خصبا فعناؤه فيما يدعونه راحة ، وانقباضه فيما يسمونه لهوا ، وألمه في ساعة ينقطع فيها عن العلم يساوي ألم المستهتر في الشهوات حين يقضي يومه في غير شهوة وقد يحسب من لم تصف بصيرته حتي يري الحكمة في أسني مظاهرها أن الذى يقول :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي
من وصل غانية وطيب عناق

انما هو شاعر لايبالي أن يفضل الشيء علي ماهو أكمل في وجه الشبه وأقوي ويبعد في نظره أن يبلغ ابتهاج النفس عند تحقيق بحث علمي مبلغ ابتهاجها بلقاء الغانيات ولكن الذي يقدر الحكمة يري أن ناظم البيت لم يجد شيئا يحاكي به اللذة التي يجدها عند مايطلق فكره وراء مشوار العلوم فيظفر بها ، فجاء الي هذا الذي اشتهر بين الناس أنه لذيذ بالغ ، ووصف لذة الحكمة بأنها فوق لذته ، فصاحب البيت لم يتجاوز في تصوير ارتياحه لتنقيح العلوم حد الحقيقة ..

وأما نفود النظر في لباب المسائل فلأن وقوف طالب العلم عند ظهورها واكتفائه بالمقدار الذي يقصر به عن حسن بياتها واجادة العمل بها ، لايبعدان به عن منزلة خالي الذهن منها ، فانما وضعت العلوم لتهدي الي العمل النافع ولاشرف لها في نفسها وانما شرفها بما يترتب عليها من عمل صالح أو كلم طيب ، فمن يقضي زمنا في طلب علم ثم ينفصل عنه وهو لايستطيع أن يدفع عن أصوله شبها ، أو يضرب له من العمل مثلا ، ذهب وقته ضائعا وبقي اسم الجهل عليه واقعا .

فالفقيه بحق من تعرض لواقعة لم يفصل لها الشارع حكما ولم يتناولها السلف باجتهاد ، فيرجع الي الأصول الثابتة والقواعد المقررة ويقتبس لها حكما موافقا ولا نكتفي ممن يدرس البلاغة أن يتصور

كبر الهمة في العلم

قوانينها ، ويعرف أمثلتها الا أن يبصر بها كيف تسري في كتاب الله سريان الماء في الأزهار الناضرة ، وحتي يستطيع أن يخطب أو يكتب علي وفق مادرس من مناهجها الواضحة وأساليبها الساحرة ولا يحق لنا أن نفتخر بفتيان درسوا الطبيعة والكمياء ، الا أن يعودوا وفي قدرتهم أن يستقلوا بادارة مصانع للدفاع ، ومعامل لمرافق الحياة ، فانا نريد أن نعود كما كنا أساتذة في العلوم نقلية أو عقلية ، نظرية أو مادية .

ومما رمي الأفكار في خمول ووقف بها حقبة عن الخوض في عباب العلوم الي أمد بعيد ، هذه المختصرات التي يقضي الطالب فتح مغلقها وحل عقدها قطعة من حياته جديرة بأن تصرف في اكتساب مسائل هي من صميم العلم ، والملكات تقوي بالبحث في لباب العلم أكثر مما تقوي بالمناقشة في ألفاظ المؤلفين ، وممن نبه علي أن الاختصار عائق عن التحقيق في العلم احد علماء القرن الثامن العلامة محمد المعروف بالأبلى(١) اذ قال : « كل اهل هذه المائة علي حال من قبلهم من حفظ المختصرات ، فاقتصروا علي حفظ ماقل لفظه ونزر حظه وأفنوا أعمارهم في حل لغوزه وفهم رموزه ، ولم يصلوا الي رد مافيه الي أصوله بالتصحيح فضلا عن معرفة الضعيف والصحيح » .

فمن أسباب الرسوخ في العلم وطموح الهمم الي التوسع في البحث وعدم الرضا بما دون الذروة . قراءة الكتب التي تنسخ علي طريقة الاستدلال والغوص علي أسرار لمسائل وهي طريقة المتقدمين من علمائنا .

واما بسط النظر في علوم متعددة فلارتباط العلوم بعضها ببعض . وكلما كان الاطلاع علي العلوم اوسع ، كان البحث في المسائل أجود ، والخطأ في تقريرها أقل ، والاحتجاج عليها أسلم فلا يجد دراسة التفسير أو الحديث من لم يكن ضليعاً في العربية ، ولا يحكم الاستدلال علي العقائد ويدفع مايحوم عليها من شبه الا من كان عارفا بالتفسير والحديث والقوانين المنطقية والمذاهب والآراء الفلسفية ولا يقوم علي دراسة الفقه او اصوله من لم يملأ يده من الحديث والتفسير والعلوم العربية ..

واطلاع الرجل علي علوم كثيرة يعرف موضوع بحثها ويقف علي جانب عظيم من مبادئها لايمنعه من الاقبال علم يجعل له من الدرس والمطالعة مايرفعه الي مرتبة أئمة الذين يكتبون فيه فيحققون ، ويسألون عن أخفي مسائله فيجيبون والذي يضع يده في علوم شتي يمكنه أن يجاري طوائف العلماء في المباحث المختلفة ، وعلي قدر مايكون للرجل خبرة بالعلوم يبعد عن مواقع خبرة الذلة ويزداد في اعين الناس تجلة .

عكف أبو صالح أيوب بن سليمان علي كتاب العروض حتي حفظه فسأله بعضهم عن اقباله علي هذا العلم بعد الكبر فقال : حضرت قوما يتكلمون فيه فأخذني ذل في نفسي أن يكون باب من العلم لا أتكلم فيه .

تقضي الحياة الراقية ان يقوم بكل علم طائفة يكونون السند الذي يرجع اليه ، وكذلك كان علمائنا فيما سلف يقبل كل

١ ـ من أساتذة ابن خلدون

طائفة منهم علي علم يقومون عليه درايته، ويقتلونه بحثا، وبهذا اتسعت دائرة المعارف وظهرت المؤلفات الفائقة، وتراهم قد عرفوا من قبل أن نجاح قصر الطالب علي الرسوخ في علم يرجع الي ترك الطالب وماتميل اليه نفسه من العلوم، ومما تقرأ في ترجمة أبي عبد الله محمد الشريف التلمساني وكان راسخا في المنقول والمعقول ـ أنه كان لايترك كل أحد من الطلبة ومايميل اليه من العلوم، ويري أن كل ذلك من أبواب السعادة.

ومن لطف مبدع الكون أن جعل النفوس، تختلف في استعدادها للعلوم والفنون والصنائع ليتنظم شأن الحياة وتتوافر وسائل السعادة، وربما نشأ أفراد في مهد واحد وأختلف ميلهم الي العلوم فبرز كل في العلم الذي وافق رغبته ووجه اليه همته، كأبناء الأثير الثلاثة علي(١ الملقب بعز الدين امام في التاريخ ومحمد(٢ الملقب بمجد الدين تحرير في الحديث والأدب، ونصر الله(٣ الملقب بضياء الدين بارع في الأدب وتحرير الرسائل، وكثير من علمائنا كانوا يدرسون علوما مختلفة يبلغون في بعضها الذروة ويكتفون في بعضها بالمقدرة علي تدريسها أو تحقيق مباحثها عند الحاجة فهذا أبو اسحق الشاطبي تقرأ له كتاب الموافقات أنك تتلقي الشريعة من أمام احكم أصولها خبرة وأشرب مقاصدها دراية، ثم تقرأ شرحه علي الخلاصة في النحو فتشعر بانك بين يدي رجل هو من أعز النحاة علما وأوسعهم نظرا وأقواهم في الاستدلال حجة والقاضي اسماعيل من فقهاء المالكين البالغين ودرجة الاجتهاد في الفقة قد سمت منزلته في العربية حتى تحاكم علمان من أعلامها في مسألة هما المبرد وثعلب.

وكبير الهمه في العلم يريد أن يكون النفع بعلمه أشمل، ومما يدرك به هذا الغرض احترامه لاراء أهل العلم. ولانعني باحترامها أخذها بالقبول والتسليم علي أي حال، وانما نريد نقدها بتثبت. وعرضها علي قانون البحث، ثم الفصل فيها من غير تطاول عليها ولا انحراف عن سبيل الأدب في تنفيذها والفطر السليمة والنفوس الزاكية لاتحيد من الاقبال علي حديث من يستحقه الغرور بما عنده مثل ماتجد من الأقبال علي حديث من أحسن الدرس أدبه وهذب الأدب منطقه.

---

١ ـ صاحب كتاب الكامل المعروف بتاريخ ابن الأثير

٢ ـ صاحب كتاب النهاية في غريب الحديث وجامع الأصول في أحاديث الرسول

٣ ـ صاحب كتاب المثل السائر

كبر الهمة في العلم

واذا كان الاستاذ كمدرسة يتخرج في مجالس درسه خلق كثير فحقيق عليه أن يكون المثال الذي يشهد فيه الطلاب كيف تناقش اراء العلماء مع صيانة اللسان من هجر القول الذي هو اثار الاعجاب بالنفس .. والاعجاب بالنفس أثر ضعف لم تتناوله التربية بتهذيب .

كبير الهمة يستبين خطأ في رأي عالم أو عبارة كاتب فيكتفي بعرض ما استبان من خطأ علي طلاب العلم ليفقهوه ، ويابى له أدبه أن ينزل الي مسقط الكلام أو يخف الي التبجح بما عنده . وقد حدثنا التاريخ عن رجال كانوا اذكياء ولكنهم ابتلوا بشيء من هذا الخلق المكروه فكانوا عوجا في سيرهم ولطخا في صحفهم ، ولو تحاموه لكان ذكرهم أعلي ومكانهم في النفوس اسمي ومنزلتهم عند الله أرقي ..

وخلاصة المقال : تذكير النبهاء من نشئنا بان يقبلوا علي العلم بهمة كبيرة .

صيانة الوقت من غير أن ينفق في غير فائدة .

وعزم يبلي الجديدان وهو صارم صفيل .

وحرص لايشفي غليله الا أن يفترق من موارد العلوم بأكواب طافحة .

وغوص في البحث لاتحول بينه وبين نفائس العلوم وعورة المسلك ولاطول مسافة الطريق . والسنة مهذبة لاتقع في لغو ومهاترة .

ذلك عنوان كبر الهمة في العلم ، وذلك مايجعل وطننا منبت عبقرية فائقة ومطلع حياة علمية رائعة ، ومانبتت العبقرية في وطن نباتا حسنا ، الا كانت أرضه كرامة وسماؤه عزة ، وجوانبه حصانة ومنعة .

محمد الخضر حسين

نور الاسلام (مجلة الأزهر)

الجزء الثامن شعبان ١٣٤٩ هـ

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب
فتح العزيز على كتاب الوجيز
لأبي القاسم القزويني

من أئمة علماء المسلمين الامام الغزالى له مكانته العلمية ليس بين علماء المسلمين فحسب، ولكن بين العلماء فى سائر الأقطار، وللامام الغزالى أسلوبه الخاص فى عرض قواعد العلوم وبسط قضاياه، فهو لا يقنع بسرد المعلومات جافة جامدة، بل يلتزم فى أكثر الأحيان أن يتبع القواعد بالأمثلة ليستأنس المتعلم وينشط فى تحصيل العلوم وقد نهج هذا المنهج فى أكثر ما صنف من كتب فى مختلف الفنون ..

وللغزالى مؤلفات كثيرة فى فنون مختلفة أكثرها فى علم الكلام والتصوف والأصول والفقه ومن مصنفاته فى الفقه كتاب « الوجيز » على مذهب الامام الشافعى

(١) الكتاب رقم خاص ٧٦٧ رقم عام ٥٧٢٦د فى الفقه الشافعى بمكتبة الأزهر

وقد وصفه بقوله « انى متحفك أيها السائل المتلطف والحريص المتشوف بهذا الوجيز الذى اشتدت اليه ضرورتك وافتقارك، وطال فى نيله انتظارك بعد ان ماخضت لك فيه جملة الفقه فاستخرجت زبدته وتصفحت تفاصيل الشريعة فانتقيت صفوته وعمدته واوجزت لك المذهب البسيط الطويل .. الخ »

ومن العلماء الذين شرحوا الوجيز العلامة ابى القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، الرافعى القزوينى : ولد سنة ٥٥٧ هـ (سنة ١١٦٢ م) وتوفي سنة ٦٢٣ هـ (سنة ١٢٢٦ م) فقيه من كبار الشافعية، كان له مجلس بقزوين للتفسير والحديث، وتوفي فيها، نسبته الى رافع بن خديج الصحابى . له « التدوين فى ذكر احبار قزوين » و « الايجاز فى اخطار الحجاز » وهو ماعرض له من « الخواطر » فى سفره الى الحج و « المحرر فى الفقه » و « فتح العزيز فى شرح الوجيز

فتح العزيز على كتاب الوجيز

للغزالى » فى الفقه الشافعى (١) وهو موضوع البحث ..

قال عنه صاحب كشف الظنون (٢) أن الامام أبو القاسم القزوينى الرافعى الشافعى شرحه شرحا كبيرا سماه (فتح العزيز على كتاب الوجيز) وقد تورع بعضهم عن اطلاق لفظ العزيز مجردا على غير كتاب الله تعالى فقال (فتح العزيز) وهو الذى لم يصنف فى المذاهب مثله . وقد اختصر الشيخ الامام ابراهيم بن عبد الوهاب الزنجابى المتوفي سنة ٦٥٥ هـ شرح فتح العزيز وسماه (نقاوة فتح العزيز) وفرغ منه فى شعبان سنة ٦٢٥ هـ وقال فيه بعد مدح الرافعى وشرحه : لكنه قد بسط فيه الكلام وكاد يفضى بالناظر الى الملال فأردت اختصاره مع جواب ما أورده من السؤالات والاشارة الى حل اشكاله انتهى .

وقال السلفانى وقفت للوجيز على سبعين شرحا وقد قيل لو كان الغزالى نبيا لكان معجزته الوجيزة ..

وفى الطالع السعيد أن ابن دقيق العيد لما وصل اليه الشرح الكبير (فتح العزيز) للرافعى اشتغل بمطالعته وصار يقتصر من الصلوات على الفرائض فقط ..

قال فيه الشيخ تاج الدين بن تقي الدين السبكى - فى طبقات الشافعية الكبرى (٣) - **كفاه بالفتح العزيز شرفا ، فلقد علا به عنان السماء مقدارا وما اكتفي ، فانه الذى لم** يصنف مثله فى مذهب من المذاهب ، ولم يشرق على الامة كضيائه فى ظلام الغياهب .

كان الامام الرافعى متضلعا فى علوم الشريعة : تفسيرا وحديثا وأصولا مترفعا على أبناء جنسه فى زمانه ، وأما الفقه فهو فيه عمدة المحققين ، كأنما كان الفقه ميتا فأحياه وأنشره بعد ما أماته الجهل فأقبره كان فيه بدرا يتوارى عنده البدر اذا دارت بى دائرته ، وجوادا لا يلحقه الجواد اذا سلك طرقا ينقل فيها أقوالا ويخرج أوجها فكأنما عناه البحترى بقوله :

واذا دجـت أقلامـه ثـم انـتـحـت
برقت مصابيح الدجا فى كتبه
فالـلـفـظ يـقرب فـهـمـه فى بـعده
فـيـنا ويـبـعد نـيـلـه فى قربـه
حـكـم سـحابـتـها حلال بـيـانـه
هـطالة وقـلـيـبـها فى قـلـبـه
فالروض مـخـتـلـف بـحـمرة نوره
وبـياض زهرتـه وخـضرة عـشـبـه
وكأنـها والـسـمـع مـعـقود بـها
شخص الحبيب بدا لعين محبه

قال ابن الصلاح أظن أنى لم أر فى بلاد العجم مثله

قال المصنف رحمه الله حجة الاسلام أبى القاسم الرافعى القزوينى فى مقدمة مؤلفه :

أحمد الله الحق ذا الجلال والاكرام وأصلى على رسوله محمد خير الأنام وأسلم عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والسلام .

وأقول : ان المبتدئين لحفظ المذهب من أبناء الزمان قد تولعوا بكتاب الوجيز للامام الغزالى رحمه الله ، وهو كتاب غزير الفوائد جم العوايد ، ولد القدح المعلى والحظ

---

(١) الاعلام للزركلى جـ ٤ ـ ١٧٩

(٢) المجلد الثانى صـ ٢٠٠٢

(٣) جـ ٥ صـ ١١٩

الأوفى ، من استيفاء أقسام الحسن والكمال ، واستحقاق صرف الهمة اليه ، والاعتناء بالاكباب عليه والاقبال ، والاختصاص بصعوبة اللفظ ، ودقة المعنى لما فيه من حسن النظم وصغر الحجم وأنه من هذا الوجه محوج الى أحد أمرين ، أما مراجعة غيره من الكتب وأما شرح يذلل صعابه ..

ومعلوم أن المراجعة لا تتأتى لكل أحد وفى كل وقت وأنها لا تقوم مقام الشرح المغنى عن الايضاح للكتاب ، فدعانى ذلك الى عمل شرح يوضح فقه مسائله وتوجهها ويكشف عما انغلقت من الألفاظ ودقت من المعانى ليغتنمه الشارعون فى ذلك الكتاب المخصوصون بالطبع السليم ويعينهم على بغيتهم ويكتبه الذين رأوا غيره أولى بهم لما ذهب عليهم من فقه الكتاب ودقائقه واستصعابه عليهم فينكشف لهم أنهم حرموا أشياء كثيرة ولقبته بالعزيز فى شرح (الوجيز)

وهو عزيز على المختلفين بمعنى وعند المبرزين المصنفين بمعنى وربما يلتبس على المبتدئين والمتبلدين أمور من الكتاب فيطمعون فى اشتمال هذا الشرح على ما يشفيهم ولا يظفرون به ، فليعلموا أن السبب فيه أن تلك المواضيع لا تستحق شرحا يودع بطون الأوراق والقصور فى أفهامهم فدَاؤُهم الرجوع الى من يوقفهم على ما يطلبون والله ولى التيسير ، وهذا حين افتتح القول فيه مستعينا بالله ومستوجبا للاختصار ما استطعت والله حسبى ونعم الوكيل ..

وقد بدأ الشرح بكتاب الطهارة وفيه ثمانية أبواب ونذكر على سبيل المثال الباب الأول فى المياه الطاهرة والمطهر للحدث والخبث هو الماء من بين سائر المائعات أراد بالطهارة بعض أنواع الطهارة وهو الطهارة بالماء والا فمن شرطه ادراج التيمم فى أبواب هذا الكتاب لأنه احدى الطهارات ، ألا ترى أن قول الشافعى رحمة الله طهارتان فكيف يفترقان .. الخ .

الباب الثانى فى المياه النجسة وقسمه الى فصول أربعة : الفصل الأول فى النجاسات والجمادات كلها على الطهارة الا الخمر وكل نبيذ مسكر والحيوانات كلها على الطهارة الا الكلب والخنزير وفرعهما .. الخ ..

الباب الثالث فى الاجتهاد قال : مهما اشتبه اناء تيقن نجاسته بمشاهدة أو استماع من عدل باناء طاهر لم يجز أخذ أحد الاناءين الا باجتهاد وطلب علامة تغلب على الظن الطهارة ، واذا اشتبه عليه اناء طاهر باناء نجس واحتاج الى الطهارة فماذا فعل فيه ثلاثة أوجه :

احدها : يستعمل ما شاء من غير اجتهاد ونظر لأن الذى يقصده بالاستعمال غير معلوم النجاسة والأصل فيه الطهارة والثانى : انما يأخذ احدهما اذا ظن طهارة المأخوذ ولكن لا يشترط استناده الى اجتهاد وامارة بل له أن يأخذ بما سبق وهمه اليه وكفى ذلك من حجة لأصل الطهارة .

والثالث : وهو المذهب ولم يذكر فى الكتاب سواه أنه لا يجوز أخذ أحدهما الا بالاجتهاد وطلب علامة تغلب على الظن طهارة المأخوذ ونجاسة المتروك لأن أصل الطهارة عارضة يقين النجاسة .. الخ ..

الباب الرابع فى الأوانى وهى ثلاثة أقسام

الأول المتخذ من الجلود واستعماله جائز بشرط أن يكون الجلد طاهرا وطهارته بالزكاة فيما يؤكل لحمه أو بالدباغ فى الجميع الا الكلب والخنزير ، وجعل الأوانى على ثلاثة أقسام لأنها اما أن تتخذ من الجلود أو العظام أو من غيرهما وعلى الأحوال فالأعيان المتخذ منها اما أن تكون نجسة فلا يجوز استعمالها فى الشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال أو طاهرة فيجوز .

ويستثني الذهب والفضة على ما سيأتى شرحه فى موضعه .. الخ .. وختم المصنف شرحه بكتاب أمهات الأولاد وقال فيه من استولد جاريته فأتت بولد ظهر عليه خلقه الآدمى اما حيا أو ميتا عتقت عليه ان مات ولا يجوز بيعها قبل الموت على التحديد ولذا لا يبيع ولدها من زنا اذا حصل بعد الاستيلاد ويعتقون أيضا بموته وله استخدامها ووطئها وتزويجها بغير رضاها ، وقيل لا يجوز الا برضاها وقيل لا يجوز برضاها أيضا الا بمراجعة القاضى وله ارش الجناية عليها وعلى أولادها .. الخ .

وقد ختم كتابه بالحمد لله ذى الجلال والاكرام وولى الطول والانعام ويقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا انك رءوف رحيم ..

وذيل الناسخ آخر الكتاب بقوله : وكان الفراغ من كتابته يوم السبت الحادى والعشرين من شهر رجب الفرد سنة ثمان وستين وستماية كتبه العبد الفقير المعروف بالتقصير الراجى عفو ربه ورضوانه محمد بن عبدالله بن أبى عمرو الأنصارى ..

وكتاب فتح العزيز على كتاب الوجيز الذى نقدمه تراثا نادرا من حيث القيمة العلمية والأثرية والتاريخية والذى تحويه مكتبة الأزهر الشريف ويعتبر فريدا فى نوعه اذ أنه كتب بعد وفاة المؤلف بخمسة وأربعين عاما فى القرن السابع الهجرى ..

وتقع النسخة فى ثمانية عشر مجلدا بقلم معتاد بخطوط وسطور مختلفة اخرها بخط محمد بن عبدالله بن أبى عمرو الأنصارى سنة ٦٦٨ هـ ، بها نقص فى غالب أجزائها تستكمل نواقصها بنسخ أخرى موجودة بمكتبة الأزهر ، وعدد سطورها مختلفة .

وينتهى الجزء الأول من هذا الكتاب بباب الأذان وعدد أوراقه مائة وثمانون ورقة . ويبتدىء الثانى منه وينتهى بكتاب صلاة الخوف وعدد أوراقه ٢٥٠ ورقة ويبتدىء الثالث منه وينتهى بكتاب الاعتكاف وعدد أوراقه ٣٠٣ ورقة ويبتدىء الرابع أثناء الحج وينتهى بكتاب القرض وعدد أوراقه ٢٨٨ ورقة ويبتدىء الخامس بكتاب الرهن وينتهى بكتاب الوكالة وعدد أوراقه ٢٢٤ ورقة ، ويبتدىء السادس بكتاب الاقرار وينتهى بكتاب الغصب وعدد أوراقه ١١٦ ورقة ، ويبتدىء السابع بكتاب الشفعة وينتهى بكتاب اللقطة وعدد أوراقه ٢٤٩ ورقة ، ويبتدىء الثامن بكتاب اللقيط وينتهى بكتاب الفرائض وعدد اوراقه ١٠٨

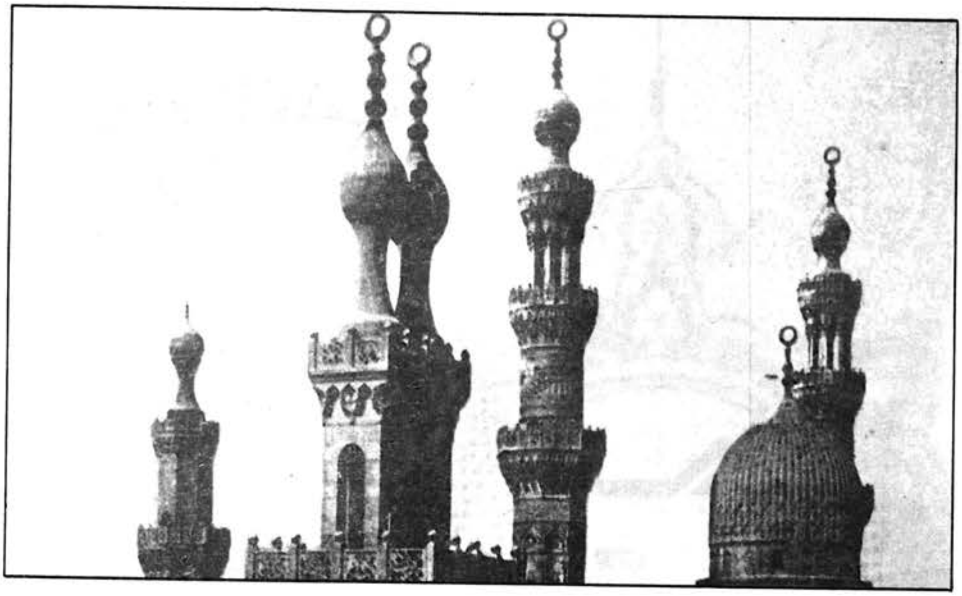

ورقة ، ويبتدىء التاسع بكتاب الوصايا والصدقات وعدد أوراقه ٢٣٤ ورقة ، ويبتدىء العاشر بكتاب النكاح وينتهى بنهايته وعدد أوراقه ١٩٠ ورقة ، ويبتدىء الحادى عشر بكتاب القسم والنشوز وينتهى بكتاب الطلاق وعدد أوراقه ٢٣١ ورقة ، ويبتدىء الثانى عشر بكتاب الرجعة وينتهى بأركان الرضاعة وعدد أوراقه ٢٢٧ ورقة ويبتدىء الثالث عشر بكتاب الباب الثانى فيمن يحرم بالرضاعة وينتهى بكتاب الجراح وعدد أوراقه ١٩٣ ورقة ويبتدىء الرابع عشر بكتاب الديات وينتهى بالركن الثانى فى السرقة وعدد أوراقه ٢٥١ ورقة ، ويبتدىء الخامس عشر بفروع ومسائل من باب العدة وينتهى بالتفاوت فى الصفات وعدد أوراقه ٢٣٥ ورقة ، ويبتدىء السادس عشر بالحجة الثالثة فى السرقة وينتهى بكتاب الضحايا وعدد أوراقه ٢٢٨ ورقة ، ويبتدىء السابع عشر بكتاب الأطعمة وينتهى أثناء كتاب الشهادات وعدد أوراقه ٢٥٦ ورقة ، ويبتدىء الثامن عشر بقوله ولا يجوز تحمل الشهادات وينتهى الى آخر الكتاب وعدد أوراقه ٢٦٧ ورقة .

هذه عجالة قصيرة للتعريف بهذا الكتاب أنموذجا صافيا لذهن صاف وقلب مؤمن مطمئن عرفانا بفضله وتقديرا لجهده رحمة الله رحمة الصديقين والشهداء جزاء ما قدم للاسلام والمسلمين ..

مدير
مكتبة الأزهر
محمد عميرة على

في اللغة والأدب والنقد

- بين التهذيب واللسان
- العَـدَد
- مدرسة الديوان
- إبن هَرْمة والإحتجاج بالشعر

بين التهذيب واللسان

للدكتور محمد عبد الحفيظ العريان

(٥) دور التهذيب في بناء اللسان

من خلال المواد الثلاثة (جعب ـ عرب ـ نوأ) التى أمكن لنا درسها تبين لنا أن ابن منظور قد أخذ كل ما أورده الأزهرى فى تهذيبه من مادة بعد تشويشها ووضعها فى مواضع مختلفة ولعله حسب رأى الدكتور نصار « قد أعتمد المحكم لابن سيده أساسا فى بناء معجمه ثم يأخذ بعد ذلك مادة الأزهرى فيكون التهذيب اذن المصدر الثانى بعد المحكم »[١].

وقد حاولت المقارنة بين التهذيب واللسان من خلال المواد الثلاثة فوجدت :

(١) ان ابن منظور فى مادة (جعب[٣] (١) قد نقل مادة الأزهرى مشوشة ولم يضف اليها سوى فعلين وهما « جَعَبَهُ جَعْبًا : اذا ضرب به الأرض وجَعْبَأَهُ : إذا صرعه » والملاحظ أنه لم يصرح باسم الأزهرى .

(٢) أنه ـ فى مادة عرب ـ قد أخذ أيضا جميع المادة مشوشة باستثناء مادتين تقريبا وقد صرح فى هذه المادة باسم الأزهرى نحو عشر مرات .

(٣) أنه فى مادة (نوأ) قد أخذ أيضا جميع المادة فيقول حينا ـ قال الأزهرى وحينا اخر قال أبو منصور ـ وحينا ثالثا ـ فى التهذيب) . وقد صرح بذلك ثمانى مرات .

وبعد : فما الذى نستنتجه من المقارنة ؟!

---

(١) المعجم العربى (نشأته وتطوره) : جـ ٢ : ٥٢٧ بتصرف . د . حسين نصار : ط . دار الكتاب العربى بمصر ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م . المعاجم اللغوية (فى ضوء علم اللغة الحديث) : ١٥ ـ ١٨ بتصرف د . محمد أحمد أبو الفرج ، بيروت دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م .

(٢) لسان العرب : ١ : ٦٣٠ .

بين التهذيب واللسان

ان ابن منظور قد اعتمد كثيرا على التهذيب فى بناء معجمه . وكان أمينا فى نقله فلم يحوّر النص بل كان ينقل نقلا حرفيا الا ما هنا لك من تصرف جزئى ، والملاحظ هنا أن ابن منظور كان يحذف أحيانا سلسلة الرواة ويستعمل عوضها عبارة (حكى الأزهرى) أو روى الأزهرى أو (عن التهذيب) أما اذا أراد نقل رأى شخصى للأزهرى فانه يستعمل عبارة « قال الأزهرى » .

والذى يلفت النظر حقا ان ابن منظور بعد نقله لرأى الأزهرى الشخصى لا يعقب عليه بقبول أو رفض . والغريب أنه لا يناقش الأزهرى مباشرة حتى فى شرحه لمعانى الأبيات أو فى تفسيره للآيات وانما يعمد الى طريقة أخرى وهى نقل كلام الأزهرى ثم يرد فى ذلك بكلام غيره مثال ذلك ما ورد فى مادة (عرب) فقد ذكر بيت الكميت :

وجدنا لكم فى آل حَمِ آيةً
تأوّلها منا تَقِيٌّ مُعَرَّبُ

ثم علق على هذا البيت بقوله : « هكذا أنشده سيبويه كَمُكَلِّم وأورد الأزهرى هذا البيت « تَقِيٌّ ومُعْرِبُ » وقال تقى يتوقى اظهاره حذر أن يناله مكروه من أعدائكم . ومعرب اى مفصح بالحق لا يتوقاهم . وقال الجوهرى معرب مفصح بالتفصيل وتقى ساكت عنه بالتقيّة (١) والذى نستنتجه من المثال :

(١) أن ابن منظور قد روى مُعَرَّبَ على وزن مُفَعَّل بينما روى الأزهرى اسم الفاعل على وزن مُفْعِل . فهل معنى هذا أن ابن منظور يرجح رواية سيبويه على رواية الأزهرى . أم أنه أراد اثبات الروايتين تاركا للعلماء حرية الترجيع ولكنه ألم يرجح رواية سيبويه باثباته لها أولا .؟

(٢) أنه بعد نقله لشرح الأزهرى لمعنى (تقى ومعرب) قد أورد شرح الجوهرى الذى يتفق فى مضمونه مع شرح الأزهرى . فأين موقف ابن منظور . فهل يمكن ألا يكون لعالم أديب كابن منظور (رأى صريح فى كل ما رواه من اراء الأزهرى من شروح وتفاسير .

من المستبعد ألا يكون لابن منظور رأى خاصة فى تفسير الايات القرانية أو فى توضيح الأحاديث النبوية أو فى شروح الأبيات الشعرية . أى فيما له اتصال بفهم النص وتدقيق معناه لأن عالما كابن منظور لا يمكن ألا يكون له على الأقل موقف جزئى . واذا كان الأمر كذلك فبما ذا نفسر احجامه عن ابداء رأيه ؟ هل يكون سبب ذلك ميل أهل العصر ـ كما أسلفنا ـ الى الجمع والتدوين وتقليد القدماء ؟!

من المسلم به أن عصر ابن منظور قَلَّ فيه الابتكار والاختراع كما لاحظنا ذلك . ولكن الفيروز ابادى (ت ٨١٧ هـ فى قاموسه المحيط كان معاصرا (٢ لابن

---

(١) لسان العرب : ٤ : ١٢٨٦٥

(٢) وأعنى بالعصرية هنا وجود الفيروز ابادى فى العصر العلمى الذى تربى فيه ابن منظور .

منظور وكان مع هذا يبدى رأيه فى منقولاته وفى أصحاب المعاجم الذين اعتمدهم حتى أنه يقول « ليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثانه يهتضم المصيب . ولكن يعطى كُلٌّ ما يستحق . واختصصت كتاب الجوهرى من بين الكتب اللغوية مع ما فى غالبها من الأوهام الواضحة والأغلاط الفاضحة لتداوله واشتهاره بخصوصة (١) فالفيروز آبادى يحاول الاجتهاد كما نلاحظ من هذه الجملة ويقرر قاعدة حضارية عميقة وهى أن المعرفة انسانية لا يختص بها جيل دون جيل . وأن القدماء ليسوا دائما مصيبين أو مخطئين كذلك المحدثون .

واذا كان معاصر ابن منظور على نحو ما رأينا من ميله الى المناقشة والاجتهاد فهل يكون ابن منظور قاصرا عن هذه المنزلة ؟ لا أظن ذلك فان للرجل معرفة دقيقة واطلاعا واسعا لاشك، فيهما . واذا ثبت ذلك فان له موقفا يجب البحث عنه من خلال مواد اللسان . وهنا أن لنا أن نلقى هذا السؤال العريض : هل من وظيفة المعجمى أن يجتهد أم أن دوره هو مجرد اقرار ما وقع الاتفاق عليه عن طريق المجامع أو الهيئات العلمية المختصة ؟!

يبدو أن الازهرى لا يفرق بين الناقد اللغوى وبين العالم المعجمى . لذلك سمح لنفسه بالنقد وابداء الرأى وسجل ذلك فى معجمه .

أما ابن منظور فانه - حسبما يبدو لى - يميل الى المنهج الموضوعى فى التزام رواية ما هو صحيح لغة كما نقله الثقات من العلماء عن العرب قصد حماية العربية من تسرب الدخيل وتسلله ولعل تفضيله ابن سيده على الأزهرى لا يرجع الى الطعن فى ثقته كعالم معجمى بقدر ما يرجع ذلك الى الطعن فى اجتهاده . اى فى خروجه عن اطار وظيفته كمعجمى الى اطار الناقد المتفلسف فى اللغة والدليل على توخى ابن منظور منهجا موضوعيا صرفا هو ايمانه فى بعض الأحايين برأى ولكنه لم يطبقه فى معجمه ومثال ذلك دفاعه عن أبى نواس فى مادة (يأيأ) (٢) بما يفهم أنه وان لم يستشهد بشعره لدى اللغويين لكونه مولّدا . فإنه جدير بأن يعتمد وبأن يستشهد بكلامه نظرا لمعرفته بلغات العرب وأيامهم ووقائعهم .

فابن منظور حسب موقفه من أبى نواس يرى أنه يمكن الاستشهاد بكلام المولدين اذا كانوا فى مكانة أبى نواس اللغوية ولكنه لم يطبق رأيه هذا فى معجمه لسان العرب اذا اقتصر على نقل ما صح لدى أرباب المعاجم السابقة من ألفاظ .

وموجز القول فان لابن منظور منهجا علميا عماده نقل النصوص الثابتة كما وردت عن أصحابها وما ذِكْرُهُ لروايات متناقضة فى شرح كلمة واحدة الا دليل على أنه يريد أن يمد المطالع بما أمكن له جمعه تاركا له حرية الترجيح بين تلك الروايات أو رفض بعضها . حَسْبُهُ أنه قدم له مادة صحيحة موثوقا بها عنده وهذا هو ما توخاه فى بيت الكميت المتقدم ذكره عندما نقل رواية سيبويه (مَعَرَّب) ورواية الأزهرى (مُعْرِب) كما نقل شرح تقىٍّ ومعرب عند كل من

(١) القاموس المحيط : ١ : ٥ للفيروز أبادى . الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر .

(٢) لسان العرب : ٦ : ٤٩٤٦ .

بين التهذيب واللسان

الأزهرى والجوهرى .

فما الذى يمكن أن نستخلصه من هذه المقارنة بين التهذيب واللسان ؟!

الواقع أن المعجمين يتفقان فى وجوه شبه كثيرة منها :

(١) الجانب الموسوعى وجمعهما مادة جامعة للغة والأدب والتفسير والتاريخ .

(٢) فى شروحهما للكلمات غموض فى بعض الأحيان . وخلط فى ترتيب الألفاظ فى كثير من الأحيان حتى أصبح الانتفاع بهما عسيرا ففى الرجوع اليهما تعب ومشقة .

(٣) فى عرضهما للمادة استطراد وحشو .

(٤) أنهما التزما موقفا محافظا وهو رواية اللغة . وفقا لحدود زمانية ومكانية معينة . أعنى بذلك اقتصارهما على نقل لغة العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام اى الفترة الزمانية التى حددها النحاة لصحة الاستشهاد على الصحيح من اللغة وبذلك يكونان قد أهملا كثيرا من الألفاظ الحضارية الجديدة التى تولدت من احتكاك الحضارات القديمة بلغة القرآن . وهى اللغة العلمية والفنية المستحدثة فى العصر العباسى وفى العصر الذى عاشه ابن منظور .

هذه تقريبا أهم السمات المشتركة بين اللسان والتهذيب ــ فما هى وجوه الاختلاف :

(١) يختلفان من حيث المنهج العام فقد التزم الأزهرى منهج الخليل بينما التزم ابن منظور منهج الصحاح حسبما يشيع بين جمهور العلماء المشتغلين باللغة .

(٢) ان شخصية الأزهرى بارزة فى معجمه الى درجة أن رماه بعضهم بالتعصب لرأيه وباحتقار معاصريه والمتقدمين من اللغويين على حد سواء بينما تتسم شخصية ابن منظور بالتواضع واختفاء شخصيته وراء منهجه الموضوعى .

(٣) مادة اللسان أوسع من مادة التهذيب والسبب فى ذلك أن مَرَاجِعَهُ اتسعت أكثر من مراجع التهذيب .

(٤) ان اللسان أكثر احتفالا بالجانب النحوى والصرفى فهو يعنى بتصريف الكلمة وذكر المصدر والفعل بالتنصيص على عين الفعل . وهل هى مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة فهو من هذه الجهة أكثر دقة من التهذيب .

(٥) أمانة ابن منظور والأزهرى فى النقل :

وبعد . فهل كان الازهرى وابن منظور أمينين فى نقلهما عن مصادرهما ؟! من الصعب الاجابة عن هذا السؤال بسهولة لأن ذلك يتطلب المقارنة الدقيقة بين الأصل والفرع وهذا جهد تنوء به الجماعة فضلا عن الفرد اذ لابد من الانطلاق من المقارنات الجزئية بين المواد مادة مادة حتى يمكن بعد ذلك استخلاص الاحكام العامة غير أن الدكتور نصار (١) قد توصل من خلال بعض المواد الى اثبات « أن ابن سيده والجوهرى كانا أكثر أمانة من الأزهرى فى نقل النصوص فلم يبيحا لنفسيهما حق التصرف فيها .

ولا أعتقد أن هذا الاستنتاج مقنع بدليل أن ابن منظور وهو أعرف بمراجعة قد حكم

---

(١) المعجم العربى : ٢ : ٥٣٣ د . نصار .

على الجوهرى بانه « قد صحّف وحرّف وجَزّف فيما صرّف » مع أنه قد حكم على التهذيب والمحكم بانهما « من أمهات كتب اللغة على التحقيق » فابن منظور اذن – كان يثق بالازهرى ثقته بابن سيده ولا يشك فى أمانة الرجلين غير انه كان يعتبر المحكم « أكمل » من حيث اعتناؤه بجانب النحو والصرف وهذا مَا يُفَسّر لنا اعتماد ابن منظور عليه فى التنظيم الداخلى للمواد ولهذا كان التهذيب المرجع الثانى بعد المحكم . والذى ثبت لدينا من خلال المواد المدروسة – أن ابن منظور كان ينقل نصوص الازهرى نقلا حرفيا اذا كان الأمر يتعلق بنقل الشرح اللغوى المروى عن السابقين . ولكنه كان يشك فى بعض اجتهادات الازهرى الشخصية فينقل بجانبها اراء لغويين اخرين . بعبارة أُخرى فابن منظور لايشك فى أمانة الازهرى اللغوية بل يشك فى اجتهاده الشخصى وفى ميله الى التفلسف.

وبعد . فهل كان ابن منظور نفسه امينا ؟.

لقد أكد ابن منظور فى مقدمة اللسان أنه ادى الأمانة فى نقل الأصول فقال « أديت الأمانة فى نقل الأصول بِالْفَصّ وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها من النَّصّ »(١) .

فحسب كلام ابن منظور هذا أنه قد توخى الصدق والأمانة العلمية فى نقل النصوص كما وردت عن أصحابها.

ولكن الدكتور نصار قد أثبت أن ابن منظور كان أحيانا ياخذ مفهوم عبارة(٢) التهذيب ويصوغها من عنده للاختصار الا أنه لم يدعم استنتاجه هذا بأمثلة مدققة جزئية لذا يظل حكمه عاما يحتاج الى دليل مقنع .

والخلاصة أنه من العسير جدا أن نصدر حكما على أمانة الازهرى وابن منظور من خلال بعض المواد الجزئية أو عدم الأمانة الا بعد دراسة واسعة عميقة . تتطلب من الوقت والجهد الشىء الكثير بيد أنه بإمكاننا التيقن أن العالمين لم تكن لهما نِيَّة التحريف والتزييف لأغراض دعائية وأن ما يسود عملها من روح دينية ومن ايمان عميق بخدمة القران . ومن التصدى لمقاومة تيار العجمة كل ذلك يجعلنا نتأكد من حسن نيتهما وامانتهما العلمية . ومما يؤكد لنا نزاهة ابن منظور والتزامه الموضوعية أنه لم يثبت فعل « ساهم » فى معجمه بسبب عدم معجميته بالرغم من استعماله له فى كلامه فقد قال فى مقدمة اللسان « فاستخرت الله سبحانه وتعالى فى جمع هذا الكتاب المبارك الذى لا يساهم فى سغة فضله ولا يشارك »(٣) .

ولا اعتقد « ان عدم اثباته لفعل « ساهم » فى معجمه مع استعماله له فى كلامه يعتبر عيبا بل هو فى نظرى دليل على الأمانة العلمية والوفاء لوظيفته كعالم معجمى »(٤) .

وفى النهاية فإن هذه الدراسة كما قلت فى صدر هذا البحث – ليست سوى محاولة – تمهيدية لدراسة شاملة تتناول اللسان ومادته من وجوه عدة سوف أعكف عليها فى نطاق وسائل البحث المتوفرة لدينا .. على أنه فى اطار النظرة العامة لتراثنا يتعين ألا نقف إزاءه مواقف التمجيد والتقديس ولا مواقف

(١) لسان العرب : ١ : ١٢ .
(٢) المعجم العربى : ٢ : ٥٣٣ د . نصار .

(٣) لسان العرب : ١ : ١٢ .
(٤) المعجم العربى : ٨٦ د . عدنان الخطيب . ط . دار النهضة بمصر ١٩٦٦ م . بين الماضى والحاضر

بين التهـذيب

واللســـان

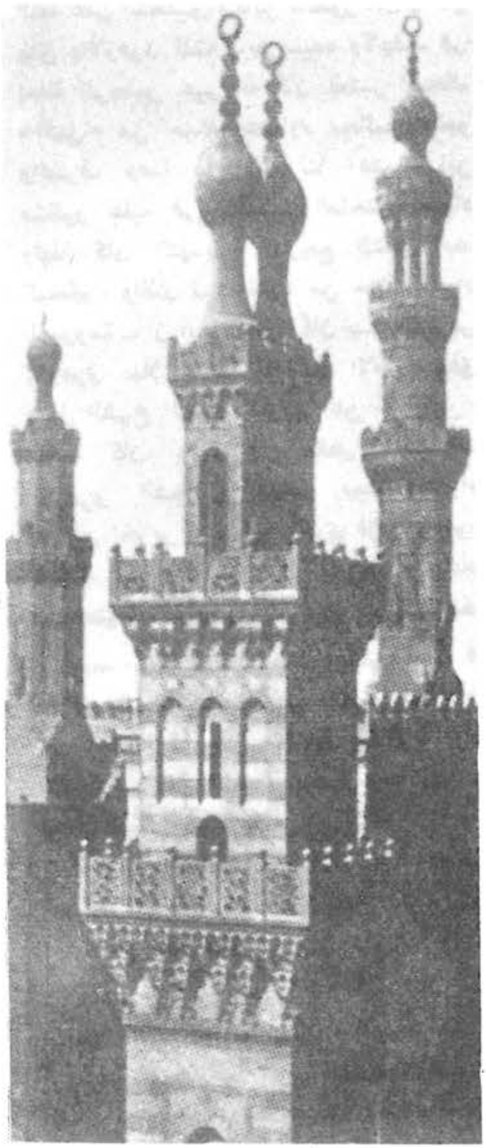

التهديم والتـ ـييف . بل علينا أن نقف موقفا وسطا . معتدلا . رصينا . موقفا علميا . موقف الذين يرون ـ كما قال الأستاذ رشاد الحمزاوى فى دراسته عن ابن سيده المنشورة بمجلة « لغة العرب » أنه من الممكن أن نوفق بين الحاجيات العصرية الملحة وبعض الالتزامات الثقافية التى تفرض علينا ألا نفصم العروة التى تربط الثقافة العربية الكلاسيكية الموجودة بالفعل . بالثقافة العربية المعاصرة الموجودة بالقوة »(١) .

وفقنا الله لخدمة لغة القران . كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

انتهى

دكتور / محمد عبد الحفيظ العريان
مدرس أصول اللغة بكليه
اللغة العربية بالقاهرة جامعة
الأزهر

---

(١) مجلة لغة العرب : العدد التاسع : س ٢ ١٩٧٢ م) ص / ٧٠ .

مدرسة الديوان

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

مدرسة الديوان مدرسة : دعت الى التجديد في الشعر المعاصر ، بكل ماوسعها الجهد والوقت والطاقة ، وكانت أولى المدارس التي فتحت النوافذ كلها على الشعر الغربي ، وعلى مذاهب الغرب في الأدب والنقد ، بل على الثقافة الغربية عامة ، وروادها ثلاثة هم : عبد الرحمن شكري ، وعباس محمود العقاد ، وابراهيم عبد القادر المازني .

وقد اصدرت هذه المجموعة ، او على الاصح اثنان منهما ، وهما : العقاد والمازني عام ١٩٢١ كتابا نقديا باسم « الديوان » أصدرا منه جزءين في نقد شعراء وأدباء مدرسة البعث . وفي مقدمتهم شوقي وحافظ والمنفلوطي .

وفي نقد زميلهم الثالث عبد الرحمن شكري . الذي كانت الخلافات الشخصية قد باعدت بينه وبين العقاد والمازني ، وانتصرا في الديوان للمذهب الرومانسي ، ودعوا لاصول هذا المذهب الفنية في الشعر كالوحدة العضوية ، والتجربة الشعرية ، وما الى ذلك .

وكأنما كان الديوان بيانا بالدعوة للمذهب الرومانسي وتحطيم الكلاسيكية والكلاسيكيين او العمودية والعموديين في الشعر المعاصر ، ولم يكن الرواد الثلاثة يعرفون أن مدرستهم الشعرية الجديدة سيطلق عليها فيما بعد اسم مدرسة « الديوان » وأن الديوان بدعوته الجديدة الى اصول الرومانسية سوف يصير علما على جماعتهم الثائرة ، الداعية الى الجديد كل الجديد ، وان اثارهم سيمتد الى كل مكان حتى لتقلدهم مدرسة شعراء المهجر الشمالي ـ الرابطة التعليمية ـ ونحتذى حدوهم ونسير على ضوئهم ..

جاءت مدرسة الديوان بعد مدرسة « البعث » وروادها البارودى وشوقى وحافظ

مدرسة الديوان

ومطران ، وتزعمت حركة التجديد في الشعر ، وألحت في الدعوة اليه .

ولقد قام العقاد وشكرى والمازني بدور كبير في خدمة النهضة الشعرية وفي نشر حركة التجديد في الشعر العربي الحديث .

لقد أحدث هذا الكتاب الصغير ضجة كبيرة في الجو الأدبي والشعر في مصر والعالم العربي ، بل كان له تأثيره علي شوقي والمنفلوطي ، وَغَيَّرَ من نظرية عمود الشعر القديمة ، وأخرج ميخائيل نعيمة من أدباء الرابطة التعليمية علي ضوئه كتابه « الغربال » الذي كتب مقدمته العقاد وشكري يعد رائد هذه المدرسة الأول ، وامامها الذي أقتدت به ، وكانت ثقافة هؤلاء الثلاثة انجليزية وَوِجْهَتُهم هي الأدب الانجليزي . .

وقد كرر العقاد في كتبه ومقالاته في حياته أن مدرسة « الديوان » هي أول حركة تجديدية في الشعر الحديث ، ولم يعترف بأثر لمطران في حركة التجديد هذه ، وذكر أن شوقيا وحافظا تأثرا بمدرسة الديوان .

ولقد جمعت الزمالة في « المعلمين العليا » بين المازني وعبد الرحمن شكري عام ١٩١٠ ، وربطت بينهما بصلات وثيقة ، ثم ألفت الثقافة ، وقاربت الأيام بينهما وبين العقاد عام ١٩١٤ ، وكتب الثلاثة يبشرون بمذهب جديد في الشعر ، مهد للدعوة اليه قبلهم مطران ، وآزرهم في الكفاح من أجله الدكتور أحمد زكي أبو شادي .

وأقبل العقاد وشكري والمازني علي الأدب الانجليزي ، وقرأوا للشعراء الانجليز وبخاصة مجموعة « الكنز الذهبي » التي اختارها فرانسيس بالجريف ، أستاذ الشعر في اكسفورد والمنتدب للمعارف المصرية .

وبدأ الثلاثة يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعاني والصور الجديدة ويكتبون في وحدة القصيدة ، ويدعون الي الأصالة وصدق المشاعر في العاطفة والاحساس والأداء . والي ظهور شخصية الشاعر الفنية ، واستلهام الطبيعة ، وتناول شتي الموضوعات الانسانية ، وَلَجُّوا في محاربة التقليد والافتعال والزيف والتكلف ، وشعر المناسبات الطارئة .

وحدث عن المعارك التي دارت بين شعراء مدرسة البعث وبين شعراء مدرسة الديوان ولا حرج .. وظهر عام ١٩١٥ كتاب للمازني في نقد شعر حافظ بعنوان « شعر حافظ » .

كما صدر الديوان يشن هجوما قاسيا علي شوقي وحافظ . واحتدم الخلاف بين المازني وشكري ، وأخذ كل منهما ينقد زميله ، فكتب المازني في « الديوان » يهاجم شكري وسماه « صنم الألاعيب » وكتب شكري يهاجم المازني في مقدمة الجزء الخامس من ديوانه ..

وأخذ شكري يعيب علي المازني انتحاله لبعض الأشعار الانجليزية ، مما دون في مجموعة « الكنز الذهبي » للشعراء الانجليز الرومانتيكيين . وتبادلا النقد علي صفحات جريدة « النظام » ونقد شكري المازني والعقاد علي صفحات « عكاظ » عام ١٩١٩ و١٩٢٠ ونقد المازني شكري في كتاب « الديوان » .. ولم يعد الصفاء بين الشاعرين الا عام ١٩٣٤ .

وان كان شكري في الحقيقة هو الذي ألهب

احساس المازني الفني ، ودله علي مناحي التجديد ، ولاينكر المازني ذلك ، حتي ليقول من مقالة له نشرت في عدد ٥ ابريل عام ١٩٣٠ في جريدة « السياسة » بعنوان « التجديد في الادب غَبَرَ زمن كان فيه شكري محور النزاع بين القديم والجديد .. ذلك أنه كان في طليعة المجددين ، اذا هو لم يكن الطليعة والسابق الي هذا الفضل فقد ظهر الجزء الأول من ديوانه .

وكنا يومئذ طالبين في المعلمين العليا وكانت صلتي به وثيقة ، وكل منا يخلط صاحبه بنفسه ، ولم أكن يومئذ الا مبتدئا علي حين كان هو قد انتهي الي مذهب معين في الادب ، ورأي حاسم فيما ينبغي أن يكون عليه ومن اللؤم الذي أتجافي بنفسي عنه أن أنكر أنه اول من أخذ بيدي ، وسدد خطاي ، ودلني علي المحجة الواضحة » .

ويقول المازني كذلك كان الجزء الأول من ديوان شكري ، ويوميات العقاد ، بداية اقتحام المذهب الجديد في الادب ، وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم ، مذهب شوقى وحافظ واضرابهما .

وكتب العقاد عام ١٩٥٩ بعد وفاة شكري يقول : « عرفت عبد الرحمن شكري قبل خمس واربعين عاما ، فلم اعرف قبله ولا بعده ، أحدا من شعرائنا وكفا بنا اوسع منه اطلاعا علي ادب اللغة العربية ، وادب اللغة الانجليزية ، ومايترجم اليها من اللغات الاخري .

ـ ٢ ـ

ومن حيث كانت مدرسة البعث تدعو الي الاصالة والي العمودية ، والي القوالب الفنية الموروثة ، وكان مطران ينادي بالشعر الموضوعي ، وبالجانب الوجداني في الوصف ، كان العقاد وزميلاه يدعون الي الجانب الذاتي او الغنائي منه ، وخرجوا بنظرية جديدة أسموها الوجدان ، واتخذ شكري شعارا له علي الجزء الأول من ديوانه الصادر عام ١٩٠٩ ، والذي سماه « ضوء الفجر » هذا البيت من الشعر

الا ياطائر الفردو س ان الشعر وجدان

ومن نظرية الشعر الوجداني عند هؤلاء الثلاثة ، انبثقت الدعوة الي أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر ، وأن يبعد عن المناسبات .

وأن يغلب عليه طابع الألم والأنين ، وحب الطبيعة وتصويرها واستلهامها ، وأن تسوده وحدة عضوية ، وأن يعبر عن تجربة شعرية ، عميقـــة وأدخـــل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال ، واتجه العقاد الي شعر الفكرة ، وأخذ المازني علي شوقي ومدرسته تفكك الوحدة الموضوعية في قصائدهم واغراقهم في شعر المناسبات .

وفي التقليد للقدماء ، ودعا المازني كذلك الي الرومانسية في كتابه « الشعر غاياته ووسائطه » الذي صدر عام ١٩١٥ .

وصار المضمون الشعري عند هؤلاء الثلاثة لابد من أن يتخذ في الشعر الغنائي الطابع الوجداني سواء استمده الشاعر من الطبيعة أم من ذات نفسه .

ويرجع هؤلاء الثلاثة في النقد الي هازليت وماكولي وأرنولد وشاستري . وأغلب اراء العقاد في النقد تعود الي اراء وليام

مدرسة الديوان

هازليت ومحاضراته عن الشعراء الانجليز، ويشبهه العقاد كثيرا في عنفه النقدي.

ويذكر العقاد في كتابه «شعراء وبيئاتهم..» أن ثقافة مدرسة شعراء الديوان تتناول كل الثقافات العالمية، عن طريق الأدب الانجليزي، وانها استفادت من التقدم الانجليزي، واتخذت هازلت رائدا لها في النقد، ومرجعها الأول كتاب «الكنز الذهبى» وهو مختارات من الشعر الانجليزي من شكسبير الي نهاية القرن العشرين..

وفي رأي هؤلاء الشعراء الثلاثة أصحاب مدرسة الديوان أن شخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر، وأن الشعر اذا كان يشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذي يجب أن نحتفي به.

وكان وردزورث الشاعر الانجليزي يقول: وقد سئل عن شعر بعض الشعراء الانجليز، فقال عنه: انه ليس الختم في شيء، يريد أن منزلة الشاعر مستمدة من شعره، فاذا أصبح شعره علي ألسنة الناس ولاغني لهم عنه، ويتمثلون به في مختلف جوانب حياتهم، فهو شاعر قد فرض نفسه علي الشعر، وعلي النقاد والناس.

ويتمثل المذهب الجديد عند شكري في ديوانه، الذي طبع الجزء الأول منه عام ١٩٠٩ واعيد طبعه عام ١٩١٤، وعنوانه «ضوء الفجر»، وصدر الجزء الثاني منه عام ١٩١٣ بعنوان «لاليء الافكار» وصدر الجزء الثالث منه عام ١٩١٥ بعنوان «أناشيد الصبا»

وكذلك الجزء الرابع الذي صدر عام ١٩١٥ بعنوان «زهر الربيع». والخامس الذي صدر عام ١٩١٦ وصدر هذا الجزء الخامس بعنوان «خطرات» والسادس «الافنان» عام ١٩١٨ والسابع «ازهار الخريف» عام ١٩١٩. وبعد وفاة شكري طبع الديوان طبعة جديدة وأضيف اليه شعره منذ عام ١٩١٩ حتي وفاة العقاد وطبع عام ١٩٥٩.

وكان شكري هو أستاذ هذه المدرسة بحق، ولكن لما انفصل عن زميليه من عام ١٩١٦ حتي عام ١٩٣٤ تصدرها العقاد، واصبحت ترمز اليه اولا فيما ترمز اليه من دلالات ومعان..

وكان شكري كما يقول العقاد من اوائل الدعاة الي وحدة القصيدة، والي تعديد صور

وسع ربي كل شيء علما

صدق الله العظيم

القافية، والتجديد في بحور الشعر وألف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية، ولم يحفل بشعر المناسبات، ومن أوائل من مَهَّدَ لمذاهب النقد الحديثة في الأدب العربي.

وقد سخط العقاد علي الشعر الحر وحاربه، وثار علي الابتذال والسوقية والعامية، ورأي الشعر فنا يجب أن ترتفع الأذواق الي مستواه.

وقد خلَّفت مدرسة الديوان وراءها ذِكْرًا طويلا وصيتا بعيدا، وشهرة مابعدها من شهرة لطول خصامها مع مدرسة شعراء البعث، ولدعوتها الي شعر الوجدان، أو قل الي الرومانسية، ولاحتفائها بالاصالة قبل كل شيء.

وفي العاشر من أغسطس ١٩٤٩ توفي المازني.

وفي الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٨ توفي شكري.

وفي الحادي عشر من مارس ١٩٦٤ توفي العقاد.

وقد ولد المازني في التاسع عشر من أغسطس عام ١٨٩٠ م، وولد شكري في الثاني عشر من أكتوبر عام ١٨٨٦، وولد العقاد في الثامن والعشرين من يونيو عام ١٩٨٩ وتفاوتت حظوظهم في الحياة، والحياة دائما تحمل الي الناس ارادة القدر الذي لامفر منه.

وقد مَثَّل هؤلاء الرواد الثلاثة صورة الشعر المعاصرة _ نهضته وتجدده، وعاصروا

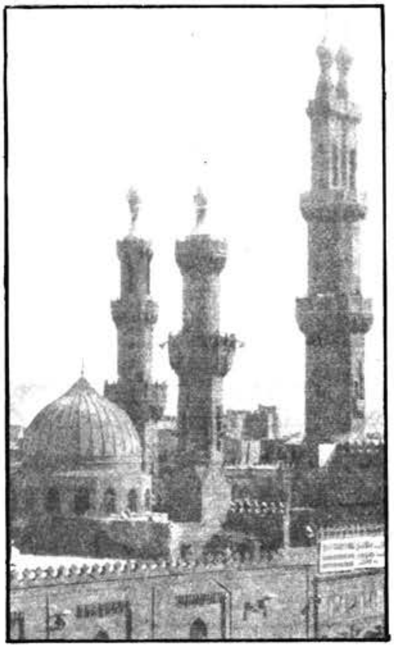

شوقيا وحافظا ومطران، وادركوا عصر البارودي، وعاشوا في حياة شعرية صاخبة لم يرها أحد من قبل، وكانت حملتهم علي شوقي وحافظ والمنفلوطي حملة فيها الكثير من الحيْف والقسوة.

واليوم نذكرهم، ونذكر جهادهم الأدبي، ونذكر أثرهم في نهضة الشعر العربي وتطوره وتجدُّده، فلا نملك الا الدعاء بالرحمة، والا أن نردد:

لقد كانوا عظماء، لأنهم كانوا موهوبين.

د. محمد عبد المنعم خفاجي

العدد

معنى العدد :

هو ماساوى نصف مجموع حاشيتيه السفلى والعليا القريبتين او البعيدتين على السواء كالاثنين فان حاشيته السفلى واحد والعليا ثلاثة . وجوموع الواحد والثلاثة اربعة . ونصف الاربعة اثنان . وكالعشرة فحاشيته السفلى تسعة والعليا احد عشر ومجموع التسعة والاحد عشر عشرون . ونصف العشرين عشرة . ونحو ثمانية فحاشيته السفلى القريبة سبعة . والعليا القريبة تسعة ومجموع السبعة والتسعة ستة عشر . وثمانية نصف الستة عشر . وهذه الامثلة للحاشيتين القريبتين . واما الحاشيتين البعيدتين فيمكن توضيحهما بالمثال الاتى : فالعشرة حاشيته السفلى البعيدة ستة مثلا فتكون حاشيته العليا البعيدة اربعة عشر ومجموع ستة واربعة عشر . وعشرون والعشرة نصف العشرين . وهكذا .

ويقصد بالحاشية السفلى العدد الادنى من العدد المقصود . وبالعليا العدد الاعلى من ذلك العدد كما يتضح ذلك من الامثلة وبالحاشية القريبة المباشرة التى يفرق بينها وبين العدد المذكور رقم واحد اعلى او ادنى . وبالبعيدة التى يفرق بينها وبينه عدد من الارقام قل او كثر . وعلى هذا فالواحد ليس بعدد لأنه ليست له حاشية سفلى . فالحاشية لابد أن تكون رقما صحيحا . فالنصف ليس بحاشية ولا تكون الحاشية حقيقية صادقة الا اذا كان العدد الذى تنقصه من السفلى هو نفسه العدد الذى يزاد فى العليا حتى يكون مجموع الحاشيتين ضعف العدد المطلوب . أو يكوز هذا العدد نصف مجموع الحاشيتين كما اوضحناه فيما سلف .

العدد اربعة اقسام :

١ ـ مفرد مع الاضافة . وهو عشرة الفاظ . ثلاثة .وعشرة وما بينهما . ومائة والف .

٢ ـ مفرد دون اضافة . وهو العدد واحد واثنان . .وعشرون . وتسعون . وما بينهما وهى المعروفة بالفاظ العقود .

٣ ـ مركب : وهو ما تكون من كلمتين : صدر وعجز . وهو . أحد عشر . وتسعة عشر وما بينهما .

٤ ـ معطوف : وهو ما تكون من جزاين يربطهما حرف العطف هما المعطوف عليه والمعطوف . وهو واحد وعشرون . وتسعة وتسعون وما بينهما « ما يخالف فيه واحد واثنان الثلاثة والعشرة وما بينهما » .

يخالف الواحد والاثنان . وكذلك الواحدة والاثنتان . الثلاثة والعشرة وما بينهما فى

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

حكمين : الاول . انهما يذكران مع المذكر فتقول واحد . وصفا لأى اسم من اسماء الجنس المفرد المذكر . واثنان للمثنى المذكر . وواحدة واثنتان او يثتان للمفرد والمثنى المؤنثين كذلك .

ويشاركهما فى هذا الحكم ما صيغ من العدد على وزن فاعل كما سيأتى . والعشرة اذا ركبت مع احد وتسعة وما بينهما . فتقول : الجزء الثالث ،او الجزء الثالث عشر والصفحة الثالثة او الرابعة . والثالثة عشرة او الرابعة عشرة ويبقى هذا الحكم للواحد والاثنين . والواحدة والاثنتين اذا ركبت مع العشرة فيوافق هذا المركب صدرا وعجزا المعدود تذكيرا وتانيثا غير انه يؤتى باحد واحدى فى التركيب مكان واحد وواحدة فى الافراد خوف الالتباس بالصفة . اى التباس ان تكون عشرة صفة لواحد وواحدة اذا ركبت معهما فقلت : (واحد عشر . او واحدة عشرة اذا لم تستبدل بهما إحد واحدى . ولذا فان الاستبدال حينئذ ضرورى لا مندوحة عنه .

أما الثلاثة وأخواتها فتاتى على عكس ذلك . فتؤنث مع المذكر وتذكر مع المؤنث فتقول (اسر ثلاثة جنود بالتاء فى ثلاثة (وهربت ثلاث اماء بتركها . ومنه قوله تعالى (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما وانما حذفت التاء من عدد المؤنث . واثبتت مع المذكر فى هذا القسم . لان العدد ثلاثة واخواتها الى عشرة اسماء جماعات كزمرة وعصبة وامة وطائفة وكتيبة فالاصل فيها ان تكون بالتاء لتوافق نظائرها . فبقى الاصل وهو ثبوت التاء مع المذكر لتقدمه رتبة على المؤنث وحذفت مع المؤنث فرقا بينه وبين المذكر لتاخر رتبته .

الثانى : انه لا يجمع بينها وبين المعدود . فلاتقول واحد ضيف ولا اثنا حصانين لان قولك : ضيف يفيد الجنسية والوحدة وقولك . حصانان فى الحلبة يفيد الجنسية وثنائية الواحد . فلا داعى للجمع بينهما لا على طريق الاضافة كالامثلة السابقة ولا على طريق الوصفية نحو : ضيف واحد وحصانان اثنان الا اذا اقصد بالوصف بيان ان المراد باسم الجنس المعدود لا الجنسية ذلك انهم انما جمعوا بين العدد والمعدود وصفا وموصوفا فى الثلاثة واخواتها فقالوا : عندى ضيوف ثلاثة . وافراس اربعة . لان المعدود فى هذه الصورة وهو ضيوف وافراس خال من الدلالة على العدد المقصود .

واما رجل . ورجلان . وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد والجنس فلا حاجة الى ذكر الوصف (واحد واثنين معهما .

العـدد

تمييز العدد

ألفاظ العدد كلها كلمات مبهمة غير واضحة الحقيقة والمقدار، ولذا فهى محتاجة الى ما يبين حقيقتها، ويوضح مقدارها، ويظهر المقصود بها، وانما يتحقق ذلك بالتمييز، ولهذا فهى تحتاج الى التمييز. وهو ضرورى لها، الا اذا أضيف العدد الى مستحق المعدود فانها حينئذ تستغنى عن التمييز كما سيأتى، لأن مستحق المعدود يعرف حقيقة ومقدار ما يستحقه فلا حاجة الى التمييز بالنسبة له، فهو غنى عنه.

ويختلف التمييز باختلاف نوع العدد، وذلك على النحو التالى:

١ ـ العدد: واحد واثنان وواحدة واثنتان ـ غير مركبة مع العشرة ـ لا تمييز لها، لأن التمييز هو المعدود، ولا يجمع بينها وبين المعدود كما مر. فلا يقال: واحد رجل، ولا واحدة امرأة، ولا اثناعبدين، ولا ثنتا أمتين لأن معدودها اذا ذكر أغنى عن ذكرها، فهو يفيد الجنسية والوحدة اذا كان لمفرد نحو رجل، ويفيد الجنسية وثنائية الواحد اذا كان لمثنى نحو عبدان.

٢ ـ ألفاظ العقود: وهى: عشرون وتسعون، وما بينهما، وتمييزها مفرد نكرة منصوب نحو أسرت قواتنا تسعين جنديا وقال تعالى: «ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا» وانما كان مفردا نكرة لأنه يذكر لبيان حقيقة المعدود، وهو يحصل بالمفرد النكرة، ومنصوبا لتعذر الاضافة مع النون التى تشبه نون جمع التصحيح المذكر. واجاز الفراء أن يكون تمييز عشرين وبابه جمعا مع تنكيره ونصبه نحو (انضم الى الكتيبة أربعون جنودا) ومثل (شاهد مراكب الشمس اليوم تسعون طلابا) واجاز الناظم فى التسهيل أن تقول: عندى عشرون دراهم لعشرين رجلا، اذا قصدت أن لكل واحد منهم عشرين درهما.

٣ ـ العدد المركب: ما تكوّن من كلمتين: صدر وعجز. وهو احد عشر، وتسعة عشر، وما بينهما. وتمييزه أيضا مفرد نكرة منصوب نحو قول الله تعالى: «ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا» وقوله سبحانه: «فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا» وهو مفرد نكرة لانه لبيان حقيقة المعدود وهو يحصل بالمفرد المنكر كما سلف. ومنصوب لتعذر تركيب ثلاثة اشياء وجعلها كالشىء الواحد، لو قلت مثلا: عندى سبعةَ عَشَرَ حصانَ ..

وقد يميز المركب بجمع منصوب اذا صدق على كل واحد من العدد مثل قوله تعالى: «وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما» لان المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لاسبط واحد فوضع أسباط موضع قبيلة وهذا احد الاوجه فى الآية.

٤ ـ العدد المعطوف: ما تكون من جزاين يربطهما حرف العطف، المعطوف عليه والمعطوف. وهو واحد وعشرون وتسعة وتسعون. وما بينهما وتمييزه ايضا مفرد نكرة منصوب تماما كتمييز الفاظ العقود.

اذ ان العقد نفسه هو المعطوف زائدا النيف المعطوف عليه ، نحو : أن طلاب هذا الفصل خمسة وأربعون طالبا بلغ عدد المفرج عنهم ستة وسبعين معتقلا ، زرعتان فى البستان سبعا وثمانين نخلة : وقال تعالى : « ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ويعطف العقد على النيف بالواو ، نحو قبضت من التاجر خمسة وعشرين دينارا اذ قصدت أن القبض وقع دفعة واحدة والا فلا مانع من أن نقول : قبضت خمسة فعشرين ، او خمسة ثم عشرين اذا قصد وقوع القبض مرتبا على الفور أو التراخى

د ـ المائة والالف : وتمييزها مفرد مجرور بالاضافة نحو (فى كل سنبلة مائة حبة ، (فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما . وألف قنطار . وحضر المؤتمر ثلاثمائة عالم ، واقتيد الى المعسكر أربعة الاف أسير وانما كان تمييزها مفردا مجرورا بالاضافة لأن مائة تجمع فيها ما تفرق فى عشرة وعشرين لانها تشملهما فأخذت من عشرة خفض المميز ، ومن العشرين افراد مميزها واما الالف عوض من عشر مائة ، وهى تميز بمفرد مجرور . فعوملت الالف معاملة ما عوضت منه ..

وقد تميز المائة بجمع مجرور بالاضافة أيضا ، كقراءة حمزة والكسائى ، (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين بحذف التنوين للاضافة ، وسوغ ذلك عندهم تشبيه المائة بالعشرة اذ أنها تعشير للعشرات كما ان العشرة تعشير للاحاد ، وقيل : هو من وضع الجمع موضع المفرد .

وقراءة غيرهما بتنوين مائة على تقدير أن التمييز محذوف وأن سنين عطف بيان او بدل من ثلاثمائة لا تمييز . والقول بالبدلية مردود لأن البدل على نية حذف المبدل منه ، وعلى نية الحذف يكون المعنى : ولبثوا فى كهفهم سنين فيفوت النص على عدد السنين التى لبثوها مع المقصد الاول والغرض الأهم من الاية الكريمة المراد توجيه الانظار والعقول اليه حيث انه مسوق فى مقام البرهان المدرك بصرا وبصيرة على قدرة الله جل شأنه وعلى أن الساعة اتية لا ريب فيها .

اذ أنهم قد مكثوا نياما فى الكهف كل هذه المدة الطويلة دون أن تتغير أوصافهم أو تبلى أجسادهم ، ثم بعثوا بالحالة التى ناموا عليها لدرجة أنهم لم يعرفوا كم من الزمن لبثوا نائمين فى الكهف فسأل بعضهم بعضا : كم لبثتم ؟ وكان الجواب : يوما أو بعض يوم ، فسبحان الحكيم القادر ، الحى الذى لا يموت ومن بيده الملك ولا يجوز أن يكون سنين تمييزا ، لانه حينئذ يفيد ان اقل ما لبثوه فى الكهف تسعمائة وتسع سنين .

وقد تميز المائة بمفرد منصوب كقول الربيع بن ضبيع الفزارى : اذا عاش الفتى مائتين عاما .. فقد ذهب المسرة والفتاء وقد اعتمد ابن مالك على البيت فى تأييد رأى ابن كيسان الذى اجاز نحو : أنفقت أكثر من مائة دينارا وعندى ما يناهز الألف درهما بالنصب ، والحقيقة أن البيت ضرورة ، وأن رأى ابن كيسان فى هذه الأمثلة وأشباهها شاذ ، وقد اختص الالف بأن يكون تمييزا مطلقا ، ولا يميز بالمائة الا ثلاث وأخواتها واحدى عشرة واخواتها ، تقول :

نقل أحد عشر ألف قنطار ، وأنفق مائة ألف دينار ، وعشرون ألف درهم ، خرج للقاء العدو واحد وعشرون ألف مقاتل ، وتخلف ثلاثمائة ضابط وخمسمائة جندى ، وهؤلاء احدى عشرة مائة عامل ، وخمس عشرة مائة عامل .

وفى هذه الامثلة جاءت مائة تمييزا لثلاث وخمس ، واحد عشرة وخمس

العـــدد

عشرة ، وضابط وجندى وعامل وعاملة تمييزا لمائة كما هو واضح .

٦ ـ العدد ، ثلاثة وعشرة (مفردة وما بينهما ، تمييزه اما مفرد او جمع ، مجرور اما بمن أو بالاضافة فاذا كان اسم جنس ، وهو ما يفرق بينه وبين مفرده بالتاء فى المفرد نحو نبق ونبقة ، وتمر وتمرة ، وعنب وعنبة ، ونخل ونخلة أو يكون التاء فى اسم الجنس وخلو المفرد منها نحو كمأة ، وكمء ، وقد يفرق بينه وبين واحدة بالياء نحو ترك وتركى وروم وروى او كان اسم جمع ، وهو ما يدل على الجمع وليس له واحد من لفظه أو له مفرد ولكنه ليس على صيغة من صيغ التكسير المشهورة نحو قوم ورهط ، ونفر ، وصحب .

اذا كان التمييز أحد هذين النوعين فانه يكون مفردا ويجر بمن غالبا ، كذلك اذا كان لفظ مائة لكن يجر بالاضافة تقول : اربع من العنب ألقيتها ، وخمس من التمر اكلتها ، وعشرة من القوم جادلتهم ، وتسعة من الرهط شدوا أزرى ومنه قوله تعالى : (فخذ اربعة من الطير .

وعلة امتناع الاضافة الى اسم الجنس واسم الجمع أن اسم الجنس قد يفيد الواحد ، ولا تضاف مجموعات هذه الأعداد الى الواحد فكذلك ما أشبهه ، واسم الجمع كذلك بالنسبة لصيغته فهى كصيغة الفرد ، وان كان لا يراد به الواحد .

والدليل على معاملته لفظا معاملة المفرد . انه قد يعود عليه ضمير المفرد نحو : الركب وصل ، ويخبر عنه بالمفرد نحو : الركب قادم وقد يجر التمييز من نوعى اسم الجنس واسم الجمع باضافة العدد اليه ، فاسم الجمع نحو قوله تعالى : (وكان فى المدينة تسعة رهط وقوله عليه السلام : (ليس فيما دون خمس ذود صدقة وقول الشاعر :

ثلاث أنفس وثلاث ذود .
لقد جار الزمان على عيالى .

والذود من الابل من الثلاثة الى العشرة ، وهى مؤنثة ولا واحد لها من لفظها ، والأنفس جمع نفس ، وهى مؤنثة ايضا وانما أنث عددها فى البيت لان النفس كثر استعمالها مرادا بها الانسان .

واسم الجنس نحو قول جندل بن المثنى :

كان خصيبه من التدلدل ..
طرف عجوز فيه ثنتا حنظل

فحنظل اسم جنس مجرور باضافة ثنتا اليه على حد (تسعة رهط ، وفيه شذوذ بالجمع بين العدد والمعدود وقد مر انه لا يجمع بينهما فى مثل تلك الحالة .

والجر بمن موضع اتفاق .

وقد اختلفوا فى الجر بالاضافة : فريق يرى انه جائز على قلة . وهو مذهب الموضح موافقا فيه ابن عصفور .

وجماعة ترى الاقتصار على ما سمع .

وطائفة ثالثة تفصل فى اسم الجمع : فان كان مما يستعمل فى القليل فقط نحو : رهط ونفر وذود جاز فيه الجر بالاضافة ، وان كان مما يستعمل للقليل والكثير نحو : قوم ونسوة ونساء لم يجز فيه ذلك .

وان كان التمييز جمعا خفض باضافة العدد اليه نحو : اجبت عن ثلاثة اسئلة ، من اربعة افرع من المادة . وحضرت أربع جوار وابقت خمس اماء . خلق الله سبع سموات . انى ارى سبع بقرات .

وحق التمييز حينئذ ان يكون جمعا مكسرا ليطابق العدد المعدود لفظا . ومن اوزان القلة . وهى اربعة ـ ليتطابقا معنى مثل : عندى اربعة اعبد . فقدت خمسة افلس . وقوله تعالى :

(والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ونحو نقلنا ثلاثة احمال . وهرب من الاصلاحية تسعة صبية . واكل الضيوف عشرة ارغفة

ووجه جر تمييز الثلاثة والعشرة واخواتهما جمعا مكسرا . انه لما كثر استعماله اثروا جره بالاضافة للتخفيف لانها تمنع التنوين المؤدى للثقل . وكون هذا التمييز جمعا للمطابقة بين العدد والمعدود لفظا . وكونه وزن قلة للمطابقة فى المعنى لقلة المعدود . واما جمعا التصحيح للمذكر والمؤنث فحكمهم حكم جمع القلة الا فى هذا الموضع ولذا فلا يميز بهما العدد الا اذا لم يكن للفظ جمع تكسير من ابنية القلة فحينئذ يميز العدد بجمع التصحيح المؤنث او المذكر او بموصوفه .

وقد يتخلف بعض هذه الامور الثلاثة التى يلزم ان يجتمع فيما يضاف اليه العدد . وهى الجمع والتكسير والقلة . وقد تختلف كلها فيضاف العدد للمفرد فى حالتين :

الاولى ان يكون اسم جمع نحو (تسعة رهط كما مر . وهو قليل .

والثانية لفظ مائة نحو : يعمل في حقل البترول ثلاثمائة مهندس وتسعمائة عامل . لان مائة وان كانت مفردة لفظ فانها في معنى الجمع لانها عشر عشرات واما قول الفرزدق :

ثلاث مئين للملوك وفى بها
ردائى ، وجلت عن وجوه الاهاتم

فهو شاذ وعلة شذوذه ان مائة اذا جمعت كان اقل ما يفهم منها ثلاثمائة وهو ما يفيد الكثرة ، وحق العدد ان يضاف الى مايفيد القلة ويضاف الى جمع التصحيح في بعض الحالات : ان يهمل تكسير الكلمة نحو سبع سموات ، وخمس صلوات . وسبع بقرات . فان سماء وصلاة وبقرة لم يسمع لها جمع تكسير اصلا . فضلا عن ان يكون جمع قلة فاضيف اليها العدد وهى جمع تصحيح فانه يفيد القلة .

ثانيتهما : ان يجاور اللفظ ما اهمل تكسيره وان سمع له تكسير نحو (سبع سنبلات خضر فان سنبلة سمع تكسيره على سنابل لكنه جاورنى التنزيل ما اهمل تكسيره . وهو سبع بقرات فلذلك حسن تصحيحه .

الثالثة : ان يكون تكسير الكلمة غير مقيس نحو (ثلاث سعادات فان جمع سعاد على سعائد مخالف للقياس ، لان وزن (فعائل انما يطرد فيما يطرد فيها كان تانيثه بالعلامة نحو : رسالة ورسائل وحمالة وحمائل وكنانة وكنائن وفصيلة وفصائل . وقبيلة وقبائل . واما عجوز وعجائز فشاذ لايقاس عليه .

الرابعة : ان يكون تكسير الكلمة نادر الاستعمال . نحو (في تسع ايات الى فرعون وقومه فان تكسير اية على اى (وزن افعل جائز . لكنه نادر وقليل الاستعمال . وابن مالك يعتبرها من نوع ما اهمل تكسيره مثل : سموات وصلوات وبقرات .

ويضاف لجمع الكثرة في صورتين :
الاولى : الا يكون له بناء قلة نحو (شاهدت ثلاث جوار بصحبة اربعة رجال بايديهن

خمسة دراهم ذلك ان هذه الالفاظ وهي جارية : وهي جارية ، ورجل ودرهم لم يستعمل لها جمع قلة ، وأما أرجل وزن (أفعل فهو جمع رجل بكسر الراء وسكون الجيم .

الثانية : ان يكون له صيغة قلة ولكنه شاذ قياسا او سماعا ، فيعتبر في حكم المعدوم ويعدل عنه الى جمع الكثرة فمثال الشاذ قياسا نحو (ثلاثة قروء فان جمع قرء بفتح القاف على أقراء وزن (افعال صيغة القلة شاذ ، لكن له بناء قلة ليس بشاذ ، وهو (أقرؤ وزن (أفعل لان هذا الوزن يطرد في كل اسم على وزن (فعل بفتح الفاء وسكون العين اذا كانت عينه صحيحة نحو كلب وأكلب ونهر وأنهر ، وسقف وأسقف ، وعبد وأعبد ، والشاذ سماعا نحو (عشرت على ثلاثة شسوع جمع شسع بمعجمة فمهملة ، فان جمعه على (أشساع وزن (أفعال وان كان جمعا قياسيا ، لأن مفرده شسع بكسر فسكون ، ووزن أفعال قياسي فيه ، كطفل واطفال وحمل وأحمال وسفر وأسفار الا انه قليل الاستعمال ..

نعت تمييز العدد ، وحكمه

تمييز العدد المركب ، والعقود : عشرين وبابه اذا وصف ، يجوز في نعته مراعاة اللفظ ، فتقول : عندي احد عشر دينارا عباسيا ، وخمسون دينارا عباسية ، وخمسون درهما فاطمية ، ونحو قتل اليهود في احدى جرائمهم اربعين مواطنا عربيا على اللفظ وأربعين مواطنا عربا مراعيا المعنى ، وأسر العراقيون سبعة عشر ضابطا وثمانين جنديا ايرانيا على مراعاة اللفظ ، أو سبعة عشر ضابطا وثمانين جنديا ايرانيين على المعنى وانضم الى صفوف المجاهدين الافغان ستة عشر ضابطا وتسعون جنديا افغانيا مراعيا اللفظ أو ستة عشر ضابطا وتسعون جنديا افغانيون على مراعاة المعنى .

اما تمييز غير المركب والعقود : من المفرد المضاف ، المائة والألف ، والثلاثة والتسعة واخواتهما والمعطوف واحد وعشرين وتسعة وتسعين ومابينهما فلايجوز في نعته الا مراعاة اللفظ فقط ، ويمتنع مراعاة المعنى ، فتقول : حضر الموقعة مائة فارس صنديد ، وألف جندي شجاع ، ويمتنع ان تقول مائة فارس صناديد ، والف جندي شجعان ..

وبقليل من التامل والتدبر يتبين انه ليس ثم فرق ظاهر بين العدد المعطوف والفاظ العقود بالنسبة لنعت تمييز كل منهما ، فان تمييزهما واحد في نوعه ، فهو مع كليهما مفرد نكرة منصوب ثم ان العدد المعطوف مكون من العقد نفسه معطوفا والنيف معطوفا عليه ، وذكر النيف مع العقد معطوفا عليه ومعطوفا لايمنع مشاركة المعطوف العقد المفرد في حكمه من حيث نعت تمييزه .

ولهذا فانه لامانع البتة من مراعاة المعنى ، ومراعاة اللفظ في نعت تمييز العدد المعطوف تماما كما يجوز مراعاة ذلك مع تمييز العقود المفردة ، فتقول : هبط من الطائرة خمسة وسبعون راكبا سعوديا مراعاة للفظ ، أو خمسة وسبعون راكبا سعوديون مراعيا المعنى ، ونحو رحل على الباخرة أربعة وثمانون سائحا صينيا على اللفظ ، أو أربعة وثمانون سائحا صينيون على المعنى ومثل : يعمل في المصحة سبع وثلاثون ممرضة ماهرة .

او سبع وثلاثون ممرضة ماهرات مراعيا المعنى ومثل يسبح في البحيرة تسع وستون بطة سمينة او تسع وستون بطة سمينات على المعنى ومن ذلك قول عنترة العبسى :

فيها اثنتان واربعون حلوبة
سودا كخافية الغراب الاسحم

فاثنتان|واربعون في البيت عدد معطوف كما ترى .

وحلوبة تمييز له . وهو مفرد نكرة منصوب . وسودا نعت . وهو جمع سوداء مراعاة للمعنى . ولو راعى اللفظ لقال : فيها اثنتان واربعون حلوبة سوداء وايضا قول احد العلماء في تحديد نصاب زكاة الحب :

ان الاوسق الخمسة التى هى نصاب زكاة (ثمار الزرع الف وستمائة رطل بغدادية يكون بغدادية فيه مرفوعا نعتا لالف وستمائة على المعنى .

وهل بقية التوابع مثل النعت في ذلك ؟

وعلى أنها مثله يجوز ان يكون (اسباطا في الاية الكريمة (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما بدلا من التمييز المحذوف ، وهو (فرقة على المعنى .

أحمد حسن عواض هلالي

ابن هَرْمَة والاحتجاج بالشعر

سمعنا من شيوخنا في الأزهر أن آخر من يحتج بشعرهم من الشعراء « ابن هَرْمة » ومن جاء بعده من الشعراء يسمون « المولدين » لايحتج بشعرهم في اللغة ومسائل الاعراب ، وعلى ذلك يكون ابن هرمة هو الحد الفاصل بين شعراء العرب الفصحاء والمحدثين أو المولدين ، ولكن الجاحظ يقول : « والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي والسيد الحميدى وأبو العتاهية وابن عيينة » .

ويقول في موضع آخر : « ولم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة ».

وهذا الكلام يوهم بأن بشارا وابن هرمة لايحتج بشعرهما لأنهما من المولدين ، ولا أعتقد أن الجاحظ أراد ذلك ، لأنه كان بصدد الحديث عن البديع أى التعبير المبتكر .

وشارح ديوان الحماسة لأبى تمام (التبريزى يقرر أن أخر من يحتج بقولهم من الشعراء ابن هرمة .

قال الأصمعى : ساقة الشعراء : ابن ميّادة وابن هرمة ورؤبة ، وكان ابن هرمة من مخضرمى الدولتين ـ يعنى الأموية والعباسية ـ مدح الوليدين يزيد الأموى ، ثم أبا جعفر المنصور . وساقة (١) الشعراء اخر من يحتج بشعرهم .

الرأى المختار

وأنا أميل الى الأخذ بهذا الرأى الذى جاء بشرح ديوان الحماسة ، والذى سمعناه من شيوخنا في الأزهر وهو أن ابن هرمة أخر من يحتج بقولهم وشعرهم من الشعراء ، ويجىء في المرتبة الأولى ابن هرمة بالنسبة لمن عاصروه من المخضرمين ، ويفضل على بشار ، لأنه عربى قح ، ولأنه كان ملتزما في قوافيه بالمعجم العربى ، ولأنه ولد في المدينة مركز العلم والأدب في ذلك الزمان ونشأ بها ودفن في البقيع ، ولأن بشارا كان يتصرف في ألفاظ اللغة وقد يضع في قوافيه لفظا لم تعرفه العرب ، فاذا سئل عن ذلك اللفظ قال هو شىء عندى لاتعرفونه .

لهذا كله كان من مقاصدى في هذا المقال الكشف عن ابن هرمة وعن شعره وطابع العمود الشعرى في قصائده ..

فمن ابن هرمة ؟ وماموضع شعره من الاحتجاج ؟

سأحاول الاجابة عن هذين السؤالين

(١) ساقة الجيش مؤخرة وساقة الشعراء من جاءوا مؤخرا

للأستاذ السيد حسن قرون

بالحديث عنه :

الشاعر والنسب

ابن هرمة هو ابراهيم بن على بن سلمة بن عامر بن هرمة ينتهى نسبه الى (قيس بن الحارث بن فهر) والى فهر ينتهى نسب قريش .

وقيل:أنهم ينتهون الى النضر بن كنانة ..

وأبناء قيس بن الحارث يقال لهم (الخلج) لم يسكنوا مكة كسائر بطون قريش وجماهيرها ، وانما كانوا في قبيلة (عَدْوان) ثم انتقلوا عنهم الى بنى نصر من هوازن ، ومعنى هذا أن عِدادهم في قبائل قيس عبلان بن مضر لا في عداد قريش ، ولكنهم مع ذلك يحتفظون بنسبهم القرشى ، فلما أفضت الخلافة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتوه ليفرض لهم في ديوان قريش ، فأنكر نسبهم ، فلما استخلف عثمان رضى الله عنه أتوه فأثبتهم في بنى الحارث بن فهر ، وجعل لهم ديوانا وصاروا من قريش ..

وانما سموا الخلج لأنهم اختلجوا أى مالوا ممن كان معهم من عدوان وبنى نصر من هوازن الى منازلهم بالمدينة .

وأهل المدينة يقولون : انما سموا الخلج لأنهم نزلوا بالمدينة على خلج (١) فسموا بذلك .

ولامشاحة في ان الرأى الاول أبين ، لانهم فارقوا قبائل قيس ونزلوا المدينة فكأنهم

(١) الخلج جمع خليج والخليج من البحر شرم منه أو النهر .

الخليج من البحر أو النهر .

وبنو الحارث بن فهر لهم مكانتهم في مكة قبل الاسلام وبعده ، فيهم سهيل بن البيضاء صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذو الهجرتين الى الحبشة ثم الى المدينة ومنهم أبو عبيدة بن الجراح أمير الشام على عهد عمر وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، والحارث بن فهر جدهم وقف في وجه تبع حين غزا مكة وأسره وأبقاه عنده ثلاث سنوات ، والحارث أخو غالب بن فهر جد النبى صلى الله عليه وسلم .

موقفهم من ابن هرمة

ومن العجيب في أمر الخلج أنهم بعد أن ألحقوا بقريش نفوا نسب ابن هرمة فيهم وهم الذين ركبوا الصعب من الأمور حتى بلغوا النسب المنشود ، فقال ابن هرمة يخاطبهم :

أحار بن فهر كيف تطرحوننى
وجاء العدا من غيركم تبتغى نصرى !
وحار مرخم منادى حارث أبو القبيلة ،

وبهذا صار من ولد فهر من ساعته كما يقول أبو الفرج الأصفهانى في كتابه « الأغانى » ..

ابن هرمة والإحتجاج بالشعر

قريش في قبائل أخر :

وأبو بكر الصديق رضى الله عنه أعلن في خطبته يوم السقيفة أن قريشا « هم أوسط العرب نسبا ودارا » ومع ذلك فقد أصابها ما أصاب غيرها من قبائل العرب ، فدخل بعض بنيها في فصائل من غيرها ، ولذلك كان لقصى جهده المحمود في جمع قريش من القبائل ، جمعهم وأسكنهم مكة وقسمها لهم ارباعا وأعاد اليهم ولاية البيت فسمى مجمعا . فبقى بعضهم في قبائل قيس او ربيعة أو غيرهما .

وانظر معى الى أبناء لؤى بن فهر وهم اربعة على رأى فنراهم : كعب بن لؤى ، وعامر بن لؤى ، وسامة بن لؤى ، وعوف بن لؤى ، ونجد في كتب السيرة الحديث المعتاد عن كعب وعامر ولانجد ذكرا لسامة ولا لعوف . فأين ذهبا ؟

قال ابن اسحاق : فأما سامة بن لؤى فخرج الى عمان ولم يعد ـ كما نقول اليوم ـ ويزعمون أن عامر بن لؤى أخرجه ؟

وذلك أنه كان بينهما شىء ، ففقأ سامة عين عامر فنزل عمان ومات من نهشة حية وله عقب ، وقد وفد بعض ولده على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب الى سامة بن لؤى فقال رسول الله : « الشاعر » ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يارسول الله أردت قوله :

رب كأس هرقت (١) يابن لؤى
حذر الموت لم تكن مهراقة

والبيت من قصيدة يرثى بها نفسه حين نهشته الحية ومنها قوله :

ان تكن في عمان دارى فانى
غالبى خرجت من غير فاقه (٢)

فهو من غالب ابن فهر ،

ولكنهم لم يعلنوا نسبهم كما فعل بنو قيس بن الحارث (الخلج) الذين ألحوا على عمر وعثمان حتى نالوا ما أملوا . فاذا تركنا سامة وماجرى له . فاننا نجد إبنا اخر للؤى فارق قومه وهو (عوف بن لؤى فابناؤه في ذبيان وغطفان بوجه عام في أعلى نسب قيس بن عيلان ..

وكيف ذلك ؟

قال الرواة : ان عوف بن لؤى خرج في ركب من قريش حتى اذا كان بأرض غطفان ابطىء به ، فانطلق من كان معه من قومه وتركوه ، فاتاه (ثعلبة بن سعد بن ذبيان) فاظهر له الود وأخاه وأخذه معه وزوجه والحقه بنسبه فانجب ولدا هو (مُرّة) فهو في نسب غطفان (مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان) لامرة بن عوف بن لؤى ، ويفضلون النسب الذبيانى على النسب القرشى ، ولوضوح نسبهم عند قريش يروون أن عمر ابن الخطاب قال : لو كنت مدعيا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادعيت بنى (مرة بن عوف) انا لنعرف منهم الأشباه مع مانعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعنى عوف بن لؤى وقد عظم بنوه في ذبيان وغطفان وصاروا من سادتهم وذوى الرأى فيها ، والذين درسوا الحروب بين عبس وذبيان يذكرون موقف هرم بن سنان والحارث بن عوف منها ، وأنهما تحملا ديات

(١) هرقت : صببت

(٢) فاقة : فقد

القتلى وأصلحا بين القبيلتين، فمدحهما الشاعر زهير بن أبى سلمى:
من ذلك قوله:

يمينا لنعم السيدان وجدتما
على كل حال من سحيل ومبرم (١)
تداركتما عبسا وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم (٢)

والممدوحان من أبناء مرة بن عوف، والحارث بن عوف عاش وكان أحد قواد جيش الأحزاب أو غزوة الخندق.

ومن أشراف بنى مرة بن عوف خارجة ابن سنان، والحصين بن الحمام الفارس الشاعر، وهاشم بن حرملة الذى قال فيه الشاعر.

ترى الملوك عنده مغربلة (٣)
يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له

وقد أجزل العطاء للشاعر على قوله: «يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له» لأنه وصفه بالعزة والمنعة.

قال ابن اسحاق عنهم: قوم لهم صيت وذكر في غطفان وقيس كلها فأقاموا على نسبهم وفيهم كان «الْبُسْلُ»..

وَالْبُسْلُ نسيئهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب، أى أنه لايحاربهم أحد في الأشهر الثمانية وغيرهم لهم أربعة حرم، قد عرفت ذلك لهم العرب لاينكرونه ولايدفعونه يسيرون به الى أى بلاد العرب شاءوا، فالبسل يعنى أن قتالهم حرام. ومع هذا فهم في أنفسهم قرشيون. يقول الحصين ابن الحمام:

أبونا كنانى بمكة قبره
بمعتلج (٤) البطحاء بين الأخاشب (٥)
لنا الربع من بيت الحرام وراثة
وربع البطاح عند دار ابن حاطب

والشعر يفيد أن بنى لؤى أربعة ذكرناهم آنفا، والشاعر يمثل الربع في الميراث، وهو كلام شاعر لا يثبت ميراثا ولايعطى حقا ولولا قصى لكانت بطون قريش موزعة شأنها شأن سامة بن لؤى وعوف بن لؤى.

قصى لعمرى كان يدعى مجمعا
به جمع الله القبائل من فهر

متاعب القبيلة

فالخلج رهط ابن هرمة ليسوا بدعا فيما حدث قبل الاسلام لبعض ولد فهر من الدخول في أنساب غيرهم، على أنهم بعد أن حصلوا على النسب القرشى كانت العرب تعاملهم معاملة أدعياء قريش وقد لقى ابن هرمة نصبا، قومه أدعياء وهو دعى فيهم.

ويحكى صاحب الأغانى حكاية تؤيد متاعب القبيلة وشاعرها. يقول:

حكى عبد الله بن عبيدة (من ولد عمار ابن ياسر) قال: زرت عبد الله بن حسن (العلوى) بباديته وزاره ابن هرمة، فجاء رجل من أسلم، فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن - أصلحك الله - اسأل الأسلمى أن يأذن لى أن أخبرك خبرى وخبره فقال عبد الله ابن حسن للأسلمى: ايذن له، فأذن له الاسلمى. فقال ابن هرمة:

---

(١) السميل والمبرم: الضعيف القتل والقوى المحكم
(٢) منشم: عطارة يتشاءم بها (٣) المراد محطمة بفتكه

(٤) معتلج البطحاء: مكان اندفاع السيول.
الأخاشيب: جبال مكة والمفرد اخشب
(٥) بيت الحرام: الكعبة

ابن هرمة والاحتجاج بالشعر

أني خرجت ـ أصلحك الله ـ أطلبُ ذَوْدًا لى (الذَّوْدُ من الابل من الثلاث الى التسع) فاوحشت (جعت ونفذ رادى) وضفت هذا الأسلمى فذبح لى شاه وخبز لى خبزا وأكرمنى . ثم غدوت من عنده فأقمت ماشاء الله ، ثم خرجت في طلب ذود لى فاوحشت وقلت لوضفت الأسلمى ، فملت اليه فجاءنى بتمرولبن، ثم خرجت بعد ذلك فقلت : لوضفت (١) الأسلمى فاللبن والتمر خير من الطوى فضفته فجاءنى بلبن حامض . فلما انتهى من كلامه قال الأسلمى : قد أجبته ـ أصلحك الله ـ الى ماسأل فسله أن يأذن لى أن أخبرك لم فعلته ؟ فقال لابن هرمة : ايذن له فأذن له . فقال الأسلمى :

ضافنى فسألته من هو ؟ فقال رجل من قريش ، فذبحت له الشاة التى ذكرها ، والله لو كان لى غيرها لذبحتها له حين ذكر أنه من قريش . ثم غدا من عندى وغدا على الحى وقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ فقلت رجل من قريش ، فقالوا : ليس هذا من قريش ولكنه دعى فيها ، ثم ضافنى الثانية على أنه دعى قريش فجئته بلبن وتمر وقلت دعى قريش خير من غيره ثم غدا من عندى وغدا الحى على فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ فقلت الرجل الذى زعمتم أنه دعى قريش ، فقالوا : لا والله ماهو دعى في قريش ، ولكنه دعى أذعياء قريش ، ثم جاء في الثالثة فقريته لبنا حامضا والله لو كان شر منه عندى لقريته اياه . فانخزل ابن هرمة وخجل وضحك عبد الله وضحكنا معه .

وهذه الحكاية تبين عن أمرين : مكانة قريش في ذلك الزمان ، زمان بنى أمية والأمر الآخر جفاء الأعراب الذين يتمسكون بالأنساب ، ويجعلون قرى الضيف على مقدار النسب والحسب .

ومامن شك في أن ابن هرمة وقومه من قريش ولكن الظروف عبثت بهم فلم يكونوا مع قومهم حين احتلوا مكة وأخرجوا خزاعة منها وقد يكونون قدوجدوا في القبائل الأخرى مرتعا سائغا ومكانا خصبا ، وأن ثراء قريش يعد طارئا على يد هاشم بن عبد مناف . ثم عظمت قريش بالاسلام فلاغرو أن يصحو النائم عن نسبه فيعود اليه ملحفا وقد فعلتها الخلج وأجيب طلبها .

وأغلب الظن أن الخلافة لو لم تبلغ عثمان ابن عفان رضى الله عنه مانسب الخلج الى قريش ، ذلك أن عثمان وبنى أمية عامة يرون في الكثرة العزة وفي القلة الذلة ويتسامحون في هذا الأمر ، وأكبر دليل على ذلك الحاق معاوية زيادا بنسب أبى سفيان وفي الجاهلية ألحق أمية عمرا به . هكذا تقول الرواية .

ويرى بعض المؤرخين أن قريشا في الجاهلية كانت قبيلة منقرضة ، وقد أكثروا من الحلف بمن يقدم عليهم ، وانظر الى حلف بنى عدى وبنى عبد مناف ، وقصة سورة « التكاثر » وقد تجد في بطونها تحديد النسل دون قصد ، ففهر له ولدان : الحارث وغالب ، وكعب بن لؤى له ابناء ثلاثة : مرة ، وعدى ، وهصيص ، وكلاب له ولدان : زهرة وقصى ، ولا أريد أن أستقصى ، فيكفى ماذكرت ومن ثَمَّ شاع منهم التبنى .

(١) ضفت الاسلمى : نزلت عليه ضيفا .

ونرجع الى ابن هرمة ..

فقد استقرت قبيلته حين حصلت على نسب قريش في المدينة وليست مهاجرة ، وولد ابراهيم بن هرمة فيها ، وقد أفادته ولادته في مدينة النور فتعلم وتثقف وكانت له موهبة في الشعر فاتخذه وسائله في طلب الرزق وقد ورث الشعراء هذه العادة منذ نهضة الشعر الجاهلى على يد فحوله مثل زهير والنابغة والأعشى كمن اتخذوا الشعر وسائلهم للتكسب به فنهجوا نهجا أزرى بالشعر وحط من مكانته ، ولكنه صار ديوان العرب تعرف به حياتهم وعاداتهم ونظرتهم نحو الجمال والقبح والكرم والدناءة والمجادة والوضاعة والشجاعة والجبن والسخاء والبخل الى اخر الشمائل والسجايا كما تعرف منه أساطيرهم وأكاذيبهم .

صناعة ابن هرمة

ولا اعرف لابن هرمة صناعة غير الشعر ، وفي زمن بنى أمية كان الثراء كبيرا وعشاق الشعر كثيرين يطلبونه ليخلد ذكراهم ويسجل ماثرهم ويتحدث عن مفاخرهم وقد استجاب ابن هرمة لهواياتهم ، ويكاد ابن هرمة أن يقصر شعره على القرشيين من الموظفين أو أرباب الأموال الطائلة ، أما غيرهم فلا أعرف له الا مدح بعض الأمراء ، وان كان نسبه غير واضح عند غيره فعنده هو أوضح من الشمس في رابعة النهار ..

مدح من القرشيين ابراهيم بن عبد الله ابن مطيع العدوى ، وابراهيم بن طلحة التيمى وابن معمر الجمحى ولم يكونوا ولاة ولاقوادا ومدح من الأمراء عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك حين كان والى المدينة ، ومدح الخليفة المقتول الوليدبن يزيد بن عبد الملك ولم يكن يقرض الشعر للشعر الا نادرا وقد روى له أبو تمام في الحماسة أربعة أبيات بيتين بيتين منهما بيتان ينصح بالحفاظ على مجارى الدمع ، والاخران يصف نفسه بالكرم وفيهما حكمة وهما :

أغشى الطريق بقبتى ورواقها
وأحل في نشز الربا فأقيم (١)
ان امرا جعل الطريق لبيته
طُنُبًا وأنكر حقه للئيم (٢)

ومعناهما : انه يضرب قبته على الطريق ويقيم في الأمكنة العالية : وأن من يتخذ الطريق موضعا يضرب به خيمته ولايؤدى حق ذلك الطريق من القرى وبشر الوجه يوصم باللؤم .

وكان سريع الهجاء اذا لم ينل مايريده من ممدوحه ، وعرف عن ذلك فكان الرجل المنظور اليه لماله وجاهه اذا علم منه حديثا عنه أسرع الى سوق الاحمال اليه ، وممن نال هجاؤه (معاوية بن عبد الله بن جعفر) لأنه قصر عن مطالبه ويوم قصر معاوية معه كان في فاقة وإملاق الى درجة الاقتراض ، وصادف يوم قدوم ابن هرمة عليه أنه اقترض خمسين دينارا ، وإذا بابن هرمة يرسل مع جارية معاوية رقعة يطلب فيها مالا ، وقرأ معاوية الرسالة فكان رده الاعتذار ورجعت الرقعة وفيها الاعتذار فما كان من ابن هرمة الا أن كتب على الرقعة شعرا وناوله الجارية ، فدفعتها الى معاوية واذا بها :

---

(١) الرواق ما يكون حول القبة والنشز المكان المرتفع وكذلك الربوه والجمع الربا

(٢) طنبا على حذف مضاف اى موضع طنب والطنب حبل البيت

ابن هرمة والإحتجاج بالشعر

فإنى ومدحك غير المصيب
كالكلب ينبح ضوء القمر
مدحتك أرجو لديك الثواب
فكنت كعاصر جنب الحجر

فلما قرأها معاوية قال للجارية : خذى هذه الدنانير فادفعيها اليه ، فلما قدمت اليه الدنانير . قال : كلا أليس زعم أنه لا يدفع الى شيئا ؟

وهذا الخبر يدل على قسوة الشاعر وبعده عن معرفة أخبار معاوية بن عبد الله ، فكرم أبيه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب لم يترك له مالا ، ولئن أساء الى معاوية فقد كان مع ابنه عبد الله أرق شعورا وألطف طلبا ، زاره فوجد غرماء عبد الله قد ملاوا داره يطالبون بديون عليه ، فولى ابن هرمة وجهه نحو الباب ليرجع ولمحه عبد الله فناداه وأدخله وأبى الا أن ينشده شعرا ، وبدل أن يسدد الديون اقترض من جديد ليجزل العطاء للشاعر وقد فعل فقال ابن هرمة قصيدة جيدة منها :

حللت محل القلب من آل هاشم
فعشك مأوى بيضها المتفلق
ترى الخير يجرى في أسرة وجهه
كما لألأت في السيف جرية رونق
كريم اذا ماشاء عدله أبا
له نسب فوق السماك (١) المحلق
وأما لها فضل على كل حرة
حتى ماتسابق بابنها اليوم تسبق
وأم عبد الله هذا (أم عون بنت

(١) السماك : نجم يضرب به المثل فى العلو

العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ؛ فقد ولده عبد المطلب مرتين : مرة من جهة أبيه ومرة من جهة أمه ، وهكذا كان يفخر بنو عبد المطلب بن هاشم ، والشاعر عبر عن ذلك بشعره ، فذكر الأب والأم ونجابة الابن . وهذا الممدوح ثار على بنى أمية وامتلك أقاليم من الدولة ، ثم دارت عليه الدائرة فهرب الى خراسان وقد ظهر أبو مسلم الخراسانى صاحب دعوة بنى العباس فقبض عليه ثم سمه وهو في سجنه خوفا من لسانه أن يفسد عليه جنده ، وكان عبد الله شاعرا له شعر يروى ويحفظ . ولو أتاه وهو في سلطانه لنال منه خيرا كثيرا .

عهد الشاعر وشىء من طبعه

وحين ولى المدينة عبد الواحد بن سليمان أكثر من مديحه ، فاخذ عبد الواحد عليه العهد ألا يمدح غيره ، ولكن الدهر قلب عزل عبد الواحد ورحل الى دمشق ، وحل محله وال جديد من بنى الحارث بن كعب فطمع ابن هرمة في نواله فمدحه .

ثم قدم عبد الواحد الى المدينة من الشام فعرف صنيعه ، فاختفى ابن هرمة أياما ، ثم رام الدخول عليه فمنع فاستشفع بكل وجيه في المدينة أن يعيده الى عبد الواحد فينال رضاه فلم يجبه أحد .

يقول ابن هرمة : فلما أعوزتنى الحيلة أتيت عبد الله بن حسن (العلوى) فقلت يابن رسول الله ان هذا الرجل قد أكرمنى واخذ على ألا أمدح أحدا غيره ، ثم دعانى الشره والنكد الى أن مدحت الوالى الجديد . وقصصت عليه قصتى وسألته أن يشفع لى ، فركب معى ، فأخبرنى الواقف على رأس عبد الأحد أن عبد الله حين دخل قام

عبد الواحد فعانقه وأجلسه الى جنبه ثم قال : أحاجة غدت بك ـ أصلحك الله ؟ ـ قال : نعم . قال : كل حاجة مقضية الا ابن هرمة . قال : ان رأيت ألا تستثنى في حاجتى فافعل . قال : قد فعلت . قال : فحاجتى ابن هرمة قال : قد رضيت عنه واعدته الى منزلته . قال : فتأذن له في الانشاد . قال : فتعفينى من هذه . قال : أسألك أن تفعل . قال : أئتوا به . فدخلت وأنشدت قولى فيه :

وجدنا غالـــبا كانـــت جـــناحا
وكان أبوك قادمة الـــجـــناح

فما ان سمع عبد الله بن حسن هذا البيت حتى استشاط غضبا ، وترك المجلس وخرج محنقا . يقول ابن هرمة وأوجزت فى الانشاد ، ثم لحقته فقلت : جزاك الله خيرا يابن رسول الله . قال : لا جزاك الله خيرا ياكذا (كلمة شتم) اتقول لابن مروان : « وكان أبوك قادمة الجناح » بحضرتى وأنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن على بن أبى طالب ؟

فقلت : جعلنى الله فداءك . ألم تسمعنى قد قلت : « وبعض القول يذهب بالرياح » فضحك عبد الله وقال : قاتلك الله أظرفك !

غضب عبد الله بن حسن أن يكون أبو عبد الواحد قادمة الجناح ، ولم يفطن الشاعر الى ما بين أمية وهاشم من المنافسة على الشرف ، ويرى عبد الله ونحن معه أنه أشرف نسبا من مروان وأبنائه ، ولم ينظر الى منطق الشاعر ، فقد سوى بينه وبين عبد الله وعبد الواحد معا فهما من غالب ابن فهر، والشاعر صير غالبا جناحا ، والطائر له جناحان فأين الجناح الآخر ؟

والمعنى هنا ليس فى بطن الشاعر بل فى لسانه ، الجناح الاخر « الحارث بن فهر » وهو الجد الأعلى للشاعر بعد أن ألحقت قبيلته به وصارت من قريش ، ولا أظن أن هذا المعنى غاب عن عبد الله بن حسن ، ولكن همه اتجه الى نظيره من بنى أمية ، وعبد الواحد أمير ابن خليفة وهو سليمان وسليمان بن عبد الملك خليفة ابن خليفة والجد مروان خليفة فهو من الرياسة الدنيوية بمكان عظيم ، ولهذه القصيدة عقابيل سأذكرها فيما بعد .

وانتهى حكم بنى أمية وسقطت دولتهم وقامت دولة بنى العباس ، وكانت الشعوب الاسلامية شرقا وغربا تنتظر سقوط نجمهم ومن العرب من ساندوا بنى العباس فى الوصول الى الحكم : اليمن وربيعة ، ولكن المثقفين فى هذا العهد كانت ميولهم أن يحل محل بنى أمية العلويون ، ومن المثقفين ابن هرمة ، وكانت حوله العيون ترصد تحركاته ، والشاعر لا قدرة له على حبس لسانه فقال :

ومـــهـــما ألام عـــلى حـــبـــهـــم
فانى أحـــب بـــنى فاطـــمة
بنى بنت من جاء بالمحكما
ت والديـــن والـــسنة الـقـائـمة

وسئل عن قائلهما ، فقال : قائلهما من « كذا أمه » فقال له ابنه : يأبت ألست قائلهما ؟ قال : بلى ، قال : فلم شتمت نفسك ؟ فقال : أليس أن يشتم المرء نفسه خيرا من أن يأخذه ابن قحطبة ؟ وابن قحطبة صاحب الشرطة يومئذ .

ابن هرمة والشراب :

واذا كان ابن هرمة قد نجا من مهالك السياسة فانه لم ينج من مزالق نفسه الأمارة

ابن هرمة والاحتجاج بالشعر

بسوء فقد كان مولعا بالشراب الى حد التخبط فى الطرقات ، وحكى عنه أنه مرّ على جيرانه وهو مترنح من السكر فدخل منزله فلما كان من الغد دخلوا عليه يعاتبونه على الحال التى كان عليها حين مر عليهم فقال لهم : أنا فى طلب مثلها منذ دهر ، أما سمعتم قولى :

أسأل الله سكرة قبل موتى
وصياح الصبيان ياسكران ؟

فنفضوا ايديهم منه وخرجوا .

لم يعاتبه أحد من بنى أمية على السكر . فقد كان بعضهم مثله ، ومنهم الوليد بن يزيد الخليفة ، نجا من العقاب واقامة الحد عليه ، ولكن جاء العباسيون وهم لا يرضون أن يعطل حد من حدود الله ، فكان أن وقع وهو سكران فى يد شرطة زياد بن عبد الله الحارثى والى المدينة من قبل أبى العباس السفاح الخليفة الأول لبنى العباس ، فما كان من الوالى الا أن أقام عليه الحد وجلده .

وقام أبو جعفر المنصور بأمر الخلافة بعد أخيه السفاح ، ورحل الشاعر اليه يمدحه ، ومدحه بشعر بليغ فوصله بعشرة آلاف درهم ، فاستقلها ، فقال له المنصور : ويحك ، انها كثيرة ، وكان أبو جعفر بخيلا بمال الدولة فقال له الشاعر : ان أردت أن تهنئنى فأبح لى الشراب فانى مغرم به . فقال : ويحك ، هذا حد من حدود الله . فقال ابن هرمة : احتل لى . قال : نعم ، فكتب الى والى المدينة : من أتاك يابن هرمة سكران فاضربه مائة سوط واضرب ابن هرمة ثمانين فجعل الجلواز (الشرطى) اذا مر بابن هرمة وهو سكران يقول : من يشترى الثمانين بالمائة ؟ فلا يعرض له أحد .

ولكن الامر لم يدم له فقد ولى المدينة للمنصور : (الحسن بن زيد العلوى فاستدعاه وقال له : انى لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك ، فقد أفادنى الله بولادة نبيه المادح وجنبنى المنابح ، وان من حقه على ألا أغضى على تقصير فى حقه ، وأنا أقسم بالله لئن اتِيتُ بك سكران لأضربتك حدين : حدا للخمر وحدا للسكر ، ولأزيدن لموضع حرمتك بى ، فليكن تركك لها لله تُعَنْ عليه ولا تدعها للناس فتوكل اليهم ، فنهض ابن هرمة وهو يقول :

نهانى ابن الرسول عن المدام
وأدبنى بآداب الكرام
وقال لى اصطبر عنها ودعها
لخوف الله لا خوف الأنام
وكيف تصبرى عنها وحبى
لها حب تمكن فى عظامى
أرى طيب الحلال على خبثا
وطيب العيش فى خبث الحرام

واغلب الظن أنه كف عنها وتاب خوفا من ابن زيد والمرء قد يثاب رغم أنفه ، ولا أدرى ما الذى دفعه ليقع فى هذا الاثم ؟ يظهر من حاله أنه لم يكن ذا ثراء ، ولم تذكر كتب التراث شيئا عن بيئته وموقف والده من الحلال والحرام ، وبيئة المدينة لم تكن صالحة للفساد ، وقد يكون لاتصاله بالوليد بن يزيد أثر فيما وصل اليه ، وقد يكون لضعف الوازع الدينى عند ولاة المدينة على العهد الأموى ما شجعه على غشيان مباءة السوء فى -

الحواضر التى ذهب اليها .

أهله وولده :

ومن مجريات حياته نعرف أن له ابنا يسمى اسحاق كان يكنى به وظنى فيه أنه الذى سأله عن شتم نفسه حين سئل عن شعره الشيعى ، وله بنت عرفناها وعرفنا اسمها حين عيب عليه أن يمدح غلاما حديث السن هو أبو الحكم المطلب بن عبد الله فقال :

كانت « عيينة » فينا وهى عاطلة
بين الجوارى فحلاها أبو الحكم
فمن لحانا(١) على حسن المقال له
كان المليم وكنا نحن لم نلم

اسمها عيينة ، وابو الحكم جلاها فهو يستحق الثناء ومن لامه على ذلك كان الذى فعل مايلام عليه ، والمليم كلمة قرآنية أحسن وضعها فى مكانها ، ففى القرآن الكريم فى الحديث عن يونس عليه السلام : « فالتقمه الحوت وهو مليم » ١٤٢ ـ الصافات .

أما زوجه وأم أولاده فهى ابنة عمه ، عرفناها حين ضاقت عليها الحياة ومسها لاذع الفقر فأغرته بالذهاب الى دمشق حيث الأمير عبد الواحد بن سليمان ليجد عنده المال ، واستجاب لها فأغدق عليه عبد الواحد المال والثياب .

تنكره لبعض ماضيه :

وقد قصّ قصة رحيله الى عبد الواحد حين سأله عبد الله بن ابراهيم الجمحى :
أتمدح عبد الواحد بن سليمان بشعر ما مدحت به أحدا غيره فتقول فيه :

وجدنا غالبا كانت جناحا
وكان أبوك قادمة الجناح

(١) لحانا : لامنا .

أعبد الواحد المحمود انى
أغص حذار سخطك بالقراح «١»

وهذه القصيدة من فاخر الكلام ـ كما يقول صاحب الأغانى ـ وقد جعل المنصور وكده أن يعاقب عليها الشاعر ان أنشدها وقد مرت عليها سنون ، يقول أبو الفرج :

وجه المنصور رسولا قاصدا الى ابن هرمة ودفع اليه ألف دينار وخلعة ووصفه له وقال له : امض اليه فانك تراه فى مجلس كذا ـ بمسجد الرسول بالمدينة ـ فانتسب له الى بنى أمية ومواليهم واسأله أن ينشدك قصيدته الحائية التى يمدح بها عبد الواحد ابن سليمان :

وجدنا غالبا كانت جناحا
وكان أبوك قادمة الجناح

فان أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه ، وجئنى برأسه ، وان أنشدك قصيدتى اللامية التى يمدحنى فيها فادفع اليه ألف الدينار والخلعة ، وما أراه ينشدك غيرها ، ولا يعترف بالحائية . وأتاه الرجل فوجده كما وصف المنصور ، فجلس ، فاستنشده قصيدته فى عبد الواحد . فقال : ما قلت هذه القصيدة ولا أعرفها وانما نحلها اياى من يعادينى . ولكن ان شئت أنشدتك أحسن منها . قال : قد شئت فهات ، تانشده : « سرى ثوبة عنك الصبا المتخايل » حتى أتى على اخرها . ثم قال : هات ما أمرك به أمير المؤمنين أن تدفعه الى . فقال : أى شىء هو ياهذا ؟ فقال : دع عنك فو الله ما بعث بك الا ومعك مال وكسوة . فضحك الرسول وقال : صدقت لعمرى ودفع اليه الدنانير والخلعة قال راوى القصة محمد بن سليمان

(١) القُرَاح : الماء الصافى الذى لم يشبه شىء

ابن هرمة والاحتجاج بالشعر

ابن المنصور : ماسمعنا أعجب من حديثهما .

منزلته فى الشعر وشىء من ملامحه :

ونخلص من هذا الى ان ابن هرمة كانت منزلته فى الشعر عظيمة ، وأن لشعره وقعا على النفوس يرجوها ويخشاها الأمراء والخلفاء ، وأنه يذكر وان غاب عن مجالسهم أو بعدت داره عن دورهم ، ويروى العقد الفريد قصة مماثلة تتصل بالتشيع فيها وصف له بأنه طويل القامة أسمر اللون كثير التلفت ، نكتفى برواية الأغانى التى سقناها سابقا .

والذين ارخوا لابن هرمة عنوا بطرائفه وملحه أكثر من العناية بالحديث عن ملامح شعره كما أنهم قصروا فى الكشف عن حياة أسرته الصغيرة ، على أنهم عنوا بنسبه وما قيل فيه ، ولكننا بتلك الطرائف التى جمعوها نستطيع أن نكون صورة لهذا الشاعر المجدود والمحدود معا ، بل نستطيع أن نعرف مذهبه فى السلوك الانسانى ، هاهوذا يمدح السرى بن عبد الله الهاشمى ، والسرى هذا من نسل العباسى بن عبد المطلب ، ولكن تعود المؤرخون أن ينسبوا كل من كان من غير ولد (محمد بن على بن عبد الله بن عباس) الى كلمة « الهاشمى » تمييزا لأبى الخلفاء عن غيره من فصيلته ، وكان السرى رضى الخلق سمح الطبع ميالا الى العدل ولى للمنصور مكة وكان عند مدح ابن هرمة له والى اليمامة ، وقصده ابن هرمة لدين لزمه فكان من مدحه :

نفى الظلم عن أهل اليمامة عدله
فعاشوا وزاح (١) الظلم عنهم وباطله
وناموا بامـــن بـــعد خوف وشدة
بـسـيرة عدل ما تـخاف غوائـلـه (٢)
وأنـت ترجى لـلذى أنـت أهـلـه
وتـنـفـع ذا الـقربى لديـك وسائـلـه

نرى فى هذا الشعر حب الشاعر للعدالة وتنويهه بها وحده به على المحكومين الذى لاقوا من السرى ما يملأ قلوبهم أمنا وحياتهم طمأنينة ، فأميرهم عدل وساهر على شئون الرعية ، يعطى القريب لقرابته والغريب لحاجته ، وهو رجل (٣) له وفاؤه وأريحته القرشية يعرف حق الطريق وواجب الضيافة ، ويعتذر ان أخطأ ، وفيه ذكاء محسوب عليه وفيه جبن دهمه به عصره عصر التغيرات العظيمة وما يلاحقها من الفاشية التى لا تفرق بين الأولياء والأعداء ، وكان المنصور رجلا مخيفا عنيفا يحرص على الملك أكثر من حرصه على حياته ، فلا ضير على الشاعر ان هجا نفسه لينجو من سيف الخليفة ومع ذلك يعد من حزب الشيعة عند المؤرخين .

وفاته :

عاش ابن هرمة على هذا المنهاج الذى فرضته عليه الحياة يمدح ويهجو ويغرق نفسه فى أم الكبائر الى قرب أجله فلما تاب على يد الحسن بن زيد واتته منيته .

ويروى أبو الفرج الأصفهانى وهو قرشى عن الزبير بن بكار وهو قرشى : قال أنشدنى عمى لابن هرمة :

---

(١) زاح : ذهب
(٢) غوائله : مصائبه
(٣) ابن هرمة

ما أظن الزمان يا ام عمرو
تاركا ان هلكت من يبكينى

فكان والله كذلك . لقد مات فأخبرنى من رأى جنازته ما يحملها الا أربعة نفر حتى دفن فى البقيع بالمدينة سنة ١٥٠ هـ فى خلافة أبى جعفر المنصور .

ملامح شعره :

وشعر ابن هرمة الذى يحتج به كثير ، وملامح هذا الشعر واضحة فهو واضح التعبير قريب الخيال فيه نوع من الابتكار الذى لا يبعده عن نهج فحول الشعراء ، وهو يميل الى التسلسل القصصى فى الأداء ، وترى مخايل الصحراء والبادية فى قوافيه كما ترى ذلك فى هجاء معاوية بن عبد الله « فى ضوء القمر » و « عصر الحجر » وفى جناح غالب وقاومته ومما يدل على تفوقه فى الشعر النادرة الاتية :

قال الربيع حاجب المنصور للمنصور : ان الشعراء ببابك وهم كثيرون ، طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم ، فقال : اخرج اليهم فاقرأ عليهم السلام وقل لهم : من مدحنى منكم فلا يصفنى بالأسد فانما هو كلب من الكلاب ، ولابالحية فانما هى دويبة منتنة تأكل التراب ، ولابالجبل فانما هو حجر أصم ولا بالبحر فانما هو غطامط لجب (١) ، ومن ليس فى شعره هذا فليدخل ، ومن كان فى شعره فلينصرف ، فانصرفوا كلهم الا ابراهيم ابن هرمة، فانه قال له : أنا له ياربيع فادخلنى ، فأدخله ، فلما مثل بين يديه . قال المنصور : ياربيع ، قد علمت أنه لا يجيبك أحد غيره . هات ياابن هرمة

(١) غطامط لجب : كثير الماء مصطخب .

فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

لــه لــحــظات عــن حــفافى سريره
اذا كرها فـــيـــها عذاب ونائـــل (٢)
لهم طينة بيضاء من آل هاشم
اذا اسود من كوم التراب القبائل
اذا ما أتى شيئا مضى كالذى أتى
وان قال : انى فاعل فهو فاعل

فقال المنصور : حسبك،ههنا بلغت ، هذا عين الشعر ، قد امرت لك بخمسة آلاف درهم ، يقول ابن هرمة فقمت اليه وقبلت رأسه وأطرافه ثم خرجت فلما كدت أن أخفى على عينيه سمعته يقول ياابراهيم ، فأقبلت اليه فزعا . فقلت : لبيك فداك أبى وأمى . قال : احتفظ بها فليس لك عندنا غيرها . فقلت : بأبى وأمى أنت ، أحفظها حتى أوافيك بها على الصراط بخاتم الجهبذ (٣) .

وانت تراه قد ارتجل الشعر أو هيأه لساعته ، شاعر له قدراته ، فما ان يتراءى له الموقف حتى يتفجر الشعر من لسانه ، كما رأينا هنا ، وكما رأيناه مع الحسن بن زيد العلوى حين نهاه عن المدام وكما رأيناه فى هجاء معاوية بن عبد الله .

اقرأ معى هذا الرثاء له فى انسان كريم ويقول :

(٢) النائل = عطاء
(٣) الجهبذ : الصراف

ابن هرمة
والاحتجاج بالشعر

لـلـه درك مـن فـتـى فـجـعـت بـه
يوم الـــبـقـيـــع حوادث الأيام
هـــشٌ اذا نزل الوفود بـــبـابـــه
ســهــل الــحــجاب مؤدب الــخدام
واذا رأيـــت صديـــقـــه وشـقـيــقــه
لــم تدر أيـــهـــمـا أخو الأرحام

والبيت الأخير هو موضع الاعجاب من الدارسين والنقاد . وهكذا مدح وهجا ورثى ووصف وتظرف وأمتع النفوس وهدى العقول ببعض حكمه . وما أجمل قوله فيمن يضع الشىء فى غير محله :

كـــتاركة بـــيــضـــها بالـــعراء
ومــلــحــفة بـيــض أخرى جـناحا

وفى النظر الى ما قدمنا من نماذج شعره نرى روح الشعر العربى الأصيل الذى عرفناه فى الشعر الجاهلى والشعر الاسلامى ، وكفا ذكرا أنه آخر من يحتج بشعره من الشعراء .

السيد حسن قرون

(١) المراجع
(١) البيان والتبيين للجاحظ
(٢) السيرة النبوية لابن هشام
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه
(٤) ديوان الحماسة لأبى تمام
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير
(٦) الكامل للمبرد
(٧) اعجام الأعلام للأستاذ محمود مصطفى

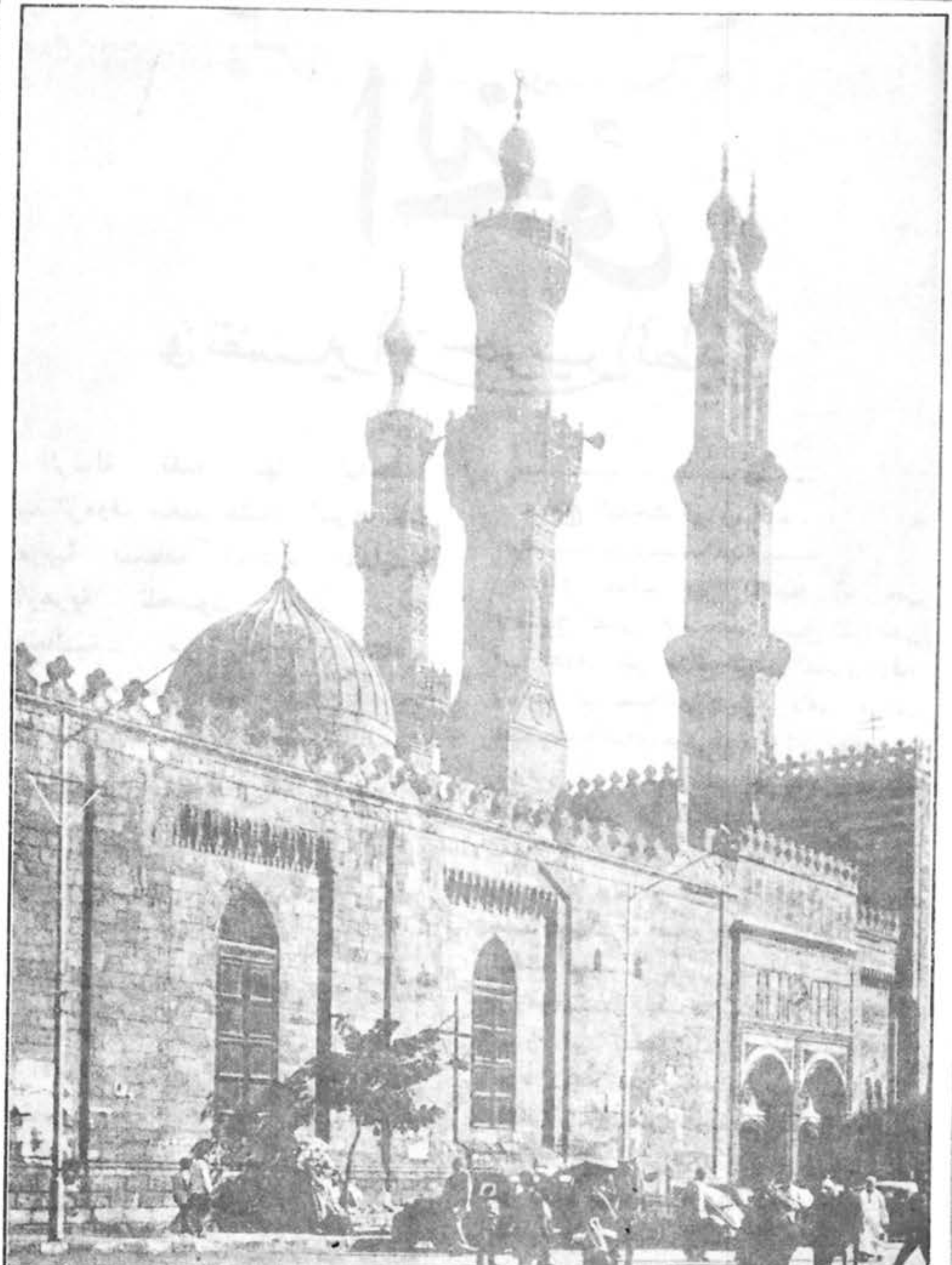

مع رسالة جامعية

النحو
فى تفسير ابن جرير الطبرى

الرسالة تقدم بها الباحث عبد الرءوف محمد عثمان الموجه للغة العربية بمنطقة القاهرة التعليمية الأزهرية للحصول على درجة « العالمية ـ من درجة أستاذ ـ الدكتوراه » من كلية اللغة العربية بالقاهرة نوقشت الرسالة صبيحة السبت ١٧ من ربيع الأول سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ١ من يناير سنة ١٩٨٣ م وكان أعضاء

لجنة المناقشة :

الأستاذ الدكتور ابراهيم عبد الرازق البسيونى

الأستاذ الدكتور مصطفى أحمد خليل النماس

الأستاذ الدكتور محمد يسرى زعير .

وبعد انتهاء المناقشة قررت اللجنة منح الطالب درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى .

منهج الباحث فى رسالته :

واءم الطالب بين المنهج التاريخي والمنهج الفنى . فاستخدم المنهج التاريخي فى الكشف عن حياة الامام الطبرى وقام بدراسة تاريخية وتحليلية لاهم جوانب شخصيته واهم ما تميزت به وكان موفقا كل التوفيق فى تحليله وفى تعليقه . واستخدم المنهج الفنى فى عرضه وتصنيفه وشرحه للمسائل والقضايا النحوية والصرفية وما يتعلق بهما من فن القراءات فى محاولة جادة لاستكشاف النحو التطبيقي عن طريق البحث الميدانى لِأَجَلِّ التفاسير واعظمها ألاَ وهو تفسير الطبرى المعروف بـ « جامع البيان فى تفسير القران » ذى الثلاثين جزءا . وقد بين الباحث أن نحو الطبرى او النحو التطبيقي المستقى من تفسيره يختلف كثيرا عن النحو القاعدى المستقي من كتاب سيبويه ومن نحا نحوه من النحاة التقليديين ثم لفت الانظار الى العناية التى اوليناها لنحو سيبويه ونظرياته واهمالنا لنحو القران وتطبيقاته معللا لذلك أن النحو

بحث لنيل درجة « الدكتوراه » فى اللغويات

للطالب / عبد الرءوف محمد عثمان

عرض وتقديم الأستاذ الدكتور مصطفى محمد خليل النماس

يوم أن وجد ما وجد الا ليكون خادما للقران الكريم ، كتاب الله الذى يعتبر بحق ذروة النص اللغوى فى الاستشهاد والاستدلال لماله من خصيصتين :

تواتره تواترا فاق الحدود وتعدى القيود فهو « لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ..

٢ ـ التَّعَبُّدُ به ، ويعنينا هنا فى المقام الاول ان التعبد يكون بلفظه لا بمعناه مما يجعل لالفاظه قدسية وقيمة جُلّى من حيث البنية والبناء والاعراب ، ثم احتاط الباحث حتى لا يُرمى بالتعصب لصاحبه الامام الطبرى فقال « ومع هذا وذاك فنحن لا نستطيع أن ننكر أو أن نتجاهل ما لسيبويه امام النحاة من فضل لتبريزه ولسبقه فى هذا الميدان » .

ولقد اقتضى منهج البحث وخطته أن يكون فى ثلاثة أقسام :

١ ـ القسم الأول : المقدمة

٢ ـ القسم الثانى : المدوّنة

٣ ـ القسم الثالث : الخاتمة ، ثم تذييلها .

أما المقدمة فتشتمل على تسعة فصول هى :

(أ « بيئة وعصر » وهذا فصل تحدث فيه الباحث عن عاملين هامين فى حياة الطبرى هما : التجاوب الزمانى والتفاعل المكانى : وقد عنى بالعامل الأول معاصرة الطبرى لأحد عشر خليفة من خلفاء العصر العباسى فى بغداد ومعاصرته للدولة الطولونية التى قامت بمصر والشام ، ولكل من الدولة السامانية والحمدانيه . فقد عاش الطبرى من سنة ٢٢٤ هـ الى سنة ٣١٠ هـ ، وفى هذه الفترة من الزمان أخذت العلوم الدينية والعربية حظها من النضج والكمال ، وعلى الرغم مما اعترى الدولة العباسية من الوهن السياسي فقد حظى العلماء بتقدير خاص من الحكام . اما العامل الثانى وهو التفاعلَ المكانى : فقد ولد الطبرى بآمل عاصمة طبرستان ، وآمل هذه هى التى خرجت الكثير من أساطين الفكر وينسبون الى هذا الاقليم فيقال لكل منهم الطبرى ، وهم بالطبع غير الامام المفسر ابن جرير ،

ومختلفون عنه وان كان ابن جرير الطبرى أشهرهم ومع أن اقليم طبرستان اقليم جبلى فهو كثير المياه متنوع الفاكهة متهدل الأشجار مما أثر فى صفاء قريحة ابن جرير وفى اذكاء عبقريته .

(ب « عوامل التفوق العقلى والنبوغ عند الطبرى » وقد أرجع الباحث فى هذا الفصل هذا النبوغ وتلك العبقرية الى أربعة عوامل هى « أ » ثراء أبيه مما جعله يتفرغ للعلم

ولمدارسته « ٢ » رحلاته الكثيرة لملاقاة العلماء والاستفادة بما عندهم من علم وفكر وأدب « ٣ » مضاء عزيمته مما ساعده على تخطي الصعاب والوصول الى ماربه والى ما يبتغيه من امال واهداف « ٤ » عزوفه عن النساء : فلقد صعّد طاقته الجنسية الى طاقة فكرية جعلت منه انسانا ذا عقلية خلاقة تمتاز بالتركيز والتعمق .

وفى الفصل الثالث : وهو بعنوان « الطبرى النحوى » يرجع الباحث عبقرية الطبرى النحوية الى ثلاثة مظاهر هى :

عنايته بالاعراب ـ اهتمامه بالقراءات ـ استشهاده بالشعر واهم ما يميز الطبرى عن غيره من المفسرين أنه يتعرض لاراء كل من البصريين والكوفيين فيعرضها فى امانة وثقة ، ويستعرضها فى روية وحكمة ثم بعد ذلك يصدر حكمه بحسب ما يرتئيه ليوفق بين كلا الفريقيين ، ولهذا عُدّ الطبرى من رواد مدرسة التوفيق أو المدرسة البغدادية ..

الفصل الرابع : يطالعنا هذا الفصل بعنوان هو « مذهبه النحوى ومدرسته » ويعنينا هنا تلك المدرسة التى سارت على ما ذهب اليه الامام الطبرى من إعمال للعقل فى الحكم ، والتحكيم بين فريقي علماء البصرة والكوفة ، تلك المدرسة التى ظهرت فى أواخر القرن الثالث الهجرى وبلغت ما بلغت فى اوائل القرن الرابع واستحكم شانها فى تلك الفترة التى التام فيها الفريقان ببغداد الى ان تضعضع شان الخلافة العباسية بغلبة البويهين عليها ..

ولقد أطلق الطالب ولاول مرة على ابن جرير « سفير النحاة » وبرهن على هذه السفارة ١ ـ بانه كان كثير التنقل بين مجالس العلماء لينقل اراء النحاة في حذر وصدق ٢ ـ وهو كذلك متعفف كل التعفف عما في أيدى الناس ولو كانوا أمراء بل الخلفاء أنفسهم ٣ ـ وأيضا فقد كان كثير الأسفار والترحال وهذه الصفات الثلاث هى أهم صفات الرجل « الديبلوماسى » في هذا العصر ، فلا غرو ان يكون الطبرى قهينا بهذا اللقب « سفير النحاة » وهو به جد خليق .

الفصل الخامس : « اعزاز من الشرق واعجاب من الغرب » تحدث فيه الباحث عما حظى به الطبرى من تكريم واعزاز فى الشرق . فنجد أمهات الكتب قد أوردت اسم الطبرى بماله من مكان ومكانة : مكان فى القلوب ومكانة بين العلماء . هذا وقد أطلق اسمه على بعض المدارس النموذجية والأماكن الهامة فى مصر تخليدا لذكراه . أما فى الغرب فقد ترجم كتابه فى التاريخ الى الفارسية ثم الى الفرنسية ولقد عنيت دائرة المعارف البريطانية
Emcyclopaedia Brutamnica

وكذلك دائرة المعارف الاسلامية Encyclopaedia of islam **عنيت كلتا الدائرتين الشهيرتين فى الأوساط العلمية والأدبية بذكره والاشادة به وان كانتا فى رأيي لم تعطياه حقه من التجلة والتبجيل اللازمين ..**

الفصل السادس : « **مع نتاج وثمار** عبقرية الطبرى » **تكلم الباحث فى هذا** الفصل **عن النظريات الأربع فى تفسير العبقرية :**

النظرية المرضية ـ نظرية التحليل النفسى ـ النظرية الوصفية ـ ثم النظرية

الكمية. ولقد أرجع الطالب عبقرية الطبرى الى النظرية الأخيرة لأنها تعتمد على المثابرة والكفاح الشاق فى الدرجة الأولى ثم الى الذكاء فى الدرجة الثانية، ولقد كان سفير النحاة كذلك، عرق وصبر وذكاء ومثابرة وكان خير برهان على تلك العبقرية انتاجية الغزير: فمن آراء سديدة فى الفقه والطب وغيرهما من العلوم، الى مؤلفات عديدة أربت على الثلاثين مؤلفا جُلّها من أمهات الكتب ..

الفصل السابع: «الطبرى علم وظرف وخلق» ثلاث خصال قلما تتوفر أو تتوافر لغيره، فلقد كان الطبرى عالما تلقى العلم من معلمين أجلاء ثم ورّث هذا العلم لمن بعده من تلاميذه المخلصين ومع هذا العلم الغزير الذى قد يطغى صاحبه او يلهيه، فقد كان الطبرى على خلق كريم حيث كان ورعا أبيا جريئا فى الحق متواضعا، ولم يكن هذا العلم الوافر وهذا الخلق الكريم ليصرفا الامام الطرى عن الدُعابة ووجاهة السمت، فقد كان الطبرى فى ظاهره ظريفا، وفى باطنه نظيفا حسن العشرة لمجالسيه مهذّبا فى جميع أحواله.

الفصل الثامن: «النهاية الحزينة» حيث تحرش به الحنابلة بعد أن سألوه سؤالين أولهما عن شخصية الامام أحمد وثانيهما عن الجلوس على العرش، فأنكر الطبرى على الامام أحمد أن يكون قد روى عنه، وقال باستحالة الجلوس على العرش، فلما سمعوا ذلك منه هاجوا وماجوا واتهموه بأنه رافضى ورموه بمحابرهم.

خلا الطبرى بعد ذلك فى داره ولزمه حفاظا على نفسه، وقيل انه أشاد بأحمد بن حنبل فى أخريات أيامه، ولم يزل يذكر ابن حنبل الى أن مات ودفن ببغداد فبكاه الناس يوم ذاك بكاء العارفين بفضله وتشريفا لقدره.

الفصل التاسع: «الطبرى فى الميزان» ذكر فيه الباحث ما للطبرى وما عليه، وقد بين أنه على الرغم مما يؤخذ على الطبرى من مآخذ فهى اذا قيست بأمجاده واستطلاعاته فى العلم والمعرفة لا تنقص من قدره ولا تغض من شأنه، وانما هى هنات هينات فالطبرى له وزنه وشأنه بين العلماء فهو علم شامخ من أعلام الحياة العلمية والاسلامية ..

هذا هو القسم الأول بفصوله التسعة أما القسم الثانى فهو المدوّنة، تلك التى جمعت جميع المسائل النحوية والصرفية المستخرجة من التفسير وتعتبر هذه المدونة هى لب هذا البحث ولبابه وقد قسمت الى أربعة مباحث:

المبحث الأول فى علم النحو ـ المبحث الثانى فى علم الصرف ـ المبحث الثالث فى صلة النحو بالقراءات ـ المبحث الرابع فى البداية والنهاية بداية السور ونهاية الآى.

أما المبحث الأول فى علم النحو فيضم سبعة وأربعين بابا هى:

١ ـ الابتداء

٢ ـ كان وأخواتها

مع رسالة جامعية

٣ ـ ان وأخواتها
٤ ـ الفاعل
٥ ـ ما لم يسمّ فاعله
٦ ـ المذكر والمؤنث
٧ ـ التعريف والتنكير
٨ ـ الاشارة
٩ ـ الموصول
١٠ ـ الضمير
١١ ـ الاضافة
١٢ ـ حروف المعانى
١٣ ـ الاجراء وعدمه
١٤ ـ المفعول به
١٥ ـ المفعول المطلق
١٦ ـ المفعول لأجله
١٧ ـ الاستثناء
١٨ ـ التمييز
١٩ ـ الحال
٢٠ ـ النداء
٢١ ـ الظروف
٢٢ ـ العدد
٢٣ ـ النعت
٢٤ ـ التوكيد
٢٥ ـ العطف
٢٦ ـ البدل وعطف البيان
٢٧ ـ جوازم الفعل
٢٨ ـ نواصب الفعل
٢٩ ـ أزمنة الفعل
٣٠ ـ اسم الفعل
٣١ ـ المدح والذم
٣٢ ـ الاستفهام
٣٣ ـ النفى
٣٤ ـ الشرط
٣٥ ـ اجتماع الشرط والقسم
٣٦ ـ التثنية
٣٧ ـ الشمولية فى نظرية العامل
٣٨ ـ التضمين
٣٩ ـ التضعيف ودلالته .
٤٠ ـ الزيادة والصلة
٤١ ـ الاضمار والحذف
٤٢ ـ الحركة وعدم تأثر الصيغة بها
٤٣ ـ التعميم والتخصيص
٤٤ ـ التقديم والتأخير
٤٥ ـ الحكاية بالمعنى العام
٤٦ ـ التركيب والتحليل
٤٧ ـ التشابه الصورى فى الحروف

وأما المبحث الثانى فى علم الصرف فيشتمل على أربعة وعشرين بابا هى :

١ ـ مصادر الثلاثى
٢ ـ مصادر غير الثلاثى
٣ ـ المصدر المؤول
٤ ـ اسم المصدر
٥ ـ الجموع
٦ ـ المقصور والممدود
٧ ـ المجرد والمزيد
٨ ـ المتعدى واللازم

٩ ـ التصغير
١٠ ـ النسب
١١ ـ الصحيح والمعتل
١٢ ـ الاشتقاق والجمود
١٣ ـ اسم الفاعل ولواحقه
١٤ ـ اسما الزمان والمكان
١٥ ـ اسما المرة والهيئة
١٦ ـ اسم الآلة
١٧ ـ همزتا الوصل والقطع
١٨ ـ أفعل التفضيل
١٩ ـ التعجب
٢٠ ـ القلب
٢١ ـ الاعلال والابدال والادغام
٢٢ ـ الوقف
٢٣ ـ الصيغ الأصلية
٢٤ ـ الصيغ المحولة .

هذا واذا كانت المدونة هى لب هذا البحث فان هذين البحثين فى فنى النحو والصرف هما حقيقة هذه المدونة حيث قد غطيا جميع المسائل النحوية والصرفية فى أبواب مجموعها معا واحد وسبعون ومما هو جدير بالانتباه أن الباحث قام بتقسيمين مفيدين لهذه الأبواب المذكورة انفا :

١ ـ تقسيم من حيث المنهج : فمن تقليدى الى مجدّد ثم الى جديد .

٢ ـ تقسيم اخر من حيث المضمون والمحتوى للباب الواحد .

التقسيم الأول : قام الباحث بتقسيم الأبواب الى « تقليدى » وقد عنى به ما هو متوارث من السابقين الى الخالفين ورمز له بالحرف (ت فى أول الباب من أمثال الموصول والاشارة والحال والاستثناء وما الى ذلك من الأبواب العديدة ثم الى « مجدّد » ورمز لها بالحرف (م) خالف فيه النحويين القدامى فيما ذهبوا اليه من جهة التبويب والتصنيف فكان مما اصطنعه قاصدا بذلك التيسير والتسهيل وعموم النفع :

أولا : ضم المبتدأ والخبر والمضارع المرفوع بالعامل المعنوى والاسم المرفوع بعد واو الاستئناف تحت باب الابتداء .

ثانيا : الفعل المبنى للمجهول واسم المفعول تحت باب ما لم يُسمَّ فاعله .

ثالثا : القَسَم ونون التوكيد والتوكيد بالحرف تحت باب أساليب التأكيد .

رابعا : جعل الباحث الانتقال من ضمير الى ضمير والمعاقبة بين ضمير وأخر والحكاية بمعنى المحكىّ . والحكاية باللفظ كلها تحت لواء واحد هو الحكاية بالمعنى العام .

خامسا : أفرد الطالب بابا للعامل وجعل له تأثيرات ثلاثة : تأثيرا فى اختلاف الاعراب . وتأثيرا فى توجيه الاعراب ثم أخيرا تأثيرا فى تعدد الاعراب :

سادسا : جعل الطالب اسم الفاعل والصفة المشبهة وصيغ المبالغة فى عُقد واحد أطلق عليه اسم الفاعل ولواحقه .

سابعا : جمع الاعلال والابدال والادغام فى باب واحد لتشابههما فى التغيير الحرفى والشكلى .

ثامنا : ألَّف بين المثنى بالمعنى الاصطلاحى والتثنية بالمعنى العام وجعلهما بابا واحدا .

تاسعا : جعل النسب نوعين : نسبا يائيا ونسبا غير يائى . ثم أخيرا قسم هذه

الأبواب ـ من غير التقليدى والمجدد ـ الى الجديد منها وقد رمز لها بالحرف (ج) وقد عنى الباحث بتلك الأبواب تلك التى اصطنعها هو ولم يسبق بها من أمثال التعميم والتخصيص . ودلالة التضعيف والحركة وعدم تأثر الصيغة بها . والتركيب والتحليل . والتشام الصورى فى الحروف . والصيغ الأصلية والصيغ المحولة .

هذا هو التقسيم الأول من حيث المنهج أما التقسيم الثانى من حيث المضمون للباب الواحد فقد قام الباحث بتقسيم بعض الأبواب ما يحتاج منها الى تفصيل الى فصول حتى تكون متناسبة ومتمشية فى جزئياتها وأجزائها . وليكون كل قرين مع قرينه بل وهناك من الفصول ما قام بتقسيمه الى فروع كما فعل بـ « أو » حيث قسم هذا الفصل من باب العطف الى سبعة فروع هى :

بين الواو وأو ـ كون « أو » ـ للمغايرة ـ « أو » التى بمعنى بل ـ « أو » التى بمعنى الا « أو » التفصيلية ـ « أو » التى لمعان عدة ـ وأخيرا الأصل فى « أو » التمييز وقد تأتى للتعقيب . هذان هما المبحثان الأول والثانى فى فنى النحو والصرف بتقسيمهما وتقاسيمهما اما المبحث الثالث فكان فى عقد الصلة بين النحو والقراءات وقد أولاه الباحث جل اهتمامه اذ هى « القراءات » فى رايه خير مَعين معين على فهم النحو . وربط بين النحو والقراءات وجعلهما يسيران فى فلك واحد . وقد قسم هذا المبحث الثالث الى بابين . الباب الأول : فى « دور النحو فى ضم المعانى المختلفة فى ظل القراءات المؤتلفة » . وهذا الباب يؤكد ارتباط النحو بالمعنى ويعزز الاتجاه الجديد عند العلماء المحدثين فى ربط النحو بالمعنى .

اما الباب الثانى فيتحدث عن توقيفية القراءات وكونها أحكم وأمنع بل أعلى وأرفع من التقعيد والقواعد . ويرد على بعض المستشرقين من أمثال جولد تسيهر ونولدكة وكازانوفا ممن يرون أن قراءات القران انما كانت عن هوى من القراء وارضاء لأذواقهم وأفهامهم .

اما المبحث الرابع : فهو فى البداية والنهاية : بداية السور ونهاية الآى ويضم هذا المبحث بابين الباب الأول فى حروف الهجاء ودلالتها فى مستهل السور وكان الباب الثانى فى رءوس الآى وما فيها من اعجاز لفظى ومعنوى .

وبعد أن انتهى الباحث من المدوَّنة بمباحثها الأربعة أتى الى القسم الثالث وهو الخاتمة التى تحتوى على النتائج والتوصيات . وكانت النتائج فى الفرائد التى تفرد بها الطبرى فى النحو واللغة . وفى الأبيات النادرة التى أتى لنا بها الطبرى ثم فى تعبيرات الطبرى وعباراته الخاصة التى تعتبر وكأنها لازمات له فى فن القول ثم أخيرا فى مصطلحات الطبرى النحوية مع الموازنة بينها وبين المصطلحات التى نستعملها اليوم فى دراساتنا .

أما التوصيات فكانت سبعا .

أولا : الاعتداد والاعتناء بقراءتى عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب كما فعل الطبرى فى تفسيره .

ثانيا : شدة الحاجة ومسيسها فى

الاحتجاج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في النحو واللغة واعتبار أحاديثه شواهد نحوية .

ثالثا : التيسير والتسهيل فى النحو ما أمكن بالوسائل التى ذكرها الباحث فى البحث .

رابعا : وصل علم النحو بالقراءات اذ هما صنوان وفرسا رهان،

خامسا : الاهتمام بدراسة المصادر والجموع حيث انهما اهم ما يميز لغتنا الخالدة عن غيرها من اللغات وقد دلل على ذلك بمراجع من اللغة الانجليزية والفرنسية .

سادسا : العمل على وصل ما كتبه غير العرب فى النحو بما كتبه العرب وذلك لما للنحو من سحر أخاذ وجاذبيه خاصه يستهويان العرب وغير العرب على السواء .

سابعا : ربط المعنى بالاعراب وجعل المعنى فرعا للاعراب لا العكس .

ثم بعد الانتهاء من الخاتمة كان تذييلها وفي التذييل كانت الشواهد من الأشعار والأرجاز

وأبوابها وقوافيها ثم كانت الشواهد من الحديث الشريف وكذلك الشواهد من الأمثال والحكم والمأثور من كلام العرب هذا غير الرسم الهندسى للكم النحوى وخريطة لاقليم طبرستان وبها مدينة امل مسقط راس الامام الطبرى ثم ذكر الباحث بعد ذلك المصادر والمراجع فى تصنيف بديع ثم تلا ذلك بالفهرس وبترجمة موجزة للبحث باللغة الانجليزية .

وبعد : فهذا البحث الذى يقع فى ٢٠٢٠ صفحة فى أربعة مجلدات مشفوعا بمراجع انجليزية وفرنسية ومخطوطات خارجية وداخلية من خارج مصر وداخلها .

أقول هذا البحث يعتبر بحق نهجا جديدا فى بناء هذا الصرح من النحو التطبيقى الذى ان الاوان وحان الحين لأن نعطيه حقه من الاهتمام بعد أن أولينا كل اهتمامنا للنحو الوصفى فى العصور الغابرة والحاضرة .

اسال الله ان يوفقنا الى خدمة لغة كتاب الله وان يهدينا جميعا الى سبل الرشاد والسداد . انه نعم المولى ونعم النصير .

أ . د مصطفى أحمد خليل النماس
كلية اللغة العربية
القاهرة

المدخل لدراسة الإعلام الإسلامي

وبعد ..

اذا كانت الدراسات الاعلامية ، دراسات وليدة .. حديثه ، اذا قورنت بغيرها من العلوم والدراسات الأخرى مثل القانون والاقتصاد وغيرهما من العلوم التى تحوى المكتبات آلاف الدراسات فى مجالها .. اذا كان الأمر كذلك فان دراسات الاعلام الاسلامى ـ على وجه الخصوص ـ ماتزال فى طور البداية ، بل ما كتب فى هذا المجال الا القليل ، والنذر اليسير ، رغم قدم الاعلام الاسلامى وعمره الطويل على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان .. ورغم شدة حاجتنا الى مثل هذا النوع من البحوث والدراسات ونحن أمة اسلامية .

والكتاب ـ الذى بين أيدينا الآن ـ اضافة جديدة للمكتبة العربية والاسلامية ، فى مجال الاعلام الاسلامى ، وعلامة مضيئة يهتدى بها السائر فى هذا الميدان ، فقد تناول قضايا خطيرة وعديدة فى مجالاتها ، بل منها ما يزال قيد البحث ، ومحل جدل وخلاف ، وأخذ ورد ! وقد كان المؤلف صريحا واضحا فى عرض مايراه ، وكان يقدم لنا الرأى من أقرب طريق ..

والكتاب يقع في ثلاثة أبواب ، وخاتمة :

● فى الباب الأول : يتناول المؤلف موضوعات شتى فهو يعرض نبذة تاريخية عن الاعلام واستقراره كعلم ثم فن الاعلام وعلم الاعلام ـ وتطور فن الاعلام ـ وعلم الاعلام فى عرف الاسلام ، النظريات الاعلامية ، وفلسفة كل نظرية وصلتها بالمبادىء الصهيونية ، ثم الاسلام ومذهبه فى الاعلام ..

● وفى الباب الثانى : يتناول العملية الاعلامية ـ أركانها ـ شروطها ، ويتناول كل ركن من الناحية الاسلامية .

● وفى الباب الثالث : يتناول وظائف الاعلام على وجه العموم ، وتقييم فنون الاعلام المختلفة ووظائف كل فن ، وظائف الأخبار فى نظر الشرع الاسلامى ثم يتناول التحقيق الصحفى والحديث الصحفى ، والمقال الاسلامى ، مفهوم الثقافة الاسلامية ، والأمثال فى القران ، ثم القصص القرانى ..

أما الباب الأول : فان المؤلف يستهله

للدكتور عمارة نجيب
أستاذ الدعوة والاتجاهات الفكرية بجامعة الأزهر

عرض وتعليق حسن على محمد العنيسى

بمقارنة بين علم الاعلام ، وفن الاعلام ويرى أن الثانى مارسه الانسان بالفطرة ، وطوره حسب حاجته ، أما الأول فهو العلم ذو القواعد والأسس التى تعرف عليها الباحثون واصطلحوا عليها (١) .

ثم ينتقل بنا المؤلف الى الحديث عن تاريخ فن الاعلام فى ضوء الاسلام ، والشكل البدائى له ، ثم يتحدث عن تطور فن الاعلام ، الا أن المؤلف وهو يحدثنا عن تاريخ فن الاعلام فى ضوء الاسلام لم يقدم لنا شيئا يذكر فمن العنوان كنا نتوقع أن يتحدث عن الاعلام فى صدر الاسلام ثم فى الدولة الأموية والعباسية .. الخ العصور التاريخية الاسلامية ، ولو لمحات سريعة كما فعل فى موضوعات كثيرة فى هذا الباب .

ويرى المؤلف أن الاعلام لا ينفصل عن الدعوة والبلاغ فى نظام الاسلام ، ولن ينفصل عنهما الا فى حالة فصل الدين عن الدولة (٢) .

وينتقل بعد هذا الى الحديث عن نظريات الاعلام الغربية ، وقد عنى المؤلف بشرح كل نظرية على حدة ، وهى أربع نظريات اعلامية : نظرية السلطة ، نظرية الحرية ، نظرية المسئولية الاجتماعية ، النظرية السوفيتية .. غير أن المؤلف اعتمد فى عرضه لهذه النظريات على كتاب واحد بصفة أساسية وهو « الأسس العلمية لنظريات الاعلام » للدكتورة « جيهان رشتى » وكتاب اخر « الاتصال والدعاية الدولية » للدكتور أحمد بدر .

ولقد برع المؤلف تماما فى كشف الدور الصهيونى وراء هذه النظريات وفند الأصول الفلسفية لكل نظرية ، كما أنه كشف ـ فى صراحة تامة ـ ما تهدف اليه هذه النظريات ، وأوضح لنا الى أى مدى ثبتت عدم فاعلية هذه النظريات فى المجتمع الاسلامى ... وقام المؤلف بكشف الرابطة بين الأصول الفلسفية لهذه النظريات وبروتوكولات حكماء صهيون .. ويقدم الدليل تلو الدليل فى مهارة رائعة (٣) .

ثم انتقل المؤلف الى الحديث عن الاسلام ومذهبه فى الاعلام ، ويرى أن كلمة « نظرية » و « تنظير » لا تنطبق على الاسلام ، اذا عنيت وجهة النظر الانسانية ،

(١) راجع الكتاب ص ٢١

(٢) الكتاب ، ص ٣٥

(٣) الكتاب ص ٤٦

المدخل

لدراسة الإعلام الإسلامى

أو اذا قصد منها وجود فلسفة البشر لها ، أو اجتهادهم فى صنعها (١) .

ولكن المؤلف يتدارك الموقف ويعود ليكون اكثر تحديدا حين يقول لنا : « ولكن اذا قصد بها – أى بالنظرية – مجرد التصنيف الذى هو الاجتهاد فى القياس والمقارنة والتسمية – مثلا – أمكن ذلك بتجوز .. !!

واذا ما عدنا الى الحديث عن الموضوع الذى طرحه المؤلف وهو الاسلام ومذهبه فى الاعلام نجد أن المؤلف على مدى أكثر من عشر صفحات من ص ٧٠ الى ص ٨٠ لم يقدم لنا شيئا يذكر عن وجهة نظر الاسلام فى الاعلام – وان كان المؤلف قد بث هذا فى ثنايا كل صفحات الكتاب – ولكنه لم يقدم لنا أسسا واضحة ، أو محاولة للتقنين !

والملاحظ أن المؤلف رفض كل النظريات الاعلامية غربية أو شرقية ، وكان من الطبيعى أن يقدم البديل .. وهو مذهب الاسلام فى الاعلام ، غير أنه لم يقرر بالتحديد ما هو هذا المذهب الذى يريده ؟ وكيف نطبقه ؟ والى أى مدى ؟

وينتقل المؤلف الى الحديث عن نتائج غياب الاسلام عن أبحاث الاعلام (٢) وهو موضوع خطير ، له جانب سياسى ، وجوانب كثيرة ثقافية .. وكان المؤلف على حق فى كل ما ذهب اليه فى هذا الجانب ، ولكننا نقول : ان الاسلام لم يغب لحظة عن الساحة ولن يغيب .. انما الذى غاب وغفل نحن المسلمين !

ويعترض المؤلف بعد ذلك لموضوع آخر وهو موقف الاسلام من الدراسات والبحوث الاعلامية ويبنى هذا الموقف على جانبين :

الجانب الأول : جانب مادى فى تطور الوسائل والأجهزة وهو جانب يحث عليه الاسلام .

الجانب الثانى : ويقسمه الى جزئين :

(أ) جانب معنوى مفيد وهو ما يجب أن نبحث فيه .

(ب) جانب معنوى : غير مفيد وهو ما يجب ألا نبحث فيه مثل : الحديث عن كلب أهل الكهف ، ومتى ولد آدم .. الخ .

ويرى المؤلف أن « الاسلام حض على العلم والبحث العلمى عموما ، وكان رائدا فى الدعوة الى العلم » (٣) .. واستعاذ من العلم الذى لا ينفع !

ويفاجئنا المؤلف بعنوان عريض .. تحت عنوان : المرفوضات (٣) كتب يقول : « .. وكالظن بأن الوسائل المحرمة تخدم الدعوة الى الله ، وكالقول بأن من حق المتلقى اشباع رغباته المشتاقة الى الغناء والموسيقى .. » .

ولكن لماذا يقصر المؤلف عمل أجهزة الاعلام على الدعوة فقط ؟ أليس الاسلام حياة ؟ وأنه اذا قامت الوسائل الاعلامية بالتبصير والتوجيه والارشاد – فى أى مجال – أليس هذا عمل نافع ومفيد ؟ ثم ما هى الوسائل المحرمة ؟ اننا نرى أنه لا توجد وسيلة محرمة ! انما الذى يجعلها حراما هو « المضمون » الذى تقدمه وهل

(١) الكتاب ص ٧٠
(٢) الكتاب ص ٩٥

(٣) الكتاب ص ١٠٠

يتعارض مع مبادىء الاسلام أم لا ؟ وتبقى قضية أخرى وهى الى أى مدى نحقق رغبات المتلقى ؟ وكيف نوازن بين ما يريده المتلقى وما يحتاجه بالفعل !؟

ويرفض المؤلف أن تكون الغرائز البشرية مدخلا اعلاميا ، ضمن المداخل التى يتوسل بها القائم بالاتصال فى الوصول الى جماهيره .. فيقول :

« .. وكقول بعضهم ان الغرائز تعد مدخلا اعلاميا اسلاميا (١) »

ونحن نقول : ان الثابت علميا ـ فى دراسات علم النفس ـ أن الانسان تحركه غرائز معينة مثل الجوع ، العطش ، الجنس ، وغرائز أخرى مكتسبه مثل حب السلطة ، حب المال .

نقول : ما العيب فى اللجوء الى هذه المداخل فى اطار اسلامى ؟

● ألم يقدم القرآن دلىلا فى سوره « قريش » بقوله تعالى : «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ» والم يستهل سيدنا يوسف على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام حديثه مع صاحبيه فى السجن بقوله «لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ» ثم بدأ يدعوهما الى الله سبحانه وتعالى قبل أن يجيبهما عن سؤالهما فى الرؤية !!

● الم يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى سفيان فخرا .. « ومن دخل دار أبى سفيان فهو أمن » ..

ويرفض المؤلف القول بأن الرأى العام مادام قد خدع فصدق بشىء يستحيل تحويله الى الاتجاه المضاد .. الى غير ذلك من مسائل يرى الاسلام ـ وتصدقه الوقائع ـ أن البحث البشرى فيها لغو لاطائل من ورائه » ص ١٠٣ ..

وكنت أحب ألا يقول المؤلف هنا « يرى الاسلام » وانما كان الأجدر أن يقول « أرى » ، ذلك لأن الأمر واضح من حيث أن الراى العام ـ فعلا ـ لو خدع بشىء فانه يصعب تحويله الى الرأى المضاد واليك الأمثلة :

● **قديما** : قضية ادعاء النبوة .. أليس فيها خدعة للرأى العام ؟ كم كلفت المسلمين من وقت وجهد حتى تم وضع الأمور في نصابها ؟

● **وحديثا** : الدعاية الدولية الاسرائيلية والحمل الوديع بين الذئاب العرب .. كم دفعنا من ثمن باهظ لتوضيح الحق في هذه الصورة ؟

ويتناول المؤلف في الباب الثانى أركان العملية الاعلامية وشروطها ، والحق فان المؤلف اجاد واحسن فى عرض هذه الاركان والشروط التى يجب ان تتوافر في ضوء الاسلام لهذه الأركان ..

ويرى أن المشرع الوضعى قسم المتلقى ـ أحد أركان العملية الاعلامية ـ الى قسمين :

١ ـ المتلقى الذى يشاركه وطنه او هدفه أو عقيدته أو مذهبه .

٢ ـ المتلقى الذى قد يعاديه

---

(١) الكتاب ص ١٠١ وهو هنا يعارض ماجاء في كتاب الاعلام الاسلامى والعلاقات الانسانية الذى اصدرته الندوة العالمية للشباب الاسلامى في ص ٢٩٢ من الكتاب نفسه ، وقد طالعت هذا الكتاب ، ووجدت فيه نظرة واقعية .. وليس فيه مايشين .. وهل نستطيع نكران هذا الغرائز البشرية . وهل ينكر أى انسان الحاجات البيولوجية فيه ؟! كل مافي الأمر ان يكون ذلك في طابع اسلامى .

المدخل
لدراسة الإعلام الإسلامي

ولا يشاركه وطنه ولاهدفه أو عقيدته .

وهنا فانّ القائم بالاتصال ـ وهو ركن في العملية الاتصالية ـ يصمم رسالته لبناء الأول ، وهدم الثانى ـ ولو تم هذا يتحقق للقائم بالاتصال صحة الرسالة ..

ويرى الأستاذ الدكتور المؤلف ان دليل صحة الرسالة ـ من وجهة نظر الاسلام ـ وهو بناء الانسان بناء كاملا متكاملا وهدمه وتحلله دليل فساد الرسالة وهى مقياس المشرع الوضعى ..!!

ويمكن القول أن المسألة هنا تقاس فيها الرسالة بمدى « التأثير » الذى تحدثه ، ولاتوجد رسالة فاسدة وأخرى صحيحة في ميكانيكية العملية الاعلامية ، وانما التأثير هو الذى يقول لنا أنها رسالة جيدة أو رديئة ، وقد تكون هناك رسالة صحيحة وجيدة ولكنها لاتصل الى المتلقى أو لاتحدث ـ تأثيرا ـ رغم وصولها اليه وذلك يرجع الى خلل في العملية الاتصالية سواء في صياغة المضمون ، أو في صفات القائم بالاتصال ، أو ظروف الاتصال أو عدم مناسبة وسيلة الاتصال للمتلقى .. الخ ..

وقد قدم المؤلف على مدى أربعين صفحة (١) عرضا شيقا لقضية المضمون الاعلامى فقد تعرض لعناصر الرسالة ، وأسلوب تقديمها ، وأسس اختيارها ، وتعرض لقضية اللغة لدى الداعى ، ومدى تأثير هذه الوسائل في ضوء الاسلام (٢) .

(١) من ص ١٦٤ الى ص ٢٠٠

(٢) الكتاب ص ٢٠٦

والمؤلف لم يحالفه الصواب عندما رفض التليفزيون نهائيا تأسيسا على تحريم الصورة تحريما قاطعا أو قياسا عليها ..

يقول : « أقول أن الأولى أن نترك البث المصور ـ أى التليفزيون ـ للكفار لأن الفرق بين أن يكون معلوم المصدر وهو بلاد الكفار ، وبين أن يكون المصدر بلاد المسلمين كالفرق بين رؤية رجل كافر يشرب الخمر ، وبين رؤيتك لرجل مسلم يستبيح الخمر ويشربه » (٣)

ولكننا نقول أن هذا في حد ذاته ليس علاجا .. ولامسكنا ، ولماذا أدع سلاحا مؤثرا كالتليفزيون في يد غيرى .. عدوى .. لماذا ؟

ثم في عصر الاتصالات والأقمار الصناعية والقرية الدولية هل يمكن أن نلغى التليفزيون من حياتنا !؟

ان المشكلة ليست في التليفزيون كوسيلة اتصال استطيع من خلالها الاتصال بجماهير غفيرة .. الأمى منها والمتعلم .. انما المشكلة في « المضمون » الذى نقدمه .. وبدلا من رفض هذه الوسيلة نفكر في كيفية الاستفادة منها ؟ فلنفكر في طريقة أمثل لاستغلال هذا الجهاز لصالح المسلمين !؟

وينتقل بنا المؤلف بعد هذا الى الحديث عن موقف الاسلام من الموسيقى والغناء ، والرقص ، والتشخيص ، والتمثيل المختلط ، ويرفض استخدام هذه الوسائل لأنها وسائل اعلامية محرمة .. ورغم رفضه لها الا أنه عاد يقول « ان التمثيل (٤) يجوز بشروط

(٣) الكتاب ص ٢١١

(٤) ويعنى به التمثيل غير المختلط ونحن نتفق مع المؤلف فيما ذهب اليه .

منها :

١ ـ ألا يعلن الممثل عن اسمه .. ولكن لماذا ؟

٢ ـ ألا يأخذ أكثر مما يستحق من أموال المسلمين .

٣ ـ أن تكون فضائل الاسلام هى المقصودة بالنشر .

وعلى مدى صفحات الباب الثانى يفجر المؤلف قضايا خطيرة وجديرة بالبحث والمناقشة ولولا ماذهب فيه الى المبالغة بتحريمه . لقدم المؤلف صورة واضحة للاعلام الاسلامى

ثم نأتى الى الباب الثالث والأخير :

ويتحدث فيه عن وظائف الاعلام ويحددها في ثلاث : وظيفة الاعلام ـ وظيفة الاخبار ـ وظيفة التثقيف ..

وقد اجاد المؤلف في حديثه عن وظائف الاخبار في نظر الشرع الاسلامى (١) فيرى انه يجب ان تعبر عن الواقع وعن مشكلات الناس ، وحذر من خطورة الكذب في وصف الحادث وضرب مثالا بحديث الافك واضراره في هذا الوقت ويرى ان الخبر يلعب دورا خطيرا في حياة الشعوب ولهذا يجب ان يعتمد على عدة امور اساسية اهمها :

١ ـ التعبير عن الاهتمامات الراقية .

٢ ـ تحرى الصدق واتباع منهج الاسلام في التأكد من صحة الخبر .

٣ ـ التدقيق في صفات المخبر الصحفى فلا يكون كذابا ولا فاسقا ولا مختل العقل .

٤ ـ مراعاة النتائج والحرص على المفيد للناس ..

ثم يتعرض بعد ذلك للتعليق والتحقيق الصحفى والحديث الصحفى والمقال الاسلامى ومفهوم القصة في القران والمراد منها ، ثم الامثال في القران .. ودورها في توصيل الحقائق الى المتلقى ثم يعرج الى الحديث عن الاسرائيليات ثم ينتهى الى الخاتمة .

وبعد : فقد قدمت خلاصة موجزة لموضوعات الكتاب التى ناقشها المؤلف والكتاب يحفل بالعديد من القضايا ، غنى بحواره العلمى المركز ، كما يحفل بالمواجهات الصريحة للاراء الغريبة عن الاسلام ، وهو محاولة مخلصة بناءة في ميدان جديد .. وحديث .. ميدان الاعلام الاسلامى ، وقد كان المؤلف حريصا حين قال في عنوان الكتاب ان هذا « مدخلا لدراسة الاعلام الاسلامى » فمرحبا به ونحمد له هذا الجهد .. وشكر الله له ..

« حسن على محمد العنيبسى »

(١) الكتاب ص ٢٤٩ ، ص ٢٥٠

المسلمون في سيرلانكا

حوار مع مدير الجامعة النظامية الإسلامية

فكرة عن سيرلانكا

« جزيرة سيلان أو سرنديب أو زيلان » كما كانت تسمى قديما وأصبحت تعرف الآن بيننا بدولة « سيرلانكا » تقع على أقصى رأس شبه الجزيرة الهندية وهى كما يفيد المؤرخون كانت تحت حكم الهند ولاسيما في زمن الاستعمار الانجليزى ثم استقلت وأصبحت الآن دولة تعرف بـ « سيرلانكا » ذات سيادة مستقلة عن الهند تحكمها الأكثرية البوذية اذ هم في الجزيرة منذ زمن « أشوكا » بالهند حتى الآن

وسيرلانكا معروفة لدينا بتصديرها لنوع من الشاى يسمى (شاى سيلان) حيث أنه السلعة الوحيدة التى تقوم بتصديرها ولها شهرتها العالمية في تصديرها .

وبقى ان تعرف ان الاسلام قد دخلها منذ القرون الاولى. ويوجد بها اعلى جبال العالم حيث يصل ارتفاعه الى « سبعة الاف قدم » ويروى ان به اثر قدم لسيدنا ادم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام حين سار عليه .

كما ان ابن بطوطة قد زارها في القرن الثامن الميلادى وهذا دليل على علاقتها بالمسلمين في الاقطار الاخرى ولكن رغم دخول الاسلام اليها منذ القرون الاولى الا ان نسبة المسلمين فيها لاتمثل سوى ١٠٪ من تعداد السكان العام الذى يصل الى ١٤ مليون نسمة والسبب في ذلك يرجع الى الاستعمار الذى كان يحاول جاهدا الايقاع بين البوذيين والمسلمين ثم محاولة اضعافهم ايضا ..

ولقلة المسلمين فيها كان علينا ان نطلع على مشاكلهم ؟ والمطلوب من الازهر الشريف ان يقدمه لهم ؟ ومعرفة مدى انتشار التعليم الاسلامى بينهم . ثم دور الازهر هناك ... الخ

أجرى الحوار
عبدالعزيز أحمد جبيرة

دور الأزهر في سيرلانكا

وكان لنا هذا اللقاء السريع مع الأستاذ الدكتور محمد شكرى مدير الجامعة الناظمية الاسلامية بسيرلانكا والذى حضر الى القاهرة للمشاركة في الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر الشريف .

● سألناه ما الدور الذى يقوم به الأزهر في سيرلانكا ..؟!

اجاب الدكتور محمد شكرى :

ـ باعتبارى مديرا للجامعة الناظمية الاسلامية بسيرلانكا احب ان اقول اننا على علاقة طيبة وقوية بالازهر الشريف حيث ان هناك اربعة طلاب من بلادنا يدرسون بالازهر بمنح دراسية كذلك كان يوجد للازهر مبعوثان بالجامعة : احدهما قد انتهى عقده في العام الماضى وحضر الى القاهرة والثانى سينتهى عقده هذا العام ايضا ١٩٨٣ وبذلك لا يصبح لدينا اى عالم من الازهر الشريف في سيرلانكا كلها . ولتعلم ان هذين العالمين كانا يقومان بدور كبير ومهم جدا بالجامعة في تدريس القرآن الكريم والعلوم الاسلامية واللغة العربية وعلى هذا فان للازهر دور عظيم بالنسبة للمسلمين بسيرلانكا ..

علاقة طيبة بالحكومة رغم أنهم أقلية

● وسألت الدكتور شكرى عن الاسلام والمسلمين بسيرلانكا ؟ ومدى علاقتهم بالحكومة ؟! فأجاب :

المسلمون في سيرلانكا اقلية جدا حيث انهم لا يمثلون اكثر من ١٠٪ من تعداد الدولة العام الذى يصل الى ١٤ مليون نسمة اكثرهم بوذيون يليهم الهندوس و ا البوذية وبرغم اننا اقلية الا انه لاتوجد لدينا مشاكل فان علاقتنا طيبة جدا بالحكومة والدليل على ذلك انه يوجد لنا ثلاثة وزراء في الحكومة القائمة هم : وزير الخارجية واسمه شاد عبد الحميد .. ثم وزير المواصلات ووزير الشئون الدينية ويقوم بهما محمد حنيفة محمد وهو عضو برابطة العالم الاسلامى ايضا . ثم المتحدث الرسمى في البرلمان السيرلانكى مسلم ايـــــضا .

وتقوم الحكومة بتعطيل المصالح والادارات والمدارس يوم الجمعة لمدة ساعة

المسلمون في سيرلانكا

كاملة ليتمكن المسلمون من أداء صلاة الجمعة ، وتخصص ساعة ونصف في الاذاعة للمسلمين يقومون من خلالها ببث الوعى الدينى والثقافة الاسلامية بين المسلمين وتزيد مدة البث الاذاعى هذه الى أربع وعشرين ساعة في المناسبات والأعياد الاسلامية ..

وفي شهر رمضان تزيد المدة أيضا عن ساعة ونصف الساعة ، ولايفوتنى أن نذكر أن الصحافة والتليفزيون تهتم أيضا بشئون المسلمين وتغطى احتياجاتهم في كل بقاع الدولة حيث ينتشر المسلمون ولايوجد لهم تمركز في منطقة معينة ..

الكتاتيب موجودة بسيرلانكا

وتطرق بنا الحديث عن مشكلة التعليم بالنسبة لأبناء المسلمين ؟ ومدى انتشار التعليم بينهم ؟ ثم مدى انتشار اللغة العربية لغة القرآن الكريم ؟ فقال :

بالنسبة للتعليم ومدى انتشاره بين أبناء المسلمين فهو فعلا واسع الانتشار فانه يوجد لدينا نحو ستمائة كتاب في شتى أنحاء سيرلانكا نقوم فيها بتعليم الأبناء قراءة القرآن الكريم يصل عددهم الى ثلاثة آلاف طالب وان كان هناك بعض الكتاتيب لايقتصر دورها على قراءة القران الكريم فقط بل تقوم بالتحفيظ للطلاب أيضا ثم يوجد لدينا مايقرب من خمسين مدرسة ينتقل اليها الطلاب بعد مرحلة الكتاب وهى مقسمة الى مراحل ابتدائية واعدادية وثانوية ويوجد بها الآن أكثر من خمسمائة طالب وفي هذه المدارس تدرس اللغة العربية التى تعتبر المشكلة بالنسبة لنا حيث أن الطلاب يعرفون قراءة القران الكريم ولايفهمون معناه ..

الجامعة الاسلامية الوحيدة

ثم بعد ذلك توجد لدينا هذه الجامعة التى أتشرف برئاستها وقد أنشئت عام ١٩٧٣ والدراسة فيها تنقسم الى مرحلتين :

الأولى : تمهيدية يقبل فيها الطلاب بعد انتهاء المرحلة الثانوية فيتعلمون فيها اللغة العربية من نحو وصرف وأدب وبلاغة وغيرها من علوم العربية حتى يمكن تأهيلهم لغويا للمرحلة الثانية وهى الجامعية ، ومدة التمهيدية هذه ثلاث سنوات ..

- الثانية : المرحلة الجامعية ومدتها أربع سنوات ويدرس الطلبة فيها العلوم الاسلامية من فقه وشريعة وحديث وتفسير وسيرة نبوية وتاريخ اسلامى الى غير ذلك من العلوم الاسلامية والعربية والدراسة بالجامعة عامة أى لاتوجد هناك كليات متخصصة في دراسة فرع بعينه للشريعة أو للغة مثلا ولكن ثمة خطة للمستقبل أن تكون هناك هذه الكليات المتخصصة ونحن نقبل كل عام

ثلاثين طالبا على مستوى الجامعة كلها بمرحلتيها نؤهلهم بعد ذلك لنشر الوعى والثقافة الاسلامية بين سائر المسلمين بالمساجد والمدارس .. فلدينا مايقرب من ١٦٠٠ مسجد بسيرلانكا تحتاج الى من يقوم على شئونها وشئون الدعوة فيها ..

ترجمة للقرآن بلغة البوذية

ونظرا لضيق الوقت وارتباطه بحضور باقى جلسات المؤتمر الخاص بالاحتفال بالعيد الألفى للأزهر طرحت عليه هذا السؤال الأخير وهو ماذا ننتظر من الأزهر في المستقبل بالنسبة لدولتكم خاصة والعالم الاسلامى على وجه العموم ؟

الازهر بالنسبة لنا هام ومهم جدا ونحن ننتظر منه باعتباره حصن الاسلام الحصين وقلعة العلم ومنارة الهداية . وبما له من المكانة العظيمة في حياة المسلمين ـ زيادة المنح الدراسية لابناء سيرلانكا اذ ان اربع منح دراسية لاتكفى لتعداد قارب على المليون مسلم كذلك كان يوجد لدينا مبعوثان من الازهر نفسه بالجامعة وهما المبعوثان الوحيدان من الازهر لسيرلانكا كلها وانتهى عقد احدهما في العام المنصرم ورجع الى القاهرة والثانى سينتهى عقده هذا العام ويعود الى القاهرة ايضا مثل زميله . ونرجو المسئولين بالازهر مراعاة المسلمين بسيرلانكا ونامل ان يرسلوا لنا بديلا عن هذين العالمين ليس اثنين فقط وانما عددا اكثر يسد الاحتياج الشديد لاننا ولعلم نواجه مشكلة هامة جدا في مجال الدعوة الاسلامية حيث لايوجد لدينا العلماء الاكفاء الذين يستطيعون ان يقوموابهذا الدور الهام في حياة المسلمين ولابد ان تكون هناك نشرات تتحدث عن الاسلام وسماحته ومميزاته وذلك باللغة البوذية لنشرها بين البوذيين انفسهم لانهم يمثلون الاكثرية بالنسبة للتعداد العام وايضا هم لا يعرفون الاسلام ولا يفهمون عنه شيئا واظن انهم عندما يتفهمون الاسلام سيكون له انتشار بينهم وبقى ان نقول اننا نريد المزيد من البعثات الدراسية حتى نتمكن من تعليم اللغة العربية . فيفهم المسلم مايعرف قراءته من القران الكريم .

وقبل ان اختم حديثى والكلام على لسان الدكتور شكرى نود ان توجد ترجمة لمعانى القران الكريم باللغة البوذية ايضا للبوذيين انفسهم لان لهم لغة خاصة بهم تسمى « السنغالية » اما المسلمون والهندوس فلغتهم التاملية .

اما بالنسبة للعالم الاسلامى فاننا ننتظر من الازهر ان يقدم الحل لكل المشاكل التى تواجه العالم الاسلامى والتيارات الفكرية المعادية له والتصدى لكل حركة تريد النيل منه حتى تتسع دائرة انتشاره ويعم العالم كله والله اسال التوفيق للمسئولين بالازهر وللمسلمين في جميع أنحاء العالم ..

الفتاوى

في الأذان والصلاة

س : من السيد / على أحمد .

١ ـ في قريتنا كان يؤذن في رمضان الأذان الأول للامساك جهرا وعلانية ، ويكتفى بالأذان لصلاة الفجر ، داخل المسجد .. وعندما بدأنا في هذا العام نؤذن لصلاة الفجر علانية قالوا : هذا شرع جديد . فما الحكم ؟

٢ ـ يؤدون سجدتين بعد كل صلاة ويقولون هذا ورد عن الشيخ ، فاذا سئلوا عن السبب قالوا : للشكر . فما الحكم ؟

ج : اما عن الاول : فنفيد انه في الحديث قوله : صلى الله عليه وسلم : « ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا اذان ابن أم مكتوم » .

فاذا رفع المؤذن صوته بالاذان الثانى للاعلام بالوقت ـ كما هو الأصل في مشروعية الاذان ـ فانه يكون قد أتى بالسنة ، ولاينبغى أن يعارض في ذلك ..

وعن الثانى بان سجدة الشكر تسن عند هجوم نعمة أو اندفاع نقمة ، وهى سجدة واحدة فقط .

اما في النعم المستمرة فليست من المواضع التى يطلب فيها السجود .

وعلى ذلك فالاتيان بالسجود من غير موجب استدراك على الشرع وهو غير مقبول شرعا

في الميراث

س : من السيد / س . ع . عبد المقصود .

توفيت زوجتى وتركت منقولات قد اشتريناها معا مناصفة ولها زوج ، وبنت فقط فمن يرث ومانصيبه ؟

ج : نصف المنقولات ملك خالص للزوج ، اما النصف الباقى الخاص بالزوجة فيكون للزوج الثمن لوجود الفرع الوارث ، والباقى للبنت فرضا وردا لعدم من يعصبها .

فتاوى

إعداد عبد الحميد السيد شاهين

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالازهر

الميـــراث والوصية

س : من السيد / ر . م راشد

توفيت سنة ١٩٨٣ م عن ابن ، وأولاد بنت فمن يرث ومانصيبه ؟

ج : في تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لاولاد البنت المتوفاة قبل امها بمقدار ماكانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة في حدود الثلث ـ طبقا لقانون الوصية المعمول به . من اول اغسطس سنة ١٩٤٦ ـ فتقسم التركة ثلاثة اجزاء . جزء منها وصية واجبة لاولاد البنت المتوفاة يقسم بينهم للذكر ضعف الانثى : والباقى وهو جزءان هو الميراث للابن الموجود تعصيبا ..

استثمار الأرض

س : من السيد / ع . نصر

ماحكم الدين في رجل يعطى أرضا لمن يغرسها شجرا على أن يكون له نصف الثمر أو ثلثه ، وبعد عدة سنوات ترجع الأرض بشجرها لصاحبها حسب الاتفاق ..

ج : تسليم الارض لاخر ليغرس فيها نخلا على أن يكون الثمر والنخل بينهما مدة معلومة غير جائز .

أما تسليم الارض المغروسة شجرا فعلا لاخر ليستثمرها مدة معلومة على ان يكون الثمر بينهما فذلك جائز شرعا .

المذيـاع فى المسجد

س : من السيد / ع . أ البكرى .

هل يجوز ايداع المذياع « الراديو » بالمسجد بغرض الأذان وقراءة القرآن يوم الجمعة ؟

ج : يجوز ايداع المذياع بالمسجد واستعماله للأذان عند تحقق اوقات الصلاة كما يجوز استعماله لنقل بعض الدروس الدينية وقراءة القران بمالايؤدى الى التشويش على المصلين بداخل المسجد .

والله تعالى أعلم ..

عبد الحميد السيد شاهين

أنباء وآراء

رؤية في اجتماع اللجنة العليا لشئون الدعوة الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

مع اطلالة رمضان المبارك تم عقد أول اجتماع للجنة العليا لشئون الدعوة الاسلامية برئاسة فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر، ولقد ربطت الأقدار بين المسلمين وهذا الشهر بوشائج نبيلة تناسب نبل دعوتهم ورسالتهم فى هذا الكون.

فأول شعاع لضوء الدعوة الاسلامية هبط الى أرض الله ـ سبحانه ـ من السموات العلا كان فى رمضان وتمثل ـ بعد ـ فى تلاوة جبريل ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ على نبينا المصطفى صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه:

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . »

وفى سبيل الهداية والحق كان اول تحد وانتصار على قوى الجهل فى غزوة بدر الكبرى فى رمضان وتمضى حقب وترسخ راية الحق فى الارض. وتعتنق الاسلام شعوب شتى تستضىء بنوره كتاب الله الكريم. ولئن مر بالمسلمين ما يمر بكل كائن. فلقد شد من عزمهم ذكريات الجهاد. وزكى عزمهم هلال كريم فى العاشر من رمضان فقهروا الهزيمة. وهوروا جدار الياس. ووقع الفداء الخالد: الله اكبر فكان اروع نصر سجل فى العصر الحديث. وتدرسه المعاهد العسكرية فى العالم لدراسته وانبهارا بعظمته.

وبمشيئة الله تبارك وتعالى ... اجتمعت اللجنة العليا للدعوة الاسلامية يوم الاحد ٩ من رمضان المعظم سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ١٩ من يونيه سنة ١٩٨٣ م فى تمام الساعة ١٢ ظهرا فى قاعة الاجتماعات بادارة الازهر الشريف .. وبرياسة فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر .. وحضور السادة الاعضاء:

(١) السيد الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى
نائب رئيس مجلس الوزراء للخدمات ووزير الدولة للتعلم والبحث العلمى

(٢) السيد الاستاذ صفوت الشريف
وزير الدولة للاعلام

اعداد :
الطاهر محمد الطاهر
أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
محمد زكى حسن

(٣) فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الدسوقى
وزير الدولة للاوقاف

(٤) فضيلة الأستاذ الشيخ احمد حسن الباقورى
الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين

(٥) فضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف حمزة
مفتى جمهورية مصر العربية

(٦) فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود
وكيل الازهر الشريف

(٧) فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الأحد جمال الدين
رئيس المجلس الاعلى للشباب والرياضة

(٨) فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الازهر

(٩) فضيلة الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم
امين عام مجمع البحوث الاسلامية

(١٠) فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحكيم نعناع
رئيس الادارة المركزية لشئون المعاهد الازهرية

(١١) فضيلة الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

(١٢) فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الشكور
وكيل وزارة الاوقاف لشئون الدعوة

(١٣) فضيلة الأستاذ الدكتور المستشار جمال الدين محمود
امين عام المجلس الاعلى لشئون الاسلامية

(١٤) فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الواحد
مدير عام المساجد بوزارة الاوقاف

(١٥) فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنصف محمود
مدير عام الوعظ والارشاد بالازهر

(١٦) فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الودود شلبى

الامين العام للجنة العليا للدعوة الاسلامية .

كلمة الافتتاح :

وبدأت اللجنة عملها فافتتح فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر اللجنة بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله . صلى الله عليه وسلم ـ وقد رحب بأعضاء اللجنة فى اول اجتماع لها فى هذا الشهر المبارك متمنيا لها التوفيق فى المهمة التى اوكلت اليها سواء بالداخل او بالخارج سائلا الله سبحانه وتعالى لهم التوفيق فى رسالتهم .

فقال فضيلته : عليكم أن تقوموا بهذه المهمة حسبة لله تعالى ونصرة لدينه ولعل الدولة وقد دعت هذه اللجنة بهذه الصفة الرسمية انما تبتغى ان يكون التوجيه للمسلمين نابعا من اصول الاسلام وأصول الاسلام كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم .. (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض ..

ان من واجب هذه اللجنة ان تدرس وتخطط وتوجه الدعاة وتنظم امور الدعوة فى مصر وخارج مصر .. لاسيما فى البلاد التى فيها الاقليات الاسلامية التى تكاد تذوب فى مجتمعاتها ولعله من واجبنا ان نحفظ لهذه الأقليات دينها لتكون اساسا للكثرة الاسلامية فى هذه البلاد ان شاء الله . وليس الامر امر تخطيط وتنظيم فقط وانما يجب ان يكون الأمر عملا مثمرا متعاونا بين كافة الجهات المنوط بها أمر الدعوة وبين وسائل الاعلام ويجب ان يكون معلنا ليواجه كل انحراف عن الدين سواء داخل مصر او خارجها باعتبار ان مصر هى بلد الأزهر الذى قام بهذه الرسالة منذ اكثر من الف عام . وقد احتفل المسلمون بعيده الالفى ودلت حفاوتهم على مدى تعلقهم بالازهر ومصر . ومن ثم فان على مصر ان تحتفظ بهذه الريادة .. فالازهر وقد تعلقت به امال المسلمين فى شتى بقاع الارض يقوم بواجبه خير قيام حيث ينتشر الان ما يزيد عن خمسة الاف عالم يؤدون الرسالة ويبلغون الامانة ونرجو ان يكون لهذه اللجنة الاثر الفعال فى توجيه الدعوة فى الداخل والخارج .

ايها الاخوة ارحب بكم فى هذا الشهر المبارك .. واسال الله لكم التوفيق ..

ثم تحدث فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الدولة للأوقاف فقال :

بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ان هذه اللجنة لها مهام جسيمة على الصعيد المحلى والعالمى

وان الموضوعات التى تبحثها هذه اللجنة هى مسطورة ومدونة فى قرار تشكيلها .

ولعل هذه المهام التى جاءت فى هذا القرار توضح الاعباء الملقاة على عاتقها . والامر متروك للسادة الاعضاء كل فى عمله يستطيع ان يقدم ما يمكن الاستفادة منه فى مجالات الدعوة على الصعيدين المحلى والخارجى . خدمة لجماهير المسلمين فى مصر وخارجها .

تعقيب فضيلة الامام الأكبر :

تفضل فضيلته فذكر انه فى هذا العام قد تم الاتفاق بين الازهر ووزارة الداخلية على ايفاد ثلاثين عالما من الازهر والاوقاف يرافقون حجاج بيت الله الحرام . لتعريفهم بمناسك الحج وطلب من السادة الاعضاء ان يعرضوا تصوراتهم واقتراحاتهم . لكى تبدا اللجنة مهمتها .

ثم تحدث فضيلة الدكتور الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية فقال :

من اجل ان نتفق يجب ان يعرض كل منال تقريرا عن العمل الموجود فيه حتى تكون اللجنة على بينة ومعرفة باسلوب العمل . فى جميع الاجهزة المعنية بالدعوة .

ثم تحدث السيد الدكتور مصطفى كمال حلمى فقال :

تفضل السيد وزير الاوقاف وشرح لنا خطط وسياسات هذه اللجنة . والحمد لله نحن لا نبدا من فراغ فالدعوة موجودة من قديم الزمان . منذ ان دخل نور الاسلام هذه الارض فالازهر الشريف الراسخ الشامخ الباقى باذن الله يقوم بعمله خير قيام . تعاونه فى رسالته وزارة الاوقاف . ومجمع البحوث الاسلامية . وجامعة الأزهر . والمعاهد الدينية . والطرق الصوفية . والمجلس الاعلى للشئون الاسلامية . وكافة الاجهزة المعنية بالدعوة ويجب ان تجمع الاجتهادات والاقتراحات . التى ترد من السادة الاعضاء وتتلقاها الامانة العامة للجنة وتقوم بمهمة التنسيق والتخطيط بين الاجهزة المختلفة للدعوة .

تم تحدث بعد ذلك السيد صفوت الشريف وزير الدولة للاعلام :

فذكر سيادته ان اجهزة الاعلام سعيدة بهذه اللجنة كى تسهم معنا فى التخطيط وابداء الراى .. فما احوجنا الى مثل هذه اللجنة . التى تجمع قمم الفكر . وقمم الاعلام والدين والفتوى .. وارجو ان يكون لها فضل كبير فى خدمة المجتمع ان شاء الله . وطلب ان تعمل اللجنة بعيدا عن الروتين حتى تؤدى دورها بدون معوقات .

واقترح ان توضع خطط وسياسات اللجنة فى يسر وبدون الدخول فى دهاليز الروتين فمن عمل اللجنة مشاركة اجهزة الاعلام وتوجيهها بل من حقها ان تطلب منها التركيز على قيم معينة ولو لمدة عام .. ثم ذكر سيادته انه يوجد لدى الاعلام ما يزيد على الخمسين مركزا فى الداخل مجهزة ومعدة تستطيع ان تؤدى دورها ..

اما فى الخارج فلدينا ما يزيد على الاربعين مركزا ايضا ولدينا افراد متخصصون يستطيعون ان يؤدوا دورا كبيرا فى الاتصال بالجاليات الاسلامية وقد تنقصهم امكانات . وعلى اللجنة ان توفر هذه الامكانات فضلا عن وجود استوديو معد ومجهز نستطيع عن طريقه التسجيل بعيدا

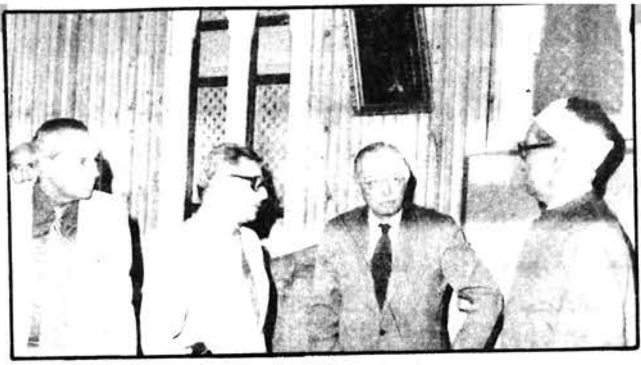

أنبـــاء وآراء

عن الحجز فى الاذاعة والتليفزيون وترسل التسجيلات الى الخارج ..

أقول مرة أخرى ان الاعلام سعيد كل السعادة بتشكيل هذه اللجنة ونتمنى ان يكون لها دور كبير فى خدمة الدعوة ان شاء الله .

فضيلة الشيخ / أحمد حسن الباقورى :

ثم تحدث فضيلة الشيخ الباقورى فقال « كلمتان لا ازيد عليهما لان كثير الكلام ينسى بعضه » وذكر أن الازهر الشريف مستقى الدعوة لانه يقوم على دعامتين :

أولاهما :

انتسابه الى مصر لان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اوصى بأهل مصر خيرا كما ورد فى الحديث « اذا فتح الله عليكم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لنا نسبا وصهرا » ..

ثانيتهما :

انه حجة الاسلام بحق . ذلك ان فيه علماءه . وفيهم الحنفى . والمالكى . والشافعى . والحنبلى . والسلفى . والصوفى . وقد جمع له الله فى هذا خيرا كثيرا ..

الامر الثانى يدور حول الحديث الصحيح « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما » ..

فالافكار تختلف كثيرا .. فهل من سبيل الى التقريب بين وجهات النظر هذه ؟

وختم فضيلته حديثه متمنيا للجنة ان تسير على هدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التيسير على المسلمين فى امور دينهم ودنياهم .

الشيخ / ابراهيم الدسوقى :

ثم تحدث فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى فاشار الى ان وزارة الاوقاف فى مجال تحقيق الدعوة الاسلامية انتهت من تشكيل مجلس ادارة فى كل مسجد حكومى تابع لها يضم افضل العناصر من سكان الحى الواقع به المسجد وتكون مهمته نقل مشاكل المواطن . والبيئة الى المسجد . ليقدم الدعاة والائمة تقريرا الى اللجنة العليا للدعوة بالمحافظة ثم يقدموا الحلول عن طريق الكلمة ..

ثم تحدث عن عملية التنسيق بين الاجهزة المعنية بالدعوة الاسلامية فاشار الى وجوب توحيد الراى وحل مشاكل المسلمين . خاصة ما يمس مشاكلهم فى العصر الحديث كشهادات الاستثمار والتامين .. الخ .. لان هناك مؤسسات ينتظر المسلمون منها حلا لهذه المشاكل حتى لا نرمى بالتخلف والجمود .

واذا كان من عمل هذه اللجنة حل مشاكل

المسلمين فهل يتعارض فى عملها مع مجمع البحوث الاسلامية او المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ؟ ام سيقتصر عملها على تقديم المقترحات والتوصيات ثم ذكر ان الوزارة تقوم بارسال القراء فى جميع انحاء العالم ، وخاصة فى شهر رمضان المعظم ..

فيوجد الان ١٧٠ قارئا خارج الجمهورية وحوالى ٧٠ واعظا يقومون بهذا الهدف الجليل ايمانا من الوزارة بوجوب القيام برسالتها فى خدمة الاسلام .. اما فى الداخل فذكر ان هناك حوالى ٣٥٠ قارئا من مشاهير القراء منتشرون فى ربوع البلاد خاصة فى المناطق النائية من سيناء الشمالية والجنوبية والوادى الجديد والبحر الاحمر .

ثم تحدث فضيلة الدكتور / الحسينى هاشم مرة أخرى :

فذكر ان مجمع البحوث الاسلامية قام ولايزال يقوم بواجبه نحو المسلمين فيما يعن لهم من مشاكل فى أمور دينهم ودنياهم .

ولكن هناك خلافا فى الراى فعلماء المجمع قالوا رايهم فيما عرض عليهم من امور.فلجنة الفقه برئاسة فضيلة الامام الاكبر قامت ببحث العديد من المسائل ولكن الاراء مختلفة فهناك النصيون المتمسكون برأيهم ، وهناك المجتهدون الذين يميلون لاستخراج الراى وكل فريق متمسك برايه ولعل فى هذا خيرا كثيرا وللباحث ان ياخذ بالراى الذى يرتضيه .

تم تحدث فضيلة الدكتور / محمد السعدى فرهود .. فقال :

لا اعتقد انى سوف اقول جديدا فالاراء التى قيلت والاقتراحات التى قدمت ذات روح فى كل الاجهزة لذلك فان اللجنة الموقرة محتاجة الى معرفة راى كل جهة فيما يخصها ، وكل جهة تؤدى ما عليها من واجب فالازهدر بمعاهده ، ووعاظه وجمبع هيئاته يؤدى ما عليه من واجب ، ووزارة التربيه والتعليم تؤدى كذلك ما عليها من واجب فكل جهة تقوم برسالتها على خير وجه .

ولكن اريد ان اركز على أن اللجنة لن تفعل شيئا اذا لم يكن أمامها حصيلة من التقارير والملاحظات والاراء ولابد من دعمها دعما فنيا بالافراد المتخصصين وكذلك لابد من الدعم المادى فالأزهر لا يستطيع أن يمدها بالاعتمادات المالية فالاقليات المسلمة محتاجة الى مال والى دعاة ولابد فى الداعية ان يهيا تهيئة خاصة وهذا من صميم عمل اللجنة .

وفى ختام الكلمة تمنى للجنة التوفيق فى اداء رسالتها فى خدمة الاسلام والمسلمين .

ثم تحدث الدكتور / جمال الدين محمود

فذكر ان الكلمة التى تحدث بها الدكتور مصطفى كمال حلمى يجب الأخذ بها وأشار الى أن هذه اللجنة لجنة تنفيذية بالمادة ٥ ، ٦ تنص على ذلك فعلى كل عضو من السادة الأعضاء ان يقدم للجنة تصوره فى مجال عمله ، ومن الأفضل ان يطبع ذلك ويوزع على جميع الأعضاء لمعرفة العقبات ووضع الحلول المناسبة لها .

ثم تحدث الدكتور التفتازانى :

فاشار الى انه من مهام هذه اللجنة التنسيق والتخطيط بين الأجهزة المعنية بالدعوة بقيادة الأزهر الشريف حتى تقوم

بالمهمة الكبيرة المنوطة بها خدمة منها للاسلام وللمسلمين فى داخل البلاد وخارجها .

ثم تحدث فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الله عبد الشكور :

فاشار الى انه يلزم وجود سحسيه مسئولة عن الجمعيات الاسلامية .. وتساءل .. هل تم تعيين خمس من الشخصيات الاسلامية المهتمة بامور الدعوة حتى يستطيعوا حضور اجتماعات اللجنة ؟

أما فيما يختص بهذه اللجنة فلابد من دعمها فى الداخل والخارج حتى يمكن ان تنهض برسالتها وكذلك لابد من وجود ادارات مختلفة داخل اللجنة ومعرفة نشاط كل ادارة واختصاصها .

ثم تحدث الأستاذ الدكتور عبد الاحد جمال الدين ..

فذكر ان اهم شىء هو التخطيط والتنسيق بين الاجهزة المعنية بالدعوة فالأزهر الشريف برجاله ووزارة الاوقاف ورجالها يؤدون رسالتهم على أكمل وجه . وشباب مصر وهم رجال المستقبل على أتم الاستعداد للقيام بمجهود كبير فى سبيل نشر الدعوة والمجلس الاعلى للشباب والرياضة بجميع هيئاته واجهزته وخبرائه على استعداد تام لمعاونة اللجنة فى تادية مهامها على أكمل وجه .

ثم تحدث الدكتور / مصطفى كمال حلمى مرة ثانية معقبا على كلمة فضيلة الشيخ / أحمد حسن الباقورى :

بان الازهر ينتسب الى مصر فقال « هل يسمح لى فضيلة الامام الاكبر ان اقول ان الازهر هو ازهر المسلمين جميعا ، فمصر تنتسب الى الازهر وجميع المسلمين كذلك ينتسبون الى الازهر .

وقد شكره فضيلة الامام الاكبر على ذلك .

وبعد البحث والمناقشة اوصت اللجنة بان يتقدم كل عضو من الاعضاء بمقترحاته تصوراته على ان يوافى بها الامانة العامة لجنة تمهيدا لاعدادها وعرضها فى جلسة مقبلة على السادة الاعضاء لبحثها واتخاذ مايلزم .

الدراسات الاسلامية فى الأندلس

ينظم المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد فى أوائل العام القادم مؤتمرا عن الحضارة الأندلسية وانتقال العلوم العربية الى الغرب عبر الأندلس ويشترك فى المؤتمر جامعات القاهرة ومدن غرناطة واشبيليه وقرطبة .. ويتم الان الاتصال بالكثير من المؤسسات العلمية والثقافية العربية . والشخصيات المهتمة بالدراسات الاسلامية وذلك للمشاركة فى المؤتمر ..

المسلمون فى فرنسا

نظم المسلمون فى فرنسا مؤتمرا لدراسة أوضاعهم داخل المجتمع الفرنسى .. واعلن المؤتمرون عزمهم على تشكيل حزب اسلامى فى فرنسا ..

ترجمة تفسير الطبرى الى الفرنسية

اصدرت دار النشر الفرنسية « ليزوكلير بيتزا » مؤخرا الجزء الأول من الاجزاء الخمسة للطبعة الاولى باللغة الفرنسية لتفسير القران الكريم لابى جعفر الطبرى الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى .

ويشكل نشر هذا العمل حدثا فريدا فى مجال ما ينشره المستشرقون من مؤلفات وهذه هى المرة الاولى التى يترجم فيها تفسير الطبرى الى لغة اخرى غير العربية . وبعد تفسير الطبرى احد المراجع الاساسية التى لا غنى عنها للمفسرين ..

مركز اسلامى بولاية أنديانا

تم افتتاح المرحلة الاولى من المركز الاسلامى بمدينة بلينفد بولاية انديانا بالولايات المتحدة الامريكية يتكون من مسجد يتسع لحوالى الفى مصل .. وروعى فيه أن يكون للنساء مكان متميز ، بمدخل خاص به ايضا صالتان للاطفال ومكتبة . ويشرف على المركز الاتحاد الاسلامى لامريكا الشمالية . وقد تبرع بكامل نفقات انشاء المركز صاحب السمو امير دولة قطر .

مجمع اسلامى فى قبرص التركية

بدات جمعية الصداقة القبرصية التركية المصرية اول مشروعاتها التنفيذية فى بناء « مجمع الرحمن » بالقرب من ميناء « فاما غوستا » الرئيسى فى قبرص التركية بعد ان خصصت الحكومة القبرصية التركية للجمعية قطعة ارض تبلغ مساحتها اربعة الاف متر مربع وتبلغ تكاليف هذا المجمع خمسة وعشرون مليون دولار .

انشاء محاكم شرعية بباكستان

صدرت فى باكستان توجيهات بانشاء محاكم شرعية على مستوى المديريات فى الولايات الباكستانية الاربع على ان يتم تعيين قاضيين على الاقل لكل محكمة من هذه المحاكم ..

○ **كتب كل من السيدين : مصطفى محمد مطاوع ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر ـ المنصورة وعبد الفتاح محمد خضر ـ كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر ـ المنصورة ..**

مقترحين : بان تقوم مجلة الازهر بنشر نتائج جامعة الازهر اسوة باخواننا طلاب التربية والتعليم ..

● نرجو ان يلاحظ الكاتبان الفاضلان ان مجلة الازهر مجلة بحوث علمية ، ثم هى شهرية ، لا تتسع صفحاتها لمثل ذلك .. وشكرا ..

○ **ـ كتب السيد / جمال عبد المعبود على عجور ـ الدقهلية ـ أويش الحجر**

مقترحا . ان تخصص المجلة صفحة لمسابقة دينية ثقافية . بحيث تكون جوائز هذه المسابقة عبارة عن مصاحف او كتب دينية ـ او هدايا مالية .

● المجلة . لا يسعها الا ان تشكر لك هذا الاهتمام . ونسال الله ان يوفقنا ويوفقكم الى ما فيه الخير للاسلام والمسلمين ..

○ **كتب السيد / محمد الحبيب ـ نيجيريا .**

طالبا بعض الكتب الدينية من تفسير وحديث .

● المجلة .. تستطيع سيادتكم الاتصال بفضيلة الدكتور امين عام مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ليمدكم بما تريديون والعنوان : القاهرة ـ الازهر ـ فضيلة الدكتور امين عام مجمع البحوث الاسلامية .

فهرس العدد

ذى القعدة ١٤٠٣ هـ - أغسطس ١٩٨٣ م

الموضوع	الصفحة
● **الافتتاحية**	
للدكتور على الخطيب	١٥٦١
● **نص الحوار بين فضيلة الشيخ مصطفى الحديدي الطير والأستاذ ليونارد**	١٥٦٢
● دراسات قرانية	١٥٨١
● **مع أيات الله فى كتاب الله**	
للدكتور محمد محمد خليفة	١٥٨٢
● دراسات فى الحديث	١٥٩٠
● **بيعة الرضوان المباركة**	
للدكتور محمد محمود شعبان	١٥٩١
● **النقد الحديث فى صحيح البخارى**	
للدكتور الحسينى هاشم	١٥٩٦
● **الحج فى الاسلام**	
للأستاذ محمد صابر البرديسى	١٥٩٩
● في السيرة النبوية والقضاء	١٦٠٤
● **قادة النبى صلى الله عليه وسلم**	
للأستاذ محمد عبد الرحمن أبو الغيط	١٦٠٥
● **من المواقف الخالدة لرجال القضاء**	
للمستشار محمد عزت الطهطاوى	١٦١٠
● **أثر الاسلام فى الأولين**	
للدكتور محمد رجب البيومى	١٦١٦
● **هيئة كبار العلماء صفحات مطوية من تاريخ الأزهر**	
للدكتور مجاهد الجندى	١٦٢١
● **طرائف ومواقف**	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٦٣٤
● من أعلام الأزهر	١٦٣٦
● **الشيخ الزنكلونى**	
للأستاذ محمد طاهر الزنكلونى	١٦٣٧
● الشعر	
● **محراب شاعر**	
للدكتور حسن جاد	١٦٤٤
● مع الفكر الغربي	١٦٤٥
● **جاذبية الاسلام**	
للاستاذ الدكتور مصطفى أبو كريشة	١٦٤٦
● **تصويب وتعقيب على مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى**	
للدكتور محمود عبد المعطى بركات	١٦٥٤
● مع التراث	١٦٦٠
● **مجلة الأزهر من خمسين عاما**	
للاستاذ احمد حسن جابر رجب	١٦٦١
● **من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر**	
للاستاذ محمد عميره على	١٦٦٩
● فى اللغة والادب والنقد	١٦٧٤
● بين التهذيب واللسان	
للدكتور محمد عبد الحفيظ العريان	١٦٧٥
● مدرسة الديوان	
للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى	١٦٨١
● العـــدد	
للاستاذ احمد حسن عبد العواض	١٦٨٦
● ابن هرمة والاحتجاج بالشعر	
للإستاذ السيد حسن قرون	١٦٩٩
● مع رسالة جامعية	
للدكتور مصطفى احمد النحّاس	١٧١٠
● **المدخل لدراسة الاعلام الاسلامى**	
للاستاذ حسن على لعنيبسى	١٧١٨
● **المسلمون فى سيرلانكا**	
حوار أجراه : عبد العزيز احمد جيرة	١٧٢٤
● **الفتاوى**	١٧٢٨
اعداد عبد الحميد السيد شاهين	
● **أنباء واراء**	١٧٣٠

طبع بمطابع روزاليوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب مظلة مصر ووقايتها

للدكتور علي الخطيب

من بعد القرون الاسلامية الأولى أوى الكتاب العزيز الى مصر ـ وحدها ـ من بين بلاد العالم . هبة المولى ـ عز وجل ـ لهذا البلد ، وأمانته التى ناطها بمصر ، وأدت مصر الأمانة :

فحفظ أبناؤها كلمات الله .
ورتلوها أجود ترتيل مسند الى رب العزة
ودرسوا علوم القرآن ورسمه وقراءاته
وأنشأوا المعاهد المختصة بعلومه
وكتبوا المصاحف بأجمل الخطوط وأروعها
ونشروا كلمة الله فى العالم أجمع
ولن تستطيع أمة فى الأرض ، ولو مكابرة وعنادًا ، أن تدعى أنها تقدمت مصر فى هذا الميدان .

ذى الحجة ١٤٠٣ هجرية ❀ سبتمبر ١٩٨٣ ميلادية

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان : إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

الكعبة المشرفة

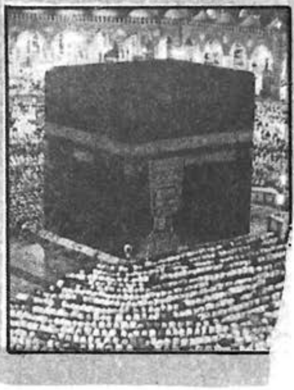

هــذا الكتاب ...

مصر ـ وحدها فقط ـ البلد الذى فتح قلبه لأبناء العالم ، وبسط لهم ذراعيه ليعلمهم قراءة القرآن ، وحفظه وتلاوته وتجويده .

ومصر هى البلد الذى دفع بمشاهير قرائه الى أطناب الأرض فأسمعوا المسلمين وَحْىَ الله غَضًّا بكل جماله وروعته .

والى مصر تدافعت « الاذاعات » العالمية لتتخطف « تسجيلات » قرائها ، فما حمل الأثير آية من كتاب الله العزيز تليت حق تلاوتها ، وطاف بها الأرض الا من أفواه مصرية .

وليس ينشأ ـ فى يومنا هذا ـ حافظ يتلو كتاب الله خير تلاوة الا كان أستاذه مصريا .

ولقد تجد من يحاجج فى أوليات الأمور .. حتى اذا تشعب القول الى كتاب الله لم تختلف الأقوال ، بل تهجع الأهواء لِتُقِرَّ لمصر بفضل السبق ، وجميل الرعاية ، وأداء الأمانة لهذا الكتاب العزيز .

هذا القرآن العظيم نعمة الله على مصر ، ويمينه التى حفظت أرضها ، والمظلة التى حمت سماءها

وعزيز على مصر ، هبة القرآن ، وعزيز على أوليائها ، وعزيز على شعبها أن ينأى عنه القرآن ، لهذا أَلِفَ القرآنُ مصرَ وألفه أهلوها ، وتسابقوا اليه حتى كبار السن ذوى الأعمال المختلفة ، والتخصصات المتنوعة ، وافتنوا ـ فى العمل ـ لحفظه :

ففى مذكرة مرفوعة لفضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، كتب المدير العام لشئون القرآن الكريم (١) :

« على ضوء الواقع بالفعل فى أنحاء جمهورية مصر العربية يتضح مدى اهتمام الحكومة والهيئات والمؤسسات بتحفيظ القرآن الكريم ، وتوزيع المكافآت والمنح على المتفوقين فى امتحان مسابقات حفظه ، واذكر بعضها على سبيل المثال :

(أ) تعقد بعض الشركات والمصانع والمصارف مسابقات فى حفظ القرآن الكريم بين العاملين فيها ، وتمنح المتفوقين جوائز تتفاوت بحسب القدر المحفوظ للمتسابق ، ومن هذه المكافآت :

السفر الى بيت الله الحرام لأداء العمرة أو الحج كما هو الحال فى بنك الاسكندرية ، وتوزع بعض الشركات والمصانع فى شبرا الخيمة المصاحف والتفسير للحافظ لشىء من القرآن الكريم .

(ب) تقوم وزارة التربية والتعليم باجراء امتحان مسابقة بين طلابها سنويا في حفظ القرآن الكريم بوساطة المناطق أولا ، ثم تجرى امتحان التصفية الثانية في القاهرة وتمنح المتفوقين جوائز مالية ومكافآت أدبية في صورة شهادة تقدير كذلك تقوم وزارة الأوقاف باجراء مسابقة خاصة بين طلاب المعاهد القرآنية وحلقات التحفيظ بالمساجد الى جانب

(١) بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٨٢

مسابقة عامة على مستوى الجمهورية تشمل صغار السن وطلاب المدارس الاعدادية والثانوية والجامعات ومافي مستوى كل ..

ووزارة الشئون الاجتماعية تجرى كل عام مسابقات بين طلاب جمعيات تحفيظ القرآن الكريم ..

(جـ) ومن المعلوم أن وزارة الدفاع تجرى مسابقات في حفظ القرآن الكريم كله لمعاملة المجند الحافظ معاملة الحاصل على مؤهل عال في مدة الخدمة الاجبارية بالقوات المسلحة بالاضافة الى ايفادها بعض المتفوقين لاداء العمرة .

(د) تسهم ادارة المخابرات العامة في هذا الميدان باجراء امتحان مسابقة قرآنية ودينية وثقافية تحريريا .

(هـ) يجرى الاتحاد العام للعمال على مستوى الجمهورية مسابقات في حفظ القرآن الكريم كله أو بعضه بالاضافة الى امتحان مسابقة في المواد الشرعية ـ الفقه والحديث ـ ويمنح جوائز مغرية للفائزين منها السفر الى بيت الله الحرام لأداء العمرة .

(و) يقوم المجلس الأعلى للشباب والرياضة باجراء مسابقات دينية منها مسابقة حفظ القرآن الكريم كذلك وتقوم هيئة السكك الحديدية المصرية باجراء مسابقة قرآنية بين رجال الشرطة فيها .

(ز) يسهم العاملون بالادارة العامة لشئون القرآن بجهد في امتحان كثير من المسابقات التى تجرى بين المتسابقين في هذه المواقع .

(جـ) يوجد في الوطن هيئات وجمعيات اسلامية كثيرة تقوم بتحفيظ كتاب الله ـ تعالى لايتسع المقام لذكرها والتعرض لها هذا بالاضافة الى ماتقوم به الادارة العامة للمعاهد الأزهرية من تبنى المكاتب الأهلية واعانتها والاشراف عليها كما تعنى باستمرار حفظ الطلاب للقرآن الكريم في جميع المراحل التعليمية المختلفة .

وتعقد مسابقات لهم عن طريق رعاية الشباب بالأزهر وتوزع الجوائز على الفائزين » ..

هذا شأن كتاب الله وشأن الترحاب به والحماس له في ميادين الكبار ـ جزاهم الله خير الجزاء .

وقد يختلف الأمر في حفظ « النشء » له ، وتبدو آثار تخلف في ميدانهم .. دفعت المسئولين الى الدراسة والفحص والعلاج ، ولهذا يقدم هذا العدد من مجلة الأزهر دراسة شاملة مستوعبة لهذا الموضوع قد تجد فيها سلبيات كثيرة في ميدان تحفيظ الناشئة للكتاب العزيز ، ولقد يسوءك بعضها كثيرا أو يستسخطك ولكن العبرة أن تتابع الدراسة فتجد :

أ ـ أننى ، وأنت ، وغيرنا من المواطنين ، قد وضعنا بأيدينا بذور المشاكل ، وتركناها تنمو بوسائلنا حتى صلبت جذورها بالأرض وأثمرت هذا العقم في حفظ الناشئة للكتاب العزيز .

ب ـ وأن رحمة الله ـ وحدها ـ أتت في وقت مناسب ، وانتشرت في أكثر من هيئة ـ في

الأزهر ـ وغير الأزهر ـ فتبصر المسئولون بها أسباب القصور ، واستقصوها ، وحصروها : روافد ونتائج .

جـ ـ وأن ممارسة للعلاج بدأت فعلا .

د ـ وأن في ميزانية هذا العام استجابة قد تضيف شيئا من الحلول تأخذ سبيلها الى العمل فتخفف من حدة الأزمة شيئا ما .

هـ ـ وأن وزارة الأوقاف قد أنشأت فعلا « المعاهد القرآنية » لتحفيظ الناشئة وأن بعض مجالس الادارة بالمساجد قد عمدت الى تحفيظ الناشئة ببعض الأحياء ـ شيئا من كتاب الله ـ عز وجل .

و ـ وأن بعض أعضاء مجلس الشعب يتقدمهم : الدكتور معتز المرزوقى ، والأستاذ محمود نافع قد اهتموا بالأمر وأعدوا له عدة :

فدرس الأستاذ نافع موضوع :

« تحفيظ القرآن الكريم وتجويده وتفهم معانيه » .

وأعد مشروع قانون له .

ودرس الدكتور معتز المرزوقى موضوع « محفظى القرآن الكريم » .

وأعد مشروع قانون له .

وهذا تحقيق يضع بين يديك :

أسباب القصور التى شاء الله أن يبسطهاأمام المسئولين والْخُطا التى عولجت أو في سبيلها الى العلاج .

وجهد المتقدمين في هذه المسألة وأعمالهم في مختلف مراكزهم ممن تناولتهم المشكلة أو كانوا طرفا فيها .

ولقد تمر بك أفكار متسقة تلتقى في رافد طبيعى ، أو أكثر وأفكار أخرى قد تتناقض ، ومن السهل معرفة المتناقض منها والحكم له أو عليه ، وقد رأت مجلة الأزهر أن تترك للمسئولين كلمتهم تعبر عن خالص فكرهم دون أن تعرج بهذا الفكر معراجا واحدا ، أو تتدخل فيه ، اذ في تلقى هذا الفكر ـ على ماهو عليه ـ اثارة لها استجاباتها في نفوس المؤمنين ، ودوافعها في اللقاء على ماهو خير وفضل للكتاب العزيز .

هذا الكتاب الذى رفع من شأن العرب ، وسلكهم في الذروة من البشر :

« وانه لَذِكْرٌ لك ولقومك »

وعلى مستوى هذه الرفعة كانت المسئولية :

« وسوف تُسْأَلُون »

وليظل القران الكريم بأرض الكنانة نورًا على نور يهدى العالِمَ والعالَمَ سواء السبيل ..

د . على الخطيب

مقدمة لا بد منها ..!

للأستاذ أحمد سعود
مدير الامتحانات بالأزهر

حين طلب منى أخى الفاضل الدكتور على الخطيب أن أسهم برأيى المتواضع فى مشكلة (تحفيظ القرآن الكريم) والقصور الذى صار اليه . وتناقص عدد الحافظين لكتاب الله من الناشئة والمحفظين له . رأيت أنه من الأنفع قبل أن نخوض فى التفصيلات أن أسهم برأيى عن طريق هذه المقدمة وهى ـ وان لم تكن تتعرض للموضوع نفسه ـ الا أنها قطعا المدخل الصحيح اليه .

والحديث الذى أريد أن أتعرض له انما يستعرض ، بايجاز ، هذا التقدم العلمى الرائع الذى حققته الدولة الاسلامية فى عصر العباسيين والنبوغ الفكرى فى مجالات العلوم والفنون مما ساعد على اتساع تلك الدولة الاسلامية العظيمة فامتدت آفاقها الى مشارق الأرض ومغاربها حتى اذا جاء التتار واكتسحوا بجيوشهم الدولة الاسلامية واحتلوا بغداد وحرقوا المكتبات وما فيها من مؤلفات كانت أسس التراث العلمى للعالم أجمع . وشردوا العلماء . فتوافدوا على مصر واستقبلتهم مصر خير استقبال ووجدوا فيها الأمن والأمان . فأقبلوا عليها وغرسوا من علومهم وأفكارهم فى رحاب مساجدها ومدارسها وزهت القاهرة بما كانت تزهو به بغداد من قبل وكان لرجال الدين المكانة المرموقة والكلمة المسموعة والرأى والمشورة لدى كل طوائف الشعب واستطاع هؤلاء العلماء أن يقودوا شعب مصر العظيم الى المسيرة القيمة والهدف النبيل حتى كانت الحملة الفرنسية على مصر وتلفت الناس الى المنقذ ولم يكن غير هؤلاء العلماء ليقودوا مسيرته ويرفعوا رايته فقادوهم ليحطموا بهم الأغلال وليزيحوا هذا الكابوس البغيض ، فاستمرت مقاومة الشعب الباسل بقيادة علمائه حتى ضج جنود الفرنسيين من شراسة المقاومة وجسارة هؤلاء المحاربين وقدرتهم على مواصلة الكفاح وثارت بالمحتل ثائرته فجمع جنده واحتل عسكره الأزهر الشريف . وكان هذا التصرف الأحمق تعبيرا عن غضبه وتنفيسا عن سخطه

واظهارا للضيق والكره الذى يحمله هؤلاء المستعمرون لعلماء مصر وأزهرها الشريف .

ولم ينس الاستعمار ـ أبدا ـ هذا الدور البارز لعلماء الأزهر فى محاربته بل تأكد هذا الدور وظهر بوضوح حين استطاع العالم المجاهد الشيخ عمر مكرم ـ أن يخلع الوالى التركى ويولى مكانه « محمد على » مؤسس الأسرة العلوية . ولم يكن الشيخ عمر مكرم ليقدم على ما أقدم عليه الا اذا كان وراءه شعب يستمع له وجموع تستجيب لندائه . ولذلك فان الاستعمار وأعوانه ما كانوا أبدا يتركون هذا الحدث يمر دون دراسة فباتوا يسهرون ويدرسون ويخططون ليطيحوا بمنزلة العلماء ويشككوا فيهم ويشوهوا من سمعتهم فأذاعوا بين الناس أحاديث كاذبة وروايات مزورة وحكايات ملفقة يريدون بها أن يفقد الشعب ثقته فيهم واحترامه لهم . ثم عمدوا بعد ذلك الى الحد من كثرتهم فضيقوا عليهم فى أرزاقهم حتى كان العالم يفنى عمره فى تحصيل العلم حتى يصل الى أرذل العمر وهو لا يحصل من الدولة الا على فتات الرزق . ولقد أدركنا مشايخنا الذين كانوا يدرسون لنا ويحملون أعلى الدرجات العلمية (الأستاذية ـ الدكتوراه) وراتب أحدهم ثلاثة جنيهات شهريا . وكان ذلك تخطيطا مقصودا . وطريقة بارعة خطط لها الاستعمار ونفذها أعوانه بكل دقة بل استمر هؤلاء الأعوان يعملون جاهدين لابعاد العلماء عن مكان الصدارة والقيادة وليشغلوهم بأرزاقهم عن التفكير فى أمر هذه الأمة واصلاح شأنها .

ولم يصرف هذا الوضع الأليم علماءنا عن واجبهم ، بل لم يفت فى عضدهم أن يروا من فلذات أكبادهم من تصدر المكانة والوزارة . وهم على حالهم داخل اطار من فكر أثيم تعمد فاعلوه أن يقتروا على القوم رغبة فى الخلاص منهم .

تلك الحال السيئة التى وصل اليها العلماء فى هذا العصر جعلت الأجيال التى جاءت بعد ذلك ـ ورأت هذا التخلف المادى والأدبى

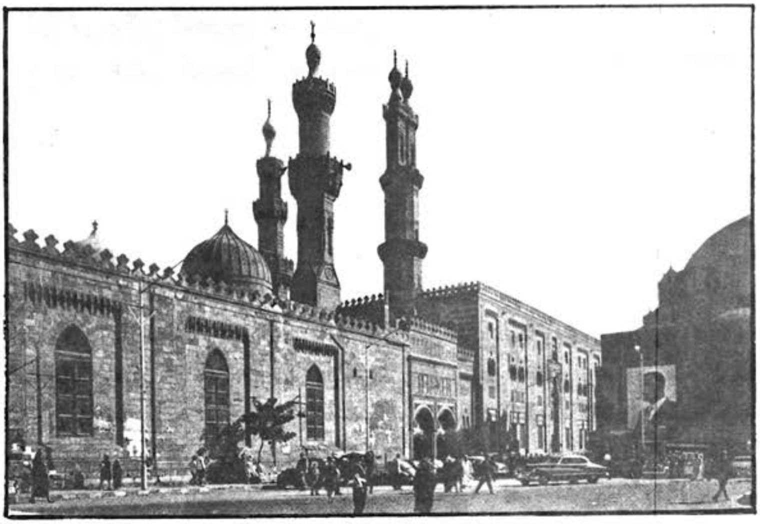

الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان

الذى آل اليه الآباء ـ تنصرف الى نوع آخر من المعرفة يكون للحاصلين على مؤهلاته شىء من الحظ ونوع من الترف . وبرغم تلك الظروف السيئة التى أحاطت بعلماء الأزهر فى تلك الفترة الحرجة من تاريخنا كانوا ملاذ الأمة اذا اشتد الكرب وادلهم الخطب وتكالب الأعداء . لا ترى الأمة لها منقذا بعد الله الا الأزهر تأوى اليه . والا علماءه تركن اليهم .

وبعد :

فقد كانت تلك المقدمة واجبة قبل الدخول فى موضوع سيتناوله الزملاء بالبحث والتحليل لمعرفة الأسباب المباشرة والبعيدة التى أدت الى انصراف كثير من الناشئة عن حفظ القرآن الكريم .

وهنا أريد أن أشير الى ما كان يتمتع به حافظ القرآن من امتيازات كانت حافزا للاقبال على حفظه :

فقد كان حفظ القرآن فى ذاته يعد ـ بعد النظرة الدينية ـ واجبا وطنيا كالتجنيد ويعفى منه . وكانت تصرف للحافظ مكافآت مالية كانت ـ على قلتها يومئذ ـ مشجعة تسرع بهم الى الحفظ .

وفى عام ١٩٤٨ م صدر قانون التجنيد الاجبارى ثم أعقبه الغاء هذه المكافآت فأخذت نسبة الحافظين والمحفظين ـ معا ـ فى الهبوط الى أن وصل الحال الى ما نحن عليه . لكن اذا صح العزم . وصدقت النية فقد توجهنا الى عمل نافع يأتى بثمره ان شاء الله

ولا يفوتنى أن أذكر فى هذا المقام الجهد الصادق الذى سعى اليه أستاذنا فضيلة الشيخ / عبد العزيز عيسى . حين أحس أن النية متجهة الى تعديل فى بعض مواد « قانون التجنيد » فاتصل بالسيد الفريق وزير الدفاع واستطاع أن يحقق بعض المكاسب للحافظين لكتاب الله الكريم . وقد سعى سعيه وبذل جهده وهو بعيد كل البعد عن السلطة .

أقول هذا ليكون باعثا لكل مخلص . وحافزا لكل ذى همة أن يعمل ويجاهد والله عنده حسن الثواب .

أحمد سعود
مدير الامتحانات بالأزهر

معالم القصور

تأوى الناشئة المصرية الراغبة فى حفظ الكتاب العزيز الى موارد خمسة تحقق بغيتها ، وهذه الموارد ـ وحدها ـ هى التى تيسر لهم قراءة القرآن ، وحفظه ، ومتابعة المحفوظ وتثبيته ، وهى :

١ ـ المكاتب الأهلية .
٢ ـ المعاهد الابتدائية الأزهرية
٣ ـ معاهد القراءات بالأزهر
٤ ـ مكاتب جمعيات تحفيظ القرآن الكريم بالجمهورية
٥ ـ المعاهد القرآنية لوزارة الأوقاف

ومن الناشئة
... الى العاملين بهذه الموارد
... الى المواطنين
تبرز معالم القصور جلية .

معالم القصور فى المكاتب الأهلية :

١ ـ تكفلت كلمة صاحب الفضيلة مدير الامتحانات بالأزهر ببيان أكثر من سبب مباشر أدى الى القصور فى الاهتمام بتحفيظ كتاب اللهالكريم للناشئة من قبل عام ١٩٤٨ م ..

منها تفضيل بعض المواطنين دفع أبنائهم الى لون من التعليم يبسط ـ فى نظرهم ـ مجال رزق أوفر ، أو مستقبل أزهر ، أو وضع اجتماعى خير مما عليه حفظة الكتاب العزيز.

٢ ـ كذلك وجدنا قصورا كان نتيجة مباشرة لاندفاع ـ عن رغبة طيبة ، ونية حسنة ـ نحو انشاء مكاتب أهلية لتحفيظ القرآن الكريم ، لم يخطط لها على ضوء دراسة أوسع وعمق أوفر فأدت الى :

أ ـ وجود أكثر من مكتب بجهة واحدة ، وخلو كثير منها فى وجهات أخرى ، وتبع هذا الوضع ـ فى بعض جوانبه ـ ظهور الحاجة الأشد فى بعض الجهات التى تخلو من مكتب مع خفة الكثافة لدى الجهة ذات المكاتب الأوفر .

ب ـ تفقد هذه المكاتب جميعا ما ينبغى ـ وجوبا ـ توافره من « الرعاية الصحية » الموفرة لتلاميذ المدارس .

ج ـ يفقد كثير من هذه المكاتب « المرافق الصحية » الواجب وجودها لحاجة التلميذ ، لاسيما صغير السن ، حتى يستقر بها مستريح النفس طيب الفؤاد مما يجعلها غير صالحة لأداء الرسالة وذلك يقتضى وضع خطة تستجيب لرغبة المواطنين وتستجيب كذلك لمستوى الصالح العام الواجب توافره فى هذه المنشآت ، فيتم انشاء معهد لكل تجمع سكانى يبلغ عدده نسبة معينة من المواطنين مع مراعاة العدالة فى التوزيع الجغرافي والاحتياجات الفعلية لهذا التجمع

مع توفير ما يحتاجه المعهد وما يحتاجه طلبته من ضروريات معينة فى أداء الرسالة .

د ـ نجد بعض المكاتب مثل الجسم الغريب قد أقحم نفسه فى هذا الميدان دون نتيجة ظاهرة ، أو عمل متواصل فى أداء هذه الرسالة ، فبينما المكاتب متقدمة الذكر تؤدى عملها على ما فيها من قصور ، وما فى هذا القصور من أثر يترك بصماته على انتاجها ، فان هذه المكاتب الأخيرة : « د » قد لا تنتج الا ما يذر الرماد فى العيون ..

وهذه « سلبيات » تعود مباشرة الى بعض المواطنين يضاف اليها ـ فى جانبهم ـ رغبة بعض المواطنين عن هذا اللون من التعليم لمن يتولون أمرهم مثلما تقدم .. ثم نجد قصورا أو أكثر يطرحه طابع هذه المكاتب ويتمثل فى :

٣ ـ عدم وجود « الدافع » الذى يرغب التلميذ فى حفظ الكتاب العزيز من حوافز وأدوات مدرسية فى مقدمتها المصحف الشريف ، ووجبة غذائية .. الخ

٤ ـ ينضم الى غياب الدافع عدم وجود « الزام » يقر الطالب بالدراسة فى المكتب والمواظبة عليها ..

ولو أن المكتب توفر له :

أن يكون مرحلة تعليمية ابتدائية تعد الطالب بعد النجاح فيها للالتحاق بالصف الأول الاعدادى بالأزهر ..

وعومل طالب المكتب معاملة التلميذ من حيث الالزام ـ وذلك أمر ممكن بالتعاون بين الأزهر ووزارة التربية والتعليم لوضع وسائل هذا الالزام وتطبيقه ، وتوزيع نسبة عادلة من هؤلاء التلاميذ بين الأزهر وغيره ـ اذا تم ذلك ، فان التلميذ لن يهرب عند بلوغه سن الالزام ، فيجد المكتب من يعمره من سن الرابعة الى الثانية عشرة ..

وما يطبق على طالب المكتب هنا يطبق أيضا على طالب مكاتب جمعيات تحفيظ القرآن الكريم .

٥ ـ كذلك تفقد هذه المكاتب ما يجب تعليمه للناشئة ضرورة من مبادىء اللغة والخط والاملاء ، ثم مبادىء الرياضة

٦ ـ وقد نجد القائم بالمكتب ـ فى بعضها ـ غير متفرغ لرسالته ، واذا ذهبت لاستقصاء الأسباب قد تنتهى الى التماس أكثر من عذر له ، وقد لا يكون له عذر على الاطلاق ..

٧ ـ يضاف الى ذلك ندرة الدورات التفتيشية لهذه المكاتب ، وقصورها التام ـ فى أغلب الأحوال ـ عن القيام بواجبها ، فان للأزهر تسع عشرة منطقة تعليمية بالجمهورية ، ومفروض أن يكون بكل منطقة مدير مساعد لشئون القرآن الكريم ، أسوة بباقي المراحل التعليمية يليه مفتشون أوائل فمفتشون .

أ ـ لكن هذا الجهاز غير مطرد التكوين ، فبعض المناطق لا يوجد بها مدير مساعد لشئون القرآن الكريم ويضــاف عمله الى أى مدير مساعد آخر،ثم قد يوجد مفتش أول،وقد لا يوجد ، كذلك فى أكثر من حال لا يوجد من المفتشين العدد الذى يفى بالحاجة .

ويتطلب الأداء السليم لصيانة « عملية تحفيظ القرآن الكريم » أن يوجد مفتش لكل عشرين أو ثلاثة وعشرين مكتبا على الأكثر حتى تتم متابعة سليمة لشئون كل مكتب : تلاميذ ومحفظين ، كذلك يكون لكل ثلاثة مفتشين مفتش أول ..

على أن يتم سريعا وضع لائحة تخص ادارة شئون القرآن واذا كانت ادارة شئون القرآن الكريم لم توضع لها لائحة حتى الآن رغم توصية بذلك من أكثر من عام ، فان هذه المكاتب أيضا تفقد جهازا اداريا يتابع شأنها كله ، وتمتد فروعه الى كل محافظة ، ويحيط علما بهذه المكاتب : محفظين وطلبة فى سجلات مصممة تصميما دقيقا يؤدى الواجب على خير الوجوه .

القصور فى المعاهد الابتدائية الأزهرية : ـ

وعن دراسة مباشرة وجدنا عقبات تعترض حفظ الكتاب العزيز حفظا جيدا بهذه المعاهد وتتمثل فى أن :

١ ـ بعض العجز ـ ليس فى هيئة التدريس عامة ، فهذه ذات وفر ـ وانما العجز فى المحفظين للكتاب العزيز ، وقد أدى هذا العجز الى ما يستتبعه ضرورة من ألوان القصور :

أ ـ فقد يستعان ـ فى فراغه ـ بعنصر مهما بذل من جهد فانه يعطى بقدر ما عنده ولا يستطيع أن يزيد ، وجهده ـ مع الشكر له ـ ليس فى المستوى المطلوب ..

ب ـ وقد يحدث هذا الوضع فى بعض الأحيان غبنا بينافي مستوى القراءة للقرآن ، فالحفظ ، فمراجعة المحفوظ ..

٢ ـ تكدس البرنامج التعليمى بهذه المعاهد صار فى ذاته معوقا ملحوظا ترك آثاره على حفظ الكتاب العزيز :

أ ـ فبعد أن كان مطلوبا حفظ القرآن الكريم على مدى السنوات الست لهذه المرحلة ، رفع بعضه الى المرحلة الاعدادية ، ويكاد يكون مستحيلا أن يحفظ الطالب شيئا من القرآن في هذه المرحلة .

ب ـ قضى هذا الوضع ـ أو كاد ـ على نشاط التلميذ ولايمكن لمرب أن يتجاوز عملية النشاط وقيمتها التربوية ، فالنشاط لازم بخير وجوهه للعملية التعليمية والتربوية والنهوض بالبيئة ، واكتساب التجاوب الوجدانى اللازم بين التلميذ ومجتمعه .

جـ ـ كثافة العدد داخل الفصول يهضم العملية التحفيظية للكتاب العزيز حقها ، فاذا افترضنا ان بالفصل ثلاثين طالبا ـ وهو عدد كبير جدا ـ وتصورنا ازاء العملية التعليمية المطلوبة من المحفظ للكتاب العزيز أدركنا أن وقت الحصة لايتكفل بأداء حسن لمراجعة المحفوظ أو القراءة « الجديد » أو لسبر العملية التعليمية ـ في ذاتها ـ لأفراد الفصل .

مما يطرح موضوعاها مايؤدى بنا الى اعتبار (حفظ القرآن) لونا خاصا من التعليم ، له برامجه الخاص ، ومستقبله الخاص ، ومتطلباته من الدراسات التى تعنى في ذاته ، وتؤهل صاحبه لمستقبل مرموق .

القصور فى معاهد القراءات :

وأول معالمه أنها موجودة بقلة شحيحة لاتفى بالحاجة ، بينما هى المختصة ـ في الميدان ـ بتخريج القارىء الحافظ المتقن الذى يمكن أن يؤمن على كتاب الله العزيز ، لكنها محدودة وقاصرة على بعض المحافظات ،

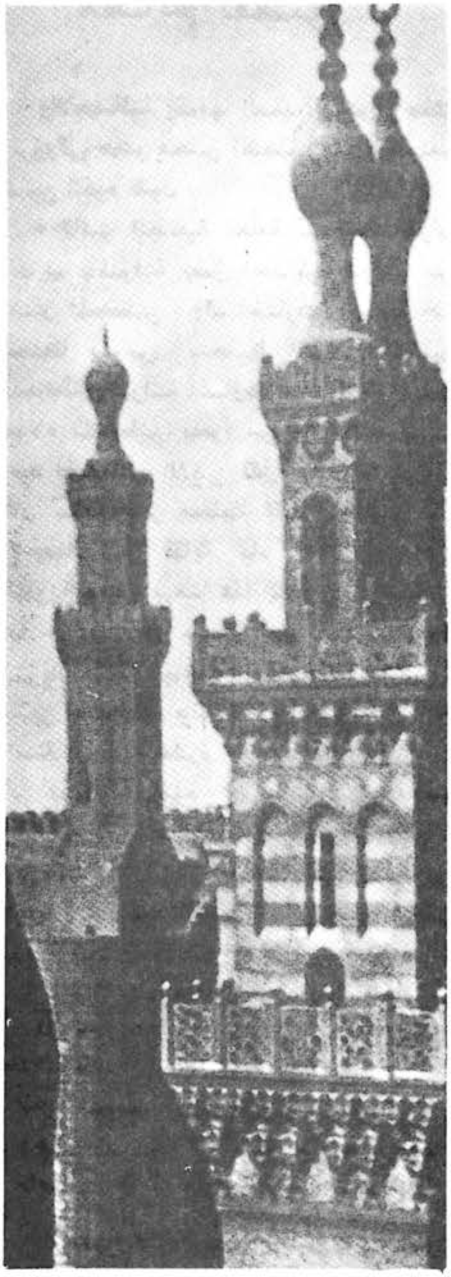

ثم هى في مجموعها لاتفى بحاجة مصر فضلا عن البلاد العربية وبقية البلاد الاسلامية .

وبها ـ أيضا عجز كبير في هيئة تدريس مواد علوم القرآن الكريم الى شحة الجوائز والحوافز .

والحاجة هنا ضرورية للتوسع في انشاء هذه المعاهد .

وكذلك في امدادها بهيئة التدريس الصالحة والأمر ممكن وميسور ، فلا زال في الميدان من أساتذتنا من يمكن أن يعمر المكان ويقوم بالتدريس من الفئات المحالة على المعاش ، وتوفير المعاملة الكريمة الطيبة لها .

ثم نحن اذا جاوزنا خريجى هذه المعاهد نستطيع أن نقول مطمئنين :

انه ينبغى تدريب جميع المحفظين ـ عدا هذه الفئة ـ على عملهم فنيا .

فعدم التدريب يعتبر من القصور العام في اتقان أداء العملية التعليمية في هذا السبيل ، وهنا ينبغى أن نتحدث عن :

مستويات المحفظين :

وهل هي أيضا تمثل مشكلة ؟

في المحفظين متقنون ، وهم طبقة ، أعطت مصر خير مايعطيها انسان ، ثم هم ـ والحزن يعصر قلوبنا والاستسلام لأمر الله ـ جل وعز ـ يملأ نفوسنا ـ هم طبقة تنقرض شيئا بعد شيء ، خطاهم سريعة الى « الندور » وبين أيدينا احصائية تكشف عن هذا الوضع ، قد تكون أليمة .. نعم .. وليس مايخفف من أمرها ـ شيئا ما ـ الا علمنا بأن هذه الحال تختلف من محافظة الى أخرى .. وان كان طابع الندرة قائما في الجميع .

والاحصائية يقدمها السيد الدكتور معتز المرزوقى عضو مجلس الشعب عن دائرة بندر شبين الكوم تقول :

« قامت الجمعية العامة لتحفيظ القرآن الكريم بالمنوفية بعمل احصائية لدراسة سن أعمار المحفظين . وقد اختارت الجمعية ٤٥٠ محفظا يقومون بتحفيظ القرآن بكتاتيب المحافظة وبدراسة أعمارهم وجد أن ٢٩٢ من هؤلاء المحفظين بلغوا سن ٦٠ سنة . بينما عدد المحفظين الذين تقل أعمارهم عن ٤٠ كان سبعة عشر محفظا فقط . وكانت هذه الاحصائية في نهاية عام ١٩٧٩ ومن هذا التاريخ حتى يومنا هذا انتقل الى رحمةالله ٤٨ محفظا أى بمعدل ستة عشر محفظا سنويا فاذا تجاوزنا ذوات « المتقنين » الذين يذكروننا بالحفظة في حرب الردة في السنة الحادية عشرة من الهجرة وماتلاها ـ اذا تجاوزنا القوم الى من دونهم ، فاننا نستطيع أن نضعهم ـ حسب امكانياتهم ـ ودرجات .. الى أن لانجد شيئا .. وحين لانجد شيئا نجد العلاج المسكن الذى لا يعنى بدوره شيئا يذكر كما تقدم .

وفي هذا الوضع أكثر من أمر يتداخل الى حد التعقيد . وقد يكون من بين أطرافه : ندرة المحفظ ، ومن طرف اخر قيمة الراتب وعسى أن نجد فيما قدم من حلول أخيرة دافعا ذا بال الى وضع أمثل .

ويطرح هذا الوضع ، ونعنى به « اضطراب الكفاءة » بين المحفظين الى تساؤل اخر :

كيف يتم اختيار هؤلاء المحفظين ؟

هل يتم اختبار يتوافر فيه المناخ الصحى كاملا ؟

اختبار لا يشكل فحواه عدة أوضاع تطالبنا بسد الفراغ أكثر من اختيارنا المحفظين نتيجة اختبار صحيح سليم .

ان من الأوضاع مانرى أنفسنا فيه أمام محفظ علينا أن نرضى به كما هو الحال في كثير من مواقع العمل بالمكاتب الأهلية .

لكن في الحق أيضا أننا في حاجة الى اجراء اختبار دورى لكافة العاملين بهذا الميدان يقوم به علماء مشهود لهم بالدقة والعدالة وحفظ كتاب الله العزيز ـ سبحانه ـ دون أن نجعل للحاجة .. أو قلة الحوافز .. أو غيرهما طريقا يعوقنا عن ارساء الأسس الصالحة التى تقيم البنيان الصحيح .

وهذا الاختبار بهذا المستوى الأمين مطلوب أيضا لكل تلميذ بالأزهر ، وبالمكاتب الأهلية ، أو مكاتب جمعيات المحافظة على القرآن الكريم ، أو طلبة المعاهد الابتدائية الأزهرية والثانوية ، أو طلبة معهد القراءات ، أو الجامعة فان الخلل الذى لا عذر فيه قد وجد طريقه الى كافة هذه الدروب حتى طفح منها الغثاء .

ولقد يرى بعض المسئولين فى هذا الأمر ما يحرم السكوت عليه ، أو يتجاوز كبيرة لا يدرى ما يقوله لله ـ عز وجل ـ فيها .

ينبغى أن يعلم كل طالب بالأزهر ـ في أى مكان فيه ـ أن القرآن الكريم لا يستوى وضعه

كتب ربكم على نفسه الرحمة

صدق الله العظيم

في الاختبار مع أى مادة أخرى .. ومثل هذه التسوية ضلال في ضلال ان للقران العظيم منزلته الخاصة . وعلى الطالب أن يعد نفسه للاختبار فيه اعدادا يبرأ فيه الى المولى عز وجل – من كل نقيصة لاتليق بالكتاب العزيز ، ويصون الكتاب الكريم ، ويصون دينه ، ويصون نفسه عما لايليق بكلمة الله .

وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم :

وهى الجندى المجهول والمعلوم في هذا الميدان تعمل في صمت وتنتج مانعلم من ناشئة حفظوا الكتاب العزيز بمكاتبها وهى في حاجة الى :

أ – توفير الامكانات لما هو قائم منها ، مسبوق ذلك بدراسة سابرة مستوعبة لمشكلها منتجة لحلولها .

ب – تخصيص جزء من المعونات لهذه الجمعيات قابل للزيادة غير قابل للخفض تحت حد مقرر ليستقيم دخل المحفظ وجائزته وحافز الحافظ ، واعانة المكتب على وجه كريم .

جـ – الاستجابة الى حاجتها من مفتشين ومحفظين .

د – التشجيع اللازم للاكثار منها فى الجهات التى تخلو من مثلها .

وبعد فلنأت الى اخر مايقال في هذا المقال ، وتردد بين سطوره ، ووضح مدى اهميته ، ونعنى به جانب حوافز المحفظين ، وجوائز الحافظين ، ولا حاجة بنا الى بيان أهميتها في كل مسالك هذا الموضوع والمطلوب هنا :

وضع نظام يحدد وجهة قبول التبرعات والهبات والمعونات والأموال المتحصلة لتحفيظ القران الكريم الى جانب مالها من ميزانية راجين توحيد هذه الجهة ، ووضع قواعد التصرف في مواردها وصرفها في الغرض الذى خصصت له ، وحبذا لو تم لأمر القران الكريم كله (مجلس أعلى) يرعاه .
وعلى الله قصد السبيل .

د . على الخطيب

دراسة

المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا

الواقع الحالي للمعاهد الابتدائية الأزهرية

مقدمة :

لمرحلة التعليم الابتدائي الأزهري أهمية قصوي ، باعتبار أنها القاعدة في الهيكل الهرمي للتعليم في الأزهر ، فهي الأساس الذي تبني عليه بقية المراحل ، سواء من ناحية الكم أم الكيف .

القسم الأول

أما من حيث الكم فان التخطيط السليم لسياسة القبول في هذه المرحلة ، وللأعداد التي تقبل بها هو الذي يكفل من احتياجات التعليم الأزهري في جميع مراحله ونوعياته وأما من حيث الكيف فانه في اثناء الدراسة بهذه المرحلة يتم وضع اللبنة الأولي لهذه النوعية المتميزة من التعليم التي أنفرد بها الأزهر خلال العصور ، والتي تعتمد أساسا علي كتاب الله حفظا وفهما وتجويدا .

ومن أجل هذا حرصت شعبة التعليم الأزهري علي أن تولي هذه المرحلة من التعليم الأزهري عناية خاصة ، فقدمت في الدورات السابقة عدة دراسات من قاعدة التعليم الأزهري تناولت بعض مسائله ، وقد رأت الشعبة أن تقوم بدراسة بهدف تقويم التعليم الابتدائي الأزهري بصفة عامة ، ايمانا منها بأن كل جهد يبذل في النهوض بهذه المرحلة والتخطيط لها علي أساس سليم وتحسين مستوي الاداء فيها ـ سوف ينعكس حتما علي بقية المراحل كما وكيفا ـ .

تطور التعليم الابتدائي الأزهري :

كان التعليم الأزهري قبل الجامعي ـ فيما مضي ـ يقوم علي مرحلتين :

الأولي : المرحلة الابتدائية ، وهي التي تقابل المرحلة الاعداية في التعليم الحالي ومدتها ٤ سنوات .

والأخري : المرحلة الثانوية ومدتها خمس سنوات ـ ويؤخذ من هذا :

ان المرحلة الابتدائية في النظام القديم لم تكن ابتدائية بالمعني المتعارف عليه ، وأنما كان لابد أن يسبقها كان لابد أن يسبقها قدر من التعليم يتزود به كل من يرغب في الالتحاق بها ، سواء أكان هذا التزود في الكتاتيب أم في مدارس تحفيظ القران الكريم أم في المدارس الأولية أم غيرها .. ومن أجل هذا كان التحاق الطالب بالمرحلة الابتدائية الأزهرية مشروطا باجتياز امتحان في حفظ القران الكريم بالاضافة الي النجاح في اختبار تحريري في قواعد الحساب في الاملاء والخط .

تقويم
التعليم الابتدائي الأزهري

شعبة التعليم الأزهري - أبريل ١٩٨٣

وقد حافظ الازهر علي تنفيذ هذا النظام حتي أواسط الأربعينيات اذ أحس بنضوب الموارد التي يرد منها حفظة القرآن الكريم ، وأحس بالعجز الواضح في اعداد هذا النوع ، عندئذ اضطر الي قبول اعداد يمكن أن يقال أن قبولهم لم يكن الا علي تسامح واغضاء .. وأستمر الأمر كذلك حتي صدر القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، وكأن واضح هذا القانون أراد أن يعالج هذه الحال فجاءت المادة ٨٤ منه تقول :

« تقوم مدارس تحفيظ القرآن مقام مدارس المرحلة الأولي بالنسبة للطلاب المتقدمين الي المعاهد الاعدادية للأزهر ، وتحدد اللائحة التنفيذية نظام القبول وشروطه بالنسبة للمتقدمين من تلاميذ هذه المدارس ومن غيرها » .

وهكذا أنشئت مرحلة ابتدائية في ظل هذا القانون لتعد الطلاب للمرحلة الاعداية التي استحدثها القانون .

وكان أساسها سبعين مدرسة لتحفيظ القران الكريم تابعة لوزارة المعارف وحولت تبعيتها في الخمسينيات الى الأزهر ، ثم حولت ٧٠ مدرسة أخري مماثلة ، عدا بضع مدارس كانت تابعة لوزارة الأوقاف .

وكان عددها حين صدر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ لايتجاوز ١٤٦ مدرسة تضم ٨٤٣ فصلا ، بها ٢٩٤٣٦ تلميذا ، وقد ألحقها هذا القانون بالمعاهد الأزهرية وأطلق عليها أسم « المعاهد الابتدائية الأزهرية » ، وقد قفز عدد هذه المعاهد منذ صدور قانون التطوير وحتي بداية العام الدراسي الحالي ١٩٨٢ – نتيجة للتوسع في التعليم الأزهري – الي ٥٨٥ معهدا تضم ١٤٥ر٣٣٠ تلميذا وتلميذه . وقد أنشيء معظم هذه المعاهد بالجهود الذاتية . (انظر الملحق رقم ١ ورقم ٢) .

نظام القبول بالمعاهد الابتدائية الأزهرية :

مدة الدراسة بالمرحلة الابتدائية ست سنوات يلتحق بها البنون والبنات ، وتتلخص سياسة القبول بالصف الأول فيما يلي :

أولا التلاميذ المصريون المقيمون علي أرض الجمهورية وهؤلاء يلحقون بالصف الأول في سن تتراوح بين الخامسة والتاسعة .

تقويم التعليم الابتدائى الأزهرى

ثانيا : التلاميذ غير المصريين :

ويلحق هؤلاء – عن طريق ادارة الوافدين بالأزهر – بالصف الذي يتناسب مع سنهم وتحصيلهم في حفظ القران الكريم ومواد اللغة العربية والحساب والتربية الدينية – بناء علي امتحان مستوي خاص يعقد لهم ويمنح الطلاب الذين يجتازون الامتحان الذي يعقد بعد نهاية الصف السادس الابتدائي – وهو علي مستوي الجمهورية – الشهادة الابتدائية الأزهرية ، وهي تعادل شهادة اتمام الدراسة الابتدائية العامة التي ألغيت مؤخرا . والشهادة الابتدائية الأزهرية تتيح لحاملها الالتحاق بالمعاهد الاعدادية الأزهرية ، كما تتيح له الالتحاق بالمدارس الاعدادية العامة دون قيد أو شرط فيما يتعلق بسن التلميذ .

خطة الدراسة والمناهج :

تنص المادة ٨٥ من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ علي أن « الغرض من المعاهد الأزهرية تزويد تلاميذها بالقدر الكافي من الثقافة الاسلامية والي جانبها المعارف والخبرات التي يتزود بها نظراؤهم في المدارس الأخري المماثلة ليخرجوا الي الحياة مزودين بواسائلها » .

وتطبيقا لهذا النص وضعت خطة الدراسة ومناهجها بالتعليم الابتدائي الأزهري مطابقة للخطة والمناهج التي يجري العمل عليها في المدرسة الابتدائية العامة واستحدثت فيها نفس الكتب المقررة علي المرحلة الابتدائية بوزارة التربية والتعليم بالنسبة لمواد التربية الدينية واللغة العربية والحساب والهندسة والعلوم والصحة والمواد الاجتماعية فيما عدا القرآن الكريم فقد كان حفظ القران جميعه مقررا علي تلاميذ الابتدائي حتي عهد قريب ، ثم رؤي أن يكون المقرر حفظه عشرين جزءا ، علي أن ينقل حفظ الأجزاء العشرة الباقية الي المرحلة الاعدادية ، ووزع حفظ الأجزاء العشرين علي سنوات الدراسة الست ، منها جزء واحد في الصف الأول ، وجزءان في الصف الثاني وثلاثة أجزاء في الصف الثالث ، وأربعة أجزاء في الصف الرابع ، وخمسة في كل من الصفين الخامس والسادس .

هيئات التدريس :

يقوم بالتدريس في المعاهد الابتدائية الأزهرية نوعيات مختلفة منهم :

١ – المحفظون .

٢ – خريجو معاهد المعلمين العامة والأزهرية .

٣- خريجو المدارس الثانوية الفنية (تجارية وزراعية وصناعية) سواء أكانوا موجهين عن طريق القوي العاملة ، أم معينين بأجر نظير عمل بالمعاهد الجديدة المنظمة .

٤ – هذا بالاضافة الي أعداد من حملة الثانوية الأزهرية والثانوية العامة وذوي الصلاحية والخبرة .

القسم الثاني

مشكلات المعاهد الابتدائية الأزهرية

(١) مشكلة التخطيط :

أشير من قبل الى أن نواة المعاهد الابتدائية الأزهرية كانت مدارس تحفيظ القران التي نص القانون علي أن تقوم مقام مدارس

المرحلة الأولي بالنسبة للطلاب المتقدمين الي المعاهد الاعدادية والأزهرية. وهكذاتم تباعا ضم مدارس التحفيظ الي الازهر حيث تم بذلك تكوين المرحلة الابتدائية ، وتوالي انشاء هذا النوع من المعاهد ، ولكن معظم ما أنشئت منها كان بالجهود الذاتية .

ويتبين من هذا أن الأمور كانت تتم في انشاء هذه المعاهد دون تخطيط يراعي الاحتياجات الفعلية والمواقع الجغرافية ، والامكانات المتاحة بشرية أو مادية .

وقد تبينت الادارة العامة للمعاهد الأزهرية في وقت ما مافي هذا الوضع من قصور ، فأعدت تقريرا قدمته الي المجلس الأعلي للأزهر في عام ١٩٧٠ جاء فيه ما يلي :

« ومن الحقائق التي لابد من الاشارة اليها أن المعاهد الأزهرية ـ وان كثرت في السنوات الأخيرة كثرة تسترعي الانتباه ، وطفرت طفرة عددية ظاهرة ـ فانها ماتزال من حيث الانشاء أو الأشراف أو الضم تجري علي طريقة مرتجلة غير خاضعة لقواعد مقررة ولا لتخطيط نابع من الرغبة في توزيعها توزيعا عادلا هدفه تأدية الأزهر لرسالته الكبري » .

وبعد أن عرض التقرير خريطة المعاهد التي ورثها من الماضي ، وكان هذا الميراث سببا في تفاوت المحافظات في انشاء هذه المعاهد وجودا وعدما ، وقلة وكثرة ، وفصل القول فيما يشوبها من خلل ـ دعا الي أن تأخذ المعاهد حظها من التخطيط والتنظيم فيما يتصل بانشائها أو ضمها أو جعلها تحت الاشراف الفنى ، وطلب من المجلس الأعلى للأزهر رسم الخريطة السليمة للمعاهد الأزهرية على النحو الذى يراه محققا لخير الاسلام وقدم مقترحات مفصلة فى هذا الصدد .

ومع أن هذه المقترحات قدمت في عام ١٩٧٠ ـ فان الأسلوب المتبع في انشاء المعاهد لم يتغير كثيرا . وصحيح أنه كانت هناك امال في التوسع ، وكانت هناك أرقام تحدد لما يستهدف انشاؤه ، ولكن هذه الامال وهذه الأرقام لم تكن ثمرة خطط علمية مدروسة تقوم علي الاحتياجات الفعلية والتوزيع الجغرافي والامكانات البشرية والمادية كما ذكرنا ـ ومن ذلك ـ مثلا ـ ما أذيع منذ سنوات عن خطة طويلة المدي تستهدف انشاء ٥٠٠٠ خمسة الاف معهد ابتدائي و ٣٠٠٠ ثلاثة الاف معهد اعدادي و ٢٠٠٠ الي معهد ثانوي .

ومع ان نحو ست سنوات قد أنقضت منذ أعلنت هذه الرغبة فانها لم تر النور حتي اليوم ..

(٢) الاعتماد علي الجهود الذاتية :

ويبدو أن العلة الأساسية التي تقف وراء غيبة خطة علمية مدروسة وهو الاعتماد في انشاء المعاهد على الجهود الذاتية اعتمادا يكاد يكون كليا .

ومع أن الجهود الذاتية في المنشآت التعليمية ، أمر مستحب بل ضروري في مثل الظروف الاقتصادية التي نمر بها ـ فان الفائدة المرجوة من هذه الجهود لاتتحقق الا اذا كانت في نطاق الخطة الشاملة التي روعيت في وضعها المعايير والأسس التي أشير اليها انفا ، اما أن نستجيب لكل رغبة في الانشاء دون تخطيط ـ ومهما تكن نوايا المتقدمين بها طيبة ـ فان الضرر قد يكون

تقويم التعليم الابتدائي الأزهري

اكثر من النفع .

وقد عبر تقرير الادارة العامة للمعاهد الأزهرية الذي أشرنا اليه من قبل عن هذه المشكلة في مقدمته خير تعبير حين قال :

« ان بعض الأفراد أو الجماعات يتقدمون بين الحين والحين الي الادارة العامة للمعاهد الأزهرية راغبين في انشاء معاهد بمناطق سكنهم أو مبلغين أنهم أنشئوا معاهد وألحقوا بها كذا وكذا من الطلاب ، ثم يطلبون امداد هذه المعاهد بما تحتاج اليه من الاثاث والأدوات ، وبمن يقومون بالتدريس فيها وادارة شئونها من المدرسين والموظفين ، ويلحون في ضمها الي معاهد لأزهر أو جعلها خاضعة للاشرافه ، وكثيرا مايكون اقدامهم علي انشاء ماينشئون دون الرجوع الي الجهات المسئولة عن المعاهد ودون تعرف علي الشروط التي لابد من توافرها في المعهد مبني ومعني ، ومن ث نري بعض هذه المعاهد خالية من المقومات الأساسية ومشغولة بطلاب علي مستوي من المعرفة لاينهض بهم ولا يعنيهم علي تحمل عبء الدراسة بالمعاهد الأزهرية ، وبطلاب اخرين ضعاف لم تؤهلهم مجموعاتهم للالتحاق بمدارس وزارة التربية والتعليم وهؤلاء وأولئك غير حافظين للقران الكريم الذي هو أول شرط في قبول الطالب بالمعاهد الدينية والذي لاصلاح لعالم أزهري يتصدي لتعليم الناس أمر دينهم ودنياهم الا بحفظه والانتفاع به ، وأمثال هؤلاء خطر علي مستقبل المعاهد وعلي رسالة الأزهر ، وعلي عقيدة العالم الاسلامي فيه ، وعبء تنوء به ميزانية الدولة ومصالحها ، دون فائدة تذكر » .

وأشار التقرير الي الضغوط التي يقوم بها أصحاب هذه الجهود الذاتية ، وأنهم يظفرون في خاتمة المطاف بما يريدون ولم يقتصر الأمر علي ما أشار اليه التقرير الذي أذيع عام ١٩٧٠ من قصور في المعاهد التي تنشأ بالجهود الذاتية في المبني والمعني ولكنه تجاوز ذلك الي مايقترن بهذه الظاهرة من خلل في التوزيع الجغرافي للمعاهد المنشأة بهذا الأسلوب ، حيث يحدث كثيرا أن تزداد كثافتها في مواقع قد يكون بعضها في غني عنها ، علي حين تخلو مواقع أخري منها مع أنها قد تكون في أمس الحاجة الي قاعدة للتعليم الأزهري .

وفي السنوات الأخيرة تكاد تكون جهود أهل الخير من أبناء مصر هي الأصل في انشاء المعاهد الابتدائية الأزهرية ، أما ما تنشئه ادارة المعاهد فقله ، ولابد لنا ان نلتمس العذر لهذه الادارة حينما ترحب بهذه الجهود الذاتية ، وذلك نظرا لغيبة خطة طويلة المدي ، تتوفر فيها الأسس والمعايير السابقة ، ويكون لها مكانها في خطط الدولة ، وترصد لها الاعتمادات المالية المناسبة .

(٣) سياسة القبول في المعاهد الابتدائية الأزهرية :

اشير من قبل الي أن من اهم المعايير

التي ينبغي أن تراعي عند وضع الخطة ـ الي جانب التوزيع الجغرافي ـ احتياجات الأزهر من الطلاب .

والمرحلة الابتدائية هي القاعدة الاساسية التي تمد جميع المراحل الأخري بالطلاب : بما فى ذلك كليات جامعة الأزهر .

فهل كانت سياسة للقبول في المعاهد الابتدائية الأزهرية بحيث تلبي هذه الاحتياجات ؟

الجواب بالسلب وليس أدل علي ذلك من دأب سياسات القبول في الأعوام الماضية علي قبول ألوف مؤلفة من الطلاب بالمرحلة الاعدادية من الحاصلين علي الشهادة الابتدائية بالتعليم العام ، والذين لم يقبلوا بالمدارس الاعدادية العامة لضعف مجموع درجاتهم ، أو من لم يحصلوا علي أي مؤهل دراسي علي الاطلاق وانما يقبلون بامتحان مسابقة .

ويوضح الجدول الاتي اعداد طلاب الصف الأول الاعدادي في السنوات الثلاث الأخيرة والمصادر التى جاءوا منها :

السنة	ابتدائية ازهرية	ابتدائية عامة	مسابقة قبول	الجملة
٨٠ / ٨١	٦٢٦٣	٢٨٦٤	١٠٧٢٩	١٩٨٥٦
٨١ / ٨٢	٦٣٦٨	٢٢٧٢	١٢٥٣٤	٢١١٩٢
٨٢ / ٨٣	٨٨٩٤	٢٦١٦	١١٥٩٣	٢٣١٠٣

ويتبين منه أن جملة المقبولين في العام الدراسى ٨٠ / ١٩٨١ بالصف الاول الاعدادى الأزهرى كانت ١٩٨٥٦طالبا منهم ٦٢٦٣ من الحاصلين على الابتدائية الازهرية بنسبة ٥ر٣١٪ وأن جملة المقبولين في الصف الأول الاعدادى في عام ٨١ / ١٩٨٢ كانت ٢١١٩٢ طالبا منهم ٦٣٨٦ من الحاصلين على الابتدائية الأزهرية بنسبة ٣٠٪ ، أما جملة المقبولين في عام ٨٢ / ١٩٨٣ فقد كانت ٢٣١٠٣ طلاب منهم ٨٨٩٤ من الحاصيين سى الابتدائية الأزهرية بنسبة ٣٩٪ ومعنى هذا أن الهرم التعليمى منبعج حيث تبلغ جملة المقبولين بالصف الأول الاعدادى أكثر من ثلاثة أمثال المقيدين بالصف السادس الابتدائى ، ومعناه أيضا أن المعاهد الابتدائية الازهرية لاتفى الابما لايتجاوز الثلثممن تقبلهم المرحلة الاعدادية الازهرية ، اما الثلثان الآخران فجزء قليل يقبل س الحاصلين على الابتدائية العامة ـ التى ألغيت فعلا ولم تعد مصدرا يعتمد عليه ، وأما الجزء الأكبر منهما فانه يقبل ممن لايحملون أى مؤهل ، وانما يدخلون امتحان مسابقة ، وهؤلاء وأولئك لايرقون الى المستوى المطلوب للمرحلة الاعدادية ، ولايحفظون القران الكريم الذى كان ينبغى أن يعتبر أهم شرط في قبول الطالب بالمعاهد الدينية كما جاء في تقرير الادارة العامة للمعاهد الذى أشرناالیه من قبل ، فاذا أضفنا الى ذلك أن جملة المقبولين بالصف الأول الاعدادى من هذه المصادر الثلاثة لاتفى بحاجة الأزهر وبدليل ان هناك أعدادا غير قليلة من حملة الاعدادية العامة يقبلون بالصف الأول الثانوى ـ الأزهرى ـ وهم قطعا دون المستوى المطلوب ـ أدركنا مدى الحاجة الى توسيع قاعدة التعليم الابتدائى الأزهرى .

أولا للوفاء بحاجة المرحلة الاعدادية والثانوية وكليات الأزهر الجامعية .

وثانيا : لمشاركة وزارة التربية والتعليم في استيعاب الملزمين بالصف الأول الابتدائى في خطة يتم فيها التنسيق بين الجهتين « وهو هدف تسعى الدولة الى تحقيقه .

ثالثا : لاعداد نوعية من الطلاب مزودين بالقدر الكافى من الثقافة الاسلامية ، والى جانبها المعارف والخبرات التى يتزود بها نظرائهم في المدارس الاخرى المماثلة ، كما تنص المادة ٨٥ من القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ .

وقد سبق للمجلس ان اتخذ في دورته لثالثة في أثناء مناقشته لموضوع القبول في كليات جامعة الأزهر ومستقبل السنة التأهيلية توصية بوضع خطة للتوسع في التعليم الأزهرى بدءا من المرحلة الابتدائية وبالتنسيق مع خطة وزارة التربية والتعليم بحيث يبلغ القبول في الصف الأول الابتدائى الأزهرى في نهاية سنوات الخطة نسبة مئوية يتفق عليها في هذا الصدد ، كما قدمت الشعبة الى المجلس في – دورته الخامسة ٩ / ٥ / ١٩٧٨ خطة مفصلة للتوسع في القاعدة ، على أساس أن تحقق في فترة زمنية معقولة الهدف المنشود منها وهو الاكتفاء الذاتى للازهر من أبنائه المؤهلين للدراسة الأزهرية الجادة والتخصصين الدين يسدوز حاجة الدراسة في مراحلها المختلفة بما فى ذلك كليات جامعة الأزهر الاصلية والمستحدثة ، وبما يسد حاجة المجتمع في الداخل والخارج من خريجى الأزهر بنوعياتهم المتعددة والمتميزة .

وقد أقر المجلس الخطة المقترحة في جملتها

٤ ـ الخطة الدراسية والمناهج :

أشير من قبل الى أن خطة الدراسة بالمرحلة الابتدائية ومناهجها الأزهرية تطابق الخطة والمناهج التى يجرى عليها العمل في المدارس الابتدائية العامة وتستخدم فيها نفس الكتب المقررة على هذه المدارس في مواد الثقافة العامة ، ويزاد عليها القرآن الكريم الذى كان مقررا حفظه كله في هذه المرحلة ثم رؤى في عام ١٩٧٧ أن يقتصر على حفظ عشرين جزءا في المرحلة الابتدائية على أن ينقل حفظ الاجزاء العشرة الباقية الى المرحلة الاعدادية .

ومعنى هذا أن خطة الدراسة ومناهجها بالابتدائى الأزهرى ـ كما هى في الاعدادى والثانوى الأزهرى ـ مزدوجة ، تشمل المواد الحديثة التى يسمونها ثقافية ، وأساسيات المواد الدينية والعربية التى تحفظ للأزهر طابعه الاصيل ولقد ارتفع عدد الحصص المقررة في الخطة الى ٣٨ ، و ٣٩ حصة في الصفين الأول والثانى و ٤٠ حصة في الصف الثالث و ٤٢ حصة فى كل من الصفوف الثلاثة العليا .

وقد برزت من خلال تطبيق هذه الخطة والمناهج المزدوجة في السنوات الأخيرة عدة مشكلات أهمها :

١ : ان العبء ثقيل على طفل هذه المرحلة ، فهو مكلف مالايطيق ، وكان لهذا أثره في اضعاف قدرته على استيعاب المقررين

كليهما ، مما جعل الدراسة تأخذ طابع التلقين ، وجعل التحصيل يأخذ طابع الحفظ والاستظهار . كما ترتب على ذلك حرمان التلميذ من الأنشطة المدرسية والرياضية والاجتماعية التى كان من المفروض أن تسهم في بناء شخصيته .

٢ ان دراسة نفس مقررات المدرسة الابتدائية العامة ونفس كتبها تشغل جزءا كبيرا من خطة الدراسة بما لايدع للتلميذ الوقت الكافى لحفظ القران الكريم وتجويد تلاوته ، وتشير نتائج الامتحانات في السنوات السابقة الى قصور واضح في حفظ تلاميذ المعاهد الابتدائية الأزهرية للقران كما وكيفا ، وهذا أمر بالغ الخطورة ولابد أن تبذل الجهود لتداركه .

٣ هناك مايقرب من الاجماع - - فى ضوء التجربة الحالية - على ضرورة حفظ القران الكريم كله في المرحلة الابتدائية الازهرية ، وعلى أن ارجاء حفظ عشرة اجزاء منه الى المرحلة الاعدادية أمر غير عملى ، وأنه اذا لم يحفظ القران كله فى المرحلة الابتدائية فمن العسير أن يتأتى ذلك في مراحل لاحقة وخاصة اذا كانت هذه المراحل متخمة بخططها ومناهجها ومشكلاتها الخاصة .

وفي سبيل علاج هذه السلبيات وماترتب عليها من مشكلات لابد أن يعاد النظر في خطط المعاهد الابتدائية الازهرية ومناهجها ، وأن تعدل هذه الخطة والمناهج بحيث تنال المقرارات الدينية والعربية - وعلى راسها حفظ القران الكريم - حظها الكافى .

علما بان نصوص القانون ومذكرته التوضيحية لاتلزم واضعى السياسة التعليمية بالازهر الزاما بالمطابقة بين الخطط والمناهج المتبعة في مدارس وزارة التربية والتعليم ، وانما تستهدف - أساسا تزويد طلابه بقدر مشترك من المعرفه والخبرة ، لتتحقق لخريجيه وحدة فكرية ونفسية بينهم وبين أبناء الوطن وفي ضوء هذه الغاية يمكن أن تضمن المناهج في المرحلة الابتدائية الأزهرية قدرا مناسبا من الخبرات الاساسية التى تلائم مداركهم ، وتربطهم ببيئتهم ومجتمعهم وتهيئتهم لدراسة المقررات الثقافية وفيما يلى ذلك من مراحل ، كما تتضمن بعض الأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية التى تشبع حاجات الاطفال في هذا السن ، وبحيث لايطغى ذلك كله على المقررات الدينية والعربية والقران الكريم بل انه من الممكن ومن المستحب أن يكون هناك ارتباط - من خلال العملية التعليمية - بين علوم الدين وعلوم الدنيا .

هذا وقد سبق أن اتخذ المجلس توصيته في دورته الخامسة حينما ناقش موضوع تطوير السلم التعليمى في الازهر تنص على :

« اعادة النظر في مناهج المواد الثقافية التى أدخلت على التعليم الازهرى بغرض التخفيف عن الطلاب وضغط هذه المواد دون المساس بالجوهر » .

٥) هيئات التدريس :

تبلغ جمله الفصول الدراسية بالمعاهد الابتدائية الازهرية ٣٥٩٧ فصلا ، يقوم

تقويم التعليم الابتدائي الأزهري

بالتدريس فيها ٥٤٠٤ هـ من المعلمين ذوى المؤهلات المختلفة بالاضافة الى ٢٧٢٦ محفظا للقران الكريم، أى أن نصاب كل فصل دراسى من المعلمين هو ١ر٥، وهو معدل فوق الكفاية اذ يفوق المعدل الذى بلغته المدارس الابتدائية من التعليم العام ١ر٢، هذا بالاضافة الى محفظى القران الكريم الذين يبلغ معدلهم ثلاثة محفظين لكل أربعة فصول تقريبا .

أى أن هناك عجزا في المحفظين يبلغ ٨٧١ محفظا على أساس محفظ لكل فصل . هذا عل مستوى الجمهورية، أما على مستوى كل محافظة على حدة فثمة تفاوت ملحوظ في أنصبة الفصول من المعلمين، فبينما يبلغ عدد فصول محافظة القاهرة - مثلا - ٢٥٠ فصلا نجد أن عدد المعلمين فيها ٢٤٠ معلما، اى أن النصاب أقل من الواحد الصحيح، وكذلك يبلغ عدد المحفظين فيها ٨٧ أى أن هناك محفظا واحدا لكل ثلاثة فصول، على حين أن محافظة أسوان - مثلا - يبلغ عدد فصولها ٤٣ فصلا، ويبلغ عدد معلميها ١٣٣ معلما، اى أن نصاب الفصل الواحد ثلاثة معلمين اما عدد محفظيها فأقل من النصاب اذ يبلغ المعدل اثنين من المحفظين لكل خمسة فصول . وهذا أمر يحتاج الى علاج .

نوعية المعلمين :

هذا من حيث الكم، أما من حيث نوعية المعلمين فهاهنا تبرز المشكلة، ذلك أنهم خليط من المؤهلات تضم الحاصلين على المعلمين الأزهرية والعامة، والمدارس الثانوية الفنية (تجارية وصناعية وزراعية والثانوية والعامة وعددا من ذوى الصلاحية والخبرة والمحفظين انظر الملحق رقم ٤ ثم أن أغلبية المعلمين - وان كانت مؤهلة علميا - غير مؤهلة تربويا اذ أن المؤهلين تربويا فيهم - وهم خريجو المعلمين الأزهرية والمعلمين العامة يبلغ عددهم ١٧٥٥ معلما بنسبة ٣٢٪، ومعنى هذا أن هناك ضرورة ملحة الى وضع خطة ذات شقين :

احداهما : عاجلة تقضى بعقد دورات تدريبية مكثفة لتدريب غير المؤهلين تربويا وعددهم ٣٦٥٠ معلما .

والاخرى على مدى سنوات وتقضى بالتوسع التدريجى في اعداد معلمى المرحلة الاولى المؤهلين علميا وتربويا اذ أن التدريس في هذه المرحلة بالذات يتطلب الماما متعمقا بطرق التدريس . وعلم نفس الطفولة وخصائص نمو الاطفال وأساليب التعامل معهم .

مشاكل المحفظين :

أما المحفظون فان الشعبة كانت قد أعدت دراسة لعرضها على المجلس في (الدورة الرابعة) حول العناية بتحفيظ القران الكريم في معاهد الازهر . وذكرت فيها :

حال المحفظين في المرحلة الابتدائية .

وضعف اقبالهم على هذه المهنة لاهمال شئونهم وضآلة مرتباتهم وانعدام للحوافز التى تشجعهم وتغريهم بالبقاء فى المعاهد والحرص عليها .

ثم أوصت برفع مرتبات الحفاظ الى المستوى اللائق الذى يكفل لهم حياة كريمة

ويشجع على الاقبال على هذه المهنة ، كما أوصت بمراعاة حسن اختيارهم من أصحاب القدرة والكفاية .

٦) المبانى :

ذكرنا من قبل أن عدد المعاهد الابتدائية الأزهرية يبلغ الآن نحو ستمائة معهد موزعة على معظم المحافظات ، (انظر الملحق رقم ٥) ، وأن معظمها كانت مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ضمت الى الأزهر وسميت (معاهد) وأن ما أنشىء بعد عملية ضم هذه المدارس كان يقوم أساسا على الجهود الذاتية ، واذ كان الأمر كذلك فانه لا غرابة فى أن تكون مبانيها مفتقرة الى المقومات الأساسية للمعاهد الدينية بما يليق بالغاية النبيلة التى يرجى أن تحققها .

وقد اعدت ادارة المعاهد تقريرا عن مبانى المعاهد الابتدائية الأزهرية ، وحالة كل مبنى منها ، ويؤخد من تحليل هذا التقرير :

ان هناك عشرة معاهد ليس لها مبنى .
و ١٣ معهدا تحتاج مبانيها الى استكمال .
و٩٣ معهدا تحتاج الى اصلاح .
و٢٩ معهدا غير صالحة وتحتاج الى احلال .

ويؤخذ من التقرير كذلك أن هناك ٣١ معهدا دورات المياه فيها غير صالحة .

وهناك دراسة أخرى تشير الى أن عددا كبيرا من مبانى المعاهد غير صالح للغرض وأن كثيرا منها لم تمتد اليه يد الاصلاح منذ أكثر من عشرين عاما ، وأن بعضها أماكن أثرية يحتاج اصلاحها الى اجراءات تطول اذا ووفق على اصلاحها والابقيت بعيوبها وسوء حالها .

ومجمل القول أنه ينبغى أن تجرى مسحا ميدانيا فاحصا لمبانى هذه المعاهد في جميع المحافظات وتحديد مدى صلاحيتها، ثم وضع خطة زمنية للاصلاح أو الاحلال وهذا بالاضافة الى خطة لمبانى المعاهد المستحدثة التى تحددها خطة التوسع المقترحة والتى يتم وضعها بالتنسيق مع وزارة التربية والتعليم .

٧) مركزية الادارة :

كانت وزارة التربية والتعليم في طليعة الوزارات التى أخذت بنظام اللامركزية وكان الهدف من انشاء هذه التقسيمات أن يتخفف ديوان الوزارة من أعبائه ومسئولياته التنفيذية حتى تتفرغ الوزارة بدورها للتخطيط ورسم السياسة العامة والمتابعة وقد دعم نظام اللامركزية فى التعليم العام بعد ذلك استجابة للقوانين المنظمة للادارة المحلية والحكم المحلى والتى كان آخرها القرار الجمهورى رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٩ .

اما بالنسبة للمعاهد الأزهرية فقد ظلت أوضاع التعليم فيها تخضع للادارة المركزية .

وقد ظل الأمر كذلك حتى عام ١٩٧٥ حيث صدرت اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، وبناء عليها صدر القرار ١٦٨ لسنة ١٩٧٥ الذى نص على الادارات والأجهزة التى تشكل منها الادارة العامة للمعاهد الأزهرية ، وتلا ذلك انشاء مراقبات تعليمية (مناطق) في بعض المحافظات بلغت ثمان مناطق حتى عام ١٩٧٨ ، وزادت الى تسع عشرة اليوم ،

تقويم التعليم الابتدائى الأزهرى

وتتولى كل منها الاشراف على المعاهد في محافظة أو أكثر، بهدف تغطية جميع المحافظات.

وكان الهدف المنشود من انشاء هذه المناطق طبقا لما جاء في تقرير اذاعته ادارة المعاهد في عام ١٩٧٨ هو القضاء على المركزية التى تعوق سير العمل، وازكاء التنافس بين القيادات المتعددة، وافساح مجال الترقية الادبية للعاملين، ومعالجة مشكلة تخلف المفتشين عن الحضور، وتلافى المعوقات التى تحول دون انطلاق ادارة المعاهد الأزهرية وقيامها بتبعاتها ومواجهة النمو السريع ومتطلباته.

ولكن بالرغم من قيام هذه المناطق التعليمية والازهرية فى المحافظات منذ سنوات فالواضح أنها لم تدعم بالامكانات البشرية والمادية الكافية، ولم تنقل اليها السلطات الكافية وآية ذلك أنه ـ حتى اليوم لا تزال الادارة المركزية بالقاهرة تتولى شئون الامتحانات العامة بمستوياتها المختلفة وكذلك التعيينات والترقيات والتنقلات، وانشاء المعاهد واقتصر الأمر ـ فى الأغلب الأعم على قيام أجهزة التفتيش بهذه المناطق والشئون المالية والادارية على المستوى المحلى.

وعلى هذا فان مشكلة مركزية الادارة لاتزال قائمة ولاتزال المعوقات التى استهدف التنظيم المقترح القضاء عليها قائمة، وقد سبق للمجلس القومى للتعلىم حين ناقش موضوع (التعليم العام والازهرى فى ظل اللامركزية والحكم المحلى) فى دورته السادسة، أن اتخذ توصيته تنص على «المبادرة الى انشاء ادارة تعليمية ازهرية فى كل محافظة تباشر شئون التعليم فى المعاهد الأزهرية مع تزويد هذه الادارات بالكفاية الفنية والادارية المناسبة لحجم المعاهد الأزهرية فى كل محافظة..

كما أوصى بأعداد دليل تفصيلى يوضح نظم التعليم لكل مرحلة تعليمية وكيفية أدائها ليكون مرجعا للجهات التنفيذية بالادارات المحلية، وضمانا لسلامة تنفيذ قوانين التعليم الأزهرية ونظمها.

والحق أنه اذا كانت لا مركزية تنفيذ الخطط لازمة بالنسبة للمعاهد عامة، فانها ألزم بالنسبة للمعاهد الابتدائية خاصة ولكنه لكى تؤدى الادارة المحلية دورها كاملا، فلابد أن تكون هناك خطة مركزية شاملة تتحرك فى نطاقها المحليات. والمرحلة الابتدائية فى أمس الحاجة الى مثل هذا التخطيط، وبخاصة أن الاجماع منعقد على ضرورة التوسع فيها، كما ذكرنا من قبل.

القسم الثالث

التوصيات:

فى ضوء المشكلات التى سقناها، والمناقشات التى أثيرت حولها ـ يمكن أن نقدم بعض المقترحات والتوصيات. علما بأن المجلس سبق أن اتخذ ـ فى أثناء مناقشته للتقارير التى عرضتها الشعبة فى الدورات السابقة توصيات تمس موضوع التعليم

الابتدائى الأزهرى ، وتعالج بعض المشكلات التى أثيرت فى هذه الدراسة ، وقد رأينا من الأوفق أن نؤكد على هذه التوصيات بعد مراجعتها ، وبخاصة أنه قد مضى على صدور بعضها سنوات طويلة ، ولاتزال الحاجة قائمة الى أن تجد حظها من التنفيذ .

أولا ـ فيما يتعلق بالتخطيط للمعاهد الابتدائية :

يؤكد المجلس على التوصيات السابقة الاتية :

١ ـ أن توضع خطة للتوسع فى التعليم الأزهرى بدءا من المرحلة الابتدائية وبالتنسيق مع خطة وزارة التربية والتعليم ، بحيث يبلغ القبول فى الصف الأول الابتدائى الازهرى فى نهاية سنوات الخطة نسبة تسد الحاجة من خريجى الأزهر فى معاهده وكلياته .

٢ ـ أن تراعى عدالة التوزيع بالنسبة للتجمعات السكانية والتوزيع الجغرافى ، وتكون الاولوية فى الأماكن المحرومة من الخدمة التعليمية ومدارس الفصل الواحد ، ومن التعليم الازهرى .

٣ ـ دعم موازنة التعليم الأزهرى بما يمكنه من توفير الامكانات البشرية والمادية للخطة من حيث المبانى والتجهيزات واعداد المعلمين .

وتوصى الشعبة بما يلى :

١ ـ أن يكون التنسيق المشار اليه مع خطة وزارة التربية والتعليم على أساس انشاء معهد ابتدائى لكل تجمع سكانى يبلغ تعداده ١٥ ألف نسمة ، وقد سبق أن اتخذ توصية مشابهة فى دورته الخامسة .

٢ ـ الاستئناس برأى المحليات فى لتخطيط لقاعدة التعليم الأزهرى وفقا لاحتياجاتها ، ثم تقوم ادارة المعاهد الأزهرية المحلية بوضع الخطة العامة بما يلبى الاحتياجات المحلية ، وبما يساعد على تحقيق الاستيعاب فى المرحلة الأولى ، وبما يعنى نهائيا عن قبول طلاب فى المعاهد الاعدادية الأزهرية من غير معاهد الأزهر الابتدائيه .

٣ ـ الترحيب بالجهود الذاتية التى تقدم لانشاء المعاهد الابتدائية وتشجيعها ، على أن تقوم المناطق المحلية بدراستها والتأكد من انها تسد حاجة حقيقية .

٤ ـ تشجيع قيام مدرسة الفصل الواحد أو الفصلين الأزهرية ، لاستيعاب من فاتهم قطار التعليم ويرغبون فى التعليم الدينى بمحو أميتهم الدينية ، ويفقههم فى دينهم ، وهو نمط من التعليم فيه مرونة ، أو هو (الكتاب القديم فى صورة معدلة ، اذ تجمع مناهجه بين الثقافة الدينية والقران الكريم والثقافة العامة ، دون ما قيد على السن فى الالتحاق به .

ثانيا - فيما يتعلق بخطة الدراسة ومناهجها :

يؤكد المجلس على التوصيات السابقة الاتية :

١ - اعادة النظر فى المواد الثقافية التى أدخلت على التعليم الأزهرى (ويهمنا هنا مناهج المرحلة الابتدائية) بغرض التخفيف عن الطلاب ، وضغط هذه المواد ، دون المساس بالجوهر . (الدورة الخامسة) .

وقد تكرر نفس المعنى فى توصية أخرى للمجلس تنص على :

« اعادة النظر فى مناهج المواد الثقافية التى تدرس بالمعاهد الأزهرية وتشكل ازدواجا فى المناهج العلمية بها ، اذ لا يشترط تطبيقها تماما بالقدر الذى تدرس به بمدارس التعليم العام ، وانما يؤخذ فيها بالقدر المناسب بما لا يؤثر سلبيا على المواد الأزهرية ..... الخ » (الدورة التاسعة) .

٢ - اباحة قبول الطلاب بالمعاهد الابتدائية الأزهرية من سن الخامسة ، وبذلك تتوفر للتلاميذ فسحة من الوقت لحفظ القران الكريم فى سن مبكرة (الدورة الخامسة) .

وتوصى الشعبة بما يلى :

١ - ضرورة حفظ القران الكريم كله فى المرحلة الابتدائية الأزهرية وعقد امتحان فيه فى نهاية المرحلة ، بحيث لا يقبل فى المرحلة الاعدادية الا من اجتازه بنجاح .

وقد يكون من عوامل تيسير تنفيذ هذه التوصية الاخذ بما سبق أن أوصى به المجلس فى دورته الخامسة من ان تكون مدة العام الدراسى فى المعاهد الابتدائية الأزهرية أربعين أسبوعا ، لكى يتسع الوقت لتجويد القران الكريم ومتابعة استظهاره .

٢ - أن تضمن مناهج المرحلة الابتدائية الأزهرية بالاضافة الى محتواها الأساسى من القران الكريم والمقررات الدينية - قدرا مناسبا من الخبرات الأساسية التى تلائم مدارك تلاميذها ، وتربطهم ببيئتهم ومجتمعهم ، وتهيئتهم لدراسة المقررات الثقافية فيما يلى ذلك من مراحل كما تتضمن بعض الأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية التى تشبع حاجات الأطفال فى هذه السن .

٣ - أن يكون هناك ارتباط - من خلال العملية التعليمية بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، وأن تستخدم فى تدريس المقررين كليهما الاساليب التربوية الحديثة وأن تكون التطبيقات العملية مكملة ومعززة للجوانب النظرية .

ويؤيد هذه الاتجاهات ما سبق أن أوصى به المجلس فى دورته التاسعة من أن يكون مدخل التعليم وأسلوبه فى المعاهد الازهرية منبثقا من البيئة التى يعيش فيها الطالب بحيث تنمو مناهج هذه الدراسة وموادها وكتبها من علاقتها العضوية بالبيئة ومشكلات الحياة - وأن يتدرج فى الاخذ بالوسائل العملية المعمول بها فى التعليم الاساسى .

ثالثا ـ فيما يتعلق بهيئات التدريس :
توصى الشعبة بما يلى :

١ ـ العمل على تحقيق الاكتفاء الذاتى فى كل منطقة بمن تعدهم من المعلمين والمحفظين بالمعاهد الابتدائية الأزهرية بما يقضى على التفاوت القائم حاليا فى نصاب كل فصل من عدد المدرسين ، والى أن يتحقق هذا الاكتفاء الذاتى يوصى بما يلى :

(ا) أن تراعى عند توزيع المعينين الجدد من المعلمين والمحفظين الاحتياجات الفعلية لكل منطقة كما ونوعا .

(ب) الاستعانة بخريجى دور المعلمين بوزارة التربية والتعليم بما يسد حاجة المناطق المحتاجة .

٢ ـ نظرا لتعدد نوعيات المعلمين الذين يقومون بالتدريس فى هذه المعاهد ، والكثرة الكاثرة منهم من غير المؤهلين تربويا ، ونظرا الى أن التدريس فى هذه المرحلة بالذات يتطلب الماما متعمقا بطرق التدريس وعلم نفس الطفولة وأساليب العمل مع الأطفال ـ يوصى بوضع خطتين .

الاولى ـ عاجلة ، بعقد دورات تدريبية مكثفة للتأهيل العلمى والمهنى ، بالاضافة الى دورات تجديدية للمؤهلين منهم ، تربطهم بأساليب التربية الحديثة .

والاخرى على مدى سنوات وتستهدف التوسع التدريجى فى اعداد معلمى المرحلة الاولى المؤهلين علميا وتربويا ، مع مراعاة متطلبات خطة التوسع فى المعاهد الابتدائية الازهرية التى سبق اقتراحها .

٣ ـ العناية بمحفظى القران الكريم من حيث طريقة اختيارهم ومرتباتهم وحوافزهم ، ويوصى باعداد المحفظين فى المستقبل عن طريق دراسات خاصة تبصرهم بالأساليب المجدية فى تحفيظ القران الكريم ، وأساليب التعامل مع الأطفال وترغيبهم فى الحفظ والمتابعة .

رابعا ـ فيما يتعلق بالمبانى :

١ ـ نظرا للحالة السيئة لمعظم مبانى المعاهد الابتدائية الأزهرية ، وهى مبان ورثها الأزهر بعلاتها ، وأضيفت اليها مبان بالجهود الذاتية معظمها لا يرقى الى المستوى اللائق ـ فان الشعبة توصى بـ :

١ ـ قيام لجنة من المتخصصين بمعاينة مبانى جميع المعاهد الابتدائية ـ وعددها نحو ستمائة معهد ـ ودراسة حالة كل مبنى على حدة ، ثم وضع خطة لاصلاح وترميم الصالح منها ، وأخرى للاحلال فى حالة المبانى غير الصالحة وتقدير التكلفة اللازمة وتوزيعها على سنوات الخطة .

٢ ـ وضع خطة للمنشآت الجديدة طبقا لخطة التوسع المقترحة فيما سبق ، والتى تتم بالتنسيق مع وزارة التربية والتعليم ، والتى لن تكلف الدولة أعباء مالية جديدة باعتبار انها فى نطاق خطة استيعاب الملزمين التى تتضمنها خطط التنمية الشاملة .

تقويم التعليم الابتدائى الأزهرى

خامسا ـ فيما يتعلق بلا مركزية الادارة :

توصى الشعبة بما يلى :

١ ـ استكمال الادارات التعليمية بحيث تغطى جميع مناطق الجمهورية مع تزويدها ـ كما أوصى المجلس من قبل ـ بالكفايات الفنية والادارية المناسبة لحجم المعاهد الأزهرية فى المحافظة ، ودعم هيئات التفتيش فى كل ادارة ٠

٢ ـ نقل المسئوليات اللازمة الى الادارات التعليمية المحلية فيما يتعلق بتعيين معلمى ومحفظى المعاهد الابتدائية ونقلهم داخل المحافظة وترقيتهم حتى مستوى معين ، وكذلك فيما يتعلق بامتحان نهاية المرحلة الابتدائية ، وانشاء المعاهد فى نطاق الخطة المركزية ٠

٣ ـ انشاء أقسام للتدريب فى هذه الادارات ، وتزويدها بالكفايات القادرة على تدريب العاملين بالمعاهد الابتدائية للتأهيل والتجديد ، على أن يتم تدريب هذه القيادات مركزيا تحت اشراف الادارة العامة للتدريب ٠

٤ ـ التأكيد على ما سبق أن أوصى به المجلس فى دورته السادسة باعداد دليل تفصيلى يوضح نظم التعليم لكل مرحلة تعليمية ، وأساليب الأداء فيها ، لتكون مرجعا للجهات التنفيذية بالادارات المحلية ، وضمانا لسلامة تنفيذ قوانين التعليم ونظمه بالأزهر ٠

سادسا ـ توصية أخيرة :

المسارعة بتنفيذ ما سبق أن اقترحته ادارة المعاهد فى عام ١٩٧٠ بشأن سيناء ، ونشر التعليم الدينى الأزهرى ودعمه فى ربوعها ، ويوصى بالبدء بانشاء معهد ابتدائى فى كل من سيناء الشمالية والجنوبية ووضع خطة لامتداد التعليم الأزهرى فيها ٠

شعبة التعليم الأزهرى

التخطيط المعمارى للمعاهد الأزهرية

للمهندس / ابراهيم حسن الصادى
مدير عام الشئون الهندسية بالأزهر

لما كانت الادارة الهندسية بالأزهر الشريف طرفا فى الموضوع ، وأبدى البعض تذمرا واضحا حيال عملها ، ورآها ـ من وجهة نظره ـ معوقا يضاف الى المعوقات الأخرى كان لابد من فسح المجال أمام الادارة الهندسية لتبدى أمرها الذى يقدمه هنا السيد مديرها العام .

ولسنا الا محايدين أمام وجهة نظره ، وأمام الرأى الآخر الذى يعتبره عامل قصور ، يقول السيد المدير العام للشئون الهندسية بالأزهر :

لما كانت المدرسة (المعهد الدينى) تعتبر مؤسسة للارشاد والتعليم وخدمة البيئة فكان على المهندس المعمارى المصمم أن يتعاون مع الهيئات المختلفة فى البحوث والدراسات اللازمة من الوجهة التربوية والصحية ، ولذلك تم عمل البحوث اللازمة مع الجهات المختلفة مثل معهد بحوث مواد البناء ، وادارة البحوث بوزارة الاسكان ، وقسم البحوث بوزارة التربية والتعليم ، وبحوث مؤسسة الأبنية التعليمية (المكتب العربي) .

وقد كان لنا شرف الاشتراك فى هذه البحوث فى عدة جهات مثل ادارة البحوث بوزارة الاسكان ، وبحوث وزارة التربية والتعليم ، وبحوث مؤسسة الأبنية التعليمية .

وتأسيسا على ذلك فقد تم عمل تصميماتنا بالادارة الهندسية بالأزهر على أساس البحوث المختلفة والنظريات المعمارية السليمة وذلك عند انشاء الادارة الهندسية بالازهر ..

ولما كانت هذه البحوث تعتبر أن الوحدة

الأساسية للمدرسة هى الفصل فقد حددت له شروطا يجب توافرها فيه ومن هذه الشروط :

١ ـ أن تكون الاضاءة الطبيعية على يسار الطالب ..

٢ ـ أن يكون ارتفاع جلسات الشبابيك أعلى من منسوب نظر التلاميذ وهم جلوس . أى فى حدود ارتفاع ١٫١٠ م .

٣ ـ أن تكون التهوية مستمرة ..

٤ ـ أن يكون ارتفاع الفصل نصف عرضه ولا يقل عن ٣٫٢٠ م ..

٥ ـ يخص الطالب الواحد فى الفصل ١٫٢ متر مسطح ..

٦ ـ أن تكون نسبة أبعاد الفصل مستطيلة ويميل الى المربع ولا يزيد عرضه عن ٦ م .

٧ ـ أن يكون باب الفصل من الأمام بجانب المدرس فضلا عن عمل اللازم لتقابل الفتحات فى الفصل لوضوح الصورة ودرجة الابصار مع منع دخول الشمس الى الفصل حتى لا تنعكس على بصر الطالب الدارس به .

ونتيجة ذلك واقتصادا فى النفقات اتفق على توجيه الفصول من وجه الشبابيك الرئيسية على الجهة البحرية خالصة اذ أنها (الجهة الأكثر كمية فى الضوء الطبيعى) فضلا عن عدم دخول الشمس وانعكاسها على نظر الدارس . مع توفير عمل شمسية للشبابيك أو كاسرا لأشعة الشمس من الخشب أو الخرسانة أو خلافه ..

لذلك أخذ فى الحسبان أن تكون ـ فى الجهة المقابلة للجهة البحرية ـ الطرقة التى توزع على هذه الفصول وهى فى حدود عرض ٢ متر ولوجودها فى هذه الجهة منفعة أخرى هى كسر أشعة الشمس بعيدا عن الفصول وتعتبر جميع مرافق المدرسة عبارة عن خدمات لهذه الفصول مثل حجرات الادارة ، وحجرة شيخ المعهد والمخازن والمصلى والسلالم وهى تأتى فى المرحلة الثانية .

الا أن أهم مبانى هذه المرحلة هى دورة المياه وقد أعطتها الأبحاث دراسات خاصة بحيث يتم تنفيذ مكوناتها كالآتى :

المائة الأولى من التلاميذ :

مراحيض		مباول	
بنين	بنات	بنين	بنات
٦	٨		٦

حنفيات شرب		أحواض غسيل	
بنين	بنات	بنين	بنات
٦	٦	٦	٦

على أن تزاد فى المائة الثانية نصف العدد والمائة الثالثة ربع العدد وهكذا حتى نصل الى الفئة الخامسة . مما تقدم تم عمل حسابات وساحات الفصول والطرقات كما خصص لكل طالب حوالى ٢ متر فى الفناء ..

ولذلك عملت نماذج نمطية مدروسة بالأزهر وتبين منها :

١ ـ أن المعهد الابتدائي ينبغى ألا تقل مساحة الأرض التى يقع بها عن ٥٠ × ٣٠ م على ثلاثة أدوار ويتكون من ١٨ فصلا ويمكن أن يتطور الابتدائى الى الاعدادى ..

وأما فى المرحلة الثانوية فلا تقل المساحة على ٥٠ × ٦٠ م ويمكن أن يحتوى

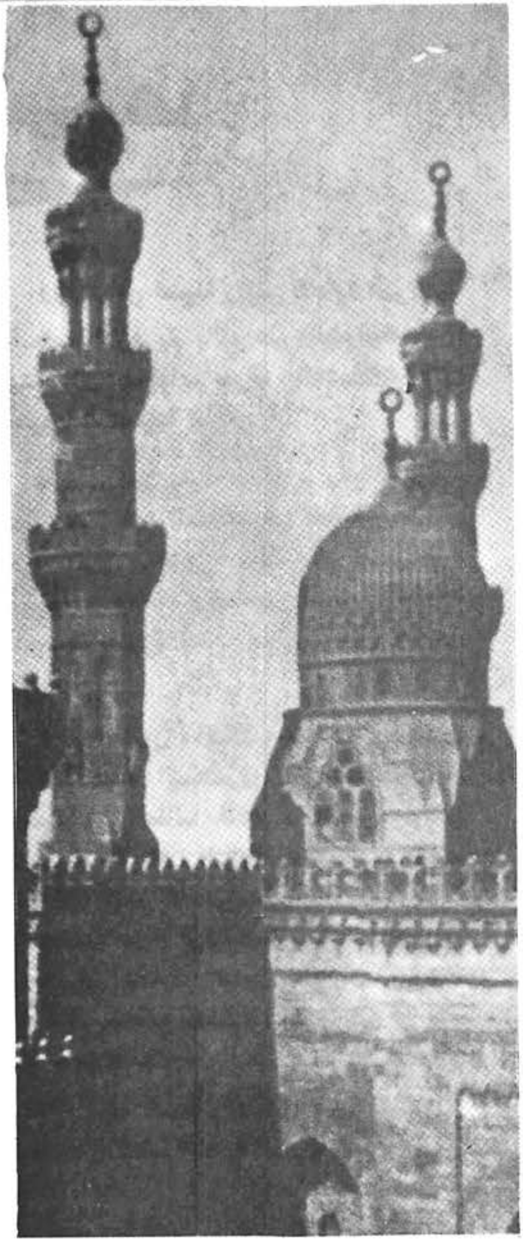

على ١٨ فصلا بخلاف الادارة والمعامل ودورات المياه وما شابه ذلك .

وقد روعى فى تصميم هذه النماذج أن تكون على شكل حرف (ن) حتى تشكل بينها مساحة الفناء اللازم لنشاط الطلبة .

ومن الطبيعى أن يحاط المبنى بأسوار لا تقل بعدها عن الفتحات بأقل من ٢ م لاثبات الملكية وحماية المبنى من التعدى وتيسيرا لنظام العمل ، وخاصة ، بالجهود الذاتية فقد اتبعت الادارة أسلوبا أعلن لجميع المتعاملين مع الأزهر وهو أن يقدم المواطنون الطلب بتخصيص الأرض الفضاء التى لا تقل عن المساحات السابق الاشارة اليها على أن يتبرع بها وتخصص للأزهر تخصيصا قانونيا ثم يسلم مقدم الطلب الرسومات المعمارية والانشائية الى المسئولين بالأزهر بعد اقرار صحة الموقع ومناسبته بعد المعاينة من قبل الادارة الهندسية بالأزهر على أن يبدأ هذا الأمر بالجهود الذاتية ويعاون الأزهر فيه معاونة رمزية أو طبقا لطاقة ميزانيته ويتم متابعته فنيا بمعرفة مهندسيه حتى يسلم المعهد للأزهر ويصدر قرار بضمه .

وهذه نبذة موجزة جدا لما تتبعه الادارة نعلنها للجهات المختلفة .

هذا وبالله التوفيق ....

مهندس / ابراهيم حسن الصادى
مدير عام الشئون الهندسية بالأزهر

خطوات تم تنفيذها

فى مقابلة مع فضيلة الشيخ موسى شريف المدير العام لادارة شئون القرآن الكريم بالأزهر علمنا منه أن خطا تم تنفيذها فعلا :

● فقد أمر فضيلة الامام الاكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر باتخاذ اجراءات صرف اعانة المكاتب والمحفظين على وجه السرعة مع المستحقات السابقة ، كذلك أمر فضيلته بصرف اعانة التلاميذ وجوائزهم وحوافز المحفظين ..

بلغ مجموع المبالغ التى خصصت لهذا الباب مليون ومائة وعشرين ألف جنيه تم ارسالها بتاريخ ٢٥ من جمادى الاخرة ١٤٠٣ هـ الموافق ٩ / ٤ / ١٩٨٣ م .

● كانت اعانة المحفظين والمكاتب ، وجوائز الطلاب ، وحوافز المحفظين تحرر فى القاهرة وتعتمد بها وترسل الى المناطق ، فتصرف اعانة المحفظين كل ستة أشهر ، وتصرف جوائز الطلاب وحوافز المحفظين واعانة المكتب كل سنة ، وترتب على ذلك عيوب ومشقات فاستطاعت ادارة شئون القرآن الكريم ، بفضل من الله، أن تحظى بقرارات من الامام الأكبر بتوزيع الميزانية على بنودها .

وبقرار من فضيلة الدكتور وكيل الأزهر بصرفها شهريا من المناطق التعليمية الأزهرية ..

وبقرار من فضيلة رئيس الادارة المركزية للمعاهد الأزهرية بالقواعد والضوابط التى يتم على ضوئها ـ صرف الاعتمادات على بنودها المخصصة لها ..

● تم ـ فعلا بعونه تعالى ـ رفع الحوافز من جنيه واحد للمحفظ عن تحفيظه جزء ا من القرآن العزيز للطالب ـ الى ثلاثة جنيهات ومائة وخمسين مليما ، تصرف للمحفظ مكررة بعدد الطلاب الذين حفظوا الجزء ..

● تم اعتبار « المكتب صالحا » اذا كان عدد تلاميذه المستمرين به المنقطعين له خمسة عشر طالبا فأكثر .. وعشرة فأكثر بالنسبة للبلاد النائبة مثل محافظات أسوان ـ البحر الأحمر ـ قنا .. الخ ..

● تمت حركة ترقيات الى مفتشين أوائل ، ومفتشين بادارة شئون القرآن ، وهذه الترقيات تخفف المعاناة شيئا ما الى أن يتم سد العجز كاملا ..

● يجرى العمل ـ لايجاد جهاز ادارى ـ لمتابعة المكاتب الأهلية العاملة فعلا وسيناط به :

حصر الطلاب والمحفظين بالمحافظة ، وحصر المكاتب العاملة فعلا ، والنظر فى أمر الجديد منها :

اعداد سجلات دقيقة لتقديم المعلومات عن كل مكتب ومحفظيه وطلبته .

■

مع مجلس الشعب

المشاكل التي تتعلق بتحفيظ القرآن الكريم بجمهورية مصر العربية

للدكتور معتز المرزوقي عضو مجلس الشعب

المشكلة الأولى .. وهى مشكلة نقص المحفظين واحتمال أنقراضهم فى سنوات قليلة . لقد كانت مصر أغنى الدول العربية بمحفظى القرآن الكريم بل انها كانت تحتل مكان الصدارة والزيادة وكان المسلمون يأتون الينا من كل فج عميق ليحفظوا القرآن ويدرسوا علوم القرآن وينهلوا من مناهل الأزهر الشريف . وكانت هناك دوافع أهمها الحالة الاجتماعية والاقتصادية ومن قبل ذلك ومن بعده الايمان الذى كان عميقا فى النفوس من أجل ذلك كله . كان هناك آلاف مؤلفة من حفظة القرآن الكريم الذين كانوا يجدون وسائل العيش والسعى للرزق دون الحاجة الى السؤال . وكان العلم الدينى وحفظ القرآن هو العلم الأساسى فى مصر .

ومن أهم أسباب نقص المحفظين ما يأتى : ـ

١ ـ لا توجد اى خطة أو حتى شبه خطة لتخريج محفظين للقرآن الكريم لا فى لأزهر ولا فى التربية والتعليم ولا فى الأوقاف . وأنما كل المحفظين الموجودين حاليا حفظوا القرآن فى « الكتاتيب » الامر لذى يقتضى وضع خطة واضحة لتخريج محفظين يحفظون القرآن ويجودونه ويفهمون معانيه من خلال معاهد قرآنية رسمية

٢ ـ تغيير نظام التعليم فى مصر .. هذا لنظام الذى أدى الى أن توجه كل الأبناء الى التعليم العام الالزامى أملاً فى الحصول على الشهادات المطلوبة للسعى وراء لقمة العيش .. فنضبت الكتاتيب وأصبحت لا تجد لها الآن موردا من الأبناء الا فى سن مبكرة قبل الالزام . وبعض الحالات القليلة التى ترغب فيها الأبناء فى القران فى الاجازات المدرسية فقط . والنتيجة أن الطفل يحفظ

المشاكل التى تتعلق بتحفيظ القرآن

جزءا أو .. جزءين أو أكثر أو أقل فى هذه الكتاتيب ونادرا ما يستمر الأطفال فى حفظ القرآن الكريم كله . حيث ينتظمون فى دراسة التاريخ والجغرافيا واللغات الأجنبية والعلوم العامة التى تؤدى فى النهاية الى الشهادات التى هى مصدر لقمة العيش ..

ولذلك يجب أن يدخل القرآن الكريم كمنهج أساسى فى التعليم العام ملزما بطريقة أو بأخرى من حفظه ورعايته .

٣ - كانت هناك حوافز واغراءات قوية تدفع الأبناء لحفظ القرآن الكريم . وأهم هذه الاغراءات هى الأعفاء من الخدمة العسكرية وشروط القبول بمعاهد المعلمين والمعاهد الأزهرية التى كانت توجب حفظ القرآن الكريم كله كشرط للقبول بها .

وكل هذا تغير تغيرا كبيرا وانتهى الالزام بتحفيظ القرآن بهذه المعانى

٤ - كان بعض المواطنين كرام النفوس يحترمون محفظى القرآن الكريم وكنا نرى كل الدور تستقبل المحفظين كل صباح . وكان بعض المواطنين يقيمون أمسيات رمضان فى تلاوة القرآن الكريم . وكان هناك قوم كرام يهبون أبناءهم للقرآن الكريم

المشكلة الثانية : هى مشكلة تنظيم التعليم الأزهرى فى مصر الذى صار هرما مقلوبا لا تستقيم له روافد حاليا ..

والعلاج لهذا كله يجب أن يكون على النحو التالى ..

١ - فتح مكاتب أزهرية قرآنية فى كل القرى والأحياء تلحق بالمساجد أو بأى مكان يصلح للتدريس دون الالتزام بالأصنام الهندسية التى تصر عليها الادارة الهندسية فى الأزهر الشريف وترفض اعتمادها فى الوقت الذى تفتح فيه وزارة التعليم المدارس الخاصة والمدارس ذات الفصل الواحد حلا لازمتها . فأنه يوجد آلاف المكاتب والكتاتيب الخاصة فى « أحواش » البيوت وفى « الدواوير » وفى المساجد تقوم برسالتها خير قيام .

٢ - تكون مدة الدراسة فى هذه الفصول ست سنوات لتحل محل التعليم الابتدائى ويعطى فيها الأولاد علاوة على تحفيظ القرآن الكريم كله المبادىء الأساسية للحساب واللغة العربية والعلوم الدينية .

٣ - يعفى الأولاد من شرط السن فى القبول ويقبلون من سن أربع سنوات . وهذا أول حافز خصوصا أن الثانوية الأزهرية أربع سنوات وليست ثلاث سنوات فقط .. وانى لا أرى داعيا لتأجيل هذه السن على الاطلاق فان العلم الحديث أثبت أن الطفل يستطيع أن يحفظ حفظا تاما كاملا من سن أربع سنوات وأن ذاكرته وحشية تمتص كل ما يلقى اليها من ألفاظ كما أنه يستطيع فى

قال تعالى

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون

سن السادسة أن ينتظم فى العلوم التى تحتاج الى تفكير مثل علوم الحساب انتظاما معتادا ذلك اذا كان تكوين هذا الطفل وصحته سليمة .

٤ ـ وثمة حافز آخر ينبغى أن يتقدم حافز السن هو وضع مكافأة شهرية لا تقل عن خمسة جنيهات للتلميذ ذلك بخلاف المبرات والمكافآت المتواصلة عند الامتياز وتزداد هذه المكافأة ازديادا مطردا بانتقال الطفل الى سنة أعلى وحفظ أشمل كما يسمح للأطفال أن يلتحقوا بسنوات أعلى اذا هم نجحوا في حفظ المناهج المطلوبة لهذه السنوات .. وبعد أن يمتحنوا امتحانات تثبت حقهم فى هذا الترقي دون التقيد بالسن .

٥ ـ يعطى محفظو القرآن الكريم فى هذه الفصول وفى غيرها أنى كانوا مكافآت تليق بما يقومون به من عمل جليل وتتناسب مع مستوى المعيشة فى ظل الظروف الراهنة وخصوصا أن هناك ملايين الجنيهات موقوفة على القرآن دون أن تصرف فى وجهها الصحيح ..

عند نهاية هذه المرحلة من التعليم يوجه الأطفال الى المعاهد الاعدادية الأزهرية أو يستمرون فى تجويد القرآن القريم ليعملوا محفظين للقرآن فى اى مكان أو يلتحقوا بمعاهد القراءات ليصيروا أساتذة فى مادتهم .

٦ ـ تنظيم المناطق الأزهرية تنظيما اداريا سليما لا يترك فجوة بين القرارات المركزية والادارية بالمحافظات . وفى ذلك علاج حاسم يليق بمكانة الأزهر وسمعة الأزهر الشريف .

د معتز المرزوقى

إقتراح بمشروع قانون

بتحفيظ القرآن وتجويده وتفهم معانيه

باسم الشعب ..

رئيس الجمهورية

قرر مجلس الشعب القانون الآتى نصه وقد أصدرناه : ـ

« المادة الأولى »

تشكل لجنة عليا لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده وتفهم معانيه من السادة : ـ

(١) فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر رئيسا

(٢) وزير الأوقاف مقرر اللجنة

(٣) وزير التربية والتعليم

(٤) وزير الحكم المحلى

(٥) وزير الشباب

(٦) وزيرة الشئون الاجتماعية

أعضاء

ويكون المقرر مسئولا أمام الأجهزة الشعبية عن نشاط اللجنة وللجنة حق الاستعانة بمن تراه صالحا لتنفيذ المشروع وتحقيق أهدافه ..

« المادة الثانية »

تلتزم اللجنة بأحكام اللائحة التنفيذية المرفقة بهذا القانون ..

« المادة الثالثة »

يشكل لكل محافظة لجنة فرعية لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده يرأسها محافظ الاقليم ، ويكون مدير الأوقاف مقررا لها . ويكون مديرو المناطق الأزهرية والتربية والتعليم والشباب والشئون الاجتماعية أعضاء لهذه اللجنة ، وللجنة حق الاستعانة بمن تراه صالحا لاستكمال نشاطها .

« المادة الرابعة »

تنشىء اللجنة العليا دورا لتحفيظ القران الكريم . ومعاهد تربوية قرآنية بالمراكز الاسلامية والمراكز الثقافية في الخارج ، ويلحق بها أبناء المبعوثين والجاليات الاسلامية . ومن يرغب في حفظ القرآن الكريم .

« المادة الخامسة »

تلتزم اللجان الفرعية بالمحافظات بانشاء دور لتحفيظ القرآن الكريم والتعليم الدينى بعواصم المحافظات والمراكز الادارية ، وعواصم المجالس القروية وصولا الى القرى والنجوع ، وتسير الدراسة فيها طبقا لبرنامج تعليمى خاص تحدده اللائحة التنفيذية لهذا

للأستاذ محمود نافع عضو مجلس الشعب

القانون ويكون العمل فيها على النحو التالى .

١ - يمكن انشاء هذه الدور في الحجرات الملحقة بالمساجد ومكاتب تحفيظ القرآن الأهلية ، والحجرات المخصصة لذلك . وكل مكان يمكن أن يكون صالحا للدراسة فيه .

٢ - تكون مدة الدراسة في هذه الدور ست سنوات ، ومن يستطيع أن يحفظ مقرر صف أكبر فله الحق في أن يلحق بالصف الأعلى بعد اجتيازة للامتحان الذى يعقد لذلك .

٣ - يمكن ضم المكاتب الأهلية لهذا المشروع اذا التزم أصحابها بالخطة والمنهج وكان في استطاعتهم تنفيذ الخطة الدراسية وفي هذه الحالة يسرى عليهم ما يسرى على الدور التى تنشئها اللجنة

- يقبل التلاميذ بهذه الدور من سن أربع سنوات الى عشر ، ويمكن التجاوز عن ثلاثة شهور بموافقة رئيس اللجنة .

٥ - من كان سنه اكبر من اربع سنوات ويرغب في الالتحاق بصف أعلى من الصف الأول . يجرى اختبار له فاذا نجح ألحق بالصف المناسب لمستواه العلمى .

٦ - ينتقل الناجحون في نهاية السنة السادسة الى السنة الأولى الاعدادية الازهرية دون امتحان آخر للقبول ، ولهم أن يستمروا في تجويد القرآن الكريم ليكونوا محفظين للقرآن الكريم بعد نجاحهم في مسابقة المحفظين أو يلحقوا بمعاهد القراءات .

٧ - تضع اللجنة العليا حوافز شهرية لجميع التلاميذ علاوة على حوافز أخرى للممتازين ، وتزداد الحوافز في السنوات الأعلى . كما تقدم اللجنة اعانات اجتماعية لمن تراه من التلاميذ علاوة على حوافز أخرى للمحفظين حسب ما تراه اللجنة لتنشيط الاقبال على هذه الدور .

« المادة السادسة »

للجنة العليا حق ادخال الاقتراحات المناسبة اذا اقتضت مصلحة العمل ذلك ..

« المادة السابعة »

تكون موارد اللجنة على النحو التالى :-

١ - ما يخصصه الأزهر الشريف لهذا الغرض من ميزانيته.

٢ - أموال الواقفين المخصصة لهذا الغرض .

٣ - التبرعات والهبات التلقائية .

٤ - ١٠٪ من مجموع ايرادات لجان الزكاة ببنك ناصر الاجتماعى .

٥ - ١٠٪ مما تخصصه البنوك الاسلامية لأموال الزكاة يحصلها البنك المركزى لحساب اللجنة العليا دون أرباح تحصيل .

٦ - ١٥٪ من ايراد صندوق الخدمات للمحافظة للجان المحلية .

٧ - ١٥٪ من مجموع التبرعات التى تحصل بتصريح من وزارة الشئون الاجتماعية على كل المستويات من الجمعيات الخيرية .

٨ - ٥٪ من حصيلة صندوق النذور .

« المادة الثامنة »

ينشر هذا القانون بالجريدة الرسمية ويعمل به من اليوم التالى لتاريخ نشره ...

إقتراح بمشروع قانون

مقدم من السيد العضو الدكتور معتز المرزوقي

لمحفظي القرآن الكريم

باسم الشعب

رئيس الجمهورية

قرر مجلس الشعب القانون الآتي وقد أصدرناه :

المادة الأولى

يعتبر محفظا للقرآن الكريم كل من يحفظ القرآن الكريم كله ويجوده تجويدا سليما صحيحا باحدى الروايات المعتمدة ، ويقوم بمسئوليته بتحفيظ القرآن الكريم بالحكومة أو بأية هيئة أو جمعية رسمية أو يقوم بنشاط فردى خاص للتحفيظ بصفة منتظمة .

المادة الثانية

تقوم مديريات الأوقاف بكل محافظة بعمل سجلات خاصة للمحفظين بطريقة منتظمة يدون بها بيان أنشطتهم وما يثبت هذه الأنشطة ، وعمل تفتيش دورى على هؤلاء المحفظين فى أنشطتهم الخاصة ضمانا لاستمرارهم فى أداء واجبهم المقدس ورعاية لحقوقهم .

المادة الثالثة

يعفى محفظو القرآن الكريم من شرط السن والكشف الطبى سواء لدخول الخدمة أو لنهايتها مادامت لديهم القدرة على مواصلة العمل دون تقيدهم بسن الاحالة الى المعاش .

المادة الرابعة

تلتزم مديريات الأوقاف بالمحافظات بعمل امتحانات دورية كل سنة يعلن عن مواعيدها المحددة لمن يتقدم لوظيفة محفظ للقران الكريم سواء بالحكومة أو القطاع الخاص ومن ينجح منهم يعطى شهادة معتمدة من الأزهر الشريف ، وتعتبر هذه الشهادة مؤهلا رسميا من المؤهلات المتوسطة ويعين فى الحكومة فى الدرجة المالية المناسبة لهذا المؤهل ، ويعطى مكافأة وعلاوات دورية فى القطاع الخاص مساوية لزملائه فى الحكومة ، وتلتزم الدولة بتعيين من يرغب من الناجحين فى هذه الامتحانات فورا فى دور التعليم المختلفة ..

المادة الخامسة

يجب تعيين محفظى القرآن الكريم في محافظاتهم وفي أقرب مكان لمحل اقامتهم .

المادة السادسة

يمنح كل من يقوم بتحفيظ القرآن الكريم في أى موقع من المواقع سواء بالحكومة أو بالهيئات أو الجمعيات الرسمية أو بصفة شخصية (مكتبه) مكافأة شهرية مقدارها خمسون جنيها مصريا من ربع

الأوقاف . علاوة على رواتبهم أو مكافآتهم الاصلية ، وتصرف هذه المكافآت فورا حسب النظم المالية المتبعة .

المادة السابعة

يمنح محفظو القرآن الكريم (بطاقات اثبات شخصية) معتمدة من مديريات الأوقاف ، وبموجب هذه البطاقات يعفي جميع أجور المواصلات العامة الحكومية أو شركات القطاع العام .

المادة الثامنة

يعفي محفظو القران الكريم من الخدمة العسكرية اعفاء مؤقتا ما داموا يقومون بأداء هذه الواجب فى تحفيظ القرآن الكريم ، ويمكن تكليفهم كمحفظين للقرآن الكريم بالقوات المسلحة . مع مراعاة حقوقهم المالية المنصوص عليها فى هذا القانون ..

المادة التاسعة

يحق لأى موظف بالدولة أو بالقطاع العام أثناء الخدمة أو بعد احالته للتقاعد ان يجمع بين المرتب أو المعاش الحكومى ومكافأة التحفيظ المنصوص عليها في المادة السادسة اذا استوفى شروط التحفيظ الواردة فى المادة الأولى .

المادة العاشرة

ينشر هذا القانون بالجريدة الرسمية ويعمل به من اليوم التالى لتاريخ نشره .

المذكرة الايضاحية

لا شك أننا نتحمل المسئولية جميعا حكومة وشعبا . ونحن نتحمل مسئولية خاصة كممثلين للشعب . بل هى مسئولية كل مسلم ان يراعى تحفيظ القرآن الكريم الرعاية الواجبة ونحن بذلك لاندعى اننا نحافظ على القرآن الكريم . فالقرآن كتاب الله الذى تكفل صاحبه بحفظه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

ولكننا نخشى أن نطرد من رحمة الله جميعا اذا نحن قصرنا أو أهملنا فى حق كتاب الله علينا ونحن أحوج مانكون لرحمة الله بنا .

ولقد كانت مصر ولازالت حتى عهد قريب قائدة رائدة وزعيمة للعالم الاسلامى والعالم العربي . ولم تكن هذه القيادة والزعامة خوفا من مصر ولا من جيش مصر ولا من قوة مصر وانما كانت دائما تقديرا لعلماء مصر الأفاضل الذين رفعوا راية حفظ القران وتحفيظه وبفضل أزهر مصر انتشر النور والعلم الاسلامى الصحيح السليم في مشارق الأرض ومغاربها .

ولقد وصلت حالة محفظى القران الكريم من ناحية العدد والندرة حتى أنه يوجد قرى كثيرة تخلو تماما من محفظى القران الكريم بعد أن رحل معظم المحفظين الى رحمة الله ، ولا يخفي علينا جميعا أنه لا يوجد بديل بعد هذا الانقراض الخطير لمحفظى القران الكريم بعد أن أصبح الناس لايجدون ما كان يفعل الآباء وبعد أن توجه الاطفال للتعليم الخاص .

ولا يوجد معهد واحد ولامدرسة واحدة في جمهورية مصر العربية الاسلامية كلها يقوم بتخريج محفظين للقرآن الكريم . لافى الأزهر ولافي التعليم ولاحتى معهدا تابعا لوزارة الأوقاف .

أمر خطير يدفعنا جميعا أن نعمل لرعاية القرآن الكريم لذا أقدم هذا المشروع بقانون وهو أقل ما يجب فى شأن محفظي القرآن الكريم . والله يوفقنا جميعا لما فيه الخير

■ الذبيح وفـــداؤه
والأضحية وحكمها

دراسات في القرآن والسنة

■ مؤشرات الخصوصية
في ذى الحجـة

■ مفتاح باب الحـج
والهجـرة

الذبيح وفداؤه
والأضحية وحكمها

للأستاذ
مصطفى محمد الحديدي الطير

قال الله تعالي :

« رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَيٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَيٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَاتُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ »

الآيات الي قوله « وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ » من سورة الصافات

البيان

يمضي عيد الأضحي كل عام بالمسلمين ، ولا يذكر معظمهم من أمره الا انه عيد اسلامي يبتجهون فيه ويضحون ، ويأكلون ويشربون ، دون أن يفكروا في منشئه ، والأغراض الجليلة التي شرع من أجلها وشرعت أضحيته ، حتي تكون منهم موضع العبرة والاذكار ، والاخلاص في العقيدة والعمل لله رب العالمين ، والعطف علي البائسين والمعوزين .

فلهذا رأينا أن نتحدث الي المسلمين في شهر الأضحية عن منشئها ، وعن الغلام الحليم الذي هم بذبحه ابراهيم ، ثم افتداه ربه بذبح عظيم ، وعن الحكمة في هذا كله

حتى يكونوا منه على بينة . وليكون فى وعيهم وذكراهم كلما مر بهم هذا العيد السعيد .

ابراهيم والغلام الحليم

أرسل الله ابراهيم عليه السلام الي قوم من الصابئة يؤلهون الكواكب ، ويتخذون الأصنام والأنصاب أربابا ، زاعمين أنها ترمز الي الكواكب التي يؤلهونها ، وكان موطنه الأصلي (بابل) حيث يعيش قومه من الصابئة فأرسله الله اليهم فدعاهم الى نبذ عبادة الكواكب والتماثيل ، واخلاص العبادة لله رب العالمين ، فلما لم ينفعهم نصح ولا ارشاد ، حطم أوثانهم بمعوله ليلا ، ليظهرهم علي فساد ربوبيتها ، بعجزها عن حماية نفسها ، وفي ذلك يقول الله تعالي : « فراغ عليهم ضربا باليمين » فلما اتضح لهم أنه هو الذي حطمها ، أقبلوا اليه يزفون ـ أي يسرعون ـ ولما ناقشوه فيما صنع بها قال :

« أَتَعْبُدُونَ مَاتَنْحِتُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَاتَعْمَلُونَ . قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ . فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فجعلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ » الصافات ٩٥

حيث أعلي شأنه عليهم ، فنجاه من مكرهم ، اذ جعل النار عليه بردا وسلاما ، وانتصر بذلك حقه على باطلهم .

« فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وانقلبوا صَاغِرِينَ » .

ولكن تعصبهم لالهتهم افقدهم الاعتبار بتلك المعجزة الكبري ، وأصروا علي ماهم فيه من عبادة آلهتهم ، مع ثبوت عجزها عن مساعدتهم في اهلاك ابراهيم ، بماأوقدوه من نار الهشيم ، فلما يئس من ايمانهم ، قرر الهجرة الي أرض أخري يتمكن فيها من عبادة ربه ، والنصح الي أهلها ، فهاجر الي بيت المقدس قائلا :

« إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي » .

ثم دعا ربه أن يرزقه ولدا يأنس به في غربته فقال :

« رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ » .

فاستجاب له ربه دعاءه وبشره بتحقيق مطلبه ، وفي ذلك يقول الله تعالي :

« فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ » .

وقد اشتملت هذه البشري علي ثلاث بشريات (١) أنه سيرزق غلاما (٢) وأنه سيكون حليما (٣) وأنه سيعيش لأن الصغير لا يوصف بالحلم .

رؤياه الخطيرة بشأن ولده

حقق الله لابراهيم مابشره به ، فرزقه ولدا صالحا « فلما بلغ معه السعي » أي كبر وبلغ أن يسعي مع أبيه في دنياه ، معينا له علي أعماله ، ورأي في منامه عن ولده رؤيا أفزعته ـ لما حدث ذلك ـ قال :

« يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَي فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَي » .

وهذا السؤال يشعر بأن الغلام كان راجح العقل يحس وزن الأمور ، ولا ينزعج لكوارثها ، بل يعطي رأيه فيها عن صواب وحكمة ، ولو كان هلاكه فيه .

لقد كان ابراهيم مترددا في تنفيذ منامه الخطير ، لأن فيه هلاك ولده الوحيد وقتئذ ، وقد رزقه في شيخوخته الواهنة ، قال مقاتل : رأي ابراهيم هذه الرؤيا ثلاث ليال متواليات ، ويروي أن الليلة الأولي كانت

ليلة الثامن من ذي الحجة ، فقد رأي فيها من يقول له : ان الله يأمرك أن تذبح ولدك ، فلما أصبح روي في نفسه ، أي فكر : أهذا الذي رأيته رؤيا من الله ، أم حلم من الشيطان ، فسمي هذا اليوم يوم التروية ، فلما كانت الليلة الثانية رأي رؤاياه هذه مرة أخري ، فلما أصبح عرف أنها رؤية من الله ، فسمي هذا اليوم يوم عرفة ، ثم رأي مثلها في الليلة الثالثة فهم بنحره في اليوم التالي لها ، فسمي يوم النحر .

موقف الغلام من رؤيا أبيه

اعتبر الغلام رؤيا أبيه وحيا وأمرا من الله تعالى لابد من تنفيذه ، فلهذا قال لأبيه :

« يَا أَبَتِ افْعَلْ مَاتُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ »

فلما رأي استجابة ولده الوحيد لأمر ربه ، شرع في تنفيذه ، مع أن هذا التنفيذ سيكلفه فقد ولده الوحيد .

قال محمد بن كعب : كانت الرسل يأتيهم الوحي أيقاظا ورقودا ، فان الأنبياء لاتنام قلوبهم ، وقال ابن عباس : رؤيا الأنبياء وحي ، واستدل بهذه الآية ، وفي حديث مرفوع قال صلي الله عليه وسلم : « نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولاتنام قلوبنا »

محنة الوالد في تكليفه بقتل ولده

لايبتلي أحد من البشر بأشد وأقسي من أن يؤمر بذبح ولده الوحيد أمرا واجب التنفيذ ، ولانعلم أحدا من الأنبياء قبل ابراهيم عليه السلام أو بعده امتحن بمثل ما امتحن به ومع أن هذا يتجاوز طاقة البشر فقد احتمله ابراهيم وغلامه بصبر يتجاوز طاقة البشر ويفوق حد الاحتمال ، وجاءت ذروة المحنة عند التنفيذ : « فلما سلما وتله للجبين » أي فلما انقادا واستسلما لأمر الله ، وصرعه أبوه ابراهيم علي شقه ، فصار جبينه الي الأرض كما يفعل بالشاه ، والجبين أخذ شقي الجبهة .

وقيل معناه أنه كبه علي وجهه بأن أمره أن يكون وجهه الي الأرض ، حتي لايري منه مايوجب رقة تحول بينه وبين تنفيذ أمر الله تعالي ، جاء في الخبر أن الذبيح قال لوالده ابراهيم :

« يا أبت اشدد رباطي حتي لا أضطرب ، واكفف ثيابك لئلا يصيبها شيء من دمي فتراه أمي فتحزن ، وأسرع مر السكين علي حلقي ، ليكون الموت أهون علي ، واقذفني للوجه لئلا تنظر الي وجهي فترحمني ، ولئلا أنظر الي الشفرة فأجزع ، واذا أتيت الي أمي فأقرئها مني السلام فلما جر ابراهيم السكين ، ضرب الله عليه صفيحة من نحاس ، فلم تعمل السكين شيئا ، ثم قلبه علي جبينه وحز في قفاه ، فلم تعمل السكين شيئا ، فذلك قوله تعالي « وتله للجبين » .

فنودي ياابراهيم قد صدقت الرؤيا ، فالتفت فاذا بكبش ـ الخ ـ ذكره المهدوي ولم يبين درجته وهذا الكبش هو ماذكره الله تعالي بقوله « وفديناه بذبح عظيم » والمراد بعظمته أنه كبير الجسم .أو أنه سمين ، أو

الذبيح وفـــداؤه

لكونه فدي به نبي فكان ذلك عظيما لذلك .

وحينئذ تقدم ابراهيم عليه السلام فذبح هذا الكبش فداء لولده ، واختلف في المكان الذي أراد ابراهيم ذبح ولده فيه ، فقيل لمقام بمكة ، وقيل موضوع النحر بمني عند الجمار التي رمي بها ابليس حين وسوس له قال ابن عباس وابن عمر وغيرهما .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما أمر الله ابراهيم أن يذبح ابنه ، عرض له ابليس عند جمرة العقبة ، فرماه بسبع حصيات حتي ذهب ، ثم مضي ابراهيم لأمر ربه .

من هو الذبيح ؟

ولد لابراهيم عليه السلام ولدان،(أولهما) اسماعيل من هاجر الجارية المصرية (وثانيهما) اسحاق من سارة ، واختلف العلماء في أيهما الذبيح ، فأكثر العلماء يرون نه اسحق - كما ذكره القرطبي - وغيره وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب ، وابنه عبد الله ، وعلي بن أبي طالب ، وابن مسعود وغيرهم من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ..

وقال بذلك من التابعين مجاهد والشعبي وعلقمة وابن جبير وغيرهم ، وعلي هذا الرأي أهل الكتاب ، وقال سعيد بن جبير : أُرِيَ إبراهيمُ ذبْح اسحاق في المنام ، فسار به مسيرة شهر في غدوة واحدة ، حتي اتي به المنحر من مني ، فلما صرف الله عنه الذبح وأمره أن يذبح الكبش فذبحه ، سار به مسيرة شهر في روحة طويت له فيها الأرض والجبال . كذا قيل .

الرأي الحق أنه اسماعيل

ومع أن الجمهور يقولون أنه اسحق ، فان غيرهم يرون أنه اسماعيل - وهو الرأي الحق - وممن قال بذلك أبو هريرة وأبو الطفيل ، وروي عن ابن عمر وكذا ابن عباس في رواية أخري عنه ، وقال به سعيد بن المسيب وغيره من التابعين ..

وعن الاصمعي قال : ساالت أباعمرو ابن العلاء عن الذبيح فقال : يا أصمعي . اين عزب عنك عقلك ؟ ومتي كان اسحاق بمكة ؟ وانما كان اسماعيل بمكة . وهو الذي بني البيت مع أبيه ، والمنحر بمكة: ونحن نقول : لو كان الذبيح اسحق لكانت محاولة الذبح ببيت المقدس لابمكة أو مني . وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم روايتان احداهما تفيد أنه اسماعيل - وهي التي نرجحها - والأخري تفيد أنه اسحاق ، ونري أنها مرجوحة .

والصواب أن الذبيح هو اسماعيل - عليه السلام - لما تقدم في اجابة أبي عمرو بن العلاء للأصمعي ، ولأن الله وصف اسماعيل بالصبر دون اسحاق ، وذلك في قوله سبحانه « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » وهو صبره علي الذبح ، ووصفه بصدق الوعد في قوله :

« وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ »

لأنه وعد أباه أن يصبر علي الذبح فوفي .

ومن أقوي مايستدل به علي أن الذبيح اسماعيل أنه تعالي عقب قصة الذبيح في

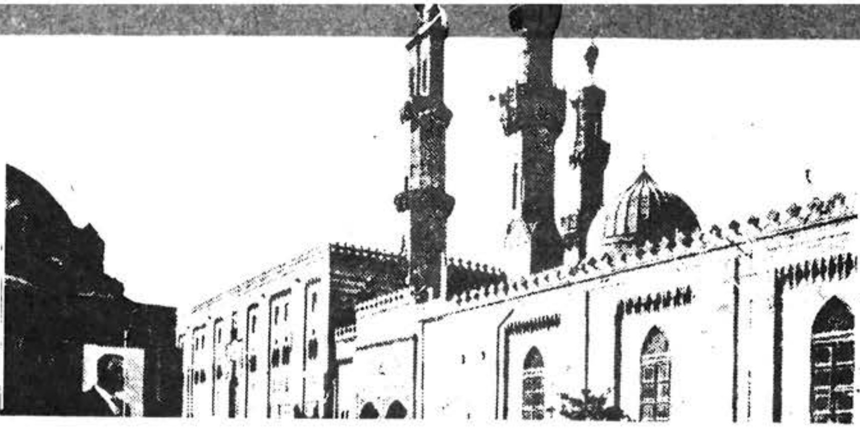

سورة الصافات بقوله :

« وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ »

أي بشرناه مكافأة له من أجل صبره علي ذبح وحيده اسماعيل باسحاق يولد له بعد هذه القصة ، ويكون نبيا من الصالحين ، فلو كان الذبيح اسحق ، لما استقام لامربذبحه مع الوعد بأنه يعيش ويكون نبيا ، كما أنه تعالي يقول « فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب » فكيف يستقيم الأمر بذبح اسحاق قبل أن يلد يعقوب .

رأي وسط ومناقشة لأهل الكتاب

يري الزجاج رأيا وسطا ، اذ يقول : الله اعلم من هو الذبيح ، فهو بذلك يخلص نفسه من تعارض الأدلة في نظره ، ويحتاط لعدم ذكر أسم الذبيح صراحة في القرآن الكريم وسواء أكان الذبيح هذا أم ذاك فان فضل الله علي ابراهيم وآل بيته لفدائه لا يقادر قدره ، فقد خص الله به دم هذا الغلام الحليم ، فبقي قرة عين لوالديه كما أنه أذهب الضيق والحرج والأسي عن ابراهيم عليه السلام وأدخل السرور في قلب هذه الأسرة الكريمة التي أمتحنت بأشد ما يمتحن به البشر .

ولهذا قال الله تعالي تعظيما لهذه المنة « إنا كذلك نجزى المحسنين »

يعنى أن هذه سنة الله تعالى مع المحسنين الصابرين .

« اذ يخلصهم من الشدائد ، ويبدلهم من الضيق فرجا ، ومن شدائدهم مخرجا »

ونحن نصر علي أن الذبيح اسماعيل للأدلة التي قدمناها ولا وجه لتعصب أهل الكتاب واصرارهم علي أن الذبيح هو اسحاق دون اسماعيل ، فقد جاء في كتبهم أنه تعالي أمر ابراهيم أن يذبح وحيده اسحق ، فكيف يكون اسحق وحيده ، مع أنه جاء بعده اسماعيل ، وكان اسماعيل حيا وقت الأمر المزعوم بذبح اسحاق ، فالحق أن ابنه الوحيد لاينطبق الا علي اسماعيل قبل أن يرزق باسحق ، والذي نراه أن اقحام اسم اسحق في قصة الذبيح عندهم هي من وضع أهل الكتاب وتزييفهم لنصوصهم تعصبا منهم

لجدهم ، لهذا نري ان الاصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين ، تبدو فيه رائحة التزييف واضحة ، فقد وضع فيه اسم اسحق موضع اسم اسماعيل الذي لا يصدق وصف الابن الوحيد الا عليه دون اسحاق .

فالرأي الأمثل أنه هو اسماعيل لما قدمناه من الأدلة وهذا مانعتقده ، أو ترك البحث عن شخصه واحالة العلم به الي علام الغيوب - كما جنح اليه الزجاج طلبا للاحتياط -

الحكمة في الأمر بذبحه

لاشك في أنه تعالي لا يأمر بشيء يخلو من الحكمة ، فكل مايأمر به مشتمل علي حكم قد تظهر لنا وقد تخفي علينا ، وكذلك كان الشأن فيما كلف به ابراهيم عليه السلام من ذبح ولده ، فانه أبو الأنبياء وامام للناس ، قال تعالي :

« إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا »

ولهذا تري أصحاب الملل في أرض النبوات ، يشرفون بالانتساب اليه حتي المشركين ، فانهم يزعمون أنهم علي ملته .

والغرض الأساسي من تكليفه بذبح ولده فيما نرى والله اعلم - تذكير من جاء بعده من أصحاب الملل ، بأن امامهم ابراهيم لم يبخل علي ربه بولده الوحيد ، الذي من الله عليه به بعد أن بلغ من الكبر عتيا ، بل هم بذبحه طاعة لأمر ربه ، ولولا أن فداه الله بالكبش الذي من به عليه ، لنفذ فيه أمره ، وأن عليهم أن يقتدوا به فيمتثلوا ما امرهم الله به ، ويجتنبوا مانهاهم عنه ، وكل ماشرعه الله لهم فهو في مقدورهم ، ولا يمكن أن يصل في صعوبته وشدته الي مثل هذا الذي كلف به ابراهيم فشرع في تنفيذه ، ومن المسلمات أن قصة الذبيح هذه معلومة لجميع أصحاب الملل في أرض النبوات .

عيد الفداء وأضحيته

جعل الله اليوم الذي فدي فيه الذبيح يوم عيد للمسلمين ، كما كان يوم عيد وفرحة لجدهم ابراهيم ، فينبغي أن يتذكروا فيه نعمته علي هذا البيت الكريم .

وكما جعله الله يوم سن فيه الأضحية والذبيح اقتداء بخليله ابراهيم الذي جعله للناس اماما ، وتعبيرا عن الفرح بنجاة ولده ، وشكرا له تعالي علي نعمة الفداء ، وبرا بالمساكين ، الي جانب اطعام الأسرة ، فلم تشرع الأضحية ليستأثر بها المضحون وحدهم ، ولم يشرع العيد ليكون مرحا عابثا وفرحا خاويا من البر والاعتبار .

فينبغي للمسلم ، أن يقصد بأضحيته وجه الله تعالي - دون مباهاة وفخر وتعالٍ علي الفقـــراء الذين لا يقـــدرون على مثلها وأن يطعم منهـــا الفقـــراء والمعوزين ، وأن يقدم منهـــا هديـــة لبعض الأقارب او الجيران أو الأصحاب ، وان يرجو بها أن يجعلها الله سببا لحفظه وأسرته من النوائب ، كما حفظ بها الذبيح ووقاه من كارثة الموت ذبحا بيد أبيه ، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على الأضحية

ويحض عليها ، بل كان يذبح عن غير القادرين من أمته .

كما ينبغي أن يبعد نفسه وأسرته خلال راحة العيد وفرحته عن الموبقات ، وأن يصل أرحامه ، ويمد يد المعونة للبائسين .

حكم الأضحية

الأضحية واجبة عند الحنفية علي القادرين المقيمين من أهل الامصار ، وسنة مؤكدة عند غيرهم من أصحاب المذاهب الأخري ، ولاتسن للحاج بمني الا عند الشافعية .

وممن قال بأنها سنة عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال عكرمة : كان ابن عباس يبعثني يوم الأضحى بدرهمين أشتري له لحما ويقول : من لقيت فقل : هذه أضحية ابن عباس ، وكان بعض الصحابة يري رأيه هذا ويفعلون فعله - أي لايضحون أحيانا - ليبينوا للامة أنها ليست بواجبة . دفعا للحرج عن الناس فهم أئمتهم وعليهم ان يعلموهم ويرشدوهم بالقول والعمل .

واختلف القائلون بسنيتها : هل الأضحية افضل أم التصدق بثمنها ، فعلي الأول مالك وأصحابه واحمد ابن حنبل وغيرهم ، وبه قالت عائشة رضي الله عنها ، وعلي الثاني بلال

والشعبي وابو ثور وغيرهم ، روي عن بلال أنه قال : أنا لا أضحي الا بديك ، ولأن أضعه في يتيم قد ترب - أي افتقر - أحب الي من أن أضحي به وحسبنا ماذكرناه والله تعالي أعلم .

مصطفي محمد الحديدي الطير

مؤشرات الخصوصية في ذي الحجة

في الاسلام أشهر معلومات تتميز عن غيرها من شهور السنة العربية بخصائص وملابسات تجعلها في الصدارة منها ، بما تحمله في ثناياها من مؤثرات بالغة الخطر والأثر في حياة الأمة الاسلامية كجماعة .. وفي مصائر أهلها كأفراد .. فهى تمثل في حاضرهم مراكز هامة للتجمع الجسدى ، والتوحد الروحى تحت راية القيم الاسلامية الخالدة .. ومن ثم كانت وستظل نقطا بارزة للتحول الفكرى والحضارى في كيان الاسلام ، وشارة للانطلاق والتوثب الى الأفضل في الحال وفيما يأتى من الزمان .. ومن هذه الأشهر رمضان بما فيه من طاقات معنوية خلاقة يذكيها نظام بديع في صيام بالنهار ، وقيام بالليل ، وتغيير عملى في رتابة الحياة اليومية الجامدة ، للأمة الاسلامية جمعاء .. على اختلاف مشاربها ، وتنوع مواطنها ، واختلاف ألسنتها وألوانها .. فيجعل منها كائنا متميزا كالجسد الواحد .. يصوم حين يصدع فجره بالدعوة الى الصلاة ، ويفطر حين تغيب شمسه وراء الافق مؤذنة بقيام بعد الصيام .

وقد تميز شهر ذى الحجة بمؤشرات نوعية ، وفاعليات دينية متناسقة .. حتى لكأنه منارة باذخة الذرا ، فياضة النور ، تشع بروحانية دافقة ، وعطاء حيوى متجدد ويتبدى ذلك مما يأتى :

١ ـ حرمة شهر ذى الحجة باعتباره واحدا من ثلاثة أشهر متوالية تحمل اسم (الأشهر الحرم) هى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم .. وبعدها واحد فرد هو رجب الذى بين جمادى وشعبان ، حسبما جاء في القرآن الكريم : (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَاتَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ) التوبة / ٣٦ .

وكما تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبته الجامعة في حجة الوداع من السنة العاشرة الهجرية قائلا : (ألا أن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السماوات والأرض .. السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم .. ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر) وذلك بعد أن

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

ستقرت الأشهر العربية في مواطنها الحقيقية التى برأها الله عليها يوم بدء الخليقة .. واحتل كل منها مكانه الثابت طبقا لما جرت به الأقدار، وتحركت عليه الأفلاك .. وليس كما تلاعب به الجاهليون بالنسىء المضلل الذى زاد في كفرهم، ومد في طغيانهم ..

والمهم أن شهر ذى الحجة بين الأشهر الثلاثة المحيطة به يشكل محور الدائرة، ونقطة الارتكاز .. فقد كان الهدف الأساسى من تشريع الأشهر الحرم المتوالية هو تأمين طريق الحجيج، وحياطته بأسوار منيعة من سلام وراحة وطمأنينة .. وسط دوامة الحروب الطاحنة، والمعارك الشرسة التى تثور لأتفه الأسباب، وتشتعل لأحط الغرائز ..

ومن لازم ذلك أن يمتد رواق الأمان شهرا قبل شهر الحج وهو ذو القعدة، ليتيسر سبل الوصول اليه، وشهرا بعده هو المحرم، لتمهيد طريق العودة منه، فكان لابد من تواصل هذه الأشهر الثلاثة، وتتابعها بلافواصل أو عوائق حتى يستتب الأمن ويستقر النظام في موسم الحج الأكبر .. ولذا كان الرجل يلقى في الحرم قاتل أبيه أو أخيه فلايهيجه في الأشهر الحرم ..

٢ ـ شهر ذى الحجة موعد للعشر الأوائل منه .. وهى موسم اسلامى حاشد، حافل بالبركات .. زاخر بالمكرمات .. العمل الصالح فيه أحب الى الله منه في غيرها .. وأرجى للثواب وأبلغ في العبادة وقد نوه القرآن الكريم بهذه العشر الأوائل من ذى الحجة في غير موضع .. ففى سورة (الأعراف / ١٤٢) يقول الله تعالى: (وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ، فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ..

وفي تفسير الجلالين: أن هذه الثلاثين ليلة هى شهر ذى القعدة .. وأن العشر المتممة لها هى الأوائل من ذى الحجة، وفي سورة الفجر / ٢ (والفجر وليال عشر) فعندها كلم الله موسى تكليما، وقربه نجيا، وكتب له في الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء .. وفيها تضج طرقات الدنيا بالتلبية من الحجاج (لبيك اللهم .. لبيك .. لبيك لاشريك لك لبيك .. ان الحمد لك والنعمة لك .. والملك لاشريك لك) وهم يزحفون زحفهم السنوى المقدس نحو الكعبة البيت الحرام .. في أكبر تجمع بشرى عرفته الانسانية، وفي ظروف بيئية ومعاشية بالغة القسوة .. بواد غير ذى زرع، ووسط أمواج من رمال الصحراء الشاسعة الأطراف، الممتدة الأكتاف .. يرفعهم نجد، ويحطهم وهد .. لايشغلهم في كل ذلك الا هدف واحد هو عبادة الواحد الأحد المنزه عن الشريك والولد والصاحبة .. ليس كمثله شىء ..

مؤشرات الخصوصية في ذى الحجة

لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .. وقد ملك عليهم هذا الهدف كل منافذ الحس والحركة .. والفكر فلم يعودوا يفكرون في مال تركوه ، ولا ولد ودعوه ، ولا موطن هجروه ..

فالأيام العشرة الأوائل هى الوعاء المكثف لهذا المظهر الاسلامى الرائع الذى هو امتداد لحركة تاريخية سابقة .. فيها يشتد الزحام وتتزاحم الأقدام ، ويتلاقى الأقوام .. في أكرم مقام ، وأشرف التحام ، ولذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاكثار من الذكر والتكبير لغير الحجاج .. بعد أن شغل ألسنة الحجاج وقلوبهم بالتلبية ، وقال : (أكثروا في هذه الأيام من التكبير والتحميد والتهليل) .. وفي حديث آخر : (مامن أيام أحب الى الله وأفضل من أيام العشر .. قيل : ولامثلهن في سبيل الله ؟ قال : ولامثلهن في سبيل الله .. الا رجل عقر جواده ، وعفر وجهه) وكان ابن عمر رضى الله عنهما يكبر في جميع أيام العشر على فراشه ومجلسه ، كما كان عطاء بن أبى رباح يكبر فيها في الطريق وفي الأسواق ، وكان سعيد بن جبير يجتهد فيهن في العبادة فوق طاقته ..

٣ ـ في شهر ذى الحجة ، يكمن يوم عرفة في التاسع منه ، وهو يوم معدود ، ومحفل اسلامى مشهود .. فيه تصاغ الأمة الاسلامية على بكرة أبيها ممثلة في حجاجها في اطار واحد ممثلا في ثوب الاحرام الأبيض ، ولحن التلبية الصداح .. وفيه تضيق وديان عرفة بما رحبت بالحشود الحاشدة .. والجموع الكاثرة . يعلوهم شعث في الرءوس ، وغبرة على الوجوه .. تحت شواظ من قيظ لافح .. أو زمهرير من برد قارس وهم عن هذا وذاك في شغل داعين ملبين ، ضارعين متوسلين ..

يسألون ربهم الجنة ، ويستعيذون به من عذاب الحريق .. ومن ثم كانوا موطن الاعزاز من ربهم ، والمباهاة لملائكته .. كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (اذا كان يوم عرفة فان الله تعالى يباهى بالحجيج الملائكة .. فيقول : انظروا الى عبادى .. جاءوا شعثا غبرا .. ضاحين من كل فج عميق .. أشهدكم أنى قد غفرت لهم .. فتقول الملائكة : ان فيهم فلانا مرهقا .. وفلانا .. فيقول : قد غفرت لهم)

وفي حديث آخر : (مامن يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة) ولذا سن صيام عرفة لغير الحاج لما فيه من الأجر المضاعف ..

وفي الحديث : (صوم يوم عرفة بسنتين ، وصوم عاشوراء بسنة) .. وفي يوم عرفة نزل قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) فكانت هذه الاية الكريمة ايذانا ـ لمن وعى ـ بقرب رحيل النبى صلى الله عليه

وسلم عن الدنيا .. بعد أن أدى أمانته كاملة ، وأتم رسالته غير منقوصة ..

وقد فهمها عمر رضى الله عنه فبكى ولما سئل عن سبب بكائه قال : ليس بعد الكمال الا النقصان .. وقد صدقت فراسته .. فقد خطب النبى صلى الله عليه وسلم الناس خطبته الجامعة المشهورة .. المسماة خطبة الوداع .. وذكر فيها أهم مافي الرسالة من أهداف ، وأخطر مابها من مسائل وشدد الوصية فيها وقال في تأكيد ذلك : « اللهم هل بلغت ؟ فرد المسلمون : نعم .. فقال : اللهم فاشهد .. ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » . وكانت خطبته وداعا حقا .. اذ لم يعش بعدها الا نيفا وثمانين يوما ثم لحق بالرفيق الأعلى ..

٤ ـ الحج في شهر ذى الحجة وهو من فرائض الاسلام الخمسة ، وأركانه الأساسية ، ومناسكه المقدسة .. لاينعقد الا في خصوص هذا الشهر حيث يفرض الزمان والمكان حرمته وأمنه على كل كائن حوله أو فيه من انسان أو حيوان أو نبات (لايختلى خلاها ولاينفر صيدها ولاتلتقط لقطتها الالمعرف)

وقد ركز الاسلام على معنى الأمن والسلام في هذا الزمان والمكان لكل من تفيأ ظله ..

وألزم المسلمين فيه بنظم خاصة وتعاليم ثابتة تؤكد معنى السلام الشامل والأمن المحيط .. فهم لايستشعرون في ظل البيت العتيق الا الأخوة الاسلامية والانسانية في نسق متكامل .. وهم لايحسون في جنباتهم مشعرا لنزوة بهيمية ، أو نزعة لشيطان رجيم ، وانما يتزودون بخير الزاد وهو التقوى .. ويتزينون بأحسن الزينة وهى التجرد المطلق من كل ماسوى الخالق .. .. زاهد في متاع الدنيا الزائل ، وعرضها الحائل .. فالحج بهذا المنهاج تربية قومية وانسانية .. تستهدف قوة الروح ، ومتانة الخلق ، وسلامة المنهج ، وطهارة السلوك وعمق العقيدة ..

ولو أنصفت مراكز رعاية الشباب ، ومؤسسات التربية والثقافة لأرسلت بأفواج الشباب الى هذا المعسكر الحاشد ليعيشوا تجربتهم الحية وسط هذه الأمواج الهادرة من أفواج الحجيج بين دعوة الحق ، وصيحة التلبية ، وايحاءات الأمن والطمأنينة والايمان ..

د . محمد محمد الشرقاوى

مــن نفحــات
السُنَّة المبَاركة

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : ان تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك : متفق عليه .

كلمة جليلة في معناها ، جميلة في مبناها ، لاشتمالها على الاقرار بالوحدانية لله عز وجل . والاعتراف بنعم الربوبية ، والامتثال والطاعة لأوامر ملك الملوك .

ينطق بها ملايين المسلمين بلسان واحد ولفظ واحد في مكان واحد وزمان واحد أمام بيت الله تعالى وفي أرض عرفات المباركة . فى خضوع وخشوع معترفين بوحدانية الله تعالى وصدق رسوله الكريم وهم حاسرو الرءوس. وقد جردوا أجسادهم عن المخيط والمحيط وتركوا الدنيا وزينتها وراء ظهورهم واستوى الكل : الملوك والسوقة في هذا الميدان المبارك وفي هذا المؤتمر الالهى الكبير حيث تتنزل عليهم السكينة والرحمة والتجلى بالمغفرة والرضوان من الله تبارك وتعالى على عباده الذين استجابوا لربهم وآمنوا بنبيهم وقدسوا بيت الله الحرام .

هذه الكلمة الطيبة هى التى نطق بها الرسول الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما نوى الحج والعمرة في ذى القعدة إيذانا بالدخول في أعمال الحج كما روى ابن عمر رضى الله عنهما قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان اذا استوت به راحلته قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهل فقال : لبيك اللهم لبيك . لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك :

قالوا : وكان ابن عمر يقول : هذه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وهى اجابة لنداء خليل الرحمن سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بعد أن رفع القواعد من البيت وفرغ من بنائه قال الله تعالى له : وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا : الآية :

قال : رب ، ومايبلغ صوتى ؟ قال أذّن وعليّ البلاغ . فنادى ابراهيم عليه السلام . أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فسمعه من بين السماء والأرض . أفلا ترون الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون : رواه ابن أبى حاتم : ولفظ التلبية مثناة للتكثير والمبالغة ومعناها : اجابة بعد اجابة ولزوم لطاعتك يارب .

وليست التثنية حقيقية بل هى بمنزلة قوله تعالى : بل يداه مبسوطتان : أى نعمتاه على تأويل اليد بالنعمة هنا . ونعم الله تعالى لاتحصى : وأصل لبيك : لببتك فاستثقلوا الجمع بين ثلاث باءات فابدلوا من الثالثة ياء ومعناها على هذا :

مفتاح باب الحج والعمرة

لبيك اللهم لبيك

للدكتور محمد محمود شعبان

اتجاهى وقصدى اليك . مأخوذ من قولهم دارى تلب دارك أى تواجهها . أو معناها . محبتى لك . مأخوذة من قولهم امرأة لبة اذا كانت محبة لولدها عاطفة عليه .

أو اخلاصى لك . مأخوذ من قولهم ، حب لباب . اذا كان خالصا محضا ومن ذلك لب الطعام ولبابه

أو : أنا مقيم على طاعتك واجابتك . مأخوذ من قولهم . لب الرجل بالمكان وألب اذا أقام فيه .

أو قربا منك وطاعة والألباب القرب .

أو أنا ملب بين يديك أى خاضع لك .

« اللهم » أصلها يا الله : فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم المشددة في آخره .

أو معناها : ياألله أمنا بخير : فحذف متعلقات الفعل وكذلك الهمزة وياء النداء فصارت : اللهم .

وقد قالوا انه اسم الله الأعظم الذى اذا دعى به أجاب . لأنه جامع لجميع أسماء الله تبارك وتعالى : قال تعالى : قل اللهم مالك الملك :

وقال تعالى : قل اللهم فاطر السموات والأرض .

ان الحمد والنعمة لك والملك : بكسر همزة ان للاستئناف . كأنه لما قال : لبيك: استأنف كلاما آخر فقال :، ان الحمد لك .

وقيل بفتح همزة أن على التعليل كأنه قال : أجبتك لأن الحمد لك . والحمد هو النعت بالجميل على الجميل اختياريا كان أو مدحاله على وجه يشعر بذلك بتوجهه الى

من نفحات السنة المباركة

المنعوت .

والحمد والمدح قيل هما بمعنى واحد . واما الشكر فهو على النعمة خاصة ويكون الشكر بالقلب واللسان والجوارح .

وأما الحمد فهو باللسان وحده وهو احدى شعب الشكر وفي الحديث الحمد رأس الشكر ماشكر الله عبد لم يحمده وجعله رأس الشكر ، لأن ذكر النعمة باللسان أشيع لهآ من الاعتقاد وأداب الجوارح لخفاء عمل القلب ومافى عمل الجوارح من الاحتمال .

وقالت طائفة من العلماء : المدح ثناء على ماهو له من أوصاف الكمال ككونه باقيا قادرا عالما أبديا أزليا .

والشكر ثناء على ماهو منه من أوصاف الأفضال .

والحمد يشمل المدح والشكر : والألف واللام فيه للاستغراق . والنعمة لك : بكسر نون النعمة : وهى الاحسان والمنة مطلقا . وهى منصوبة عطفا على الحمد . ويجوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره : ان الحمد لك والنعمة مستقرة لك .

والملك : بضم الميم . وهو عبارة عن السلطان والقهر والغلبة .

قال تعالى : لمن الملك اليوم

وقال تعالى : قل اللهم مالك الملك :

هذه الكلمة الطيبة هى مفتاح باب الاحرام بالحج والعمرة فمن أراد الدخول في واحد منهما : فعليه أن يخلص النية لله تعالى ويؤدى الحقوق لأصحابها ، ويكون ماله طيبا . ولايجعل عمله رياء ولاسمعة . ثم يتطهر ويتطيب ويصلى ركعتين ، ثم يركب راحلته ثم ينوى الحج أو العمرة أو هما معا . ثم يرفع صوته بالتلبية ان كان رجلا ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك .

روى انس بن مالك رضى الله عنه قال : صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن معه بالمدينة الظهر أربعا، والعصر بذى الحليفة ركعتين ثم بات بها حتى اصبح ثم ركب حتى استوت به على البيداء حمد الله وسبح وكبر ثم أهل بحج وعمرة وأهل الناس بهما .

والاهلال هو رفع الصوت بالتلبية .

قال صلى الله عليه وسلم : أفضل الحج العج والثج : فالعج رفع الصوت بالتلبية ، والثج إراقة دم الهدى .

والتلبية شرط عند الاحناف أول مرة والزيادة سنة ، واذا نوى ولم يلب لاينعقد إحرامه .

وقال بعض الشافعية : التلبية واجبة فاذا تركها جبرت بالدم

وقال المالكية لاينعقد إلا بنية مقرونة بقول أو فعل كالتلبية والتوجه الى الطريق .

فاذا نوى ولبى فقد أحرم فليتق الرفث والفسوق والجدال قال الله تعالى : الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج»

وقال صلى الله عليه ورسلم : من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

وعليه أن لايلبس المخيط ولاالمحيط ولاالسراويل والقلنسوة ولا الخفين ولا يحلق

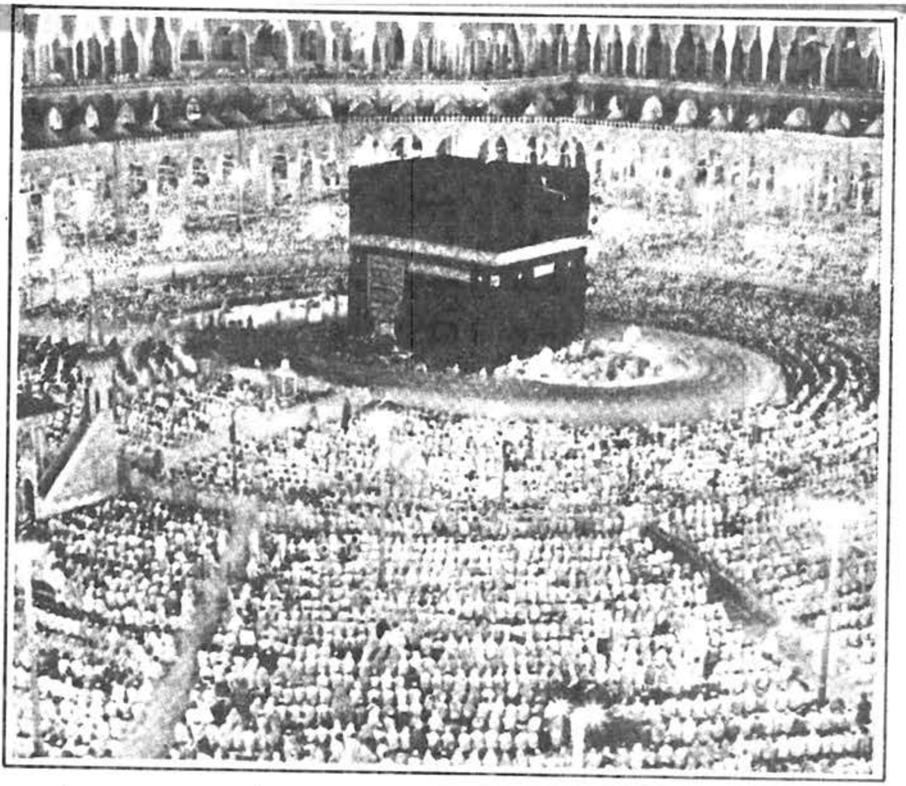

شعره ولا يقص ظفره ولا يتطيب ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحاج أشعث أغبر :

وينبغي على من أحرم أن يكون كالميت بين يدى الغاسل ، فلا يوذى انسانا ولا حيوانا ولا طيرا ، الا ماورد الحديث بقتله في الحل والحرم ولاينوى ظلم أهل الحرم لأن الله تعالى توعد من أراد الظلم بأهل الحرم بقوله : ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم .

وينبغى أن يلبى عقب الصلوات الخمس وكلما علا شرفا أو هبط واديا أو لقى ركبا وفي وقت السحر .

ولا يقطع التلبية الا اذا بدأ بالطواف للعمرة ان كان معتمرا . وعند رمى جمرة العقبة يوم النحر ان كان حاجا .

ويستحب أن يقول التلبية ثلاث مرات على التوالى ولا يقطعها بالكلام فان سلم عليه أحد رد عليه السلام باللفظ وقيل بالتلبية ولا يسلم على الملبى .

فان انتهى من التلبية صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسأل الله تعالى ماشاء لنفسه ولمن أحبه من المسلمين .

وأفضل السؤال سؤال الرضوان والجنة والاستعاذة من النار .

ويجوز للمحرم أن يلبى دائما سواء كان طاهرا أو محدثا أو كانت المرأة حائضا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى

من نفحات السنة المباركة

الله عنها ـ عندما حاضت : اصنعى مايصنع الحاج غير ألا تطوفى :

وهل يجوز للحاج ان يزيد على التلبية الواردة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

أباح بعض العلماء ذلك واستدل بما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في تلبيته : لبيك لبيك ان الخير خير الآخرة .

وورد أنه قال : لبيك حجا حقا تعبدا ورقا .

وورد في صحيح مسلم أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يزيد : لبيك لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغباء اليك والعمل وأن عمر رضى الله عنه كان يقول بعد أن يلبى تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبيك مرغوبا ومرهوبا اليك والنعماء والفضل الحسن : ولكن الأفضل أن يلبى تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يفصل بسكتة ويقول ماروى عن غيره من الصحابة على انفراد .

وهذه التلبية دليل على خضوع العباد لربهم وسرعة استجابتهم لمولاهم وقد لبى جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام عند حجهم لأنه ورد مامن نبى الاوقد حج البيت . فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما موسى كأنى أنظر اليه اذا انحدر في الوادى يلبى .

وعند الأزرقى في تاريخ مكة . أنه صلى الله عليه وسلم قال : مر بفج الروحاء سبعون نبيا تلبيتهم شتى . منهم يونس بن متى عليه السلام وكان يقول في تلبيته لبيك فراج الكرب لبيك وكان موسى عليه السلام يقول : لبيك أنا عبدك لديك لبيك : وكان عيسى عليه السلام يقول : أنا عبدك وابن أمتك بنت عبديك :

فعلى المسلمين جميعا أن يفهموا معناها ويعملوا بمقتضاها ويلتزموا الأدب فى حجهم وعمرتهم حتى ينالوا الرضوان الأكبر من الله تعالى فان رجعوا رجعوا مغفورا لهم وان ماتوا فتحت لهم أبواب الجنة وبعثوا يوم القيامة ملبين ..

فاللهم أدبنا بآدابها وخلقنا بأخلاقها واجعلنا من الناطقين بها ولا تحرمنا من حج بيتك الحرام وزيارة نبيك عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

كتبه

د . محمد محمود شعبان

المدير العام للتعليم الثانوى

النقد الحديث فى

صحيح البخارى

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

قال الامام مالك : « لا يؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك ، لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ، ولا من سفيه يعلن با لسفه وان كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب فى أحاديت الناس ، وان كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة ، اذا كان لا يعرف ما يُحَدِّث بِهِ »

وهذا هو نهج المحدثين والبخارى ، وكان نهجا عمليا تطبيقيا ، فما يزوا بين الصالحين للرواية وغير الصالحين ، كما يتضح ذلك فى كتاب التاريخ الكبير ، وكتاب الضعفاء للبخارى ، ووضح الأمر وأشرق اليقين ، على أنهم وضعوا قواعد للمتن على خلاف ما زعم (جولد تسيهر ما ردده بعده المستشرق « غاستون ويت كاتب مقال « الحديث فى التاريخ العام للديانات » .

وقد قال : « لقد درس رجال الحديث السنة باتقان ، الا أن تلك الدراسة كانت موجهة الى السند ، ومعرفة الرجال ، والتقائهم وسماع بعضهم من بعض ، الا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن ، ورتب النتيجة الخبيثة لهذه الفكرة الخطيرة بقوله ، لذلك فلسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله ، من وغير أن يضيف اليه الرواه شيئا عن حسن نية فى أثناء روايتهم الحديث ، ومن الطبيعى أن يكونوا قد زادوا شيئا فى أثناء روايتهم مشافهة ، ومهما كان هذا الراى صحيحا ، فان المسمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح ١ ـ هـ ـ وهكذا يرمون القضايا جزافا غير مشيرين الى ما هناك من مصادر للصحيح معلومة ، وأخرى جمع فيها كلام الوضاعين ، وأصبح الأمر معلوما ، والحق أن المسلمين يتقبلون الحديث الصحيح على أنه صحيح لأنهم أعلم بمقاييسهم وأفهم بمصطلحاتهم وأصدق جهدا بالعناية بتراثهم ، لا كما فهم المستشرق ، وهذه الدعوى بهرت بعض الباحثين الاسلاميين من أتباع المستشرقين فقد ردها الأستاذ أحمد أمين فقال (١) :

وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ولكنهم والحق يقال عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن ، فقل أن يظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب الى النبى (صلى الله عليه وسلم) لا يتفق والظروف التى قيلت فيه ، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه ، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفي يخالف المألوف فى تعبير النبي أو أن الحديث أشبه فى شروطه وقيوده لنون الفقه ، وهكذا لم نظفر منهم فى هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم » أ ـ هـ

١ ـ فجر الاسلام ص ٢١٧ ، ٢١٨

النقد الحديث في صحيح البخاري

ويشربونه كئوسا مترعة ، ينظرون الى الحياة بمنظار غير شفاف ، ولامبيح للضوء أن يجتازه لتراه العيون ومن ثم تكثر في شعرهم التأوهات والأنات والزفرات والتنهدات والعبرات . والأمثلة التي قدمناها في شعر المجموعة الأولي شاهدة علي ذلك ،

فالشاعر متهالك في عواطفه ، متذلل في مشاعره ، يكاد يسقط من الضعف والخور بل قد سقط فعلا حين صور نفسه ترابا وحطاما واكفانا ، وحين أحال جسده الي أعواد ذابلة ، وأوراق جافة ، وأسمال بالية .

ومن ثم فالمبالغة التي تصل الي حد الاحالة أبر مايميز المعاني التي ضمنها الشاعر قوالب شعره ، ولسنا نختار مثلا ، فالكل مثل صالح لتأكيد هذه الحقيقة ، واظهارها للعيان .

فاذا تركنا شعر المجموعة الأولي فاننا نجد الشاعر علي طبيعته في شعر المجموعة الثانية ، وسر ذلك واضح ، فالشاعر في هذه المجموعة ينقل عن خارجه لاعن ذاته ، ومن ثم يلتزم بالواقع في التصوير ولايجنح نحو الاحالة والافراط والاسراف في المعني ، وبذلك يكون الشاعر هنا مثل غيره من الشعراء الذين يصوغون الشعر في مناسبات عارضة وليس معني ذلك أن الشاعر هنا أقوي في شعره من شعر المجموعة الأولى ، اذ ليس من المحتم أن يخلو الشعر من القوة للمبالغة المفرطة في معانيه ذلك لاننا لو أقمنا فاصلا بين حد المقبول والمرفوض في المعني الواحد ، لبقي لنا الأصل والأساس الذي يمكن أن يحوز الاعجاب ويوسم بالقوة والبلاغة ، وحينئذ يبقي العيب فقط في هذا الأمر الزائد عن الحد المقبول ، وفي تحديده تتفاوت الأذواق ، ويقع الاختلاف بين الناقدين والدارسين .

والمجموعة الثالثة هي كذلك معلم من معالم مدرسة الوجدان ، فشعراء هذه المدرسة يهربون بمشاعرهم الي الريف مقلدين في ذلك شعراء الغرب الرومانسيين الذين أكثروا من الحديث عن الغاب ، وأوغلوا في تطوافهم بين أحضان الطبيعة ، وهو تقليد محمود وليس فيه مايعيب ، فهو يفتح للشعر صفحة كانت مطوية ، ويفتح أمام الشاعر نافذة كانت موصدة وفيه الدلالة كل الدلالة علي قدرة الشاعر حين يقترب من موضوعات تبدو في ظاهرها هينة يسيرة فاذا به يحيلها تحت قيثارة شعره الي معزوفة كاملة الألحان والأنغام ، وقصيدتا الشاعر عن الثور والغراب فيهما أكبر دليل علي الكفاءة الشاعرية في تناول الموضوعات العادية .

أما عن لغة الشاعر في هذا الديوان ، فهي لغة قوية ، فيها دلالة علي امتلاك هذه اللغة والقدرة علي تصريفها وتطويعها للمعانى الشعرية والصور البيانية ، فالشاعر على وعى كامل بلغته ، وله منها رصيد يدل على الغنى والثراء ، فهو لايعيش علي هامش اللغة ، ولا يأخذ منها أطرافها ، وانما هو يغوص في أعماقها ، وهو فى غوصه لايأتى بالموغل في الغرابة ولا بالثقيل علي اللسان ، ولا بالذي تزور منه الاذان وانما يأتي بالواضح البليغ الرقيق ، الذي يشيع نغما عذبا شجيا يذكرنا أنغام البحتري في ألفاظه الحسان .

والصور البيانية تحتل ميدانا فسيحا في

رقعة هذا الشعر ، بل تكاد تشمل كل بيت في المجموعتين الأولي والثانية ، وابرز شيء يميز الصورة البيانية هو تنويع الصور عن الشيء الواحد . فالمشبه يكون واحدا ، ومع ذلك فان الشاعر لايكتف بصورة واحدة للمشبه به وانما يأتي بعدة صور ، كأنه يري أن الصورة الواحدة لا تؤدي المراد ، أو أنها في حقيقة الأمر لاتكافيء عاطفة الشاعر الكامنة وراء كل تعبير ، وفي قصيدته « أنت دير الهوي » (٧٢) مثل واضح علي صور التشبيه المتعددة ومثلها قصيدة « أنا » (٥٤) الي هذا جانب ماتقدم من نماذج في (٢) .

والصور البيانية واضحة ، في أغلبها ، ولاتفقد هذا الوضوح الا حين يلجأ الشاعر الي الرمز الموغل في الايهام ، حينئذ تتلبد سماء الصورة ، ويعسر علي من يتأملها ادراك أبعادها والتجاوب معها ، وتبقي حينئذ سرا من أسرار الشاعر ، لكن ذلك قليل بل نادر .

ومن صور البيان مايأتي ضعيفا اذا قيست صورة المشبه به بالمشبه أو اذا نظر معها الي الجو العاطفي الذي ثبتت فيه ومن هذه الصور قال الشاعر حين سئلت الربا عن بلبلها .

فأطرقت الأغصان حزنا وأصبحت
كمرتبك من حيرة الفكر واجم

فإطراق الأغصان حزنا لا يوازيه ولا يماثله حالة المرتبك حتى لو كان متحيرا واجما ، فقد يكون كذلك دون ان يكون عنده الحزن الذي يعتصر الفؤاد ان مما يحمد للشاعر انه استطاع أن يوائم بين هذا التيار الوجداني بماله من سمات تتصل بالعاطفة وبين اوزان الشعر العمودي وقوافيه ، اذ أن ذلك مما يؤكد قدرة قوالب هذه الاوزان علي استيعاب هذه العاطفة مهما أوغلت في مسارب النفس .

وكذلك مهما طال القصيد ، او تنوعت الرؤي . وتلك شهادة عملية لها وزنها وقيمتها ، يستطيع أن ينتفع بها أولئك الذين يريدون أن يجنحوا بعيدا عن الطريق السوي الي طريق آخر لا يأنفون منه الا المنعطفات والمنحنيات !!

د . طه مصطفي أبو كريشة

فضل المدينة المنورة

قال (صلى الله عليه وسلم) : ان ابراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإنى حرمت المدينة ، كما حرم ابراهيم مكة ، وأنى دعوت في صاعها ومدها ، بمثل مادعا به ابراهيم لأهل مكة » رواه مسلم عن عبد الله بن زيد بن عاصم » ..

المفردات اللغوية :

١ ـ حرم مكة : أى دعا لها ، فحرمها الله بسبب دعوته .

٢ ـ وإنى حرمت المدينة : أى حرمت صيدها ، وقطع شجرها .

٣ ـ دعوت في صاعها : أى قال (اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم) .

مايشتمل عليه الحديث :

١ ـ هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة وفرح أهلها به .

٢ ـ المدينة أحب البلاد الى الله بعد مكة بلد الله الحرام .

٣ ـ يحرم صيد المدينة وقطع شجرها .

٤ ـ المدينة بلد مبارك في خيراته وطعامه .

٥ ـ أهل المدينة أصحاب فضل وبالمهاجرين والأنصار تكونت في المدينة دولة الاسلام ..

٦ ـ على المسلمين أن يستفيدوا من المدينة بما فيها من خير وبزيارة مقام الرسول عليه الصلاة والسلام ..

البيـــان

١ ـ هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة وفرح أهلها به :

ضاقت قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم ذرعا ، والقوة الغاشمة تضيق دائما بكلمة الحق ، لاتطيق عليها صبرا ـ فائتمرت به ، وقررت أن تتخلص منه ، فأطلعه الله على مادبرت قريش ، وأوحى اليه بالخروج من مكة ، والهجرة الى المدينة (يثرب) فخرج (صلى الله عليه وسلم) وحيدا الا من صاحبه أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) لاجيش ولا عدة ، وقريش تتعقبه وتبحث عنه في كل مكان ، يقتفون أثره ، ويتعقبون سيره حتى وصل بعضهم الى الغار الذى اختفى فيه ، وأبو بكر يجزع لا على نفسه ولكن على محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة التى جاء بها من عند ربه فيقول : (لو أن أحدهم نظر الى قدميه لرآنا ،

للأستاذ محمد صابر البرديسي

فيهدئ الرسول صلى الله عليه وسلم من روعه، وقد أنزل الله السكينة على قلبه ويقول له: «يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما ؟ .. قال تعالى:

«إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا، فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ، وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا والله عزيز حكيم (١) ..

واصل الرسول (صلى الله عليه وسلم) رحلته الى المدينة بعد أن حفظه الله من كيد الأعداء، وكان أهل المدينة يترقبون قدومه، يخروجون كل يوم لاستقباله، ويصعدون شرفات المنازل ويتسلقون الأشجار والمرتفعات ليمتعوا أنظارهم برؤيته فما أن أشرف (صلى الله عليه وسلم) على المدينة حتى أخذوا يترنمون بأناشيد الفرح والسرور، ويرددون «طلع البدر علينا .. من ثنيات الوداع»

٢ ـ المدينة أحب البلاد الى الله بعد مكة بلد الله الحرام:

ومنذ وطئت قدما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة، وأشرق نور الاسلام على يثرب، وانطلق في ارجائها عبير الاسلام، ونفحات الايمان تغير الحال فيها الى أحسن حال، وشمل التغيير الشكل والموضوع فأصبحت تسمى (المدينة المنورة)، و (دار الهجرة) بدلا من (يثرب)، والمدينة أحب البلاد الى الله بعد مكة بلد الله الحرام ..

روى الحاكم في المستدرك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (اللهم انهم أخروجونى من أحب البلاد الى فأسكنى أحب البلاد أليك!

فالمدينة أصبحت غير (يثرب) وشرعت لها أحكام وأصبحت حرما ..

روى الشيخان عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ان ابراهيم حرم مكة ودعا لها، وانى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة).

وقد منح الله المدينة فضلا فأصبحت الصلاة في مسجد الرسول أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام، روى ابن حبان في صحيحه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدى بمائة صلاة»

فالمصلى في الحرمين مكرم من الله سبحانه، ويحظى بربح وفير من الحسنات .. عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن

(١) التوبة اية ٤٠

فضل المدينة المنورة

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (ان الايمان ليأرز (١) الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها) رواه البخارى وروى الطبرانى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (المدينة قبة الاسلام ودار الايمان وأرض الهجرة ومثوى الحلال والحرام) ..

وروى البخارى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) ومسجده (صلى الله عليه وسلم) كان أصغر مما هو اليوم وكذلك المسجد الحرام زاد فيهما الخلفاء الراشدون ، ومن بعدهم وحكم الزيادة حكم المزيد في جميع الأحكام ، جزى الله من قام ويقوم بالتوسعة في بيوت الله خير الجزاء ..

٣ يحرم صيد المدينة وقطع شجرها :

يحرم صيد المدينة ويحرم قطع شجرها ، ولاضمان في صيد المدينة وقطع شجرها ، بل هو حرام بلاضمان ، وهذا هو المشهور من مذهب الامام مالك والشافعى والجمهور ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم انى أحرم مابين لابتى المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها) وقال (المدينة خير لو كانوا يعلمون ، لايدعها أحد رغبة عنها الا أبدل الله فيها من هو خير منه ، ولايثبت أحد على لأوائها وجهدها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة) . رواه مسلم .. واللابة هى الأرض التى بها حجارة سوداء ، وللمدينة لابتان شرقية وغربية وهى بينهما ، والمراد هنا تحريم المدينة نفسها ، فيحرم قطع شجرها وعضاهها (وهو كل شجر فيه شوك) ..

والمدينة خير مكان يقيم فيه الناس ، ولايدعها أحد رغبة عنها الا عوضها الله خيرا منه ، وهذا خاص بأهل المدينة والمقيمين فيها أبدا ..

أما الزوار والحجاج ، والقادمون عليها للعمل ، وليسوا من أهلها ، فلا حرج عليهم فى مغادرتها ، كما أنه من صبر على لأوائها وشدتها ومشقتها كان ذلك شفيعا له وشهيدا ، شفيعا للعاصين ، وشهيدا للمطيعين ، وانما خص أهل المدينة بهذه الشفاعة مع ما جاء فى عمومها وادخارها لجميع الأمة لأن هذه شفاعة أخرى غير الشفاعة العامة التى هى لاخراج أمته من النار ، ومعافاة بعضهم فيها لشفاعته (صلى الله عليه وسلم) فى يوم القيامة ، وتكون الشفاعة الخاصة بأهل المدينة بزيادة الدرجات أو تخفيف الحساب ، أو باكرامهم يوم القيامة بأنواع من الكرامات كايوائهم الى ظل العرش يوم لا ظل الا ظله أو الاسراع بهم الى الجنة .

٤ – المدينة بلد مبارك فى خيراته وطعامه

ولقد دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأهل مكة أن يبارك لهم فى مكيالهم وصاعهم ومدهم ، والبركة قد تكون دينية ، وهى ما تتعلق بهذه المقادير من حقوق الله تعالى فى الزكاة ، والصدقات والكفارات فتكون هذه المقادير دائمة وباقية وثابتة

(١) يأرز = أى ينضم ويجتمع ، فالحية تنتشر من جحرها ثم تعود اليه كذلك الايمان خرج من المدينة ، وكل مسلم يحن الى المدينة لمحبته فى النبى صلى الله عليه وسلم

تسير فيها الزكاة ما بقيت الشريعة الاسلامية ، فهى ثابتة كثبوتها ، ويحتمل أن تكون البركة دنيوية فيكثر الكيل ويبارك الله فيه ، فتكفى منه فى حاجات الناس ، ما لا يكفى من غيره فى غير أهل المدينة وقد تكثر الأرباح ، وتكثر الغلات والثمار .

وقد ظهرت اجابة دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد فتح الله عليهم ، ووسع من فضله لهم حين ملكهم بلاد الخصب من الشام ومصر والعراق وغيرها حتى كثر الخير فى المدينة ، واتسع عيش أهلها حتى صارت هذه البركة فى الكيل نفسه ، فزاد مدهم ، وصار هاشميا مثل مد النبى (صلى الله عليه وسلم) مرتين تقريبا .

٥ ـ أهل المدينة أهل فضل ، وبالمهاجرين والأنصار تكونت دولة الاسلام

وكما بارك الله فى خير المدينة وكيلها بارك فى أهلها وسكانها فهم مجموعة من أهل الايمان تميزت بصفات بلغت الآفاق ، وتفردت بخصال ليس لها مثال ، هم الذين آزروا النبى (صلى الله عليه وسلم) ونصروه ووقفوا معه فى الدفاع عن الدعوة حينما اتفق أعداء الاسلام من مشركى مكة ومن القبائل العربية المجاورة التى كانت تعاون أهل مكة على محاربة الرسول ومن معه ، فحارب أهل المدينة ، ووقفوا بجانبه حتى أعز الله الاسلام بجهاد المهاجرين والأنصار ، وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا .

وهم الذين تبوءوا الايمان فكان الايمان دارهم الذى تعيش فيه قلوبهم ، وتسكن اليه أرواحهم يطمئنون له كما يضمن المرء ويستريح الى داره .

ولقد أحب الأنصار اخوانهم المهاجرين حبا منقطع النظير ، ولم تعرف البشرية كلها حبا كريما كهذا الحب ولا بذلا سخيا كهذا البذل ولا مشاركة رضية كهذه المشاركة ولا حادثا جماعيا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين ، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر فى دار أنصارى الا بقرعة ، لأن عدد الراغبين فى الايواء المتزاحمين عليه ، أكثر من عدد المهاجرين ، وكان الأنصار يؤثرون المهاجرين على أنفسهم مع الحاجة ، والايثار على النفس مع الحاجة قمة عليا ، وقد بلغ اليها الأنصار فى تلك الأزمان ولايزال أثر ذلك باقيا الى اليوم .

فضل المدينة المنورة

قال تعالى : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَن يوق شُحَّ نَفْسِهِ فأولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١)

لقد سارت الدولة الاسلامية الجديدة فى المدينة بفلسفة جديدة فى الحياة ، وبنظام جديد يخالف جميع الأنظمة التى كانت سائدة فى بلاد العرب ، بل وفى العالم كله آنذاك ، فقد أقام الاسلام الحكم على نظام غير مألوف ، أقامه على أساس من الايمان والعدل والشورى ، والعمل لخير الانسانية كلها .

وكانت المدينة نقطة تحول من الشرك الى التوحيد ، ومن الضعف الى القوة ، ومن اليأس الى الرجاء ، ومن الفرقة الى الحب والاخاء . وأصبح أهل المدينة طرازا آخر غير الطراز المألوف ، نهضوا بتكاليف العقيدة ، وأدوا واجب الايمان ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وصاروا كأنهم ملائكة أولئك لهم الخيرات فى الدنيا والآخرة ، فى الدنيا ، لهم العزة والكرامة ، والكلمة العالية ، والعيش الكريم ، وفى الآخرة لهم الجزاء الأوفى ، ورضوان الله والفلاح بالأجر العظيم قال تعالى :

(لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ، وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٢)

٦ - على المسلمين أن يستفيدوا من فضل المدينة .

على المسلمين والحجاج والزائرين والمقيمين والعاملين بالمدينة المنورة أن يستفيدوا من هذا الفضل ، وأن يقتدوا بما كان عليه أهل المدينة زمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأن يلتزموا الآداب فى بلد رسول الله ومثواه ، وأن يشكروا الله على أن مَنَّ عليهم بالزيارة أو الاقامة فى رحاب المسجد النبوى المبارك الذى فيه روضة من رياض الجنة عليهم أن يزوروا قبر النبى (صلى الله عليه وسلم) ويكثروا من الصلاة فى الروضة الشريفة ، وأن يسلموا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحية لزيارته فقد روى أبو داود وغيره أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال :

ما من مسلم يسلم على الا رَدَّ الله عَلَىَّ رُوحى حَتَّى أَرُدَّ عليه السلام

وانا لندعو بدعاء رسولك الذى رواه البخارى .

اللهم حبب الينا المدينة كَحُبِّنَا مَكَّةَ أو أَشَدَّ

والله الموفق

الشيخ / محمد صابر البرديسى

---

(١) سورة الحشر : ٩

(٢) سورة التوبة أية ٨٨ ، ٨٩

قادة النبي صلى الله عليه وسلم

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

٣٤ ـ بشير بن سعد الأنصارى رضى الله عنه

هو بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى ، كان من أوائل الناس اسلاما ، شهد العقبة الثانية ، وهو بدرى حضر المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله في الاسلام قدم صدق .

ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثين رجلا الى بنى مرة ـ من غطفان بفدك ـ ١ ـ ، ولكن بنى مرة أصابت هذه السرية ونقل بشير رضى الله عنه الى المدينة جريحا ، وبعد أن شفيت جراحه واصل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان بشير رضى الله عنه أول من بايع ابا بكر يوم الثقيفة واجتمع امر المسلمين على أبى بكر .

١ ـ فدك شمال المدينة قرب خيبر

ويستمر بشير بن سعد رضى الله عنه في جهاده ايام الصديق ، ويمضى الى ربه شهيدا في معركة عين الثمر والمسلمون بقيادة خالد بن الوليد يدقون ابواب العراق ليخرجوه من الظلمات الى النور .

وذلك سنة اثنتى عشرة ـ رضى الله تعالى عنه .

٣٥ ـ شجاع بن وهب الأسدى رضى الله عنه

هو شجاع بن أبى وهب ، ويقال ابن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب الأسدى ، كان حليفا لبنى عبد شمس ، وهو من أوائل الناس اسلاما في مكة ، هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية ، وهاجر الى المدينة ، وهو بدرى وشهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم في سرية الى بنى عامر ـ بنجد ـ وكان في أربعة وعشرين رجلا ، واستطاعت هذه العصبة

المؤمنة أن تصيب القوم وتعود الى المدينة بمغانم طيبة .

وكان أيضا رسول الرسول صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن أبي شمر الغساني والى جبلة بن الأيهم الغساني يدعوهما الى الاسلام .

ومات ـ رضى الله عنه ـ مجاهدا يوم اليمامة زمن الخليفة الصديق رضى الله عنهما .

٣٦ ـ كعب بن عمير الغفارى رضى الله عنه

كعب بن عمير الغفارى من كبار الصحابة ، وكان الرسول صلى الله عنه وسلم يرسله في كثير من السرايا ، فهو من أهل النجدة .

أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم في خمسة وعشرين رجلا الى « ذات أطلاح (١) » الى قبيلة قضاعة .

ودار قتال شرس بين هذه القلة المؤمنة وبين الكثرة الكافرة ، وقاتل الصحابة اشد القتال ، وقتل معظم الصحابة ، وحمل كعب جريحا الى المدينة ، ولكنه ما ان شفى حتى واصل الجهاد واشترك مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الغزوات .

٣٧ ـ عُيَيْنَه بن حِصْن الفَزَارى

هو عيينه بن حصن بن حذيفة بن بدر الغزارى من غطفان كان شديد العداوة للاسلام

١ ـ شمال المدينة ـ وراء وادى القرى ـ وراء خيبر

والمسلمين ، هاجم المدينة اكثر من مرة ، واشترك مع آلاحزاب في حصار المدينة في غزوة الخندق ، ولكنه أسلم بعد الفتح (١) على الأرجح وحضر مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، ولما وزع الرسول صلى الله عليه وسلم غنائم حنين الهائلة أعطى عيينه كثيرا منها ، أعطاه مائة بعير ، وكان حينئذ من الذين تألف الرسول صلى الله عليه وسلم قلوبهم .

ذهب عيينه بن حصن في سرية قوامها خمسون فارسا الى بنى نميم بالسقيا (٣) ، فانتصروا وأسروا عددا عظيما من بنى تميم ، فقدم عشرة من رؤسائهم الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرد عليهم الأسارى .

وهو أحد القواد « الجرارين » ، والجرار عندهم من يقود عشرة آلاف مقاتل .

انحاز بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى طليحة الأسدى وشاء الله سبحانه أن يسلم الرجلان ـ رضى الله عنهما «٤ »

وتزوج عثمان بن عفان ـ من ابنة عيينة ـ رضى الله عنهما .

٣٨ ـ عُكَّاشَة بن مِحْصَن رضى الله عنه

هو عُكَّاشَة بن محصن بن حرثان بن قيس الأسدى كان حليفا لبنى عبد شمس .

وهو من أوائل الناس اسلاما ، أسلم في مكة ، وهاجر الى المدينة مع العصبة الأولى من مهاجرة المدينة ، بدرى أبلى في بدر حسن البلاء ، قاتل حتى انكسر السيف في

٢ ـ فتح مكة
٣ ـ شرق الجزيرة قرب الخليج
٤ ـ راجع أسد الغابة لابن الأثير ٣ / ٩٥ مطبعة الشعب

يده ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه الرسول عليه وسلم جذلا (١) من حطب ، قائلا صلى الله عليه وسلم (قاتل بهذا يا عكاشة) ، فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزة في يده فعاد سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة سمى - بعد - بالعون - ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وبقى هذا السيف معه يلازمه في معارك الاسلام .

شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال الرسول : - (يدخل الجنة سبعون الفا من أمتى على صورة القمر ليلة البدر) فقال عكاشة رضى الله عنه : - « يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى منهم » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - (انك منهم) أو (اللهم اجعله منهم) ، فقال رجل من الأنصار : - « يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم » . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم عنه (مناخير فارس في العرب أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى الجباب (٢) الى قبيلتى عذره وبلى فعاد غانما .

وشهد عكاشة رضى الله عنه المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم واستمر يجاهد في عهد الصديق رضى الله عنه ، حتى قتله طليحة الأسدى في حروب الردة ، فمضى الى ربه شهيدا قد سبقته دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدخوله الجنة

١ - عودا من حطب أصل الشجرة
٢ - موضع بالحجاز

٣٦ - أبو عامر الاشعرى رضى الله عنه

اختلف في اسمه (٣) فقيل : هانى بن قيس ، وقيل : عبد الرحمن بن قيس ، وقيل : انه أخو أبى موسى الاشعرى (٤) رضى الله عنه وقيل أنه ابن عمه .

أسلم مع الأشعريين ، وقدموا المدينه - على الأرجح - مع جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه حيث نزلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في خيبر .

وحدث - بعد حنين - أن انهزمت (٥) قبيلة هوازن ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الأشعرى رضى الله عنه في آثار من توجه منهم قبل أوطاس (٦) ، فحمل أبو عامر رضى الله عنه على القوم حملة صادقة حتى انه بارز وحده عشرة اخوة ، كان يبارزهم الواحد تلو الأخر ، يدعوهم الى الاسلام أولا ، ثم يقول في كل مرة وهو يهاجم الواحد منهم « اللهم اشهد عليه » ، ثم يتمكن منه فيقتله ، حتى قتل - رضى الله عنه - تسعة منهم ولما حمل ابو عامر رضى الله عنه على العاشر بعد أن دعاه الى الاسلام قال : - « اللهم اشهد عليه » ، فقال الرجل « اللهم لا تشهد على » ، فتركه أبو عامر رضى الله عنه ، فأسلم الرجل وحسن اسلامه ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول اذا رآه : - (هذا شريد أبى عامر) .

٣ - اسد الغابة وابن هشام
٤ - عبد الله بن قيس رضى الله عنه .
٥ - فرت وهربت
٦ - واد من أودية حنين قرب الطائف .

وأصيب أبو عامر ـ رضى الله عنه ـ بسهم ، رماه به أحد رجال ثلاثة : سلمة بن دريد بن الصحة ، أو أوفى ـ أو ـ العلاء ابنا الحارث . وكلهم من جشم . ويذكر أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادى في « المحبر » ص « ١٢٤ » أن قاتله هو سلمة بن سمادير .

ولقى أبو عامر ربه شهيدا ، وتولى القيادة ـ عقبة ـ في هذه السرية أبو موسى الأشعري ـ رضى الله عنه .

٤٠ ـ أسامة بن زيد رضى الله عنه

هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحبيل الكلبى ، وهو الحب بن الحب ، ربيب الاسلام ، أبوه زيد بن حارثة رضى الله عنه الذى قيل له « زيد بن محمد » بعض الوقت ، وأمه « أم ايمن ـ بركة » حاضنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحبه كثيرا ، حتى أنه معى دمه ومجه عندما جرح زيد ـ وهو صغير .

ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم أخر السرايا ، وهو دون التاسعة عشر ـ ثمانية عاما تقريبا ـ وكان في جيشه كبار الصحابة أمثال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وجهه الرسول صلى الله عليه وسلم الى شمال الجزيرة ، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، ويؤدب القبائل العربية التى ساعدت الروم ضد المسلمين في غزوة مؤتة (سرية) ـ تلك السرية التى قتل فيها ابوه زيد بن حارثه .

واستعد الجيش ، وأوعب المسلمون في الاستعداد ، وأثناء ذلك مرض الرسول صلى الله عليه وسلم فتأخر بعث أسامة رضى الله عنه .

ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه ، أنفذ أبو بكر رضى الله عنه بعث أسامة قائلا : ـ « والله لا أحل لواء عقده رسول الله » ولم يوافق الصحابة الذين طلبوا من الخليفة عدم ارسال اسامة رضى الله عنه ، لأن الردة أطلت برأسها ولأن المدينة في حاجة الى هذا الجيش .

وسار أسامة رضى الله عنه بهذا الجيش ، ونفذ أمر الرسول اليه وانتصر نصرا فريدا ، أدخل الخوف قلوب القبائل التى كانت تزمع الردة ، وأشعر الروم بقوة دولة الاسلام الفتية ، وأثبت فراسة الرسول صلى الله عليه وسلم فيه : ـ (انه لخليق بالامارة) .

وعمر أسامة ومات في أخر خلافة معاوية رضى الله عنهما

تم البحث

المجتمع الاسلامي في تصوير القرآن الكريم

للاستاذ مصطفى شاهين

قليل من الدارسين من يعرف شيئا عن حديث القرآن الكريم عن المجتمع الاسلامى ، مع أن هذا المجتمع قد شغل جانبا كبيرا من آيات الكتاب الكريم : ابتداء من سورة البقرة ، وانتهاء بسورة الناس .

ونحن اذ نعرض لهذه الايات تفصيلا ، يهمنا أن نشير الى أن ما يبدو لنا من الملاحظات التى تعطينا فكرة كاملة عن أسلوب القران الكريم في تصوير حقيقة هذا المجتمع .

وأول هذه الملاحظات : أن القران الكريم عندما اشار الى المجتمع الاسلامى أشار اليه على أنه مجتمع المؤمنين ، ولذلك : فكثيرا ما بدئت اياته التى تشير الى نظم هذا المجتمع بالنداء العذب الذى يجذب نحوه الأسماع والأفئدة . وهو : « يأيها الذين امنو » .

وتبعا لذلك : جاءت **أول** قاعدة أساسية يرتكز عليها بناء هذا المجتمع موضحة اتجاهه ونمط حياته ، وأسلوب هذه الحياة ، محددة مشربه ومنزعه . وأنه بادىء ذى بدء مجتمع ايمانى ، يدين أفراده بعقيدة الاسلام ، ويتعاملون فيما بينهم وفق شريعة هذا الدين .

وهذا ما حددته ايات سورة : البقرة ، وسورة : النساء ، وسورة : الاسراء . اذ أن كلا منها قد تضمن كثيرا من خصائص المجتمع الاسلامى وسمائه وأهم الأركان الواجب توافرها فيه .

أسس المجتمع الاسلامى :

قال الله تعالى : « لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ امَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ

المجتمع الإسلامي في تصوير القرآن الكريم

وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ اولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » البقرة آية ١٧٧ .

نلاحظ أن الآية قد اشتملت على عناصر كثيرة جمعت معظم الأسس التى يجب توافرها في المجتمع الاسلامى : مجتمع البر ، كما هو صريح الآية .. ولذلك فاننا لانكون بعيدين عن الصواب اذا أطلقنا على المجتمع الاسلامى وصف مجتمع البر ، خاصة وأن هذا الوصف فوق أنه قد تضمن هنا كثيرا من الأسس التى وجه القرآن الكريم عنايتنا اليها على سبيل النصح والتوجيه المشار اليهما لفظا ومعنى في قوله تعالى : « ليس البر » كذا .. « ولكن البر » كذا ..

الا أنه مع ذلك مطلب أساسى من مطالب القرآن الكريم لأتباعه المؤمنين وأشياعه المسلمين . أخذا من قوله . تعالى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَاتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » : المائدة آية ٢ .

شيء آخر نلاحظه على آيتنا هذه : آية سورة البقرة ، وهى أنها استهلت عناصر البر بعنصر الايمان بالله والملائكة والكتاب والنبيين ، مشيرة الى أن أول ركن أساسى من أركان المجتمع الاسلامى هو ركن العقيدة ، وهى هنا : تعنى الايمان بالله وتوحيده ، وهذا يعنى مرة أخرى : أن الأساس النظرى للمجتمع الاسلامى يقوم على مبدأ يصح أن نطلق عليه لفظا محدثا هو : « ايديولوجى » .. أعنى أنه مبدأ يتضمن فى محتواه ملخصا نظريا لما سيأتي ويطالب به عمليا

وهذا الأساس هنا : هو الايمان بالله ، ومايستتبعه هذا الايمان من مثل عليا ، أهمها : وجوب العمل المخلص الدائب في خدمة الجماعة ، لا طلبا لثواب مخلوق ، بل طلبا لمرضاة الله سبحانه .. ومن ثم : فان هذا المبدأ الأساسى يعطينا أن المجتمع الاسلامى مجتمع يموج بالواجبات والمسئوليات ومن ثم : فان العطاء فيه أكثر من الأخذ .

وبناء على ذلك فهو ليس مجتمعا منعزلا في قمم الجبال ، لأنه لايعترف بالرهبانية ، أو العزلة عن الجماعة .. والنتيجة هنا : أن الاسلام الذى هو عقيدة المجتمع الاسلامى دين اجتماعى . أى : جاء لخدمة المجتمع وحل مشاكله .

نأخذ ذلك : من قوله تعالى : « واتى المال على حبه ذوى القربى .. » الى اخر الآية فان هذه الألفاظ تشير في قوة الى وجوب الانفاق للمال ــ مع أنه محبوب لصاحبه ــ والتضحية به لصالح طوائف من الناس ذكرتهم الاية ، وأنهم : الاقارب واليتامى والمساكين والغرباء المسافرون الذين ليس معهم مال لمواصلة السفر ، ويعبر عنهم التنزيل بـ : « ابن السبيل » والسائلين ، وعتق الأرقاء ، و « في الرقاب » .

فذكر هذه الطوائف كلها هنا مقصود به توجيه عنايتنا الى وجوب توفير الطمأنينة لهؤلاء الناس من ناحية ، والى أن من صفات وسمات المجتمع الاسلامى : أنه مجتمع الوفاء بالعهد .. كما قال الكتاب في اية أخرى : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً » الاسراء ٣٤ « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » ١ المائدة والى أنه أيضا مجتمع قد تربى أفراده

على عون بعضهم البعض في الشدائد فلا يقوه بها من ناءت به وحده لانهم قد تأدبوا بادب الله الذى رسمه لهم في قوله : ... «إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ..» سورة المعارج الآيات ١٩ ـ ٢٥ .

ولعل من المفيد هنا : ملاحظة كيف أن الواجبات الدينية ، والأسس العقائدية تنساب مع الواجبات الاجتماعية ، لأن الايمان بالله ذكر معه وجوب اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وايتاء ذوى القربى ومن ذكر معهم .. مما يدل دلالة قاطعة : على أن الخدمات الاجتماعية ترقى الى درجة التكاليف الدينية في الاسلام .

لبنة المجتمع الاسلامى وصرحه :

على أن (الايمان بالله) مسالة تشكل أول لبنة في صرح المجتمع الاسلامى ـ ولذلك شأن اخر علاوة على ماسبق ، وهو : أنها تشير الى هوية هذا المجتمع ، وأن الجماعة الداخلة فيه مرتبطة معا عقائديا وعمليا وفق نظام الاسلام نظريا وعمليا . أو عقيدة وسلوكا .

وتلك لعمرى : سنة جرى عليها واضعو الدساتير الحديثة حين يستهلونها بذكر شكل الدولة ونظام الحكم فيها بادىء ذى بدء .. عند أول مادة في الدستور . حيث يقولون : ان دولة كذا التى وضع لها هذا الدستور دولة ملكية أو جمهورية ، الى غير ذلك .

فالقران بنصه من أول الأمر على الايمان بالله ، يريد : أن ينبه الناس الى أن المجتمع الذى يشرع له مايشرع هو : مجتمع يدين بالله على مقتضى قانون الاسلام . وهذا يستتبع نتيجتين كلاهما في منتهى الخطورة . وهما الحرية والمساواة لأن الايمان بالله معناه ألا وجود فى هذا المجتمع لعبادة الفرد ، ولا لأية عبودية للمخلوق من أى نوع كان .

فهم مربوبون لله . ومن ثم فهم متساوون في هذه المربوبية لله ، كما أنهم في نفس الوقت أحرار .. فلاينبغى والحال هكذا أن يستعبد بعضهم البعض الاخر من حيث كونهم جميعا عبيدا لله .

وهذا يستتبع مبدأ اخر ، وهو : أن هذا المجتمع بحكم معبوده الواحد الأحد وبحكم شريعته وعقيدته وواجباته ، تكون أمته أمة واحدة . لذلك . لم يكن عجبا أن يصرح الكتاب بذلك في قوله : « وأن هذه أمتكم أمة واحدة » . (وانما المؤمنون اخوة) .

تشريع جديد جرىء :

شىء اخر يلفت نظرنا في هذه الاية . وهى : أن القران الكريم قد ذكر أنواعا من الناس لم يسبق لتشريع غير سماوى أن عنى بهم هذه العناية الكبيرة كما رأينا منهجه في الغرباء والأرقاء فكون الكتاب الكريم ينص على وجوب رعاية الغرباء المسافرين ، ومساعدتهم في الوصول الى هدفهم ، وكونه أيضا يحث بشدة على وجوب مساعدة الأرقاء على الخروج من الرق الى الحرية . يعتبر شيئا جديدا جديرا بالتسجيل على أنه يمثل قضية أساسية في المجتمع الاسلامى .

لأن الدعوة الى تحرير العبيد في عصر

المجتمع الإسلامى فى تصوير القرآن الكريم

نزول القران تعتبر عملا جديدا وجريئا معا . لأن الرقيق كان يعتبر عنصرا هاما من عناصر الحياة الاقتصادية ، لاعند العرب وحدهم ، بل عند اليونان والرومان كذلك .

فاذا ما جاء القران : كتاب الدين الجديد : يدعو الى حرية العبيد ، ويعتبر ذلك احدى وسائل القربى من الله : هو أمر ملفت للأنظار بشدة حقا واقرأ في ذلك قوله تعالى عن الانسان : لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ الى أن قال سبحانه : فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ .. » سورة البلد : الايات ٤ ـ ١٣ .

قلنا ان المجتمع الاسلامى مجتمع العطاء والواجبات ومن ثم ، فهو مجتمع التكاليف والواجبات لا الكسل والاسترخاء ، هو مجتمع العطاء : العطاء المالى .

كما هو صريح هذه الاية ، والعطاء عن طريق المساعدة بالبدن للمحتاجين الى ذلك والمساعدة بالرأى والمشورة لطالبى ذلك من القادرين عليه أيضا .

وهذا ما اوضحته السنة .. فى الحديث المشهور .. « على كل مسلم صدقة ، قالوا : فاذا لم يجد عنده ما يتصدق به يا رسول الله ؟ قال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا : فان لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف .. قالوا : فاذا لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فانه له صدقة .. !!

هذا هو شأن المجتمع الاسلامى ، كما تشير اليه اية البر من سورة البقرة .. فهو : مجتمع أساسه وقاعدته الأولى الايمان بالله وفق قانون الاسلام ، لما فى ذلك من تحديد لهوية هذا المجتمع من اول الأمر .. وهذا ما أكدته سورة النساء فى اية « وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

العناية بالأسس :

غير ان هنا أمورا جديرة بالملاحظة والعناية : وأول هذه الأمور : هو أن القران الكريم عندما أمر بعبادة الله وحده فى هذه الاية ، وكذلك فى ايتى الاسراء ولقمان حرص على اتباع ذلك بالأمر بالأحسان الى الوالدين .. لماذا ؟ لأن الوالدين هما أساس الاسرة المكونة منما ومن الأبناء .. وانما ذكر الوالدين فقط لانها كلمة اضافية تستتبع بالتالى وجود ابناء اى أسرة ..

وكانى بالقران الكريم يريد أن يقول :

ان المجتمع الاسلامى أساسه الايمان بالله .. على مقتضى قانون الاسلام .. يلى ذلك : وجوب العناية بالأسرة .. اذ هى مركز الثقل فى هذا المجتمع لأنها تشكل اللبنة الاولي فيه .. واخص : أفراد الأسرة . وأولاها بالرعاية : هما الوالدان اذا كبرا ، لما لهما من الفضائل التى ذكرها القران تفصيلا فى سورة لقمان : « وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ .. » اية ١٤ ، وفى اية الأحقاف مثل ذلك .. (الاية ٥١ ..

وبذلك : يكون الاسلام قد سبق الدراسات الاجتماعية الحديثة التى تشيد بالأسرة على انها أول لبنة فى المجتمع ..

واكثر من ذلك : تعطينا اية النساء هذه من عناصر المجتمع الاسلامى عنصر

« الجيرة » .. وجوب رعاية الجار .. وهذه اضافة قرانية جديدة ولا شك .. اذ أن الدراسات الاجتماعية الحديثة لا تتضمن اعتبار الجار عنصرا من عناصر المجتمع .. لكن القران الكريم يعتبره كذلك هنا، بل وكلام النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد أن مبدأ رعاية الجار من المبادىء المهمة فى الاسلام . لانه فى درجة قريبة جدا من القريب الوارث .. وهذا ما يؤكده قول النبي صلى الله عليه وسلم .. « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » ..

الى هذا المدى وصلت رعاية الاسلام لعناصر المجتمع : الأسرة ، وذوى القربي ، والجيران ـ القريب منهم والبعيد على حد سواء ـ والأصحاب ، والغرباء : أو « أبناء السبيل » ، والأرقاء !! و«ماملكت أيمانكم».. هذا فضلا عن اليتامى والمساكين والسائين السابق الاشارة اليهم فى اية سورة البقرة .. مع التأكيد على اليتامى بالذات كما في ايات سورة الانعام .. التى تبدأ بقوله تعالى : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .. » الى قوله تعالى :

« وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » الايات ١٥١ ـ ١٥٢ ..

تحصين المجتمع من التفكك :

أقول : ان شأن هذه الايات هو أنها تكفلت بمنع ـ ما يمكن أن نسميه الشرور الاجتماعية ، التى يجب أن يتنزه عنها المجتمع الاسلامى . فما هى هذه الشرور ؟ هى ـ أخذا من نصوص الآيات السابق ذكرها :

الشرك بالله
عدم الاحسان الى الوالدين
قتل الأولاد
وقربان الفواحش ما ظهر منها وما بطن
قتل النفس
أكل مال اليتيم
نقصان الكيل والميزان
والكذب : عدم قول الحق ، ولو على النفس والأقارب : « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ »

(الأنعام ١٥٢)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ... (المائدة اية ٨) واقرأ الآية (١٣٥) من سورة النساء ..

هذه الشرور الاجتماعية التى يصرح الكتاب الكريم بوجوب أن يتنزه عنها المجتمع الاسلامى هى أمر تأكد وجوبه أكثر من مرة بأكثر من أسلوب فهو هنا فى سورة الأنعام مذكور فى أمور عدة محرمة صراحة :

قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » فهى أمور محرمة فى المجتمع الاسلامى ، وقد عبر عنها مرة أخرى بأسلوب النهى القاطع كما فى سورة الاسراء ..

« ولا تقتلوا أولادكم
ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة
ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ..
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن .. ثم ها نحن نرى تكرار الأمر بالوفاء

المجتمع الإسلامى فى تصوير القرآن الكريم

بالكيل والميزان يظهر هنا مرة أخرى .. على نسق ما سبق ان رأيناه فى سورة الأنعام ..

هى اذن : أوامر بفعل ما فيه مصلحة المجتمع ، ونواه عن أمور يجب أن يتنزه عنها المجتمع الاسلامى ..

والاكثر من هذا حسنا : أن ينأى الكتاب الكريم بالمجتمع الاسلامى عن أن يتضمن أى عنصر من عناصر الضعف والتفكك حسا ومعنى .

حسا كما في عدم البر بالوالدين والأقربين والمساكين وابن السبيل ، بل يعتبر البر بهم حقا واجبا لا تبرعا او منحة ، ألم يقل : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل .. وتأمل قوله (وآت .. حقه ..) وقد تقدم قبل هذا بقليل قوله : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) فحسن معاملة الوالدين .. أمر مقضى به فى الاسلام .. أى : محتم وجوده ، مثل توحيد الله تماما . لا مجرد ممارسة أدب من الاداب ..

ما يتنزه عن المجتمع الاسلامى

أما الأمور المعنوية التى يجب أن يتنزه عنها المجتمع الاسلامى : فنجد منها فى سورة الاسراء قوله تعالى : « وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً . وَلاَ تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً » الايات ٣٦ / ٣٧)

وفى سورة (المؤمنون) : قوله تعالى : « وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ .. ضمن ذكره لعناصر فلاح المؤمنين .. (ابهم « الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ... وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ .. » الايات ١ ــ ١٠

فالأمر الجدير بالملاحظة هنا حقا أن نجد صفات المؤمنين مبدوءة بالخشوع فى الصلاة .. ثم بعدها يدخل القران الكريم مباشرة على المشاكل الاجتماعية التى يلزم المسلم بالمساهمة فى حلها أو يتجنبها لما فيها من ضرر ..

الأولى مثل : أداء الزكاة ، والثانية مثل : البعد عن اللغو ..

وحتى تنظيم العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة تظهر عناية القران به حيث حصر أوجه هذه العلاقة فى شيئين لا ثالث لهما ، هما : الزواج وملك اليمين .. هذان هما السبيلان الوحيدان لممارسة الطاقة الجنسية .. فمن ابتغى وراء ذلك سبيلا اخر كان اعتداء أو عدوانا على النفس أو على الغير ..

شىء اخر نلاحظه فى اجتماعيات القران الكريم : هو حرصه على ضرورة أن يلتزم الفرد المسلم بجملة من الاخلاق والصفات التى تؤهله لان يكون عضوا حقيقا فى مجتمع المؤمنين .. مجتمع الاسلام .. هذه الصفات الشخصية تضاف الى العناصر الاخرى التى يجب عليه ان يتفاعل بها على

انها أركان أساسية فى قيام المجتمع وهى : السابق الاشارة اليها فى سورة البقرة وسورة النساء . وسورة الأنعام ..

أما الاخلاق التي تخص الفرد فهي المذكورة في سورة الاسراء في قوله تعالي :

« وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا »

والمشار اليها أيضا في سورة لقمان :

« وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » . « لقمان الآيات ١٨/١٩ »

فغض الصوت امر حث عليه القران الكريم في أكثر من موضع ، وأحيانا يكون ذلك مطلوبا واجبا كما هو الحال في مخاطبة النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ قال تعالي :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ » . الحجرات آية ٢ ، ٣ .

ومايجب من خفض الصوت بالنسبة للنبي كما هو الحال هنا قل مثله بالنسبة للوالد والمعلم . الأول من جملة ما يشير الي قوله تعالي : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » والثاني : بحكم عظم وقدسية الرسالة التي يؤديها في المجتمع . (كاد المعلم أن يكون رسولا) .

اداب اجتماعية لازمة :

كذلك من الاداب الاجتماعية التي يتحتم علي المسلم مراعاتها طالما أنه مؤمن ويعيش داخل مجتمع مؤمن بالاسلام كذلك : عدم السخرية من أحد فردا أو جماعة ، وعدم اللمز وعدم التنابز بالألقاب ، واجتناب الظن والتجسس والغيبة ..

ان تجنب هذه الرذائل يدعو الي تقوية الروابط بين الأفراد والجماعات فيغدو المجتمع متماسكا متحابا ، لاموضع فيه للتمزق والتفسخ ، اقرأ ذلك وغيره في سورة الحجرات التي تعلمنا كذلك طريقة الاصلاح بين المتخاصمين في مجتمع الايمان هذا الذي هو مجتمع الأخوة كما سبق القول وكما هو صريح الكتاب هنا : (إنما المؤمنون اخوة .

ومن هنا : نخلص الي السمات التي تميز المجتمع الاسلامي :

فهو أولا : مجتمع يقوم علي قاعدة أساسية تلخص دستوره وهي : الايمان بالله .. ومايتتبعه هذا الايمان من الحرية لافراده والمساواة ، كما سبق توضيحه .

وثانيا : هو مجتمع واجبي . أي علي الافراد فيه واجبات أي أنه بلغة الفقه : مجتمع التكاليف .

وثالثا : هو مجتمع الأخلاق الفاضلة والاداب الكاملة .

المجتمع الإسلامي في تصوير القرآن الكريم

ورابعا : هو مجتمع الوحدة والتوحيد ، لأنه موحد في الأساس وفي الغاية والأهداف .

في الأساس : لأنه مرتبط كله بعقدة واحدة تنظم سلوكه كله في الأسلوب واحد من الاعتقاد ، بالله الحق وحده ، والصلاة له جماعة الي قبلة واحدة . والصيام له في ميعاد واحد هو شهر رمضان ، بأسلوب واحد هو الامتناع عن **المطعومات** والمشروبات والشهوات .. من طلوع الفجر الي غروب الشمس . كما أن هدفه واحد . وهو القيام لله رب العالمين ابتغاء مرضاته .. وحبا فيه .

الغاية والجزاء :

ومن ثم فغاية المجتمع الاسلامي **تحقيق** القرب من الله عن طريق امتثال أوامره المعقود بها نفع الناس ، وترقية وتزكية الفرد . وهذا هو منتهي السعادة الدنيوية .

أما في **الاخـــــر** : فالجزاء والمثوبة الحسني بلا حدود .. واقرأ في ذلك قوله تعالي بيانا للجزاءين الدنيوي والأخروي :

« إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ .. »

الي قوله تعالي :

« وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ »

المعارج : الآيات ١٩ ـ ٣٥

ولعلك تلاحظ معي أن الجزاء الدنيوي هنا هو عصمة للانسان المسلم الحق من الهلع والجزع والشح ، وهي شرور تعرض للانسان عامة اذا مسه الشر أو الخير ، تعرض له **بأصل** **الخلقة** طبيعة تكوينه النفسي .

لكن المسلم المؤدي لواجباته الدينية والاجتماعية حاشاه ذلك . فأن هذا العمل الاسلامي سيعصمه من التردي في مهاوي الهلع والجزع والشح ، ويجعله انسانا اخر ، قوي المقاومة لهذه الشرور ، صلبا أمام الشدائد وهذه تحقق له النجاح تلو النجاح في الدنيا حيث لا ينهار عند أول صدمة ولاتطير بعقله النكسات . وأقرأ في هذا أيضا قوله الله تعالي :

« ان الانسان لفي خسر »

أما في الاخرة : فهذا الطراز من الناس أعني ناس المجتمع الاسلامي لهم الجزاء الأوفي « أولئك في جنات مكرمون » .

واقرا قوله تعالي :

« إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا » الآيات ٥ ـ ٢٢ من سورة الانسان ..

ففيها بيان لسبب هذا الجزاء ، وأنه أداء الواجبات الدينية والاجتماعية من : الوفاء بالنذور واحكام الطعام للمساكين واليتامي والاسري . علاوة علي الخوف من عذاب يوم القيامة . وهي كلها تدخل ضمن مصلحة الاسلام اعني : العمل الصالح ، والبر » . العمل الصالح أيا كان موقعه .. شريطة أن يكون مقترنا بالايمان بالله اذ هو أساس كل الفضائل ..

ان كثيرا من الايات .. يعطينا جزاء

ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه

صدق الله العظيم

اصحاب العمل الصالح والنافع في الدين والدنيا : لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الاخرة ..

واقرأ في ذلك الايات ١٥ ـ ١٩ من سورة الذاريات ، ١٧ ، ١٨ من سورة الطور .. ٥٤ ، ٥٥ من سورة القمر ، ٤٦ ـ ٦٠ من سورة الرحمن . والآيات ٤١ ـ ٤٤ من سورة المرسلات . الي غير هذه ..

تعددت الايات المبينة للمجتمع الاسلامي علي النحو الذي قدمنا . واخر مانلاحظه عليها من حيث أسلوب دعوتها الي اقامة هذا المجتمع الموصوف في ايات الكتاب بالبر في سورة البقرة ، وبالعدل في سورة النحل ، وبالمساواة في سورة الحجرات ، وبالتعاون والمحبة في سورة المائدة ، وبالصدق في سورة الأحزاب ، وبالرحمة في سورة الفتح .

أنها ـ أي الايات ـ قد وجهت نظر المسلم الي نواحي البر في أسلوب رقيق هو دعوة لممارسة هذه الفضائل ونصيحة مصحوبة بالحث علي الالتزام باقامة هذا المجتمع . وذلك نأخذه من منطوق الاية حيث تقول : ليس البر كذا .. ولكن البر كذا وكذا .. كما في سورة البقرة .

أما في اية سورة النساء : فان لفظها يشير الي : أن اقامة المجتمع الاسلامي أمر واجب وجوبا أصليا يدل عليه قوله تعالي : (واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا) .. حيث ان توحيد الله ركن أساسي في الاسلام ، والمعطوف عليه وهو : بالوالدين احسانا .. لخ يكون حكمة كذلك من ضرورة الالتزام

أما في آيات سورة الاسراء : فهي تبدأ بتقرير حقيقة منتهية قضي فيها الأمر وانتهي ولذلك فهي تقول : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ..) الخ الاسراء ٢٣ .

فافراد الله بالعبادة أمر كان متعينا .. والمعطوفون عليه كذلك .. . ومفهوم المخالفة لمنطوق هذه الايات المتقدم ذكرها في سورة البقرة والنساء والاسراء أن اهمال اقامة هذه الأسس سواء في مجال العقيدة أو العبادات أو

المجتمع الإسلامى فى تصوير القرآن الكريم

الخدمات الاجتماعية .. كل ذلك يتعارض مع أهداف الاسلام وأسسه ..

وتأكيدا لذلك وافصاحا عنه وجدنا القران الكريم يعطينا الصورة الأخري المضادة . حتي تتميز صورة المجتمع الاسلامي أدق تمييز .. وذلك في أسلوبه البياني المعجز .

وذلك حيث يقول في مقام المساءلة يوم القيامة لمن أهملوا أو أغفلوا اقامة أسس هذا المجتمع .. زيادة في تبكيتهم : «مَاسَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ .. الايات ٤٢ ـ ٤٨ من سورة المدثر .

ولاحظ جيدا ، ماتقوله هذه الايات عن اسباب دخول هذا الفريق من الناس في سقر . وانها اسباب ترجع الي تقصيرهم دينيا واجتماعيا .

دينيا : حيث لم يكونوا من المصلين وكانوا يكذبون بيوم الدين . واجتماعيا : حيث لم يطعموا **المسكين** ، وكانوا في اللغو **خائضين** ...

اما في سورتي لقمان والحجرات فالاسلوب فيها جد **مختلف** : فقد سلك التنزيل فيها مسلك القصص الصادر عن حق حدث ، وواقع مضي لا يعلمه الا الله سبحانه

« فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَاكُنَّا غَائِبِينَ »
الأعراف ٧

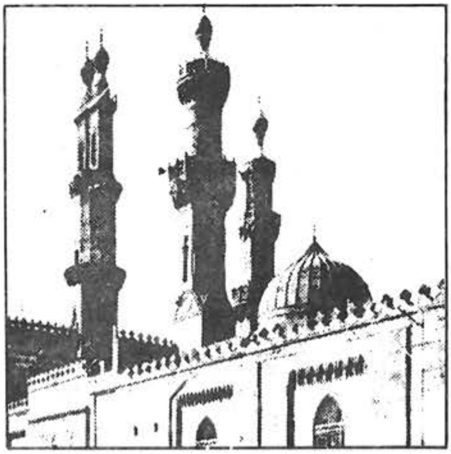

استمالة للنفوس وتشويقها لممارسة الهدف المنشود

وبعد :

فهذا هو المجتمع الاسلامي في حدود ما أقدرني ـ عز وجل ـ علي بيان حدوده ، وطابع وجوده . والحمد لله رب العالمين

مصطفي شاهين

من أعلام الأزهر

الشيخ الصاوى شعلان

الشيخ الصاوي شعلان

شهد تاريخ الأدب في العالم ، منذ أقدم العصور ، وحتى يومنا هذا ، كوكبة من الشعراء الأعلام ، ممن كفت أبصارهم ، ورغم ذلك مالانوا ولا وهنوا ، بل أصروا ، بصدق عزائمهم ، على أن يمضوا قدما نحو غاياتهم وأهدافهم ، حتى استطاعوا أن يتركوا بصماتهم العميقة على صفحاته .. لتضيء للانسانية دروب الخير والحق والجمال ، عبر القرون والأجيال .

ويطالعنا بادىء ذى بدء ، اسم (هوميروس) ، أمير شعراء الاغريق ، كأول شاعر نعرفه كفيف البصر ، تمكن من ابداع عمل فنى باذخ ، هو « الالياذة » أخلد الملاحم الشعرية في تاريخ البشرية .

وقد قام الأديب (سليمان البستانى في عام ١٩٠٤ بانجاز ترجمة الالياذة - شعرا - عن اليونانية لنقل هذا السفر ثمانية عشر عاما ، باقتراح من الدكتور (يعقوب صروف) عام ١٨٨٧ وتشجيع من الداعية الاسلامى الكبير (جمال الدين الأفغانى) .. الذى قال للبستانى : « انه ليسرنا أن نفعل اليوم ، ما كان يجب على العرب أن يفعلوه قبل نيف وألف عام .. وحبذا لو أن الأدباء الذين جمعهم (المامون) بادروا ، بادىء ذى بدء ، الى نقل الالياذة ، ولو ألجأهم ذلك الى اهمال نقل الفلسفة اليونانية برمتها ! »

كذلك يبرز الى مخيلتنا اسم (جون ملتون الشاعر الثانى الذى يلى ، أو يضارع ، شكسبير في الأهمية والمنزلة ، في الأدب الانجليزى (١٦٠٨ - ١٦٧٤) ، والذى فقد بصره عام ١٦٥٢ ، وبرغم ذلك استمر يتدفق كالنهر .

بل مالنا نذهب بعيدا ، وفي تاريخ أدبنا العربى أمثلة فذة فريدة ، لهذا الطراز من الشعراء ، من أمثال « بشار بن برد » و « أبو العلاء المعرى » وللأول بيت مشهور في وصف احدى المعارك .

يقول فيه :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا
وأسيافنا .. ليل تهاوى كواكبه

لا يفرغ النقاد من ابداء اعجابهم بدقة الوصف فيه ، اذ يصور الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة ، متناسبة المقدار ، متفرقة .. فى جوانب شىء مظلم .. فمثار النقع والرءوس والأسياف والليل

بقلم أحمد مصطفى حافظ

والكواكب ، هى مواد حللها الشاعر من الطبيعة وركبها صورة ، بشكل جديد ، ووظيفة حديثة ومعنى طريف ، فخرجت مبتكرة رائعة » (١) ٠

أما أبو العلاء ، فقد عاش مأساة فقد بصره طوال حياته ، ولله أديب العربية الكبير « مصطفى صادق الرافعى » حين يقول عن دور (العين اللاقطة) : « الشاعر في رأينا هو ذاك الذى يرى الطبيعة كلها بعينين لهما عشق خاص ، وفيهما غزل على حدة ، وقد خلقتا مهيأتين بمجموعة النفس العصبية لرؤية السحر ، الذى لايرى الابهما ، بل لاوجود له في الطبيعة الحية ، لولا عينا الشاعر » (٢) ولكن ، ماهو الشأن اذن بالنسبة للشاعر الكفيف البصر ؟ كيف ينسجم هذا القول عليه ، وقد حرم نعمة الابصار ؟ يجيب الرافعى عن ذلك التساؤل ، الذى يبدو أنه قد حسب حسابه ، حين يستتلى قائلا : « فاذا كان الشاعر العظيم أعمى كهوميروس وملتون وبشار والمعرى وأضرابهم ، انبعث البصر الشعرى من وراء كل حاسة فيه ، وأبصر من خواطره المنبثة في كل معنى ، فأدى بالنفس في الوجود المظلم ، أكثر ماكان يؤديه بهذه النفس في الوجود المضىء ، وقصر عن المبصرين في معان ، وأربى عليهم في معان أخرى .. فيجتمع للشعر من هؤلاء وأولئك من النفس الملهمة ، مما بين أطراف النور ، الى أغوار الظلمة ٠ (٣)

واذا انتقلنا الى العصر الحديث ، بهرتنا قصة الكفاح الرائعة لكل من الشاعر العالم الراوية (أحمد الزين) والشاعر الباحث الدكتور (محمد العلائى) (٤) وغيرهما من أفذاذ الشعراء الذين لم يكن فقد البصر عائقا يحول دون امتيازهم وتفوقهم ٠

ونخلص بعد ذلك الى شاعرنا الفذ « الصاوى على شعلان » الذى غادر دنيانا منذ

---

(١) انظر نجيب العقيقى ـ الادب المقارن ص ٣٧ ط ١٩٧٥

(٢ ، ٣) وحى القلم ج ٣ ص ٢٧٣ و ٢٧٤ ص سنة ١٩٤١ ٠

(٤) استوفينا الحديث عنه بكتابنا (شعراء معاصرون) بسلسلة « كتب ثقافية » ص ١٩٨٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب

الشيخ الصاوى شعلان

شهور (١) ولم نقرأ عنه بعد ، مايوفيه حقه من البحث والدراسة ، بعدما قدمه من عطاء وابداع وامتاع .

ولد الشاعر عام ١٩٠١ في ريف مصر بقرية (سبك الأحد) مركز أشمون بمحافظة المنوفية ، ونشأ في أسرة يرجع نسبها الى قبيلة عربية ، قدمت الى مصر في عهد السلطان (قايتباى) .

وقد أصيب بحادث أفقده البصر في طفولته ، وأتم حفظ القرآن الكريم في العاشرة ، والتحق بالأزهر ، وحين انتقل الى القسم الثانوى به ، استبطأ مرور الزمن ، لأنه كان يطمح الى القفز الى المرحلة النهائية من التعليم الثانوى ، ومابعدها ، خاصة بعد أن فجع بفقد والده ..

فشمر عن ساعد الجد ، وواصل ليلة بنهاره في الاستذكار الشديد فتحقق له ، بجهد خارق ، لاختصار السنوات التى للقسم الثانوى ، الى .. عام واحد فقط حصل فيه على الشهادة الثانوية .. ثم حصل بعد ذلك ، بنفس الدأب ، علىالشهادة العالمية ، وكان ترتيبه (الأول) على دفعته .

ثم التحق بمعهد اللغات الشرقية بالجامعة ، وبعد حصوله على (الدبلوم) منه ، عكف على تعلم (الخطالبارز) ، وأمكنه بذلك اتقان عدة لغات ، بطريقة « بريل » هى : الانجليزية والفرنسية والألمانية والتركية والأوردية والفارسية .. وبعد أن علم نفسه بنفسه هذه اللغات انكب بشغف على استيعاب ذخائرها ، من عيون الشعر بصفة خاصة ، وترجم منها ، شعرا ، الكثيرمن القصائد لشكسبير ، وسعدى الشيرازى ، ومحمد اقبال ، وجلال الدين الرومى وغيرهم .

وقد عمل الصاوى شعلان بمصلحة السجون واعظا ومدرسا بعد تخرجه ، كما قام بتدريس اللغة العربية في المعهد العالى للموسيقى المسرحية ، وتدريس المواد التاريخية بالمركز النموذجى للمكفوفين بالزيتون ، وتولى رئاسة تحرير مجلة (المصباح) التى يصدرها المركز النموذجى بالخط البارز ، واشترك في عدد من الجمعيات الخيرية ، كجمعية مكارم الأخلاق ، التى عمل رئيسا لتحرير مجلتها ولجنتها الدينية . وفي أثناء ذلك كله ، كان خطيبا مفوها ، له وزنه وشهرته ، منذ اشتراكه في ثورة ١٩١٩ بحنجرته القوية الهدارة .. وعرفه الكثير من الأدباء والمستمعين عن طريق محطات الاذاعة الاهلية ، فقد كان اول متحدث بها يعرف الناس سماحة الدين الاسلامى الحنيف الى أن دوى صوته مجلجلا في شتى الأنحاء عند انشاء محطةالاذاعةالمصرية الرسمية ، وكان ـ أيضا ـ أول متحدث فيها ، عن الأمور الدينية .

وقد سعى الى تأليف لجنة لكتابة (القران الكريم) بطريقة بريل للمكفوفين ، ورأس اللجنة ـ التى تكونت بالفعل وكان أكبر انجاز لها طبع المصحف الشريف بالطريقة المذكورة ، التى أفاد منها الالاف .

وقد تجاوب ـ متأسيا ـ بقصة حياة وكفاح الكاتبة الأمريكية المشهورة (هيلين

(١) انتقل الى رحمة الله فى الحادى عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٢

كيلر : الصماء البكماء العمياء .. التى تقول بكتابها الرائع : الباب المفتوح :

(1) When one door of happiness closes, another opens; but often we look so long at the closed door that we do not see the one which has been opened for us.

وترجمتها : :

« حينما يغلق باب للسعادة ، يفتح أخر .
ولكننا غالبا ننظر طويلا الى الباب المغلق
لدرجة أننا لانرى .. ذلك الذى .. فتح
لنا »

وقال شاعرنا يحييها ، أثناء زيارتها لجمعية النور لرعاية المكفوفين بالقاهرة ، ضمن جولتها في الأقطار ، للدلالة على قدرة الانسان ، المستمدة من قدرة الله تعالى :

رب عين لم تُبصر النور يوما
أرسل الكون من هداها الشعاعا
رب أذنٍ لم تسمع القول لكن
حـيَّرت مـن بيانـها الأسـماعا
هل رأيتم « هيلين » تقتحم السبعين سنا ،
ولاتمل الصراعا ؟!
وتجوب الأقطار كالنجم في النو
ر ، وكالعطر في الربيع مذاعا

ويطالعنا الشاعر في اسلامياته بصفة خاصة بنهج جديد مغاير في أسلوب العرض والتناول ، لغيره من الشعراء .. يشى بعمق فهمه وحدة ذكائه ، وينم عن القدرة على التعليل والتحليل بسلاسة وعذوبة ، وقوة عقيدة . ومن ذلك قوله بقصيدته : (في رحاب الرسول (2)) بصيغة السؤال والجواب :

1. The Open Door طبعة عام ١٩٢٩ بالولايات المتحدة الأمريكية ص ١١ بمستهل الكتاب

(٢) العدد الثامن من السنة الثامنة من مجلة (السجون) اغسطس عام ١٩٦٢

س : لماذا كان أميا
فلاصحفا ولاقلما ؟
ج : لتظهر اية الاعجا
ز . حين يعلم الأمما
س : لماذا خص (مكة) ربه . بشروق اسعاده ؟!
ج : لأن جوار بيت الله .. يؤنس بيت ميلاده
س : لماذا اختص الحجازبه الـ
إلّـه الواحد القهار ؟
ج : لأن فضاءها حر
وليس بأرضها استعمار
س : لماذا كان من مهد الـ
عروبة وجهه الأنور
ج : ليجمع شعبها لله .. لا كسرى . ولاقيصر
الى أن يقول :
تذكر أيها المسلم
عسى أن تنفع الذكرى
فانك وارث الأمجا
د .. من أياته الكبرى

يقول ، وليتنا تعى جيدا مايقول :

أجنبنى ما الذى حصلـ
ـت من ميراثك الغالى
من الهادى البشير ومن
تراث الصحب والآل
أفيك شجاعة بن رباح
افيك تقى أبى بكر ؟

الشيخ الصاوى شعلان

أفـــيــــك أمانة الـــجراح
وزهد مـــــــــن أبى ذر ؟
أعـــــندك مــــــن على عز
بـــه .. والـــصدق والايـــمان ؟
ومــــن عـــمر عدالـــتـــه
وفـــيـــض الـــبر مـــن عـــثمان ؟

ويختتم هذه القصيدة الرائعة ، ناصحا :

تذكر أن فــــيــــك قوى
تدير جـــهاز هذا الـــكون
لأجـــلـــك أنزل الـــقرا
ن يـــقول : « وأنـــتـــم الأعـــلون »
(مـــحـــمد لـــم يرث مـــلـــكا
ولـــم تـــمـــلـــكـــه دنـــياه
لـــيـــعـــلـــم كـــل مـــن في الأر
ض . ان مـــلـــيـــكـــه : الله

ثم ينطلق عبر قصائد أخرى ، عامرة الأبيات ، بعمق احساسه ورقة مشاعره ، ليخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله متهدجا :

ماتت (خديجة والكفيل .. ولم تمت
عزماتـــك الـــمرفوعة الـــبـــنـــيان
قد أقسموا أن يسلموك الى الأذى
فرددتـــهـــم . بالـــصـــفـــح والـــغـــفران
أيـــجوع مـــن بـــيـــمـــيـــنـــه قوت الـــقـــلو
ب ، وفي حماه موائد الرحمن ؟!

وما أروع أبياته التى يصف فيها قصة (الخليل ابراهيم حينما هم بذبح ابنه (اسماعيل) ـ عليه السلام ـ بعد تصديقه الرؤيا بالحق ـ بقوله :

طلع الصباح مباركا يمحو الدجى
ويذيـــع فـــيـــض الـــنور في الأكواز
والشمس تمطر من أشعة ضوئها
ذهـــــــبا على الربوات والوديان
قال النبى ـ الوالد ـ العالى السنا
لوحيده ـــ الـــنجل ـــ الـــنبى الـــثانى
هتفت بى الرؤيا لأذبح مهجتى
هل انت الا مهجتى وجنانى ؟!
قال : اســـتـــجـــب للأمر انى قابـــل
حـــكـــم الـــقـــضاء وحـــكـــمة الديان

الى ان يقول :

حتى اذا اقترب المصير .. وأسلما
جاء الـــفداء لـــه .. مـــن الرحـــمـــن
فـــتـــبدل الـــصـــمت الـــمـــخـــيـــم .. فرحة
واذا الـــعزاء بـــشائر وتـــهـــانى
ذكرى يضىء بها الزمان على المدى
وتدوم ايـــتـــهـــا .. مـــع الـــقرآن
وتـــجدد الأجـــيـــال مـــن أمـــجادها
عزم الـــفداء وقوة الايـــمـــان

●●●

ولو مضينا في الوقوف امام مايروق ويشوق من شعره ، لوقفنا أمام العديد من روائعه ، في شتى الأغراض مما يضيق به المجال اليوم ..

وصفوة القول ، هذا هو الشاعر الكاتب المترجم الصاوى على شعلان ، وهذه لمحة عن فنه ..

وانه لقمين بأن يجمع ماتناثر من شعره وكتاباته في بطون الصحف والمجلات ، بين دفتى ديوان .. استنقاذا له من يد التشتت والضياع فماطبع من أعماله الشعرية لايتجاوز ديوانين صغيرين ..

أولهما بعنوان : (الرسالة الأولى) .
والثانى بعنوان : (الشعراء الخمسة) .
اماما لم يطبع في ديوان بعد ، فيفوق حصيلة هذين الديوانين باضعاف مضاعفة ..

أحمد مصطفى حافظ

من تاريخ الأزهر

الأزهر

فى القرن الثامن عشر الميلادى

للأستاذ السيد حسن قرون

حين سقطت مصر فى يد سليم الأول سلطان بنى عثمان سنة ٩٢٣ هـ الموافق ١٥١٧ م لم يجعل الحكم لوال من قبله ، ولكنه تركها لخايربك الذى خان مصر والسلطان الغورى فساعد على هزيمة جيش الغورى فى مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ ، ومن ثم جعل له الحكم فى مصر على مدى حياته ، وحياته لم تطل عن خمسة أعوام قضاها ثائرا على نفسه ، شاعرا بذنب عظيم يؤرق ليله ويظلم نهاره ، ولم يكن للخلافة العثمانية عليه ولاية الا بالمال المفروض على مصر كل عام .

وقد كان خاير بك يلقب بأمير الأمراء أو ملك الأمراء حتى قضى غير مأسوف عليه ، فضمت مصر رسميا الى الخلافة العثمانية وصار لها وال من قبل الآستانة أو من الباب العالى كما كان يقال فى عهدها .

وخاير بك لا يعده (ابن اياس) مملوكا كسائر المماليك ، فالمملوك هو الذى يشترى ثم يعد للأعمال الحربية والادارية ثم يقفز الى السلطة العليا فيصير سلطانا ، ويفوض اليه الخليفة العباسى فى مصر حكم الرعية ، ولكنه كان أحد أربعة اخوة قدم بهم أبوهم الى مصر وألحقهم بحاشية السلطان قايتباى ليكون منهم السلطان فى المستقبل ولهذا عده ابن اياس دخيلا على المماليك ، وقد استعجل السلطنة فخان ولم يعد

سلطانا ولم يهنأ بما اقترفت يداه ..

وأخلص من هذا الى أن المماليك الذين سقطت دولتهم لم يشعروا بالضعف أو شل اليد ، فقد استخدمهم خاير بك فى حكم البلاد (صناجق) وسار العثمانيون على نهجه فاستعانوا بهم كذلك ، وفى بادىء الأمر كانوا على حذر من السلطة الجديدة ، وشيئا فشيئا أصبحوا هم الأمراء وسادة البلاد والمتصرفين فى شئونها وليس للوالى التركى الا الاسم فقط ، وتراخت حامية الخلافة ، وصار همها جمع المال ومشاركة الشعب فى مرافقه .

والخلافة وضعت نظاما اداريا مكونا من الوالى والديوان والحامية ، وأنشأت نظام الالتزام ، وهذا النظام لو أحكمت قوانينه وقويت الرقابة عليه لسارت الأمور على مايرام ، ولكن أمراء المماليك أفسدوا كل شىء وعبثوا بكل أمر الا الأزهر لماذا ؟

لقد ورثوا على نسبتهم الى المماليك المستقلين رعاية شأن الأزهر واحترام علمائه ، فلقد كان الأزهر منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس من المماليك البحرية الى أخر أيام دولة الجراكسة هو موئل العلم والعلماء من جميع الأقطار الاسلامية التى حلت بها كوارث التتار فى المشرق وكوارث الأندلس فى المغرب ، فأمه التركى والمغربى واليمانى والزنجى والهندى والأفغانى فجعلوا همهم العلم وطاب لهم المقام والسلاطين لايضنون عليهم بالمال والاحترام ، وقد انتفع الفاتحون العثمانيون بأمثال هؤلاء العلماء فنقلوهم الى حاضرة الخلافة ، وتأثر الأزهر بما جرى فلم يكن علمه كما كان على عهد المماليك الذين سقطت دولتهم ، لكنهم لم ينسوا ماقيدوا له ، فبقيت لهم دراستهم فى علوم الدين وقليل من علوم الدنيا .

فلما وصل الأزهر الى القرن الثامن عشر الميلادى والثانى عشر الهجرى رأى علماؤه أن البلاد صارت فى حال من الفوضى يعجز القلم عن وصفها ، فالقتال دائر فى الليل والنهار ، والدماء وتسيل فى كل صقع من أرض الكنانة ، فوصف وحوش الغابة ضئيل بجانب ما كان يحدث فى البلاد شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، فهم يتقاتلون فى الاسكندرية والمنيا وجرجا والشرقية كما يتقاتلون فى القاهرة وليس السيف هو الحكم أبدا ، بل يستعملون السم لتصفية العدو ، وليست المواجهة هى السائدة بل الاغتيال من وسائل الانتقام ، فاذا قرأت يوميات « الجبرتى » فى هذا العصر عجبت كيف عاش الشعب ولم ينقرض ؟ وكيف واجه الفوضى الدامية ولم ييئس ؟ وكيف سكت الباب العالى على الحرمات التى تنتهك ولم يغضب ؟

لم يعزل الباب العالى واليا أرسله ، بل كان أمراء المماليك يرضون عن الوالى ماوافقهم على النهب والسلب والتقاتل فان دام الاصلاح ثار عليه وأنزلوه من القلعة بل كان أمراء المماليك يرضون عن الوالى ماوافقهم على النهب والسلب والتقاتل فان دام الاصلاح ثار عليه وأنزلوه من القلعة ووضعوه في دار أمير منهم وكتبوا الى

الخليفة بعزله . فينفذ مشيئتهم ويرسل واليا جديدا ، ويستقبل استقبالا يليق بمكانة الوالى وهو لا يملك من أمرهم شيئا . بل زادت الأمور استفحالا على الولاة ، فقد طرد الوالى على بك الكبير واستغل بمصر وضم اليها الحجاز والشام .

ولا أعرف اصلاحا للأزهر جرى بين أحد الولاة الا مزولة لأحمد باشاكور نصبها بالجامع الأزهر فى ركن الصحن على يسار الداخل ـ كما يقول الجبرتى ـ وسيأتى الحديث عنها .

وأهم الاصلاحات التى قام بها المماليك هو ما صنعه الأمير (عبد الرحمن كتخدا) فقد زاد الجامع بمقدار النصف تقريبا وهى المقصورة الجديدة به وتتكون من خمسين عمودا من الرخام خلف المحراب القديم ، وبنى بها محرابا جديدا ومنبرا مما جعله يتسع للدراسة ولآلاف المصلين . هذا الأمير العظيم وصفه الجبرتى بقبول الرشوة ومصادرة أموال الأغنياء بالحيلة ، قام بهذا العمل سنة (١١٦٧ هـ ـ ١٧٥٤ م) ومات الرجل سنة ١٧٧٧ عقب رجوعه من المنفى بأحد عشر يوما .

وقد أفرز لنا القرن الثامن عشر رجالا من المماليك حظوا بالكتابة عنهم ، منهم على بك الكبير وتلميذه محمد بك أبو الذهب وقد أرادا لأنفسهما الرفعة فأوقعا مصر فى الحضيض ، وترك أبو الذهب لنا شيطانين عبثا بالكنانة وأوقفا نموها وهما ابراهيم بك ومراد بك ، وعلى أيديهما ذاقت مصر الويلات ، سواء على حسن باشا قبطان الذى جاء الى مصر لتأديب المماليك لضعف الباشا الوالى ، فقد فعل الأفاعيل ليجمع المال للباب العالى فى تركيا ، أو الحملة الفرنسية ، فقد هزم مراد ، وفر ابراهيم الى الشام ، وتركا الشعب المصرى يواجه الغزاة بلا قائد قدير أو سياسى مستنير سنة ١٧٩٨ م فى هذا المعترك الدائم ، والبلاء المقام ، وقعقعة السلاح وصهيل الخيل ، وصراخ الأطفال والنساء والمنهزمين ماذا يكون علم الأزهر ؟

في سنة ١١٦٢ هـ ـ ١٧٤٨ م وصل والى الى مصر هو (أحمد كور باشا) وكان من أرباب الفضل وله ولع بالرياضيات ، فخف اليه كبار العلماء شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشبراوى ، والشيخ سالم النقراوى ، والشيخ سليمان المنصورى فزاروه ، فتكلم معهم في الرياضيات فأحجموا وقالوا : لانعرف هذه العلوم .

وذات يوم دخل عليه الشيخ عبد الله الشبراوى بالقلعة يحادثه ، فقال له الباشا : المسموع عندنا بالديار الرومية (القسطنطينية) أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت فى غاية الشوق الى المجىء اليها . فلما جئتها وجدتها كما قيل : « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » فقال الشيخ : هى يامولانا كما سمعتم معدن العلوم والمعارف .

فقال الباشا : وأين هى وأنتم أعظم علمائها وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئا ، وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل ، ونبذتم المقاصد ولكن الشيخ لم يسكت فقال له : لسنا أعظم علمائها ، وانما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة والحكام .

واستمر الحوار الى أن قال الشيخ : معرفة ذلك ـ يقصد علوم الرياضيات ونحوها ـ من فروض الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقية .. وهذه العلوم تحتاج الى لوازم

الأزهر في القرن الثامن عشر الميلادي

وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية كرقة الطبيعة وحسن الوضع والخط والرسم والتشكيل والأمور العطاردية ، وأهل الأزهر بخلاف ذلك غالبهم فقراء واخلاط مجتمعة من القرى والآفاق فيندر فيهم القابلية لذلك . وسأل الباشا عمن يحسن ما يريد قوله الشيخ الشبراوى على الشيخ (حسن الجبرتى) والد المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى وكان ، واتصل الأمر بين الباشا والشيخ حسن .

والذى يعنيني من هذا الحوار أن الأزهر لم يكن فى ذلك الوقت يعنى بالدراسات الطبيعية والكونية والرياضيات وما الى ذلك من الفلسفة والمنطق والذى لم يحسن الشيخ قوله أن مرجع ضعف المحصول من العلوم فى مصر راجع الى العثمانيين الأتراك ، فهم الذين جردوها من علمائها حين ملكوها ، وجعلوا همهم أن تكون بقرة حلوبا تشبع بطونهم التى لا تشبع ، وفى سبيل ذلك أوجد سليم الأول الفرقة بين المماليك فجعلهم طائفتين : نقارية وقاسمية ، ومن ثم صاروا فى الشقاق والقتال ولم يلتفتوا للاصلاح وضاع ما قدمه الأيوبيون والمماليك المستقلون . اما الفقر فسببه الاحتلال العثمانى فليس الفقر خاصا بالأزهر بل للأزهر أوقاف انما هو عام بمصر وسائر بلاد الخلافة الا بعض من خصوهم بالالتزام أو أدخلوهم فى وظائف الدولة ، والفقراء فى العالم كله هم من قدموا العلم وتطبيقاته فما قاله شيخنا مرفوض ، فالأزهريون لو وجدوا فى ذلك الحين هدوءا وانتظاما فى الدراسة ولا اقول تحديد جدول الحصص حسب كل علم ، وتعيين المدرسين كل حسب تخصصه لأتوا بالعجب العجاب ، ويكفي أنهم كانوا الصلة المضيئة بين تخلفنا وتقدمنا بعد الحملة الفرنسية ..

ومن غريب قصة هذا الوالى العالم أنه احتاج فى علمه الى علم الشيخ حسن الجبرتى – وهو من علماء الأزهر – فاتفق له عدم المطابقة فى مسألة من المسائل فاشتغل ذهنه وتحير فكره الى أن حضر اليه الأستاذ (الشيخ حسن) فى المعياد فأطلعه على ذلك وعلى السبب فى عدم المطابقة ، فكشف له علة ذلك بديها ، فلما انجلى وجهها على مرآة عقله كاد يطير فرحا ، وخلف أن يقبل يده . ثم أحضر له فروة سمور باعها الشيخ حسن بثمانمائة دينار .. ثم قاما معا بعمل المزاول التى حدثتك عن احداها انفا .. وهذا **الكلام من يوميات الجبرتى ..وكيف ينفى الشيخ** الشبراوى الامور الذوقية عن طلبة الأزهر وقد كان هو على الرغم من جهله فى الرياضيات عظيم التذوق عنده نفائس الكتب ويقرض الشعر ويتدرع بالوفاء ..

لقد تعب الأزهر ورجاله فى هذا القرن الذى نتحدث عنه وحاولوا أن يصلحوا من شأن المماليك ويجعلوا منهم أناسا يحسنون الرياسة ويعرفون حقوق الشعب تارة بالنصيحة – والدين النصيحة .. وتارة بالثورة عليهم كما حدث من أهالى الحسينية وانضم الى قيادتهم الشيخ أحمد الدردير ، وكما ثار الشيخ أحمد الدردير عليهم فى طنطا وبالغوا فى الاعتذار اليه » ..

وقد ذكر المؤرخون أن أتباع محمد بك

الألفي من أمراء المماليك ظلموا أهل قرية بالشرقية فجاء أهلها صارخين مستغيثين بعلماء الأزهر فقام هؤلاء وعلى رأسهم شيخ الأزهر ، وذهبوا الى ابراهيم بك حاكم مصر وزميل مراد بك وطلبوا منه رفع الظلم عن أهل هذه القرية ، فأسرع الى اجابة طلبهم ، وكف أيدى الأمراء واتباعهم عن أموال الناس . وكتب القاضى حجة بذلك . ومفكرو مصر يعتزون بهذا الموقف ويرونه أول وثيقة بين الحاكم والمحكوم .

وما من شك فى أن الشيخ الشبراوى أصاب كبد الحقيقة حين قال : نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة ، فهم اذن زعماء الشعب المصرى ، وقد ظهرت زعامتهم جلية حين دخل نابليون بونابرت مصر ، فكانوا لسانها الناطق وسدها المانع ، صانوا مخدرات القصور حين لم يصنها أهلها من المماليك ، وحفظوا ودعائهم حين أرادها الغاصب منهم ، ولم يصيخوا الى أكاذيبهم من أنهم جاءوا لتطهير البلاد من الظلم والفساد ، واسداء المناصب العالية للمصريين ، كما أنهم لم يقبلوا ما فعله من قبل حسن باشا القبطان التركى ، وكانوا على وعى عظيم حين لم يصدقوا قوله : « لا تخشوا من شىء فان أول ما اوصانى به مولانا السلطان اوصانى بالرعية وقال : « ان الرعية وديعة الله عندى وانا استودعتك ما أودعينه الله تعالى » وماذا فعل حين وصل الى القاهرة ، روع المماليك فهربوا الى أطراف البلاد ولا سيما الصعيد ، فكان أن كسر بيوتهم وأخرج ما فيها من ودائع وقبض على زوجات المماليك ليدفعن ما يقدره والا بقين فى السجن ، قبض على زوجة ابراهيم بك ، وزوجة مراد بك ثم أحضروا الجوارى بين يديه فامر ببيعهن ، وكذلك أمر ببيع أولاد ابراهيم بك مرزوق وعديله ، وفعل ذلك بطوائف أخرى .. وركب العلماء : الدردير وأحمد العروسى ومحمد الحريرى الى الباشا الوالى فى القلعة عساه أن يكون معهم فى رد حسن باشا قبطان عما فعله ويفعله .

فقال الوالى : ليس لى قدرة على منعه ، وكرروا عليه مقالهم فقال : (اسبقونى وأنا اكون فى أثركم . فحين كلموه ومعهم الوالى قال : أكتب أسماء هؤلاء حتى أرسل الى السلطان وأخبروه بمعارضتهم لأوامره ..

هذا الذى جاء ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملقت جورا محا العدل من أساسه ، وبنى للظلم صرحا مشيدا . هل خاف العلماء ؟ انهم قالوا له : انما نحن شافعون والواجب علينا قول الحق ، يقول الجبرتى ، قاموا من عنده وقد تغير خاطره على الشيخ السادات . حدث هذا سنة ١٧٨٦ م ..

وهكذا عاش الأزهر فى هذا القرن الثامن عشر الميلادى يعطى العلم ويدفع الظلم على مدى العهود فيه : عهد الولاه وعهد على بك الكبير وعهد محمد أبو الذهب وتلميذيه : ابراهيم ومراد ، وعهد نابليون ، فكانوا لقول الحق لا يخشون طاغية ولا تميلهم زهرة الحياة الدنيا ، ويكفينا قدوة أن الشيخ الشرقاوى رمى بعلامة الثورة الفرنسية المثلثة الألوان حين علقها نابليون على كتفه ، لقد قاموا ببطولة ما بعدها بطولة حين أدلهمت المدلهمات ، وحين زلزلت الأرض زلزالها ..

السيد حسن قرون

تأثير الأزهر في الخارج

الدعامة الثانية

مبعوثو الأزهر للدعوة بالخارج

فمع استقبال الأزهر لأبناء العالم الاسلامى وتعليمهم أرسل الأزهر الى شتى أنحاء العالم بعض أبنائه من العلماء المتخرجين في رحابه سواء على نفقة الأزهر أو على نفقة البلد المبعوث اليها ، وسواء كانت هذه البلاد عربية واسلامية أو غيراسلامية ،وفيها أقلية اسلامية حيث يقوم هؤلاء المبعوثون بنشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية وتعليم مبادىء الاسلام والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وقد باشر الأزهر هذه المهمة منذ أمد طويل من عمره المديد وعن طريق علماء الأزهر انتشر الاسلام ومبادئه الى بقاع كثيرة وغمر نور الاسلام ربوع افريقيا وآسيا وغيرهما من قارات العالم .

واننا عندما نلقى نظرة على مراحل التعليم المختلفة في البلاد العربية من ابتدائى الى اعدادى وثانوى سنجد كثيرا من خريجى الأزهر قد قاموا منذ فترة طويلة بالتدريس فيها ومازالوا يضطلعون بهذه المهمة حيث يعملون على تثقيف وتعليم أبناء هذه البلاد .

بل اننا اذا ألقينا نظرة على كل الجامعات الاسلامية التى قامت في العالم العربى والاسلامى سنجد أنها قامت على غرار الأزهر واقتبست من مناهجه وقام الاساتذة من الازهر او من المتخرجين فيه بالمشاركة في وضع المناهج لها وتأليف بعض الكتب التى تدرس فيها ومازال الكثير من أبناء الأزهر يقوم بالتدريس في تلك الجامعات المنتشرة في أنحاء العالم العربى والاسلامى حتى استوت على سوقها واشتد ساعدها .

وفي مطلع كل عام جامعى يأتى الى الأزهر بعض القائمين على هذه الجامعات ليستعيروا لجامعاتهم بعض العلماء من الأزهر في شتى التخصصات حيث يمدهم الأزهر بما يحتاجون اليه وهو سعيد قرير العين .

بين الماضي والحاضر

للدكتور محمد شتا زيتون

بل يقدمهم احيانا على نفسه شاعرا بأن هذه الجامعات تعتبر امتدادا له وفي حاجة الى رعايته لها واهتمامه بها وحدبه عليها وليس عجيبا أن أقول ان بعض شيوخ الأزهر وبعض شيوخ الجامعة وغيرهم ممن يتولون قيادات كبيرة في الأزهر وفي هيئات التدريس فيه في شتى مراحله من الابتدائى حتى الجامعة قد اضطلع بهذه المهمة في كثير من البلاد العربية والاسلامية وغير الاسلامية . وكان كل مبعوث لسانا فصيحا معبرا عن رسالة الأزهر ومبينا لتعاليم الاسلام التى يقوم الأزهر على حراستها ونشرها على وجهها الصحيح في أنحاء العالم الفسيح .

وحسبنا أن نكتفى بايراد جانب من الاحصائيات الخاصة بمبعوثى الأزهر الى الخارج وهى تغنينا عن افاضة الحديث عن تأثير الأزهر في الخارج عن طريق علمائه المبعوثين الى الخارج فهى الواقع العملى الذى لايحتاج الى بيان .

احصائية عن مبعوثى الأزهر الى البلاد العربية والاسلامية وغير الاسلامية من عام ١٩٥٣ الى ١٩٦٤ م (١) وهذه البلاد هى :

سوريا وغزة والكويت ولبنان وقطر والسعودية والعراق والبحرين وأفغانستان والهند والملايو واندونيسيا والفلبين والسودان والصومال والمغرب والجزائر وليبيا لندن وأمريكا وكندا ونيجيريا واليمن وهى كالتالى :

سنة ١٩٥٣	١٠٣ مبعوثين
سنة ١٩٥٤	١٣٣ مبعوثا
سنة ١٩٥٥	١٦٥ مبعوثا
سنة ١٩٥٦	١٧٣ مبعوثا
سنة ١٩٥٧	١٩٨ مبعوثا
١٩٥٨	٢٠٢ مبعوثا
١٩٥٩	٢٢٤
سنة ١٩٦٠	٤١٨ مبعوثا ومتعاقدا
سنة ١٩٦١	٥٥٠ مبعوثا ومتعاقدا
سنة ١٩٦٢	٦٣٥ مبعوثا ومتعاقدا
سنة ١٩٦٣	٦٩٩ مبعوثا ومتعاقدا
سنة ١٩٦٤	٧١٦ مبعوثا ومتعاقدا

والاحصائية الأخيرة في سنة ٨١ / ١٩٨٢ تعبر خير تعبير عن مدى التطور والزيادة التى حدثت بالنسبة لمبعوثى الأزهر الى البلاد العربية والاسلامية وغير الاسلامية منذ الاحصائية السابقة ٦٣ / ٦٤ الى احصائية ٨١ / ١٩٨٢ وهى تبين بوضوح زيادة انتشار وشيوع تأثير الأزهر في الخارج ومدى اهتمامه بتبليغ رسالة الله الى كافة أرجاء الأرض ومحاولة توضيح دعوة الله للناس جميعا وازالة الخرافات التى قد يلصقها بها بعض الجاهلين .

وصدق الله اذ يقول : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ

(١) الأزهر تاريخه وتطوره صفحة ٦٠٤ ، ٦٠٥

تأثير الأزهر في الخارج

أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » سورة البقرة آية ١٤٣ ..

وهاك آخر احصائيه عن مبعوثى الازهر الى البلاد العربية والاسلامية وغير الاسلامية عام ٨١ / ١٩٨٢ من غير أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر (١) .

(أ) المبعوثون الى دول آسيا : السعودية والكويت والامارات العربية وسلطنة عمان وقطر ولبنان والأردن وأفغانستان واندونيسيا وباكستان وماليزيا والهند وسرى لانكا وتايلاند والفلبين واليمن الشمالية والعراق ٢٩٨٨ معارا ومتعاقدا ومبعوثا على نفقة الأزهر .

(ب) المبعوثون الى دول افريقيا : الصومال ونيجيريا - وسيراليون والسنغال والسودان والجزائر وتنزانيا ومالى وغانا وزنزبار وجامبيا وكينيا وفولتا العليا وليبيريا وجزر القمر وزائير وجيبوتى وتوجوداهومى وغينيا كونا كرى وغينيا بيساو وافريقيا الوسطى وساحل العاج والنيجر واريتريا وليبيا والمغرب ٤٨٤ معارا ومتعاقدا ومبعوثا على نفقة الأزهر .

(جـ) مبعوثون الى دول اوروبا وامريكا : بريطانيا وايطاليا وكندا والبرازيل وأمريكا وألمانيا الغربية ٩ متعاقدين ومبعوثين على نفقة الأزهر .

وبذلك يكون المجموع الكلى للمبعوثين لجميع أنحاء العالم ٣٤٨١ مبعوثا

(١) احصائية مأخوذة عن ادارة البعوث الاسلامية بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر

أما احصائية المعارين من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر الى مختلف الدول في عام ٨١ / ١٩٨٢ فهى الى الدول الآتية :

السعودية والكويت وقطر والامارات العربية والعراق واليمن الشمالية والسودان ولبنان ومالطة والمغرب والجامعة العربية واليونسكو وسوريا ونيجيريا وجمهورية الدومينكان ومجموعهم ٣١٣ معارا

وبجانب هؤلاء المبعوثين الى مختلف الدول يبعث الأزهر ببعض علمائه الى عدد من المراكز الاسلامية في الخارج وعدد المبعوثين الى هذه المراكز كالتالى :

المراكز الاسلامية	عدد المبعوثين اليها
١ - لندن	٣
٢ - واشنطن	٢
٣ - نيويورك	١
٤ - تنزانيا	٨
٥ - المركز الثقافى العربى بكانو في نيجيريا	٤
المجموع	١٨

الدعامة الثالثة :

التأثير عن طريق الكلمة المطبوعة :

لاشك أن الطالب والعالم الذى يتخرج من الأزهر ويذهب الى المجتمعات الاسلامية في شتي أنحاء الأرض يوضح التأثير الكبير للازهر في الخارج كما ذكرنا ، ولكن بجانب ذلك اهتم الأزهر بأن يرسل شعاعه العلمى الى البلاد الخارجية عن طريق الكتاب الذى يزود به

الجامعات والجمعيات والمدارس ومراكز الثقافة في الخارج ، وقد انشأ الأزهر مراقبة البحوث سنة ١٩٤٥ م في عهد الشيخ المراغى الاتصال بالعالم الاسلامى وارسال الكتب الاسلامية باللغات الأجنبية الى شتى البلاد ، والاطلاع على مايكتب باللغات الأجنبية ضد الاسلام والرد عليه وقد أنشأت مراقبة البحوث مكتبة اسلامية كبيرة في بكين بالصين في عهد الشيخ مصطفى عبد الرازق (١) .

كما أنشىء في مجمع البحوث الاسلامية في الأزهر قسم لفحص المصاحف والكتب العربية وغير العربية وتوزيع وارسال الكتب الى الخارج .

ويهتم هذا القسم بفحص المصاحف الواردة من الخارج وكنموذج على نشاطه نجدأنه قد قام في عام ١٩٦٣ بفحص بعض بروفات المصاحف منها ٤٩ بروفة بالخط المصرى ، ١١ بروفة بالخط المغربى الأفريقى ٢ "منها مكتوب بالخط البارز بطريقة (بريل) للمكفوفين . ووافق القسم على طبع البروفات الصحيحة ، وأصدر تسعة قرارات بمصادرة مصاحف معظمها وارد من الخارج .

وبهذا يعمل الأزهر على ان يكون تأثير تلك المصاحف التى تنتشر في الخارج ناشئا عن مصاحف صحيحة بعيدة عن أى خطأ ولذلك يقوم بمنح تصدير المصاحف الموثوق بها والتى تمت مراجعتها تحت اشراف القسم الى الخارج بالتعاون مع مديرى الجمارك . وقد تم في عام ١٩٦٣ تصدير ٢٧٦٫٦٢٣ مصحفا وجزءا الى ٢٨ دولة أجنبية هى : كينيا ـ السودان ـ الجزائر ـ غانا ـ تنجانيقا ـ مالى ـ المغرب ـ النيجر ـ ليبيا ـ سيراليون ـ ساحل العاج ـ فولتا العليا ـ موريتانيا ـ السنغال ـ الكنغو ـ اليمن ـ لبنان ـ البحرين ـ الأردن ـ المملكة السعودية ـ قطر باكستان ـ أندونيسيا ـ الهند ـ الفلبين ـ أمريكا ـ ألمانيا الغربية ـ كندا ..

ومع الاهتمام بالقران وطبعه ومنع تداول النسخ التى يكون فيها بعض الأخطاء وطلب مصادرتها . يقوم الأزهر بفحص الكتب الدينية الصادرة باللغة العربية وغير العربية فحصا دقيقا بلجان مكونة من علماء متخصصين في البحوث العلمية الدينية باللغات المختلفة قد تم حتى عام ١٩٦٣ م فحص أكثر من مائتى كتاب ومايقرب من خمسين مجلة باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية والأسبانية والتشيكوسلوفاكية والباكستانية . وقد قام هذا القسم باتخاذ اللازم نحو ايقاف توزيع ونشر ترجمة القرآن المحرفة في الخارج حتى لايساء فهم الاسلام وكذا الكتب التى تتحدث عن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام أو التى يكون الغرض منها تشويه حقائق التاريخ الاسلامى (١) ..

كما يقوم الأزهر بتوزيع المصحف الشريف وترجمة لمعانيه في الخارج نشرا للثقافة الاسلامية كما يوزع أمهات الكتب الاسلامية ويعمل على طبع كثير من الكتب الاسلامية ونشرها مجانا في جميع أنحاء العالم وترجمة مايصلح منها الى بعض اللغات الحية .

---

١) بيوت الله مساجد ومعاهد كتاب عدد ٧٥ ص ٨٣ .

٢ ـ انظر قائمة عن الكتب المصرح بتداولها التى لم يصرح بتداولها بعد فحصها في كتاب الازهر تاريخه وتطوره ص ٦١٠ ، ٦١١

تأثير الأزهر في الخارج

ويقوم الأزهر بامداد المعاهد الدينية في الخارج بالكتب الدراسية والمعامل والخرائط وكل ما يساعدها في القيام برسالة نشر الثقافة الاسلامية كمعاهد مقديشيو وبرعو وليبيا ولبنان والجزائر وغيرها .

ومن الكليات والمعاهد الاسلامية التى يراسلها الأزهر في الخارج ويمدها بمجموعات من الكتب الاسلامية في سنة ١٩٦٣ م ..

١ ـ الصومال : معهد الدراسات الاسلامية ـ معهد برعو الدينى ..

٢ ـ السودان : جامعة القاهرة فرع الخرطوم ـ معهد أم درمان الدينى ـ المعهد الدينى .. في حلفا ، المعهد الدينى في شجرة غردون ، المعهد الدينى في الملكال ـ المعهد الدينى في جوبا ـ مدرسة الأحفاد بأم درمان ..

٣ ـ لبنان : كلية المقاصد الاسلامية في صيدا ـ كلية التربية والتعليم بطرابلس ـ كلية المقاصد الاسلامية ببيروت ـ الكلية الشرعية ببيروت ـ كلية البر والاحسان ببيروت ..

٤ ـ سوريا : كلية الشريعة بدمشق ـ المعهد العربى الاسلامى بدمشق ـ معهد لأنصار الثانوى بدمشق ـ المعهد العربى الاسلامى بحمص ـ مدارس الجمعية المحسنية بدمشق ـ مدرسة ابن الخطاب بالقامشلى ـ مدرسة عمر بهاء الدين الأمير بحلب ..

٥ ـ السعودية : كلية الشريعة بمكة ـ كلية المعلمين بمكة ـ دار التوحيد بالطائف ـ المعهد العلمى السعودى بالمدينة ـ كلية الشريعة بالرياض ـ كلية اللغة العربية بالرياض ..

٦ ـ الملايو : الكلية الاسلامية العليا ـ الكلية الاسلامية في كوالا لمبور ..

٧ ـ الهند : كلية دار العلوم ـ ندون العلماء ـ المدرسة الاسلامية العالية ..

٨ ـ الباكستان : دار العلوم بكراتشى ـ دار العلوم مسجد نيوتان كراتشى ـ جامل اشرافية بلاهور ـ جامعة بنجاب بلاهور باكستان الغربية ـ جامعة بيتشاور بباكستان الغربية ـ جامعة كراتشى بباكستان الغربية ـ جامعة راجى شاهين ـ باكستان الشرقية ـ جامعة دكا ..

٩ ـ ليبيا : معهد البيضاء الدينى ـ القسم العالى ـ معهد القويرى ـ جامعة السنوسى .

١٠ ـ الكويت : مدرسة الشويخ الثانوية ـ المعهد الدينى ..

١١ ـ قطر : مدرسة الدوحة الثانوية ـ المعهد الدينى ..

١٢ ـ سيلان : كلية الزهراء .

١٣ ـ الفلبين : جمعية مسلمى الفلبين ـ جامعة كامل الاسلام .

١٤ ـ ارتيريا : معهد أسمرة الدينى .

١٥ ـ واشنطن : المركز الاسلامى ..

١٦ ـ لندن : المركز الاسلامى .

١٧ ـ أندونيسيا : جامعة شكرمنيتو بصولو ـ جامعة نهضة العلماء بصولو ـ كلية القضاء ـ الجامعة الحكومية الاسلامية ـ المركز الثقافى بجاكرتا ـ جامعة جد مادا ..

١٨ ـ أفغانستان : فاكولتى شرعيات ـ فاكولتى الحقوق ـ أدبيات كابل ـ اقتصاد كابل ـ صلاح الدين بدار الأمان كابل ـ فاكولتى دار العلوم العربية في كابل فخر لمدارس في هبراء ..

١٩ ـ العراق : الشريعة بجامعة بغداد ـ معهد الدراسات الاسلامية ببغداد ـ الثانوية الدينية ببغداد ـ مكتبة المعارف ببغداد ـ الحقوق بجامعة بغداد ـ الآداب ببغداد ـ التجارة ببغداد ـ مديرية الأوقاف العامة ـ كلية أصول الفقه بالنجف منتدى الفتر بالنجف ـ المدرسة العلمية الدينية بسامراء ـ مدرسة الامام الخالص بالكاظمية .

وبجانب هذه الكليات والمعاهد التى أرسل اليها الأزهر مجموعات من الكتب أرسل مجموعات أخرى الى بعض الهيئات في الخارج نذكر فيها على سبيل المثال . مجموعات الكتب لغينيا ومالى والسنغال . مصاحف وكتب دينية للمؤتمر الاسلامى بغانا مجموعة من الكتب الدينية لقنصل الجمهورية في واشنطن ، مصاحف بالفرنسية لوزارة الخارجية بالسنغال ـ مجموعة دينية باللغة الانجليزية لسفارة الجمهورية في لاجوس ، ١٢ مجموعة دينية لسفارة تونس ، مجموعة دينية لجامعة ميونخ ، مجموعة دينية ومجلة الأزهر لسفارة الجمهورية في هونج كونج ، ١٦ مجموعة من المصاحف والكتب الدينية للمسلمين في تايلاند ـ مجموعة كتب دينية بالانجليزية والعربية لجامعة بروكلين بنيويورك ـ مجموعة من الكتب الدينية والثقافية لرئيس اتحاد العلماء بالجمهورية الصومالية (١) .

كما تذكر لنا احصائية عن مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر سنة ١٩٨١ م بانه طبع ١٦٠ كتابا وبعضها ذو اجزاء تصل الى ثلاثة وأربعة أجزاء وقام بارسالها الى دول : السنغال ـ غانا ـ نيجيريا ـ أوغندا ـ ساحل العاج ـ جيبوتى ـ زنزبار ـ مالى ـ ليبيريا ـ يورندى ـ سيراليون ـ السودان ـ الجزائر ـ المغرب ـ الفلبين ـ الهند ـ باكستان ـ اسرائيل ـ سنغافورة ـ أندونيسيا ـ كوريا ـ ماليزيا ـ الأردن ـ ألمانيا الغربية ـ ايرلندا ـ اليونان ـ تركيا ـ انجلترا ـ السويد ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ البرازيل (٢) ..

وكما يؤثر الازهر في الخارج عن طريق ارسال الكتب والبحوث الدينية فانه يؤثر أيضا عن طريق مجلة الأزهر الشهرية التى أنشئت في ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م .. حيث بينت الأسس التى تسير عليها والتى أنشئت من أجلها . بألا تهاجم دينا بالطعن ولاتتعرض لرجال الأديان ولاتمس السياسة في شأن وقصارى هدفها أن تعمل على نشر آداب الاسلام واظهار حقائقه نقية من كل لبس مع كشف مايلصق بالدين من بدع أو أمور محدثة وأن تنبه المسلمين للأحاديث الموضوعة وترد على الشبه التى توجه الى الشريعة وكان اسم المجلة أولا نور الاسلام ثم غير اسمها الى مجلة الأزهر لاظهار أنها صوت الأزهر المدوى في أرجاء الأرض الحامل لآرائه المبين لمبادئه (٣) ..

كما يؤثر الازهر في الخارج عن طريق لجنة الفتوى التى أنشأها سنة ١٣٥٤ هـ ، ١٩٣٥ م مكونة من رئيس وأحد عشر عضوا لتسد حاجة المسلمين في الداخل والخارج الذين يرسلون الى الأزهر بأسئلتهم لمعرفة رأى الاسلام فيها ، فتقوم اللجنة بالاجابة

ـ انظر الازهر تاريخه وتطوره ص ٦١٤ ، ٦١٥

٢ ـ انظر احصائية عن مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية والدول التى أمدها بالكتب سنة ١٩٨١ م مأخوذة عن مراقبة الثقافة بمجمع البحوث الاسلامية .

٣ ـ الأزهر تاريخه وتطوره ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، بيوت الله مساجد ومعاهد ص ٨٥ دائرة المعارف الاسلامية ص ٢١٩

عليها مبينة رأى الشرع فيها وفقا لمذهب معين اذا طلب السائل ذلك أو وفق القواعد المستمدة من الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح اذا لم يقيدها السائل بمذهب خاص مع مراعاة ماهو أوفق بحال السائل (١) .

الدعامة الرابعة :

التأثير عن طريق مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر :

حيث يدعو الأزهر مختلف العلماء من أنحاء العالم الاسلامى لحضور مؤتمر المجمع حيث تلقى فيه البحوث في الموضوعات التى تهم العالم الاسلامى ويتناقش علماء المسلمين فيها ثم بعد ذلك يعـود هؤلاء العلماء الى بلادهم ولديهم حصيلة طيبة عما استقر عليه الرأى بالنسبة للمشكلات المعروضة حيث يقوم هؤلاء العلماء بتبليغ ما انتهى اليه المؤتمر الى أهالى البلاد القادمين منها مما يؤدى الى أن يصل تأثير الأزهر بأقصى سرعة الى المسلمين الموجودين في تلك البلاد وبما استقر عليه رأى مجموع علماء المسلمين واحيانا يدرس المؤتمر مشكلات المسلمين وقضاياهم ويحاول أن يجد لها الحل الأمثل أو يقدم الاقتراحات التى تحل مشكلات المسلمين في كافة أرجاء العالم .. ويتكون أعضاء المجمع الثابتين من عشرين عضوا من جمهورية مصر العربية وثمانية أعضاء من تونس والسودان ـ والعراق ـ ولبنان ـ وفلسطين ـ وماليزيا ـ والمغرب ..

أما مؤتمر المجمع فيدعى اليه وفود من خمسين دولة هى : اتحاد الامارات العربية ـ الأردن ـ أفغانستان ـ انجلترا ـ أندونيسيا ـ أوغندا ـ ايران ـ الباكستان ـ البحرين ـ بلجيكا ـ بنجلاديش ـ تركيا ـ تشاد ـ تنزانيا ـ توجو ـ تونس ـ الجزائر ـ جزر القمر ـ جزر الملاديف ـ روسيا ـ السعودية ـ السنغال ـ السودان ـ سوريا ـ سيراليون ـ سيريلانكا ـ الصومال ـ العراق ـ عمان ـ فرنسا ـ الفلبين ـ فلسطين ـ قبرص ـ قطر ـ الكويت ـ كينيا ـ لبنان ـ ليبيا ـ مالى ـ ماليزيا ـ المغرب ـ موريتانيا ـ النمسا ـ النيجر ـ نيجيريا ـ الهند ـ اليابان ـ اليمن ـ يوغسلافيا ـ اليونان بالاضافة الى المنظمة الاسلامية الأوربية ومنظمة المؤتمر الاسلامى بجدة ويبلغ عدد هذه الوفود ثمانين عضوا (٢) .

وقد عقد مؤتمر مجمع البحوث العديد من المؤتمرات ونوقشت في هذه المؤتمرات بحوث قيمة تهم العالم الاسلامى وتبين حقيقة الاسلام وقد طبعت هذه البحوث وترجمت الى اللغة الانجليزية وأرسلت الى كافة أنحاء العالم الاسلامى وكان لها تأثير كبير في توضيح حقيقة الاسلام .

وسيظل الأزهر ان شاء الله برعاية الله وحفظه مرفوع الأعلام شاهق المنارات يرسل شعاعه الوهاج ونوره الوضاء الى جميع أنحاء العالم بدعاماته الأربع .

١ ـ الوفود القادمة اليه ٢ ـ البعوث المتوجهة منه . ٣ ـ كلمته المطبوعة .. وفتاواه .

٤ ـ مؤتمراته العالمية التى تعقد فيه ..

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د . محمد محمد شتا زيتون

---

١ ـ الأزهر تاريخه وتطوره ص ٣٥٤ ، بيوت الله مساجد ومعاهد ص ٨٥ ، ٨٦ دائرة المعارف الاسلامية ص ٢١٩

٢ ـ انظر احصائية عن السكرتارية الفنية لمجمع البحوث الاسلامية .

الشعر

فى ظلال الحرم

فى ظلال الحرم

للدكتور حسن جاد

ياحمى الكعبة والبيت الحرامْ
لـك يأمّ الْـقُرَى مـنا الـسلامْ
قد دعانا الشوق يامهد الهدى
فأجـبناه ولـبـينا الـهيامْ
أَوْرِدِيــنَا الــكوثر الــعذب الذى
يَـنْـقَـعُ الْـغُـلّة فـيـنا والأوام
كـــم وردنا زمزما فى ظـــمأٍ
فَشَفَتْنَا مِن تباريح السّقام
واستلمنا الركن فانجابت لنا
كُرَبٌ كُـنَّا نـعانـيـها عـظام
لَـكَ يارب سـعـيْـنَا خُـشَّـعا
وإلى بيتك جئنا فى الزحام
وإلى الأرض الـتى بَارَكْـتَـهَا
نـمزع الـيوم بامالٍ جـسامْ
شَبَّ فيها الدين موهوب الخُطا
عـبقرى الـنور يـجتاح الـظلام
وسرى فى كـــل أرض رافـــعا
رايـــة المـــجد عزيزا لا يـــضام
رب رحماك فهل من صحوةٍ
فى صداها البعث للقوم النيام ؟
أرْجِـــعْ الـــعزة يارب لـــه
واحْمِهِ واكتب لنا حسن الختامْ

مع الفكر الغربي

■ تصويب وتعقيب
على مزاعم المستشرقين
حول الفكر الإسلامي

تصويب وتعقيب على :

(٢)

خامسا :

وهو أمر مهم جدا يجب أن يعيه دارس الفكر الانسانى وهو أن التأثير والتأثر لايناقضان الأصالة مطلقا لأن التأثير والتأثر بين الثقافات هو بمثابة الضرورة الثقافية ان صح التعبير ..

وبالتالى فأنه لا يقدح في فلسفية فلاسفة الاسلام تأثرهم بهذا المذهب أو ذاك من مذاهب فلاسفة اليونان ، بل ولايمنع من اعجابهم ببعضها أحيانا . بل أكثر من ذلك لا يمنع من اتباعهم لهم في أحيان أخرى وقد كانت أوجه التشابه بين أفكار بعض فلاسفة اليونان وبين بعض أفكار فلاسفة الاسلام تكأة اعتمد عليها المفكرون لأصالة الفكر الاسلامى فى هذا الانكار .

وهذا يجرنا تلقائيا الى بحث مسألة في غاية الأهمية بالنسبة لأصالة الفكر والحكم بها على فكر أو اخر . وهذه المسألة تتمثل في سؤال والاجابة عنه اجابة واقعية مستندة الى الحقائق التاريخية والفلسفية التى لايتأتى الشك فيها ..

هذا السؤال هو في الواقع مركب من عدة استفهامات مؤداها :

هل يمكن أن يتعايش التأثير والتأثر مع الحكم بالأصالة . لفكر ما ؟

وما معيار الأصالة الفكرية في أى فكر فلسفى ؟

هل تتمثل أصالة الفكر فى جدة اللبنات أو العناصر فى البناء الفكرى . تماما بحيث تكون كلها جديدة ليس فيها ما هو مستفاد من فكر آخر ؟

أم أن محل الأصالة هو في طريقة استعمال هذه اللبنات واستخدامها في تشكيل بناء فلسفى جديد بصرف النظر عن جدة اللبنات في نفسها ؟ .

ان بعض الاراء القيمة في معيار الأصالة ، الفكر لاتتردد في أن تحكم بأن العناصر أو اللبنات في حد ذاتها لم تكن ولن تكون يوما ما معقد الأصالة في أى بناء فكرى فلسفى ..

واختيار هذا الرأى في تفسير الأصالة ليس من قبيل التحكم . وذلك لأنه ضرورة كى يتسنى لنا العثور على فكر أصيل هنا أو هناك ..

ويرى بعض أنصار هذا الرأى أن مذهب ديكارت وهو من سمى بأبى الفلسفة الحديثة يخضع لذات القاعدة وأن المنهاج العام وطريقة تكييف العناصر هما محل الأصالة في فلسفة ديكارت (١) ..

وهذا التصور لقضية ،صالة الفكر ـ في رأيى ـ هو المدخل الصحيح لتقويم أى فكر تقويما موضوعيا ..

فحقيقة أن بعض العناصر أو اللبنات في

(١) أنظر كتاب « الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت » د / نظمى لوقا ص ١١ .

مزاعم المستشرقين

حول الفكر الإسلامي

للدكتور محمود عبد المعطى بركات

بناء فكرى معين قد يكون بعضها قديما أو معروفا أو سبق اليه .

ولكن البراعة العقلية في تنسيقها وحسن استخدامها وترتيبها ترتيبا معينا قد يعطى شكلا فكريا جديدا وبناء فلسفيا دقيقا متميزا ماكان يمكن لهذه العناصر ذاتها أن تؤديه لو ظلت في أوضاعها المنفصلة أو استخدمت بطريقة أخرى ..

ونحن ـ فيما أرى ـ مضطرون اضطرارا لا اختيار معه الى اعتبار هذا المعيار في قياس أصالة الفكر الانسانى عموما لا الاسلامى الفلسفى التقليدى خاصة . والا فاننا لو اعتبرنا أن معيار الأصالة الفكرية مداره على جدة اللبنات أو العناصر جدة كاملة بحيث تنشأ منعزلة ومقطوعة الصلة عما قبلها لعز علينا في طول تاريخ الفكر وعرضه أن نعثر على انسان يمكن أن نخلع عليه وصف الفيلسوف أو المفكر الأصيل ..

وهذا المقياس الهام في تقويم الفكر الفلسفى الاسلامى غفل أو تغافل عنه كثيرون ممن تناولوا الفكر الفلسفى الاسلامى بالدراسة والنقد فاتهموه زورا وبهتانا بأنه ترديد محض لفكر اليونان أو هو فكر يونانى .. خالص مكتوب بلغة عربية سواء كان هؤلاء مستشرقين أو مستغربين يرددون دعاوى المستشرقين بلاوعى ولافهم لسنة هامة من سنن الفكر الانسانى وهى ضرورة التأثير والتأثر. أو حتمية التلاحم بين الثقافات ..

وأنا بالطبع لا أرمى من تقرير مثل هذه القاعدة في قياس أصالة الفكر أو ترجيحها الى تقرير أن الفلسفة الاسلامية عند فلاسفة الاسلام ليست الا عبارة عن يد بناء حاذق تناولت لبنات اليونان بالتنسيق والتنظيم حتى تمخض جهدها في هذا السبيل عن هذا المزيج الذى يسمى فلسفة اسلامية ..

وانما الذى أرمى اليه هو التنبيه على هذه القاعدة باعتبارها مقياسا جيدا لها لاعتبار أصالة الفكر تدعو اليه الضرورة الفكرية والتاريخية واذا اتجهنا الى تحديد أصالة الفكر الفلسفى اليونانى الذى سارت بذكره ركبان المستشرقين والمستغربين لم نجد الا هذه القاعدة والا خرجنا به عن دائرة

مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامي

الفكر الأصيل وذلك أن الفكر اليونانى لم يخرج عن السنة العامة للفكر الانسانى وهى التأثر والاقتباس سواء كان ذلك تفاعلا للفكر اليونانى مع نفسه في عصوره المتلاحقة أو تفاعلا لهذا الفكر ذاته مع فكر يونانى مصرى أو شرقى ..

واذا كان قد قيل عن الفلسفة الاسلامية مثلا انها كانت بعثا لتراث اليونان الفلسفى لا ابتكار فيها . وهى دعوى مرفوضة بالدليل وقد تقدم لنا بعض نماذج الأصالة فيها ..

أقول اذا كان قد قيل في الفلسفة الاسلامية مثل ذلك فلنستمع الى نظيره في الفلسفة اليونانية ..

يقول جورج سارتون :

« ان من السذاجة أن نفترض أن العلم بدأ في بلاد الاغريق لأن الفكر الاغريقى سبقته جهود علمية عديدة في مصر وفي بلاد النهرين وكان العلم اليونانى احياء أكثر منه اختراعا » (١) ..

ثم ينعى الرجل على الغربيين جحودهم ذلك الدور الذى قامت به الأصول الشرقية في الفكر الاغريقى فيقول :

« وكفى الغربيين سوءا أنهم أخفوا الأصول الشرقية المصرية والبابلية تلك التى لم يكن التقدم الهلينى مستطاعا بدونها » (٢) ..

وهذا الكلام ليس مجرد كلام مرسل وانما يؤيده الواقع التاريخى فالفيلسوف اليونانى « طاليس » الذى قيل عنه أنه اول من تفلسف سافر الى مصر واستفاد من علمائها وقاس ارتفاع أهراماتها بل ان بعض المؤلفين الغربيين ينسب العناصر الأربعة عن طاليس الى المصريين . وأن طاليس ذهب الى ضفاف النيل للبحث عنها ثم فيثاغورث (٣) .

واذا كان هذا التأثر والتأثير بالنسبة لفلاسفة اليونان الأولين فان أمر كبار فلاسفتهم كأفلاطون وأرسطو لايخرجان عن القاعدة التى ارتضيناها في تقويم الفكر. فأفلاطون فيلسوف اليونان الشهير تحدث كثيرون عن مصادر فلسفته كما يقول أحد المفكرين (٤) .. وعن العناصر التى استمدها من سابقيه ومعاصريه كما تحدثوا عن مهارته الفائقة وعن ذوقه السامى في الانتقاء والتأليف واحكام المزج وعن القدرة العظيمة على بناء مذهب متماسك امتد تأثيره ردحا طويلا من الزمن ..

ولكن معظمهم يكادون يجمعون على أن أصالة أفلاطون انما ترجع فى الحقيقة الى نظرية المثل ولذلك يقرن اسمه بها دائما (٢) هكذا تنحصر أصالة أفلاطون فى المثل كما يقول أو كما يحكى مفكرنا ولكن حتى نظرية المثل هذه التى ذاع بسببها صيت

(١) الفلسفة اليونانية أصولها وتطورها تأليف البير ريفو استاذ الفلسفة بجامعة باريس ترجمة د / عبد الحليم محمود ، د / أبو بكر ذكرى ص ٤١ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٢ .

(٣) الفلسفة فى الشرق تأليف بون ماسون أورسيل ترجمة د / محمد يوسف موسى ص ٥٥ .

١ ـ د . محمد كمال جعفر . فى الفلسفة والاخلاق ص ٩٢

٢ ـ نفس المصدر ص ٩٢

ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه

أفلاطون . لها أصولها الشرقية ولها سوابقها فى الشرق القديم .

ورد نظرية المثل الأفلاطونية الى أصول غير أفلاطونية ليس وليد نظرة حديثة فى البحث مثلا . وانما هو قديم جدا .

فأرسطو نفسه وقد جاء بعد أفلاطون يتناول معقد الأصالة والابتكار المزعوم عند أستاذه أعنى نظرية « المثل » يتناولها بالتحليل على صورة يبدو معها أفلاطون وكأنه مجرد يد بارعة لبناء حاذق ينتقى اللبنة تلو الأخرى من هنا أو هناك حتى تتشكل عن ذلك نظرية المثل .

فأرسطو يرد نظرية المثل الأفلاطونية هذه الى مصادر ثلاثة فأفلاطون كما يرى أرسطو ـ قد أخذ من الايليين فكرة الوجود المطلق وطبقها على المثل . وأخذ من هيرقليطس فكرة التغير المطلق وطبقها على الأشياء المحسة . ثم أخذ من سقراط نظرية المدركات العقلية » (١)

وقد كثر الحديث عن الأصل الشرقى لنظرية المثل . ولا نطيل الحديث بذكره دائما نحيل اليه فى مواضعة (٢)

واذا كان أمر هؤلاء على هذا النحو فاننا أيضا اذا اعتبرنا ان العناصر اللبنات هى مدار الأصالة ومعقد الابتكار أمكننا أن نزحزح المعلم الأول « أرسطو » عن عرش المنطق اليونانى فبالرغم من أن هذا المنطق قد ارتبط باسمه . حتى قيل : المنطق الأرسطى . الا أن يد أرسطو كانت فعالة فى مفاهيم سقراط العامة وتعريفاته كذلك . ومن هنا فان أدق تعبير عن صلة أرسطو بالمنطق هو القول بأنه هذب قواعده لأنه ابتكره ابتكارا كليا فبعض مباحثه كانت موجودة بشكل أو بآخر فى الشرق القديم (١)

وهذه كلها مجرد نماذج أعطيناها على سبيل المثال لا الحصر .

واذا غادرنا ساحة الفكر اليونانى القديم الى ساحة الفكر الغربى الحديث وهو الذى خرجت من صفوفه دعاوى الاتهام وتجريديه الفكر الاسلامى الفلسفى من أصالته بدعوى التأثير أو التأثر . وجدناه لا يشذ عن قاعدة

---

٢ ـ راجع فى ذلك قصة الفلسفة اليونانية د . زكى نجيب محمود ود . أحمد أمين ص ١٦٠

٢ ـ راجع على سبيل المثال الفلسفة لاورسيل ص ٥٩ وراجع كذلك الفلسفة الشرقية ومحمد غلاب ص ١٧٨

٣ ـ راجع الفلسفة الشرقية ود . محمد غلاب

مزاعم المستشرقين

حول الفكر الإسلامى

الفكر الانسانى . وقد مضى لنا حديث عن لبنات ديكارث . وأحسب أن مقارنة منهج ديكارت فيما يتعلق بشكة المنهجى بمنهج الغزالى أبى حامد تعطى أنه استخدم مذهب الشك الغزالى فى أكثر من خطوة وأكثر من اتجاه حتى أنه ليبدو فى الدرجات الأولى متسلقا على درجات سُلّم أحكمتها يد الامام الغزالى .

ولنغادر ديكارت الى « كانت » فيلسوف ألمانيا فنجد فلسفته النقدية تأليفا بين مذهب الحس ومذهب العقل من المذاهب التى تحدثت عن نظرية المعرفة هناك .

علاوة على المشابهة بينه وبين الغزالى فى نقده للميتافيزيقا العقلية بوجه عام .

وقيل كلام كثير عن تاثر سبينوزا بابن عربى . وكذلك « دانتى » فى كوميدياه الالهية بقصة الاسراء والمعراج وكذلك رسالة الغفران للمعرى .

هذه هى سنة الفكر الانسانى من قديمه الى متوسطه الى حديثه . نلفت اليها نظر كل من يريد طعن الفكر الاسلامى بحجة التأثير والتأثر وحقيقة ان المرأ ليتساءل بحق :

اذا كان هذا هو حال فلاسفة الدنيا وفلسفتها قديما وحديثا فما بال المتعصبين ضد الفكر الاسلامى الفلسفى ينكرون أصالته بل وجوده الحقيقى بناء على ما بدأ فيه من بعض نواحى التأثير والتأثر أو حتى الاقتباس ؟

انها المغالطة . ومحاولة طمس الحقائق العلمية والتاريخية من منطلق التعصب ليس الا أنه بعد هذا التحليل يجب أن نقرر فى اطمئنان أنه من منطلق العدل يجب نفى صفة الفيلسوف الحقيقى أو الأصيل عن كل فلاسفة الدنيا تقريبا اذا كانت الأصالة تتمثل فى الجدة الكاملة والاختراع التام لكل عناصر بناء المذهب الفلسفى .

واذا اراد هؤلاء المتعصبون من المستشرقين أن يخرجوا الفكر الفلسفى الاسلامى عن أن يكون فكرا أصيلا . وفلاسفة الاسلام عن أن يكونوا فلاسفة حقيقيين لمجرد التأثير والتأثر .

فعليهم أن يخرجوا الفلسفة اليونانية بل وغيرها ايضا عن أن تكون فلسفة حقيقية لذات السبب .

وعليهم أن يخرجوا أفلاطون وأرسطو وفلاسفة أوربا الحديثة من ميدان الفلاسفة ومن مفهوم الفيلسوف قبل أن يخرجوا مثل الفارابى وابن سينا وابن رشد وغيرهم .

والذين يتطلبون فى الفلسفة الاسلامية مذاهب فلسفية جديدة فى لبناتها وفى هيئتها كل الجدة بحيث لا يكون فيها

عنصر التأليف أو التأثير يطلبون مالا يجدون لأنهم واهمون وهم فى واقع الامر متعسفون . ولو حملوا مفهومهم الذى ارتضوه للاصالة على أكفهم وطافوا به فى أنحاء الأرض وفى جوف التاريخ يبحثون عن أفراد لهذا المفهوم وحالات يتحقق فيها ولو طافوا به على فلاسفة الدنيا قدماء ومحدثين ليطبقوه عليهم لرجعوا بخفى حنين خائبى الرجاء يهتفون من الأعماق . اللهم لا فلسفة ولا فلاسفة . وهو أمر غير معقول .

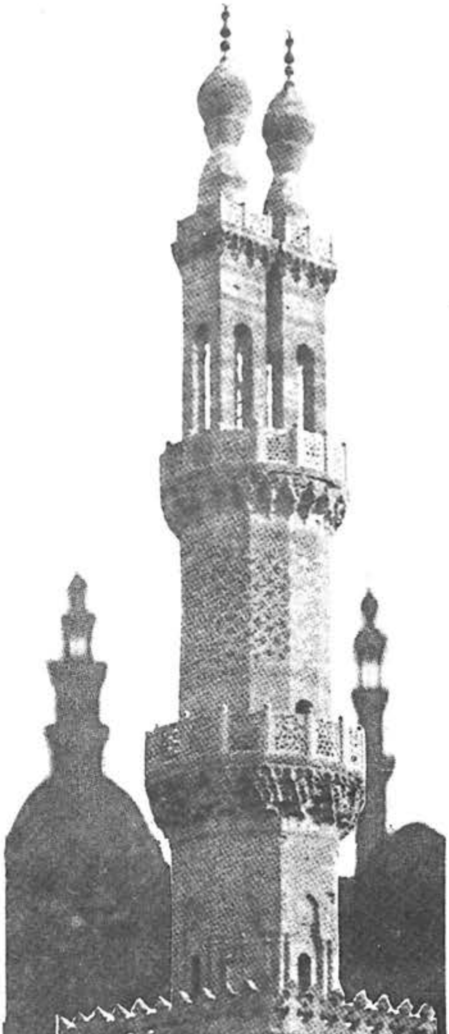

اذن لا مناص لنا من الالتجاء الى ما اخترناه فى مقياس معيار الأصالة على ما سبق واعتباره المدخل الصحيح لتقويم الفكر الانسانى

والله أعلم بالصواب

الدكتور
محمود عبد المعطى بركات

طرائف

من أسماء مكة

بكة موضع البيت وما سوى ذلك مكة ، وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة : مكة ، بكة ، البيت العتيق ، البيت الحرام ، البلد الأمين ، والمأمون ، وأم رحم وأم القرى .

أول من بنى الكعبة

قيل : الملائكة .. روى عن أبى جعفر الباقر .. رضى الله عنه ـ ذكره القرطبى وفيه غرابة .

قيل ادم : على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام رواه عبد الرزاق عن ابن جريح عن عطاء وسعيد بن المسيب .. غريب أيضا .

قيل شيث : على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .. عن ابن عباس وكعب الاحبار وقتادة وعن وهب بن منبه .

قال ابن كثير : وغالب من يذكر هذا انما يأخذه من كتب أهل الكتاب وهى مما لا يصدق ولا يكذب ، ولايعتمد عليها بمجردها ، وأما اذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين .

إتخذوا من مقام ابراهيم مصلى

المراد بالمقام انما هو الحجر الذى كان ابراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه اسماعيل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام به ليقوم فوقه . وكلما كَمَّلَ ناحية انتقل الى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه حتى أتم بناء جدران الكعبة .

وكان المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما الى جانب الباب مما يلى الحجر وكان الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت وضعه الى جدار الكعبة . أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك .

ولهذا ـ والله أعلم ـ أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف وناسب أن يكون عند مقام ابراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه .

وانما أخره عن جدار الكعبة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه : أحد الأئمة المهديين ، والخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم ، وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا باللذين من بعدى : أبى بكر وعمر » وهو الذى نزل القران بوفاقه في الصلاة عنده ، ولهذا لم ينكر أحد من الصحابة ـ رضى الله عنهم أجمعين .

عن ابن كثير بتصرف

ومواقف

للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الحجر الأسود

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « نزل الحجر الأسود من الجنة ، وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى ادم »
قال الترمذى : حديث ابن عباس حديث حسن صحيح وقال ـ أيضا ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحجر « والله ليبعثنه الله يوم القيامة ، له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق » .
قال الترمذي : هذا حديث حسن

حج الأنبياء

عن داود بن أبى هند عن أبى العالية عن ابن عباس قال : كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين مكة والمدينة ، فمررنا بواد ، فقال : أيُّ وَادٍ هذا ؟ قالوا وادى الأزرق . قال : كأنى أنظر الى موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (فذكر من طول شعره شيئا لا يحفظه داود) واضعا إصبعيه في أذنيه له جُؤَارٌ إلى الله بالتنبية مارا بهذ الوادى .
قال : ثم سِرْنا حتى أتينا على ثِنِيَّةٍ (١) ، فقال : أى ثنية هذه ؟ قالوا : ثنية هَرْشَى أو لفت (٢) قال : كأنى انظر الى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف وخطام ناقته خلبة (٣) مارا بهذا الوادى ملبيا
سنن ابن ماجه .

(١) ثنية هَرْشَىَ : جبل على طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة .
(٢) لفت : ثنية جبل قديد بين الحرمين .
(٣) خلبة : الليف والحبل الصلب الرقيق .

هل تعلم

أن أول ما يرفع من آثار الجنة من وجه الأرض الركن لأنه خرج من الجنة .
● وأن أول من بنى القباب حول حرم لمسجد الحرام السلطان مردخان العثمانى .
● وأن أول من عمل الرخام على زمزم وفرش ارضها بالمرمر أبو جعفر المنصور

دعاء

(ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد

مجلة الأزهر
من خمسين عاما

من التراث

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

الدهاء والاستقامة

للشيخ محمد الخضر حسين

عرض وتقديم الأستاذ أحمد حسن جابر رجب

أس الفضائل ، وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالي للدين أصلا وللدنيا عمادا فأوجب التكليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم ، وتباين أغراضهم ومقاصدهم ، وجعل ماتعبدهم به قسمين : قسما وجب بالعقل فوكده الشرع ، وقسما جاز في العقل فأوجبه الشرع فكان له عمادا .

وبالعقل تُعْرَفُ حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسيئات ومن مظاهر العقل فرط الذكاء ، وحسن الفطنة وينتج عنهما جودة الحدس وصدقه .

وأفضل الناس أعقلهم ، ومن أطاع هواه أعطي عدوه مناه ، لأن من عدوك من يعمل في هلاكك . ومنهم من يعمل في مصالحتك ومن يعمل في البعد منك فاعرفهم على منازلهم واعلم أنه أعظم لخطرك ان يري عدوك أنك لاتتخذه عدوا ، فان ذلك غِرَّةٌ له

الدهـــاء والاستقامة

وسبيل لك الي القدرة عليه فان قدرت واستطعت اغتفار العداوة ، عن أن تكافيء بها فهنالك استكملت عظيم الخطر . وان كنت مكافئا بالعداوة والضرر ، فاياك أن تكافيء عداوة السر بعداوة العلانية وعدواة الخاصة بعدواة العامة فان ذلك هو الظلم والاعتداء . وذلك ليس من الدهاء المستقيم ، ولتعلم مع ذلك أنه ليس كل العداوة والضرر يكافأ بمثله فالخيانة لاتكافأ بالخيانة ، والسرقة لاتكافأ بالسرقة وفضل الفعل علي القول زينة وفضل القول علي الفعل هجنه وان احكام هذه الخلة من غرائب الخلال . وعلي العاقل أن يتعلم حسن الاستماع كما يتعلم حسن الكلام . ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتي ينقضي حديثه ، وقله التلفت الي الجواب ، والاقبال بالوجه والنظر الي المتكلم ، والوعي لما يقول . قال تعالي

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » ق ٣٧ .

وصيانة القول خير من سوء وصفه . فأحزن عقلك وكلامك الا عند اصابة الموضع فانه ليس في كل حين يحسن كل صواب . وتمام اصابة الرأي في القول باصابة موضعه فان أخطأك ذلك أ دخلت المحنة علي عقلك ولسانك ، ووطن نفسك علي أن يعرف العلماء حين تجالسهم أنك علي أن تسمع أحرص منك علي أن تقول ولا تخلطن بالجد هزلا ، ولا بالهزل جدا ، فانك ان خلطت بالجد هزلا سخفته وان خلطت بالهزل جدا كدرته .

وهذا مجمل ما أشار اليه الشيخ في كلمته بعنوانها المقدم فقال :

خصلتان يبلغ بهما الرجل أن يكون عظيما ، وحق لمن استولى على الأمد الأقصى منهما أن يكون زعيما : هما بعد النظر في استكشاف غوامض الأمور وذلك مانسميه الدهاء أو الكياسة ، والسير في سبيل الرشد بقلب سليم وذلك ما نسميه الاستقامة أو التقوي ، ولانقصد في هذا المقام الي الحديث عن بعد النظر في ادراك العويص من مباحث العلوم ، وانما نقصد الي الحديث عن الدهاء من ناحية تقدير وسائل النفع والضرر ، أو من حيث شعور صاحبه بما يحمل من ضغن أو ينصب له من كيد .

يقارن الدهاء الاستقامة فيصرف فى تدبير الوسائل التى تكفي شرا مقبلا أو تجلب خيرا متعسرا ، ويقارن زيغ العقيدة أو لؤم الطبيعة فيندفع بصاحبه فى شعاب الباطل ، ويكون نصيبه من الافساد فى الأرض فوق نصيب الغباوة اذ يزيد عليها أن يبتكر للشر فنونا غير معروفة ، ويلبس الباطل ثوب الحق ، ويخرج المفسدة فى لون المصلحة ، فاذا لم تجد الحقائق أو المصالح دهاء يمحق دهاء المبطلين أو المفسدين عمى على العامة أمرها وظهرت الضلالة والسفاهة مكانها .

ولكثرة ما يصاحب الدهاء من المكر والنزوع الى الشر توهم بعض العامة أنه لا يجتمع مع سلامة الضمير والحرص على فعل الخير ، فتراهم يعدون غفلة الرجل عما ينطوى عليه الحديث من مغامر ، وما يراد به من مكايد ـ أثر صلاحة وطيب سريرته ، وكاد بعض الكاتبين على حديث

« لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » يحوم حول هذا الوهم اذ حمل الحديث على عدم الانخداع فى الدين بأن يصدق الكاذب الذى ظهر له كذبه مرة ثانية ثم قال: « وأما الانخداع فى أمور الدنيا بناء على قلة التفاته اليها وعدم اهتمامه بها فهو ممدوح مطلوب » والحق أن الغفلة من نواحى الشر دينية أو دنيوية لا تدخل فى سلك الكمال، ولا تستدعى مدحا، وانما الكمال فى اليقظة والكياسة، والقصد من الحديث الشريف تحذير المؤمن من أن يكون مغفلا وارشاده الى استعمال الفطنة فى شئونه دينية أو دنيوية، واذا كان الحديث مسوقا للأخبار عن حال المؤمن فانما يريد المؤمن الكامل وهو الذى يستنير بالحكمة ويعتبر بالحوادث فتصفو بصيرته ويهدى الى غوامض الأمور، حتى يكون حذرا مما سيقع، واذا أخذته الغفلة مرة فنكب من ناحية كانت نكبته من هذه الناحية هى الأولى وهى الأخرة ويوافق هذا قول عمر بن الخطاب: « لست بخب والخب لا يخدعنى »، وأما المؤمن الذى يكون حظه من الحكمة والاعتبار نجسا فقد يلدغ من الحجر الواحد مرتين أو مرارا.

ولا يعارض هذا الحديث « المؤمن غِـرٌّ كريم والفاجر خب لئيم » فقد تكلم الحفاظ فى مسنده حتى ذهب بعضهم الى أنه موضوع وهو بقطع النظر عن سنده قد وقع لفظ الغر فيه مقابلا للفظ الخب الذى هو الجريز أى الخداع، فيكون المراد من الغرارة غفلته عن الشر، فان كريم الأخلاق طيب السريرة لا يبحث عن الشر بحث من يريد التوغل فى طرقه والخوض فى غماره، وهو مع كونه لا يبحث عن هذه الطرق بحث المولع بها يأخذ بسنة الاحتراس فلا ينخدع لخب يزخرف له القول مداهنة أو ينصب فى طريقه حباله، فغفلة الرجل عن وسائل الشر لانصرافه الى الخير بشرأشر لا تنقص من كياسته فى تدبير وسائل الخير أو الاحتراز عما يهيأ له أو لقومه من الشر، فلا يصح أن يكون الايمان الذى هو أساس استنارة الفكر سبب الانخداع لتمويه مبطل أو مخاتلة ذى مأرب ..

نجد فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ما يرشدنا الى أن السياسة الاسلامية لا ينهض بها المستقيم الا أن يكون أريبا ولا الأريب الا أن يكون مستقيما ..

فرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان محفوفا به من رعاية الله وتأييده لم يترك أمر السياسة الحربية أو المدنية دون أن يجريه على سنة التدبير والاحتراس من أمور يتبعها فى العادة عواقب سيئة، فمما تقرؤه فى سيرته الزاهرة أنه اذا قصد السفر لحرب قوم أخذ يسأل عن ناحية قوم اخرين حتى يظن السامع أنه ينوى السفر الى الناحية التى يسأل عنها، ونقرأ فيها أنه كتب لأمير سرية كتابا وقال له: « لاتقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وفيه ذكر الناحية التى أمرهم بالتوجه اليها، ومن مثل هذا أخذ يحيي بن أكتم قوله فى حديث مع المأمون « لا يستقيم كتمان شىء باذاعة غيره ».

ــ ومن بديع سياسته صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية، فقد خفي على بعض كبار الصحابة حكمته فلم يرتح له، ولكنه أتى بخير كثير اذ كان توطئة لفتح مكة دون أن تراق فيه دماء طاهرة أو تقصم فيه ظهور

الدهـــاء و الاســتقامــة

انحنت بعد الفتح راكعة لله ، وخرج منها رجال جاهدوا فى الحق بحماسة واخلاص ، وكان صلوات الله عليه مع ما يجده فى الناس من حسن الطاعة والتسليم ، قد يستحسن الأمر ويدعه حذرا من أن يلاقيه بعضهم بانكار ، فانظروا الى ما جاء فى الصحيح من أنه عليه الصلاة والسلام استحسن نقض البيت وبناءه على أساس ابراهيم ، وانما تركه مخافة أن تنكره قلوب من كانوا حديثي عهد با لجاهلية من قريش ، وانما يراعى عليه الصلاة والسلام انكار الناس فيما لم ينزل به وحى ولم تقتض حاله أن يكون شرعا نافذا ..

واذا قال ابن خلدون فى الحديث عن العرب (أنهم أبعد الأمم عن السياسة) فانما يريد العرب قبل أن يستضيئوا بحكمة الاسلام أما بعد أن نزل القران وشاهدوا سيرة أحكم الخليقة صلوات الله وسلامه عليه فقد كان نصيبهم من البراعة فى السياسة فوق كل نصيب ..

تقرأ فى تاريخ فتح الفرس أن سعد بن أبى وقاص أرسل المغيرة بن شعبة الى رستم القائد الفارسى ، فأقبل حتى جلس معه على سريره فوثب اليه أتباع رستم وأنزلوه من السرير فقال المغيرة : (انا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضا فظننت أنكم تتواسون كما نتواسى وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض ، اليوم علمت أنكم مغلوبون وان ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول) ، قصد المغيرة بما صنع وما قال تعليم القوم المساواة التى جاء بها الاسلام ليألفوه واشعارهم بأنهم يعيشون تحت راية تلك الدولة عيش المستعبدين ليجنى من وراء هذا سقوط مكانتها من أنفسهم فلا يدافعوا عنها من صميم أفئدتهم ..

لا يستغنى رؤساء الشعوب عن الدهاء فى السياسة وأشدهم حاجة الى تدابيره الغامضة رئيس قبض على زمام طوائف اختلفت أهواؤهم سبلا ، وتفرقت أراؤهم مذاهب ، فاذا رأينا السياسة فى عهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما تسير على مناهج من العدل واضحة فلأن الرئيس عادل ومعظم الأمة على سبيل من الهداية لا تختلف ، وما استقام الأمر لمعاوية مع ما خالط الأمة يومئذ من التفرق فى الاراء الا لأنه كان يسلك فى السياسة مسالك خفية ، ويركب لها من الطرق الوعرة ما لم يركبه الخلفاء من قبله ، ومعاوية هو الذى يقول : (لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال كنت إذا مدوها أرخيتها واذا أرخوها مددتها .. ومن أساليب الدهاة فى اضعاف الجماعة التى تناوىء سلطانهم أن يغروا بين كبرائها العداوة فتنقصم رابطتهم وتشتد الخصومة فيما بينهم وهو مسلك قد يضطر اليه المصلحون فى تفريق الجماعة التى تتحالف على ما لا خير فيه ، ومن هذا القبيل ما فعله نعيم بن مسعود رضي الله عنه حين تحالفت قريش وغطفان وبنوقريظة على حرب النبي صلى الله عليه وسلم فى واقعة الأحزاب ، اذا القي بينهم ما تقطع به حبل اجتماعهم على الباطل فانصرفوا خائبين .

وقد يعمل الطامع فى الأمة الغافلة على

هذا المسلك حذرا من ان يتنبه شعورها ، فتجمع أمرها وتوجه اليه قوتها ، فمن واجب الأمة التى يربطها دين أو مصالح وطنية أن تؤكد اواصر الاخاء بينها ، وتجعل المصلحة العامة نصب أعينها وتوجه ما تستطيع من قوة الى من يريد القضاء على دينها ، أو الاستئثار بمنافع بلادها ، لما تحفز الملك « الاذفونش » للهجوم على بلاد الأندلس عقد كبراؤها مؤتمرا للنظر فى دفاعه وقرروا الاستنجاد بسلطان مراكش « يوسف ابن تاشفين» ولما أبدى بعضهم التخوف من أن ينقذ هذا السلطان البلاد من الأذفونش ثم يضع عليها يده قال له المعتمد بن عباد (لأن يرعى أبناؤنا الجمال خير من أن يرعو الخنازير .

ومن أساليب الدهاة فى القديم أن يسوموا الجماعة الناشزة بايدى رجال منهم قال عياد ابن زياد يصف زيادا لعبد الملك ابن مروان: (قدم العراق وهى جمرة تشتعل فسل أحقادهم وداوى ادواءهم وضبط أهل العراق بأهل العراق)وهوأسلوب بعيدالشأو ظاهر الامر قد ياخذ به ذو السياسة الرشيدة لزيادة تأليف القوم وتأكيد الاخلاص فى نفوسهم .

دلت السيرة النبوية على هذا الضرب من السياسة ، ومن شواهده ترتيبه عليه الصلاة والسلام الجيش يوم فتح مكة اذ نظمه على حسب القبائل وجعل على رأس كل قبيلة واحدا من سراتها ، وعلامة كون السياسة رشيدة أن يوضع أمر القوم فى يد من ينصح لهم ، ويرعى مصالحهم ويعمل لسعادتهم ومما يتخذه الدهاة فى وسائل أخذ القوم الى جانبهم بذل شىء من المال الى ذوى النفوذ من رجالهم وهذا أحد الوسائل التى استطاع بها معاوية رضى الله عنه أن يقف تجاه على كرم الله وجهه ، ويأخذ منه شطر الخلافة على ما كان لعلى من المكانة الراجحة فى العلم والبيان والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذل النفس فى الجهاد وبلوغه فى تقوى القلب أبعد غاية .

وهذه الوسيلة قررها الاسلام فى سياسة الدعوة اليه فأذن فى صرف جانب من الزكاة لأناس قالوا : أسلمنا ، تأليفا لقلوبهم ، واستدعاء لاطمئنان عقيدتهم كما قال تعالى فى اية مصارف الزكاة (والمؤلفة قلوبهم) .

لا يعتمد رئيس القوم على القوة يستطيع ان يخمد بها كل فتنة ويرى أنه فى غير حاجة الى ان ينظر فى منابت الفتن بدهاء ، فللدهاء مواضع يظهر فيها فضله على القوة :

منها دفع الخطر الذى يتراءى شبحه من بعيد بحيث لا يشعر به الا البصير بما وراء الخير من شرور فقد يكون استعمال القوة فى الشر المتوارى موضع انكار أو مثار فتنة ، اما الدهاء فيرده والنفوس مطمئنة والفتن نائمة .

ويحتاج الحاكم الى الدهاء فى استبانة الحقوق حيث ترفع اليه الدعاوى مجردة من كل بينة ، وفى مثل هذه الدعاوى يظهر مبلغ ذكاء القاضى كما يظهر فضله فى نقد البينات وتمييز زائفها من صحيحها ، ومن دهاء المنصور بن أبى عامر : أن أحد التجار قدم قرطبة ومعه كيس فيه ياقوت نفيس فتجرد ليسبح فى البحر وترك الكيس على ثيابه وكان أحمر فخطفته حدأة فى مخالبها وتغلغلت به فى البساتين ، فأبلغ أمره الى ابن أبى عامر فجعل يستدعى أصحاب البساتين ويسأل العاملين فيها عمن ظهر عليه تغيير حال من بؤس الى سعة

الدهـــاء والاستقامة

حتى ذكر له شخص ظهر عليه من اليسر ما لم يعرف به من قبل ، فاستدعاه وفاجأه يقول أحضر الكيس الأحمر فتملكه الرعب وجاء به وقد نقص منه ما عفا له عنه .

يحتاج الولاة الى الدهاء فى سياسة الجماعات واستبانه الحقوق ، ويحتاج اليه العلماء فى الدعوة الى الخير ، فقد تكون مواجهة الرجل بالأمر بالمعروف أو النهى عن المنكر لا تأتى بفائدة ، فيعدل الداعى الى طريق يكون له الأثر المقصود من الدعوة وهو السمع والامتثال ..

عزم المعتصم على قتل محمد بن الجهم البرمكى لجولان يده فى مال الدولة فرأى القاضى أحمد بن دواد هذا التصميم وعرف أن الموعظة أو الشفاعة لا تحول دون هذا القتل فسلك لانقاذ محمد بن الجهم طريقا أخر هو أن قال للمعتصم : وكيف تأخذ ماله اذا قتلته ؟ قال : ومن يحول بينى وبينه ؟ قال : يأبى الله تعالى ذلك ويأباه رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويأباه عدل أمير المؤمنين ، فان المال للوارث اذا قتلته حتى تقيم البينة على ما فعله وأمره باستخراج ما اختانه وهو حى أقرب عليك فرجع المعتصم عن عزمه وخلص محمد بن الجهم من القتل .

وينتفع الرجل من دهائه عند لقاء الطبقات المختلفة ، يزن عقول من يلاقونه ، ويحس ما تكن صدورهم وتنزع اليه نفوسهم ، فيصاحب الناس ويشهد مجالسهم وهو على بصيرة مما وراء ألسنتهم من عقول ، وسرائر وعواطف ، فتيسر له أن يسايرهم الا أن ينحرفوا عن الرشد ويتحامى ما يؤلمهم الا أن يتألموا من صوت الحق ، ومراعاة عقول الناس وطباعهم ، ونزعاتهم فيما لا يقعد حقا ولا يقيم باطلا مظهر من مظاهر الانسانية المهذبة ، ومتى كان الدهاء ـ أعنى جودة النظر فى سياسة الأمور وتقدير وسائل الخير ـ عائدا الى الالمعية وهى فى أصلها موهبة الهية ، فان التدبر فى سير أعاظم الرجال والنظر فى مجارى الحوادث باعتبار مما تقوى بهما خصلة الدهاء ، فمن حق الملقى اليهم بتربية النشء من أوليائهم ومعلميهم أن يصرفوا العناية الى تغذيتهم بالحديث عن دهاة الرجال وتنبيههم لما دبروه من وسائل يبتغون بها اصلاحا أو شرفا .

ومن حقهم أن يلاحظوا الحوادث التى تظهر من ناحية عرفت بالدهاء فيكشفوا غطاءها ويقفوهم على بطائنها ، ذلك لأننا نريد أن نعد للمستقبل ناشئة تستقيم على هدى الله ، وتخوض لحجج الحياة بكياسة تبصر بها مواقع الشر والخير فتسعى الى أن يكون الشر بعيدا منها والخير طوع أيديها .

وعلى قدر ما يكون فى دعاة الشعب وقادته من دهاء وتقوى ، يبعد فى سبيل الشرف شأوه ، وتثبت فى مواقف الجهاد قدمه ، ويرقى فى السماء ذكره ، والذكر الذى تحوطه التقوى ويحرسه الدهاء لا يخفت صوته ان شاء الله .

نور الاسلام (مجلة الازهر) الجزء التاسع رمضان سنة ١٣٤٩ هـ .

تاريخ مدينة دمشق

لابن عساكر(1)

تقديم الأستاذ محمد عميره على
مدير مكتبة الأزهر -

من تواريخ دمشق - أعظمها تاريخ الامام الحافظ أبى الحسن على بن هبة الله أبو القاسم ، ثقة الدين بن عساكر الدمشقى المؤرخ الرحالة . كان محدث الديار الشامية . ورفيق السرجانى (صاحب الانساب) فى رحلاته . ولد فى دمشق سنة ٤٩٩ هـ (سنة ١١٠٥ م) وتوفى بها سنة ٥٧١ هـ (سنة ١١٧٦ م) له « تاريخ دمشق الكبير » يعرف بتاريخ ابن عساكر . اختصره الشيخ عبد القادر بدران بحذف الأسانيد والمكررات وسمى المختصر « تهذيب تاريخ ابن عساكر » سبعة أجزاء منه . ولا تزال بقية التهذيب مخطوطة وباشر المجمع العلمى العربى بدمشق نشر الأصل فطبع منه المجلد الأول ونصف الثانى . ولابن عساكر كتب أخرى كثيرة منها « الاشراف على معرفة الأطراف » فى الحديث ثلاثة مجلدات . و « تبين كذب المغترى فى ما نسب الى أبى الحسن الأشعرى » كشف المغطى فى فضل الموطأ » « تبيين الامتنان فى الأمر بالاختتان » و « أربعون حديثا من أربعين شيخا من أربعين مدينة » و « تاريخ المزة » و « معجم الصحابة(2) » الخ .

١ - الكتاب رقم خاص ٧١٤ عام ١٠٦٧٠ مكتبة الازهر علم التاريخ

٢ - الاعلام للزركلى جـ ٥ ص ٩٢

تاريخ مدينة دمشق

قال صاحب كشف الظنون (١) أن كتاب تاريخ دمشق للمؤلف فى نحو ثمانين مجلدا ذكر تراجم الأعيان والرواة ومروياتهم على نسق تاريخ بغداد للخطيب لكنه أعظم منه حجما . قال ابن خلكان قال لى شيخنا الحافظ زكى الدين عبد العظيم وقد جرى ذكر هذا التاريخ وطال الحديث فى أمره ما أظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع فى الجمع من ذلك الوقت والا فالعمر يقصر عن أن يجمع الانسان مثل هذا الكتاب .

ولهذا التاريخ أذيال منها ذيل ولد المصنف القاسم ولم يكمله . وذيل صدر الدين البكرى وذيل عمر بن الحاجب . وله مختصرات أيضا منها ما اختصره الامام أبو شامه عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقى وهو نسختان كبرى من خمسة عشر مجلدا وصغرى . قال ابن شهبة فى ذيله بسط الكلام فى وصف علم التاريخ وذم من شأنه وجمع بين الحوادث والوفيات فى الذيل عليه ووصل الى سنة وفاته . وممن اختصر تاريخ ابن عساكر القاضى جمال الدين محمد بن مكر الأنصارى صاحب لسان العرب . وانتقى منه جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى وسماه « تحفة المذاكر المنتقى من تاريخ ابن عساكر » (٢) وسمع من ابن عساكر جماعة من الحفاظ كأبى العلاء الهمزانى وأبى سعد السمعانى . وروى عنه الجم الغفير والعدد الكثير . ورويت عنه مصنفاته وهو حى بالاجازة فى مدن خراسان وغيرها وانتشر اسمه فى الأرض ذات الطول والعرض . وكان قد تفقه فى حداثته بدمشق على الفقية أبى الحسن السلمى .

ولما دخل بغداد لزم بها التفقه وسماع الدروس بالمدرسة النظامية . وقرأ الخلاف والنحو ولم يزل طول عمره مواظبا على صلاة الجماعة ملازما لقراءة القران مكثرا من النوافل والأذكار والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار وله فى العشر من شهر رمضان فى كل يوم ختمة غير ما يقرؤه فى الصلاة وكان يختم كل جمعة . ولم ير الا فى اشتغال يحاسب نفسه على ساعة تذهب فى غير طاعة . ولما دخل بغداد أعجب به العراقيون وقالوا ما رأينا مثله وكذلك قال مشايخه الخراسانيون وقال شيخه أبو الفتح المختار ابن عبد الحميد . قدم علينا أبو على بن الوزير فقلنا مارأينا مثله . ثم قدم علينا أبو سعد بن السمعانى فقلنا ما رأينا مثله حتى قدم علينا هذا فلم نر مثله . وقال الحافظ أبو العلاء الهمزانى لبعض تلامذته وقد استأذنه أن يسافر إن عرفت أستاذا أعلم منى أو يكون فى الفضل مثلى فحينئذ آذن لك أن تسافر اليه . اللهم الا أن تسافر الى الشيخ الحافظ ابن عساكر فانه حافظ كما يجب .

ونسخة تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر وهى موضوع بحثنا الموجودة بمكتبة الأزهر تقع فى واحد وعشرين مجلدا بخطوط وسطور مختلفة تجزئة .. ٨ أجزاء ومن خلال التواريخ الموجودة بأجزاء الكتاب توضح لنا أنها كتبت ونسخت فى حياة المؤلف .

وضمن المؤلف كلامه على مدينة دمشق

---

١ ـ جـ ١ ص ٢٩٤

٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى جـ ٤ ص ٢٧٣

وفضلها وفضل اهلها وذكر من حل فيها أو اجتاز بها من الأماثل وذوى الفضل والمزية من الأنبياء . والخلفاء والولاة والهداة والفقهاء والقضاة والعلماء والقراء والشعراء والرواة وذكر ما لهم من فضل وما صدر عنهم من مدح وثناء وقدح وهجاء وما ذكروه من جرح وتعديل . وغير ذلك رتب تراجمه على الحروف الهجائية وابتداه بذكر من اسمه « أحمد » تيمنا بمن وافق اسمه اسم المصطفى « أحمد » صلى الله عليه وسلم واتبع ذلك فى ترتيب أسماء ابائهم وأجدادهم ايضا ثم أردفهم بذكر من عرف بكنيته . ثم من عرف بنسبته ثم ختمه بذكر المشهورات من شواعر النسوة والاماء .

ويجدر بنا فى هذا المقام التعريف ببعض أجزاء الكتاب على سبيل المثال لا الحصر المجلد الأول يحتوى على خمسة أجزاء من الأول الى الخامس وباخره سماعات على المؤلف اخرها سنة ٥٧١ هـ . فى ١٠٣ ورقات قال المؤلف فى مقدمته : الحمد لله خالق الأرواح وبارىء الأجسام وفالق الاصباح . ورازق الانس والطيور والوحوش والأنعام وفالق السمء والارض عن قطر الغمام والحب ذى العصف والنخل ذات الأكمام تبصرة لذوى العقول وتذكرة لأولى الأفهام ، احمده على تواتر انعامة العظام واستزيده من مزيد بنعمته الحسان ، واشهد أن لا اله الا هو محيى العظام ذو الطول والعزة والنفاذ ، وأشهد أن محمدا عبده الصادق الكلام الداعي باذنه الى اتباع شريعة الاسلام الماحى بنبوته عبادة الأوثان والأصنام الماحق برسالته معالم الأنصاب والأزلام صلى الله عليه صلاة مقرونة بالمزيد والدوام وعلى أله وأصحابه وأنصاره البررة الكرام .

والمجلد الثانى يحتوى على الأجزاء من الحادى والتسعين الى التاسع والتسعين وبأخر سماعات آخرها سنة ٦١٤ هـ في ١٨٠ ورقة .

والمجلد الثالث يشتمل الأجزاء من السابع والعشرين بعد المائة الى اخر الجزء الثانى والخمسين بعد المائة ويقع في ٤٢٣ ورقة : وبأوله نقص وبه خروم ، ويبتدىء بترجمة الحسن بن عطية الله وينتهى بترجمة داود بن إيشا بن عويد ..

والمجلد الرابع يتضمن الأجزاء من الثانى والسبعين بعد المائة الى اخر الثمانين بعد المائة ، ويبتدىء بترجمة زياد ابن عثمان وينتهى بترجمة السر السقطى وباخره سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٧٤ هـ وعدد أوراقه ١٦٠ ورقة ..

والمجلد الخامس يحتوى الأجزاء من السادس والثمانين بعد المائة الى آخر التسعين بعد المائة ، وبأوله وآخره سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٦٢ هـ ، ويبتدىء بترجمة سعيد بن زيد الكلبى وينتهى بترجمة سفيان بن وهب وعدد أوراقه ٩٩ ورقة ..

والمجلد السادس يتضمن الأجزاء من الحادى والثلاثين بعد المائتين الى آخر الأربعين بعد المائتين وباخره سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٦٢ هـ ، ويبتدىء بترجمة من اسمه عامر ، وينتهى بترجمة

تاريخ مدينة دمشق

من اسمه عبد الله بن أحمد، وعدد أوراقه ٢٠٠ ورقة ..

والمجلد السابع يتضمن الأجزاء من أثناء الجزء الثانى والأربعين بعد المائتين وينتهى بالجزء السابع والخمسين بعد المائتين، ويبتدىء بترجمة عبد الله بن بشر، وينتهى بترجمة عبد الله بن عباس، وبأوله نقص وبه خروم، وباخره سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٦٢ هـ وعدد أوراقه ١٩١ ورقة.

والمجلد الثامن ويشتمل الأجزاء من الحادى والستين بعد المائتين وينتهى باخر السبعين بعد المائتين، وفيه ترجمة سيدنا أبو بكر الصديق وبعض من اسمه عبد الله وبآخر أجزائه سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٧٢ هـ وعدد أوراقه ٢٠٠ ورقة ..

والمجلد التاسع فيه الأجزاء الحادى والثمانين بعد المائتين الى آخر الجزء التسعين بعد المائتين، ويبتدىء بترجمة عبد ا ة بن محمد على المنصور، وينتهى بترجمة عبد الجبار بن محمد المقدس، وبآخره سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٦٢ هـ وعدد أوراقه ٢٠٠ ورقة ..

والمجلد العاشر يبتدىء بترجمة عبد العزيز بن عمر وينتهى بترجمة عبيد الله بن محمد العكبرى، وبأوله مطالعة تاريخها سنة ٨٤٧ هـ، وعدد أوراقه ٢٤٧ ورقة ..

والمجلد الحادى عشر يتضمن قطعا متفرقة من الأجزاء التاسع عشر والعشرين والحادى والعشرين، والخامس والأربعين والسادس والاربعين، والسابع والأربعين بعد الثلاثمائة، ويبتدىء بترجمة من اسمه عبد الله بن على، وينتهى بترجمة على بن الحسين وبأوله سماعات تاريخها ٦١٩ هـ وبه خروم وعدد أوراقه ١٠٦ ورقات ..

والمجلد الثانى عشر ويتضمن الأجزاء من الثانى والثمانين بعد الأربعمائة وينتهى باخر الجزء الخمسمائة به خروم وباخره سماعات تاريخها ٥٦٠ هـ، ويبتدىء بترجمة على بن الأقمر وينتهى بترجمة سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه، وعدد أوراقه ١٩٨ ورقة ..

والمجلد الثالث عشر يتضمن الأجزاء من السادس والخمسين بعد الثلاثمائة الى السابع والسبعين بعد الثلاثمائة ويبتدىء بترجمة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وينتهى بترجمة عمرو بن بحر الجاحظ، وبه خروم وبآخره نقص، وعدد أوراقه ٢٣٥ ورقة ..

والمجلد الرابع عشر، وفيه من أول الجزء الثانى والسبعين بعد الثلاثمائة الى اخر الثمانين بعد الثلاثمائة، ويبتدىء بترجمة عمر بن ذر، وينتهى بترجمة عمرو ابن العاص، وبأخره سماعات تاريخ أقدمها سنة ٥٦٣ هـ، وعدد أوراقه ١٨١ ورقة.

والمجلد الخامس عشر يبتدىء ببقية ترجمة عمرو بن العاص وينتهى بترجمة عياض بن غنم. وعدد أوراقه ٢٢٣ ورقة ..

والمجلد السادس عشر فيه أربعة أجزاء، من الأول الى الرابع بعد الأربعمائة ويبتدىء بترجمة من اسمه فيض، وينتهى بترجمة

قحطب بن شديد ، وبأوله وآخره سماعات أقدمها سنة ٦١٥ هـ ، وعدد أوراقه ٨٠ ورقة .

والمجلد السابع عشر وبه ستة أجزاء من الخامس الى العاشر بعد الأربعمائة وورقتان من الحادى عشر بعد الأربعمائة وباخره سماعات سنة ٥٦٤ هـ وبه خروم ويبتدىء بترجمة قدامة بن حماطه وينتهى بترجمة كيلان وعدد أوراقه ١٢٣ ورقة ..

والمجلد الثامن عشر وفيه من أواخر الجزء التاسع عشر بعد الأربعمائة الى نهاية لجزء الرابع والثلاين بعد الأربعمائة ، بأوله نقص وبه خروم يبتدىء ببقية ترجمة الامام الشافعى ، وينتهى بترجمة محمد بن عبد الله ابن محمدالمهدى وعدد أوراقه ٢٤٥ ورقة .

والمجلد التاسع عشر وفيه من اول الجزء لثالث والستين بعد الأربعمائة الى اخر الثانى والسبعين بعد الأربعمائة وبه خروم يبتدىء بترجمة من اسمه محفوظ وينتهى بترجمة من اسمه معبد بن وهب وبآخره سماعات تاريخها سنة ٥٦٤ هـ ، وعدد أوراقه ٤٠٣ ورقات ..

والمجلد العشرون ويشتمل على الاجزاء من الخامس والتسعين بعد الأربعمائة الى اخر العاشر بعد الخمسمائة ، ويبتدىء بترجمة من اسمه ميمون بن اسماعيل ، وينتهى بترجمة من اسمه هارون بن عمر بأوله نقص وبه خروم وعدد أوراقه ٢٣٩ ورقة ..

والمجلد الحادى والعشرون فيه من الجزء الحادى والعشرين بعد الخمسمائة الى آخر الجزء الثلاثين بعد الخمسمائة ويبتدىء بترجمة يحيى بن راشد ، وينتهى بترجمة يزيد بن معاوية وبه خروم وبآخره سماعات تاريخها سنة ٥٦٥ هـ ، وعدد أوراقه ٢٠٠ ورقة وبجميع الأجزاء التى ذكرت سالفا بها آثار رطوبة وتاكل وترميم ..

ومكتبة الأزهر تقدم لقراء المسلمين والعرب بعض مخطوطاتها النادرة والتعريف بها إحياء لتراثها الخالد وذكر أصحاب الفضل من العلماء الذين قرأوا وبحثوا واستقرأوا ودونوا وأوقفوا حياتهم على طلب العلم والاستزادة منه وقدموه ميراثا يتداول بين الأجيال حتى يقف القارىء على مدى اعجاز ماكتبه السلف الصالح ، وستوالى مكتبة الأزهر ان شاء الله التعريف بمخطوطاتها تسهيلا لطلاب العلم والمعرفة ..

مدير مكتبة الأزهر
محمد عميرة على

■ مدارسنا الأدبية
مدرسة أبوللو

الأدب والنقد

■ هكذا أغنى
ديوان شعر
محمود حسن اسماعيل

مدارسنا الأدبية

مدرسة أبوللو ١

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

في عام ١٩٣٢ اعلن الدكتور أحمد زكي أبو شادي ميلاد مدرسة أدبية جديدة ، أطلق عليها اسم جماعة (أپوللو) وقال عنها فى مجلته التى أصدرها باسم مجلة (أپوللو) أنها مدرسة جديدة من مدارسنا الأدبية .

وبينما لم يطلق العقاد وشكري والمازني اسما علي مدرستهم الأدبية ، وانما أطلق عليها النقاد اسم (مدرسة شعراء الديوان باسم الكتاب النقدي الذي أصدروه .. نجد أن أبا شادي قد سمي المدرسة التي كونها باسم مميز لها ، عرفت به من أول قيامها ، وصار علما عليها ، وتردد علي ألسنة كل الناس هذا الاسم .

وكان أبو شادى بقصد من انشاء هذه الجماعة أن تكون خاصة بالشعر وللشعر ، ويقصد من وراء قيامها النهوض بهذا الفن الأدبى الرفيع ، ورعاية الشعراء ماديا وأدبيا ، وكانت أغراض الجماعة كما أعلنت منذ ميلادها هى :

١ ـ السمو بالشعر العربى ، وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفا .

٢ ـ مناصرة النهضات الفنية فى عالم الشعر .

٣ ـ ترقية مستوى الشعراء ماديا وأدبيا واجتماعيا ، والدفاع عن كرامتهم .

ومركز الجماعة القاهرة ، وعضويتها مفتوحة فى مصر والعالم العربى للشعراء خاصة ، وللأدباء ومحبى الأدب عامة ، ممن

مدرسة أبولـــو

يهمهم تقدم أغراض الجمعية .

وجمعت هذه الجماعة طائفة من اعلام الأدباء والشعراء والنقاد . وجماعات من شعراء الشباب وأدبائهم . ومن بين أعضائها الكبار :

- أحمد زكى أبو شادى (١٨٩٢ ـ ١٩٥٥)
- أحمد محرم (١٨٧٧ ـ ١٩٤٥)
- ابراهيم ناجى (١٨٩٨ ـ ١٩٥٣)
- على محمود طه (١٩٤٩)
- كامل كيلانى (ـ ١٩٥٩)
- د . أحمد ضيف (ـ ١٩٤٢)
- د . على العنانى
- د . أحمد الشايب
- د . محمود أبو الوفا
- حسن كامل الصيرفى

ثم انضم اليهم مصطفى عبد اللطيف السحرتى (١٩٠٢ ـ ١٩٨٣) ، وصالح جـودت (١٩٧٦)،د عبد العزيز عتيق ، د . مختار الوكيل ، محمود حسن اسماعيل .. وغيرهم .

وتولي أبو شادي أمانة سر هذه الجماعة الأدبية بصفة دائمة ، واختير أمير الشعراء أحمد شوقي (١٨٦٨ ـ ١٩٣٢) رئيسا لها ، وكان حافظ قد توفى قبل ذلك بعدة شهور .

وفي يوم الاثنين العاشر من أكتوبر ، ١٩٣٢ عقدت الجلسة الأولى لها برئاسة شوقي في داره « كرمة ابن هانيء » بالجيزة لوضع الأسس العامة لنظامها الاداري والأدبي . ولم يعش شوقي بعد ذلك الا أياما معدودة ، اذ توفى فجر يوم الجمعة الرابع عشر من أكتوبر ١٩٣٢ .

وبعد أسبوع كامل من الحزن ، اجتمع الأعضاء في يوم السبت الثاني والعشرين من أكتوبر ١٩٣٢ في مقر رابطة الأدب الجديد بالقاهرة ، واختاروا الشاعر خليل مطران (١٨٧٢ ـ ١٩٤٩) رئيسا لها .

ومنذ ميلاد هذه الجماعة وهى تصدر مجلة تحمل اسمها ، وتنشر أدبها ، وهي مجلة (أبوللو) ، وهي أول مجلة خصصت للشعر ونقده في العالم العربي .

وفي افتتاحية العدد الأول من أعداد المجلة كتب أبو شادى يقول : ان الشعر من أجل مظاهر الفن ، ولم نتردد في أن نخصه بهذه المجلة ، التى هى الأولى من نوعها في العالم العربى ، كما لم نتوان في تأسيس هيئة مستقلة لخدمته هى (جمعية أبوللو) ، حبا في إحلاله مكانته السامقة الرفيعة وتحقيقا للتاخي والتعاون بين الشعراء .

وفي صدر العدد شوقية في تحية ميلاد الجماعة والمجلة ، ومطلعها :

آبولـــلو ، مرحـــبا بـــك يا أبو لـــلو
فانـــك مـــن شـــعاع الـــشـــمـــس ظـــل

ـ ٢ ـ

ويختلف الأدباء هل أبوللو جماعة أو مدرسة ، وفي صدر عدد أبريل ١٩٣٣ من المجلة كتب أبو شادي يقول :ان مدرسة أبوللو مدرسة تعاون وانصاف واصلاح وتجديد .

● وفى عدد فبراير ١٩٣٣ يعلل ابو شادى للسرفي اختيار اسم اغريقى لهذه الجماعة ، بانه الرغبة فى ان تحمل اسما عالميا فنيا يلائم صبغتها .. ان ابوللو مدرسة أدبية

حقيقية ذات اهداف واضحة، ومضمون متميز :

ولقد كانت هذه المدرسة في تعاون مع (مدرسة البعث)، وفي شبه خصام مع (مدرسة الديوان)، وكان اتجاهها رومانسيا خالصا، مع التعاون مع المذاهب الأدبية الأخري بقدر الإمكان.

وأبو شادى مؤسسها ذو ثقافة عالمية واسعة، ويجيد فهم الشعر ومقاييسه فهما جيدا، وهو أديب وشاعر وناقد، وقد درس الطب في انجلترا عشر سنين (١٩١٢ ـ ١٩٢٢).

ومات ابو شادى عن نحو ٩٠ كتابا، منها ستة وعشرون ديوانا شعريا وعشر مسرحيات شعرية.

ومن أشهر د واوينه المطبوعة :

- **الشفق الباكي (١٩٢٤)**
- **الشعلة (١٩٣١)**
- **أشعة وظلال (١٩٣١)**
- **الينبوع ـ أطياف الربيع (١٩٣٣)**
- **عودة الراعي (١٩٤٢)**

وله أربعة دواوين مخطوطة هي : الانسان الجديد ـ النيروز الحر ـ اناشيدى ـ ايزيس، وله كذلك أربعة دواوين مطبوعة بالانجليزية، وهي :

- أغانى العدم
- **أغاني السرور والحزن**
- **أغاني الحب**
- **كيفما نتفق**

ومنذ عام ١٩٤٥ حتي عام ١٩٥٥ هاجر الشاعر الي أمريكا، وأقام في نيويورك حينا، ثم في واشنطون حينا اخر، حتي توفي في الثاني عشر من ابريل عام ١٩٥٥ ودفن في مقابر المسلمين في واشنطن.

ـ ٣ ـ

دعا أبو شادي وجماعة (أبوللو) في الشعر لصدق العاطفة، ووحدة القصيدة، ولذاتية تجربة الشاعر وعمقها.

دعت (أبوللو) الي البساطة والصدق وترك التكلف، والي الاخاء في الأدب والي أن يكون الأدب تعبيرا عن الذات، والي احترام المذاهب والمدارس الأدبية وتعاونها، مع جنوح الي الرومانسية وميل اليها، وقد كررت الدعوة الي الطلاقة والأصالة والموهبة، والي أن يكون **الأسلوب** ممثلا لخصائص صاحبه كما **دعت** الي ظهور الشخصية الأدبية والي الحرية الفنية.

وجاء ادب (الابولليين) ممثلا لمذهبهم الادبى تمثيلا تاما.

فوجدنا عند ابراهيم ناجى شعر العاطفة الحادة المتقدة.

وعند على محمود طه شعر الخيال والصور الشعرية الأنيقة.

وعند صالح جودت شعر الروح المصرية بكل تراثها ومقومات فنها واصالتها.

ووجدنا عند الناقد مصطفى عبد اللطيف

مدرسة أبوللو

السحرتى سعة الثقافة وعمقها ، ووضوح الرؤية الشعرية ، وتمثل المذهب الأدبى تمثلا صحيحا .

ووجدنا عند حسن كامل الصيرفى روح الحزن والألم . وعندما يقول الفريد دى موسيه : الحزن السامى يجعلنا نقدر اللذة ، أو عندما يقول اديب فرنسى اخر : ان الدموع ضرورة للعبقرية ، يقول الشاعر حسن كامل الصيرفى :

دموعـــــي كُـنْـت آمالا
تَمُـدُّ القـلـب بالـبـشر
وكـــانـت هذه الآما
ل كالأنــــغام في الــــفـــجر

ويتمثل التيار العاطفي في شعر ناجي وصالح جودت والشابي والتيجاني بشير وسواهم .

ويغالى الشعراء الأبوليون فى حب الطبيعة ، حتى لتصبح عندهم الملاذ الذى يجدون السكينة فى جواره ، بعيدين عن زيف المدينة وصخبها ، وهم لا يقبلون عليها واصفين ، ولا يصفونها مادحين ، انما يندمجون فى روحها ، ويعانقونها عناق الأحباب .

وهذا أبو شادى يفر من عالم الناس الى دنيا الطبيعة فيقول من ديوانه « عودة الراعى » :

ورجعت للماء المعربد مستزيدا ما حكاه
ورجعت للزهر المبادل من يضاحكه أساه

وتركت كون الناس في يأس الى كون سواه

ويقول محمود غنيم .

نبهوني لدي السحر ... نبهوني
وضعوني علي النهر ... ودعوني
أنا والماء والشجر ... في سكون
أملأ السمع والنظر .. بالفتون
ثم أفضي الي القمر ... بشجوني

وقد تاثر شعراء كثيرون في الشعوب العربية بنزعة ابوللوالرومانسية وفي مقدمتهم الشابي ، والتيجاني يوسف بشير . ونقرا العودة للشاعر ناجي ، فنجد روحا عذبة عذوبة « صلوات في هيكل الحب » للشابى .. وهكذا عرف الابولليون الشعر .

د . محمد عبد المنعم خفاجي

ازدهار الأدب الأردي في الدكن

في عصر الدولة القطب شاهية

٩٢٤ هـ. ١٥١٨م. — ١٠٨٩ هـ. ١٦٨٦ م.

بقلم دكتور سمير عبد الحميد ابراهيم

- ١ -

ظهرت علي خريطة شبه القارة الهندية عدة دويلات ثم أختفت ، الا ان مابقي منها علي صفحة التاريخ كان تلك التي شاركت بنصيب في رقي العلوم والآداب ، ولم تكن الدولة القطب شاهية بالدولة العظمي أو السلطنة الكبري التي لا يمكن لدولة أخري أن تواجهها ، لكنها كانت دولة أضاءت مصباح العلم والأدب والحضارة والثقافة ، فخلدت اسمها منيرا مضيئا في التاريخ حتي يومنا هذا .

اسس هذه الدولة[١] السلطان قلي قطب شاه (٩٢٤ هـ ـ ٩٥٠هـ / ١٥١٨ م ـ ١٥٤٣ م) ، الذي قضي حياته باكملها في معارك هدف منها ترسيخ دعائم سلطنته ، قتل علي يد ابنه جمشيد الا أن أخاه الأصغر ابراهيم قطب شاه سلبه العرش ، وكان عهد ابراهيم (٩٥٧هـ ـ ٩٨٨ ه / ١٥٥٠ م ـ ١٥٨٠ م) الذي اتسم بالامن والاستقرار كان خيرا علي العلوم والآداب ، فالسلطان عالم له قدرة فائقة على التحدث بعدة لغات منها العربية والفارسية والدكنية ، امتلا بلاطه بالعلماء والأدباء من كل ناحية ويري المؤرخون أنه لولا اعتلاء ابراهيم عرش الدولة القطب شاهية لانتهت علي يد جمشيد قلي ، فقد شارك السلطان ابراهيم نفسه في رقي العلوم والآداب .

تتمثل الخصائص المشتركة لسلاطين الدولة القطب شاهية في أنهم جميعا نالوا حظا وافرا من التعليم علي أعلي مستوي ، وبالاضافة على سماتهم الهندية عملوا علي نهضة العلوم الاسلامية فاوجدوا بذلك « ثقافة ثالثة » هى مزيج من العناصر الصحيحة للعلوم الاسلامية وثقافة وحضارة بلادهم ، ومن شعراء الفارسية في زمانهم : قاسم طبسي ، حاجي ابرقوهي ، وخورشاه بن قاد الحسيني ومن شعراء الاردية فيروز ، ومحمود وملا خيالى ..

أعتلي محمد قلي العرش في سنة

١ ـ يطلق عليها ايضا سلطنة

إزدهار الأدب الأردى

٩٨٨هـ / ١٥٨٠ م وكان عهد سلام ورخاء اجتماعي مما جعل ورود الثقافة تتفتح ويصل عبيرها الي كل مكان . وقد خلدت الأعمال الأدبية للسلطان محمد قلي اسمه في التاريخ فأطلق علي عهده « العهد الذهبي للدولة القطب شاهية » وهو عهد يفخر به شعراء الاردية وهو عهد عمرت فه مدينة حيدر أباد بالعمائر الجديدة ، وانتشرت فيها الحدائق المتنوعة وشقت بداخلها القنوات تجري فيها المياه التي كانت تنعش من نافورات علي جوانبها ، وبنيت المتنزهات ، وأنشئت دور العبادة والمكتبات العامة والمدارس ، وارتقي فن التصوير والموسيقي ونال العلماء والشعراء والأدباء مكانة عالية في المجتمع . وبعد وفاته سنة ١٠٢٠هـ ١٦١١ م خلفه ابن أخيه محمد قطب شاه ، فسار علي ذات الدرب وكان رجلا متدينا شريفا طيبا ، فاعاد اخراج « كليات »[١] عمه وقدم لها بمنظومة طويلة ، فقد كان شاعرا تخلص بظل الله ، وهكذا كان ابنه عبد الله قطب شاه ١٠٣٥هـ ـ ١٠٨٣هـ / ١٦٢٥ م ـ ١٦٧٢ م الذي سار علي نهج أبيه وجده ، وقد نشرت كلياته الأردية الفارسية ، كما ظهر في عهده شعراء وكتاب مشهورون مثل غواصي وابن نشاطي وجنيدي وطبعى وميران جى حسن خدانما ، وميران يعقوب وغيرهم .

ظلت اللغة الفارسيه هي اللغة الرسمية لسلطنة كولكندا ، وارتبطت ارتباطا وثيقا بايران نتيجة للانتماء العقائدي المتمثل فى المذهب الشيعي والفقه الجعفري ، كان العلماء الايرانيون يفدون عليها فينالون المناصب العالية«٢» وهكذا وجه سلاطين هذه الدولة اهتماما كبيرا للثقافة الايرانية واللغة والأدب الفارسي حتي أنهم جعلوا الأساليب الفارسية واللهجة الفارسية والانماط الشعرية الفارسية وما الي ذلك يطغي علي اللغة المشتركة (الأردية) في سلطنتهم ، وكما خطا«٣» الأدب في بيجابور الي تأثير الأسلوب الكجري ثم الهندوي فيما بعد ، فان أسلوب الأدف في كوكندا قد خضع لتأثير الأسلوب الفارسي فاقترب منه كثيرا وتلون بلونه . وبينما يطلق جانم (بيجابور) علي لغته اسم « كوجري » ويستخدم الأوزان الهندية فان فيروز ومحمود وخيالي « كولكندا » يقلدون الأسلوب الفارسي والبحور والأنماط الشعرية الفارسية(٤).

وتبقي كلمة هامة تجب الأشارة اليها وهي الأسباب التي جعلت الأدباء يكتبون بالاردية ويهملون الفارسية وأهمها جميعا ان الفارسية لم تعد هي وسيلة الاتصال بالأكثرية داخل المجتمع فقد كانت الاردية هي اللغة الفريدة التي تروج في كل ناحية والتي يمكن أن يتجادث بها العامة والخاصة والسلطان والشحاذ . ومن الناحية اللغوية فان لغة كولكنده ، تحمل نفس خصائص لغة بيجابور التي سبق الحديث عنها قبلا والفرق هنا هو تزايد استعمال الألفاظ العربية والفارسية في لغة كولكندا فاعطي ذلك روحا جديدا للغة

---

١ ـ كلياته اى ما نظمه السلطان محمد قلى قطب شاه

٢ ـ شمس الله قادرى : قديم اردوص ٥٦ / ٥٨

٣ ـ انظر المقالات السابقة بمجلة الأزهر جمادى الاخرة / رجب / شعبان ١٤٠٢ هـ

٤ ـ جميل جالبى : تاريخ أدب اردو جـ أول ص ٣٨٥ / ٣٩٢ ـ مقالات حافظ شيرانى جـ اول ص ٢٠٠

ويتضح هذا باستعراض كتابات أهم أدباء وشعراء تلك الفترة .

- ٢ -

فيروز بيدري .. شاعر قدم الي كولكندا بعد زوال الدولة البهمنية ، له منظومة بعنوان « برت نامه » (١٢١ بيتا) يمدح فيها عبد القادر الجيلاني ، ثم يمدح شيخه ومرشده شيخ ابراهيم مخدوم جي (متوفي ٦٧٣هـ / ١٥٦٥ م) ولم يكن هدف الشاعر مدح عبد القادر الجيلاني بقدر مدحه لشيخه ومريده ـ يقول الشاعر : (ذات ليلة وفي وقـــــــــت السحر حين يستجاب الدعاء ، رايت في المنام بيتا مضيئا ، فسألت فعرفت أن هذه هي عتبات محيي الدين ، فتمنيت الدخول حتي أشرف بروية الغوث الأعظم ، وبينما أنا هكذا اذا بالحجاب يرفع ، فادخل واشاهد الغوث الأعظم ، فوضعت رأسي عند قدميه ثم وقفت عاقدا يدي علي صدري فاشار الغوث الأعظم بالجلوس فجلست ، وبشرني بان أكون مريدا له .. لقد جاءني محيي الدين (الغوث الأعظم) في منامي ، الا أنني في يقظتي وجدت « مخدوم جي » :

محيي الدين هم سوني مين ائيا
سومين حاك مخدوم جى بائيا

وأسلوب الشاعر في هذه المنظومة يقترب تماما من الأسلوب الفارسي السهل الذي لم نشهده في اشعار سابقيه :

وهي بهول جس بهول كي باس تون
وهي جيو جس جيوكي باس تون
كريمان كي مجلس كرامت تجهي
امينان كي صف مين تجهي
توسلنطان جك كا وجك مين فقير
كه سب بادشاهان كون تون دستكير
محبت كي دريا مين غواض تون
كه سب موتيان مين رتن خاص تون
جسي بير مخدوم جي باك هي
اسي دين ودنيا مين كيا بك هي

« انت الورد ان كان لدي أحد ورد وأنت الروح لكل من هو حي ـ أنت الكرامة في مجلس الكرماء وأنت الامام في صفوف الامناء ـ انت سلطان الدنيا وانت الفقير فيها .. وجميع الملوك تحت أمرك ـ أنت غواص في بحر المحبة وأنت الدر الصافي بين جميع الدرر ـ ان من يتطهر ويخلص لشيخه « مخدوم جي » لا يثقل عليه الدين ولاترهبه الدنيا » .

وبهذا الأسلوب الجديد أوجد فيروز قوة ابداعية مبتكرة في اللغة الاردية ومهد الطريق لمن تبعه من الشعراء ، وهذا الأسلوب الجديد نشاهده جليا في غزليات فيروز أيضا .

وشاعر اخر يدعي « محمود » شبيه بفيروز ، قدم الي كولكندا من الشمال أيضا ، وهو شاعر مجيد نظم شعرا بالفارسية والبنجابية بالاضافة الي الاردية ، الا أن شهرته ترجع أساسا الي مانظمه بالاردية ومعظمه في الغزل وأشعاره تدل علي صلته العميقة بالفارسية فقد استعمل الأساليب الفارسة مما يجعلنا نشعر أننا أمام **منعطف** أو أمام نقطة تحول فى أسلوب البيان الاردى ـ يقول فى احدى غزلياته :

« القلب الحائر لايسأل عن الكفر ولا عن الايمان ، ولا يدري شيئا عن الشمال أو الجنوب استرح أيها العشق من اضطراب العشاق ، فحزن الفلك ليس مصدره زلزلة الأرض ، أنا خائف في النهاية من هذا السكير

إزدهار الأدب الأردي

صاحب العيون السوداء ، انا خائف أن يسلب محمود صاحب السجادة دينه وايمانه .

وتتنوع الموضوعات في غزل محمود فالمرأة ليست موضوعه الوحيد بل يتحدث في غزله عن الحياة وتجاربه المختلفة وهذا النوع لم يسبقه فيه أحد من الشعراء بالاضافة الي فصاحته اللغوية ومعانيه المبتكرة .

« جيو شراب هي دل شراب هي سر شراب هي ياشراب » ، « اسودة أي عشق بي تابي عشاق » « الحياة خمر ، القلب خمر ، الرأس خمر ، القدم خمر » ، « استرح ايها العشق من العشاق الخاملين

ويقول الشاعر أيضا :

يرون حالي فيقول الواحد منهم للآخر :

يا اعزائي انه يعاني من فراق صعب »

فهذا أسلوب لم نعهده من قبل في الغزل الاردي بل هي صوت لم يسمع قبلا وهو يماثل الصوت المنبعث من الفارسية ، ولغة محمود هي بالتأكيد لغة قديمة ، بها جميع خصائص اللغة الدكنية ،(١) الا أنها من حيث المجموع تحمل لون الأسلوب الفارسي .

كان صدي أشعار محمود وفيروز يرن في أرجاء الدكن بينما كانت اللغة الفارسية هي لغة كولكندا الرسمية وكان شعراء الفارسية لا ينالون القدر والمنزلة فقط بل يفوزون ايضا بأعلي المناصب في الدولة . بدأت الأردية تنتشر بين الناس ، وتروج بين أهل التصوف وعلي لسان الشعراء حتي أصبحت الثقافة الدكنية : هي ثقافة خلفاء سلطان قلي حاكم كولكندا ، فانتشرت الاردية في القصور وتراجعت الفارسية لتصبح لغة المخاطبات الرسمية فقط ، وفي مثل هذه الظروف فتح محمد قلي قطب شاه (٩٧٣ هـ / ١٠٢٠ هـ) ١٥٦٥ م ـ ١٦١١ م) عينيه فنال نصيبا وافرا من التعليم ، رافق العلماء وجالس الحسان ، وكان أول حاكم في الدكن يرتدي لباس شبه القارة الهندية ، اتسم عهده بالأمان والازدهار ولاتزال المئذنة المعروفة باسم « قطب مينار » شامخة في سماء دلهي حتي اليوم تشهد علي علو مكانته في تاريخ شبه القارة الهندية الباكستانية،أسس مدينة حيدر اباد واهتم بالأعياد الاخري التي كانت أسس مدينة حيدر اباد واهتم بالاعياد الاسلامية والأعياد الأخري التي كان الجميع يحتفل بها في ظل سلطنته .

ويعد محمد قلى أول شاعر له ديوان بالأردية ، فلا يوجد قبله من رتب ديوانا على الطريقة الفارسية ،(٢) يضم ديوانه خمسين ألف بيت من الشعر عبر فيها عن تجاربه الشخصية وأفكاره وعواطفه واستعمل في ديوانه ستة عشر تخلصا منها : محمد ، محمد شاه ، محمد قلى ، قطب زمان ، قطب شاه .. الخ (٣) . ولم يقصر محمد قلى قطب شاه شعره على دائرة الموضوعات الخاصة بالأدب بل عبر بأشعاره عن الحياة بأكملها وجعل من الأمور الهامة والأمور العادية موضوعات لشعره فكلياته تضم من ناحية الأنماط الشعرية قصائد ومثنويات ومراثى وغزليات وقطعا وكذا منظومات ورباعيات . كما تضم

---

١ ـ جميل جالبى : تاريخ أدب اردو جـ أول ص ٤٠٧

٢ ـ اى بترتيب الحروف الابجدية

٣ ـ كليات سلطان محمد قلى قطب شاه ترتيب د محيى الدين زور حيدر اباد المقدمة

من ناحية المضمون : الدين ، حياة البلاط ، وصف القصور ، المناظر الطبيعية ، أحوال حياة الفقراء ، تقاليد وعادات المسلمين والهنادكة ، حياة التجار أحوال العشق وما الى ذلك .

ويرتكز شعر محمد قلى على دعامتين أساسيتين الأولى الدين والثانية العشق . الدين لأنه به ينال شرف الحياة والسلطة والثروة والرقى ، والعشق لأنه ينال به اللذة والنشوة في الحياة ، ولهذا يمضى العشق في أشعاره جنبا الى جنب حتى في أشعاره التى يتحدث فيها عن الطبيعة نراها وقد مزجت بالحديث عن محاسن المرأة وجمالها ، وهذا نتيجة لعمق الشعر الهندى عنده ، ففصل المطر (برسات) هو المفضل عنده لأنه يثير الغرائز ، وهو لا يجعل من وصف المحبوب موضوعا لأشعاره بل يحكى أيضا قصص لهوه ولعبه ، ولانشاهد في أشعاره عواطف الهجر أو الحزن أو الفشل في الوصول الى المحبوب انما الاضطراب وألوله ان اصابه فانما يكون نتيجة لحظه في الوصل ؟(١) ..

وغزله يختلف عن غزل الشعراء الاخرين فهو يشبه العاشق بالفراشة تحط على كل زهرة ترتشف الرحيق وتحلق فالعاشق هنا ليس بفراشة تكتوى وتحترق بنيران العشق ، بل العشق لها مزاج ، تنتشى بالعشق .

نظم الشاعر في جميع الانماط الشعرية واختار لها البحور والعروض الفارسية ، وكان هذا بمثابة ثورة فى مستقبل اللغة الاردية (٢) ومن الجدير بالذكر أن الشاعر قد نقل الكثير من غزليات حافظ الى اللغة الأردية الا أنه افتقد الاحساس الفنى الذى نراه لدى سعدى وحافظ وعرفى وأنورى وخاقانى أو مولانا رومى ..

حين غزا أكبر الكجرات قبل اعتلاء محمد قلى قطب شاه العرش بثمان سنوات هجرها العديد من الأدباء والعلماء وقدموا الى كولكندا ومن أبرزهم شيخ أحمد كجراتى الذى قدم الى بلاط السلطان محمد قلى ونظم مثنوى ليلى مجنون (٥٤٠٠ بيتا) ومثنوى يوسف وزليخا (٣٧٥٠٠ بيتا) وكان أحمد كجراتى قد سافر الى الدكن بعد أن سمع عن رعاية السلطان للأدباء والشعراء فوجد مصداق ماسمع وأكثر ..

تتضح من مطالعتنا ليوسف وزليخا معرفة الشاعر الطيبة بالعربية والفارسية والسنسكريتية وتبحره في علوم النحو والصرف وعلم البيان والمعانى والكلام والالهيات والحكمة والفقه والطب . ومن خصائص شعره في يوسف وزليخا انه قلما مزج العربية والفارسية بلغته (الهندوية) :

عرب ألفاظ اس قصة مين كم لياون
نه عربى فارسى بهويتك ميلاون

وهذه هى السمة الواضحة للاردية الكجرية الا وهى استخدام الألفاظ الاقليمية بكثرة ولا أدل على هذا من لغة وأسلوب جميع شعراء الكجرية القدامى ، ومن هنا فأسلوب هذا المثنوى يعتبر خطوة في سبيل رقى الأردية الكجرية وأسلوبه يختلف عن أسلوب قطب شاه الذى خضع للتأثيرات الفارسية منذ البداية (٣) ..

وأسلوب أحمد كجراتي يقترب في الأصل من أسلوب بيجابور الأدبي حيث يظهر بوضوح تأثير

١ ـ انظر امثلة فى المرجع السابق
٢ ـ مقالات محمود شيرانى جـ أول ص ٢٠٠ لاهور ١٩٦٦ م

٣ ـ جميل جالبى تاريخ اردول جـ أول ص ٤٢٣

إزدهار الأدب الأردى

اللغة الكجرية وأسلوبها البيانى على اللغة والأنماط الشعرية والأوزان ، وهو الأسلوب الذى تمثله أشعار كل من ميران جى شمس العشاق وبرهان الدين جانم ، وشيخ داول وابراهيم عادل شاه ثانى ..

ونتيجة لاقلال الشاعر في استخدامه للكلمات العربية والفارسية فلم ينل مثنوى يوسف وزليخا قبولا أو شهرة كتلك التى نالتها الأشعار الأخرى التى خضعت للتأثيرات الفارسية رغم مافيه من روعة أدبية . ولهذا لم يصل مثنوى ليلى ومجنون ويوسف وزليخا الى أذان الجيل التالى لأحمد كجراتى وهكذا خرج الشاعر من قائمة الشعراء المجيدين مع انتشار الروائح العطرة لأسلوب الشعر الجديد ، ولم يذكره أحد من الشعراء التاليين له سوى ابن نشاطى في **مثنوى « بهولبن » (١٠٦٦ هـ / ١٦٥٥ م) بل عارضه الشعراء فها هو صنعتى (من بيجابور) يقول في قصة بي نظير (١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م) ..**

أقفلت من السنسكريتية في هذه الأشعار (ركهيا كم سنسكرت كى اس مين بول

ثم نصرتى في على نامه (١٠٧٦ هـ / ١٦٦٥ م) قائلا :

كيا شعر دكهنى كون جيون فارسى ..

وباختصار تمثل « يوسف وزليخا » الاسلوب القديم في عصر قطب شاه ، وقد وضع الشاعر أمامه مثنوى يوسف زليخا لجامى وخسرو ، والخطوط العريضة لقصته هى نفسها عند جامى وخسرو بل لقد ترجم أكثر أشعارهما وخاصة فيما يتعلق بالحديقة والقصر والحلم والسجن ، ويقال أن أحمد كجراتى هو مؤسس هذا النمط الشعرى (المثنوى في الاردية (١ .

وتتضح في مثنوى ليلى ومجنون كيفية كتابة الشاعر للالفاظ العربية والفارسية بطريقة الاملاء الهندية (٢ ..

فائدا : فائدة ـ زوق : ذوق ـ افتار : افطار ـ مونجم : منجم ـ كهير : خير ـ حيا : حيا وغيرها ..

أما الجمع فقد أطلق الجمع الفارسى بالألف والنون على جميع الألفاظ : جنس : جنسان ـ ميوه : ميوبان . ـ نعمت : نعمتيان ـ سوال : سوالان ..

وفيما يتعلق بالفعل الماضى فقد أضاف الشاعر ياء مجهولة قبل الالف مثل :

كهيا : كها أى قال ـ لكهيا : لكها أى كتب ـ ركهيا : ركها أى وضع

ومن الجدير بالذكر أن عدد الألفاظ العربية يزيد بالمقارنة بالمثنوى السابق . والشاعر يبدأ المثنوى بمناجاته لله :

« يالهى أنت الغنى وأنا الفقير ، رحيم ترحم العباد : كريم تحيطهم بكرمك »

وهو يهدى المثنوى لمحمد قطب شاه :

محمد قلى قطب شاه هى شاهان
جسى جرن سيوك شاهان جهان

ويقول أن السلطان هو الذى أمره بكتابة هذا المثنوى :

ديتى أمر على كى يه باغ لا ون
جو بالون اسى سشه امريت نانون

---

١ ـ المرجع السابق ٤٢٨

٢ ـ مقالات حافظ شيرانى جـ أول ص ٢٠٥ وما بعدها

جومين شاه كما أمر سر به ليتا
ترت باغ لانى شتابى كيتا

أمرنى السلطان أن أقيم هذه الروضة التى تزدهر برعاية السلطان فأطعت أمره وأسرعت باقامة الروضة ..

وقد عرض الاستاذ حافظ شيرانى لأمثلة من المثنوى (١) .. يثبت فيها أن الشاعر استفاد من بوستان سعد ى ، وقد وضع الشاعر عناوين فارسية للمثنوى مثل :

نزذ درويش يردند مجنون را بدر او ، مجنون فقير شده به خانه ليلى رفتند ، بدر مجنون بخانه ليلى رفتن .. الخ .

وعلى كل حال فأشعار أحمد كجراتى تمثل مفترق الطرق بين الاسلوب الهندوى والاسلوب الفارسى ، وبتعبير أدق تمثل سماء تغرب فيها شمس مدرسة الأدب الهندى وتشرق منها شمس مدرسة الأدب الفارسى في آن واحد ..

- ٣ -

تفوق الاتجاه الفارسى في الأدب الأردى

اذا كان شيخ أحمد يمثل جزيرة في أدب كولكندا فان ملا وجهى ظل يتطور ويشرب من ثقافة البيئة المحيطة به في الدولة القطب شاهية ، وأخذ صوت ملا أسد الله وجهى (متوفي ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م) يجلجل في فضاء كولكندا وكان ملا وجهى أمير الشعراء بلاط قطب شاه وكان كالسلطان شاعرا قديرا وشقيا ، نظم بالفارسية وبالأردية وكتب نثرا بالأردية يوضح مقدرته الفذة على اللغة ..

يطلق وجهى على لغته في كتابه النثري (سب رس) اسم زبان هندوستان ذلك لأنه

١ ـ المرجع السابق ص ٢١٢ / ٢١٣

كان تابعا لمدرسة شمال الهند اللغوية ، أما مثنوى قطب مشترى فيعد واحدا من أقدم المثنويات الأردية (١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م) ويحكى فيه الشاعر الأديب قصة عشق محمد قلى قطب شاه و « مشترى » ولهذا أسماه « قطب مشترى » ويفهم أن مشترى هذه كانت راقصة وموسيقية شهيرة عرفت باسم (بهاك متى) عشقها السلطان في صباه وخشى أن يعلن عن حبه لأنها كانت مجرد راقصة فكتم حبه الا أن الحب لا يمكن أن يخفى عبيره :

ان الحب ان ظهر في الدنيا
لا يمكن اخفاؤه أبدا
في هذه الدنيا يمتلك الحب من يقع فيه
لافرق في هذا بين سلطان وفقير (٢)

وقد أكمل وجهى هذا المثنوى في اثنى عشر يوما فقط (١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م) ..

تمام اس كيا ديس بارا منى
سنه يك هزار هور اتهارا منى

والقصة التى يسوقها الشاعر هنا شبيهة بقصص العشق فى العصور الوسطى فالأمير يرى فى منامه حسناء جميلة وحين يستيقظ يظل يبكى ، ويعرف الملك الحكاية فيضطرب ويحاول مساعدته ويفشل فينطلق الأمير مع أحد التجار بحثا عن الحسناء التى عشقها فى منامه ويواجه مصائب السفر المتعددة والمتنوعة ويلتقي بأصناف عديدة من الناس .. ويبدأ الشاعر فى سرد تفاصيل دقيقة ، وتنتهى القصة بلقاء الأمير بمشترى واصطحابها الى الدكن وزواجه منها فى حفل

٢ ـ جميل جالبى : تاريخ أدب اردو جـ أول ص ٤٣٥
٤٣٤٦

إزدهار الأدب الأردى

مهيب . ولا يحمل اليوم مثنوى قطب مشترى سوى أهميته التاريخية ، فهو يوضح ما كانت عليه اللغة فى زمانه ويشرح حضارة تلك الفترة وما كان عليه أهل البلاد من عادات وتقاليد ..

وما يهمنا هنا هو « سب رس » الذى يمثل أول نماذج النثر الأدبي فى اللغة الأردية (١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥ م) فنماذج النثر السابقة تتسم كلها بطابع ديني وتفتقر الى القيمة الأدبية . وسب رس مأخوذ عن « قصة حسن ودل » وهو الملخص النثرى لدستور العشاق (٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م) لمحمد يحي بن سيبك فتاحى النيشابورى وقد ذاع صيت قصة فتاحى النثرية التى تضم ٤٥٠ سطرا من النثر المسجع المقفي ..

وقد نشر مولانا عبد الحق عميد الأدب الأردى هذا الكتاب الرائع سنة ١٩٣٢ م بمقدمة (٥٢ صفحة) ومعجم (١٦) صفحة) أما أصل الكتاب فيصل الى ٣٠٠ صفحة ، ويهمنا أن نوضح أن أسلوب « سب رس » المقفى المسجع يشبه كثيرا ما نجده فى اللغة العربية والفارسية من كتب كثيرة من مثل مقامات الحريري ومقامات بديعى ومقامات حميدى وتاريخ وصاف ودره نادرة ..

والحقيقة ان وجهى قد عبد طريقا جديدا أمام قافلة اللغة الأردية ، وشعر هو نفسه بثقل المهمة وما يواجه من صعوبات فعبر عن ذلك بأسلوب جذاب قائلا :

« **فرهاد هوكر ، دونون جهان تى ازاد هوكر دانش كى تيسى بهاران التايا تويون شيرين بايا تو يو نوى بات بيدا هوئى توامس بات ايا** »[1] (ص ١٣)

« **صرت فرهادا فتحررت من الدارين وقلبت الجبال بفاس العلم فاندفع منها الشهد وهكذا ظهر أمر جديد وكان هذا العمل** » .

ورغم التزام الأديب بالسجع والزخارف اللفظية الا أن السلاسة والوضوح كانتا طابعه لمميز ، ومع أن الكتاب باللغة الدكنية ، والدكنية كانت تروج زمان جهانكير وشاهجهان ، الا انه ينال اعجاب قراء الأردية :

جكوئى اجايا بنياد ، أول آخر وهى استاذ يو عجائب نظم هور نثر هى جانو بهشت مين كاقصر هى سطر بر سطر برستا هى نور ، هر يك بول هى يك حور ، اس سى برهكر جنى خط بايا جانو بهشت مين ايا » (ص ١٤)

هو الأستاذ فى البداية والنهاية فهو ياتى بعجائب النظم والنثر وكأنها فى الجنة قصر ، النور يتلألأ بين السطور وكل جملة كأنها الحور من قرأ نصيبا منه كانه دخل الجنة ..

ويوضح الكتاب معرفة المؤلف الواسعة بقضايا الحياة الأخلاقية والاجتماعية وقد استفاد من ذخيرة معلوماته وضمن كتابه آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال رجال الدين والشعراء ، فضاعف ذلك من روعة أسلوبه وقيمة كتابه ، ولم يقتصر تأثير الفارسية هنا على الألفاظ والأمثال بل تعداها الى الأسلوب البيانى .

---

١ ـ نقلا عن مقالات شيرانى جـ أول ص ٢٢٠

والكتاب مليىء بالأقوال العربية التى استخدمها الأديب بطريقة رائعة وعلى سبيل المثال :

ـ جس مين سلوك وهى سالك نهين تومذ بذ بين بين ذاك (ص ٢٣)

(السالك الذى لا يتبع السلوك .. فهو د ..

ـ دانايان مين يونجل هى بات العقل نصف الكرامات (ص ٥٨)

جرى هذا القول بين الحكماء ان ....

ـ كهولي هين أسباب كى كره كهى هين الدنيا مزرعة الآخرة (ص ١٧٣)

حل عقدة الأسباب فقال ...

ـ مصحف مين يونديي هين خبر اذا جاء القضاء عمى البصر (ص ٢٠١)

جاء هذا التحذير فى القرآن الكريم ....

ـ مصحف كى ايت اتى هى يهان رهنمون كل حزب بما لديهم فرحون (ص ٢٠٨)

جاء هذا أيضا فى آيات القرآن الكريم موضحا ان ...

وقد حلل الأستاذ شيرانى الكتاب تحليلا لغويا فيلولوجيا رائعا لا مجال لعرضه هنا فقد أوضح طريقة الجمع فى اللغة فى ذلك الوقت أو استخدام الأداة (نى) واستخدام الفعل (كر) فى العطف و (سى) للدلالة على المستقبل واسم الفاعل الهندى والتذكير والتأنيث واستعمال المصدر ثم أوضح التأثير الفارسى بالتفصيل . (٢)

وما يهمنا هنا هو أن نذكر ان الشاعر قد تصرف فى الألفاظ العربية والفارسية وهذا أمر راج فى ذلك الوقت : فهناك ابدال الهاء والعين بالألف :

خاصا (خاصة) ـ وضا (وضع) ـ نفا (نفع) قصا (قصة) حيلا (حيلة) وسيللا (.) وسيله) طما (طمع) الا (أعلى) .

كما تصرف أيضا في معنى الألفاظ فاختلفت دلالة اللفظ فى الأردية عما هى عليه فى العربية فكلمة تقوى جعل معناها الاطمئنان وكلمة فتوا (فتوى) جعل معناها فتنة وهكذا . (٣)

ولا شك أن سب رس يعد من الناحية الأدبية واللغوية منعطفا هاما فى تاريخ الأدب الاردى فقد أضاف هذا العمل الأدبي الاردى أساليب جديدة واستخدامات للألفاظ والعبارات لم يسبقه اليها أى عمل ، وليس من شك انه يحمل فى الأردية مكانة توازى مكانة مقامات بديعى فى العربية وحميدى فى الفارسية والعجي ان هذا الكتاب لم ينل من الشهرة ما يستحقه كعمل أدبي شامخ .

تزايد الاتجاه الفارسى

كتب ملا وجهى « سب رس » بناء على أمر عبدالله قطب شاه الذى ولد بعد وفاة جده محمد قلى شاه (متوفي ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م)

١ ـ أنظر صفحات ٢٢٣ حتى ٢٢٩

٢ ـ ص ٢٤٠ ـ ٢٦٠

٣ ـ مقالات شيرانى ص ٢٦٠

إزدهار الأدب الأردى

بثلاث سنوات وتولى العرش وعمره لا يتجاوز الاثنتا عشرة سنة (١٠٣٥هـ ـ ١٦٢٥ م) وهو يشبه جده فى كثير من الأمور، التربية والتعليم اللهو واللعب، صلته بالنساء والخمر، والاهتمام برعاية الفنون والآداب والبراعة فى قرض الشعر، وكانت كل هذه الأمور قد توقفت فى زمان والده سلطان محمد قطب شاه (١٠٢٠ هـ ـ ١٠٣٥ هـ / ١٦١١ م ـ ١٦٢٥ م) الا أن عبدالله بدا يتابع سيرة جده فأعاد الى سلطنته (كوكندا) الجو الذى كان يسودها قبل وفاة والده، ويعبر غواصي عن هذا فى مثنوى « طوطي نامه » بقوله ان محمد قلى قد عاد الى الحياة مرة ثانية :

كهين يون يه حق على ولى
كه بهر حك مين ايا محمد قلى

وتميزت أشعار عبدالله وخاصة غزلياته بالميل الى اللهو، فهو يرى ان الدنيا يومان ونحن فيها ضيوف لن نخلد فيها فلا ينبغى أن نرتبط بها ولنلهو ونسعد ولا نحزن :

يو دنيا دو دن كى هى مهمان، اسى كج تهير نين
دل نه باند هـ اس سات تون خوش حال ره يان غم نه كها

والشاعر على منهج بابر (أبو القاسم مرزا بابر عم ظهير الدين بابر) الذى قال :

(بابر يعيش كوش كه عالم دو باره نيست) أى لتسعد يا بابر فهذا العالم لا يتكرر

وعلى نهج عم الخيام فهو يقول بنظريته فى اقتناص السعادة الحالية فالأيام لن تتكرر ثانية :

« دنيا مين كوئى نئين ايا دوبارا »

وتعكس اشعار عبدالله قطب حياته بصورة كاملة، وكما تخلو حياته من عمق التجربة فكذلك اشعاره تعرض أمامنا العواطف بطريقة مباشرة وببساطة وبألفاظ سهلة واضحة وتتلخص موضوعاته الشعرية فيما يلي : الخمر، الدن، رضاب المحبة الوصل وما الى ذلك .. وهو يذكرنا بشعراء المعلقات فى وصفهم لقائهم بالمحبوب :

« أيها الحبيب .. ملأت رياح الصباح العطرة الليل بأكمله، وخلت الدنيا من كل شيء ولم يعد بينى وبينك حجاب .. حينئذ التقي ذلك الجسد بي .. ولم تستطع النطق بكلمة فقد كان السكون يخيم والجميع نيام .. التقينا وذبت فى فكرك، فلم أنطق بكلمة ولم يصدر عن أى همس .. وذاب العود « و « الرباب » سكرا ونشوة، وعلت الأنغام اللانهائية لذة وطربا »

ويعلن عبدالله ان هدف المحبوب ان « يعطى » اللذة :

جوانى وهى هى جو عاشق كون كام ائى
كه عاشق هى جان يه عاشق بجارا
تو محبوب مطلوب هى خط دينى هارى
تو معشوق عاشق هى خط لينى هارا

ولابد أن نذكر هنا ان عبدالله لم يتقدم بالشعر خطوة الى الامام كما فعل سابقوه

الا أن لغته أوضح كما أن تأثير الفارسية على لغته وبيانه وطريقة تعبيره أبين مـــما هو لدى سابـــقـــيـــه الا أن أهميته فى التاريخ تكمن فى اهتمامه بالأدب والأدباء مما جمع حوله الأدباء والشعراء من أهل ايران وتركيا وروما والشام ، فلولاه لما كتب ملا وجهى سب رس ولما برع غواصى كشاعر ممتاز ، ولما كتب المعجم الفارسى الشهير « برهان قاطع » وقد ارتبط بلاط السلطان كل من علامة بن خاتون ، ملا جمال الدين ، ملا على بن طيفور ومولانا حين املى وملا فتح الله سمنانى ـ كما كتبت « حديقة السلطان » لملا نظام الدين أحمد ويعد هذا المولف من مراجع التاريخ الموثوق بها لتلك الفترة ، كما برع ابن نشاطى وجنيدى وشاه راجو وسيد بلاقي وميران جى خدا نما والكثير من الأدباء والشعراء وهنا تكمن أهمية عبدالله (متوفي ١٦٧٢ م) وهى أهمية تجعل من الصعب على أحد أن يغفل مكانته فى تاريخ الا دب الاردى . (١)

كان غواصى أمير الشعراء فى بلاط عبدالله ، وقد ذاعت شهرته فى كولكندا لدرجة ان وجهى صاحب قطب مشترى وهو من الشعراء المتغطرسين المعتدين بأنفسهم بدا ينظر اليه كند له وهو يقول متحدثا عن نفسه وعن عظمته الشعرية فى قطب مشترى :

اكر غوطه لك برس غواصى كهائى
تويك كوهر اس دهات امولك نه بائى

يو موتى نهين وو جو عواصي با نـــــهـــــيـــــن
يو موتى نهين وو جس كس هات ا ئين

« لو عاص عواصي لسنة فلن يجد جوهرة من هذه الجواهر النادرة ، ان ما وجده غواصى ليس بلؤلؤ ، ليس هذا بلولو ما وصلت اليه يداه »

وحين كتب غواصى مثنوى « سيف الملوك بديع الجمال » تحدث عن عظمته الشعرية ورد على وجهى قائلا :

أنا غواص البحار اكشف عن اللآلىء النادرة ، لدى جميع جواهر الحياة ، من ذا الذى يستطيع أن يحصل على ما لدى من لآلىء نادرة

ومن المعروف أن عبد الله قطب شاه قد عين غواصى سفيرا له فى بيجابور . ونال غواصى شهرة واسعة زمان عبد الله وقد نشرت له بالاضافة الى كلياته ثلاثة مثنويات : مينا ستونتى ، سيف الملوك بديع الجمال وطوطى نامه .

وهذه الأسباب تدل على قدرته وتمكنه من قرض الشعر ، أما أهمية شعره فتكمن فى تأثيره على الشعراء الاخرين ، فمثنوى سيف الملوك بديع الجمال هو المثنوى الذى اذاع كتابة هذا النمط الشعرى فى بيجابور بل كان بمثابة نموذج يحتذيه جميع الشعراء فكتب مقيمى مثنوى : جندر بدن ومهيار مقلدا غواصى واعترف بذلك(٢) أما نصرتى فقد أشاد فى كلشن عشق « بمثنوى غواصى كما ذكره كل من غوثى بيجابورى وعشرتى وكذلك

١ ـ جميل جالبى : تاريخ ادب اردو جـ أول ٤٧٠

٢ ـ جميل جالبى : تاريخ ادب اردو ص ٤٧٣

حسين فى مثنوى « طوطى نامه » (١)

وهكذا ظل اسم غواصى يتردد فى طول الدكن وعرضها لأكثر من مائتى وخمسين سنة .

وهكذا ظل اسم غواصى يتردد فى طول الدكن وعرضها لأكثر من مائتى وخمسين سنة .

ومثنويات غواصى مترجمة أو مأخوذة عن الفارسية ـ يقول غواصى عن مينا ستونتى : « كانت هذه رسالة بالفارسية فنظمتها بالدكنية . والحقيقة أن مينا ستونتى قصة هندية الأصل (٢) ، انتشرت وذاعت كحكاية شعبية فى القرن السابع الهجرى كتبها بالهندية القديمة داوود فى زمان فيروز شاه تغلق (٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) ثم كتبعها ميان سادهن باسم « ميناست » ثم نظمها دولت قاضى بالبنغالية أو القرن السابع عشر بينما كتب هذه القصة حميدى بالفارسية وبطريقته الخاصة سنة (١٠١٦ هـ / ١٦٠٧ م) بعنوان « عصمت نامه » . وقد وضع غواصى القصة الفارسية أمامه ، فأخذ عنها وترجم منها وألبسها لباس الدكنية بكل ألوانه ورغم هذا فالاحساس بالفارسية باق كما أن الشخصيات رغم كونها هندوكية الا اننا نشعر أنها من الناحية الفكرية شخصيات مسلمة .

أما مثنوى سيف الملوك بديع الجمال فقد كتبه الشاعر فى عهد سلطان محمد قلى قطب شاه الا أنه لم يتمكن من تقديمه اليه لأنه ما كان ليعجب السلطان ، وبعد وفاته قام غواصى بحذف بعض اشعاره وأضاف البعض الاخر وأهداه الى عبد الله قطب شاه ، وقد اوضح غواصى أنه كتب هذا المثنوى سنة ١٠٣٥ هـ :

برس يك هزار هور بنج تيس مين
كيا ختم يو نظم دن تيس مين

أما مثنوى سيف الملوك هذا فليس بترجمة عن أى مثنوى فارسى بل هو مأخوذ عن حكاية « ألف ليلة » وفيها قصة سيف الملوك بديع الجمال « ضمن حكاية » بادشاه محسنبن سبائك والتاجر حسن (٣) وهى تبدأ من الليلة ٧٥٧ وتنتهى بالليلة ٧٧٨ ، وقصة غواصى وشخصياته هى نفسها القصة والشخصيات التى وردت فى ألف ليلة (٤) .

ومن أهم خصائص هذا المثنوى البساطة ، فقد عرض غواصى أفكاره بلغة سهلة مفهومة دونما تعقيد أو مبالغة ، ودونما اثارة ، وكانت له قدرة فائقة على التعبير عن مناظر الطبيعة ورسم صور الأحداث بطريقة مختصرة جذابة ، فبينما اتسمت اشعار وجهى بقوة البيان الشعرى اتسمت اشعار غواصى بالقدرة القصصية .

ولما كان موضوع « سيف الملوك بديع الجمال » هو العشق ، فقد قل التاثير البيانى فى الأشعار التى عرض فيها الشاعر مناظر الحرب والقتال ، ورغم هذا فقد تميزت أشعاره بالترابط والجدة فى الخيال والموضوع والابتكار فى التشبيه والسلاسة

---

١ ـ المرجع السابق ص ٤٧٤ / ٤٧٥

٢ ـ مينا ستونتى ترتيب غلام عمر خان (قديم اردو مجلد اول ص ٦٢

٣ ـ ترجمة الف ليلة أبو الحسن منصور أحمد مجلد ٥ ص ٤٥٤ / ٤٥٩ دهلى ١٩٤٥ م

٤ ـ سيف الملوك بديع الجمال ترتيب سعادت على رضوى حيدر اباد الدكن

والرقة والتأثير ، ومن هنا صار مثنوى غواصى مثلا يحتذيه الجيل من بعده .

واذا كان سيف الملوك بديع الجمال مأخوذ عن القصة النثرية ألف ليلة وليلة فان طوطى نامه مأخوذ عن القصة النثرية لضياء الدين نخشبى « طوطى نامه » (٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) والمصدر الأساسى لطوطى نامه هو كتاب (شكاسب تتى) باللغة السنسكريتية ، وفيها سبع عشرة حكاية على لسان ببغاء (طوطى) أما (طوطى نامه) بخشى فيحتوى على اثنتى عشرة حكاية . وحكى غواصى فى المثنوى خمس وثلاثين حكاية ومن هنا صار المثنوى روضة (بوستانا) وليس حكاية واحدة :

نــهــيــن داســتان هى يو هى بوســتان
عجب كيا جو خوش اوس تى هووئى جهان

أى أن المثنوى لا يضم قصة واحدة مسلسلة بل يضم حكايات مختلفة ، وهذا المثنوى من مؤلفات أخريات حياتت حين عضته الكهولة ، وأصبح يعيش حياته فارغ البال لا يشغله شاغل ، ويتضح من هذا المثنوى زيادة تأثير الأسلوب الفارسى على أشعاره واختفاء اللغة الدكنية التى سيطرت أحيانا كثيرة على مثنوى « سيف الملوك » و « طوطى نامه » .

وهذا يؤكد على تحول الأسلوب الدكنى الى الأسلوب الفارسى أو ما أطلق عليه « اصطلاحا) (ريخته) ، والشاعر فى طوطى نامه يوضح ما يجب أن يكون عليه الانسان من قناعة فى الدنيا ورضا ، والتخلص من علائق الدنيا الفانية والاتجاه الى الحياة الأبدية الأزلية . فطابع المثنوى طابع صوفى أخلاقى .

وقد كتب غواصى قصائد وغزليات ورباعيات ومراثى . وهو فى قصائده باعترافه يقلد ظهير فاريابى ، وكمال خجندى كما كتب غواصى عدة منظومات عن على رضى الله عنه والغوث الأعظم وعيد الأضحى وموسم المطر والدنيا الفانية وغير ذلك من موضوعات مختلفة . (١)

فى تلك الفترة قام شيخ محمد مظهر الدين شيخ فخر الدين ابن نشاطى بكتابه مثنوى « بهولبن » عن قصة فارسية تدعى بساتين الأنس لأحمد دبير عيدروسى ونظمها سنة ١٠٦٦ هـ / ١٦٥٥ م .

والقصة التى يعرضها هى احدى قصص العصور الوسطى ، قصة عشق بهولبن ابن ملك بتن ويعرض حكايته على طريقة ألف ليلة فى حوالى ١٧٤٤ بيتا من الشعر منها ٣٨ فى مدح السلطان عبد الله قطب شاه ، وبرع ابن نشاطى فى تصويره للطبيعة ، الليالى المقمرة ، شروق الشمس وغروبها ، الحدائق الغناء .. الخ والمثنوى مليىء بالشخصيات التى رسمها ابن نشاطى وحدد لكل منها دوره بوضوح فالملك يرى فى منامه « درويشا » :

« رأى الملك درويشا فى منامه ، يلم بعواقب الدنيا والاخرة ، ارتدى قميصا فوق جسده النحيل وربط خصره بازار جميل ، وضع عمامة ضخمة على رأسه وأمسك بعصا يتوكا عليها ، تجلت على وجهه العبادة ، وحمل فى يده مصلاه .. » (٢)

هذه الصورة وغيرها نجدها فى بهولبن

١ ـ لمزيد من التفصيل أنظر جالبى : تاريخ ادب اردو جـ أول ص ٤٨٣ وما بعدها
٢ ـ المرجع السابق ص ٤٨٩

إزدهار الأدب الأردى

تضفى عليه روعة وواقعية وتجعل منه نموذجا أدبيا رائعا ولا جدال فى أن أداء الشاعر هنا كان أداء أدبيا ، والشاعر فى الأصل كاتب نثرى رأى ما للشعراء من منزلة ومكانة فاتجه الى قول الشعر ، كتب هذا المثنوى فى شبابه وكان أول واخر ما كتب يقول :

اهى انشا بو ميرا ميل دايم
طبيعت كون ميرى حظ ملايم

ولما كان ابن نشاطى كاتبا نثريا فقد أفاده هذا كثيرا فعلى العكس من بقية الشعراء جاءت أشعاره خالية من الأخطاء الاملائية ، وجاءت الألفاظ العربية والفارسية صحيحة فى أشعاره وحاول الا يضحى بذلك على حساب الضرورات الشعرية ـ الا قليلا ـ

ولم يكتب ابن نشاطى غزلا ورأى أن هذا ليس بعيب وحجته فى ذلك أن فردوسى ونظامى لم يكتبا غزلا :

غزل كا مرتبه كر جه اول هى
ولى هر بيت ميرا ايك غزل هى
غزل كر نهين كهى تو نهين هى خامى
جو كجه بو لى سو ظاهر هى نظامى
غزل نهين طوس كى استاذ كون ايك (١)
هنر از ماكو شهنامه منى ايك

ـ ٤ ـ

النثر الاردى فى تلك الفترة

سبق أن تحدثنا عن « سب رس » لوجهى (١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥ م) وقلنا أن وجهى حاول أن يجعل النثر الاردى ـ لأول مرة ـ يقف جنبا الى جنب مع النثر الفارسى ثم أنه أعطى بعمله هذا للنثر الاردى أسلوبا أدبيا لم يتوفر له قبلا ، وأن سب رس هو أول كتاب لم يتخذ موضوعه الدين وينتمى أسلوبه الى الأسلوب الأدبى ، أما الرسائل التى كتبت قبل وجهى وبعده واتخذت من تبليغ الدين موضوعا لها ، فلا أهمية لها من الناحية الأدبية ولا تحمل من الصفات الأدبية شيئا .

ويعد هذا العصر فى الأساس عصر الترجمة عن الفارسية ، فبالاضافة الى تمهيد الأنماط الشعرية والبحور والأساليب فجميع الأعمال الأدبية ـ نظما ونثرا ـ الشهيرة أما مترجمة عن الفارسية أو مقتبسة منها . ولم يقف تأثير الترجمة عن الفارسية عند حد نقل الثقافة والحضارة الفارسية الى شبه القارة بل تجاوز ذلك الى صبغ حضارة شبه القارة وأدبها بلون جديد .

بالأضافة الى عدة رسائل متفرقة تتناول موضوعات دينية فى تلك الفترة فهناك رسالتان هامتان : أحداهما لمير انجى خدا نما والثانية لميران يعقوب ، فقد قام هذا الشيخان بنقل المؤلفات الفارسية الى الأردية بأسلوب متميز أعطى للنثر الدينى شكلا منفردا من ناحية الأسلوب القرآنى وطريقة تركيب العبارات .

عاش ميران جى حسين خدا نما (١٠٠٤ هـ / ١٠٧٤ هـ ـ ١٥٩٥ م / ١٦٦٣ م) فى رعاية عبد الله قطب شاه وكان ورعا تقيا نال ثقة السلطان ، الا أنه يعتزل الخدمة ويغلب عليه التصوف ويعتنق عقيدة وحدة الوجود ، وينصرف بكله الى الله ، ويظل

١ ـ المرجع السابق ص ٤٩٢

الأوقاف . علاوة على رواتبهم أو مكافآتهم الاصلية ، وتصرف هذه المكافآت فورا حسب النظم المالية المتبعة .

المادة السابعة

يمنح محفظو القران الكريم (بطاقات اثبات شخصية) معتمدة من مديريات الأوقاف ، وبموجب هذه البطاقات يعفي جميع أجور المواصلات العامة الحكومية أو شركات القطاع العام .

المادة الثامنة

يعفي محفظو القران الكريم من الخدمة العسكرية اعفاء مؤقتا ما داموا يقومون بأداء هذه الواجب فى تحفيظ القران الكريم ، ويمكن تكليفهم كمحفظين للقران الكريم بالقوات المسلحة . مع مراعاة حقوقهم المالية المنصوص عليها فى هذا القانون ..

المادة التاسعة

يحق لأى موظف بالدولة أو بالقطاع العام أثناء الخدمة أو بعد احالته للتقاعد ان يجمع بين المرتب أو المعاش الحكومى ومكافأة التحفيظ المنصوص عليها في المادة السادسة اذا استوفى شروط التحفيظ الواردة فى المادة الأولى .

المادة العاشرة

ينشر هذا القانون بالجريدة الرسمية ويعمل به من اليوم التالى لتاريخ نشره .

المذكرة الايضاحية

لا شك أننا نتحمل المسئولية جميعا حكومة وشعبا . ونحن نتحمل مسئولية خاصة كممثلين للشعب . بل هى مسئولية كل مسلم ان يراعى تحفيظ القرآن الكريم الرعاية الواجبة ونحن بذلك لاندعى اننا نحافظ على القران الكريم . فالقران كتاب الله الذى تكفل صاحبه بحفظه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

ولكننا نخشى أن نطرد من رحمة الله جميعا اذا نحن قصرنا أو أهملنا فى حق كتاب الله علينا ونحن أحوج مانكون لرحمة الله بنا .

ولقد كانت مصر ولازالت حتى عهد قريب قائدة رائدة وزعيمة للعالم الاسلامى والعالم العربي . ولم تكن هذه القيادة والزعامة خوفا من مصر ولا من جيش مصر ولا من قوة مصر وانما كانت دائما تقديرا لعلماء مصر الأفاضل الذين رفعوا راية حفظ القران وتحفيظه وبفضل أزهر مصر انتشر النور والعلم الاسلامى الصحيح السليم في مشارق الأرض ومغاربها .

ولقد وصلت حالة محفظى القران الكريم من ناحية العدد والندرة حتى أنه يوجد قرى كثيرة تخلو تماما من محفظى القران الكريم بعد أن رحل معظم المحفظين الى رحمة الله ، ولا يخفي علينا جميعا أنه لا يوجد بديل بعد هذا الانقراض الخطير لمحفظى القران الكريم بعد أن أصبح الناس لايجدون ما كان يفعل الاباء وبعد أن توجه الاطفال للتعليم الخاص .

ولا يوجد معهد واحد ولامدرسة واحدة في جمهورية مصر العربية الاسلامية كلها يقوم بتخريج محفظين للقران الكريم . لافى الأزهر ولافي التعليم ولاحتى معهدا تابعا لوزارة الأوقاف .

أمر خطير يدفعنا جميعا أن نعمل لرعاية القران الكريم لذا أقدم هذا المشروع بقانون وهو أقل ما يجب فى شأن محفظي القران الكريم . والله يوفقنا جميعا لما فيه الخير

ركهـسكي كا جسى كوئى اس تهى بيكانه .. » (١)

أما ميران يعقوب فقد تربى على يد خدانما ونال منه رعاية خاصة كما عبر هو عن نفسه عن ذلك فى مقدمة « شمائل الاتقياء » :

« لقد وجدت الرعاية دوما بنظر عنايته واستمر هذا الحال يوما بعد يوم حتى بلغت عمرا نلت فيه نعمة البيعة وذقت لذة لارشاد والتلقين وذقت طعم فاكهة الشريعة والطريقة من كل نوع وشاهدت ألوان الحقيقة والمعرفة

وشمائل الاتقياء ترجمة حرفية لشمائل الاتقياء لركن عماد الدين وهو أحد مريدى شاه برهان الدين غريب (متوفى ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م) وتضم الترجمة الدكنية لشمائل الاتقياء ٩١ بيانا (اى موضوعا) وأربعة أقسام (اى أبواب) فى ١٢٩٩ صفحة . يقول المؤلف :

(بهلا قسم طريقت كى لو كان كى خوب أفعال كى بيان مين هور سالكان كى مقامان هور مريدان كى مرادان ـ أس قسم مين د و اكلى بجاس بيان هين .. دوسوا قسم بيغمبران هو رخاص الخاص وليان أحوال كى بيان مين دوا كلى تيس بيان سوف هى » .

اى ان الباب الأول يضم بيان الأعمال الطيبة لرجال الطريقة ومقامات السالكين ومراد المريدين وفى هذا الباب خمسون موضوعا وفى الباب الثانى ذكر أحوال الأنبياء وأحوال هـ ـخاصة الخاصة من الأولياء وفيه ثلاثون موضوعا » .

ورغم ان الترجمه حرفية الا ان الكاتب يترك الترجمة احيانا ليضيف بعض الجمل من عنده مثل :

جهوت ئيون هى جـ ون جودرين رات كا جاند ـ جون جون دن جاتى تيون تيون كم هوتا هور سج جون بهلا جاند هى روز روز روشن هوتا هى » (٢)

لم الكذب . الكذب مثل قمر ليلة الرابع عشر ينقرض وينقص يوما بعد يوم أما الصدق فهو مثل هلال أول الشهر يتزايد نوره يوما بعد يوم »

والحقيقة ان الأسلوب النثرى لشمائل الأتقياء أسلوب بسيط يودى المهنة التى لا يمكن للشاعر ان يوديها يقترب من لغة الحوار اليومية وهو شبيه بالنثر الذى عالج الموضوعات الدينية فى القرن التاسع عشر وطريقة ترجمة ميران يعقوب للآيات القرانية هى نفسها طريقة شاه عبد الله الذى ترجم على سبيل المثال القرآن الكريم فميران يعقوب يترجم على سبيل المثال قوله تعالى :

يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر هجكذا : يعنى بخشيا خدائى تعالى تيرى كناه أول هور آخر كى واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا هكذا : يعنى رضا دى لو گان كون حج جو اوين تيرى باس وهناك تنوع فى الأسلوب فى شمائل الأتقياء ويرجع السبب الى أن الكتاب الأصلى

١ ـ شرح تمهيدات همدانى نقلا عن تاريخ أدب اردو جميل جالبى ص ٥٠٠

٢ ـ جميل جالبى : تاريخ ادب اردو ص ٥٠٢

بالفارسية قد اخذ عن عدد كبير من الكتب والرسائل مثل كشف المحجوب وروح الأرواح ورسالة الامام الغزالى واللوائح وغيرها . ومن هنا جاءت الترجمة الأردية الحرفية مطابقة للأصل حتى فى تنوع الاسلوب ذاته . ونلاحظ العبارة التالية فى شمائل الاتقياء ومصدرها القشيرى :

« مهتر ابراهيم ابنى فرزند اسماعيل كون كهيى كه مين سونا ديكهيا جو تجى ذبح اتاهى اسماعيل كهى اكر تمين ناسوتى توايسا نه ديكهتى »

« قال ابراهيم لابنه اسماعيل انى رأيت فى منامى انى أذبحك قال اسماعيل اذا كنت ناسوتيا لما رأيت هذا » ومن الجدير بالذكر ان ميران جى فى شمائل الاتقياء لم يترجم عن الفارسية الأشعار فقط بل ترجم المصطلحات ايضا فيما يتعلق بالتصوف والشريعة فاستخدم : ايك بنا للوحدة ودوبنا للثنائية وبهوت بنا للكثرة ونهين بنا للعدم وادمى بنا للانسانية ومين بنل للذاتية وهكذا

وكانت طريقة كتابة العدد فى اللغة الاردية فى ذلك الوقت هكذا :

بدلا من انجاس (٤) يكتب ايك كم بجاس اى خمسون الا واحدا

بدلا من اكياون (٥١) يكتب ايك اكلا بجاس اى خمسون وأمامها واحدا

وبدلا من باون (٥٢) يكتب دو اكلى بجاس اى خمسون و امامها اثنان .

وتدل رسالتا كلمة الحقائق وشمائل الاتقياء على ان لغة الحوار كانت عامره بالعديدمن الكلمات العربية والفارسية التى كانت تعطى قوة البيان فى التعبير بين الناس .

ونصل بهذا الى فترة تشهد وفاة السلطان عبد الله قطب شاه فى محرم ١٠٨٣ هـ / ١٦٧٢ م ليعتلى العرش من بعده زوج ابنته أبو الحسن تانا شاه .

ويبسط المغول سلطانهم على جميع سلاطين الدكن وتلغى الحدود وتذوب وتنتهى سلطنة بيجابور ١٠٧٩ هـ وكولكندا ١٠٩٨ هـ وترك هذا أثره على الأدب فقد أخذت مدرسة الدكن الأدبية تلفظ أنفاسها الأخيرة وتختلط الدكنية الجديدة بلغة شمال الهند (ريخته) الا أن لغة الشمال (ريخته) تجد الطريق ممهدا لها فى قلب الدكنية الجديدة التى رحبت ترحيبا شديدا بهذه المدرسة الأدبية الجديدة أو الأسلوب الأدبى الجديد الذى لم يكن غريبا عليها بل كانت ممهدة له منذ فترة طويلة .

وهكذا يصل بنا المطاف الى ولى الدكنى الذى يمثل انتصار مدرسة الأدب الجديدة أو ما يعرف فى تاريخ الأدب الاردى بالريخته مما جعل بعض مؤرخى الأدب يطلقون عليه لقب رائد الشعر الاردى وهو يمثل فى الواقع ظاهرة فريدة فى الأدب الاردى سنناقشها فى مقالنا القادم ان شاء الله .

دكتور سمير عبد الحميد ابراهيم

مع رسالة جامعية

محمد مصطفى الماحى

حياته وشعره

للباحث : محمد محمد على عبد المجيد

تقديم : عاطف زهران

●● توطئة :

الشاعر محمد مصطفى الماحى من مواليد دمياط فى سبتمبر سنة ١٨٩٥ م . والتحق بالكتاب حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ جزءاكبيرا من القرآن الكريم . ثم التحق بمدرسة الحمزاوى فدرس فيها اللغة العربية والدين الاسلامى والمواد التجارية على مدى عامين . ثم أصيب والده برمد فى عينيه لم يلبث أن ذهب بنورهما . مما أضطر الابن للانقطاع عن الدراسة حينا من الزمن لمصاحبة والده ..

ولقد كان أول ما صافح أذن الطفل من الشعر بيت كان يتردد على شفتى والده يقول :

ان كان للناس عيد يفرحون به
يا نور عينى فعيدى يوم لقياكا

وبعد فترة التحق الفتى بمدرسة دمياط الأميرية فحصل منها على الشهادة الابتدائية سنة ١٩١١ م .

ولقد عمل الوالد على وصل ابنه بنور العلم والأدب . فكان يطلب منه أن يقرأ عليه ما تيسر من كتب الأدب العربى .. قديمه وحديثه .. تذكر منها .. العقد الفريد لابن عبد ربه . والمقامات للحريرى . وأدب الدنيا والدين للماوردى . والكشكول للأبشيهى .. الى غير ذلك .

وبعد حصوله على الابتدائية عين موظفا بوزارة الأوقاف فى نفس العام : لقى الشاعر ربه فى الثامن من نوفمبر سنة ١٩٧٦ ..

محمد مصطفى الماحى .. حياته وشعره » هذا هو عنوان رسالة الماجستير التى تقدم

● الباحث ينصت لتعليمـــات لجنة مناقشة الرسالة

بها الطالب محمد محمد على عبد المجيد .. المعيد بكلية اللغة جامعة الأزهر فرع الزقازيق . ونوقشت يوم ٢ من يونيه سنة ١٩٨٣ . تحت اشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى . وعضوية كل من :

الدكتور مصطفى يونس والدكتور عبد الرحمن عبد الحميد على وبعد المناقشة منح الطالب درجة الماجستير بتقدير جيد

●● منهج الدراسة :

ولقد نهج الباحث فى دراسته هذه للشاعر نهج الاتصال بشعر الشاعر مطبوعا فى الصحافة والدواوين والاتصال بمن كانت لهم بالشاعر صلات والاتصال بأصدقاء الشاعر بغية الحصول على مزيد من المعلومات والحقائق عن حياة الشاعر وشعره . كما رأى أن يتصل ببعض أساتذة الأدب والنقد لمعرفة آرائهم حول بعض القضايا الأدبية والنقدية التى تعرض لها الباحث فى رسالته .

مضافا الى ذلك ما قام به الباحث من قراءة داووين الشاعر الثلاثة التى أصدرها وقراءة شعره ونشره فى الصحف والدوريات التى كانت تصور فى عصره وكان له فيها اسهامات .

مع رسالة جامعية

●● خطة البحث :

قسم الباحث دراسته للشاعر الى بابين عدا مقدمة وخاتمة . وحاول فى المقدمة أن يلقي الضوء على موضوع البحث ومدى اهميته . وأسباب اختيار الباحث له . والمنهج العلمى الذى سار عليه والمصادر الأساسية التى أعتمد عليها .

وكل باب يحوى عدة فصول .

الباب الأول : عصر الشاعر وحياته وشخصيته . ويضم ثلاثة فصول .

ـ الأول : عصر الشاعر وصداه فى شعره . حاول فيه الباحث ربط أحداث العصر السياسية والاجتماعية والثقافية بشعر الأستاذ الماحى .

ـ الثانى : ميلاد الشاعر وبيئته تحدث فيه عن مراحل حياته المختلفة . وذكر نماذج من شعر الماحى فى مسيرة هذه الحياة .

الثالث : شخصية الشاعر وثقافته وتحدث الباحث فى هذا الفصل عن السمات البارزة فى شخصية الشاعر من صدق ووفاء . واعتدال وغير ذلك من الصفات التى كان لها أثرها الكبير فى شعره . كما ذكر لنا أن ثقافته واسعة ومتنوعة اذ شملت عديدا من الثقافات .. الأدبية واللغوية والدينية والاجتماعية . وذكر الروافد التى استمد الشاعر منها ثقافته . كما ذكر آراء الشاعر ومعتقداته وآثاره

الباب الثانى :
شعر الشاعر ويضم أربعة فصول :

ـ الأول : تحدث فيه عن بواعث الشاعرية والالهام في نفس الشاعر وحصر مصادر الالهام أو بواعثه في ثلاثة أمور هى :

مشاعر الشاعر ـ الطبيعة ـ الأحداث الاجتماعية والتجارب البشرية .

ـ الثانى : تحدث فيه عن موضوعات الشاعر وفنونه . فدرسها وحللها .

وأشار الى مدى اتساع أغراضه وتنوعها لتشمل القديم والجديد من الأغراض . ثم تحدث عن جهود الشاعر في الدعوة الى الاسلام والعربية . وعن تجاوب الشاعر مع مطالب الحياة العامة والخاصة . وبخاصة بعد انطلاق الشاعر من قيود وظيفته الحكومية ..

الثالث : تحدث فيه عن الخصائص والسمات التى تميز بها شعر الماحى وقسمها قسمين : الأول يتعلق بالمضمون والثانى يتعلق بالشكل .

وفيما يتعلق بالمضمون ذكر الباحث أن معانى الشاعر وأفكاره متفاوتة بتفاوت مراحل عمره .. فهى في بادىء الأمر تعبير عن عواطفه وانفعالاته الشخصية بينما هى في مرحلة متأخرة من حياته غزيرة ومتنوعة . وتحدث أيضا عن الظواهر البارزة في معانى الشاعر مثل الوضوح ، ومطابقتها للواقع وموافقتها للحال والبعد بها عن المبالغة والغلو ، وشيوع النزعة الخلقية فيها ، وجمعها بين القديم والجديد من المعانى .

وبين في هذا الفصل أيضا أن الصور الشعرية في شعر الماحى ملتصقة بالمظاهر المادية التى تقع عليها حواس الشاعر فهو يرصد العالم الخارجى دون اغراب في الخيال .

أما فيما يتعلق بالشكل . فقد ذكر الباحث أن الألفاظ والتراكيب وبناء الاسلوب النقى ذلك كله مع عاطفة الشاعر . حيث اختار الألفاظ القوية المعبرة والسهلة العذبة لمايناسبها مع جزالتها في كل الأحوال وسموها عن الابتذال .

ثم ذكر الباحث ماتميز به شعر الماحى من ظواهر أسلوبية ممثلة في الايجاز واعتماده أحيانا على أسلوب الحوار ، وعدم ولوعه بالمحسنات البديعية ، وشيوع بعض ألفاظ العصر في شعره ..

وذكر ماوقع عليه من هنات في شعر مصطفى الماحى ..

وفيما يتعلق بالشكل أيضا تحدث الباحث عن الموسيقى . وذكر أن شعر الماحى يتميز بموسيقى عذبة آسرة . تستمد عناصرها من الوزن والقافية والتعديل في الألفاظ والتأليف بينها بما يوحى بتجربته ويكشف عن رؤيته الأمر الذى أقام ألفة ومودة بين ألفاظه ومعانيه ..

الرابع : وتحدث فيه الباحث عن مكانة الماحى الفنية من خلال أمور عدة :

١ ـ بيان مذهب الشاعر حيث لم يتقيد بالأسوار المدرسية رغم انتمائه للكلاسبكية المحافظة ..

٢ ـ عقد الباحث موازنة بين ما أتفق فيه الشاعر مع غيره من الشعراء . وأوضح ماتفوق فيه الشاعر على غيره من الشعراء وماقصر فيه دونهم .

٣ ـ عرض لآراء النقاد في شعر الماحى ..

٤ ـ تم ختم الفصل بذكر الرأى الذى انتهى اليه . والفكرة التى كونها عنه وقرر أن الشاعر عظيم المنزلة بين شعراء طبقته وأنه صاحب نفس شاعرة ولكنه لم يتح له أن يوجهها توجيها كاملا يصل بها الى قمتها ..

ثم ختم الباحث دراسته بخاتمة ضمنها ملخصا وبيانا للجديد فيها ..

●●● أهمية هذه الدراسة :

حين يعرض الباحث ـ أى باحث ـ لموضوع يجعله مناط بحث علمى تدور في ذهنه عدة تساؤلات . لماذا ؟ وما الهدف ؟ وما الأهمية لهذا الموضوع ؟ فلابد للبحث العلمى من أن يكون ذا أهمية تضيف الجديد للبحث العلمى . ولايمكن لبحث ان يكون عديم الجدوى ويمكث الباحث السنوات الطوال ليصل الى هدفه من البحث . ويبرز ما لبحثه من أهمية وضرورة ..

ان الباحث يسعى لتقديم الجديد والمفيد . أو الكشف عن غامض وهكذا ..

وتنبع أهمية هذا البحث من عدة نقاط هى :

مع رسالة جامعية

أ ـ كشف القناع عن شاعر معاصر يمثل ظاهرة أدبية رائعة، وموهبة مبدعة وخلاقة.

ب ـ أبرز العوامل والأحداث التى وجهت حياة الشاعر وجهة خاصة دون بعضها كـــــ فقد والده البصر ـ بلون فيه مس الجد اكثر مايكون عادة في حياه الصبية .. مما كان له أثره في صبغ بعض شعره بصبغة حزينة .. وعزا الى بعض هذه الأحداث عتنزال الشاعر في اول حياته الحياة العامة فضعفت في شعره نغمة التعبير عن الواقع الاجتماعى كما سلبت منه غزارة الأفكار ..

جـ ـ اقتران فن الشاعر بعصره وحياته وبيئته وشخصيته منهج أخذ به الباحث نفسه على مافيه من مشقة تصاحب البحث الدقيق عن الروابط الخفية التى قد تصل الأعمال الخفية بأصحابها ..

د ـ دراسة الباحث لأغراض الشاعر وفنونه على هذا المستوى المتجدد من الفهم والوعى الكامل وكشفه عن جوانب لم يتناولها أحد قبله كالشعر التأملى والشعر السياسى وقضايا الأدب والفكر في شعره. كل ذلك يدل على فهم دقيق لجوانب الموضوع ..

هـ ـ أتبع الباحث في ذكر السمات والخصائص الفنية مايمكن تسميته بالاستقراء حيث استنتج السمات والخصائص على ضوء لقراءة الواعية المتأنية مستشهدا على ما انتهى اليه بنماذج تؤيد رأيه ..

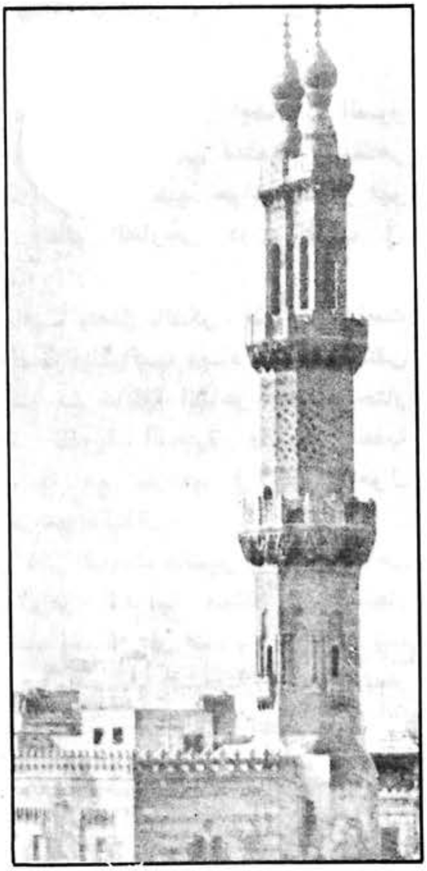

وبعد فلعل المطالع لفصول الدراسة يشعر بمدى معاناة الباحث للوصول ببحثه الى هذه الدرجة. وتلك هى طبيعة البحث العلمى عادة ولكنه أفلح في أن يقدم لنا أحد اعلام أدبنا الحديث بجهد علمى موفق ومبارك ان شاء الله.

عاطف زهران

ديوان شعر

هكذا أغني

للشاعر محمود حسن اسماعيل

عرض ونقد د . طه مصطفى أبو كريشة

ـ ١ ـ

« هكذا أغنى » عنوان الديوان الذى نشرته دار المعارف بالقاهرة لشاعر محمود حسن اسماعيل !

أما الشاعر فهو غنى عن التعريف اذ هو واحد من الشعراء الذين أثروا حياتنا الشعرية فى الفترة التى تلت أحمد شوقى وحافظ ابراهيم ، ويعد من الصفوة الذين يمثلون جماعة أبوللو الأدبية .

تلك الجماعة التى ضمت اليها كثيرا من الشعراء الذين لا يجمعهم مذهب شعرى واحد ، وان كان التيار الوجدانى يغلب على كثير من شعرائها فى المنزع النفسى والعاطفى .

وأما الديوان فهو يضم أربعا وأربعين قصيدة ومقطوعة ، يجاوز فيها بعض القصائد المائة من الأبيات ، وتقصر بعض المقطوعات الى بيتين ، وقد صنف الشاعر شعر ديوانه ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى وضعها تحت عنوان « أغان للحب » وتشمل تسع عشرة قصيدة ومقطوعة .

والمجموعة الثانية بعنوان « من نار المعترك » وفيها سبع عشرة قصيدة ومقطوعة .

أما المجموعة الثالثة فهى بعنوان « وطن الفأس » وتشمل الثمانية الباقية من القصائد وقد ألحقت بالديوان دراسة موجزة للدكتور

هكذا أغنى

شفيع السيد ، فيها أضواء على الشعر من وجهة نظر نقدية .

وعنوان الديوان هو عنوان القصيدة الأخيرة منه ، ومع شىء من التجوز نستطيع أن نعدها مقدمة الشاعر لديوانه ، ففيها يبين كيف يتغنى بشعره أو كيف صدر هذا الشعر عنه ، فالغناء هنا لا يعنى أكثر من تعبير الشاعر عن ذاته بالشعر ، والى جانب هذا ففى العنوان رمزية دالة ، كامنة فى اسم الاشارة « هكذا » وكامنة فى الفعل وضمير المتكلم المستتر « أغنى » فالشاعر لا يعنيه الا أن يكون شعره بالصورة التى خرج عليها ، لأنه راض عنها وكذلك فان الغناء غناؤه هو لا يقلد فيه أحدا ، هذا الى جانب أن الضمير المستتر « أنا » فيه دلالة الاعتزاز والتمسك بكل من هذا وذاك . وأبيات القصيدة ذاتها توضح ما كمن فى العنوان .

ففى معرض بيان رضائه عما صدر منه من شعر يقول لمن سأله عن مذهبه فى الشعر (٢٦٣) :

ان تسل فى الشعر عنى
هكذا كـنـــت أغـــنى
لا أبالى أشجا سمعك أم لم يشج لحنى
هو من روحى لروحى صلوات وتـغـنى

أما منبع هذا الشعر ومصدره فهو :

وهو من قلبى ينابيع بها يهدر قلبى
وهو احساسى الذى ينساب كالجدول منى

وفى هذا الشعر مختلف المشاعر والعواطف التى تعتور النفس البشرية :

واثب كالطير فى الأظلال من غصن لغصن
ذاهل كالوتر المهجور فى عود المغنى
ساهم الأنفاس حيران أيبكى أم يغنى

وهو صدى لانفعالات شاعر مهضوم من دهره ، قام يدافع عن نفسه بكلمات باكية حزينة ، انه :

لم يصب من دهره غير جحود وتجنى
فانبرى يعصف فى دنياه بالشدو المرن
زاجلا تذكى صداه نار أيامى وحزنى

أما مذهبه فى الشعر فهو نابع من ذاته لا يقلد فيه أحدا هنا أو هناك :

مذهبى لا مذهب اليوم سوى أصداء لحنى
ولها الخلد ولى فى ظلها سحر التغنى

ولا غرابة فى ذلك ، فالشاعر يتلقى وحى الهامه فيترجم عنه :

هكذا يخفق نايى بين الهامى وبينى
يلهم الله فيمضى وتر الروح يغنى

واذا كان الشاعر يصوغ شعره مخلصا فيه فانه من أجل ذلك لا يتملق قارئه ولا يحرص على ثناء يستجديه ، وهو كذلك لا يخاف من لوم يوجه اليه :

فسواء رحت تغضى لائما أو رحت تثنى
مزهرى نشوان لا توقظه ضجة كونى
فليلم من شاء انى راسخ كالطود جنى
ان تشأ فاسمع نشيدى أو تشأ فارحل ودعنى

واذا أشجاك همس من صداه لا تـلـمـنى
ماأنا الا كظل لشعورى فاعف عنى

وهنا لا يخفى الشاعر مشاعره نحو شعره ، فهو معجب فخور به ، معجب به فى رقته الهادئة ، ومعجب به كذلك فى ثورته العارمة :

فاذا رق فقل يا قبلة الأسحار غنى
واذا هاج فهول ساقه موكب جن

قلت ان القصيدة بمثابة مقدمة للديوان ، ولذلك فان وضعها فى القسم الثالث من الديوان وضع ليس له ما يسوغه ، لأن مجموعة هذا القسم تدور حول موضوعات يجمعها طابع الريف ، ولذلك كنت أفضل أن توضع القصيدة فى صدر الديوان اللهم الا اذا جعل الشاعر ذلك تعقيبا منه ، بعد أن قدم ما قدمه من شعر بين يدى القارىء ، وسواء علينا أأراد التقديم أم أراد التعقيب ، فالمضمون واحد لا يتغير بين البدء والختام .

ـ ٢ ـ

فاذا جئنا الى المجموعة الأولى من الديوان ، وهى المجموعة التى جاءت تحت عنوان « أغان للحب » فاننا نرى أن العاطفة التى تتبدى لنا من خلالها هى العاطفة التى يلفها الحزن والأسى ، فى غشاء رقيق مثير لذات العاطفة ، وربما كانت موضوعات هذه المجموعة تحكى شيئا من سيرة الشاعر الذاتية ـ وهى كذلك ـ كما قدم لبعض القصائد ، ومن ثم غلب عليها هذا الطابع الوجدانى الأسيف ، أما لماذا كان هذا الجانب من جوانب الوجدان ، فذلك لأن الشاعر قد أخفق فى حبه ، أو حيل بينه وبين استدامة هذا الحب ، فأخذ يعزف هذا اللحن الحزين على قيثارة شعره ، وغلب على خياله هذا اللون فحسب .

والشاعر يعلن فى أكثر من موضع عن ملازمة عاطفة الحزن له ، من ذلك قوله من قصيدة « دينا أدمع وماتم » (٢٣)

حزيـن ؟ أجـل والـحزن أضـحى مـنادمى
فدنـياى دنـــيا أدمـــع ومآثـــم

واذا لامه أحد على مافى شعره من ظلام الحزن وقتامه قائلا :

خيالك أضحى ظلمة سرمدية
ترامت على ليل من البؤس فاحم

أجابهم مبينا أسباب هذا الأسى والشجن :

فقلت لهم لا تكثروا اللوم اننى
تحيرت فى كون عجيب المظالم
شقيت بحبى وهو عف مطهر
وغيرى سعيد فى الهوى بالمآثم
تعلقتها عذراء يندى حديثها
صفاء تجلى من عفيف المباسم

هكذا أغنى

ولما تلاقـــيــــنا وكاد صــــفاؤنا
يرفه من وجد القلوب الهوائم
تصاوحت العيدان فى جنة الهوى
وجافى رفيق اللحن عش الحمائم
وبدلـت الأنـسام بـيـن أراكـها
فـحيـح أعاصير ولـفـح سمائم

واذا كان قد شقى بحبه ، وجفت عيدان جنة هواه ، فالى أين ذهبت هذه التى هام وتعلق بها ؟ يجيب الشاعر عن ذلك فى رمزية موحية :

وغيسانة الأفياء وهنانة الصبا
مـشردة الأطـياب ريا الـنـسائـم
سألت رباها أين بلبلك الذى
تغنى طويلا فى المروج النواسم
فأطرقت الأغصان حزنا وأصبحت
كمرتبك من حيرة الفكر واجم
وقالت بعيد عن ظلالى مكانه
هناك على صم الصخور الصلادم
بفيفاء ماً . الصمت فيها مقامه
نسيل الخوافى مستهاض القوادم

فهل يملك بعد ذلك غير الذكرى يتردد صداها فى جوانحه بين الحين والحين ؟؟ لم يبق له الا هذا الماضى ينبعث فى نفسه ، فتعود الى مثل هذه الترنيمات الدامعة المشجية .

لقد تذكر لحن صوتها وأنغام حديثها الذى كان يسعده ويعطيه راحة العمر ولذة الحياة ، فكانت من وراء هذا التذكر قصيدته « صوتها فى ضميرى » التى أودعها خواطره ومشاعره ، وفى هذا الصوت يقول : (٢٨)

لحن يغمغم فى صدرى فيشجينى
ويسكب النغمة الحيرى فيبكينى
وافى من الغيب علوى الصدى فسمت
طيوفه البيض عن عزفى وتلحينى
شق الأثير من الماضى وناغمنى
بـمزهر كاسـف الرنان مـحزون

ويبعث مع الصوت الطائف رسالة الى صاحبته :

ياصوتها فى ضميرى طف بساحتها
وقل لأية أذن رحت تلقينى
هذى المـسامـع آثام مـغـلـقة
وخدعة ذهبت بالصمت تغوينى
أقصيتنى عن ملاك كان يعبدنى
ولذت بى بين أسماع الشياطين
وكنت فى فمه الصداح غنوته
فمن على البعد ياويلى يغنينى

ويوحش الشاعر موطن الذكرى فيسعى اليه فى لوعة المشتاق ، وحنين الغائب الوامق ، وتكون منه هذه الخاطرات : (١٨)

يازهرتى طلع الصباح وفى فمى
نغم ينوح فهل سمعت نواحه
مازال يصرخ فى القضاء فلم يجد
شـفة تـناغـم لـحـنـه وصداحـه
حجبوك هل حجبوا سناك مفجرا
كالنبع يسكب فى الحشا تلماحه

حجبوك هل حجبوا عبيرك عن دمى
ريان يذكى فى الفؤاد نفاحه
حجبوك هل حجبوا نشيدك فى فمى
لهفان خلد فى الهوى تصداحه
حجبوك هل حجبوا نفاثة عاشق
أضرى الغرام جلاده وكفاحه

وهذا التعلق على هذه الصورة أضنى الشاعر، وأنهك جسده، واحاله حطاما لا روح فيه، من يراه يرى أنه: (٤٢)

جاثم فى التراب كالأمل الخا
ئب فى خاطر ذبيح الشكاة
كورود الخريف ماتت على الأيك ومات الشذا على الورقات
كرفات الأحلام فى عالم النسيان ضاعت بظله أمنياتى
كأنين الغريب فى وحشة الليل كلطم النوادب الثاكلات
كدخان الأكواخ تنفخه الريح فيفنى فى ظلمة الأمسيات
هكذا أصرت بعدما غبت عنى
فى الأسى والنحوس ضاعت حياتى

واذا تحول الشاعر الى مثل هذه الحال، فانه لابد أن يؤثر العزلة بعيدا عن العيون، فمن يكون سميره ومناجيه فى مثل هذه العزلة؟ ليس الا الليل الذى يتسع لكل هائم شريد: (٨٥)

فزعت للظلام روحى كما يفزع أعشى لومضة من ضياء

فحبست الخيال حتى اذا ما
ضج فى خاطرى من البرحاء
هربت أدمعى الى ساحة الليل تهاوى فى الدجية الظلماء
ساقها فى الظلام حاد من الهم بلا ريثة ولا ابطاء

ومن ثم ليس بغريب أن يطلب الشاعر من الليل ما يطلبه من الصديق الأثير:

إيه ياليل قُدَّ لى من حواشيكَ حجابا وناجنى فى خفاء
لا تذع شجوى الكئيب ولا تكشف دموعى لأعين الرقباء
ودع النسمة العليلة تحسو من فم الزهر بلسما للشفاء
ودع الكون هاجعا ودع الناس نشاوى فى غمرة النعماء
خلنى للدموع وحدى أناجيها وحيدا فى العزلة السوداء
هى أشهى الى عيونى من النور وأبهى من لمحة الأنداء

وفى العزلة تستبد بالشاعر شدة الشوق الى الماضى ويود لو أنه عاد فتدب فيه الحياة، ومن ثم نراه يستنجد ويستغيث، لعل فى النجدة انقاذا من موات، وفى الغوث شفاء من أتراح (٤٣)

جريح أضل الطب سر جراحه
فيارحمتا يارب أين دواؤه

هكذا أغنى

تعالى اليه وانظرى جثة الهوى
يسير بها والليل داج رداؤه

تكفنها الأطراس مما نفثته
مواثيق حب هاجهن جفاؤه

يسير بها حيران لهفان جازعا
يحطمه كرب الردى وعناؤه

تعالى اليه واتركى الكون ساخرا
فقد عز فى دنيا البرايا وفاؤه

تعالى اليه قبل أن يغرب السنا
ويصبح وادى الحب قفرا فضاؤه

●●●

ومثل هذه الروح الاسية التى أضناها الهجر وعذبها صرف النوى ، لا ترى فى مناسبات الفرح والبهجة ما يبهج ويفرح ، فهذا هو العيد قد أقبل بأفراحه ومباهجه فأين روح الشاعر من مواكب السرور والانشراح ؟ انها نفس الروح الشاكية الباكية (١٤ ..

يا فرحة العيد مالى لا يسارونى
لديك الا أسى فى القلب موار

مسكينة أنت يا روحى فما أتأدت
عنك الليالى ولا أعفاك مقدار

تزاحمت حولك الأحزان عاصفة
اذا ونى كدر هدتك أكدار

لا تسأل الشعر عنها فهى ملحمة
من الأسى غلفت معناه أسرار

صوفية شردت فى الصمت حكمتها
فما تفيد أناشيد وأشعار

رأيتها فى ظلال العيد قد خنقت
صفاءها من كثيف الهم أستار

تسير فى ضجة الأفراح واجمة
يلهو بها من حفيف الدمع أسرار

واذا وصل الشاعر الى مثل هذا الوجوم الذى لا تحركه ضجة الأفراح ، فانه يغدو بائسا متشائما ، لا يرى نفسه الا أشقي الأشقياء وأبأس البؤساء (١٧

ضاق عيشي وضاقت الأرض حولى
وانحنت من شقاء عمرى الأهلة

ونشدت المنى فولت هباء
رب ما هذه الحياة المملة

فهل مثل هذا الشقي يعثر له على صديق من بنى الانسان يبثه نجواه وشكواه ؟

لا : فالصديق فى نظره أسطورة من الأساطير (٩٦

سألت عنه فقال الوهم مرتبكا
رفات أسطورة كانت تسلينى

دفنتها فى خيالى يوم أن عصفت
بى الهواجس فى أحلام مجنون

ذلك حظ الشاعر من وراء حبه ، وتلك أغانيه لهذا الحب !!

ـ ٣ ـ

والمجموعة الثانية فى هذا الديوان هى مجموعة « من نار المعترك » وواضح من

العنوان أن شعر هذه المجموعة صدى للمعارك التى احتدم بها عصر الشاعر ، وقت أن صاغه فى مناسباته المختلفة ، لكن اذا نظرنا فى القصائد فاننا نجد بعضها يتصل بالسياسة ، وبعضها الآخر فيه رثاء ، فربما كان الذى جمع بين هذا وذاك ، ما يخلفه الرثاء من جوى فى الجوانح ، ونيران فى الأفئدة والقلوب ، حتى وان بعدت المناسبة .

لقد عاصر الشاعر الاحتلال ، ورأى مآسيه ومصائبه ، وعاصر كذلك كفاح الشعب ضد هذا المستعمر ، ورأى كيف يسقط الشهداء فى سبيل نصرة بلادهم والعمل على استقلالها وتحررها من الاستعمار البغيض ، والشاعر لم يحبس شعره عن المشاركة فى هذا الجهاد ، وما جهاد الشعراء ؟ انه الهاب العزائم ، وايقاظ الضمائر ، وبعث الحمية ، وتحريض النفوس ومباهجه وكان للشاعر من ذلك نصيب وافر .

ففى قصيدة من قصائده ينادى بالثورة ضد المستعمر ، ثورة عملية ، تتخذ من الجهاد والموت شعارا ، وتطرح عنها شعار الكلمات (١٠٥)

هى مـــصر الـــتى أثار شـــجاها
أن تطيق القلوب عنها اصطبارا
كـبـــلوها بـكـــل قـــيد أثـــيم
عاقها أن تجوس تلك الديارا
فابعثوها تـصـم سـمـع الـلـيالى
ثورة تـــضرم الـــســـماكين نارا
مات عهد الكلام فلنجعل الثو
رة والـــموت لـــلـجـهاد شـعـارا

ولقد ثار الشعب فعلا على المستعمرين ، وتعرض أبناؤه لنيرانهم ، فسقط منه شهداء فى ميدان المعركة ، وكان حظ الشعر أن يحيي هذا الاستشهاد وأن يثنى عليه ، وأن يردد ما قام به من جهاد واستبسال فى قصائد تلقي على مسمع الاشهاد ، ومن قصائد الشاعر قصيدته « على مذبح الحرية » التى يقول فيها عن الشهيد (١٠٧)

يا وادى الموت بشطك راقد
خفقت له الأرواح بالصلوات
ما ضمه حدث هناك وانما
حضنته دنيا النور فى الهالات
سهرت عليه من السماء ملائك
تضفى عليه سوابغ الرحمات
سموه فى الورق الشهيد وما اسمه
الا الـخـلـود بـصـفـحـة الـمـهـجات
من مثل هذا الحى كُرِّم موته
مـــن سائر الأحـــياء والأموات

●●●

وكما كان لمصر مكان فى شعر الشاعر ، فان فلسطين لها مكان فى هذا الشعر لقد أذكت المعارك الدائرة فى فلسطين مشاعره ، وأضرمت فى قلبه نارا ضد هؤلاء الذين استباحوا حماها ، فكان من وراء ذلك تلك الرسالة التى وجهها الى ضمير الانسانية بعنوان « زفرة على فلسطين الدامية » وفيها يقول (١٩٦) :

هكذا أغنى

صوت، بأرض القدس مشتعل الصدى
كادت له الأكباد أن تتوقدا
مهد الشرائع من قديم ماله
أضحى لأحرار البرية موقدا
فى كل مرتبع به وحنية
تلقى صريعا فى التراب ممدا
هانت على البطل المجاهد نفسه
فسعى لحوض الموت يطلب موردا
يا يوم « بلفور » وشؤمك خالد
ما ضر لو أخلفت هذا الموعدا

واذا كان لمعارك الحاضر صداها فى شعر الشاعر ، فان من معارك الماضى ما كان له مثل هذا الصدى ، ونجد ذلك فى قصيدته عن غزوة بدر الكبرى بعنوان « ثورة الاسلام فى بدر » وفيها يسجل بعض مراحل المعركة فى بدر ، ومن ذلك ما سجله عن حشود قريش (١٤٨) ..

من فجاج الغيوب هاجت صباحا
ثورة فى الرمال هبت تزمجر
قيل بدر فزلزلت هدأة الناس وكاد النشيد بالدم يقطر
أقبلت كالعجاج فى هبوة الحرب قريش على الحياض تنفر
حشدوا موكب المنايا وخفوا
لضياء الاله غاوين فجر

وعن مكان النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقود المعركة يقول :

وعلى التل خاشع فى عريش
قدسى الظلال زاك منور
كاد من طيبه الجريد المحنى
من ذبول البلى يميس ويزهر
باسط كفه الى الله يدعو
رب حُـمَّ القضاء لدينك فانصر

وعن مشاركة الملائكة فى المعركة يقول :

واذا الوحى بارق مستهل
من سماء الغيوب هنّا وبشَّر
فانتضى سيفه وهب على الغا
رة بالسرمدالقوى مؤزر
ينفح القوم بالحصا فتدوى
أسلات الاسلام فى كل منحر

وعن عواقب النصر المؤزر يقول :

فاذا النصر صيحة هزت الدنيا وراعت بروج كسرى وقيصر
واذا بدر خفقة فى لسان الشرق يزهى على صداها ويفخر

●●●

أما الرثاء الذى جاء فى هذه المجموعة فمنه رثاء قيل فى شاعر أو أديب ومنه رثاء قيل فى سياسى أو زعيم .

فمن رثاء الشعراء قوله عن حافظ ابراهيم من قصيدة جاوزت الثمانين بيتا (١٣٦)

ياقبر لى تحت الصفائح شاعر
تاريخه من نحسه متفجر
عبر الحياة فما صفت لنشيده
أذن ولاواسته عين تبصر

فكأنما ألحانه تأويهة
فى الليل رددها شجٍ متحير
ياقبر هدّ بناك عن جنباته
من قال نسلُ العبقرية يقبر
فاهتز مرتاعا وغمغم جاثيا
ومضى يهلل نحوها ويكبر
لاتجزعى فهنا الخلود وسره
خافٍ على كل العقول مستتر

ومن رثاء الأدباء قوله عن مصطفى صادق الرافعى مخاطبا مصر (١٦٧) :

من روابيك خف للخلد روح
قد نعاه لعصرك الاسلام
لبست بعده العروبة ثوبا
صِبْغُ أستاره أسى وقتام
لم تفق من شجونها فيه بغداد ولا صابرت أساها الشام
وعلى بلدة المعز دموع
خلّدت ذكره بها الأهرام
صاحب المعجزات أعيت حِجا الدنيا وعيّت
عن كشفها الأفهام
يخبأ الحكمة الخفية فى الوحى كما تخبأ
الشذا الأنسام
ويزف البيان كالسلسل المكسوب تهفو بشطه
الأحلام

وعن الساسة والزعماء يقول في رثاء مصطفي كامل موضحا ماقام به ضد الاستعمار والمستعمرين ، فهذا المستعمر (١٧٦) .

كم سقي النيل من ضرواته
الهون وعيشا من المذلة أنكد
وتمادي فكنت يامصطفي الهول
علي هوله تثور وترعد
في غباء السنين والنيل مغف
وبنوه من سكرة الضيم هجد
قمت كالعاصف المجلجل تجتاح
فلا تنثني ولا تتردد
تلبس القيد من جنانك قيدا
حزه في الحديد نقش مخلد
هتفات بحب مصر وموت
في هواها ونشوة وتعبد
ودفاع عن الحي كنت فيه
مالغير الحمي تروم وتقصد
فارس في قتامة النيل تمضي
بشهاب من السماء مؤيد

....

ووطنية هذا الشاعر في هذه المجموعة تبرز في ندائه الذي وجهه داعيا الي نبذ الخلاف وترك التطاحن الحزبي الذي يهدر قوي البلاد (٢٠٤)

مزقت قلب الحمي أطماعه
فارجموه ياشباب الوطن
ولأحزاب الحمي شقوا اللحود
السياسات كلام وصدي
وزعامات وخلف وخصام

هكذا أغنى

والـــكراســـي اذا أبـــصرتـــها
مورد أقلق شـــطـــيــه الزحام
فهي تنعي من اساها وتميد
فانهضوا فالعصر وثاب الخطا
ولكم من أمسكم أعلي مثل
وطـــن يـــطـــمـــح لونال الـــسـها
وتـــخـــطاها وأسري بالأمـــل
وعلا بالنيل في هام الوجود

ـ ٤ ـ

وتأتي المجموعة الثالثة « وطن الفاس » تحمل عنوان القصيدة الأولي فيها ،. الشاعر يشير بذلك الي القرية المصرية ، التي جعل لها نصيبا من شعره ، تمثله هذه المجموعة الأخيرة من الديوان ، وفي هذه القصيدة يستعرض الشاعر الطبيعة في الريف مفتونا بجوها وأطيارها وأشجارها وأزهارها كما يشيد بالفلاح وصبره وجلده ، ومما قاله (٢١٨)

والـــفراش الوديـــع يـــســـبـــح في
الأيك ويحسو العبير من زهراته
ومـــن الـــطـــير ســـجعة ورنـــين
ومـــن الـــنـــخـــل زفـــة في ربانـــه
والعصافير شاديات علي الدوح
تـــنـــاغـــي بـــشدوها شـــجراتـــه
جنة نضرة الخمائل في الريف
نـــماها مـــعذب في حـــياتـــه
ناســـك في الـــحـــقول هـــيـــمان
بالأرض يجليّ بتربها دعواته

حملت فأسه من الغيب سرا
حير العقل كامن من صفاته

ويعلي الشاعر من شان الحياة في الريف ، ويجعل القصور تحسد الأكواخ علي هذه الحياة :

ايه ياكوخي الحبيب ألا تسمع شدوا
ســـكرت مـــن صدحاتـــه
غزل في المروج عف الأماني
عـــبـــقري فـــنـــيـــت في نـــغـــماتـــه
ودت الـــغـــيد لو تـــكـــلـــلـــن مـــنـــه
ورشـــفـــن الـــغرام مـــن ســـحـــباتـــه
حـــسد الـــقـــصر لـــحـــنه وتـــمـــني
خـــفـــقة لـــلـــبروج مـــن أبـــياتـــه
قد غنمت السري الي الخلد منه
ووُهـــبـــت الـــعزاءَ مـــن أغـــنـــياتـــه

وعلي هذا النحو يمضي الشاعر في قصائده عن عاهل الريف « الثور » وراهب النخيل « الغراب » وعن « الشادوف » وعن « الأكواخ والسنابل » وكل هذه الموضوعات من المعالم البارزة في الريف فالثور (٢٢٦) :

ثاوٍ هنالك كبلته يد الأسي
وثنته عن عبث المراح قيودها
شـــيـــخ أصـــم تـــكـــنـــفـــت أطرافـــه
سوداء من صلب الزمان حديدها
أحكام ذل لحسن فوق جبينه
سودا تـــكـــتـــم بالـــســـياط وعـــيدها
سجنته في رحب الفضاء وخلدت
آذانـــه رهـــن الـــحـــبال جدودها
عـــكازه سوط تـــلـــهـــب قوتـــه
نارا يشب علي حشاه وقودها

ومع ذلك فانه يغير وجه الحياة في الريف بجهاده الموصول :

هو أنت من جعل المروج خمائلا
عيدانه يسبي النفوس شهودها
في كل حقل من جهادك آية
يضفو علي الريف الشقي خلودها

وهذا التعاطف الذي نلمسه هنا مع الثور نلمسه كذلك مع الغراب راهب النخيل ، الذي تشاءم منه الناس وتطيروا وهو ساخر بهم حذر منهم ، واذا كان الناس قد نفروا منه فان الشاعر متيم به ، مستعد لأن يتلقي العلم منه (٢٣٩) .

فطر في البراري كيف شئت وغادني
اذا عدت بالغيب الذي أنت ناظر
فمالك غيري في البرايا متيم
وان كنت تجفو عزلتي وتهاجر
ولي فيك دنيا من خيال بظلها
زوارق للشط الخفي سوائر
عبرت بها الأجيال أنشد شاطيء
ودون مداه أتعبتني الأداهر
فياراهب الأزمان كشف ستورها
وأفصح فان العقل حيران سادر

والقصيدة طويلة بلغت مائة وثلاثة وثلاثين بيتا جال الشاعر من خلالها في التاريخ وفي المجتمع ، وبين الحسن والحين يستنطق الحكمة من هذا الغراب الذي صاحب البشرية منذ كانت ، وكان لابني ادم معلما :

عبرت فضاء الله من عهد ادم
ومن قبله ملت خطاك المعابر
وجئت بأمر الله من الأرض هاديا
تداري وتأسو ماجناه التناحر

أما « الشادوف » فان الشاعر يطرب لأنغامه ، ويراه في هويه نحو الماء عابدا ناكسا ، ويتمني لو أنه سمع لأنات الشاعر البائس (٢٥٣) .

دع لحنك الشادي بلا تعزيف
طرب الخيال لأنه الشادوف
عريان جرده الضحي من ستره
فغدا يضج بدمعه المذروف
لم يرضه ثوب السنا سدلاله
يختال في بهيج ولمح شفوف
فبكي ونكس رأسه متذللا
متحسرا كالعاشق الملهوف
ياصامتا والريح تخفق حوله
والنبت يطربه بسجع حفيف
هلا شجتك نفاثة من بائس
لهفان في كنف الطوي ملفوف
روي الزروع بصيب من دمعه
وثوي بقلب في الظلام لهيف

.....

- ٥ -

وبعد فقد وضح من خلال العرض للديوان أن الشاعر يمثل في عاطفته مدرسة الوجدان أصدق تمثيل خاصة في مجموعته الأولي « أغان للحب » فشعراء هذا الاتجاه يجترون الألم ، ويقتاتون عليه ، ويطوون جوانحهم علي الهموم والأحزان ، يذرفون الدمع

هكذا أغنى

ويشربونه كئوسا مترعة ، ينظرون الى الحياة بمنظار غير شفاف ، ولامبيح للضوء أن يجتازه لتراه العيون ومن ثم تكثر في شعرهم التأوهات والأنات والزفرات والتنهدات والعبرات . والأمثلة التي قدمناها في شعر المجموعة الأولي شاهدة علي ذلك ،

فالشاعر متهالك في عواطفه ، متذلل في مشاعره ، يكاد يسقط من الضعف والخور بل قد سقط فعلا حين صور نفسه ترابا وحطاما واكفانا ، وحين أحال جسده الي أعواد ذابلة ، وأوراق جافة ، وأسمال بالية .

ومن ثم فالمبالغة التي تصل الي حد الاحالة أبر مايميز المعاني التي ضمنها الشاعر قوالب شعره ، ولسنا نختار مثلا ، فالكل مثل صالح لتأكيد هذه الحقيقة ، واظهارها للعيان .

فاذا تركنا شعر المجموعة الأولي فاننا نجد الشاعر علي طبيعته في شعر المجموعة الثانية ، وسر ذلك واضح ، فالشاعر في هذه المجموعة ينقل عن خارجه لاعن ذاته ، ومن ثم يلتزم بالواقع في التصوير ولايجنح نحو الاحالة والافراط والاسراف في المعني ، وبذلك يكون الشاعر هنا مثل غيره من الشعراء الذين يصوغون الشعر في مناسبات عارضة وليس معني ذلك أن الشاعر هنا أقوي فى شعره من شعر المجموعة الأولى ، اذ ليس من المحتم أن يخلو الشعر من القوة للمبالغة المفرطة في معانيه ذلك لاننا لو أقمنا فاصلا بين حد المقبول والمرفوض في المعني الواحد ، لبقي لنا الأصل والأساس الذي يمكن أن يحوز الاعجاب ويوسم بالقوة والبلاغة ، وحينئذ يبقي العيب فقط في هذا الأمر الزائد عن الحد المقبول ، وفي تحديده تتفاوت الأذواق ، ويقع الاختلاف بين الناقدين والدارسين .

والمجموعة الثالثة هي كذلك معلم من معالم مدرسة الوجدان ، فشعراء هذه المدرسة يهربون بمشاعرهم الي الريف مقلدين في ذلك شعراء الغرب الرومانسيين الذين أكثروا من الحديث عن الغاب ، وأوغلوا في تطوافهم بين أحضان الطبيعة ، وهو تقليد محمود وليس فيه مايعيب ، فهو يفتح للشعر صفحة كانت مطوية ، ويفتح أمام الشاعر نافذة كانت موصدة وفيه الدلالة كل الدلالة علي قدرة الشاعر حين يقترب من موضوعات تبدو في ظاهرها هينة يسيرة فاذا به يحيلها تحت قيثارة شعره الي معزوفة كاملة الألحان والأنغام ، وقصيدتا الشاعر عن الثور والغراب فيهما أكبر دليل علي الكفاءة الشاعرية في تناول الموضوعات العادية .

أما عن لغة الشاعر في هذا الديوان ، فهي لغة قوية ، فيها دلالة علي امتلاك هذه اللغة والقدرة على تصريفها وتطويعها للمعانى الشعرية والصور البيانية ، فالشاعر على وعى كامل بلغته ، وله منها رصيد يدل على الغنى والثراء ، فهو لايعيش علي هامش اللغة ، ولا يأخذ منها أطرافها ، وانما هو يغوص في أعماقها ، وهو فى غوصه لايأتى بالموغل في الغرابة ولا بالثقيل علي اللسان ، ولا بالذي تزور منه الاذان وانما يأتي بالواضح البليغ الرقيق ، الذي يشيع نغما عذبا شجيا يذكرنا أنغام البحتري في ألفاظه الحسان .

والصور البيانية تحتل ميدانا فسيحا في

رقعة هذا الشعر، بل تكاد تشمل كل بيت في المجموعتين الاولي والثانية، وأبرز شيء يميز الصورة البيانية هو تنويع الصور عن الشيء الواحد، فالمشبه يكون واحدا، ومع ذلك فان الشاعر لايكتف بصورة واحدة للمشبه به وانما يأتي بعدة صور، كأنه يري أن الصورة الواحدة لا تؤدي المراد، أو أنها في حقيقة الأمر لاتكافيء عاطفة الشاعر الكامنة وراء كل تعبير، وفي قصيدته «أنت دير الهوي» (٧٢) مثل واضح علي صور التشبيه المتعددة ومثلها قصيدة «أنا» (٥٤) الي هذا جانب ماتقدم من نماذج في (٢).

والصور البيانية واضحة، في أغلبها، ولاتفقد هذا الوضوح الا حين يلجأ الشاعر الي الرمز الموغل في الايهام، حينئذ تتلبد سماء الصورة، ويعسر علي من يتأملها ادراك أبعادها والتجاوب معها، وتبقي حينئذ سرا من أسرار الشاعر. لكن ذلك قليل بل نادر.

ومن صور البيان مايأتي ضعيفا اذا قيست صورة المشبه به بالمشبه أو اذا نظر معها الي الجو العاطفي الذي ثبتت فيه ومن هذه الصور قال الشاعر حين سئلت الربا عن بلبلها:

فأطرقت الأغصان حزنا وأصبحت
كمرتبك من حيرة الفكر واجم

فإطراق الاغصان حزنا لا يوازيه ولا يمثله حالة المرتبك حتي لو كان متحيرا واجما، فقد يكون كذلك دون ان يكون عنده الحزن الذي يعتصر الفؤاد ان ممايحمد للشاعر انه استطاع أن يوائم بين هذا التيار الوجداني

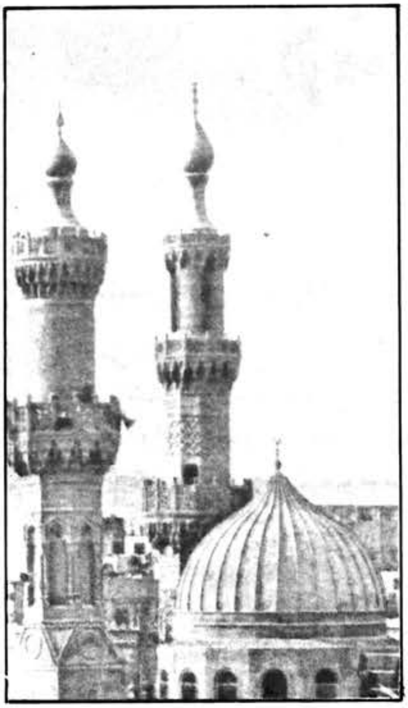

بماله من سمات تتصل بالعاطفة وبين أوزان الشعر العمودي وقوافية، اذ أن ذلك مما يؤكد قدرة قوالب هذه الأوزان علي استيعاب هذه العاطفة مهما أوغلت في مسارب النفس.

وكذلك مهما طال القصيد، او تنوعت الرؤي. وتلك شهادة عملية لها وزنها وقيمتها، يستطيع أن ينتفع بها أولئك الذين يريدون أن يجنحوا بعيدا عن الطريق السوي الي طريق اخر لا يأنفون سنه الا المنعطفات والمنحنيات !!

د. طه مصطفي أبو كريشة

الفتاوى

بر الوالدين

س : من السيد / ١٠ع٠م

علمت ابنتى وزوجتها وهى موظفة بوظيفة مرموقة ، وليس لى دخل غير معاشى الضئيل ، فهل لها أن تساعدنى ولو لم يرض زوجها بذلك ؟

ج : بر الأبناء بالآباء واجب شرعا ، سواء فى ذلك الذكر والأنثى ، وللزوجة أن تساعد والدها بمالها حتى ولو لم يرض زوجها ، لأن للمسلم أن يتصرف فى ماله كيفما شاء فى حدود ما أمر الله ، ومن بين ذلك بر الوالدين ، وليس للزوج أن يمنع زوجته من ذلك ولا أن يتألم ، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

فى الأموال

س : من السيد / م ٠ م بردانة

١ ـ هل يصح لانسان أن يقترض من مال المسجد للحج أو غيره ؟

٢ ـ هل يصح الحج لانسان عليه ديون ؟

ج : أما عن الأول : فان مال المسجد مال وقف، لا يصح القرض منه ، ولا صرفه فى غير وجهه .

وعن الثانى : بأن الحج لا يجب الا على المستطيع ، أما غير المستطيع فلا يجب عليه الحج ، فاذا اقترض للحج صح حجه .

اسقاط الحمل

س : امرأة عندها خمسة أولاد أصغرهم عنده خمسة أشهر فقط ، وهى تشك الآن أنها حامل فى حوالى أربعين يوما .

فهل يجوز لها أن تقوم بعملية اسقاط لهذا الحمل ؟ علما بأن زوجها موافق .

ج : اذا قرر الأطباء المختصون أن استمرار الحمل يخشى منه على صحة الأم أو حياتها جاز الاسقاط بشرط أن يكون ذلك قبل ثلاثة أشهر ونصف الشهر .

إعـــداد عبد الحميد السيد شاهين

● ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

فى الصــوم

س : من السيد / مختار أحمد محمد
امرأة تعاطت حبوب منع الحمل أثناء النهار فى شهر رمضان اعتقادا منها أنه تعاطى الحبوب بدون ماء لا يفطر . فما الحكم ؟

ج : على هذه المرأة التى تعاطت الحبوب أثناء النهار فى رمضان القضاء فقط ، وذلك بصيام يوم أخر بدل اليوم الذى أفطرت فيه .

أرض المسـجد

س : من السيد / ع . ل ـ الأحمدى
تبرع بعض الأهالى بقطعة أرض لعمل خيرى ثم توفى ، وهى أرض فضاء محبوسة للعمل الخيرى ، ثم قام الأهالى ببناء مسجد عليها وأقيمت فيه الصلوات فعلا .

وأخيرا تقدم بعض الأهالى بوثيقة عرفية يدعى بها أنه قد اشترى هذه القطعة من أحد ورثة المتبرع ويريد بناء قبر عليها . فما الحكم ؟

ج : بتبرع المتبرع بهذه القطعة ووفاته على ذلك أصبحت محبوسة على عمل الخير ، ثم ببناء المسجد على تلك القطعة تأكد الحبس ، ولا يصح لأحد من الورثة أن يتصرف فيها ، لأنه تصرف فى غير ملكه ، ومادام قد بنى المسجد فلا يصح اقامة قبر فيه مهما كان صاحبه .

فى الميراث

س : من السيد / ع . أ . سالم الشرقية
توفى رجل عن زوجة ، ٣ أولاد ذكور ، ٤ بنات أولاد بنت متوفاة فى حياة الأب . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة بمقدار ما كانت تستحقه لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ ، والمسألة من (٨٨) ثمانية وثمانين جزءا :

منها سبعة أجزاء وصية واجبة لأولاد البنت يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى . والباقى (٨١) واحد وثمانون جزءا هو الميراث :

للزوجة منه الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى للأولاد الأحياء تعصيبا للذكر ضعف الأنثى .

أنباء وآراء

● افتتح السيد الرئيس محمد حسنى مبارك مشروع اعادة ترميم وتجديد قلعة محمد على وقد حضر حفل الافتتاح السيد رئيس الوزراء وفضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى مدير الأوقاف والسادة الوزراء وكان السيد محمد عبد الحميد رضوان وزير الثقافة قد وجه الدعوة لسيادة الرئيس وكبار رجال الدولة لحضور الافتتاح وقد أبدى الرئيس اعجابه بمهارة المهندسين والعمال المصريين .

● ● ●

بعثة الأزهر للحج هذا العام .
برئاسة الدكتور حامد جامع

● وافق فضيلة الامام الأكبر شيخ الازهر على تشكيل بعثة الأزهر للحج هذا العام برئاسة الدكتور حامد جامع الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ عبد المنعم حجاب وكيل الادارة العامة للمعاهد الأزهرية وكيلا للبعثة وتتكون البعثة من أربعين عضوا وذلك للمشاركة في مناسك الحج هذا العام .

الامام الأكبر يلتقي ببعثة علماء الدين للحج

● التقى فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ببعثة علماء الدين الذين يسافرون للحج هذا العام لتوعية الحجاج والرد على استفساراتهم . وحضر الاجتماع فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الدولة للاوقاف .

الدكتور الحسينى هاشم يتفقد أحوال المسلمين فى السودان

سافر فضيلة الدكتور الحسينى هاشم الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية خلال الشهر الماضى في زيارة الى السودان استغرقت اسبوعا تفقد خلالها أحوال المسلمين هناك .

كما زار فضيلته الجامعة الاسلامية بأم درمان ، والتقى بعدد كبير من العلماء ، كما ناقش فضيلته رسالتى الدكتوراه المقدمتين

اعداد :
● أحمد السايح
● عبد الفتاح عبد السلام
● محمد زكى

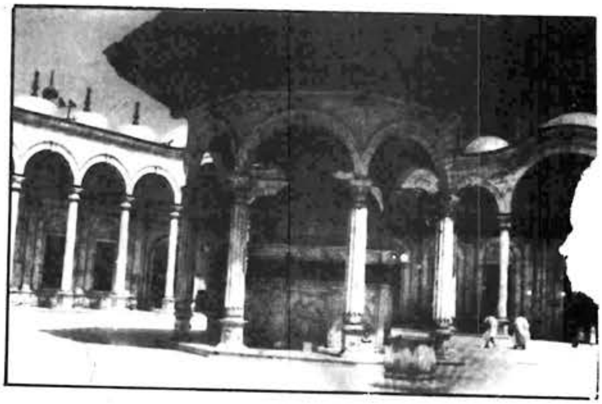

من الطالب / عبد الله عبد القادر الغادنى والطالب قريب محمد راجع بقسم السنة وعلوم الحديث .

اعارة ١٠٠٠ مدرس بالأزهر للدول العربية والاسلامية

اعتمد فضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود حركة اعارات المدرسين الجدد الى الدول العربية والاسلامية شملت الاعارة هذا العام ١٠٠٠ مدرس بالاضافة الى ١٥٤ عالما سبقت اعارتهم للدول الآسيوية والافريقية وقد اضمت هذه الحركة ٤٢١ مدرسا الى السعودية من بينهم ٣٠٤ لوزارة المعارف و ٦٦ لجامعة محمد بن سعود و ٦ لجامعة المدينة المنورة وواحد لجامعة الملك عبد العزيز و ٤٥ سيدة لرئاسة تعليم البنات .

كما تضمنت الحركة كذلك ايفاد ٣٦٤ مدرسا ومدرسة الى اليمن و ٣ مدرسين الى سلطنة عمان .

آثار اسلامية في مصر

● توصلت بعثة الآثار الاسلامية التى تجرى حفرياتها في موقع اطلال قلعة العريش الى كشف أسرار هذه القلعة التى يعود تاريخها الى عام ١٥٦٠ ميلادية ، والتى أنشأها السلطان العثمانى ، سليمان القانونى لتكون حصنا دفاعيا عن طريق سيناء عند المدخل الشرقى لمصر . كما تم الكشف عن ثكنات عسكرية للجنود في العصر المملوكى المتأخر ، وبداية العصر العثمانى القرن السادس عشر الميلادى . وتتكون هذه الثكنات من مجموعة معمارية ذات طابع متميز ، مشيدة من الحجر المنحوت .

(أكاديمية) للغة العربية في أندونسيا

● صرح الدكتور فؤاد محمد فخر الدين مدير (أكاديمية اللغة العربية) في أندونسيا ، بأنه تم انشاء هذه (الأكاديمية) بجهود المسلمين الذاتية ، لنشر اللغة العربية والنحو والصرف والبلاغة .. وأضاف المدير قائلا : أن هناك جمعيات اسلامية مهمتها الأساسية نشر اللغة العربية في أنحاء أندونسيا ، .

المركز الاسلامى الهندى

● يعد المركز الاسلامى للبحوث والدعوة في شبه القارة الهندية ، أول موسوعة للسيرة النبوية تتكون من خمسة مجلدات كبيرة .. تقدم صورة كاملة لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم واثار دعوتة على تاريخ العالم . يشرف على الموسوعة المفكر الاسلامى الكبير وحيد الدين خان العالم الهندى المشهور ، يعاونه في ذلك ستة من الخبراء في العلوم الاسلامية واللغة العربية والانجليزية والعلوم الحديثة ، وحفظ الوثائق والكتب ..

معهد عال للدعوة الاسلامية

● تقرر انشاء معهد عال للدعوة الاسلامية بالمغرب وذلك ضمن مشروع اسلامى كبير يضم مركزا اسلاميا ودارالطباعة المصحف الشريف ، واعداد الترجمات اللازمة لمعانى القرآن الكريم باللغات المحلية المنتشرة في افريقيا ويضم المعهد أقساما للتخصص في مختلف العلوم الاسلامية وتاريخ الأديان .. وسوف يقبل المعهد الطلاب الأفارقة لتخريج رجال الدعوة الاسلامية ممن يجيدون اللغات الأجنبية والمحلية وذلك لنشر الدعوة الاسلامية في القارة الافريقية ، والتصدى لما يوجه للاسلام من كيد أعدائه .

مكتبة الحرم المكى

● بلغ عدد الكتب والمعاجم العلمية والأدبية بمكتبة الحرم المكى الشريف بمكة المكرمة مائة ألف كتاب من أنفس الكتب ذات القيمة الدينية والعلمية الكبيرة .. والجدير بالذكر أن مكتبة الحرم المكى الشريف تبلغ من العمر مائة وخمسة وسبعين عاما .. وقد أنشئت في عهد السلطان عبد الحميد ، تضم المكتبة عددا من المخطوطات النادرة ذات القيمة العلمية الكبيرة وهى مخطوطات أصلية ، كما يوجد بالمكتبة ثلاثة آلاف دورية ويراجع مكتبة الحرم الشريف العديد من طلاب العلم والجامعات الذين ينهلون من المعرفة والثقافة ولاتزال ادارة المكتبة مستمرة في تدعيمها بالكتب العلمية الحديثة .

الاقتصاد الاسلامى

● ثمانية عشر كتابا وبحثا تتعلق بالفكر الاقتصادى والاسلامى المعاصر ، والمشكلات الاقتصادية وطرق حلها اسلاميا .. صدرت عن المركز العالمى لابحاث الاقتصاد الاسلامى بجامعة الملك عبد العزيز بجدة وهذه الكتب والابحاث قام بتاليفها وكتابتها علماء وباحثون مسلمون .. وتأتى اصدارات هذه الكتب والأبحاث في اطار الأهداف التى يسعى اليها المركز ويهدف الى تنظيم البحوث والدراسات النظرية والتطبيقية في

مجالات الاقتصاد الاسلامى ، وتأليف الكتب الدراسية لسد حاجة الجامعات الاسلامية في مجالات الاقتصاد والتخطيط ..

مقر قيادة الحلفاء

● تم اكتشاف مقر قيادة الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية في بدروم أحد المبانى بمصر الجديدة .

وقد اكتشف المقر أحد المواطنين عندما استأجر البدروم من ورثة أحد الفرنسيين لاستخدامه كمخزن للملابس .. وذكرت المصادر : أن البدروم كان مقرا للقاء الرئيس الفرنسى الأسبق شارل ديجول مع كل من **تشرشل ورزفلت ويضم متحفا حربيا به مجموعة من مدافع الهاون والرشاشات الخفيفة والقذائف ، وبعض الصور والخرائط الحربية والمخطوطات والصحف ، كما غطت حوائط المتحف صور زيتية للزعماء الثلاثة .**

الاتحاد الاسلامى بشمال أمريكا

● عقد الاتحاد الاسلامى لشمال أمريكا مؤتمره الصيفى الأول في جامعة « روتكرز » بولاية « نيوجرسى » الامريكية مؤخرا تحت عنوان « تنمية الشخصية الاسلامية » وقد حضر المؤتمر ما لا يقل عن ألفى شخصى ، وألقيت البحوث الخاصة بموضوعه .

مجمع دولى للفلسفة

● أعلن في باريس في بيان مشترك أصدرته وزارة الصناعة والبحث ووزارة التربية الوطنية ووزارة الثقافة عن انشاء مجمع دولى للفلسفة في باريس .

وأوضح البيان : أن مهمة هذا المجمع هى : « تطوير التفكير والبحث الفلسفى مع الاهتمام بشكل خاص بالمعالجة الدولية ، بحيث تستند الى شتى فروع العلم والمعرفة . وأن يركز المجمع نشاطه في مجالات لم يحرز البحث فيها تقدما كبيرا بعد ..

بريطانى يبنى مسجدا

● أشهر المطرب الانجليزى (سينجر كان ستفنسن المقيم فى الولايات المتحدة اسلامه بعد أن قرأ عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأعجب به ، واقتنع بأن الدين الاسلامى هو الدين الذى يجب أن يعتنقه الناس لحل جميع مشكلاتهم . واطلع على شىء من « السنة وقد أطلق على نفسه اسم داود الهاشمى . وقام بالتبرع بمبلغ ثلاثين ألف دولار وقطعة أرض لبناء مسجد فى مدينة ناشفيل بولاية تنسى الأمريكية .

الأزهر يتقصى أحوال المسلمين في استراليا .

وافق فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر على سفر كل من :

١ ـ فضيلة الدكتور عبد الجليل عبده شلبي الامين العام لمجمع البحوث سابقا .

٢ ـ فضيلة الدكتور عبد الودود ابراهيم شلبي الأمين العام للجنة العليا للدعوة الاسلامية . الى استراليا وجزر الباسفيكى (فيجى وبرونى) وذلك لتقصى أحوال المسلمين في هذه البلاد .

● ● ●

كتب السيد / رجب السيد أحمد ـ كلية الاداب ـ القاهرة

مقترح : بأن تعمل المجلة ندوة للرأى فى كل شهر تناقش موضوعا من موضوعات الساعة التى تشغل بال كثير من المسلمين وترى رأيا واضحا فيها على صفحات المجلة .

المجلة : نشكر لك هذا الاهتمام بالمجلة واقتراحك موضع تقدير وترجو المجلة أن توفر لها الامكانيات التى تعينها على طلبكم هذا فنعمل به ان شاء الله ونسأل الله أن يوفقنا ويوفقكم لما فيه الخير للاسلام والمسلمين .

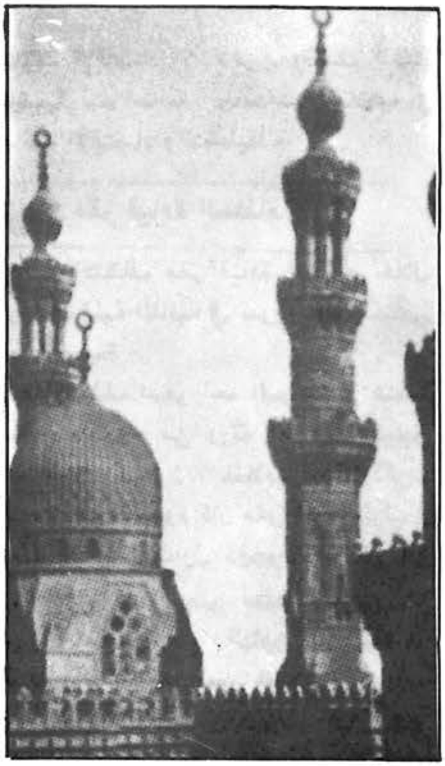

الأخ / محمد أحمد على ـ الجيزة

يشير الى الاخطاء المطبعية بالمجلة اسفا لهذا الأمر .

نشكر لك هذا الاهتمام ـ ونسأل الله التوفيق ليؤدى المختصون بالتصحيح واجبهم .

فهرس الأزهر

فهرس أبجدى لموضوعات المجلة للعام الهجرى ١٤٠٣

الموضوع	الصفحة
أ	
ابن خلدون والازهر	١٨٥٠
ابن هرمه والاحتجاج بالشعر	١٦٩٩
ابو بكر الصديق	٣١٦
أثر الازهر في خدمة المجتمع الاسلامى	٩٠٤
اثر الاسلام في الاولين	١٦١٦
اجل النعم	١٠١٩
الاحاديث الضعيفة اسباب ونتائج وعلاج	٣٠٣، ١٠٤٨
احمد محرم شاعر الفكر الاسلامى	٨٣
اخبار الازهر	١١٧
اخبار العالم الاسلامى ..	١١٥، ٢٥٠، ٤١١، ٥٧٨، ٧٦٨، ١٥٥٩
أدب المخلوق مع الخالق	١١٠٨
الأزهر في ألف عام	١٢٩٨
أزهريون في كل مكان	٥٩٠
الأزهر والحضارة العلمية ..	٨١٤
الأزهر والتحديات امام اللغة العربية	٩١٨
الأزهر وتقنين الشريعة الاسلامية	٨٦٨
الازهر وتخريج الدعاة والمرشدين ..	٩٣٣
الأزهر وعنايته بالقران الكريم وتيبيير تفسيره	١٤١٠
الاستعاذة في القران الكريم	٦٠١
اسلام روجيه (قصيدة	٩٦١
الاسلام والرياضة	٣٣٧
الاستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز	١٠٩٣
أصول سعادة الامة	١١٣٤
اعادة البخارى الحديث في مواضع كتابه	١٥٨
الاعلام الاسلامى في مواجهة الدائرة الدعائية	٦٣٧
أعمال الفترة الثانية للمؤتمر التاسع لمجمع البحوث الاسلامية	٣٧٤
الاغتراب لماذا ؟ والانتماء كيف ؟	٣٥٣
القران وتفسيره	١٤١٠
أقسام المنادى،	١١٥٢
الله والكون (قصيدة	٣١٤
الأمن في الصلاة	١٦٦
أنباء اسلامية	١٠١٥
أنباء واراء ١٢٠٢ ، ١٣٢٩، ١٣٦٧	١٧٢٨
الأهرام والرأى الحر	١٠١٣
أولى منازل الآخرة	١٥٤
ايات الله في عمليات نقل القلب	٧١١
اية الأمانة	٥٣٨
ب	
البحث عن الأمن في القران الكريم	٦٧

إعداد : عبد الفتاح حسن الزيات

الموضوع	الصفحة
الباحث عن الحقيقة ..	٧٥٩
البديعيات بين الانصاف والاعتساف	
بديعيات عصرى المماليك والاتراك	
البرد والنقد في شعر بن الحكومة	٥٦٢
البلاغة بين الطبع والصنعة	٣٨٩
	٧٣٥
بيعة الرضوان المباركة	١٥٩١
بين التهذيب واللسان	١١٤٧
	١٥٢٥
ت	
تائب بالباب (قصيدة	١٢٩٤
تابع المنادى المبنى	٧٢٨
تأثير الازهر في الخارج	١٣٠١
تاريخ الازهر وتطوره	٨٢٦
الترجمة الانجليزية للقران الكريم	٥١٦
	٦٨٧
تحية من جامعة على كره للأزهر	٨٩٥
تصاوير الحرمين	٤٩٧
تصدير الامام جلال الدين السيوطى	٤٨٨
تصويب وتعقيب على مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى	١٦٥٤
التعادلية في الاسلام	٩٧٤
التعارف	١٢٩
التقويم النفسى للأدب	٩٣
	٣/٤٠٢٠
التليفزيون وأثره في سلوك أطفالنا	١٣٠٨
التلقيح الصناعى لتوالد الانسـ.. والاجهاض	١٤٢٩
ث	
ثلاث هجرات	٣٢
ثمرة الانفاق في سبيل الله	٥٢

الموضوع	الصفحة
جاذبية الاسلام	١٦٤٦
جولة حول المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الاسلامية	٩٩٨
جولة في المتحف الاسلامى	١٥٥٥
ح	
حسابر	
الحجامة علاج قديم	٦٣٠
الحجرات ووصاياها العشر	٥٠٤
الحج في الاسـلام	١٣٥
	١٥٩٩
حديقة الذكرى العطرة	٣١٨
حذف حرف النداء	١٢١١
الحرب النفسية	١٨٠
الحضارة الاسلامية	٦٦٨
حقوق غير المسلمين في ظل تقنين	٤٧٧
الشريعة الاسلامية	٥٧٧
الحلم سيد الأخلاق	٦١٩
حوار عن الاسلام والمسلمين	٢٤٣
حوار مع أحد المجاهدين الافغان	٥
حوار مع رئيس لجنة الفتوى بالأزهر	٥٧٥
حوار مع زعيم مسلمى كينيا	٤٠٦
حول تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر	١٠٩٦
حول القران معجزة وتفسيرا	٨
الحية في النصوص العبرية	١٣٢٢
خ	
خلق الانسان في القران الكريم	١٤٥
الخنافس (قصيدة	٩٦٣
د	
دعاء	٤٦٢

الموضوع	الصفحة
دعاية المنافقين	١٠٧١
الدعوة الى التيسير والتبشير	١٨٦
الدكتور عبد الوهاب عزام	٦٥٤
الدكتور محمد البهى	٣٠٨
الدكتور محمود حسب الله	٥٠٨
الدوائر الدعائية المضادة	٣٧٤
دور الأزهر في المستقبل	١١٩٥
دور المساجد في سريلانكا	٨٥٥
ديوان صدى الأيام	١١٨٠
ديوان عامر ..	١٥٣٦
ديوان النيل	٧٥٣
ر	
رجم الزانى	٣٧٧
رحم الله الدكتور سعاد جلال	١٥٢٠
رسائل جامعية	١٠٧
الرسالة الخالدة	١١٧٥
رسالة الشباب المسلم	٤٦٦
رسائل القراء	
رؤية جديدة في الهجرة	
رؤية الهلال	١٢٧٨
رمضان شهر البركات	١٢٢٢
ز	
زمزم بنت التاريخ	١٠٥٩
س	
سلام على الازهر في [illegible]	٥٨٨
السنة ومنزلتها ووجوب الدفاع عنها	٩٠٤

الموضوع	الصفحة
ش	
شاه ولى الله الدكنى	١١٦٤
شخصية في سطور	
الشعر الجديد	٥٥٧، ١١٦٠
الشيخ حسن العدوى	٦٦٢
الشيخ الدكتور محمد عبد المنعم حفاجى	٦٤٨
الشيخ مصطفى مجاهد	١٢٦٧
ص	
الصلاة في الاسلام	١٦٠
صورة مشرقة للمهاجرين الأولين	٥٧
الصوم جنة	١٢٢٨
الصيام في شريعة الاسلام	١٢٨١
الصيام والقيام	١١٢٩
ط	
طرائف ومواقف	١٠٢، ٢٣٠، ٣٦٠، ٥٣٦، ١١٢٦، ١٣٢٠، ١٦٣٤
الطب الاسلامى	١٣٨٥
ظ	
« الظانين بالله ظن السوء » « عليهم دائرة السوء »	١١٢٩

الموضوع	الصفحة
ع	
عالمية رسالة الأزهر	٩٢٥
العدد	١٦٨٦
العرب وتحديات التكنولوجيا	٧٤٨
عشر الأرض وخراجها	٦٢٢
علم الاقتصاد الاسلامى	٨٦٠
العلماء والاصلاح ..	٩٥٥
عقد الزواج	١٤٧٨
علماء المسلمين الذين منحوا أوسمة فى العيد الألفى	٩٩٥
العلماء والاصلاح	٥٤٠
ف	
لفتاوى	١٢٤
	٢٤٨
	٤١٤
	٥٧٨
	٦٧١
	١١٤٤
	١٣٣٤
	١٥٢٢
فقيد الأزهر	١٩٨
الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر	٥٦٦
الفكر بين السداد والفساد	٤٢٥
فلسفة الصبر (قصيدة)	١١١٠
فى رحاب الجامعة	١١٠
فى معرض الهجرة	١٢٢
فى القانون الاسلامى	٨٦٦
ق	
قالت الصحف	١٢٦
قادة النبى صلى الله عليه وسلم	١٩٤
	٢٩٤

الموضوع	الصفحة
	٤٤٨
	٦٣٤
	١٠٦٦
	١٢٥٤
	١٦٠٥
قراءات في السيرة العطرة	٢٧٧
قرارات وتوصيات المؤتمر التاسع لمجمع البحوث	٩٤٣
ك	
كان ظهور الاسلام نقطة تحول في العالم	٤٥٤
كف اليد وضبط اللسان	٤٣٩
كلمة الأزهر	٧٨٢
الامانة العامة للحفل الالفى	٧٨٨
كلمة أمانة مجمع البحوث الاسلامية	٧٩١
كلمة جامعة الازهر	٧٨٥
مصر	٧٩٩
كلمة الوفود	٧٩٥
كيف هدى الله مخلوقاته الى وظائفها .	٤٣٠
ل	
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين	٤
لكل أمة في أرض الله تقدير	٥٩٤
لماذا لم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم المنافقين ؟	٣٦٣
ليست التخمة من هدى الاسلام	١٢٨٦
ليلة القدر خير من الف شهر	١٢١٦

الموضوع	الصفحة
ما أنفع طبك يارسول الله	٨٢٩
ماينتظره المسلمون من الأزهر	٨٠٦
مجلة الأزهر من خمسين عاما	٢٢٠، ٣٦٤، ٨١٧، ١٣٢٢، ١٦٦١
المحافظة على مال اليتيم	٣٣٤
محمد رسول الله	٤٢٠
محمود سامى البارودى	١٥٤٦
المدخل لعدالة الاعلام الاسلامى	١٧١٨
مدرسة الديوان	١٦٨١
مدرسة البعث	١٥٣٢
مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى	١٨٨، ٥٢٢، ٦٩٣، ١١١٨، ١٤٩٠، ١٦٥٤
مسائل في النداء	٥٥
مسابقة الأزهر	٢٧٥
مسجد الكوفة	٣٢٠
المسلمون في سيرلانكا	١٧٢٤
مع ايات الله في كتابه	١٠٢٧، ١٤٦٤، ١٥٨٢
مع ترجمة عبد الله بن يوسف لمعانى القران الكريم	٩٦٤
مع الترخيم في بحث شامل	٣٨١
مع رسائل جامعية	٤٢٠، ٥٧١، ٧٤٣، ١٣٦١، ١٧١٠
مع رسول الله خاتم النبيين	٢٦٢
مع القراء	١٨٩، ٤١٦

الموضوع	الصفحة
مفاتح الغيب خمسة	١٣٩
مقاومة الحرب النفسية	٥٢٨، ٧٠٤
المكفوف (قصيدة)	١٤٩٦
ملامح النقد الأدبى	٩٨١
موقف الأزهر من كتاب الاسلام وأصول الحكم	٥٩٠
مولد الرحمة	٢٧١
من أعلام الأزهر	٩٤٧، ١٥١٠، ١٦٣٧
من أعلام القرن الخامس الهجرى	٧٦
من الحضارة المعمارية	١٧٠
من الحقوق العامة للانسان في الاسلام المساواة	٤٦٩
من رحيق التوحيد	٢١٨
من روائع البيان القرانى	٥
من سيرة شيخنا السيد بن على المرصفى	٢٠٢
من شخصيات المؤتمر	٩٦٧
من فقه البخارى	٢٣٩
من كلمات الائمة شيوخ الأزهر	٦٨٢
من مكارم السلوك	١٠٨٧
من المواقف الخالدة لرجال القضاء	١٦١٠
من نفحات رمضان	١٢٩٥
من نفحات السنة المباركة ثبات النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين	١٤٧١
من نوادر مخطوطات مكتبة الازهر	١٠٤، ٢٣٦، ٣٧٠، ٥٤٥، ٧٢٣، ٩٧٠، ١١٤٠، ١٤٩٩، ١٦٦٩
من وحى الاسراء والمعراج	٩٦٠
منهج الاسلام في علاج المشاكل الاجتماعية	١٤٥١

الموضوع	الصفحه
ميراثنا من حديث رسول الله صلى عليه وسلم	٧١٤
نص الحوار الذى دار بين الشيخ الشعراوى والاستاذ لونارد	١٥٦٢
النقد الحديث فى صحيح البخارى	
هيئة كبار العلماء صفحات مضيئة من تاريخ الأزهر	١٦٢١
(ن)	
نبى الرحمة شجاعته بطولته عظمته	٣٨٠
نحو الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم	١٢٣٦
من مشروع الدستور الاسلامى	٨٧٩
نقد المتقدمين لحديث صحيح البخارى	٤٣٧
نقل الاعضاء من انسان لآخر	١٢٦٤
النقود الاسلامية	
(هـ)	
الهجرة بين دلالات الالفاظ ووقائع الحديث	٦٣
هذا الوعد وهذا القسم ماذا يعنيان ؟	٧٧٩
هكذا يكتب القراء	١٢٠
هذه المجلة رسالتها من رسالة الأزهر	١٣١
هذه المزاعم ماذا لها من الحق	١٠٢٣
هل التقى فكر الدكتور شندى والشيخ الشعراوى ؟	٣٤٩
هوامش على المولد النبوى الشريف	٢٨٥
(و)	
وثيقة وقف العلاقة سليمان ابن على الابشارى	٣٢٦
الوصية الجائرة	١٢٥٨
الوقت وقيمته	١٠٣٦
	١٢٤٥
ومن كرسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٥٩

الموضوع	الصفحة
ياخير ذكرى (قصيدة)	٤٦٤
اليتيم الشريد (قصيدة)	١٢٦٩

الموضوع	الشهر
بشائر الرسالة المحمدية	ربيع الاول
تحذير الخواص من أكاذيب القصاص	رمضان
حافظ وشوقى في مرآة الزمن	صفر
دليل الحاج	شوال
الدين سبيل السعادة في الدارين	ربيع الاخر
رسالة كشف النقاب والالتباس	شعبان
رسالتنا في العقيدة الاسلامية	جمادى
	جمادى الاخرة
الرفق بالحيوان	رجب
المغنى عن الحفظ والكتاب فيما لم يصح فيه شىء من الأحاديث	ذى القعدة
الهجرة . مواقف . عبر .. عظات	المحرم

تصويب

بسم الله الرحمن الرحيم

تصويب الأخطاء الواردة بمقال (العدد)

رقم مسلسل	رقم الصفحة	العمود	السطر	الخطا او الساقط	الصواب ، او ماينبغى اثباته
١	١٦٨٦	٢	٩	عنوان تقسيم العدد	اقسام العدد
٢	١٦٨٧	١	٤	او يثنان للمفرد	أو يثنتان للمفرد
٣	١٦٨٩	١	٢٢	واما الالف ، عوض من عشر مائة	واما الالف فهى عوض من عشر مائة
٤	١٦٨٩	٢	٢	مع المقصد الأول والفرض الأهم من الآية	مع أنه المقصد الأول والفرض الأهم من الآية
٥	١٦٩٠	١	٩	يكون التاء فى اسم الجنس وخلو المفرد منها	بكون التاء فى اسم الجنس وخلو المفرد منها
٦	١٦٩٠	٢	٥	ثلاث أنفس ، وثلاث ذود	ثلاثةأنفس وثلاث ذود
٧	١٦٩١	١	٢٣	يلزم ان يجتمع فيما يضاف اليه العدد	يلزم ان تجتمع فيما يضاف اليه العدد
٨	١٦٩١	١	٢٤	وقد تختلف كلها	وقد تتخلف كلها
٩	١٦٩٢	١	١ر٢	وهى جارية (وهى جارية) زائدة	وهى جارية
١٠	١٦٩٢	١	٣٦	وخمسون درهما فاطميا	وخمسون درهما فاطميا .
١١	١٦٩٢	١	٢٧	عندى أحد عشر دينارا عباسية	عندى احد عشر دينارا عباسية
١٢	١٦٩٢	١	٢٨	وخمسون درهما فاطمية	وخمسون درهما فاطمية
١٣	١٦٩١	١	٣٢	فعائل) انما يطرد فيما (يطرد فيها) كـان تانيثه بالعـلامة	(فعائل) انما يطرد فيما كان تأنيثه بالعلامة

نعت تمييز العدد صفحة ١٦٩٢ عمود (١)سطر ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

العبارات التى وقع الخطا والترك فيها	الصواب فى هذه العبارات وتكملتها
فنقول : عندي احد عشر دينارا عباسيا وخمسون دينارا عباسية وخمسون درهما فاطمية	فنقول : عندى احد عشر دينارا عباسيا وخمسون درهما فاطميا ، ومراعاة المعنى ؛ أى معنى العدد نفسه ودلالته على الجمع ــ فنقول : عندى احد عشر دينارا عباسية وخمسون درهما فاطمية

مسلسل	العـــدد	الصفحة	العمود	السطر	الخطـــا	الصواب
١	ربيع آخر/يناير	٥١٧	١	١٣	يكبدهم	يكبلهم
٢		٥١٨	٢	٣١	Schveigger	Schweigger
٣		٥١٩	١	١	Cillmann	Ullmann
٤		٥١٩	١	٣١	E.Ross	A.Ross
٥		٥٢٠	٢	١٢	Rolve	Palmer
٦		٥٢١	١	٣٠	وقالوا تعالوا الى اتفاق بينا وبينكم	تعالوا الى اتفاق بيننا وبينكم
٧		٥٢١	٢	١١	مفـــرده	مفـــردة
٨	جمادى/فبراير	٦٨٧	١	١	Picrhall	Picehall
٩		٦٩٠	١	١٧	بعيده	لعبده
١٠		٦٩٢	١	١١	Warn	man
١١	شـــوال/يوليو	١٤٨٨	١	١٧	لكل المصحف فى سورة	لكل سورة فى المصحف
١٢		١٤٨٩	١	٦	مكتـــول	يكتول
١٣		١٤٨٩	٢	٧	Piethall	Picthall

وجاء فى ص ١٦٣٧ جزء ١١ عن تاريخ مولد الشيخ الزنكلونى ١٩٧٨/٦/٨ وصحته ٨/٦/ ١٨٧٨ .

وجاء فى ص (١٥٥) عدد صـــــفر أولى منـــازل الآخـــرة بقـلم ع . الخطيب والصحيح انهـا للأســتاذ على بن مشرف العمرى .

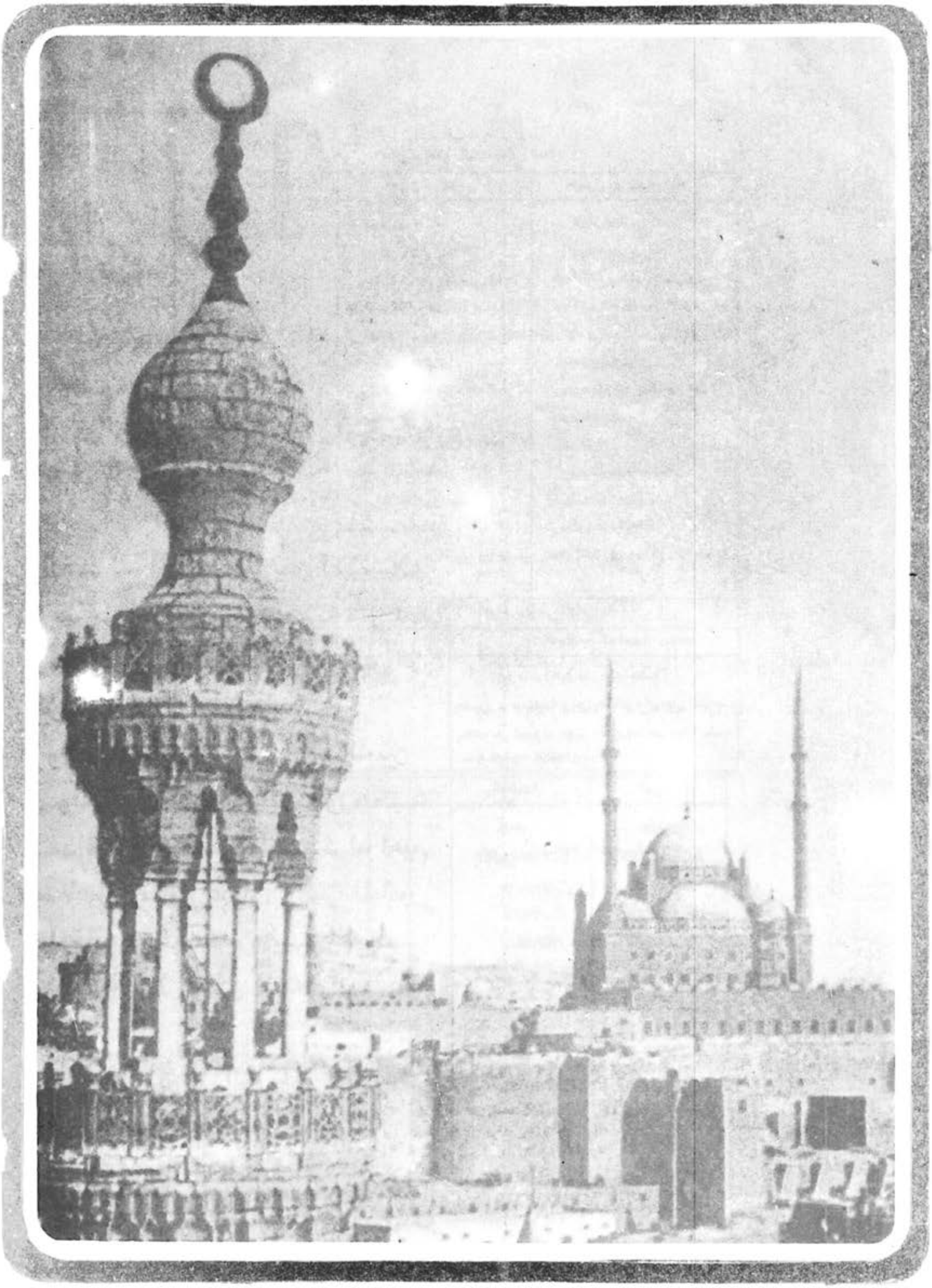

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس العدد

عدد ذى الحجة ١٤٠٣ هـ

الموضوع — الصفحة

● الافتتاحية :
هذا الكتاب مظلة مصر ووقايتها
للدكتور على الخطيب ١٧٣٧
● مقدمة لابد منها
للاستاذ احمد سعود ١٧٤١
● معالم القصــور
للدكتور على الخطيب ١٧٤٤
● المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى والتكنولوجيا
تقديم شعبة التعليم الازهرى ١٧٥٠
● التخطيط المعمارى للمعاهد الازهرية
للمهندس ابراهيم حسن الصادى ١٧٦٣
● خطوات تم تنفيذها ١٧٦٨
● المشاكل التى تتعلق بتحفيظ القرآن الكريم
للدكتور معتز المرزوقى ١٧٦٩
● اقتراح بمشروع قانون بتحفيظ القرآن الكريم وتجويده
للاستاذ محمود نافع ١٧٧٢
● اقتراح بمشروع قانون لمحفظى القرآن الكريم
للعضو الدكتور معتز المرزوقى ١٧٧٤

دراسات فى القرآن والسنة

● الذبيح وفداؤه والاضحية وحكمها
للاستاذ محمد الحديدى الطير ١٧٧٧
● مؤشرات الخصوصية فى ذى الحجة
للدكتور محمد محمد الشرقاوى ١٧٨٤
● من نفحات السنة المباركة
للدكتور محمد محمود شعبان ١٧٨٨
● النقد الحديث فى صحيح البخارى
لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم ١٧٩٣
● فضل المدينة المنورة
للاستاذ محمد صابر البـ سى ١٧٩٦
● قادة النبى صلى الله عيه وسلم
للاستاذ ابراهيم عبد الرحمن ابو الغيط ١٨٠١
● المجتمع الاسلامى فى تصوير القرآن الكريم
للاستاذ مصطفى شاهين ١٨٠٥

من اعلام الأزهر

الشيخ الصاوى شعلان
بقلم احمد مصطفى حافظ ١٨١٦

فهرس العدد

الموضوع | الصفحة

من تاريخ الازهر

- **الازهر فى القرن الثامن عشر الميلادى**
  للاستاذ السيد حسن قرون — ١٨٢١
- **تاثير الازهر فى الخارج بين الماضى والحاضر**
  للدكتور محمد محمد شتا زيتون — ١٨٢٦

الشعر

- **فى ظلال الحرم**
  للدكتور حسن جاد — ١٨٣٤

مع الفكر الغربى

- **تصويب وتعقيب على مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى**
  للدكتور محمود عبد المعطى بركات — ١٨٣٦

طرائف

الاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم — ١٨٤٢

من التراث

- **الدهاء والاستقامة للشيخ محمد الخضر حسين** — ١٨٤٥
  عرض وتقديم الاستاذ احمد حسن جابر رجب
- **من نوادر مخطوطات مكتبة الازهر كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر**
  تقديم الاستاذ محمد عميره على — ١٨٥١

الادب والنقد

- **مدارسنا الادبية ـ مدرسة ابوللو**
  للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى — ١٨٥٧
- **ازدهار الادب الاردى**
  للدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم — ١٨٦١
- **مع رسالة جامعية (محمد مصطفى الماحى) حياته وشعره**
  تقديم عاطف زهران — ١٨٧٨

*** ديوان شعر**

هكذا اغنى للشاعر

محمود حسن اسماعيل — ١٨٨٣

*** الفتاوى**

اعداد عبد الحميد السيد شاهين — ١٨٩٦

انباء واراء للاساتذة

احمد السايح ـ عبدالفتاح عبد السلام ـ محمد زكى — ١٨٩٨

- **فهرس ابجدى لموضوعات المجلة للعام الهجرى ١٤٠٣**
  اعداد عبد الفتاح حسين الزيات — ١٩٠٣

طبع بمطابع روزاليوسف